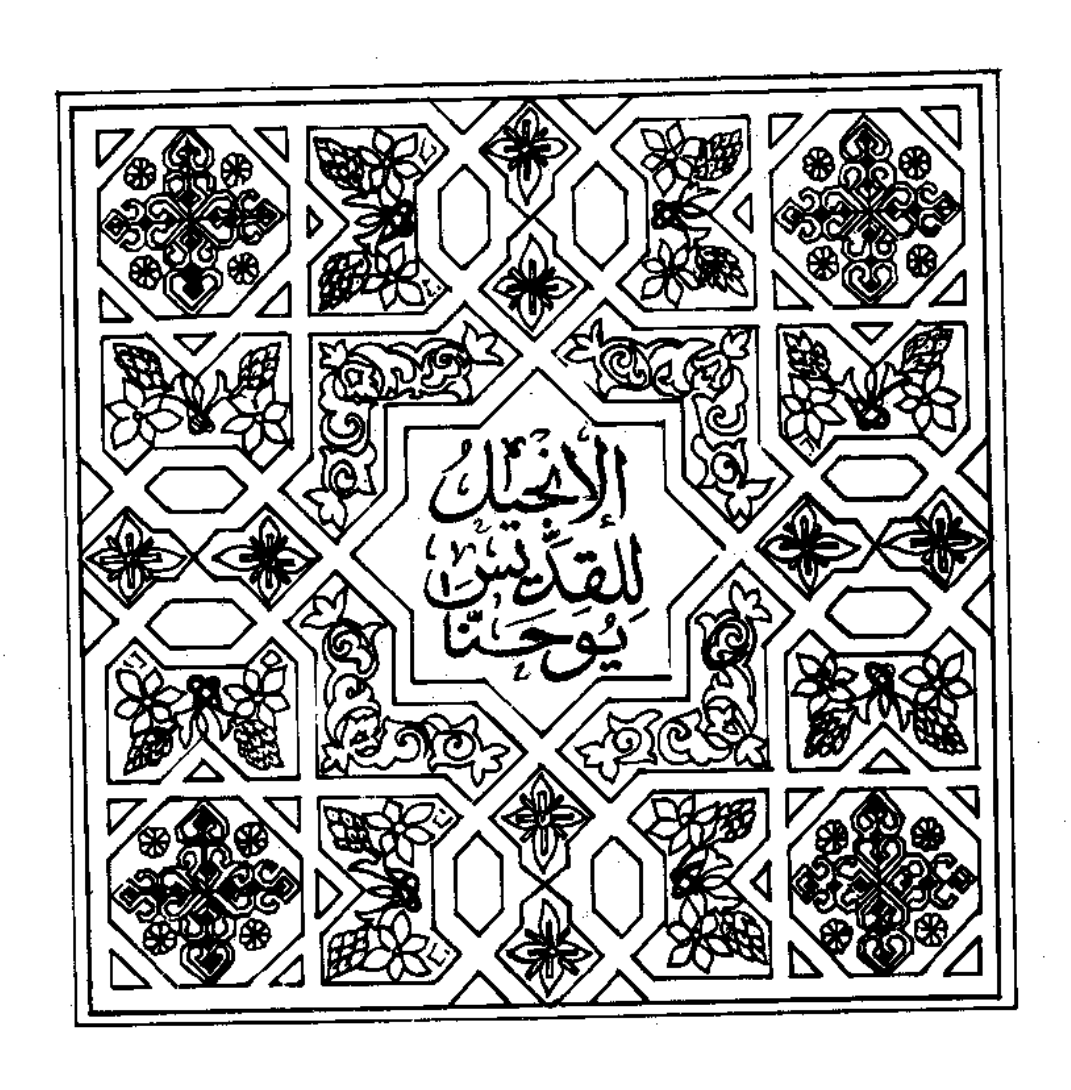
الأنجيل

للقديس يوحنا

دار المعارف

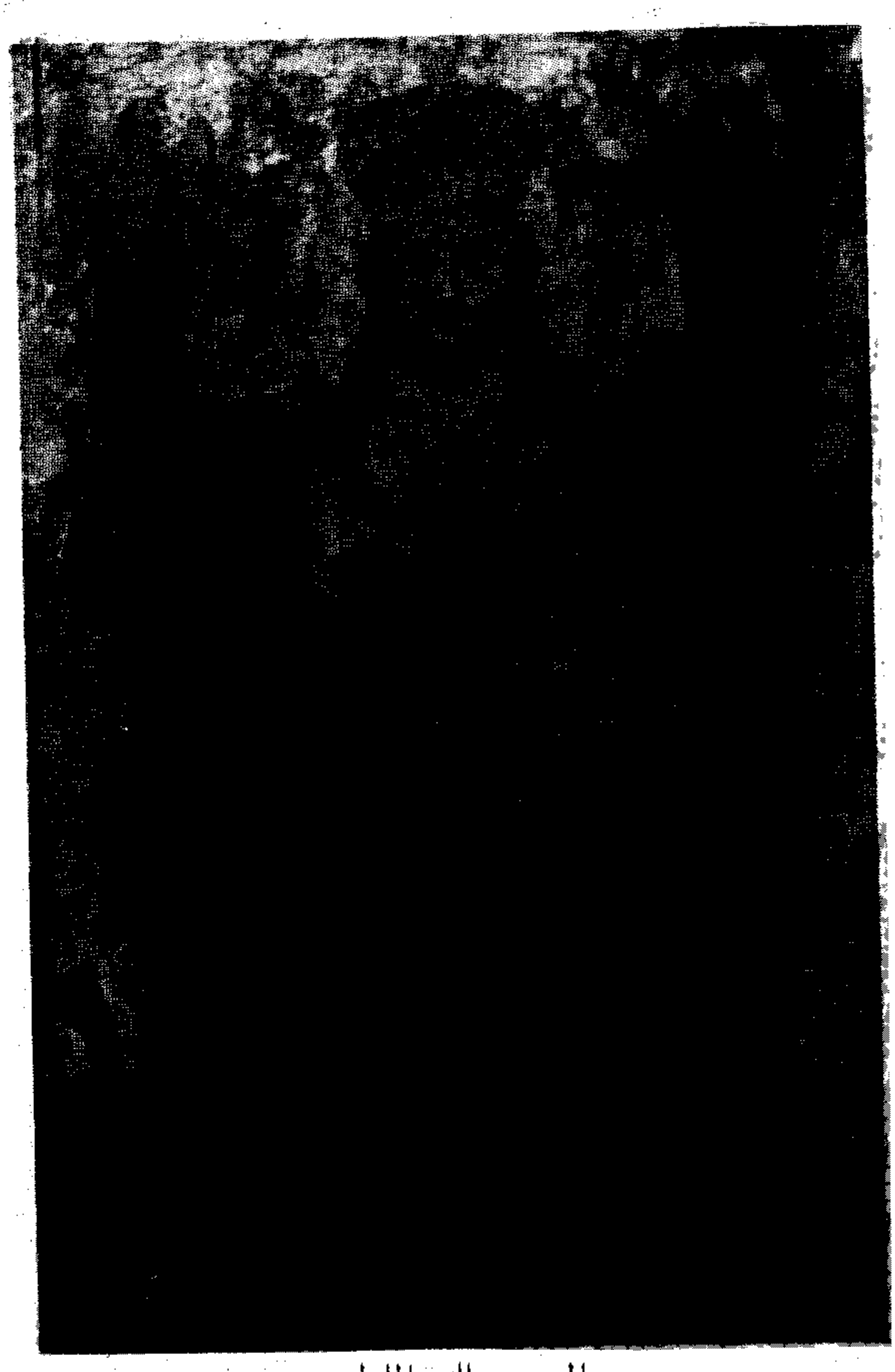




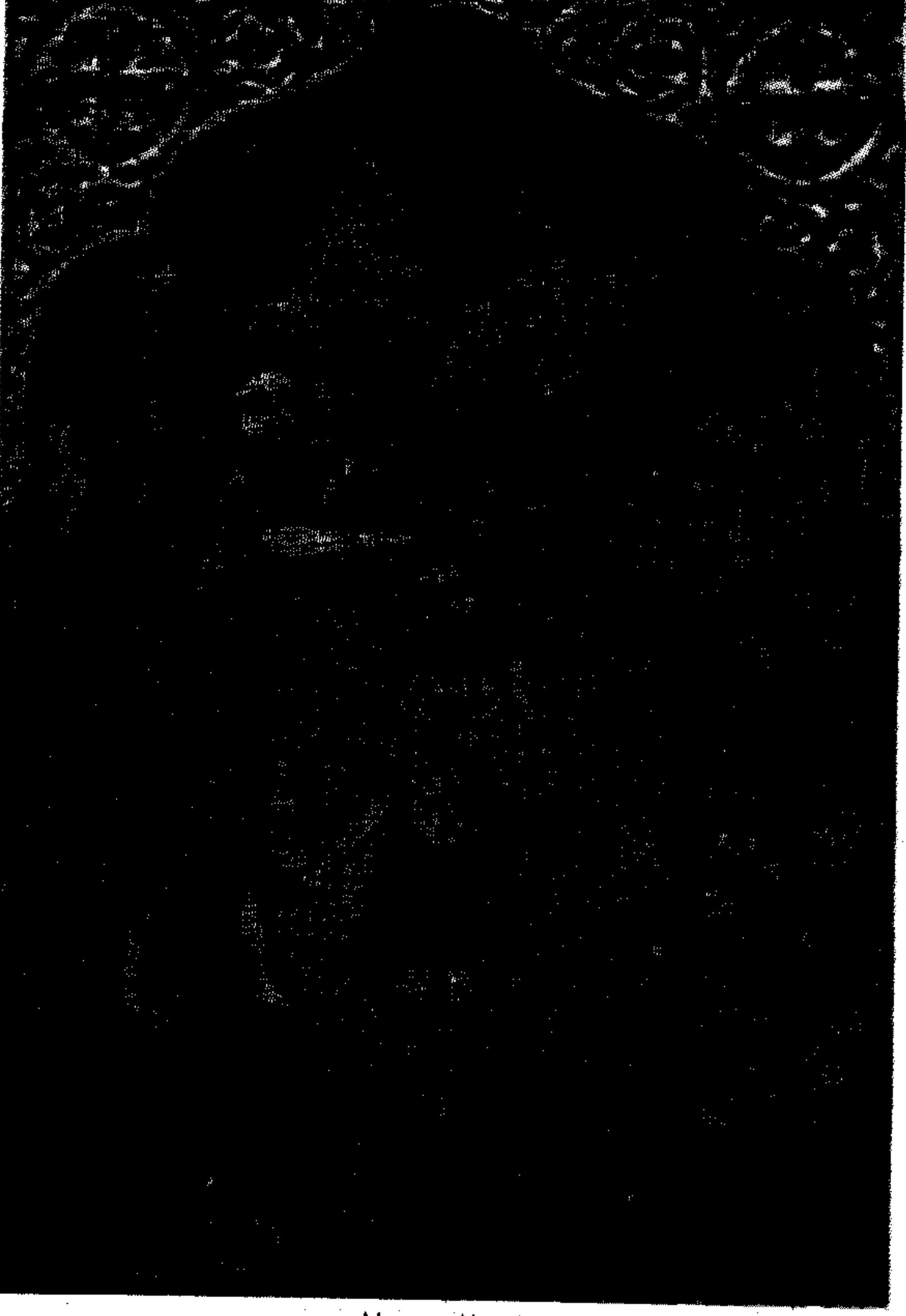
دار المعارف

قام بالتقاط صور الأيقونات الأثرية القبطية الفنان : سليم يوسف

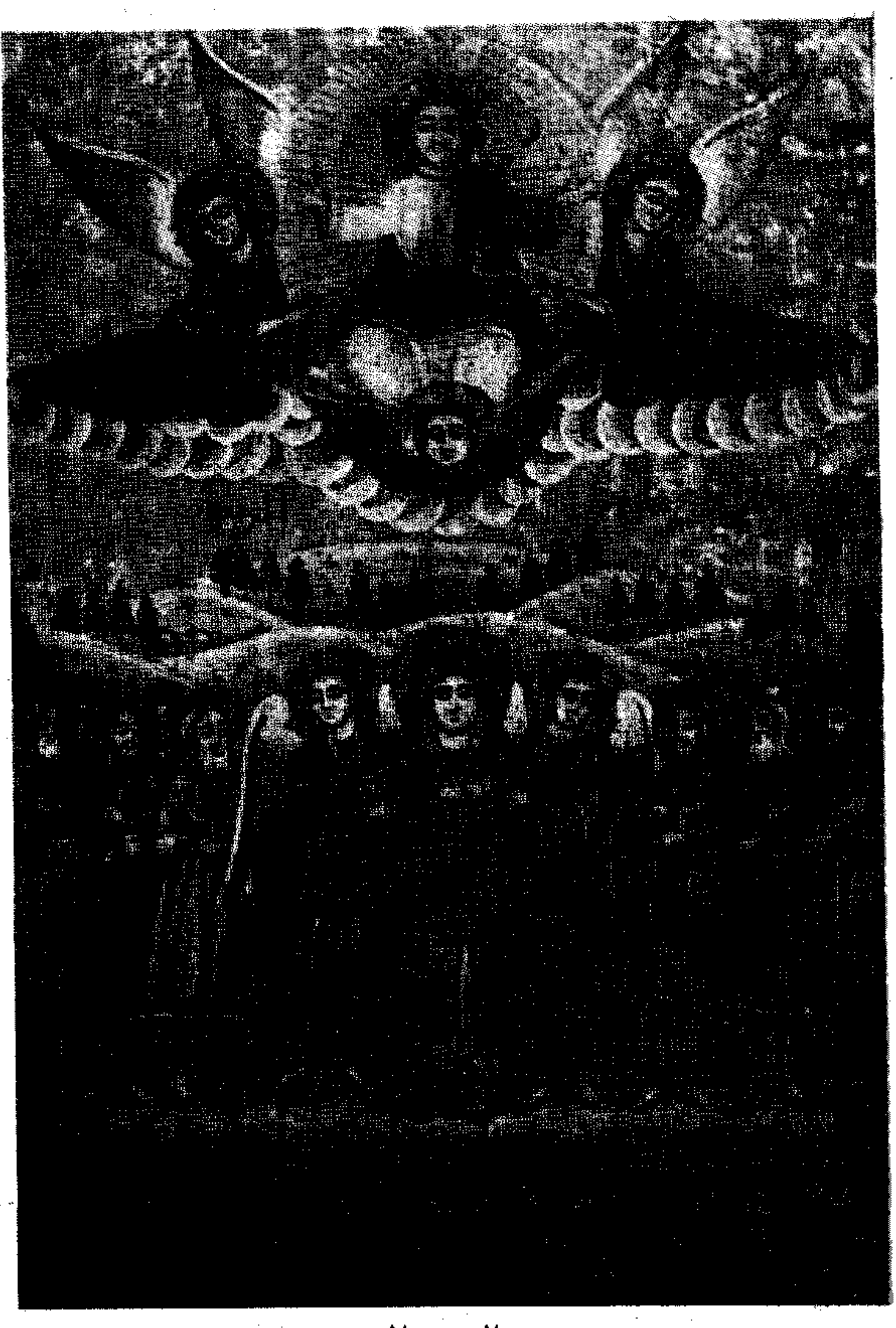
الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.



المسيح ملك الملوك



عماد السيد المسيح



صعود السيد المسيح



القديس يوحنا عن أيقونة بكنيسة السيدة العذراء بهمشة

مقدّمة

١ – القديس يوحنا الرسول الإنجيلى

اشتهر القديس يوحنا بين رسل المسيح وتلاميذه الاثنى عشر بأنه كان « التلميذ الذى كان يسوع يحبه »[1] « وهو ذلك الذى كان قد اتكأ على صدره فى أثناء العشاء » ، والذى قال له : « يارب من هو الذى سيسلمك ؟ »[2] . وهو الذى عهد إليه المسيح له المجد – وهو على الصليب – برعاية أمه العذراء مريم . قال الإنجيل : « فلما رأى يسوع أمه ، والتلميذ الذى كان يحبه واقفاً ، قال لأمه « أيتها السيدة ، هوذا ابنك » ، ثم قال للتلميذ : « هى ذى أمك ، ومنذ تلك الساعة أخذها التلميذ إلى بيته »[3] . وقد أقامت العذراء مريم فى بيت يوحنا حوالى أربع عشرة سنة ، ولم يغادر فلسطين من أجلها إلى يوم وفاتها وصعود جسدها إلى السماء .

يوحنا الحبيب

لهذا كله عُرف القديس يوحنا الرسول باسم « يوحنا الحبيب » . ولابدّ أنه كانت فى يوحنا صفات وفضائل أحبه المسيح من أجلها :

١ – ولعل أول هذه الصفات وأبرزها أنه كان يحبّ المسيح له المجد محبة فائقة تميزت وبرزت على محبة سائر التلاميذ . وهو أمر عرفه عنه المسيح وهو فاحص

(١) (يوحنا ١٣ : ٢٣) و(١٩ : ٢٦) و(٢٠ : ٢) و(٢١ : ٧ و٢٠) .

(٢) (يوحنا ٢١ : ٢٠) و(١٣ : ٢٥) .

(٣) (يوحنا ١٩ : ٢٦ و٢٧) .

القلوب والكلى [٤] ، كما يتّضح من إنجيله الذى اهتم فيه اهتمامًا خاصًا بحديث ربّ المجد عن المحبة ووصيته فيها [٥] .

وكذلك كتب عن المحبة فى رسائله الثلاث المعروفة بين الرسائل الجامعة ، ووصف الله فيها بأن « الله محبة »[٦] .

وقد شدّد الرسول القديس يوحنا على المحبّة بين الناس ، وعَدَّها المِحَكّ لمحبتنا لله ، لكن هذه المحبة ليست كلامًا ، أو عاطفة جوفاء . إن المحبة الحقيقية عمل صالح نحو الناس ، جميع الناس .

« أيها الأحباء ، فليحبّ بعضنا بعضًا ، فإن المحبة هى من الله . وكل من يحبّ فهو مولود من الله ، وعارف با لله . ومن لا يحبّ لم يعرف الله . لأن الله محبة ... تلك هى المحبة .. إننا لم نكن نحن الذين أحببنا الله ، بل هو الذى أحبّنا ، وأرسل ابنه كفّارة عن خطايانا . أيها الأحباء ، إذا كان الله قد أحبّنا هذا الحب ، فعلينا نحن أيضًا أن يحب بعضنا بعضًا . إن الله لم ينظر إليه أحد قط . ولكن إذا أحب بعضنا بعضًا أقام الله فينا وتمّت محبته فينا . بهذا نعرف أنّا نثبت فيه ، وأنه يقيم فينا وأنه قد أعطانا من روحه ... الله محبة ... من ثبت فى المحبّة ثبت فى الله ، وأقام الله فيه ... نحن نحبّه لأنه هو أحبّنا أولا . إن قال أحد : إنى أحب الله وهو مبغض لأخيه كان كاذبًا ، لأن الذى لا يحبّ أخاه وهو يراه كيف يستطيع أن يحبّ الله وهو لا يراه . وإليكم الوصية التى أخذناها عنه : من أحب الله أحب أخاه أيضًا[٧] » .

---

(٤) (الرؤيا ٢ : ٢٣) .

(٥) راجع خصوصاً (يوحنا ١٤ : ٢١ و٢٣ و٢٤ و٢٨ و٣١) و(يوحنا ١٥ : ١٠ و١٢ و١٣ و١٤ و١٥ و١٧) .

(٦) (١ . يوحنا ٤ : ٨) .

(٧) (١ . يوحنا ٤ : ٧ — ٢١) .

« نحن نعلم أننا انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة . من لا يحب أخاه بقى فى الموت . كل من أبغض أخاه فهو قاتل نفس . وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه . بهذا قد عرفنا المحبة : أن ذاك قد بذل نفسه لأجلنا ، فعلينا نحن أيضًا أن نبذل نفوسنا لأجل بعضنا بعضًا . من كانت له المعيشة العالمية ورأى أخاه فى فاقة فأغلق أحشاءه دونه فكيف تثبت محبة الله فيه . ياأولادى ، لتكن محبتنا لا بالكلام أو باللسان ، بل بالعمل والحق »[٨] .

وجاء عن القديس يوحنا الحبيب فى تاريخ الكنيسة أنه ظلّ يكرز بالمحبة دائمًا . ولمّا بلغ سنّ الشيخوخة ، وأمسى عاجزًا عن الوعظ الطويل ، صار يقتصر فى مواعظه على هذه العبارة : « ياأولادى : فلتحبوّا بعضكم بعضًا » . فلما ضجر المؤمنون من هذه الكلمات المتكررة قال لهم : « إن المحبة هى وصية الرب . فإذا أتممناها فقد برهنّا على أننا تلاميذ الرب » . قال السيد المسيح : « بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إذا أحببتم بعضكم بعضًا »[٩] .

وممّا يذكر عن محبة القديس يوحنا لخلاص الخطاة مارواه القديس إكليمنضس الإسكندرى فى كتابه « من هو الغنىّ الذى يخلُص » عن الرسول يوحنا أنه ترك شابًّا حديث الإيمان فى رعاية أحد أساقفة آسيا الصغرى ، فتعهّده الأسقف بالوعظ والتعليم ثم عمّده . وحدث بعد ذلك أن عاشر الشاب بعض أصدقاء السوء ، فأمالوه عن طريق الفضيلة ، وأخذ ينحدر فى مهاوى الرذيلة إلى أن أمسى من قطّاع الطرق ، بل زعيمًا لعصابة من اللصوص . فلما عاد الرسول يوحنا سأل الأسقف عن الشاب ، فبكى الأسقف للحال التى صار إليها الشاب وتردّى فيها . عندئذ طلب القديس يوحنا فرسًا وأخذ معه دليلا مرشدًا ، حتى

---

(٨) (١ . يوحنا ٣ : ١٤ — ١٨) .

(٩) (يوحنا ١٣ : ٣٥) .

وصل إلى حيث يقيم الشاب على أحد الجبال . وهناك رأى اللصوص القديس يوحنا فقبضوا عليه وجاءوا به إلى زعيمهم ، وكان هو هذا الشاب الذى ضلّ سواء السبيل . فلما تنبّه الشاب أنه أمام الرسول القديس يوحنا وجهًا لوجه لم يَقْوَ على الوقوف أمامه ، فولّى الأدبار هاربًا من حضرته . أما الرسول القديس فقد استردّ شبابه وشرع يجرى وراء الشاب وهو يقول : « ابنى يا ابنى ، ما بالك تجرى هاربًا من وجه أبيك وهو شيخ وأعزل ولا سلاح بيده ؟! ارحم نفسك ، ووقّر شيخوختى .. ولا تخْشَ ضرًّا . فما زال الرجاء متوفّرًا لخلاصك .. وأنا كفيلك عند المسيح .. وإنى أبذل حياتى من أجل خلاصك . كما بذل يسوع المسيح حياته من أجلنا ... قف فى مكانك ، وأيقن أن المسيح هو الذى أرسلنى إليك ... فلما سمع الشابّ هذه الكلمات العاطفية المثيرة انهار أمام الرسول القديس ، وانخرط فى بكاء متواصل نادمًا على ما وقع فيه من شرّ وضلال ... فعانقه الرسول بحنان وطمأنه ، وأعلن له قبول توبته ، وردّه إلى الكنيسة بعد أن منحه الحِلّ من خطاياه [١٠] .

ومع هذه المحبة العظيمة التى امتلأ بها قلب الرسول القديس يوحنا ، نحو الله والناس ، أصدقاء كانوا أو أعداء ، فإنه كان شديدًا على الهراطقة وأصحاب البِدَع والتعاليم الغريبة عن الكنيسة . وكان يعدّهم أعداء للإيمان ومقاومين للمسيح . وكان يحذّر المؤمنين منهم ومن تعاليمهم الهرطقية الضارّة ، وكان يدعو بحرارة إلى مقاطعتهم وإلى قطع الشركة المسيحية معهم ، من هؤلاء الكيرنثيون والأبيونيون والنيقولاويون والغنوسيّون وغيرهم .

قال فى إحدى رسائله التى يتكلّم فيها عن أعماق المحبة : « أيها الأولاد ،

(١٠) أنظر كتاب « مَن هو الغنىّ الذى يَخْلُص » للقديس أكليمنضوس الإسكندرى (٤٢ : ١ – ١٥) ثم كتاب « تاريخ الكنيسة » ليوسابيوس القيصرى – كتاب ٣ فصل ٢٣ .

هاهى ذى الساعة الأخيرة . وكما أنكم سمعتم أن المسيح الدجّال سيأتى ، يوجد الآن أضداد للمسيح كثيرون ... منّا خرجوا ، ولكنهم لم يكونوا منّا ، لأنهم لو كانوا منّا لظلّوا معنا ، ولكن ليتبين أنهم ليسوا كلهم منا »[١١] . وهو يعنى هنا الهراطقة الذين انفصلوا عن الكنيسة « منا خرجوا » لكنهم صاروا لا يُعَدّون منّا لأنهم لو كانوا من رأْيِنا وروحنا وتعليمنا لظلّوا واستمروا معنا . وفى رسالته الثانية يقول « إذا جاءكم أحد لا يحمل هذا التعليم فلا تقبلوه فى البيت ، ولا تقولوا له : سلام ! فإن من قال له : سلام ، شاركه فى أعماله الشريرة »[١٢] .

وجاء عن القديس يوحنا الحبيب فى كتاب « الرد على الهرطقات » للقديس إيريناوس ، أنه رأى مرة فى حمّام عام بعض المؤمنين ومعهم فيه كيرنثوس CERINTHUS الهرطوقى ، وهو من قادة الأبيونيين ، وكان يزعم أن السيد المسيح مولود بالطبيعة من يوسف ومريم . فصاح فيهم القديس يوحنا الرسول أن يخرجوا من المكان وأن يقطعوا شركتهم بكيرنثوس هذا « عدوّ الحق » وإلا حلّ عليهم غضب الرب . فأطاعوه فى الحال . وخرجوا من الحمّام وقطعوا شركتهم بكيرنثوس [١٣] .

٢ – ولابدّ أنّ القديس يوحنا الرسول كان يتّصف بصفات أخرى جميلة أحبّه المسيح من أجلها ، ومنها رقة الشعور ، ودقّة الإحساس ، واللطف ، والوداعة ، والطاعة ، وبساطة القلب ، وطهارة الضمير ، ونقاء السريرة ، والبتولية والعفة ...

---

(١١) (١ . يوحنا ٢ : ١٨ و١٩) .

(١٢) (٢ . يوحنا : ١٠ و١١) .

(١٣) كتاب « الرد على الهرطقات » للقديس إيريناوس – كتاب ٣ فصل ٤٠٣ . وكتاب « تاريخ الكنيسة » ليوسابيوس القيصرى – كتاب ٣ فصل ٢٨ : ٦ ، وكتاب ٤ فصل ١٤ : ٦ و٧) .

٣ - ولعل من صفات الرسول يوحنا التى أحبّه المسيح إلهنا من أجلها أنه أطاع الدعوة المقدسة وتبع المسيح له المجد وهو فى شبابه المبكر. فقد كان القديس يوحنا أصغر جميع الرسل التلاميذ سنًّا. يقول الكتاب المقدس « خير للرجل أن يحمل النير فى صباه »[١٤] ، ويقول أيضًا « فاذكر خالقك فى أيام شبابك قبل أن تأتى أيام السوء ، وترد السنون التى فيها تقول ليس لى فيها لذة »[١٥] .

يوحنا البتول

وكما عرف القديس يوحنا بـ« يوحنا الحبيب » اشتهر أيضا بـ« يوحنا البتول » ذلك لأنه عاش بتولاً كل أيام حياته ، فلم يرتبط بزواج ، ذلك لأنه بعد أن عرف المخلّص رغب فى أن يحيا « مقدسًا فى الجسد والروح »[١٦] . وقد وصف فى رؤياه مجد الأبكار البتوليين وكرامتهم « وهم يسبِّحون تسبيحة جديدة أمام العرش ... هؤلاء هم الذين لم ينجسوا ملابسهم مع النساء ، لأنهم أبكار. هؤلاء هم الذين يصحبون الحمل حيثما يذهب »[١٧] .

يوحنا اللاهوتى

وسمّى القديس يوحنا الرسول أيضا بـ« يوحنا اللاهوتى » ذلك لأن الإنجيل حسبما كتبه القديس يوحنا أبرز لاهوت السيد المسيح ضدًّا لتعليم الهراطقة الذين ظهروا فى زمان القديس يوحنا. وقد بدأ إنجيله بقوله : « فى البدء كان الكلمة ،.. وكان الكلمة هو الله. كان منذ الأزل لدى الله. كل شىء به كان.

---

(١٤) (مراثى إرميا ٣ : ٢٧).

(١٥) (الجامعة ١٢ : ١).

(١٦) (١. كورنثوس ٧ : ٣٤).

(١٧) (الرؤيا ١٤ : ٣ و ٤).

وبغَيْره لم يكن شيء مما كان » . [١٨] وقد اهتم الرسول يوحنا بذكر المعجزات ذات الدلالة اللاهوتية والتى تبرهن على لاهوت المسيح ، كما اهتم بإيراد أقوال السيد المسيح وأمثاله التى تثبت لاهوته .

يوحنا الرائى

وقد عرف القديس يوحنا الرسول أيضا بـ« يوحنا الرائى » رأى فى جزيرة بطمس[١٩] PATHMOS ، وهى من جزر الأرخبيل جنوبى بحر إيجه (سبوراد) وكان قد نفى إليها بأمر الإمبراطور الرومانى دومتيانوس DOMITIANUS (٥١ - ٩٦ م) رؤياه العظيمة التى سجلها فى سِفر الرؤيا ، وأنبأ فيها عن مجد الحياة الأبدية ، وتناول الأحداث التى ستمرّ على الكنيسة إلى مجىء المسيح الثانى للدينونة والحساب . وقد رأى مارآه وهو فى حالة من العمق الروحانى ، والإشراق الباطنى ، والوجد الصوفى ، وكأنه لم يكن فى الجسد [٢٠] ، وهى هذه الحالة التى وصفها بقوله «كنت فى الروح » [٢١] وهو ما يعرف بالاختطاف [٢٢] الروحى أو الانجذاب العقلى ، حيث ينجذب الرائى إلى عالم الروح ، ويغيب[٢٣] عن عالم الحس والشهادة ، ويصير إلى حالة من الاستغراق الروحى الكامل . وقد كتب القديس يوحنا هذه الرؤيا بناء على أمر صريح وُجِّه إليه من الله [٢٤] ، وهى آخر أسفار الكتاب المقدس .

---

(١٨) (يوحنا ١ : ١ - ٣) .

(١٩) (الرؤيا ١ : ٩) .

(٢٠) (٢ . كورنثوس ١٢ : ٢ و ٣) .

(٢١) (الرؤيا ١ : ١٠) .

(٢٢) (٢ . كورنثوس ١٢ : ٢ و ٤) .

(٢٣) (الأعمال ١٠ : ١٠) و(١١ : ٥) و(٢٢ : ١٧) .

(٢٤) (الرؤيا ١ : ١٩) .

ولعله إلى هذه الرؤيا الروحانية الجميلة كان يشير المسيح له المجد فى كلامه إلى سمعان بطرس عن تلميذه يوحنا الحبيب « لو أننى شئت أن أبقيه إلى أن أجيء ، فماذا يعنيك ؟ » [٢٥]

نسبته ودعوته الرسولية :

والقديس يوحنا الرسول هو وأخوه يعقوب الكبير من أب يسمى زبدى [٢٦] (= وهب الله – هبة الله) وأم تسمى سيلومى أو سالومه (= سلام صهيون) . وكان يوحنا يشتغل بصيد السمك ، وهى أيضًا مهنة شقيقه الأكبر منه (يعقوب) وأبيهما من قبلها .

وأما أمه سيلومى أو سالومه فهى قد ذكرت بهذا الاسم [٢٧] سيلومى بين النساء اللاتى تبعن المسيح إلى الصليب ، « وكنّ ينظرن من بعيد . وهنّ اللاتى كنّ يتبعنه ويخدمنه حين كان فى الجليل ، وقد صعدن معه إلى أورشليم » وذكرت أيضًا بهذا الاسم سيلومى [٢٨] بين النسوة اللاتى اشترين طيبًا ليأتين ويضمخن جسد المخلّص يسوع المسيح ، ثم عند فجر أول الأسبوع جئن إلى القبر مع طلوع الشمس ، ورأين أنه قد قام ، وكن من بين شهود القيامة المجيدة .

وذكرت أيضا باسم (أم ابنى زبدى) فى مواضع أخرى من الإنجيل . [٢٩]

---

(٢٥) (يوحنا ٢١ : ٢٢ و٢٣) .

(٢٦) (متى ٤ : ٢١) و(١٠ : ٢) و(٢٠ : ٢٠) و(٢٦ : ٣٧) و(٢٧ : ٥٦) و(مرقس ١ : ١٩ : ٢٠) و(٣ : ١٧) و(لوقا ٥ : ١٠) و(يوحنا ٢١ : ٢) و(الأعمال ١٢ : ٢) .

(٢٧) (مرقس ١٥ : ٤٠) .

(٢٨) (مرقس ١٦ : ١) .

(٢٩) (متى ٢٠ : ٢٠) و(٢٧ : ٥٦) .

وهى سالومى التى تقدمت نيابة عن ولديها يعقوب ويوحنا إلى السيد المسيح برجاء أن يقبل شفاعتها فى ولديها ، فيسمح أن يجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره عندما يأتى فى مجد ملكه . قال الإنجيل « تقدمت إليه أُم ابنى زبدى مع ابنيها ساجدة له تلتمس منه أمرًا . فقال لها : ماذا تريدين ؟ قالت له : اسمح بأن يجلس ابناى هذان أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك فى مملكتك . أما يسوع فأجاب وقال : إنكما لا تدريان ماهو الذى تطلبان . أفتستطيعان أن تشربا الكأس التى سأشربها أنا ، وأن تصطبغا بالصبغة التى سأصطبغ أنا بها ؟ قالا له : نستطيع . فقال لهما : أما كأسى فتشربانها ، وبالصبغة التى أصطبغ بها تصطبغان . وأما أن تجلسا عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلاّ للذين أعدّ لهم من أبى الذى فى السماوات . فلما سمع التلاميذ العشرة الآخرون ذلك حنقوا على الأخوين . أما يسوع فدعاهم وقال لهم : أنتم تعلمون أن رؤساء الوثنيين يعدّون أنفسهم سادة لهم ، وأن عظماءهم يتسلّطون عليهم . أما أنتم فلا ينبغى أن يكون هكذا فيما بينكم . وإنما من أراد أن يكون سيدًا فيكم فليكن للجميع عبدًا ، ومن أراد أن يكون عظيمًا بينكم فليكن لكم خادمًا . فإن ابن الإنسان نفسه لم يأت لِيُخدَم بل لِيَخْدُمَ وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » [٣٠] .

ولقد ذكر الإنجيل أن القديس يوحنا – وقد كان من قبل تلميذًا ليوحنا المعمدان – رغب مشتاقًا فى أن يتبع السيد المسيح له المجد ، وذلك بتحريض من معلمه يوحنا المعمدان . قال الإنجيل : « ثم فى اليوم التالى كان يوحنا [٣١] واقفًا مع اثنين من تلاميذه . وإذ أبصر يسوع ماشيًا قال : هذا هو حمل الله . فلما سمع التلميذان قوله تبعا يسوع . فالتفت يسوع ورآهما يتبعانه ، فقال لهما : ماذا

---

(٣٠) (متى ٢٠ : ٢٠ – ٢٨) و(مرقس ١٠ : ٣٥ – ٤٥) .

(٣١) هو يوحنا المعمدان .

تطلبان ؟ فقالا له : رابى – الذى ترجمته يامعلم – أين تقيم ؟ فقال لهما : تعاليا وانظرا . فأتيا ونظرا أين يقيم ، ومكثا عنده ذلك اليوم ، وكانت الساعة نحو العاشرة . وكان أندراوس أخو سمعان بطرس أحد الاثنين اللذين سمعا يوحنا وتبعا يسوع [٣٢] » . والواضح من هذا النص القدسيّ أن يوحنا الحبيب كان هو أحد الاثنين اللذين كانا تلميذين ليوحنا المعمدان ، وقد أرشدهما يوحنا المعمدان إلى سيّده ، فأطاعا توجيه معلمهما المعمدان وتبعا المعلم الأعظم يسوع المسيح . ولقد أبرز يوحنا الحبيب اسم رفيقه أندراوس ، ولكنه أخفى اسمه هو ، تواضعًا منه وإنكارًا لذاته ، تمامًا كما فعل القديس لوقا الإنجيلى حينما ذكر واقعة تلميذى عمّاوس [٣٣] ولقاءهما مع المسيح له المجد بعد قيامته المجيدة ، وذكر اسم رفيقه كليوباس ، ولكنه أخفى اسمه . والدلالة واضحة لأن هذه الواقعة لم يذكرها من الإنجيليين الآخرين إلاّ القديس لوقا الإنجيلى وحده لأنه كان أحد الاثنين . كذلك ما ذكره القديس يوحنا فى إنجيله عن لقائه الأول بالسيد المسيح ، وتحديد الساعة العاشرة من ذلك اليوم ساعة لهذا اللقاء ، وأنه ورفيقه مكثا مع المخلّص ذلك اليوم حيث يقيم . هذه الواقعة بكل تفاصيلها الدقيقة ، وإرشاد يوحنا المعمدان وتوجيهه لهما إلى المسيح وأنه حمل الله ليتبعاه ، لم يوردها من الإنجيليين الآخرين إلاّ القديس يوحنا الحبيب مما يدّل على أنه كان فعلا أحد الاثنين اللذين تبعا المسيح له المجد بعد أن كانا تلميذين ليوحنا المعمدان .

ويتضح من الإنجيل أيضًا أن المخلّص وجّه إلى يوحنا الحبيب دعوة صريحة بعد ذلك فيما كان هو وأخوه الأكبر يعقوب مع أبيهما زبدى يصلحان شباكهما للصيد . قال الإنجيل : « ثم مضى من هناك ، فرأى أخوين آخرين ، هما

(٣٢) (يوحنا ١ : ٣٥ – ٤٠) .

(٣٣) (لوقا ٢٤ : ١٣ – ١٨) .

يعقوب بن زبدى ويوحنا أخوه ، وكانا فى السفينة مع زبدى أبيهما يصلحان شباكهما ، فدعاهما . فتركا فى الحال السفينة وأباهما وتبعاه[٣٤] ، وصار يوحنا بعد ذلك معدودًا بين تلاميذ المسيح الاثنى عشر ، وهو يحتل على الغالب المكان الرابع[٣٥] فى قائمة أسماء التلاميذ الرسل ، الأول سمعان بطرس والثانى أندراوس أخوه ، والثالث يعقوب بن زبدى ، والرابع هو يوحنا . فسمعان بطرس وأندراوس أخوه سبقا يعقوب ويوحنا فى دعوة التلمذة الكاملة للمعلم الأعظم[٣٦] .

أهم ما ذكر عنه فى أثناء تلمذته وبعد القيامة :

كان يوحنا الحبيب أحد التلاميذ الثلاثة الذين كانوا يتمتعون بمكانة خاصة عند المخلِّص ممّا يدلّ على ثقته البارزة فيهم ، وهم بطرس ، ويعقوب ويوحنا .

١ – فَهُم الثلاثة الذين سمح لهم أن يدخلوا معه إلى بيت يايرس رئيس المجمع ، ليشهدوا مع يايرس وزوجته إقامة ابنتهما الصبية من الموت . قال الإنجيل : « ولما جاء إلى البيت لم يسمح لأحد بالدخول معه إلاّ لبطرس ويعقوب ويوحنا وأبى الصبية وأمها[٣٧] » .

٢ – ويوحنا هو أيضًا أحد التلاميذ الثلاثة الذين اختارهم المسيح له المجد ليصعدوا معه إلى جبل تابور ، وتجلّى أمامهم ، وعاينوا مجده ، ورأوا عظمته وجلاله[٣٨] . قال الإنجيل : « وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب

(٣٤) (متى ٤ : ٢١ و٢٢) و(مرقس ١ : ١٩ و٢٠) و(لوقا ٥ : ١٠) .
(٣٥) (متى ١٠ : ٢) و(مرقس ٣ : ١٧) و(لوقا ٦ : ١٤) و(الأعمال ١ : ١٣) .
(٣٦) وهذا يتضح من (متى ٤ : ١٨ – ٢٢) و(مرقس ١ : ١٦ – ٢٠) .
(٣٧) (لوقا ٨ : ٥١) و (مرقس ٥ : ٣٧) .
(٣٨) (٢ . بطرس ١ : ١٦) .

ويوحنا ، وصعد بهم على انفراد إلى جبل مرتفع ثم تغيرت هيئته متجليًا أمامهم »[٣٩] .

٣ – ويوحنا أيضًا هو أحد الثلاثة الذين أخذهم إلى جواره ليكونوا بالقرب منه عندما صلى فى بستان جثسيمانى ليلة آلامه . قال الإنجيل : ثم جاءوا إلى ضيعة تدعى جَثسيمانى ، فقال لتلاميذه : اجلسوا أنتم هنا ريثما أصلى . ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وبدأ يرتاع ويكتئب ...[٤٠] » .

٤ – ولذلك حسب الرسول يوحنا بين الرسل المعتبرين أنهم أعمدة وأساطين الكنيسة : « يعقوب وكيفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة[٤١] [٤٢] .

٥ – والقديس يوحنا كان أحد الرسل الذين صحبوا السيد المسيح إلى بيت سمعان عندما كانت حماته ترقد محمومة بحمّى شديدة ، فتوسلوا إليه من أجلها ؛ فاقترب منها وزجر الحمّى ففارقتها وقامت على الفور تخدمهم . قال الإنجيل : « وبعد أن خرجوا من المجمع دخلوا بيت سمعان وأندراوس ومعهم يعقوب ويوحنا ، وكانت حماة سمعان ترقد محمومة »[٤٣] .

٦ – وكان يوحنا أحد الرسولين اللذين أرسلهما الرب يسوع ليعدّا له الفصح . وكان زميله فى هذه المهمة هو القديس سمعان بطرس . قال الإنجيل : « فأرسل يسوعُ بطرسَ ويوحنا قائلا : اذهبا وأعدّا لنا الفصح لنأكله . . فانطلقا ووجدا كما ذكر لها فأعدا الفصح[٤٤] » .

(٣٩) (مرقس ٩ : ١) و (متى ١٧ : ١ و ٢) و (لوقا ٩ : ٢٨ و ٢٩) .
(٤٠) (مرقس ١٤ : ٣٢ و٣٣) و (متى ٢٦ : ٣٦ و٣٧) .
(٤١) أو عَمَد أو عُمُد (مع فتح العين أو ضمها ، وفتح الميم أو ضمّها) .
(٤٢) (غلاطية ٢ : ٩) .
(٤٣) (مرقس ١ : ٢٩ و ٣٠) .
(٤٤) (لوقا ٢٢ : ٨ – ١٣) .

٧ – وكان يوحنا أيضًا أحد الرسل الأربعة الذين سألوا المخلِّص عن المجىء الثانى للمسيح وعلاماته : « وبينما كان جالسًا على جبل الزيتون تجاه الهيكل سأله بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس على انفراد قائلين : قل لنا متى سيكون هذا ؟ وما العلامة على كل هذا حين يوشك أن يكون ؟ » (٤٥)

٨ – ولما أمسك الجنود والقائد وخدّام اليهود المخلّص ثم ساقوه إلى حنّان رئيس الكهنة هرب جميع التلاميذ إلاّ يوحنا وسمعان بطرس ، فقد تبعا وحدهما معلمهما . وكان يوحنا « معروفًا لدى رئيس الكهنة ، فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة . أما بطرس فظلّ واقفًا فى الخارج عند الباب . فخرج التلميذ الآخر (يوحنا) الذى كان معروفًا لدى رئيس الكهنة وكلّم حارسة الباب ، وأدخل بطرس(٤٦) » .. « وأما بطرس فقد تبعه من بعيد ... ثم دخل وجلس مع الخدم ليرى النهاية(٤٧) » .

٩ – ويوحنا هو الوحيد بين التلاميذ الذى رافق معلِّمه حتى الجلجلة ، وظل واقفًا تحت الصليب مع العذراء القديسة مريم أمّ المخلِّص ، فعهد إليه الفادى بأمّه العذراء أن يكون لها بمثابة ابنها : « فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذى كان يحبه واقفًا ، قال لأمه : أيتها السيدة ، هوذا ابنك . ثم قال للتلميذ : « هى ذى أمك . ومنذ تلك الساعة أخذها التلميذ إلى بيته »(٤٨) ، وظلت العذراء فى بيت يوحنا حوالى أربع عشرة سنة بعد قيامة المسيح وصعوده إلى السماء . ولذلك لم يفارق يوحنا أورشليم إلى غيرها ليبشّر بالإنجيل هذه المدة حتى توفيت العذراء مريم ، وأُصْعد جسدها إلى السماء على أجنحة الملائكة .

---

(٤٥) (مرقس ١٣ : ٣ و ٤) .
(٤٦) (يوحنا ١٨ : ١٢ – ١٦) .
(٤٧) (متى ٢٦ : ٥٨) و (مرقس ١٤ : ٥٤) و (لوقا ٢٢ : ٥٤) .
(٤٨) (يوحنا ١٩ : ٢٦ و ٢٧) .

١٠ – والقديس يوحنا هو أحد الشهود الأوائل لقيامة الرب يسوع المسيح ، وهو أول من رأى فآمن . وقد وصف القيامة فى الإنجيل وصفًا تفصيليًا فى غاية الدقّة . قال : « وفى يوم الأحد أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرًا ، وكان الظلام لا يزال مخيمًا ، فرأت أن الحجر قد رفع عن باب القبر . فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس ، وإلى التلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه . وقالت لهما : قد أخذوا سيّدنا من القبر ، ولا أعلم أين وضعوه . فخرج بطرس والتلميذ الآخر ، ومضيا إلى القبر . وكانا يركضان معًا ، ولكن التلميذ الآخر سبق بطرس فوصل قبله إلى القبر . وتطلّع الى الداخل فرأى الأكفان موضوعة ، ولكنه لم يدخل . ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر . فرأى الأكفان موضوعة . وأما المنديل الذى كان على رأس يسوع فلم يكن موضوعًا مع الأكفان ، وإنما كان مطويًّا فى مكان على حدة . ثم دخل أيضًا التلميذ الآخر الذى جاء أولا إلى القبر ورأى فآمن . لأنهم لم يكونوا بعد يدركون معنى قول الكتاب إنه ينبغى أن يقوم من بين الأموات . وبعد ذلك مضى التلميذان عائدَيْن إلى حيث كانا [٤٩] » .

١١ – والقديس يوحنا هو أحد الرسل السبعة الذين ظهر لهم المسيح له المجد بعد قيامته ، على بحر الجليل ، وهو بحيرة طبرية ، حيث ذهبوا معًا للصيد . قال الإنجيل : « وبعد ذلك أظهر يسوع نفسه مرة أخرى لتلاميذه على بحر طبرية ، وكان ظهوره هكذا : كان سمعان بطرس وتوما المدعو ديديموس ونثنائيل الذى من قانا الجليل ، وابنا زبدى ، واثنان آخران من تلاميذه مجتمعين معه . فقال لهم سمعان بطرس : إننى ذاهب لأصطاد سمكًا . فقالوا له : ونحن أيضًا نذهب معك ، ثم خرجوا وركبوا السفينة [٥٠] » .

---

(٤٩) (يوحنا ٢٠ : ١ – ١٠) .

(٥٠) (يوحنا ٢١ : ١ – ٣) .

وكان يوحنا هو أسبق جميع زملائه إلى معرفة شخص المسيح عندما أمرهم بأن يلقوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن . فإذا بالشبكة تصيد سمكًا كثيرًا . قال الإنجيل : « حتى إذا طلع الصباح وقف يسوع على الشاطئ ، ولكن التلاميذ لم يعلموا أنه هو يسوع ... فقال لهم : القوا الشبكة من الجانب الأيمن للسفينة فتجدوا . فألقوها . وعندئذ لم يستطيعوا أن يجذبوها إلى فوق من كثرة السمك . فقال التلميذ الذى كان يسوع يحبه لبطرس : إنه الرب[٥١] » .

١٢ –وكان القديس يوحنا يتميز بالغيرة الشديدة والحماسة . ولذلك أطلق الرب يسوع المسيح عليه وعلى شقيقه الأكبر يعقوب لقب بوانرجس ، أى ابنى الرعد . قال الإنجيل : « ويعقوب بن زبدى ، ويوحنا أخو يعقوب اللذان لقبهما بوانرجس ، أى ابنى الرعد »[٥٢] .

ومن آيات غيرته على معلمه وتعصبه له مايرويه الإنجيل عنه : « فأجابه يوحنا قائلا : يامعلّم ، قد رأينا واحدًا يخرج الشياطين باسمك فمنعناه لأنه من غير اتباعنا . فقال يسوع : لا تمنعوه ، لأنه ما من أحد يصنع معجزة باسمى يكون فى وسعه أن يبادر فيتكلّم بالسوء عنى ، إذ أن من ليس علينا فهو معنا »[٥٣] ، ومن ليس ضدكم فهو معكم »[٥٤] .

ومن ذلك أيضًا أن قرية من قرى السامريين رفض أهلها أن يدخل المسيح إليهم ، « فلما رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا قالا له : يارب ، أتريد أن نطلب أن تنزل نار من السماء فتحرقهم كما فعل إيليا ؟ فالتفت وانتهرهما قائلا :

---

(٥١) (يوحنا ٢١ : ٤ – ٧) .

(٥٢) (مرقس ٣ : ١٧) . Benireges

(٥٣) (مرقس ٩ : ٣٧ – ٣٩) .

(٥٤) (لوقا ٩ : ٤٩ و ٥٠) .

لستما تعلمان من أى روح أنتما . لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك نفوس الناس ، بل ليحييها . فمضوا إلى قرية اخرى[٥٥] » .

١٣ – والرسول القديس يوحنا هو أحد الرسل الذين شهدوا على جبل الزيتون جلال [٥٦] صعود المسيح له المجد إلى السماء ، « فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم ، وكانوا كل حين فى الهيكل يسبحون الله ويباركونه » [٥٧] ، وحين دخلوا صعدوا إلى القاعة العليا التى كان يقيم فيها بطرس ويعقوب ويوحنا ... وقد ظلّ هؤلاء جميعًا يواظبون بروح واحدة على الصلاة ، ومعهم النسوة ومريم أمّ يسوع [٥٨] إلى أن تلبّسوا وتوشّحوا بقوة من الأعالى [٥٩] وفقًا لوعد المسيح لهم بحلول الروح القدس عليهم . ولما حلّ يوم الخمسين كان من بين الرسل والتلاميذ الذين حلّ الروح القدس عليهم ، فامتلأ من روح القدس ، وطفق يتكلم بلغات أخرى غير لغته هو التى ولد فيها[٦٠] » .

١٤ – وكان القديس يوحنا زميلا للقديس بطرس الرسول فى معجزة شفاء أعرج باب الهيكل الجميل : « وصعد بطرس ويوحنا معًا إلى الهيكل فى ساعة الصلاة التاسعة . وكان رجل أعرج من بطن أمه يُحمل ، كانوا يضعونه كل يوم عند باب الهيكل الذى يقال له الجميل ... فهذا لما رأى بطرس ويوحنا مزمعين أن يدخلا الهيكل سأل ليأخذ صدقة . فتفرس فيه بطرس مع يوحنا .. »[٦١]

---

(٥٥) (لوقا ٩ : ٥٤ – ٥٦) .

(٥٦) (مرقس ١٦ : ١٤ – ١٩) و(لوقا ٢٤ : ٥١) و(الأعمال ١ : ٩ و٢٢) .

(٥٧) (لوقا ٢٤ : ٥٢) .

(٥٨) (الأعمال ١ : ١٣ و١٤) .

(٥٩) (لوقا ٢٤ : ٤٩) و(الأعمال ١ : ٨) .

(٦٠) (الأعمال ٢ : ١ – ٦) .

(٦١) (الأعمال ٣ : ١ – ٢٦) .

كرازته وتبشيره وخدمته باسم المسيح :

١٥ – وقد جاهر القديس يوحنا باسم المسيح فى أورشليم أمام رؤساء الكهنة ، واحتمل السجن والعذاب من أجل إيمانه بسيده ودفاعه عن الحق : « فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا ، ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميّان تعجبوا ، فعرفوهما أنهما كانا مع يسوع ... فأمروهما أن يخرجا إلى خارج المجمع ، وتآمروا فيما بينهم قائلين : ماذا نفعل بهذين الرجلين ... فدعوهما وأوصوهما ألاّ ينطقا البتة ولا يعلّما باسم يسوع . فأجابهم بطرس ويوحنا وقالا : إن كان حقًّا أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا ، لأننا نحن لا يمكننا ألاّ نتكلم بما رأينا وسمعنا[٦٢] » .

١٦ – وقد بشّر الرسول يوحنا مع زميله بطرس فى تلك الأنحاء . وهو الذى زامل القديس بطرس فى منح أهل السامرة مسحة الروح القدس بوضع أيديهما عليهم بعد تعميدهم ، فامتلأوا من عطية الروح القدس . « ولما سمع الرسل الذين فى أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله ، أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا ، اللذين لما نزلا صلّيا لأجلهم لكى يقبلوا الروح القدس .. حينئذ وضعا الأيادى عليهم ، فقبلوا الروح القدس ... ثم إنهما بعد ماشهدا وتكلّما بكلمة الرب رجعا إلى أورشليم وبشّرا قرى كثيرة للسامريين » [٦٣] .

استشهاد الرسول يوحنا ونفيه :

ظل القديس يوحنا يكرز فى أورشليم ببشارة الملكوت ، ولم يغادرها إلا بعد وفاة العذراء مريم وصعود جسدها إلى السماء ، وذلك احترامًا وعملا بوصية

---

(٦٢) (الأعمال ٤ : ١ و١٣ – ٢٠) .
(٦٣) (الأعمال ٨ : ١٤ – ٢٥) .

السيد المسيح وهو معلق على الصليب ... بعد ذلك خرج للتبشير والخدمة خارج فلسطين ، وخصوصًا فى آسيا الصغرى . وفى سنة ٩٥ لميلاد المسيح اعتقل الرسول يوحنا بأمر الإمبراطور الرومانى دوميتيانوس DOMITIANUS (٥١ – ٩٦) م ، وأرسل مقيدًا إلى روما حيث طرحوه فى خلقين ، أى إناء ممتلىء من الزيت المغلى ، فوقف فيه ساعات ، وكان غريبًا أنه لم يصبه أذى ، حتى ذهل الحكام والناس جميعًا . ثم أخرجوه ونفوه إلى جزيرة بطمس من جزر الأرخبيل التى رأى فيها رؤياه العظيمة . يقول : « أنا يوحنا أخاكم وشريككم فى الضيق وفى الملكوت والصبر فى المسيح يسوع ، كنت فى الجزيرة التى تدعى بطمس لأجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح ، وصرت فى الروح فى يوم الرب »[٦٤] ، وكان ذلك فى أواخر حكم دوميتيانوس [٦٥] . وظل القديس يوحنا الرائى فى المنفى مدة سنة ونصف ، ثم أطلق سراحه فى عهد الإمبراطور نيرفا NERVA (٩٦ – ٩٨) م ، فعاد القديس يكرز بالإنجيل فى آسيا الصغرى[٦٦] . واتخذ من مدينة أفسس قاعدة كرسيه [٦٧] ، وذلك بعد استشهاد القديس تيموثيئوس الرسول .

ومن المعروف عن القديس يوحنا أنه كتب إنجيله ، ورسائله الثلاث فى اثناء إقامته بأفسس ، وفى أواخر سنى حياته . وعاش القديس يوحنا فى أفسس واعظًا ومبشرًا بالإنجيل إلى أن بلغ سن المائة ، وتوفى فى أفسس فى شيخوخة صالحة فى عهد تراجان TRAJAN (٩٧ – ١١٧) م ، وبذلك يكون القديس يوحنا هو آخر رسول من الاثنى عشر تلميذًا بقى حيًّا كارزًا بالمسيح ، وقد سبقه جميع الرسل

---

(٦٤) (الرؤيا ١ : ٩ و ١٠) .

(٦٥) «تاريخ الهرطقات» للقديس إيريناوس – الجزء ٥ فصل ٣٠ : ٣ .

(٦٦) «تاريخ الكنيسة» ليوسابيوس القيصرى – الجزء الثالث ١ و١٨ .

(٦٧) «تاريخ الكنيسة» ليوسابيوس القيصرى – الجزء الثالث – فصل ٢٠ : ٨ و٩ .

الآخرين إلى الأخدار السمائية . ولعل هذا يفسر مقولة المسيح له المجد عنه فى حديثه إلى سمعان بطرس : « لو أننى شئت أن أبقيه إلى أن أجىء فماذا يعنيك ؟ فذاع بين الإخوة القول بأن ذلك التلميذ لا يموت . غير أن يسوع لم يقل إنه لا يموت ، وإنما قال : لو أننى شئت أن أبقيه إلى أن أجىء فماذا يعنيك ؟ ذلك هو التلميذ الذى شهد بهذا والذى كتب هذا[٦٨] » .

ولما كان القديس يوحنا قد عانى آلام الاستشهاد فى عهد الإمبراطور دوميتيانوس ، لكنه لم يمت آنذاك ، وإنما مات بعد ذلك موتًا طبيعيًا فإنه يعدُّ أول « المعترفين » . والمعترفون هم من عانوا آلام الشهداء ، ولكنهم لم يموتوا فى اثناء التعذيب .

وقد كتب عنه تلميذه القديس بوليكاربوس Polycarpos أسقف أزمير (استشهد فى سنة ١٥٦ م) يقول : « بين الكواكب التى أنطفأ نورها فى آسيا يجب ألاَّ ننسى يوحنا الذى أتكأ على صدر يسوع ، والذى كان حَبْرًا ، وِيحمل على جبهته صفيحة الكهنوت ، قطعة من الذهب الخالص علامةِ حبرِّيته « قدس للرب[٦٩] . فهو الشهيد والمعلّم وقبره فى أفسس » [٧٠] .

القديس يوحنا يدعو إلى الرياضة الجسديَّة :

ومما له مغزى فى حياة القديس يوحنا ماذكره المؤرخون عنه أنه فى شيخوخته كان يمارس الرياضة البدنية أحيانًا . وقد رآه مرة أحد الصيّادين يداعب طائرًا (قيل إنه صقر صغير) فدهش من تصرف رجل شيخ كيوحنا الرسول ، فتنبّه

(٦٨) (يوحنا ٢١ : ٢٢ — ٢٤) .

(٦٩) (الخروج ٢٨ : ٣٦) .

(٧٠) «تاريخ الكنيسة» ليوسابيوس القيصرى الجزء الثالث (فصل ٣ : ٣) و (٣٩ : ٦) كتاب ٥ فصل ٢٤ : ٣ .

القديس إلى قصد الصيّاد ، فسأله : ما هذا الذى بيدك ؟ فقال الصيّاد : إنها قوس . قال القديس يوحنا : ما الذى يحدث لو أنك أبقيتها موتورة على الدوام ؟ قال الصياد : ينقطع وترها . فقال القديس : كذلك عقل الإنسان ، يجب أن نريحه من وقت إلى آخر بأنواع من الرياضة المباحة والتسلية البريئة . فكان تصرفه هذا مطابقًا لما قاله القديس بولس الرسول فى إحدى رسائله . « الرياضة البدنية فيها بعض الخير» (٧١) .

وتحتفل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بانتقال القديس يوحنا الرسول إلى الأخدار السمائية فى اليوم الرابع من شهر طوبه القبطى (ويقابل عادةً الثانى عشر من شهر يناير – كانون ثان) . وأما الكنائس الأرثوذكسية التى تسير على الطقس البيزنطى ، فتحتفل بذكراه فى السابع والعشرين من شهر سبتمبر (أيلول) . وأما الكنائس الغربية فتحتفل به فى السابع والعشرين من شهر ديسمبر (كانون أول) .

ب – الإنجيل للقديس يوحنا

فى السنوات الأخيرة من حياة القديس يوحنا كانت العقيدة المسيحية قد انتشرت فى كل أنحاء العالم المعروف حينذاك . وكان قد مضى على قيامة السيد المسيح وصعوده إلى السماء ما يزيد على خمسين عامًا . وكانت بشارات الإنجيل للقديسين متى ومرقس ولوقا قد أصبحت متداولة فى أيدى المؤمنين . وقد عرفوا كل ما ورد فيها من أقوال السيد المسيح وأعماله التى برهنت على أن شخصية السيد المسيح شخصية فذّة ، لم تظهر فى كل عصور التاريخ شخصية تضاهيها أو تشابهها فى طبيعتها بأى وجه من الوجوه ، وعلى أىّ صورة من الصور ، لأنها كما يتضح من تعاليم السيد المسيح ذاته شخصية الإله الكامل والإنسان الكامل فى الوقت

---

(٧١) (١ . تيموثيئوس ٤ : ٨) .

نفسه . وتلك حقيقة تعلو على مدارك البشر ذوى العقول المحدودة والمدارك القاصرة . ولا يمكن أن يدركها إلا أولئك الذين بموهبة الروح القدس أنار الله قلوبهم ، وفتح على الحقائق الإلهية أبصارهم وبصائرهم . ومن ثم فإن بعض ذوى الإيمان الضعيف الجذور المزعزع البنيان ، والقلوب الغليظة المظلمة التى طمستها المادة ، فلم يعد فيها بصيص من نور الروحانية السمائية السامية ، ممن ينطبق عليهم القول إنهم مبصرون لا يبصرون ، وسامعون لا يسمعون ، قد أعماهم الغرور فراحوا بعقولهم الضئيلة الحجم الهزيلة الكيان يبحثون فى طبيعة السيد المسيح بعيدًا عن تعاليم السيد المسيح نفسه . فكانت النتيجة أنهم ضَلُّوا وأَضلُّوا معهم بعض البسطاء الذين وقعوا فى براثنهم ، ومِنْ ثَمَّ بلبلوا الأفكار بأفكارهم . وأشعلوا نار الفتنة فى الكنيسة بما ابتدعوا واخترعوا من نظريات وهرطقات .

وكان من أشهر وأخطر الذين ظهروا فى ذلك الحين قوم يطلقون على أنفسهم اسم « الغنوسيِّين » وهو اسم مشتق من كلمة غنوسيس اليونانية ، ومعناها « المعـرفة » ، لأنهم ادعوا أنهم استطاعوا أن يعرفوا الله بالعقل وحـده ، ومِنْ ثَمَّ اشتهروا بأنهم « العارفون بالله » . وقد زعموا أن ثمة عنصرين أساسيين فى الكون هما الخير والشّر . وأن الروح من عنصر الخير ، وأما الجسد المادى فمن عنصر الشر ، وهو سجن للروح تظلّ معتقلة فيه إلى حين . كما زعموا أنه ليس ثمة إله واحد للكون ، وإنما آلهة كثيرون ذوو درجات متفاوتة ، فلا يمكن أن يتصل بالعالم المادى منهم إلا أصحاب الدرجة الرابعة . وقد زعموا أن السيد المسيح ليس إلا واحدًا من أولئك الآلهة الذين هم فى الدرجة الرابعة ، ومن ثم استطاع أن ينزل إلى العالم ويتصل بالمقيمين فيه من بنى البشر ، وقد حلّ ذلك الإله فى جسد يسوع الناصرى ، عند العماد ، ثم فارقه قبل الصلب . فكان الذى علّقه اليهود على الصليب هو جسد يسوع الإنسان . وأما المسيح الإله فقد انطلق إلى عالم الآلهة الذين هم من درجته . وقد كان هذا المذهب الغريب من الخطورة

على الكنيسة حتى لقد تبعه أحد كبار الشمامسة المسمى نيقولاوس (الأعمال ٦ : ٥) وقد انضم إلى هذا كثيرون من الضعيفى الإيمان ، الذين أطلق عليهم الكتاب المقدس اسم « النيقولاويين » ، وذكر القديس يوحنا فى رؤياه اللاهوتية أن السيد المسيح يبغض أعمالهم (الرؤيا ٢ : ٦) ويبغض تعاليمهم (الرؤيا ٢ : ١٥) .

كما كان من زعماء الغنوسيين رجل آخر يدعى كيرنثوس ، كان يختلف مع النيقولاويين فى تحديد الدرجة التى منها المسيح الإله ، ولكن كان يتفق معهم فى أن ذلك الإله حلّ على يسوع الناصرى عند العماد وغادره قبل الصلب . وكيرنثوس هذا هو الذى سبق أن ذكرنا أن القديس يوحنا حذّر المؤمنين من البقاء معه فى أحد الحمّامات العامة حين علم أن هذا الرجل بداخله ، وذلك من فرط سخطه على تعاليمه الهرطقية .

وكان أيضا من زعماء الغنوسيين الذين يعتنقون مثل هذه الأفكار أشخاص آخرون ذاعت شهرتهم ، ومنهم فالنتينوس ومرقيانوس .

وكان من أصحاب الهرطقات أيضًا فى زمن القديس يوحنا قوم يسمون الدوسيتيين DOCETISTS وقد عجزت عقول أولئك القوم عن أن تستوعب عقيدة الفداء الإلهى للبشر ، ومِنْ ثَمَّ استكثرت على المسيح الإله أن يخضع للموت على الصليب ، لعدم فهمها للطبيعة الحقيقية للسيد المسيح الإله الكامل والإنسان الكامل فى الوقت نفسه ، فزعمت أن جسد السيد المسيح لم يكن جسدًا حقيقيًّا كأجساد سائر البشَر وإنما كان جسدًا غازيًّا أو أثيريًّا . ومِنْ ثَمَّ كانت آلامه على الصليب آلامًا ظاهرية فَحَسْب . كما كان موته موتًا ظاهريًّا أيضًا ، وليس موتًا حقيقيًّا كما يموت الإنسان الطبيعى .

كما كان من أصحاب الهرطقات قوم من أصل يهودى يسمون الأبيونيين . نسبة إلى كلمة إبيون EBYON العبرانية ، ومعناها « مسكين » . وإذ لم يفهم

أولئك الأبيونيون الطبيعة الإلهية للسيد المسيح عَدُّوه نبيًّا عاديًّا يشبه موسى وغيره من أنبياء اليهود . فلم يكن له وجود قبل التجسُّد فى أحشاء السيدة العذراء مريم . وبذلك أنكروا لاهوته وأزليته . وكان يشابههم فى هذا الاعتقاد قوم من تلاميذ يوحنا المعمدان ظلّوا على ولائهم لهذا النبّى ، فاعتبروا أن السيد المسيح ليس إلا تلميذًا ليوحنا ، ومِنْ ثَمَّ أنكروا لاهوته ، وبذلك أنكروا العقيدة المسيحية من أساسها .

وقد نتج عن هذه المذاهب التى ابتدعها قوم من المسيحيين ، فى حين أنها بعيدة كلّ البعد عن العقيدة المسيحية ، أن شاع فى أجواء الكنيسة كثير من التساؤلات التى بلبلت أفكار المؤمنين عن الفداء والالوهية والتجسّد والأقنومية والطبيعة الحقيقية للسيد المسيح ، مما هدّد الكنيسة بأخطار لا تقِل عَمَّا تعرَّضت له من تنكيل واضطهاد ومطاردة واستشهاد . فكان هذا هو الباعث للقديس يوحنا على كتابة بشارته التى انصبّت فى جوهرها على الإجابة عن تلك التساؤلات من واقع أقوال السيد المسيح نفسه وأعماله .

وإننا لنجد فى مقدمة تلك البشارة ملخصًا وافيًا للعقيدة المسيحية فى عبارات موجزة ، ولكنها فى إيجازها أدقّ وأصدق وأعمق وأبدع وأروع عبارات وردت فى تاريخ البشرية كلها عن تصوير عقيدة من العقائد أو شرح ديانة من الديانات ، حتى إنها فى كلمات قليلة أغنت عن آلاف الكتب والمجلدات فى الردّ على كل ما كان وكل ما يمكن أن يكون من هرطقات وخزعبلات ومزاعم يزعمها الزاعمون ، أو يدّعيها المدّعون لتشويه العقيدة المسيحية وتجريح ما فيها من حقائق إلهية وعقائد سامية سماوية ، مهما تخبطت العقول البشرية القاصرة القصيرة المدى فى فهمها أو إدراك ما فيها من أسرار عميقة المعانى بعيدة الأغوار :

فهو يقرر فى هذه العبارات التى بدأ بها بشارته أن السيد المسيح هو

كلمة الله ، وهذا تعبير آخر يساوى تمام المساواة القول بأنه هو ابن الله ، لأنه هو الذى كلَّم الله به البشَر ، وهو فى الوقت نفسه الله ذاته : فهو الأزلى ، لأنه « فى البدء كان الكلمة .. وكان الكلمة هو الله » (يوحنا ١ : ١) — وهو الخالق ، لأنه « كل شىء به كان ، وبغيره لم يكنْ شىء مما كان » (يوحنا ١ : ٣) وهو الحياة وبه كانت الحياة ، لأنه « فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس » (يوحنا ١ : ٤) . وذلك على الرغم من أن عقول الناس فى ظلامها لم تستطع أن تدرك طبيعته الإلهية النورانية المستترة وراء جسده الإنسانى فإن « النور يضىء فى الظلمة ، والظلمة لم تدركه » (يوحنا ١ : ٥) . وقد تجسّد أى أنه « اتخذ جسدًا » (يوحنا ١ : ١٤) . وكان بعد تجسّده إنسانًا يبدو لسائر الناس كواحد منهم . فهو قد « حلّ بيننا » نحن البشر . ولكننا كما رأيناه فى ناسوته رأيناه أيضًا فى لاهوته ، حين تجلَّى فى ألوهيته لتلاميذه على جبل التجلّى ، ومِنْ ثَمَّ « أبصرنا مجده ، مجد الابن الوحيد لأبيه » (يوحنا ١ : ١٤) أى أنه ابن الله بُنُوَّة لا تشبه بُنُوَّة الأبناء لآبائهم من البشَر ، وإنما بُنُوَّة إلهية مقصورة عليه منحصرة فيه وحده . فهو ابن الله الوحيد الجنس ، الذى — لأنه فى كيان واحد مع الآب — اخبرنا عن الآب ، ولم يكن أحد غيره يستطيع أن يخبرنا عن الآب ، لأن « الله لم يره أحد قطّ . الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه » (يوحنا ١ : ١٨) . وهو الذى دبرت الرحمة الإلهية أن يموت فداء عن البَشَر لغفران خطاياهم . فهو « حَمَل الله الذى يحمل خطيئة العالم » (يوحنا ١ : ٢٩) وبتلك الكلمات القليلة التى بدأ بها القديس يوحنّا بشارته تبلورت العقيدة المسيحية فى جوهرها . ثم كانت البشارة كلها بعد ذلك شرحًا وتوضيحًا لتلك العقيدة فى كل تفصيلاتها وجزئياتها . فلم يَعُد ثمة مجال بعد ذلك لأى لَبْس أو إبهام يستغله أعداء المسيح من الهراطقة والمبتدعين وأصحاب القلوب الظالمة المظلمة فى تشويه تلك العقيدة ، أو تضليل المؤمنين بها .

فقد أسهب الإنجيل للقديس يوحنا فى تسجيل الخطب المستفيضة التى ألقاها السيد المسيح فى المناسبات المختلفة والمناقشات الضافية التى شرح فيها للسامعين طبيعته هو ذاته ، وطبيعة الرسالة التى جاء من أجلها إلى العالم ، ولا سيما الخُطَب التى ألقاها فى هيكل أورشليم فى الأعياد ، وخطبته التى ودّع بها تلاميذه عشيّة القبض عليه ، وحديثه مع نيقوديموس عضو مجلس السنهدريم ، الذى زاره تحت جنح الظلام ، وحديثه مع المرأة السامرية التى وجدها عند بئر يعقوب فى السامرة ، وحديثه مع الأعمى منذ ولادته بعد أن جعله يبصر . ومع الرجل الذى شفاه من مرض الفالج عند بركة بيت حسدا بعد أن ظل مقعدًا ثمانية وثلاثين عامًا . وفى خلال هذه الخطب والمناقشات والأحاديث ، رفع الستار عن كثير من الأسرار المتعلقة بطبيعة شخصيته وجوهر رسالته . كما أن أعماله ومعجزاته التى ذكرها القديس يوحنا تؤكد ما قاله له المجد عن طبيعته ، وعن تلك الرسالة التى نزل من السماء لينجزها . فقد أعلن للعالم أنه هو ابن الله ، وأنه هو الله ذاته ، وأنه قد اتخذ جسدًا بشريًا كى ينجز عمل الفداء الذى دبّرته الرحمة الإلهية لخلاص البشَر من الهلاك المحكوم به عليهم من العدل الإلهى بسبب خطاياهم :

١ – فمما يدلّ على أنه هو المسيح ابن الله الذى تنبأ عنه الأنبياء من قبل ، ماشهد به يوحنا المعمدان عنه إذ قال : « أنا قد أبصرت وشهدت بأن هذا هو ابن الله » (يوحنا ١ : ٣٤) . كما قال إن « الآب يحب الابن وقد جعل فى يده كل شىء . فمن يؤمن بالابن له الحياة الأبدية ، ومن لا يؤمن بالابن فلن يرى الحياة ، بل يحلّ عليه غضب الله » (يوحنا ٣ : ٣٥ ، ٣٦) وكذلك قال القديس يوحنا اللاهوتى « أبصرنا مجده ، مجد الابن الوحيد لأبيه » (يوحنا ١ : ١٤) . وقال « الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه » (يوحنا ١ : ١٨) . وقد خاطبه نثنائيل قائلا « يامعلّم أنت ابن الله »

(يوحنا ١ : ٤٩) . وقال له تلميذه بطرس متحدثًا باسم تلاميذه جميعًا : « نحن قد آمنَّا وعرفنا بيقين أنك أنت هو قدّوس الله المسيح ابن الله الحى » (يوحنا ٦ : ٦٩). وقالت له مرثا أخت لعازر الذى أقامه من بين الأموات : «نعم يارب ، إننى أؤمن بأنك أنت المسيح ابن الله الآتى إلى العالم » (يوحنا ١١ : ٢٧) وقد قرّر السيد المسيح نفسه هذه الحقيقة ، إذ أنه بعد أن جعل الأعمى منذ ولادته يبصر قال له : « أتؤمن بابن الله ؟ » فأجاب ذاك وقال : « مَن هو ياسيدى فأومن به ؟ » فقال له « إنك تراه وهُوَ هو الذى يكلّمك » (يوحنا ٩ : ٣٥-٣٧). وحين كان يتكلم مع المرأة السامرية عند بئر يعقوب « قالت له المرأة : نحن نعلم أن مَسِيًّا الذى يُدعى المسيح آتٍ ، فمتى أتى فسيخبرنا بكل شيء ، فقال لها يسوع : أنا الذى أكلمك هو » (يوحنا ٤ : ٢٥ و ٢٦) وقال لنيقوديموس عضو مجلس السنهدريم اليهودى : « إلى هذا المدى أحب الله العالم حتى إنه بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية ، لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم ، بل ليخلّص به العالم . فالذى يؤمن به لايدان والذى لا يؤمن به قد أدين ، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد ، وهذه هى الدينونة : أن النور جاء إلى العالم وأَحبَّ الناس الظُّلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة » (يوحنا ٣ : ١٦ - ١٩) . وقد كان السيد المسيح يتكلَّم عن نفسه دائمًا باعتباره ابن الله . وباعتبار أن الله أبوه . فكان يقول لليهود : « أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من لدن أبى » (يوحنا ١٠ : ٣٢) وقد طرد الباعة من هيكل أورشليم قائلا لهم : « لا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة » (يوحنا ٢ : ١٦) . وكان السّيد المسيح حين يخاطب الله يقول : « ياأبتاه أشكرك لأنك قد سمعت لى » (يوحنا ١١ : ٤١) . ويقول « ياأبتاه قد أتت الساعة . مَجِّد ابنك ليمجِّدك ابنك . كما أنك قد أعطيته سلطانًا على كل جسد كى يعطى الحياة الأبدية لكلّ الذين أعطيته إياهم . وهذه هى الحياة الأبدية أن

يعرفوك أنت الإله الحقّ الواحد وحده مع يسوع المسيح الذى أرسلته .. مجّدنى ياأيتاه عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك من قبل كون العالم » (يوحنا ١٧ : ١ - ٥) . ويقول : « قد أظهرت اسمك للذين أعطيتنيهم من العالم .. ياأبتاه القدوس احفظهم فى اسمك هؤلاء الذين أعطيتنيهم .. ياأبتاه أريد أن هؤلاء . الذين أعطيتنيهم يكونون معى حيث أكون أنا .. ياأبتاه الحق إن العالم لم يعرفك ، وأما أنا فعرفتك ، وهؤلاء أيضًا عرفوا أنك أنت الذى أرسلتنى » (يوحنا ١٧ : ٦ و ١١ و ٢٤ و ٢٥) .

والسيد المسيح بصفته ابن الله وكلمته يتصف بكل الصفات التى يتصف بها الله الآب : ويملك كل قدراته وسلطانه . لأنه فى كيان واحد معه . فهو أزلى إذ يقول القديس يوحنا إنه « فى البدء كان الكلمة .. وكان الكلمة هو الله » (يوحنا ١ : ١) والسيد المسيح نفسه يقول « قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » (يوحنا ٨ : ٥٨) . وهو الخالق لكل شىء ، إذ يقول القديس يوحنا إن « كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان » (يوحنا ١ : ٢) . وقد أيّد له المجد هذا القول بأن خلق عينين للرجل المولود بغير عينين فى مقلتيه (يوحنا ٩ : ٦ - ٣١) وهو المحيى والذى يعيد الموتى إلى الحياة ، كما أقام لعازر بعد أن ظل ميتًا فى القبر أربعة أيام حتى تحللّت جثته وأوشكت أن تصير ترابًا (يوحنا ١١ : ١ - ٤٤) . وهو الديّان فى اليوم الأخير إذ قال إنّ « الآب لا يدين أحدًا وإنما سلّم القضاء كله للابن » (يوحنا ٥ : ٢٢). وقد صرّح السيد المسيح بأن له السلطان الذى للآب . إذ أراد اليهود أن يقتلوه لأنه شفى الرجل المقعد عند بركة بيت حسدا فى يوم سبت ، فقال لهم : « إنّ أبى حتى الآن يعمل وأنا أيضًا أعمل . فاشتدت رغبة اليهود فى قتله ، لأنه لم ينقض السبت فحسب ، وإنما قال أيضًا : الله أبى ، مساويًا نفسه بالله ، ومِنْ ثَمَّ أجاب يسوع وقال لهم : الحقَّ الحقَّ أقول لكم إنّ الابن لا يسعه أن يعمل من نفسه شيئًا إلا مايرى الآبَ يعمله . لأنّ كل

ما يعمله الآب ، يعمله الابن أيضًا .. لأنه كما أنّ الآب يقيم الموتى ويحييهم ، هكذا الابن يحيى مَن يشاء . فإنّ الآب لا يدين أحدًا . وإنّما سلّم القضاء كله للابن » (يوحنا ٥ : ١٧ – ٢٢) وقال لليهود : « أتقولون أنتم للذى قدّسه الآب وأرسله إلى العالم إنك تجدّف لأنى قلت إننى أنا ابن الله ؟ إن لم أكن أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى ، ولكن إن كنت أعملها فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال ، لتعلموا وتعرفوا أنى أنا فى أبى . وأن أبى فىَّ » (يوحنا ١٠ : ٣٦ – ٣٨) .

٢ – لقد صارح السيد المسيح الناس بحقيقة أخرى تنطوى على سر إلهى يعلو على مدارك البشَر ، لأنه يتعلّق بطبيعة الله التى لا يمكن أن يدركها بَشَر . إذ بينما قال عن نفسه إنه ابن الله ، قال إنه هو والله الآب كيان واحد وذات واحدة . فقد قال لتلاميذه : « أنا هو الطريق والحق والحياة . لا يأتى أحد إلى الآب إلا بى . لو كنتم عرفتمونى لعرفتم أبى أيضًا . ومنذ الآن تعرفونه وقد رأيتموه . فقال له فيلبس : يارب أرنا الآب وكفانا . قال له يسوع : أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى بعدُ يافيلبس ؟ منَ رآنى فقد رأى الآب ، فكيف تقول أنت أَرِنا الآب ؟ أَلاَ تؤمن بأنى أنا فى أبى وأن أبى فِيَّ ؟ إن الكلام الذى أكلمكم به لا أتكلمّ به من نفسى أنا وحدى ، وإنما الآب الكائن فىّ هو الذى يعمل أعماله . صدقونى أنى فى أبى وأن أبى فىَّ ، وإلا فصدقونى من أجل الأعمال نفسها » (يوحنا ١٤ : ٦ – ١١) . وقال : « الذى يرانى فقد رأى الذى أرسلنى » (يوحنا ١٢ : ٤٥) . وقال مخاطبًا أباه السماوى : « يا أبتاه قد أتت الساعة . مجِّد ابنك ليمجدك ابنك . كما أنك قد أعطيته سلطانًا على كل جسد كى يعطى الحياة الأبدية لكل الذين أعطيتهم لى . وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحق الواحد وحده مع يسوع المسيح الذى أرسلته . أنا قد مجّدتك على الأرض ، والعمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته . فالآن

مجّدني ياأبتاه عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك من قبل كون العالم .. وجميع ماهو لي فهو لك ، وجميع ماهو لك فهو لي .. أنا لست في العالم بعد . وأما هؤلاء (أي تلاميذه) فَهُم في العالم . وأنا آتي إليك . ياأبتاه القدوس ، احفظهم في اسمك ، هؤلاء الذين أعطيتنيهم ، ليكونوا في وحدة كما نحن » (يوحنا ١٧ : ١-٥ ، ١٠ و١١) . وقال : « لست أطلب من أجل هؤلاء فقط ، وإنما أيضًا من أجل أولئك الذين يؤمنون بي بكلامهم ، ليكونوا جميعهم في وحدة ، كما أنك أنت أيها الآب فِيَّ ، وأنا أيضًا فيك ، ليكونوا هم أيضًا في وحدة فينا .. قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ، ليكونوا في وحدة كما أننا نحن أيضًا في وحدة . أنا فيهم وأنت فِيَّ ، ليكونوا هم أيضًا في وحدة كاملة » (يوحنا ١٧ : ٢٠ - ٢٣)

٣ - أما رسالة الفداء التي تنازل من أجلها المسيح ابن الله الآب - الذي هو في كيان واحد مع الله الآب - فجاء إل العالم متخذًا جسدًا بشريًّا لينجزها ، فبيانها كما أوضح الكتاب المقدس أن الله خلق الإنسان الأول على صورته . إذ جاء في سفر التكوين أن الله قال : « نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا .. فخلق الله الإنسان على صورته » (التكوين ١ : ٢٦ و ٢٧) . ولما كان الله روحًا لاجَسَد له ولا مادة فيه ، لا يمكن أن ينصرف معنى هذا القول إلى أن مشابهة الإنسان لله كانت في الجسد المادي ، وإنما في الروح التي أودعها في هذا الجسد . وفيما تتّصف به هذه الروح من الكمال الإلهي ، المنزّه عن الشرّ والنجاسة والدنس ، وقد زوَّد الله الإنسان بوصاياه التي تكفل له الاحتفاظ بهذا الكمال ، معتبرًا إياه ابنه ، ومانحًا إياه النعيم في ملكوته . بيد أن هذا الإنسان الأول الذي خلقه الله وتبناه ومنحه الإرادة الكاملة ، لم يلبث أن خالف وصايا خالقه وأبيه ، وانغمس في الشر والنجاسة والدنس ، ففقد بذلك كماله . وأمسى غير خليق ببنوّته لله . بل صار غير خليق بأن تصله أي صلة بالله الذي هو خير محض وقداسة

كاملة وطهارة مطلقة . ومِنْ ثَمَّ نبذه الله وطرده من ملكوته . وإذ كان ما فعله الإنسان يتضمَّن تمرُّدًا على الله وخطيئة فى حقه ، غضب الله عليه ، واستوجب أمام عدله الإلهى الهلاك والموت . لأن جزاء الخطيئة فى العدل الإلهى هو الموت (روما [رومية] ٦ : ٢٣) غير أن الله - وإن كان يتّصف بالعدل - يتصف فى الوقت ذاته ، وعلى مقتضى كماله المطلق ، بالرحمة أيضًا . فإذا انتفت إحدى هاتين الصفتين فيه كان ذلك يتضمن نقصًا ، والله منزَّه عن النقص . ومِنْ ثَمَّ فإنه إن كان قد حكم على الإنسان ذلك الحكم الذى يستحقه بموجب عدله ، شاءت إرادته ومحبته أن يفتح له - وهو خليقته - باب الخلاص بموجب رحمته ، وذلك بأن يتيح له التكفير عن خطيئته ليستحق عفو الله وغفرانه . لأنه لا عفو ولا مغفرة بدون تكفير . ولما كان التكفير فى هذه الحالة يقتضى الموت . لأنه لا كفّارة فى شريعة الله بغير سفك دم (العبرانيين ٩ : ٢٢) . ثم لما كانت النفس التى أخطأت هى التى ينبغى أن تموت ويُسفك دمها وكان الإنسان بعد أن أخطأ قد أمسى غير جدير بأن يكفّر عن الإنسان قبل أن يخطىء ، لأنه قبل خطيئته كان ذا طبيعة طاهرة ، ثم أصبح بعد خطيئته ذا طبيعة جسدية دنسة ، هَّيأ الله - بحكمته وقدرته ورحمته - وسيلة عجيبة يرفع بها الإنسان إلى طبيعته الأولى ، لكى ينال فيها القصاص الذى يستوجبه العدل الإلهى . وذلك بأن يحلّ هو ذاته فى جسد إنسان ، لينال فى هذا الجسد ذلك القصاص ، كى ينقذ الإنسان من حكم الموت الذى كان مقضيًّا به عليه .

وإذا تحدث الله عن ابن الله لا يمكن أن ينصرف معنى ذلك إلى البنوَّة بالمعنى البشرى المادى ، وإنما هو مجرّد تعبير يستخدمه الله ليتيح للإنسان ذى اللغة القاصرة والعقل المحدود المدى فَهْمَ علاقة الله الآب بالله الابن فى الطبيعة الإلهية التى هى روح خالصة ذات وحدة مطلقة ، والتى هى فوق مدارك البشَر . وهكذا وَعَد الله على لسان أنبيائه بأنه - فى الوقت الذى حدّدته حكمته الإلهية - سيرسل

ابنه لتتحد طبيعته الإلهية بطبيعة الإنسان البشرية ، فيعيد إليه الكمال الذى سبق له أن فقده بخطيئته . ومِنْ ثَمَّ يكون ذلك الإنسان الكامل الذى هو فى ذات الوقت الإله الكامل خليقًا بالتكفير عن خطيئة الإنسان الأول ، بأن يموت فداء عنه ، تنفيذًا للعدل الإلهى ، وبذلك تتحقق كفالة العدل والرحمة معًا . ويتم خلاص الإنسان على يد ذلك الفادى الذى اتحدت فيه الطبيعة الإلهية بالطبيعة البشرية . وهذا هو المعنى الذى أشار إليه يوحنّا المعمدان حين أشار إلى السيد المسيح قائلاً : « هوذا حَمَل الله الذى يحمل خطيئة العالم » « (يوحنا ١ : ٢٩) . كما أن هذا هو المعنى الذى توضحه أقوال السيد المسيح الكثيرة التى أوردها القديس يوحنّا فى بشارته ، إذ يقول له المجد : « وكما رفع موسى الحيّة فى البرِّية ، هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الإنسان ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية ، لأنه إلى هذا المدى أحب الله العالم حتى إنه بذل ابنه الوحيد ، لكى لا يهلك كلّ من يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية ، لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم ، وإنما ليخلُص به العالم » (يوحنا ٣ : ١٤ — ١٧) . وقد أوضح السيد المسيح أنه يفعل ذلك لا جبرًا ولا اضطرارًا ولا على كُرهٍ منه ، وإنما بمحض إرادته واختياره ورضاه ، بدافع من صلاحه وحبه للبشَر ، إذ قال : « أنا هو الراعى الصالح ، والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف .. وسأبذل نفسى عن خرافى .. لذلك يحبنى أبى ، إذ أبذل نفسى كى استردّها . ما من أحد ينتزعها منى ، وإنما أبذلها أنا وحدى من ذاتى . فلى سلطان أن أبذلها ولى سلطان أن أستردّها » (يوحنا ١٠ : ١١ — ١٨) وقال : « مامن حب أعظم من أن يبذل أحد نفسه عن أحبّائه » (يوحنا ١٥ :١٣) .

وقد كان السيد المسيح له المجد يعلم أن عمل الفداء هو الرسالة الأساسية التى جاء من أجلها إلى العالم . وقد قرر ذلك فى أشد الساعات هولاً حين كان يتوقّع أن يأتى رؤساء اليهود بعد لحظات ليقبضوا عليه ويعذّبوه ويهينوه ثم يقتلوه بأبشع

وسيلة وأشنعها ، وهى أن يعلقوه مُسَمَّر اليدين والقدمين على خشبة الصليب ، اذ قال مناجيًا أباه السماوىّ : « ياأبتاه نجِّنى من هذه الساعة . ولكننى من أجل هذا أتيت إلى هذه الساعة » (يوحنا ١٢ : ٢٧) .

٤ – وقد اتخذ السيد المسيح ابن الله وكلمته جسد إنسان كى يتمم فيه عمل الفداء الذى جاء من أجله إلى العالم ، فكان إنسانًا كاملاً يشابه الناس فى كلّ شيء ماعدا الخطيئة ، إذ أنه لم يرتكب خطيئة أبدًا . وقد قال ذلك عن نفسه ، إذ خاطب اليهود حين هجموا عليه ليقتلوه قائلاً « الآن تبتغون قتلى ، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق .. منَ منكم يستطيع أن يُثبِت علَىَّ خطيئة ؟ » (يوحنا ٨ : ٤٠ و ٤٦) .

أما فيما عدا ذلك فقد كانت للسيد المسيح فضلاً عن ألوهيته الكاملة ، إنسانيته الكاملة فى الوقت نفسه . فيقول القديس يوحنا فى مقدمة بشارته إن « الكلمة اتخذ جسدًا وحلّ بيننا » (يوحنا ١ : ١٤) فقد كان الجسد الذى اتخذه له المجد جسد إنسان . وكان ميلاده من السيدة العذراء مريم ميلاد إنسان يشابه فى الشكل والطبيعة الإنسانية سائر بنى الإنسان . كما أن النبوءات عنه كانت تشير إلى هذه الحقيقة بكلمات صريحة ، إذ يقول دانيال النبى : « كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قُدَّامه ، فأعطى سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبّد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته مالا ينقرض » (دانيال٧ : ١٣ و ١٤) . ولذلك فإن السيد المسيح مع أنه كان يقول عن نفسه إنه ابن الله الآب ، ويقول إنه هو والله الآب كيان واحد ، كان فى الوقت نفسه يقول عن نفسه إنه ابن الإنسان ، ليوضح أنه إنسان كامل وأن ناسوته ناسوت حقيقى وليس خياليًّا أو مظهريًّا فحسب . فهو يقول : « مامن أحد صعد إلى السماء إلاّ ذلك الذى نزل من السماء ، ابن الإنسان الذى هو فى السماء » (يوحنا ٣ : ١٣)

ويقول : « وكما رفع موسى الحية فى البريّة ، هكذا ينبغى أن يرفع ابن الإنسان ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية » (يوحنا٣ : ١٤) ويقول : « كما أن الآب له الحياة فى ذاته ، هكذا أعطى الابن أن تكون له الحياة فى ذاته ، وقد أعطاه السلطان لأن يدين ، لأنه ابن الإنسان » (يوحنا ٥ : ٢٦ و٢٧) . وقد كان جسد السيد المسيح يشبه جسد كل إنسان فهو جسد مادى من دم ولحم وعظام . وقد احتمل بهذا الجسد المادى آلام الجلد والصلب ، وبه مات ، وبه قام من بين الأموات . وظلت ظاهرة فيه آثار المسامير التى دقوها فى يديه وقدميه ، وأثر الحربة التى طعنوه بها فى جنبه . فلما ظهر لتلاميذه قال الإنجيل المقدّس : إنه « أراهم يديه وجنبه » ليتأكدوا من تلك الآثار التى تركتها المسامير وتركتها الحربة فى جسده .. « أما توما .. فلم يكن معهم .. فقال لهم : إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير وأضع فى موضع المسامير إصبعى وأضع يدى فى جنبه لا أؤمن . ثم بعد ثمانية أيام كان التلاميذ مجتمعين فى الداخل أيضًا ، وكان توما معهم ، فدخل يسوع والابواب مغلّقة ووقف فى وسطهم .. ثم قال لتوما : هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدىّ ، وهات يدك وضعها فى جنبى ، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمنًا . فأجاب توما وقال له : ربى وإلهى » (يوحنا ٢٠ : ١٩ - ٢٨) .

ولعلّ مما يبرهن على أن السيد المسيح كان إنسانًا بكل مافى هذه الكلمة من معنى ، أن الإنجيل المقدس وَصَف بعض الجوانب فى حياته والتى تدلّ على أنه كان يعيش كسائر الناس الطبيعيين ، فهو يأكل ويشرب ، ويجوع ويعطش ، وينام ويستيقظ ، ويتعب ويستريح ، ويفرح ويحزن ، ويبتهج ويبكى ، ويرضى ويغضب ، وغير ذلك من أحوال الناس اليومية وما يستشعرونه من عواطف وأحاسيس وفقًا لما يحيط بهم من ظروف وملابسات : فقد تعب من السير واستراح عند بئر يعقوب ، وحين جاءت المرأة السامرية كان قد عطش فقال لها :

« أعطيني لأشرب » (يوحنا ٤ : ٧) . كما أنه حين كان معلقًا على الصليب « قال أنا عطشان » (يوحنا ١٩ : ٢٨) . وهو يفرح ، إذ قال لتلاميذه بعد أن أنبأهم بموت لعازر : « وأنا أفرح من أجلكم ، إذ لم أكن هناك لتؤمنوا » (يوحنا ١١ : ١٥) وقال لهم فى موضع آخر : « كلّمتكم بهذا ليكون فرحى فيكم ، وليكتمل فرحكم » (يوحنا ١٥ : ١١) وهو يتألم ويضطرب بل إنه يبكى . فإنه حين أتت إليه مريم أخت لعازر بعد موت أخيها « خرّت عند رجليه قائلة له : يارب لو كنت هنا ماكان أخى قد مات .فلما رآها يسوع تبكى ورأى اليهود الذين جاءوا معها أيضا يبكون تألم بالروح واضطرب ، وقال لهم : أين وضعتموه ؟. قالوا له : يارب تعال وانظر . بكى يسوع . فقال اليهود : انظروا كم كان يحبه ؟ وقال بعض منهم : أماكان هذا الذى فتح عينى الأعمى منذ ولادته قادرًا على ألاّ يترك هذا أيضًا يموت ؟ فتحنن يسوع فى نفسه وجاء إلى القبر » (يوحنا ١١ : ٣٢ – ٣٨) .

وحين اقترب موعد آلامه وصلبه قال : « نفسى الآن قد اضطربت ، فماذا أقول ؟ ياأبتاه نجنى من هذه الساعة ، ولكننى من أجل هذا أتيت إلى هذه الساعة » (يوحنا ١٢ : ٢٧) .

وحين أنبأ تلاميذه فى حفلة الوداع بأن واحدًا منهم سيخونه ويسلمه إلى أعدائه ، يقرر الإنجيل المقدس أنه « لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وصرّح قائلاً : الحقَّ الحقَّ أقول لكم إنَّ واحدًا منكم سيسلمنى » (يوحنا ١٣ : ٢١) وقد كابد السيد المسيح آلامه حين جلَدَه اليهود وأهانوه وصلبوه وطعنوه مكابدة حقيقية كأى إنسان يتعرّض لمثل هذه المحنة القاسية ، ويقاسى مثل ما تعرَّض له هو من الآلام وأهوال . كما أنه مات على الصليب كما يموت أى إنسان : إذ أنه « أمال رأسه وأسلم الروح » (يوحنا ١٩ : ٣٠) . بيد أن الإنجيل للقديس يوحنا

قد أوضح أن السيد المسيح ابن الله ، وإن كان قد اتخذ جسد إنسان ، وأصبح ذا طبيعة إنسانية كاملة ، كان فى الوقت ذاته ذا طبيعة إلهية كاملة . لأن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة أو طرفة عين ، أو فى أى ظرف من الظروف أو ملابسة من الملابسات ، ويتضح ذلك من قول الإنجيل للقديس يوحنا إن « الكلمة اتخذ جسدًا وحلّ بيننا » (يوحنا ١ : ١٤) . مما يدلّ على اتحاد الكلمة ابن الله بالناسوت الذى اتخذه اتحادًا تامًّا وكاملاً . كما يتضح ذلك من قول السيد المسيح نفسه : « مامن أحد صعد إلى السماء إلا ذلك الذى نزل من السماء ، ابن الإنسان الذى هو فى السماء » (يوحنا ٣ : ١٣) . فقد قال عن نفسه إنه ابن الإنسان ، مشيرًا بذلك إلى أنه ابن مريم بحسب الجسد الذى اتخذه منها ، ومع ذلك قرر أنه كائن فى الوقت نفسه فى السماء . مشيرًا بذلك إلى لاهوته المتحد بناسوته على الأرض ، وظل مع ذلك فى السماء . كما أنه قال فى هذا المعنى كذلك : « الحقَّ الحقَّ أقول لكم إنكم سترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان » (يوحنا ١ : ٥١) . فإن المسيح الإنسان هو فى الوقت نفسه المسيح الإله ، ومِن ثَمَّ تمجِّده الملائكة التى لا تفتأ تمجد الله فى كل حين . ومن ذلك يتضح أن المسيح ابن الله متحد فى كينونة واحدة مع الله الآب . كما يتضح أن المسيح ابن الله هو فى نفس الوقت المسيح ابن الإنسان ، أى أن لاهوته متحد بناسوته اتحادًا كاملاً بغير اختلاط أو امتزاج أو تغيير ، فَهُما كيان واحد ، وأقنوم واحد ، وطبيعة واحدة ، ومشيئة واحدة . وهذا سرّ من أسرار العقيدة المسيحية لا يستوعبه الإنسان إلا بموهبة من الله ، يفتح بها بصيرته الروحية ، فيتسامى عن طبيعته الجسدية المادية الدنيوية ، ويحلّق بأجنحة من النور فى السمائيات والإلهيات .

٥ — وقد أسهب الإنجيل للقديس يوحنا أكثر من غيره من البشائر فى تسجيل عبارات السيدَ المسيح عن الروح القدس ، لأن الحديث عنه يتّصل اتصالاً وثيقًا

بالنواحي اللاهوتية التي اهتمّ بها الإنجيل للقديس يوحنّا . ففي الحديث الذي أورده بين السيد المسيح ونيقوديموس قال له : « الحقَّ الحقَّ أقول لك إن الإنسان مالم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله . فالمولود من الجسَد هو جسَد ، والمولود من الروح هو روح » (يوحنا ٣ : ٥و٦) . وفي حديثه الوداعي مع تلاميذه قال لهم : « إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ، وسأطلب إلى الآب فيعطيكم معزِّيًا آخر ليقيم معكم إلى الأبد : روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه . وأما أنتم فتعرفونه ، لأنه يقيم معكم ويكون فيكم » (يوحنا ١٤ : ١٥–١٧) وقال لهم «حتّى إذا جاء المعزى وهو الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي سيعلّمكم كلَّ شيء ويذكّركم بكل ما قلته لكم » (يوحنا ١٤ : ٢٦) . وقال لهم : « ومتى جاء المعزِّي الذي سأرسله أنا إليكم من عند أبي ، روح الحق المنبثق من الآب : فهو يشهد لي » (يوحنا ١٥ : ٢٦) . وقال لهم : « أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق . لأنني إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزِّي . أما إذا مضيت فإني أرسله إليكم . ومتى جاء هذا فسيوبخ العالم على الخطيئة وعلى البِرّ وعلى الدينونة . أما على الخطيئة فلأنهم لا يؤمنون بي . وأما على البِرّ فلأنني منطلق إلى أبي فلا ترونني بعد . وأما على الدينونة فلأن رئيس هذا العالم قد أُدين . لا يزال عندي كلام كثير لأقوله لكم . ولكنكم لا تطيقون احتماله الآن . فمتى جاء ذاك الذي هو روح الحق فهو يرشدكم إلى الحق كله لأنه لا يتكلّم من عنده ، وإنما يتكلّم بما يسمعه ، وسيخبركم بأمور آتية . إنه يمجِّدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم . جميع ماللآب هو لي . لذلك قلت لكم إنه يأخذ مما لي ويخبركم » (يوحنا ١٦ : ٧ – ١٥) . ثم بعد قيامة السيد المسيح في يوم الأحد وظهوره لتلاميذه في مساء ذلك اليوم ، قال لهم : « كما أرسلني الآب كذلك أرسلكم أنا . قال هذا ثم نفخ في وجوههم وقال لهم : اقبلوا روح القدس . من غفرتم لهم خطاياهم غُفرت لهم . ومَن أمسكتموها

عليهم أمسكت عليهم » (يوحنا ٢٠ : ٢١ - ٢٣) . ويتضح من هذه الأقوال كلها التى أفضى بها السيد المسيح إلى تلاميذه أن الروح القدس له ماللآب ومااللابن من صفات وقدرات وكمالات . وهو مع ذلك ليس كائنًا بذاته منفصلاً عن الآب والابن . وإنما هو فى كيان واحد وجوهر واحد معهما . وذات إلهية واحدة .

٦ - ونرى مما سلف أن الإنجيل للقديس يوحنا تكّلم عن الآب وعن الابن وعن الروح القدس ، لا بمعنى أنهم أشخاص يقوم كل منهم بذاته منفصلاً كل منهم عن الآخر ، وإنما بمعنى أنهم خاصيّات تتميز بها طبيعة الله الواحد : فالله فى ذاته هو الآب ، والله فى صلته بالبشرَ هو الكلمة أو الابن الذى كلّم به البشرَ . والله فى قوته وقدرته ومواهبه هو الروح القدس ، الذى تظهر فاعليته فى تدبير الأشياء التى فى الكون ، والأشخاص الذين يعيشون فى هذا الكون . ولكن الله الذى تتّصف طبيعته بهذه الخاصيّات هو الله الواحد الذى لا إله غيره والمنزّه عن التعدّد بأى صورة من الصور أو بأى معنى من المعانى . وهذا هو ماقررّه السيِّد المسيح صراحة ، إذ قال لليهود وهو يجادلهم : « كيف يمكنكم أن تؤمنوا وأنتم تقبلون المجد بعضكم من بعض .وأما المجد الذى من الله الواحد وحده فلا تبتغونه » (يوحنا ٥ : ٤٤) . وقال فى مناجاته لأبيه السماوى وهو يلقى خطابه الوداعىّ لتلاميذه : « هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحق الواحد وحده » (يوحنا ١٧ : ٣)

وهكذا كان الموضوع الأساسى لبشارة القديس يوحنا هو بيان الطبيعة اللاهوتية الكاملة للسيد المسيح متحدة اتحادًا تامًّا وجوهريًّا بطبيعته الناسوتية الكاملة . وذلك ردًّا على الأفكار الخاطئة الخبيثة التى أشاعها بعض الهراطقة الضالّين من ضعيفى العقل أو ضعيفى الإيمان عن طبيعة السيد المسيح ، فضلّلوا بها المؤمنين وبلبلوا أفكارهم ، وعملوا على بث الفرقة بين صفوفهم ، مما دعا

القديس يوحنا إلى التصدّى لهم بكتابة هذه البشارة التى أنقذ بها الكنيسة من مكرهم وشرّهم وضلالهم وخطورة أقوالهم وأعمالهم.

بيد أن ثمة مسحة أخرى تسود هذه البشارة فضلاً عن مسحتها اللاهوتية، وهى الإسهاب فى الحديث عن المحبة باعتبارها عنصرًا جوهريًّا فى العقيدة المسيحية، وباعتبارها الوصيةُ الأولى والعظمى للسيد المسيح التى تشتمل فى مضمونها ومفهومها على كلّ وصية أخرى. وقد أورد الإنجيل للقديس يوحنا كثيرًا من أقوال السيد المسيح التى يقررّ فيها أن الله الآب يحب الابن، وأن الابن يحب الآب، وأن الآب والابن معًا يحبّان المؤمنين بدرجة تفوق كل حد يمكن أن يتصّوره بشر، إذ قال إنّ « الآب يحب الابن. وهو يريه كل ما يعمل » (يوحنا ٥ : ٢٠) وقال: « لكى يعرف العالم أنى أحب أبى، وأنى أعمل ما أوصانى به أبى » (يوحنا ١٤ : ٣١). وقال لتلاميذه: « كما أحبنى أبى هكذا أحببتكم أنا. فاثبتوا فى محبتى. إن حفظتم وصاياى ثبتّم فى محبتى. كما أنى أنا حفظت وصايا أبى وثبتٌ فى محبته » (يوحنا ١٥ : ٩و١٠). وقال لهم « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى .. إنّ الذى لديه وصاياى ويحفظها هو الذى يحبنى، والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أيضًا أحبه وأظهر له ذاتى .. من يحبنى يحفظ كلامى ويحبّه أبى وإليه نأتى وعنده نقيم. ومن لا يحبنى لا يحفظ كلامى » (يوحنا ١٤ : ١٥ و٢١ و٢٣ و٢٤). وقال لهم: « لأنه إلى هذا المدى أحب الله العالم حتى إنه بذل ابنه الوحيد، لكى لا يهلك كل من يؤمن به، وإنما ينال الحياة الابدية » (يوحنا ٣ : ١٦) وقال لهم: « هذه هى وصيتى، أن تحبوا بعضكم بعضًا كما أحببتكم أنا. ما من حب أعظم من أن يبذل أحد نفسه عن أحبائه. وأنتم تكونون أحبائى إن عملتم بما أوصيكم به. لا أدعوكم عبيدًا بعد، لأن العبد لا يعلم بما يعمل سيّده. وأما أنتم فقد دعوتكم أحبّاء لأننى عرّفتكم بكل ما سمعته من أبى .. بهذا أوصيكم: أن تحبوا بعضكم بعضًا » (يوحنا ١٥ : ١٢ – ١٧)

وقال لهم : « وصيَّةً جديدةً أنا أعطيكم : أن تحبّوا بعضكم بعضًا . كما أحببتكم أنا ، فلتحبوا أنتم أيضًا بعضكم بعضًا . بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إذا أحببتم بعضكم بعضًا » (يوحنا ١٣ : ٣٤ و٣٥) وقال لهم : « قد كلمتكم عن هذا بأمثال . ولكن تأتى ساعة حين لا أكلمكم بعد بأمثال ، وإنما أكلمكم عن الآب صراحة . وفى ذلك اليوم ستطلبون باسمى . ولا أقول لكم إننى سأطلب إلى الآب من أجلكم . فإن الآب نفسه يحبكم لأنكم أحببتمونى وآمنتم بأننى من الله الآب خرجت . خرجت من الآب وجئت إلى العالم ، ثم أترك العالم وأنطلق إلى الآب » (يوحنا ١٦ : ٢٥ – ٢٨) . وقال السيد المسيح فى مناجاته لأبيه السماوى : « ولست أطلب من أجل هؤلاء فقط (أى تلاميذه) ، وإنما أيضًا من أجل أولئك الذين يؤمنون بى بكلامهم ، ليكونوا جميعهم فى وحدة ، كما أنك أنت أيها الآب فىَّ وأنا أيضًا فيك ، ليكونوا هم أيضًا فى وحدة فينا ، كى يؤمن العالم بأنك أنت الذى أرسلتنى .. وأننى أحببتهم كما أحببتنى .. لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم . ياأبتاه الحق إن العالم لم يعرفك . وأما أنا فعرفتك . وهؤلاء أيضًا عرفوا أنك أنت الذى أرسلتنى ، وقد أخبرتهم باسمك وسأظل أخبرهم ، لتكون فيهم المحبة التى بها أحببتنى ، وأكون أنا أيضًا فيهم » (يوحنا ١٧ : ٢٠ – ٢٦) وقد أكّد الإنجيل للقديس يوحنا محبة السيد المسيح لتلاميذه اذ قال : « وقبل عيد الفصح رأى يسوع أن ساعته قد جاءت لينتقل من العالم ويمضى إلى الآب . وقد أحب خاصته الذين فى العالم . أحبهم إلى نهاية المَدَى » (يوحنا ١٣ : ١) كما أن الإنجيل للقديس يوحنا أشار بوجه خاص إلى بعض الذين أحبهم السيد المسيح ، ومنهم لعازر الذى حين علم أنه مات قال لتلاميذه : « إنَّ لعازر حبيبنا قد نام ، ولكنى سأذهب لأوقظه » (يوحنا ١١ : ١١) . وحين رأى لوعة مريم ومرثا أختى لعازر على أخيهما ، تأثر تأثرًا عظيمًا حتى لقد بكى .. « فقال اليهود : أنظرواكم كان يحبه » (يوحنا ١١ : ٣٦) كما أشار

الإنجيل للقديس يوحنا إلى شخص آخر كان السيد المسيح يحبه بصفة خاصة . وكان هذا الشخص هو القديس يوحنا نفسه ، إذ يقول إنه فى ليلة العشاء الربانى « وكان متكئًا فى حضن يسوع واحد من تلاميذه وهو الذى كان يسوع يحبه » (يوحنا ١٣ : ٢٣) . وفى فجر يوم قيامة السيد المسيح يقول الإنجيل للقديس يوحنا إن مريم المجدلية ذهبت إلى القبر فلم تجد جسد يسوع .. « فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه ، وقالت لهما : قد أخذوا سيدنا من القبر ولا أعلم أين وضعوه » (يوحنا ٢٠ : ٢) وقد سبق أن رأينا أن القديس يوحنا كان فى أواخر أيامه قد أنهكته الشيخوخة ، فكان يردّد على مسامع المؤمنين وهو يعظهم عبارة واحدة لا يفتأ يكررها وهى قوله : « يا أبنائى أحبوا بعضكم بعضًا » . ثم يقول لهم : « هذه هى الوصية الأولى للرب . فإن عملتم بها تكونون قد أطعتم كلّ وصية أخرى » .

وإذ كان القديس يوحنا قد كتب بشارته بعد سنوات عدّة من ظهور بشائر القديسين متى ومرقس ولوقا ، لم يشأ أن يكرّر ماسبق أن ذكره أولئك القديسون فى بشائرهم من وقائع حياة السيد المسيح ، لأن هذه الوقائع أصبحت معروفة لدى جميع المؤمنين ولاسيما تلك المتعلقة بالبشارة والميلاد والختان والهرب إلى مصر والعماد والتجربة والتجلى والعشاء الربانى والصعود ، وأغلب المعجزات التى وردت فى البشائر الثلاث السابقة على بشارته ، لأن اهتمامه كله كان متجهًا إلى تثبيت إيمان المؤمنين بالسيد المسيح وتصحيح الأفكار الخاطئة التى أشاعها بعض الهراطقة عن شخصيته وطبيعته ، مؤكدًا أنه هو المسيح ابن الله . وفى سبيل هذه الغاية اقتصر الإنجيل للقديس يوحنا على ذكر المعجزات التى تدلّ دلالة عظيمة على ألوهية السيد المسيح ، والتى يتضح منها بما لا مجال معه لأى شك أو ريبة فى أنه يملك السلطان الإلهى على الكائنات كلها من إنسان وحيوان وجماد : فهو باعتباره صاحب السلطان على روح الإنسان وجسده أعاد الروح إلى لعازر بعد

أن فارقته بأربعة أيام ، وأعاد الحياة إلى جسده بعد أن تحلّل فى القبر (يوحنا ١١ : ١ – ٤٤) . كما أنه خلق للمولود أعمى عينين أبصر بهما بعد أن عاش طوال حياته بغير عينين فى مقلتيه (يوحنا ٩ : ١ – ٣٨) . وشفى ابن أحد رجال الحاشية الملكية الذى كان مريضًا فى كفر ناحوم بمجرّد كلمة قالها لأبيه على مسافة بعيدة من ذلك الابن المريض (يوحنا ٤ : ٤٩ و ٥٠) وشفى الرجل الذى كان مُقْعَدًا مدَّة ثمانية وثلاثين عامًا عند بركة بيت حسدا بمجرّد كلمة منه ، إذ قال له : قُم احمل فراشك وامش . فى الحال بَرِئَ الرجل وحمل فراشه ومشى (يوحنا ٥ : ١ – ٩) .

وهو باعتباره صاحب السلطان على الحيوان جعل السَّمك يتكاثر فى شِباك تلاميذه حتى لم يعودوا قادرين على أن يجذبوها إلى الشاطئ ، وذلك بعد أن ظلُّوا الليل كله طارحين شباكهم دون أن يصطادوا شيئًا (يوحنا ٢١ : ١ – ١٠) .

وهو باعتباره صاحب السلطان على الجماد جعل الماء يتحوَّل الى خمر حقيقية حين نفَدَت الخمر فى عرس قانا الجليل ، وذلك دون أن ينطق حتى بكلمة واحدة ، وإنما بمجرد إرادته وكلمة الأمر وحدها (يوحنا ٢ : ١ – ١٠) . كما أنه ذهب إلى تلاميذه الذين كانوا فى السفينة فى عرض البحر ماشيًا على سطح الماء ، حتى لقد خافوا إذ ظنوه شبحًا (يوحنا ٦ : ١٦ – ٢١) . وقد جعل الطعام يتكاثر حتى إنه بخمسة أرغفة وسمكتين أشبع خمسة آلاف نفس ، ثم تبقت اثنتا عشرة قفة من الكسَر (يوحنا ٦ : ١ – ١٣) .

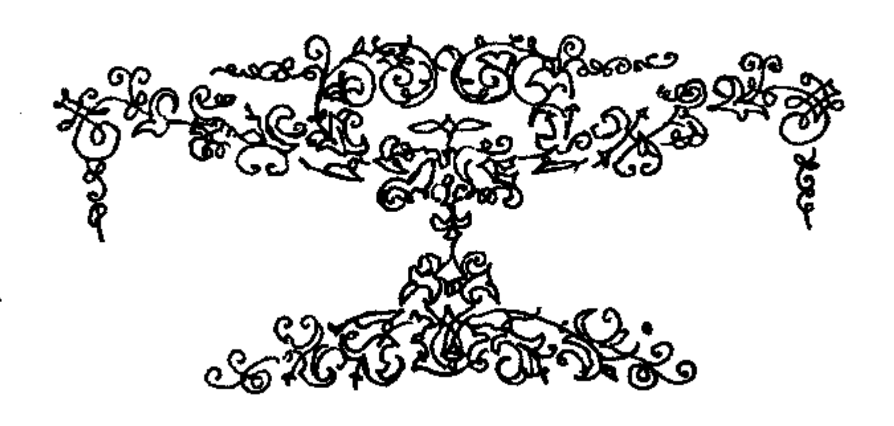
وقد اختار الانجيل للقديس يوحنا هذه المعجزات من بين عدد كبير منها صنعه السيد المسيح ، إذ يقول : « وثمة أشياء كثيرة أخرى صنعها يسوع ، لو أنها كتبت واحدة فواحدة فلا أظن أن العالم نفسه يسع الكتب التى تُكتَب » (يوحنا ٢١ : ٢٥) . وقد ذكَرَ هذا العدد القليل من المعجزات لأن أغلبها لم يَرِد فى البشائر الأخرى ، ولأنها عظيمة الدلالة على لاهوت السيد المسيح ، إذ يقول :

« وقد صنع يسوع أمام تلاميذه آيات أخرى كثيرة لم تُكتَب فى هذا الكتاب . وأما هذه فقد كُتِبت لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله ، ولتكون لكم إن آمنتم الحياة الأبدية باسمه » (يوحنا ٢٠ : ٣٠و٣١) . وقد كان السيد المسيح نفسه يصنع هذه المعجزات ليبرهن بها على قدرته الإلهية وحقيقة شخصيته باعتباره ابن الله ، إذ قال لليهود : « أما أنا فلى شهادة أعظم من شهادة يوحنا ، لأن الأعمال التى أعطانى أبى لأنجزها ، تلك الأعمال التى أنا أعملها هى نفسها التى تشهد لى بأنّ الآب قد أرسلنى . والآب نفسه الذى أرسلنى قد شهد لى » (يوحنا ٥ : ٣٦و ٣٧) كما قال لتلاميذه : « صدِّقونى أنِّى فى أبى وأن أبى فِىَّ . وإلا فصدِّقونى من أجل الأعمال نفسها » (يوحنا ١٤ : ١١) .

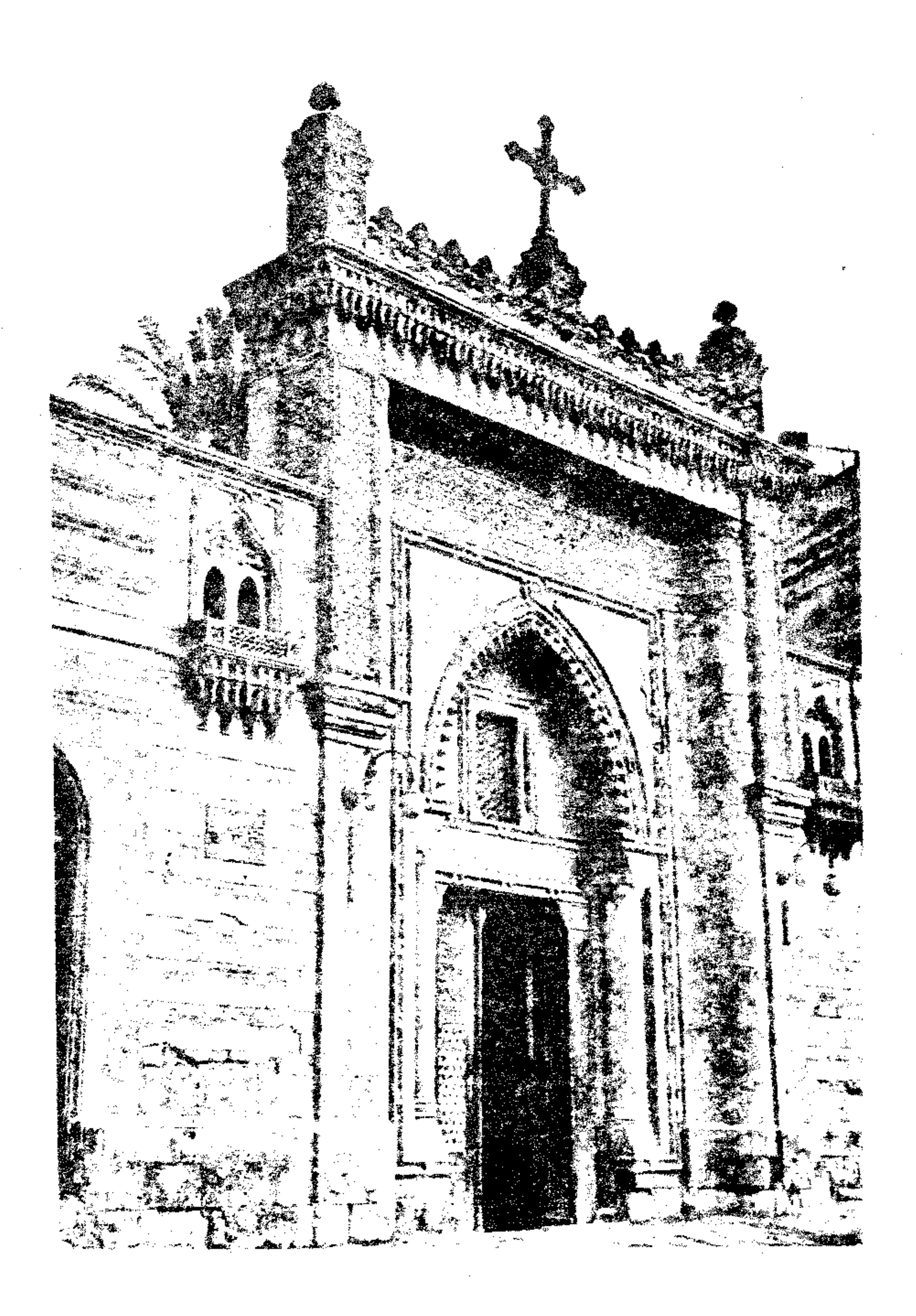
ولئن أوجز الإنجيل للقديس يوحنا فى ذكر المعجزات التى صنعها السيد المسيح ، متوخيًا غاية واحدة هى إثبات لاهوت السيد المسيح ، إن هذه الغاية ذاتها دفعت به لأن يسهب أكثر من أصحاب البشائر الأخرى فى سرد أحاديث السيد المسيح ومناقشاته وعظاته ووصاياه وصلواته التى تنطوى كلها على براهين ساطعة على حقيقة شخصيته الإلهية باعتباره المسيح الله ابن الله الحىّ ، وباعتباره فى كيان واحد وجوهر واحد مع الله الآب . ويتضح ذلك بكل جلاء فى أحاديثه مع نيقوديموس ، ومع المرأة السامرية ، ومع اليهود بعد أن شفى المقعد عند بركة بيت حَسْدا ، ومع المولود أعمى ، ومناقشاته مع اليهود والفريسيين فى أورشليم وفى كفرناحوم ، وعظاته ووصاياه لتلاميذه ، ولا سيّما فى خطابه الذى ودّعهم به قبل القبض عليه ، وصلاته عند قبر لعازر ، ومناجاته لأبيه السماوىّ فى أثناء خطابه الوداعىّ لتلاميذه ، وبذلك احتفظ لنا الإنجيل للقديس يوحنّا بثروة لا تُقَدَّر بثمن من الكلمات الإلهيّة التى نطق بها السيد المسيح فى هذه المناسبات كلها ، والتى لم ينطق بمثلها ولن ينطق بمثلها إنسان من بدء الخليقة إلى آخر الزمان . وقد كانت هى الركيزة العظمى للعقيدة المسيحية ، وهى التى أماطت

اللثام عن ذلك السِّر الأعظم الذى يكمن فى تلك العقيدة التى تدعو بنى البَشَر لأن يؤمنوا بالمسيح على أنه ابن الله وابن الإنسان معًا ، فادى البَشريَّة ، ومانح الحياة الأبدية لكل مَن يؤمن به فى كل زمان ومكان .

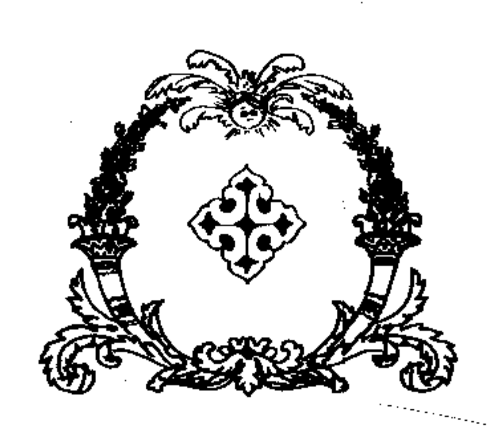
اللجنة



إِنجيلُ ربِّنا يسوع المسيح لِلقدِّيسِ يوحنَّا







الْفَصْلُ الأَوَّلُ

الْكَلِمَةُ هُوَ اللهُ : ١

١ فِي الْبَدْءِ[١] كَانَ الْكَلِمَةُ[٢] ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ لَدَى اللهِ[٣] ، ٢ وَكَانَ الْكَلِمَةُ هُوَ اللهُ[٤] . كَانَ مُنْذُ الأَزَلِ لَدَى اللهِ . ٣ كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ[٦] ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ . ٤ فِيهِ كَانَتْ الْحَيَاةُ[٧] . وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ[٨] . ٥ وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ[٩] ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ .

٦ كَانَ رَجُلٌ قَدْ أُرْسِلَ مِنَ اللهِ اسْمُهُ يُوحَنَّا[١٠] ، ٧ جَاءَ هٰذَا لِلشَّهَادَةِ كَيْ يَشْهَدَ لِلنُّورِ[١١] ، لِيُؤْمِنَ الْكُلُّ عَلَى يَدِهِ . ٨ لَمْ يَكُنْ هُوَ النُّورَ ، وَإِنَّمَا أُرْسِلَ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ . ٩ كَانَ النُّورُ

(١) البدء هنا هو الأزل - الذى لا بداية له - وهو غير بدء الخليقة.
(٢) أم ٨ : ٢٢ إلخ ، كو ١ : ١٧ ، ١ يو ١ : ١ ، رؤ ١ : ٢ ، ١٩ : ١٣
(٣) م ٨ : ٣٠ ، يو ١٧ : ٥ ، ١ يو ١ : ٢
(٤) فى ٢ : ٦ ، ١ يو ٥ : ٧
(٥) تك ١ : ١
(٦) مز ٣٣ : ٦ ، يو ١ : ١٠ ، أف ٣ : ٩ ، كو ١ : ١٦
(٧) يو ٥ : ٢٦ ، ٦ : ٣٣ ، ١ يو ٥ : ١٠
(٨) يو ٨ : ١٢ ، ٩ : ١٥ ، ١٢ : ٣٥ ، ٤٦
(٩) يو ٣ : ١٩
(١٠) ملا ٣ : ١ ، مت ٣ : ١ ، لو ٣ : ٢ ، يو ١ : ٣٣
(١١) أع ١٩ : ٤

الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ[١] آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ .

١٠ ❖ كَانَ فِي الْعَالَمِ ، وَكَانَ الْعَالَمُ بِهِ[٢] ، وَالْعَالَمُ لَمْ يَعْرِفْهُ . ١١ ❖ إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ[٣] . ١٢ ❖ أَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمُ السُّلْطَانَ لأَنْ يَكُونُوا أَبْنَاءَ اللهِ . أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ[٤] ١٣ ❖ الَّذِينَ وُلِدُوا لاَ مِنْ دَمٍ[٥] ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ[٦] ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ إِنْسَانٍ[٧] . وَإِنَّمَا مِنَ اللهِ[٨] وُلِدُوا .

١٤ ❖ وَالْكَلِمَةُ اتَّخَذَ جَسَدًا[٩] وَحَلَّ بَيْنَنَا ، وَقَدْ أَبْصَرْنَا مَجْدَهُ[١٠] ، مَجْدَ الابْنِ الْوَحِيدِ لأَبِيهِ ، الْمُمْتَلِيءِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْحَقِّ[١١] . ١٥ ❖ وَقَدْ شَهِدَ يُوحَنَّا لَهُ[١٢] ، وَنَادَى قَائِلاً : «هٰذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ[١٣] إِنَّ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي قَدْ تَقَدَّمَنِي ، لأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي[١٤] . ١٦ ❖ وَمِنْ مِلْئِهِ[١٥] نَحْنُ جَمِيعُنَا أَخَذْنَا . وَنِعْمَةً أَخَذْنَا بَدَلاً مِنْ نِعْمَةٍ . ١٧ ❖ لأَنَّ الشَّرِيعَةَ[١٦] بِمُوسَى أُعْطِيَتْ ، وَأَمَّا النِّعْمَةُ[١٧] وَالْحَقُّ[١٨] فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ كَانَا . ١٨ ❖ اللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ[١٩] . الابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ[٢٠] .

١٩ ❖ وَهٰذِهِ هِيَ شَهَادَةُ يُوحَنَّا[٢١] ، حِينَ أَرْسَلَ

(١) إش ٤٩ : ٦ ، ٦٠ : ١ ، يو ٢ : ٨
(٢) يو ١ : ٣ ، ١كو ١ : ١٧ ، عب ١ : ٢ ، ١١ : ٣
(٣) لو ١٩ : ١٤ ، أع ٣ : ٢٦ ، ١٣ : ٤٦
(٤) إش ٥٦ : ٥ ، يو ٣ : ٣ ، ٧ ، أع ١٠ : ٤٤ ، رو ٨ : ١٥ ، غل ٣ : ٢٦ ، ١بط ١ : ٤ ، ١يو ٣ : ١
(٥) أع ١٧ : ٢٦
(٦) أف ٢ : ٣
(٧) أف ٢ : ٨ و٩
(٨) يو ٣ : ٥ ، يع ١ : ١٨ ، ١بط ١ : ٢٣ ، ١يو ٣ : ٩
(٩) في العبرانية «لبس بشرًا وسكن بيننا» . وفي القبطية حرفيًا «حلَّ فينا» أي «حلَّ في طبيعتنا البشرية» . أنظر مت ١ : ١٦ و٢٠ ، لو ١ : ٣٢ و٣٥ - ٢ : ٧ ، رو ١ : ٣ ، غل ٤ : ٤ ، ١تي ٣ : ١٦ ، عب ٢ : ١١ و١٤ و١٦ و١٧ ، ١يو ٤ : ٢
(١٠) إش ٤٠ : ٥ ، مت ١٧ : ٢ ، يو ٢ : ١١ ، ١١ : ٤٠ ، ٢بط ١ : ١٦ و١٧ و١٨ ، ١يو ١ : ١
(١١) كو ١ : ١٩ ، ٢ : ٣ و٩ و١٠



انظر الصفحة التالية

الْيَهُودُ إِلَيْهِ مِنْ أُورُشَلِيمَ كَهَنَةً وَلاَوِيِّينَ[١] لِيَسْأَلُوهُ : «مَنْ أَنْتَ» ؟ ٢٠ فَاعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ ، وَأَقَرَّ قَائِلاً : «لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ»[٢] . ٢١ فَسَأَلُوهُ : «مَاذَا إِذَنْ ؟ أَأَنْتَ إِيلِيَّا ؟»[٣] . قَالَ «لَسْتُ إِيَّاهُ» . فَقَالُوا «أَأَنْتَ النَّبِيُّ ؟»[٤] . أَجَابَ «كَلاَّ» . ٢٢ فَقَالُوا لَهُ : «فَمَنْ أَنْتَ لِنُعْطِيَ إِجَابَةً لِلَّذِينَ أَرْسَلُونَا ؟ مَاذَا تَقُولُ عَنْ نَفْسِكَ ؟» ٢٣ قَالَ : «أَنَا صَوْتُ الصَّارِخِ فِي الْبَرِّيَّةِ : أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ ، كَمَا قَالَ إِشَعْيَاءُ النَّبِيُّ[٥]» . ٢٤ وَكَانَ الْمُرْسَلُونَ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ . ٢٥ فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ «لِمَاذَا تُعَمِّدُ إِذَنْ مَا دُمْتَ لَسْتَ الْمَسِيحَ وَلاَ إِيلِيَّا وَلاَ النَّبِيَّ ؟» . ٢٦ أَجَابَهُمْ يُوحَنَّا قَائِلاً : «أَنَا أُعَمِّدُكُم بِالْمَاءِ[٦] ، وَلَكِنْ بَيْنَكُمْ قَائِمٌ ذَلِكَ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ ، ٢٧ الَّذِي – وَإِنْ أَتَى بَعْدِي – كَانَ قَبْلِي[٧] . وَأَنَا لَسْتُ بِمُسْتَحِقٍّ لأَنْ أَحُلَّ أَرْبِطَةَ حِذَائِهِ . ٢٨ وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ فِي بَيْتَ عَنْيَا[٨] ، فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ ، حَيْثُ كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ .

٢٩ وَفِي الْغَدِ رَأَى يُوحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلاً إِلَيْهِ ، فَقَالَ : «هُوَذَا حَمَلُ اللهِ[٩] الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ

(١٢) يو ٣ : ٣٢ ، ٥ : ٣٣ ، ١ : ٣٢
(١٣) مت ٣ : ١١ ، مر ١ : ٧ ، لو ٣ : ١٦ ، يو ١ : ٢٧ و٣٠ ، ٣ : ٣١
(١٤) يو ٨ : ٥٨ ، كو ١ : ١٧
(١٥) يو ٣ : ٣٤ ، أف ١ : ٦ و٧ و٨ ، كو ١ : ١٩
(١٦) خر ٢٠ : ١ إلخ ، تث ٤ : ٤٤ ، ٥ : ١ ، ٣٣ : ٤
(١٧) رو ٣ : ٢٤ ، ٥ : ٢١ ، ٦ : ١٤
(١٨) يو ٨ : ٣٢ ، ١٤ : ٦
(١٩) خر ٣٣ : ٢٠ ، تث ٤ : ١٢ و١٥ ، يو ٦ : ٤٦ ، ١ تى ١ : ١٧ ، ٦ : ١٦ ، ١ يو ٤ : ١٢ و٢٠
(٢٠) مت ١١ : ٢٧ ، لو ١٠ : ٢٢ ، يو ١ : ١٤ ، ٣ : ١٦ و١٨ ، ١ يو ٤ : ٩
(٢١) يو ٥ : ٣٣

(١) يش ٣ : ٣
(٢) لو ٣ : ١٥ ، يو ٣ : ٢٨ ، أع ١٣ : ٢٥
(٣) ٢، مل ١ : ٨ ، ملا ٤ : ٥ ، مت ١٧ : ١٠
(٤) تث ١٨ : ١٥ و١٨ ، يو ٦ : ١٤ ، ٧ : ٤٠ و٤١

انظر الصفحة التالية

الْعَالَمِ [١] . ٣٠ ❖ هٰذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ : يَأْتِي بَعْدِي رَجُلٌ يَتَقَدَّمُنِي لأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي [٢] . ٣١ ❖ وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ ، وَلٰكِنْ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُظْهَرَ لإِسْرَائِيلَ جِئْتُ أَنَا أُعَمِّدُ بِالْمَاءِ» [٣] . ٣٢ ❖ وَشَهِدَ يُوحَنَّا قَائِلاً : «إِنِّي قَدْ أَبْصَرْتُ الرُّوحَ نَازِلاً عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ فِي هَيْئَةِ حَمَامَةٍ [٤] ، وَاسْتَقَرَّ عَلَى رَأْسِهِ . ٣٣ ❖ وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ ، وَلٰكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي لأُعَمِّدَ بِالْمَاءِ هُوَ الَّذِي قَالَ لِي [٥] : إِنَّ الَّذِي تُبْصِرُ الرُّوحَ يَنْزِلُ وَيَسْتَقِرُّ عَلَى رَأْسِهِ هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِرُوحِ الْقُدُسِ [٦] ٣٤ ❖ وَأَنَا قَدْ أَبْصَرْتُ وَشَهِدْتُ بِأَنَّ هٰذَا هُوَ ابْنُ اللهِ .

٣٥ ❖ ثُمَّ فِي الْيَوْمِ التَّالِي كَانَ يُوحَنَّا وَاقِفًا مَعَ ٣٦ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ ، ❖ وَإِذْ أَبْصَرَ يَسُوعَ مَاشِيًا ، ٣٧ قَالَ : «هٰذَا هُوَ حَمَلُ اللهِ» [٧] . ❖ فَلَمَّا سَمِعَ ٣٨ التِّلْمِيذَانِ قَوْلَهُ تَبِعَا يَسُوعَ ، ❖ فَالْتَفَتَ يَسُوعُ وَرَآهُمَا يَتْبَعَانِهِ ، فَقَالَ لَهُمَا : «مَاذَا تَطْلُبَانِ ؟» . فَقَالاَ لَهُ : «رابِي [٨] – الَّذِي تَرْجَمَتُهُ يَا مُعَلِّمُ [٨] – ٣٩ أَيْنَ تُقِيمُ ؟» . ❖ فَقَالَ لَهُمَا : «تَعَالَيَا وَانْظُرَا» ، فَأَتَيَا وَنَظَرَا أَيْنَ يُقِيمُ ، وَمَكَثَا عِنْدَهُ

(٥) إش ٤٠ : ٣ ، ملا ٣ : ١ ، مت ٣ : ٣ ، مر ١ : ٣ ، لو ٣ : ٤ ، يو ٣ : ٢٨
(٦) مت ٣ : ١١
(٧) يو ١ : ١٥ و٣٠ ، أع ١٩ : ٤
(٨) قض ٧ : ٢٤ ، يو ١٠ : ٤٠
(٩) خر ١٢ : ٣ ، إش ٥٣ : ٧ ، يو ١ : ٣٦ ، أع ٨ : ٣٢ ، ١. بط ١ : ١٩ ، رؤ ٥ : ٦ الخ

(١) إش ٥٣ : ١١ ، ١. كو ١٥ : ٣ ، غل ١ : ٤ ، عب ١ : ٣ ، ٢ : ١٧ ، ٩ : ٢٨ ، ١. بط ٢ : ٢٤ ، ٣ : ١٨ ، ١. يو ٢ : ٢ ، ٣ : ٥ ، ٤ : ١٠ ، رؤ ١ : ٥
(٢) يو ١ : ١٥ و٢٧
(٣) ملا ٣ : ١ ، مت ٣ : ٦ ، لو ١ : ١٧ و٧٦ و٧٧ ، ٣ : ٣ و٤
(٤) مت ٣ : ١٦ ، مر ١ : ١٠ ، لو ٣ : ٢٢ ، يوحنا ٥ : ٣٢
(٥) لو ٣ : ٢
(٦) مت ٣ : ١١ ، أع ١ : ٥ ، ٢ : ٤ ، ١٠ : ٤٤ ، ١٩ : ٦
(٧) يو ١ : ٢٩
(٨) مت ٢٣ : ٧ و٨

٣



ذُلِكَ الْيَوْمَ. وَكَانَتِ السَّاعَةُ نَحْوَ الْعَاشِرَةِ[١].

٤٠ ❖ وَكَانَ أَنْدَرَاوُسُ[٢] أَخُو سِمْعَانَ بُطْرُسَ أَحَدَ الاثْنَيْنِ اللَّذَيْنِ سَمِعَا يُوحَنَّا وَتَبِعَا يَسُوعَ. ٤١ ❖ وَقَدْ وَجَدَ أَوَّلاً أَخَاهُ سِمْعَانَ، فَقَالَ لَهُ: «قَدْ وَجَدْنَا الْمَاشِيحَ»، أَيِ الْمَسِيحَ[٣]. ٤٢ ❖ ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى يَسُوعَ. فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ قَالَ لَهُ: «أَنْتَ سِمْعَانُ بْنُ يُوحَنَّانَ. وَلْيَكُنِ اسْمُكَ كِيفَا» أَيْ بُطْرُسَ[٤].

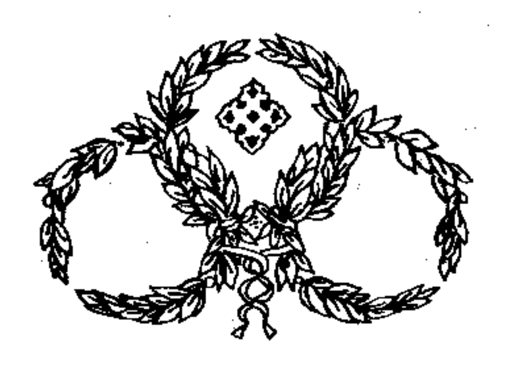
إيمانُ فيلُبُّس وَنثنائيل بالسَّيِّدِ المَسيحِ :

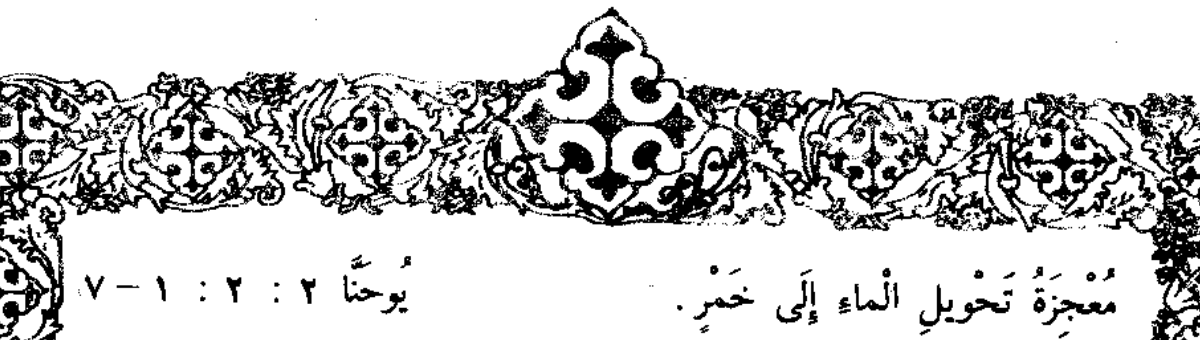
٤٣ ❖ وَفِي الْغَدِ، إِذْ كَانَ يَسُوعُ يَقْصِدُ إِلَى الْجَلِيلِ، وَجَدَ فِيلُبُّسَ، فَقَالَ لَهُ «اتْبَعْنِي». ٤٤ ❖ وَكَانَ فِيلُبُّسُ مِنْ بَيْتَ صَيْدَا[٥]، مَدِينَةِ أَنْدَرَاوُسَ وَبُطْرُسَ. ٤٥ ❖ وَفِيلُبُّسَ وَجَدَ نَثَنَائِيلَ[٦] فَقَالَ لَهُ: «قَدْ وَجَدْنَا الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي الشَّرِيعَةِ[٧]، وَكَذٰلِكَ الأَنْبِيَاءُ[٨]. وَهُوَ يَسُوعُ بْنُ يُوسُفَ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ»[٩]. ٤٦ ❖ قَالَ لَهُ نَثَنَائِيلُ: «أَيُمْكِنُ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ النَّاصِرَةِ شَيْءٌ صَالِحٌ[١٠]؟». فَقَالَ لَهُ فِيلُبُّسُ «تَعَالَ وَانْظُرْ». ٤٧ ❖ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ نَثَنَائِيلَ مُقْبِلاً إِلَيْهِ قَالَ عَنْهُ: «هُوَذَا حَقًّا إِسْرَائِيلِيٌّ لاَ غِشَّ فِيهِ[١١]». ٤٨ ❖ فَقَالَ لَهُ نَثَنَائِيلُ: «مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُنِي؟» أَجَابَ يَسُوعُ

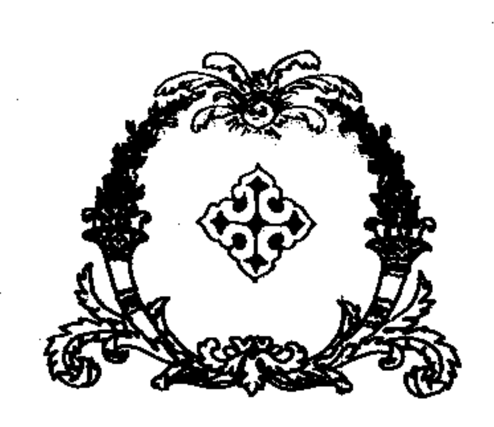
(١) أي الرابعة بعد الظهر بالتوقيت الحديث.
(٢) مت ٤ : ١٨
(٣) يو ٤ : ٢٥
(٤) مت ١٦ : ١٨؛ يو ٢ : ٢٥
(٥) يو ١٢ : ٢١
(٦) يو ٢١ : ٢
(٧) تك ٣ : ١٥؛ ١٧ : ٧؛ ٢٢ : ١٨؛ ٤٩ : ١٠؛ تث ١٨ : ١٨؛ لو ٢٤ : ٢٧
(٨) إش ٤ : ٢؛ ٧ : ١٤؛ ٩ : ٦؛ ٥٣ : ٢؛ مى ٥ : ٢؛ زك ٦ : ١٢؛ ٩ : ٩
(٩) مت ٢ : ٢٣؛ لو ٢ : ٤
(١٠) يو ٧ : ٤١و٥٢
(١١) مز ٣١ : ٢؛ ٧٢ : ١؛ يو ٨ : ٣٩؛ رو ٢ : ٢٨و٢٩؛ ٩ : ٦

وَقَالَ لَهُ : «قَبْلَ أَنْ يَدْعُوَكَ فِيلُبُّسُ، حِينَ كُنْتَ
٤٩ تَحْتَ شَجَرَةِ التِّينِ ، رَأَيْتُكَ» . ❖ فَأَجَابَ
نَثَنائِيلُ وَقَالَ لَهُ : «يَا مُعَلِّمُ أَنْتَ ابْنُ اللهِ[١] . أَنْتَ
٥٠ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ[٢]» . ❖ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ :
لأَنِّي قُلْتُ لَكَ إِنِّي رَأَيْتُكَ تَحْتَ شَجَرَةِ التِّينِ
٥١ آمَنْتَ؟ لَسَوْفَ تَرَى أَعْظَمَ مِنْ هٰذَا» . ❖ ثُمَّ
قَالَ لَهُ : «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ : إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ
السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً[٣] ، وَمَلاَئِكَةَ اللهِ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ
عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ[٤]» .

(١) مت ١٤ : ٣٣
(٢) مت ٢١ : ٥ ، ٢٧ : ١١ و٤٢ ، يو ١٨ : ٣٧ ، ١٩ : ٣
(٣) أش ٦٤ : ١ ، حز ١ : ١ ، ملا ٣ : ١٠
(٤) تك ٢٨ : ١٢ ، دا ٧ : ١٣ ، مت ٤ : ١١ ، لو ٢ : ٩ و١٣ ، ٢٢ : ٤٣ ، ٢٤ : ٤ ، أع ١ : ١٠







الْفَصْلُ الثَّانِي

مُعْجِزَةُ تَحْوِيلِ الْمَاءِ إِلَى خَمْرٍ : ٤

١ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ كَانَ ثَمَّةَ عُرْسٌ فِي قَانَا[١] الْجَلِيلِ. وَكَانَتْ أُمُّ يَسُوعَ هُنَاكَ. ٢ وَكَانَ يَسُوعُ وَتَلاَمِيذُهُ مَدْعُوِّينَ إِلَى الْعُرْسِ[٢] ٣ فَلَمَّا نَفِدَتِ الْخَمْرُ قَالَتْ أُمُّ يَسُوعَ لَهُ : «لَيْسَ لَدَيْهِمْ خَمْرٌ». ٤ فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ : «مَا شَأْنِي يَا سَيِّدَةُ[٣] وَشَأْنُكِ فِي هٰذَا[٤]؟ إِنَّ سَاعَتِي لَمْ تَأْتِ بَعْدُ[٥]». ٥ فَقَالَتْ أُمُّهُ لِلْخَادِمِينَ : «مَايَأْمُرُكُمْ بِهِ فَافْعَلُوهُ». ٦ وَكَانَتْ هُنَاكَ سِتُّ قُدُورٍ مِنَ الْحَجَرِ مَوْضُوعَةً لِلتَّطْهِيرِ وَفْقًا لِسُنَنِ الْيَهُودِ[٦]، يَسَعُ كُلٌّ مِنْهَا بَثَّيْنِ[٧] أَوْ ثَلاَثَةً. ٧ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ :

(١) يش ١٩ : ٢٨ ؛ يو ٤ : ٤٦
(٢) مت ١١ : ١٨و١٩
(٣) يو ١٩ : ٢٦
(٤) ٢. صم ١٦ : ١٠ ؛ ١٩ : ٢٢
(٥) يو ٧ : ٦
(٦) مر ٧ : ٣و٤
(٧) والمفرد منها بث. والبث مكيال يسع نحو ٢٢و٧٥ لتر.

«امْلأُوا الْقُدُورَ مَاءً» ، فَمَلأُوهَا إِلَى أَعْلاَهَا .
٨ ❖ فَقَالَ لَهُمْ : «اغْتَرِفُوا الآنَ وَقَدِّمُوا إِلَى رَئِيسِ الْوَلِيمَةِ» فَقَدَّمُوا . ٩ ❖ فَلَمَّا ذَاقَ رَئِيسُ الْوَلِيمَةِ الْمَاءَ الَّذِي تَحَوَّلَ إِلَى خَمْرٍ[1] ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هُوَ ، وَإِنْ كَانَ الْخَادِمُونَ الَّذِينَ جَلَبُوا الْمَاءَ يَعْرِفُونَ ، دَعَا رَئِيسُ الْوَلِيمَةِ الْعَرِيسَ ، ١٠ ❖ وَقَالَ لَهُ : «كُلُّ إِنْسَانٍ يُقَدِّمُ لِلْمَدْعُوِّينَ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ أَوَّلاً ، حَتَّى إِذَا سَكِرُوا قَدَّمَ لَهُمْ مَا هُوَ دُونَهَا جَوْدَةً . أَمَّا أَنْتَ فَأَبْقَيْتَ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ إِلَى الآنَ» . ١١ ❖ وَقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ هِيَ الْمُعْجِزَةُ الأُولَى الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ فِي قَانَا الْجَلِيلِ ، وَأَظْهَرَ مَجْدَهُ[2] . فَآمَنَ بِهِ تَلاَمِيذُهُ .

(١) يو ٤ : ٤٦
(٢) يو ١ : ١٤
(٣) مت ١٣ : ٤٦
(٤) خر ١٢ : ١٤ ؛ تث ١٦ : ١ و١٦ ؛ يو ٢ : ٢٣ ؛ ٥ : ١ ؛ ٦ : ٤ ؛ ١١ : ٥٥

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُطَهِّرُ الْهَيكَلَ مِنْ بَاعَةِ الْمَاشِيَةِ وَالصَّيارِفَةِ : [٥]

١٢ ❖ وَبَعْدَ هٰذَا نَزَلَ إِلَى كَفْرَنَاحُومَ ، هُوَ وَأُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ[3] وَتَلاَمِيذُهُ ، وَأَقَامُوا هُنَاكَ أَيَّامًا غَيْرَ كَثِيرَةٍ . ١٣ ❖ وَكَانَ فِصْحُ الْيَهُودِ[4] قَدِ اقْتَرَبَ ، فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ . ١٤ ❖ وَوَجَدَ فِي الْهَيْكَلِ بَاعَةَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْحَمَامِ ، وَالصَّيارِفَةَ جَالِسِينَ إِلَى مَنَاضِدِهِمْ[5] ، ١٥ ❖ فَصَنَعَ سَوْطًا مِنْ حِبَالٍ ،

(٥) مت ٢١ : ١٢ ؛ مر ١١ : ١٥ ؛ لو ١٩ : ٤٥

وَطَرَدَهُمْ جَميعًا مِنَ الْهَيْكَلِ مَعَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ ، وَكَبَّ نُقُودَ الصَّيارِفَةِ وَقَلَبَ مَنَاضِدَهُمْ . ١٦ ❖ وَقَالَ لِباعَةِ الْحَمامِ : ارْفَعُوا هٰذِهِ مِنْ هُنا ، وَلاَ تَجْعَلُوا بَيْتَ أَبِي[١] بَيْتَ تِجارَةٍ» . ١٧ ❖ فَتَذَكَّرَ[٣] تَلاَمِيذُهُ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ : «إِنَّ الْغَيْرَةَ عَلَى بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي[٢]» . ١٨ ❖ فَأَجابَ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ : «أَيَّةَ آيَةٍ تُرِينا[٣] حَتَّى تَفْعَلَ هٰذا ؟» ١٩ ❖ أَجابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ : انْقُضُوا هٰذَا الْهَيْكَلَ وَأَنا فِي ثَلاثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ»[٤] . ٢٠ ❖ فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ : «فِي سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هٰذَا الْهَيْكَلُ ، أَفَتُقِيمُهُ أَنْتَ فِي ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ؟» . ٢١ ❖ وَلٰكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ[٥] . ٢٢ ❖ فَلَمَّا قَامَ مِنْ بَيْنِ الأَمْواتِ تَذَكَّرَ تَلاَمِيذُهُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ هٰذا[٦] ، فَآمَنُوا بِالْكِتابِ وَبِالْكَلِمَةِ الَّتِي قَالَها يَسُوعُ .

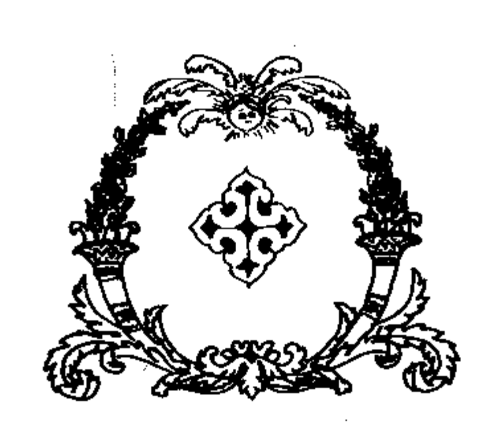
(١) لو ٢ : ٤٩
(٢) مز ٦٨ : ٩
(٣) تث ١٣ : ١ – ٣ ، ١٨ : ٢١ و٢٢ ، مت ١٢ : ٣٨ ، يو ٦ : ٣٠
(٤) مت ٢٦ : ٦١ ، ٢٧ : ٤٠ ، مر ١٤ : ٥٨ ، ١٥ : ٢٩
(٥) ١ كو ٣ : ١٦ ، ٦ : ١٩ ، ٢ كو ٦ : ١٦ ، كو ٢ : ٩ ، عب ٨ : ٢
(٦) لو ٢٤ : ٨

إيمانُ كَثيرينَ مِنَ الْيَهُودِ بالسَّيِّدِ المَسيحِ :

٢٣ ❖ وَلَمَّا كَانَ فِي أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ ، آمَنَ كَثِيرُونَ بِاسْمِهِ ، حِينَ رَأَوُا الْمُعْجِزاتِ الَّتِي صَنَعَها . ٢٤ ❖ وَلٰكِنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ يَأْمَنُهُمْ ، لأَنَّهُ كَانَ عارِفًا بِكُلِّ أَحَدٍ ، ٢٥ ❖ وَلَمْ يَكُنْ بِحاجَةٍ لأَنْ

يُخْبِرَهُ أَحَدٌ عَنِ الإِنْسَانِ ، لأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ مَا فِى الإِنْسَانِ[1] .

(١) ١. صم ١٦ : ٧؛ ١. أى ٢٨ : ٩؛ مت ٩ : ٤؛ مر ٢ : ٨؛ يو ٦ : ٦٤؛ ١٦ : ٣٠؛ أع ١ : ٢٤؛ رؤ ٢ : ٢٣



الْفَصْلُ الثَّالِثُ

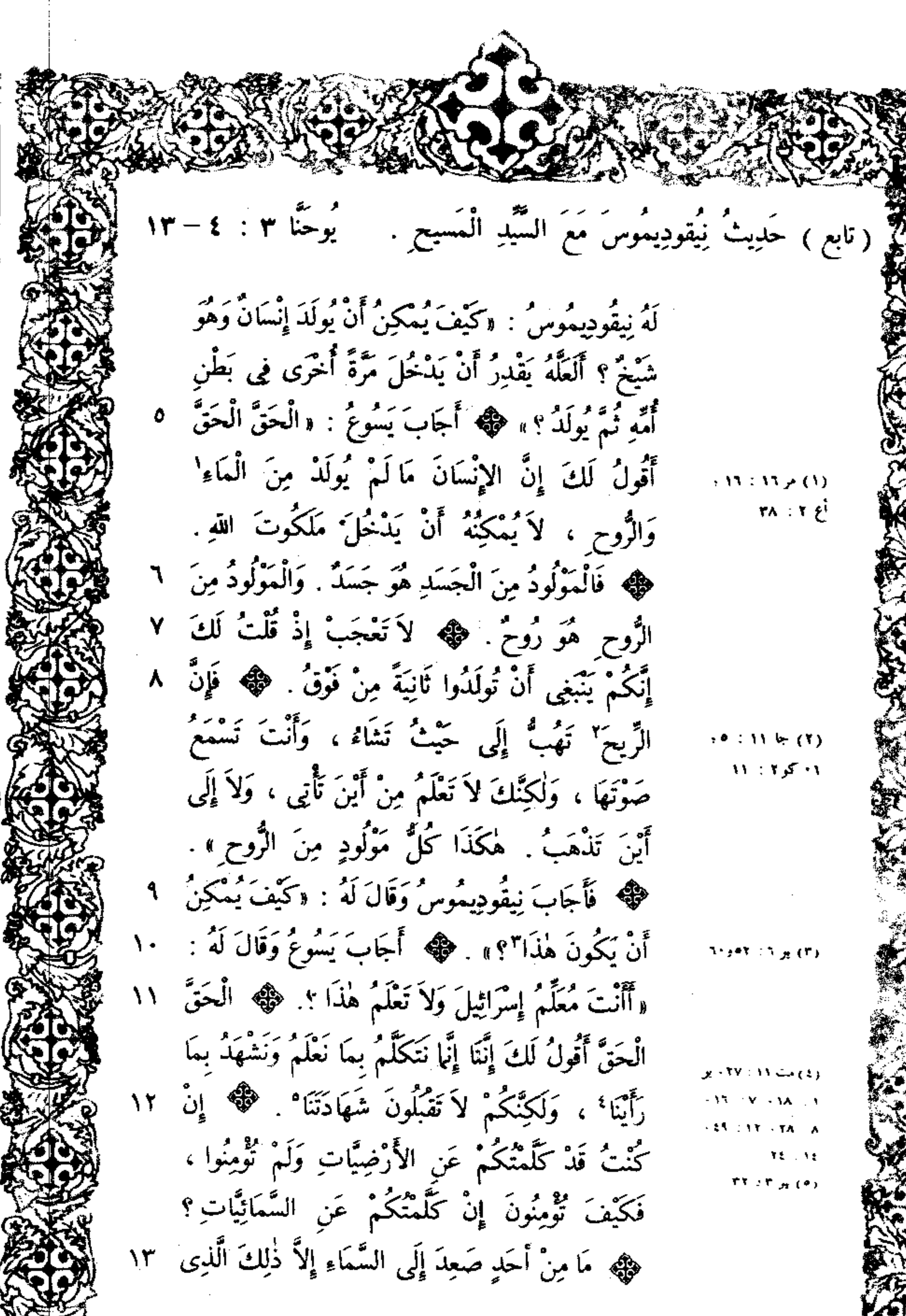
(٢) يو ٧ : ٥٠؛ ١٢ : ٤٢؛ ١٩ : ٣٩

(٣) يو ٩ : ١٦ و٣٣؛ أع ٢ : ٢٢؛ ١٠ : ٣٨

[٦] حَدِيثُ نِيقُودِيمُوسَ مَعَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ :

١ وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ اسْمُهُ نِيقُودِيمُوسُ ، مِنْ رُؤَسَاءِ الْيَهُودِ . ٢ جَاءَ إِلَى يَسُوعَ لَيْلاً[2] وَقَالَ لَهُ : «يَا مُعَلِّمُ نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ جِئْتَ مِنَ اللهِ مُعَلِّمًا ، لأَنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ يَقْدِرُ أَنْ يَصْنَعَ هٰذِهِ الآيَاتِ الَّتِى أَنْتَ تَصْنَعُ ، مَا لَمْ يَكُنِ اللهُ مَعَهُ[3]» . ٣ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ : الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ إِنَّ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يُولَدْ ثَانِيَةً[4] مِنْ فَوْقُ[4] لاَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ» . ٤ فَقَالَ

(٤) يو ١ : ١٣؛ غل ٦ : ١٥؛ أف ٥ : ٢٦؛ تيطس ٣ : ٥؛ يع ١ : ١٨؛ ١. بط ١ : ٢٣؛ ١. يو ٣ : ٩.



لَهُ نِيقُودِيمُوسُ : «كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يُولَدَ إِنْسَانٌ وَهُوَ شَيْخٌ ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَرَّةً أُخْرَى فِي بَطْنِ أُمِّهِ ثُمَّ يُولَدُ ؟» ٥ ❖ أَجَابَ يَسُوعُ : «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ إِنَّ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يُولَدْ مِنَ الْمَاءِ[١] وَالرُّوحِ ، لاَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ . ٦ ❖ فَالْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ هُوَ جَسَدٌ . وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ . ٧ ❖ لاَ تَعْجَبْ إِذْ قُلْتُ لَكَ إِنَّكُمْ يَنْبَغِي أَنْ تُولَدُوا ثَانِيَةً مِنْ فَوْقُ . ٨ ❖ فَإِنَّ الرِّيحَ[٢] تَهُبُّ إِلَى حَيْثُ تَشَاءُ ، وَأَنْتَ تَسْمَعُ صَوْتَهَا ، وَلٰكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي ، وَلاَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ . هٰكَذَا كُلُّ مَوْلُودٍ مِنَ الرُّوحِ» .
٩ ❖ فَأَجَابَ نِيقُودِيمُوسُ وَقَالَ لَهُ : «كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هٰذَا[٣] ؟» . ١٠ ❖ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ : «أَأَنْتَ مُعَلِّمُ إِسْرَائِيلَ وَلاَ تَعْلَمُ هٰذَا ؟ . ١١ ❖ الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ إِنَّنَا إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ بِمَا نَعْلَمُ وَنَشْهَدُ بِمَا رَأَيْنَا[٤] ، وَلٰكِنَّكُمْ لاَ تَقْبَلُونَ شَهَادَتَنَا[٥] . ١٢ ❖ إِنْ كُنْتُ قَدْ كَلَّمْتُكُمْ عَنِ الأَرْضِيَّاتِ وَلَمْ تُؤْمِنُوا ، فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ إِنْ كَلَّمْتُكُمْ عَنِ السَّمَائِيَّاتِ ؟
١٣ ❖ مَا مِنْ أَحَدٍ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ ذٰلِكَ الَّذِي

(١) مر ١٦ : ١٦ ؛ أع ٢ : ٣٨

(٢) جا ١١ : ٥ ؛ ١ كو ٢ : ١١

(٣) يو ٦ : ٥٢ و ٦٠

(٤) مت ١١ : ٢٧ ؛ يو ١ : ١٨ ؛ ٧ : ١٦ ؛ ٨ : ٢٨ ؛ ١٢ : ٤٩ ؛ ١٤ : ٢٤

(٥) يو ٣ : ٣٢

نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ[1] : ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِى هُوَ فِى السَّمَاءِ[2] . ١٤ ❖ وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِى الْبَرِّيَّةِ[3] ، هٰكَذَا يَنْبَغِى أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ[4] ، ١٥ ❖ لِكَىْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ، وَإِنَّمَا يَنَالُ الْحَيَاةَ[5] الأَبَدِيَّةَ . ١٦ ❖ لأَنَّهُ إِلَى هٰذَا الْمَدَى أَحَبَّ اللهُ[6] الْعَالَمَ حَتَّى إِنَّهُ بَذَلَ[7] ابْنَهُ الْوَحِيدَ ، لِكَىْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ، وَإِنَّمَا يَنَالُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ . ١٧ ❖ لأَنَّ اللهَ لَمْ يُرْسِلِ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ ، وَإِنَّمَا لِيُخَلِّصَ بِهِ الْعَالَمَ[8] . ١٨ ❖ فَالَّذِى يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ[9] . وَأَمَّا الَّذِى لاَ يُؤْمِنُ بِهِ فَقَدْ أُدِينَ ، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ . ١٩ ❖ وَهٰذِهِ هِىَ الدَّيْنُونَةُ : أَنَّ النُّورَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ[10] ، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ ، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً . ٢٠ ❖ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ يَفْعَلُ الشَّرَّ يُبْغِضُ النُّورَ[11] ، وَلاَ يُقْبِلُ إِلَى النُّورِ ، لِئَلاَّ تَفْتَضِحَ أَعْمَالُهُ الشِّرِّيرَةُ وَتُوَبَّخَ . ٢١ ❖ وَأَمَّا مَنْ يَفْعَلُ الْحَقَّ[12] فَإِنَّهُ يُقْبِلُ إِلَى النُّورِ ، لِكَىْ يَظْهَرَ أَنَّ أَعْمَالَهُ إِنَّمَا أَتَاهَا فِى اللهِ» .

يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ يَشْهَدُ لِلسَّيِّدِ الْمَسِيحِ مَرَّةً أُخْرَى : ٧

٢٢ ❖ وَبَعْدَ ذٰلِكَ جَاءَ يَسُوعُ وَتَلاَمِيذُهُ إِلَى أَرْضِ

(١) أم ٣٠ : ٤ ، يو ٦ : ٣٣ و٣٨ و٥١ و٦٢ ، ١٦ : ٢٨ ، أع ٢ : ٣٤ ، ١ كو ١٥ : ٤٧ ، أف ٤ : ٩ و١٠
(٢) يو ١ : ١٨
(٣) عد ٢١ : ٩
(٤) يو ٨ : ٢٨ ، ١٢ : ٣٢
(٥) يو ٣ : ٣٦ ، ٦ : ٤٧
(٦) رو ٥ : ٨ ، ١ يو ٤ : ٩
(٧) أى أعطى وجاد ووهب عن طيب نفس.
(٨) لو ٩ : ٥٦ ، يو ٥ : ٤٥ ، ٨ : ١٥ ، ١٢ : ٤٧ ، ١ يو ٤ : ١٤
(٩) يو ٥ : ٢٤ ، ٦ : ٤٠ و٤٧ ، ٢٠ : ٣١
(١٠) يو ١ : ٤ و٩ و١٠ و١١ ، ٨ : ١٢
(١١) أع ٢٤ : ١٣ ، ١٧ أفسس ٥ : ١٣
(١٢) مز ١٤ : ٢ ، لو ٨ : ١٥

الْيَهُودِيَّةِ، وَمَكَثَ هُنَاكَ مَعَهُمْ يُعَمِّدُ[١].

٢٣ ❁ وَكَانَ يُوحَنَّا أَيْضًا يُعَمِّدُ فِي عَيْنِ نُونٍ، بِالْقُرْبِ مِنْ سَالِيمَ[٢]، إِذْ كَانَتِ الْمِيَاهُ كَثِيرَةً، فَكَانُوا يَأْتُونَ وَيَعْتَمِدُونَ[٣].

٢٤ ❁ لأَنَّ يُوحَنَّا لَمْ يَكُنْ بَعْدُ قَدْ أُلْقِيَ بِهِ فِي السِّجْنِ[٤].

٢٥ ❁ وَقَدْ جَرَتْ بَيْنَ تَلاَمِيذِ يُوحَنَّا وَبَعْضِ الْيَهُودِ مُجَادَلَةٌ بِشَأْنِ التَّطْهِيرِ.

٢٦ ❁ فَجَاءُوا إِلَى يُوحَنَّا وَقَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، إِنَّ الَّذِي كَانَ مَعَكَ فِي عِبْرِ الأُرْدُنِّ، ذٰلِكَ الَّذِي شَهِدْتَ لَهُ[٥]، هُوَذَا يُعَمِّدُ، وَالْجَمِيعُ يُقْبِلُونَ إِلَيْهِ».

٢٧ ❁ فَأَجَابَ يُوحَنَّا وَقَالَ: لاَ يَسْتَطِيعُ الإِنْسَانُ أَنْ يَنَالَ شَيْئًا مَالَمْ يُعْطَاهُ مِنَ السَّمَاءِ[٦].

٢٨ ❁ أَنْتُمْ أَنْفُسُكُمْ تَشْهَدُونَ بِأَنِّي قُلْتُ إِنَّنِي لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ[٧]، وَإِنَّمَا أَنَا مُرْسَلٌ أَمَامَهُ[٨].

٢٩ ❁ إِنَّ الَّذِي لَهُ الْعَرُوسُ فَهُوَ الْعَرِيسُ[٩]. وَأَمَّا صَدِيقُ الْعَرِيسِ[١٠] الَّذِي يَقِفُ وَيَسْمَعُهُ فَفَرَحًا يَفْرَحُ لِصَوْتِ الْعَرِيسِ. وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ فَرَحِي قَدِ اكْتَمَلَ.

٣٠ ❁ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَزْدَادَ هُوَ. أَمَّا أَنَا فَأَنْقُصُ.

٣١ ❁ إِنَّ الَّذِي يَأْتِي مِنْ فَوْقُ[١١]، هُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ[١٢]. وَالَّذِي مِنَ الأَرْضِ هُوَ أَرْضِيٌّ[١٣]،

(١) يو ٤ : ٢
(٢) ١. صم ٩ : ٤
(٣) مت ٣ : ٥ و٦
(٤) مت ١٤ : ٣
(٥) يو ١ : ٧ و١٥ و٢٧ و٣٤
(٦) ١. كو ٤ : ٧ ـ عب ٥ : ٤ ـ يع ١ : ١٧
(٧) يو ١ : ٢٠ و٢٧
(٨) ملا ٣ : ١ ـ مر ١ : ٢ ـ لو ١ : ١٧
(٩) مت ٢٢ : ٢ ـ ٢. كو ١١ : ٢ ـ أف ٥ : ٢٥ و٢٧ ـ رؤ ٢١ : ٩
(١٠) نش ٥ : ١
(١١) يو ٣ : ١٣ ـ ٨ : ٢٣
(١٢) مت ٢٨ : ١٨ ـ يو ١ : ١٥ و٢٧ ـ رو ٩ : ٥
(١٣) ١. كو ١٥ : ٤٧

وَمِنَ الأَرْضِ يَتَكَلَّمُ . أَمَّا الَّذِي يَأْتِي مِنَ السَّمَاءِ

٣٢ فَهُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ [١] . ❖ وَمَا رَآهُ وَمَا سَمِعَهُ هُوَ

٣٣ الَّذِي بِهِ يَشْهَدُ [٢] . ❖ وَلَكِنَّ أَحَدًا لاَ يَقْبَلُ

شَهَادَتَهُ . وَكُلُّ مَنْ قَبِلَ شَهَادَتَهُ فَقَدْ أَقَرَّ [٣] بِأَنَّ اللهَ

٣٤ حَقٌّ [٤] ، ❖ لأَنَّ ذَلِكَ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ إِنَّمَا

بِكَلاَمِ اللهِ يَتَكَلَّمُ [٥] . فَإِنَّ اللهَ يُعْطِيهِ الرُّوحَ بِغَيْرِ

٣٥ مِقْدَارٍ [٦] . ❖ إِنَّ الآبَ يُحِبُّ الابْنَ ، وَقَدْ جَعَلَ

٣٦ فِي يَدِهِ كُلَّ شَيْءٍ [٧] ، ❖ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِالابْنِ فَلَهُ

الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ [٨] . وَمَنْ لاَ يُؤْمِنْ بِالابْنِ فَلَنْ يَرَى

الْحَيَاةَ ، وَإِنَّمَا يَحِلُّ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ» .

(١) يو ٦ : ٣٣ ؛ ١. كو ١٥ : ٤٧ ؛ أف ١ : ٢١ ؛ ق ٢ : ٩

(٢) يو ٣ : ١١ ، ٨ : ٢٦ ؛ ١٥ : ١٥

(٣) حرفيا ختم بخمه

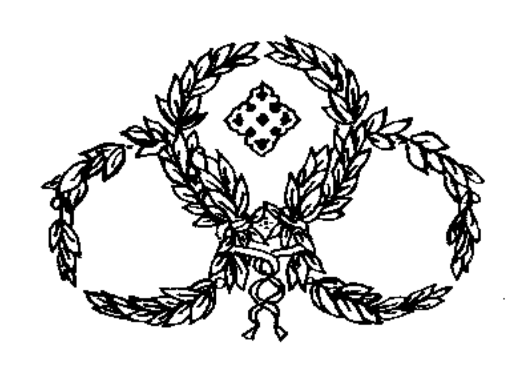
(٤) رو ٣ : ٤ ؛ ١ يو ٥ : ١٠

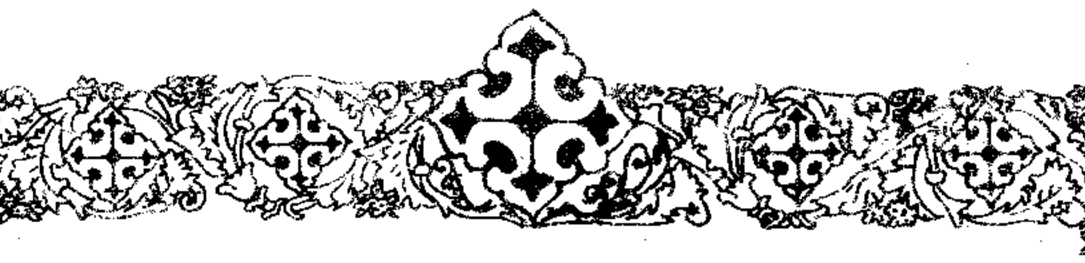
(٥) يو ٧ : ١٦

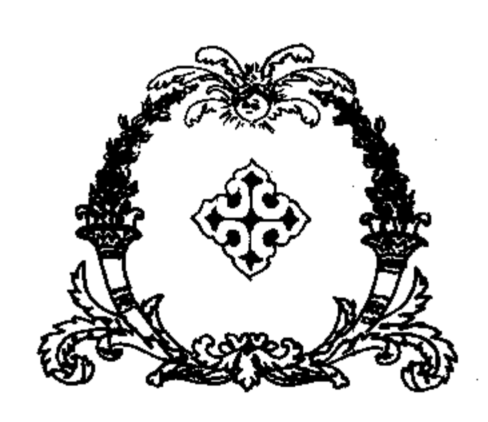
(٦) يو ١ : ١٦

(٧) مت ١١ : ٢٧ ؛ ٢٨ : ١٨ ؛ لو ١٠ : ٢٢ ؛ يو ٥ : ٢٠ و ٢٢ ؛ ١٣ : ٣ ؛ ١٧ : ٢ ؛ عب ٢ : ٨

(٨) حب ٢ : ٤ ؛ يو ١ : ١٢ ؛ ٣ : ١٥ و ١٦ ؛ ٦ : ٤٧ ؛ رو ١ : ١٧ ؛ ١ يو ٥ : ١٠





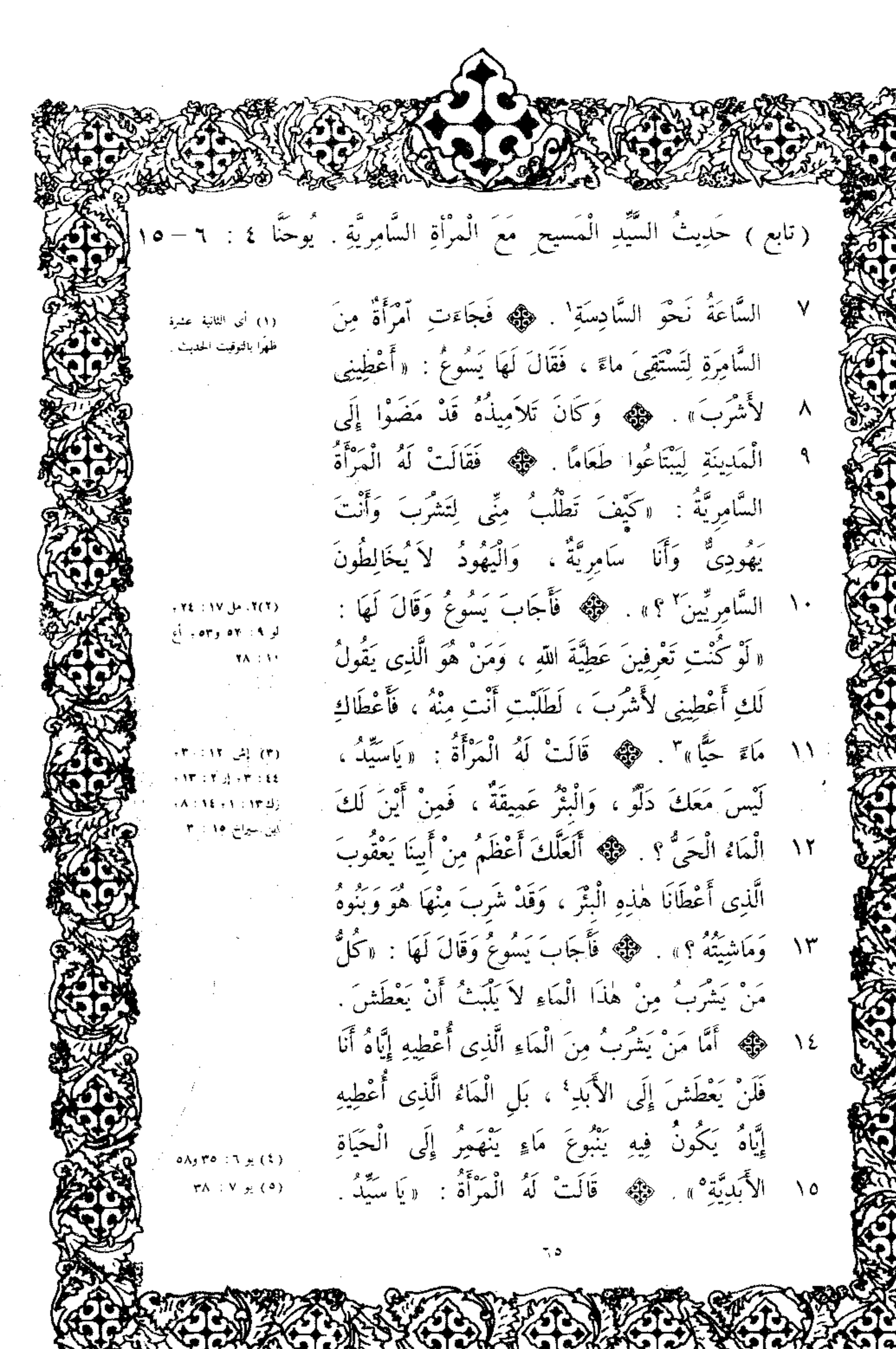


الْفَصْلُ الرَّابِعُ

٨ حَدِيثُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ مَعَ الْمَرْأَةِ السَّامِرِيَّةِ :

١ ❖ وَلَمَّا عَلِمَ الرَّبُّ يَسُوعُ أَنَّ الْفَرِّيسِيِّينَ سَمِعُوا أَنَّهُ اتَّخَذَ تَلاَمِيذَ كَثِيرِينَ ، وَأَنَّهُ يُعَمِّدُ[1] أَكْثَرَ مِنْ يُوحَنَّا . ٢ ❖ مَعْ أَنَّ يَسُوعَ نَفْسَهُ لَمْ يَكُنْ يُعَمِّدُ[2] وَإِنَّمَا تَلاَمِيذُهُ . ٣ ❖ غَادَرَ الْيَهُودِيَّةَ وَمَضَى ثَانِيَةً إِلَى الْجَلِيلِ . ٤ ❖ وَكَانَ يَتَحَتَّمُ أَنْ يَمُرَّ فِي طَرِيقِهِ بِالسَّامِرَةِ . ٥ ❖ وَمِنْ ثَمَّ أَتَى إِلَى مَدِينَةٍ مِنْ مُدُنِ السَّامِرَةِ ، كَانَتْ تُسَمَّى سُوخَارَ[3] ، بِالْقُرْبِ مِنَ الضَّيْعَةِ الَّتِي وَهَبَهَا يَعْقُوبُ لاِبْنِهِ يُوسُفَ[4] . ٦ ❖ وَكَانَتْ هُنَاكَ بِئْرُ[5] يَعْقُوبَ . وَإِذْ كَانَ يَسُوعُ قَدْ أَتْعَبَهُ الْمَسِيرُ، جَلَسَ مِنْ ثَمَّ عِنْدَ الْبِئْرِ وَكَانَتْ

(١) يو ٣ : ٢٢ و٢٦
(٢) ١ . كو ١ : ١٤ - ١٧
(٣) قض ٩ : ٧ و٤٦ ، ١ . مل ١٢ : ٢٥ ، إش ٢٨ : ١
(٤) تك ٢٣ : ١٩ ، ٤٨ : ٢٢ ، يش ٢٤ : ٣٢
(٥) حرفيا : عين ماء



٧ السَّاعَةُ نَحْوَ السَّادِسَةِ[١]. ❖ فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ مِنَ السَّامِرَةِ لِتَسْتَقِيَ مَاءً، فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَعْطِينِي لأَشْرَبَ». ٨ ❖ وَكَانَ تَلاَمِيذُهُ قَدْ مَضَوْا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَبْتَاعُوا طَعَامًا. ٩ ❖ فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ السَّامِرِيَّةُ: «كَيْفَ تَطْلُبُ مِنِّي لِتَشْرَبَ وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ وَأَنَا سَامِرِيَّةٌ، وَالْيَهُودُ لاَ يُخَالِطُونَ السَّامِرِيِّينَ[٢]؟». ١٠ ❖ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «لَوْ كُنْتِ تَعْرِفِينَ عَطِيَّةَ اللهِ، وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَقُولُ لَكِ أَعْطِينِي لأَشْرَبَ، لَطَلَبْتِ أَنْتِ مِنْهُ، فَأَعْطَاكِ مَاءً حَيًّا»[٣]. ١١ ❖ قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «يَاسَيِّدُ، لَيْسَ مَعَكَ دَلْوٌ، وَالْبِئْرُ عَمِيقَةٌ، فَمِنْ أَيْنَ لَكَ الْمَاءُ الْحَيُّ؟. ١٢ ❖ أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِينَا يَعْقُوبَ الَّذِي أَعْطَانَا هٰذِهِ الْبِئْرَ، وَقَدْ شَرِبَ مِنْهَا هُوَ وَبَنُوهُ وَمَاشِيَتُهُ؟». ١٣ ❖ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هٰذَا الْمَاءِ لاَ يَلْبَثُ أَنْ يَعْطَشَ. ١٤ ❖ أَمَّا مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ إِيَّاهُ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ[٤]، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ إِيَّاهُ يَكُونُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْهَمِرُ إِلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ[٥]». ١٥ ❖ قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «يَا سَيِّدُ.

(١) أي الثانية عشرة ظهرًا بالتوقيت الحديث.

(٢) ٢مل ١٧ : ٢٤، لو ٩ : ٥٢ و٥٣، أع ١٠ : ٢٨

(٣) إش ١٢ : ٣، ٤٤ : ٣، إر ٢ : ١٣، زك ١٣ : ١، ١٤ : ٨، ابن سيراخ ١٥ : ٣

(٤) يو ٦ : ٣٥ و٥٨

(٥) يو ٧ : ٣٨

أَعْطِنِي هٰذَا الْمَاءَ[١] لِكَيْلاَ أَعْطَشَ وَلاَ أَجِيءَ إِلَى هُنَا لأَسْتَقِيَ». ❖ ١٦ فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «اذْهَبِي وَاسْتَدْعِي زَوْجَكِ وَتَعَالَيْ إِلَى هُنَا». ❖ ١٧ أَجَابَتِ الْمَرْأَةُ وَقَالَتْ لَهُ: «لَيْسَ لِي زَوْجٌ». فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَحْسَنْتِ إِذْ قُلْتِ لَيْسَ لِي زَوْجٌ، ❖ ١٨ لأَنَّهُ كَانَ لَكِ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ، وَالَّذِي مَعَكِ الآنَ لَيْسَ زَوْجَكِ. فِي قَوْلِكِ هٰذَا صَدَقْتِ». ❖ ١٩ فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «يَا سَيِّدُ. أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ[٢]. ❖ ٢٠ لَقَدْ كَانَ آبَاؤُنَا يَسْجُدُونَ فِي هٰذَا الْجَبَلِ[٣]، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي فِيهِ السُّجُودُ[٤]». ❖ ٢١ قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ صَدِّقِينِي إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا لاَ فِي هٰذَا الْجَبَلِ وَلاَ فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ[٥]. ❖ ٢٢ أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَنْ لاَ تَعْرِفُونَ[٦]، وَأَمَّا نَحْنُ، فَنَسْجُدُ لِمَنْ نَعْرِفُ، لأَنَّ الْخَلاَصَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْيَهُودِ[٧]. ❖ ٢٣ وَلٰكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَقَدْ أَتَتِ الآنَ، حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ[٨] وَالْحَقِّ[٩]. لأَنَّ الآبَ يَبْتَغِي مِثْلَ هٰؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. ❖ ٢٤ فَإِنَّ اللهَ رُوحٌ[١٠]،

(١) يو ٦ : ٣٤ ، ١٧ : ٢و٣؛ رو ٦ : ٢٣؛ ١. يو ٥ : ٢٠
(٢) لو ٧ : ١٦ ، ٢٤ : ١٩؛ يوحنا ٦ : ١٤، ٧ : ٤٠
(٣) قض ٩ : ٧
(٤) تث ١٢ : ٥ و١١؛ ١. مل ٩ : ٣؛ ٢. أي ٧ : ١٢
(٥) ملا ١ : ١١؛ ١. تي ٢ : ٨
(٦) ٢. مل ١٧ : ٢٩
(٧) إش ٢ : ٣؛ لو ٢٤ : ٤٧؛ رو ٣ : ١و٢، ٩ : ٤و٥
(٨) في ٣ : ٣
(٩) مز ١٤٤ : ١٨؛ يو ١ : ١٧
(١٠) ٢. كو ٣ : ١٧

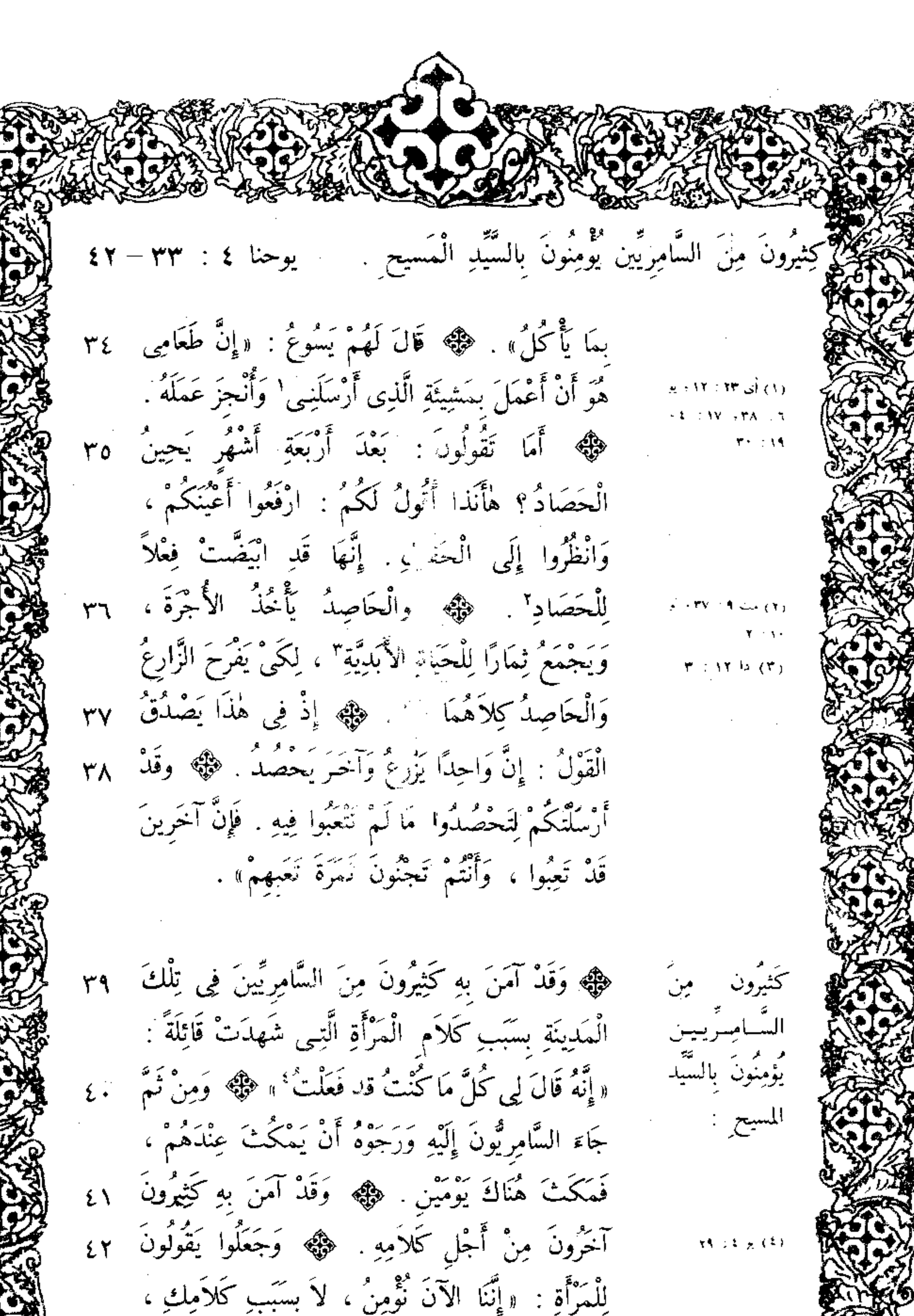
وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ
٢٥ يَسْجُدُوا[١] » ❖ قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ : « نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ
مَسِيًّا الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ آتٍ ، فَمَتَى أَتَى
٢٦ فَسَيُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ[٢] » ❖ فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ : « أَنَا
الَّذِي أُكَلِّمُكِ هُوَ[٣] » .

٢٧ ❖ وَعِنْدَ ذٰلِكَ جَاءَ تَلاَمِيذُهُ فَتَعَجَّبُوا إِذْ رَأَوْهُ
يَتَكَلَّمُ مَعَ امْرَأَةٍ وَلٰكِنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَقُلْ مَاذَا
تَطْلُبُ ؟ أَوْ لِمَاذَا تَتَكَلَّمُ مَعَهَا ؟

٢٨ ❖ أَمَّا الْمَرْأَةُ فَتَرَكَتْ جَرَّتَهَا وَانْطَلَقَتْ إِلَى
٢٩ الْمَدِينَةِ ، وَقَالَتْ لِلنَّاسِ : ❖ « هَلُمُّوا انْظُرُوا
ذٰلِكَ الرَّجُلَ الَّذِي قَالَ لِي كُلَّ شَيْءٍ فَعَلْتُ[٤] .
٣٠ أَيَكُونُ هٰذَا هُوَ الْمَسِيحَ ؟ » . ❖ فَخَرَجُوا مِنَ
الْمَدِينَةِ وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ .

٣١ ❖ وَفِي هٰذِهِ الأَثْنَاءِ طَلَبَ إِلَيْهِ تَلاَمِيذُهُ
٣٢ قَائِلِينَ : « يَا مُعَلِّمُ قُمْ تَنَاوَلِ الطَّعَامَ » . ❖ فَقَالَ
لَهُمْ : « إِنَّ لِي طَعَامًا آكُلُهُ لاَ تَعْرِفُونَهُ أَنْتُمْ » .
٣٣ ❖ فَقَالَ تَلاَمِيذُهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ : « أَلَعَلَّ أَحَدًا جَاءَهُ

(١) أخ ٧ : ٤٨ ؛ ١٧ : ٢٥ ؛ يه : ٢٠
(٢) يو ٤ : ٢٩و٣٩
(٣) مت ٢٦ : ٦٣ ؛ مر ١٤ : ٦١و٦٢ ؛ يو ٩ : ٣٧
(٤) يو ٤ : ٢٥



بِمَا يَأْكُلُ» . ❖ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : «إِنَّ طَعَامِي هُوَ أَنْ أَعْمَلَ بِمَشِيئَةِ الَّذِي أَرْسَلَنِي[1] وَأُنْجِزَ عَمَلَهُ . ❖ أَمَا تَقُولُونَ : بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ يَحِينُ الْحَصَادُ ؟ هَأَنَذَا أَقُولُ لَكُمْ : ارْفَعُوا أَعْيُنَكُمْ ، وَانْظُرُوا إِلَى الْحُقُولِ . إِنَّهَا قَدِ ابْيَضَّتْ فِعْلاً لِلْحَصَادِ[2] . ❖ وَالْحَاصِدُ يَأْخُذُ الأُجْرَةَ ، وَيَجْمَعُ ثِمَارًا لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ[3] ، لِكَيْ يَفْرَحَ الزَّارِعُ وَالْحَاصِدُ كِلاَهُمَا . ❖ إِذْ فِي هٰذَا يَصْدُقُ الْقَوْلُ : إِنَّ وَاحِدًا يَزْرَعُ وَآخَرَ يَحْصُدُ . ❖ وَقَدْ أَرْسَلْتُكُمْ لِتَحْصُدُوا مَا لَمْ تَتْعَبُوا فِيهِ . فَإِنَّ آخَرِينَ قَدْ تَعِبُوا ، وَأَنْتُمْ تَجْنُونَ ثَمَرَةَ تَعَبِهِمْ» . (٣٤–٣٨)

(١) أي ٢٣ : ١٢ ؛ يو ٦ : ٣٨ ، ١٧ : ٤ ، ١٩ : ٣٠

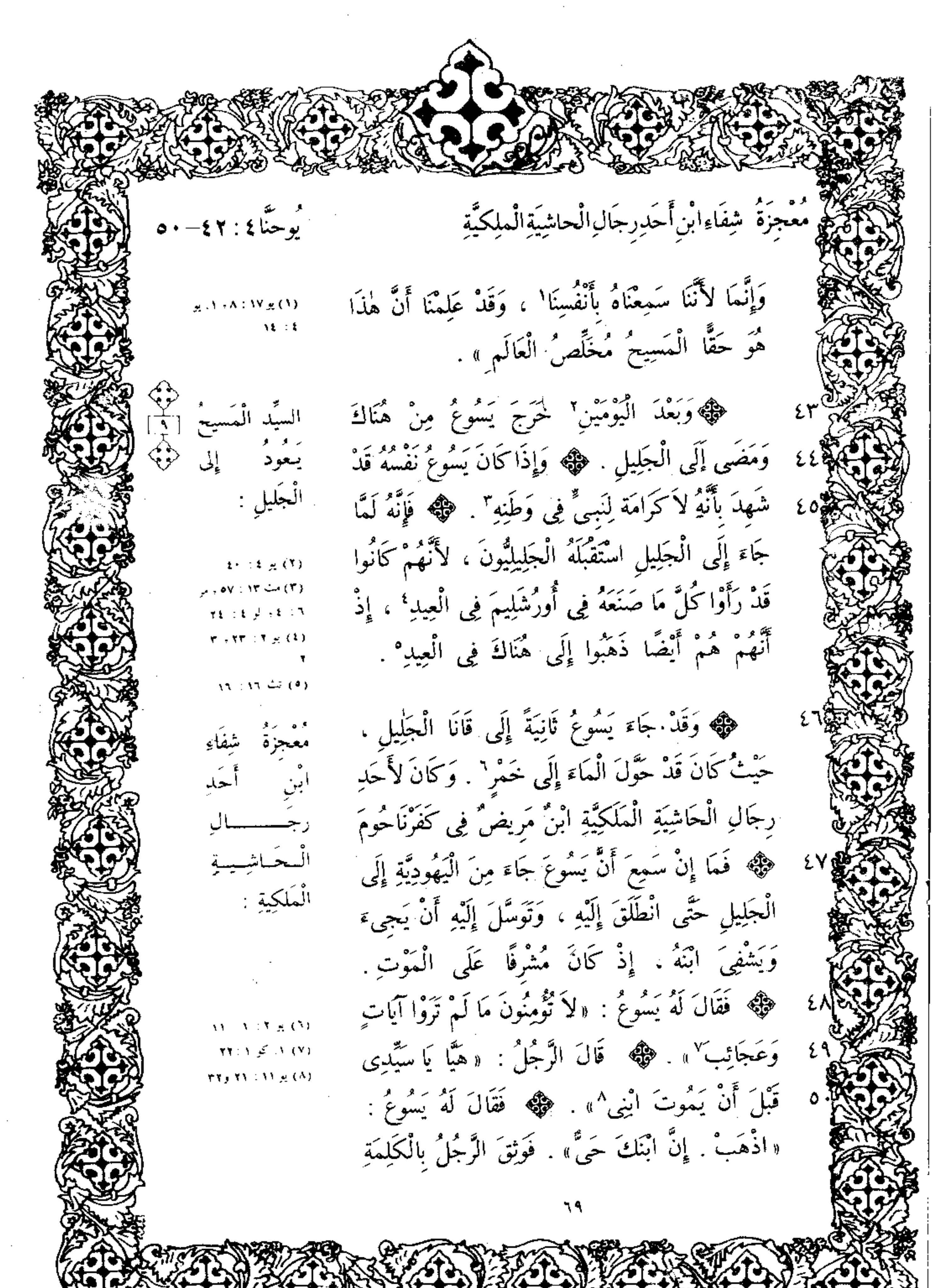
(٢) مت ٩ : ٣٧ ، لو ١٠ : ٢

(٣) دا ١٢ : ٣

كَثِيرُونَ مِنَ السَّامِرِيِّينَ يُؤْمِنُونَ بِالسَّيِّدِ الْمَسِيحِ :

٣٩ ❖ وَقَدْ آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ مِنَ السَّامِرِيِّينَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِسَبَبِ كَلاَمِ الْمَرْأَةِ الَّتِي شَهِدَتْ قَائِلَةً : «إِنَّهُ قَالَ لِي كُلَّ مَا كُنْتُ قَدْ فَعَلْتُ[4]» ❖ ٤٠ وَمِنْ ثَمَّ جَاءَ السَّامِرِيُّونَ إِلَيْهِ وَرَجَوْهُ أَنْ يَمْكُثَ عِنْدَهُمْ ، فَمَكَثَ هُنَاكَ يَوْمَيْنِ . ❖ ٤١ وَقَدْ آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ آخَرُونَ مِنْ أَجْلِ كَلاَمِهِ . ❖ ٤٢ وَجَعَلُوا يَقُولُونَ لِلْمَرْأَةِ : «إِنَّنَا الآنَ نُؤْمِنُ ، لاَ بِسَبَبِ كَلاَمِكِ ،

(٤) يو ٤ : ٢٩



وَإِنَّمَا لأَنَّنَا سَمِعْنَاهُ بِأَنْفُسِنَا[١] ، وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ هٰذَا هُوَ حَقًّا الْمَسِيحُ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ » .

(١) يو ١٧ : ٨ ، ١ يو ٤ : ١٤

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَعُودُ إِلَى الْجَلِيلِ : [٩]

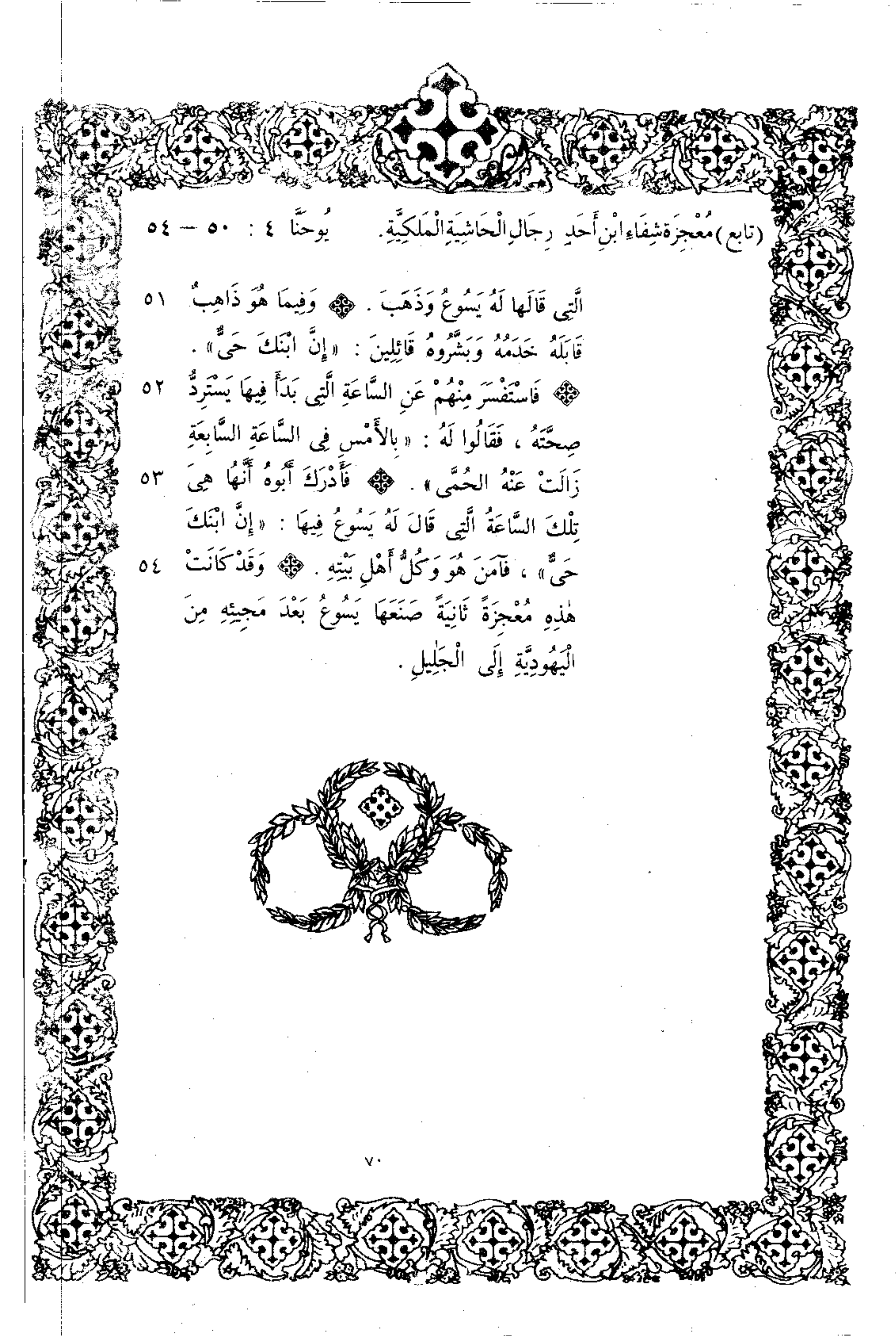
٤٣ وَبَعْدَ الْيَوْمَيْنِ[٢] خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَمَضَى إِلَى الْجَلِيلِ . ٤٤ وَإِذَا كَانَ يَسُوعُ نَفْسُهُ قَدْ شَهِدَ بِأَنَّهُ لاَ كَرَامَةَ لِنَبِيٍّ فِي وَطَنِهِ[٣] . ٤٥ فَإِنَّهُ لَمَّا جَاءَ إِلَى الْجَلِيلِ اسْتَقْبَلَهُ الْجَلِيلِيُّونَ ، لأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ رَأَوْا كُلَّ مَا صَنَعَهُ فِي أُورُشَلِيمَ فِي الْعِيدِ[٤] ، إِذْ أَنَّهُمْ هُمْ أَيْضًا ذَهَبُوا إِلَى هُنَاكَ فِي الْعِيدِ[٥] .

(٢) يو ٤ : ٤٠
(٣) مت ١٣ : ٥٧ ، مر ٦ : ٤ ، لو ٤ : ٢٤
(٤) يو ٢ : ٢٣ ، ٣ : ٢
(٥) تث ١٦ : ١٦

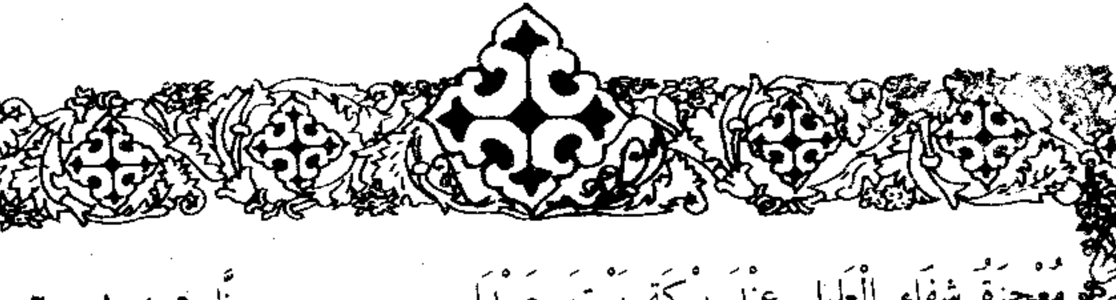
مُعْجزَةُ شِفَاءِ ابْنِ أَحَدِ رِجَالِ الْحَاشِيَةِ الْمَلَكِيَّةِ :

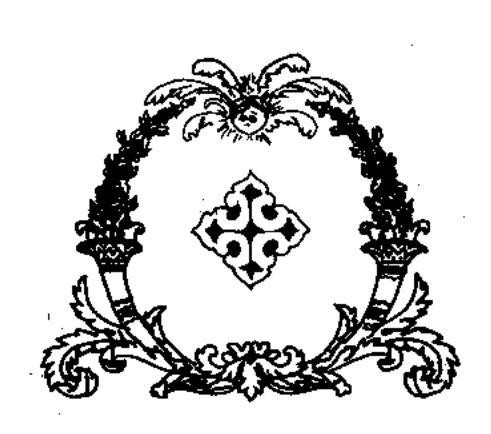
٤٦ وَقَدْ جَاءَ يَسُوعُ ثَانِيَةً إِلَى قَانَا الْجَلِيلِ ، حَيْثُ كَانَ قَدْ حَوَّلَ الْمَاءَ إِلَى خَمْرٍ[٦] . وَكَانَ لأَحَدِ رِجَالِ الْحَاشِيَةِ الْمَلَكِيَّةِ ابْنٌ مَرِيضٌ فِي كَفْرَنَاحُومَ ٤٧ فَمَا إِنْ سَمِعَ أَنَّ يَسُوعَ جَاءَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجَلِيلِ حَتَّى انْطَلَقَ إِلَيْهِ ، وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ أَنْ يَجِيءَ وَيَشْفِيَ ابْنَهُ ، إِذْ كَانَ مُشْرِفًا عَلَى الْمَوْتِ . ٤٨ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ : « لاَ تُؤْمِنُونَ مَا لَمْ تَرَوْا آيَاتٍ وَعَجَائِبَ[٧] » . ٤٩ قَالَ الرَّجُلُ : « هَيَّا يَا سَيِّدِي قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ابْنِي[٨] » . ٥٠ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ : « اذْهَبْ . إِنَّ ابْنَكَ حَيٌّ » . فَوَثِقَ الرَّجُلُ بِالْكَلِمَةِ

(٦) يو ٢ : ١ — ١١
(٧) ١ كو ١ : ٢٢
(٨) يو ١١ : ٢١ و ٣٢



الَّتِي قَالَهَا لَهُ يَسُوعُ وَذَهَبَ . ۞ وَفِيمَا هُوَ ذَاهِبٌ ٥١
قَابَلَهُ خَدَمُهُ وَبَشَّرُوهُ قَائِلِينَ : « إِنَّ ابْنَكَ حَيٌّ » .
۞ فَاسْتَفْسَرَ مِنْهُمْ عَنِ السَّاعَةِ الَّتِي بَدَأَ فِيهَا يَسْتَرِدُّ ٥٢
صِحَّتَهُ ، فَقَالُوا لَهُ : « بِالأَمْسِ فِي السَّاعَةِ السَّابِعَةِ
زَالَتْ عَنْهُ الحُمَّى » . ۞ فَأَدْرَكَ أَبُوهُ أَنَّهَا هِيَ ٥٣
تِلْكَ السَّاعَةُ الَّتِي قَالَ لَهُ يَسُوعُ فِيهَا : « إِنَّ ابْنَكَ
حَيٌّ » ، فَآمَنَ هُوَ وَكُلُّ أَهْلِ بَيْتِهِ . ۞ وَقَدْ كَانَتْ ٥٤
هٰذِهِ مُعْجِزَةً ثَانِيَةً صَنَعَهَا يَسُوعُ بَعْدَ مَجِيئِهِ مِنَ
الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجَلِيلِ .



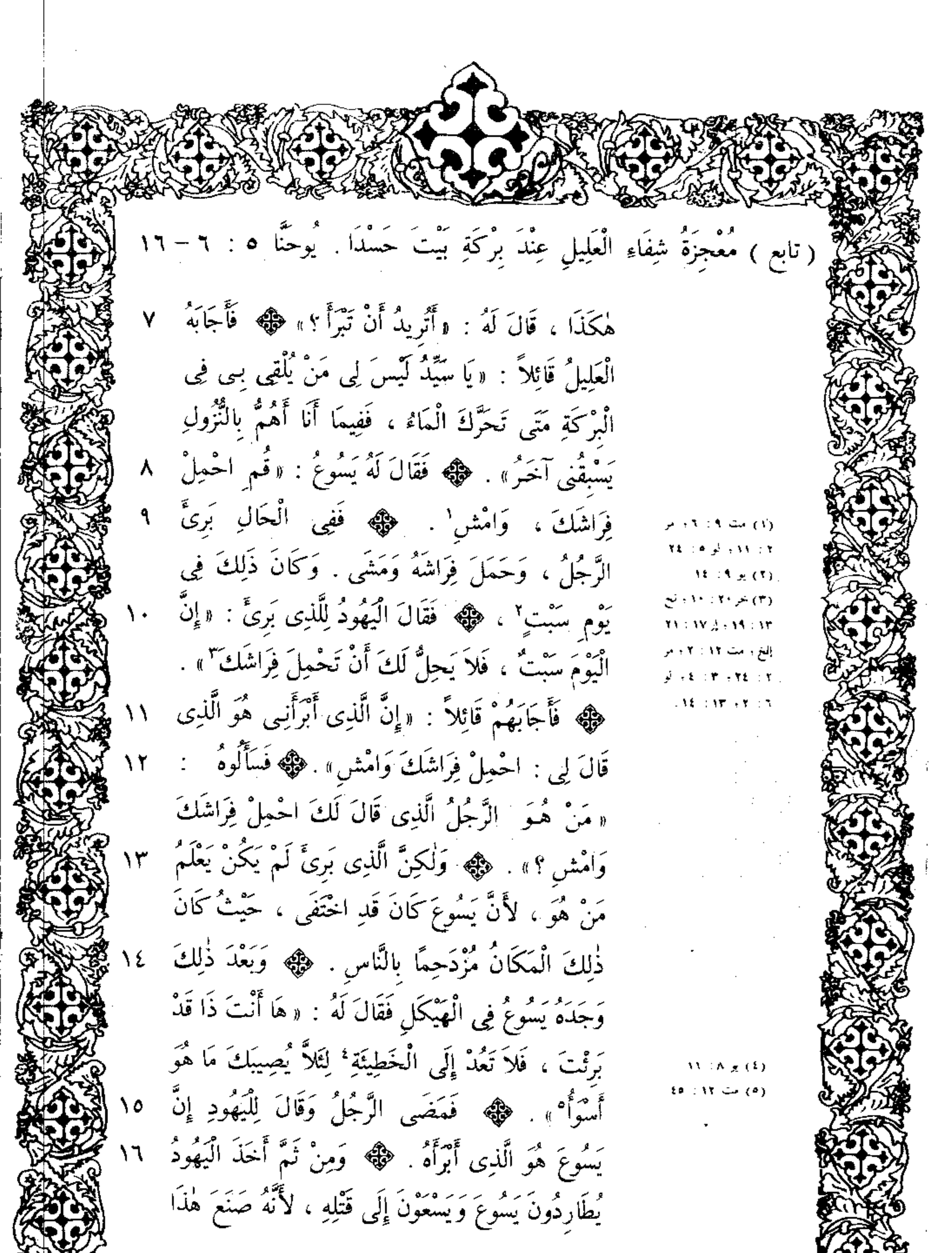


الفَصْلُ الخامِسُ

[١٠] مُعْجِزَةُ شِفَاءِ العَلِيلِ عندَ بِرْكَةِ بَيْتَ حَسْدَا :

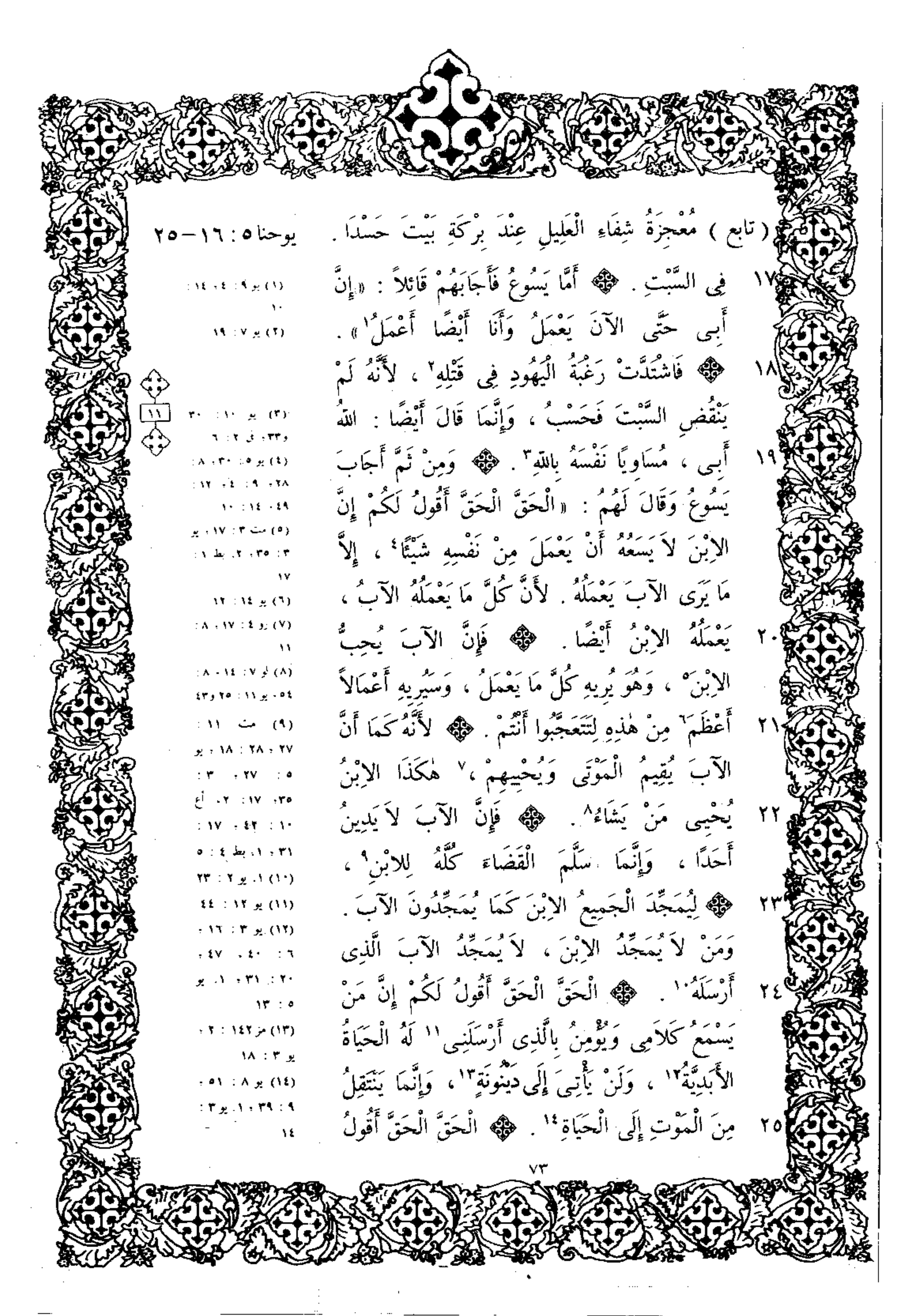
١ ❖ وَبَعْدَ هٰذَا كَانَ عِيدٌ[1] لِلْيَهُودِ ، فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ . ٢ ❖ وَكَانَ عِنْدَ بَابِ الضَّأْنِ[2] فِي أُورُشَلِيمَ بِرْكَةٌ يُسَمُّونَهَا بِالْعِبْرَانِيَّةِ بَيْتَ حَسْدَا ، ذَاتُ خَمْسَةِ أَرْوِقَةٍ . ٣ ❖ كَانَ مُنْطَرِحًا فِيهَا حَشْدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْمَرْضَى ، مِنَ الْعُمْيِ وَالْعُرْجِ وَالْمُصَابِينَ بِالْكُسَاحِ ، مُنْتَظِرِينَ تَحْرِيكَ الْمَاءِ . ٤ ❖ لأَنَّ مَلاَكًا كَانَ يَنْزِلُ مِنْ وَقْتٍ لآخَرَ إِلَى الْبِرْكَةِ وَيُحَرِّكُ الْمَاءَ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ يَنْزِلُ عِنْدَ تَحْرِيكِ الْمَاءِ يَبْرَأُ مِنْ كُلِّ مَرَضٍ يَعْتَرِيهِ . ٥ ❖ وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ عَلِيلٌ مُنْذُ ثَمَانٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً . ٦ ❖ فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ مُضْطَجِعًا ، وَإِذْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ زَمَانًا طَوِيلاً

(١) لا ٢٣ : ٢ - تث ١٦ : ١ - يو ٢ : ١٣
(٢) نح ٣ : ١ و٣٢ ، ١٢ : ٣٩



هٰكَذَا ، قَالَ لَهُ : «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ ؟» ❁ ٧ فَأَجَابَهُ الْعَلِيلُ قَائِلاً : «يَا سَيِّدُ لَيْسَ لِي مَنْ يُلْقِي بِي فِي الْبِرْكَةِ مَتَى تَحَرَّكَ الْمَاءُ ، فَفِيمَا أَنَا أَهُمُّ بِالنُّزُولِ يَسْبِقُنِي آخَرُ» . ❁ ٨ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ : «قُمِ احْمِلْ فِرَاشَكَ ، وَامْشِ[1]» . ❁ ٩ فَفِي الْحَالِ بَرِئَ الرَّجُلُ ، وَحَمَلَ فِرَاشَهُ وَمَشَى . وَكَانَ ذٰلِكَ فِي يَوْمِ سَبْتٍ[2] ، ❁ ١٠ فَقَالَ الْيَهُودُ لِلَّذِي بَرِئَ : «إِنَّ الْيَوْمَ سَبْتٌ ، فَلاَ يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَحْمِلَ فِرَاشَكَ[3]» . ❁ ١١ فَأَجَابَهُمْ قَائِلاً : «إِنَّ الَّذِي أَبْرَأَنِي هُوَ الَّذِي قَالَ لِي : احْمِلْ فِرَاشَكَ وَامْشِ» . ❁ ١٢ فَسَأَلُوهُ : «مَنْ هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي قَالَ لَكَ احْمِلْ فِرَاشَكَ وَامْشِ ؟» . ❁ ١٣ وَلٰكِنَّ الَّذِي بَرِئَ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَنْ هُوَ ، لأَنَّ يَسُوعَ كَانَ قَدِ اخْتَفَى ، حَيْثُ كَانَ ذٰلِكَ الْمَكَانُ مُزْدَحِمًا بِالنَّاسِ . ❁ ١٤ وَبَعْدَ ذٰلِكَ وَجَدَهُ يَسُوعُ فِي الْهَيْكَلِ فَقَالَ لَهُ : «هَا أَنْتَ ذَا قَدْ بَرِئْتَ ، فَلاَ تَعُدْ إِلَى الْخَطِيئَةِ[4] لِئَلاَّ يُصِيبَكَ مَا هُوَ أَسْوَأُ[5]» . ❁ ١٥ فَمَضَى الرَّجُلُ وَقَالَ لِلْيَهُودِ إِنَّ يَسُوعَ هُوَ الَّذِي أَبْرَأَهُ . ❁ ١٦ وَمِنْ ثَمَّ أَخَذَ الْيَهُودُ يُطَارِدُونَ يَسُوعَ وَيَسْعَوْنَ إِلَى قَتْلِهِ ، لأَنَّهُ صَنَعَ هٰذَا

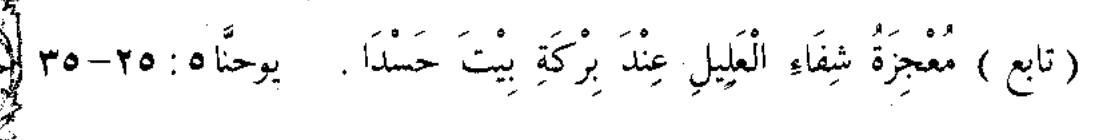
(١) مت ٩ : ٦ ؛ مر ٢ : ١١ ؛ لو ٥ : ٢٤
(٢) يو ٩ : ١٤
(٣) خر ٢٠ : ١٠ ؛ نح ١٣ : ١٩ ؛ إر ١٧ : ٢١ إلخ ؛ مت ١٢ : ٢ ؛ مر ٢ : ٢٤ ؛ ٣ : ٤ ؛ لو ٦ : ٢ ؛ ١٣ : ١٤ .
(٤) يو ٨ : ١١
(٥) مت ١٢ : ٤٥



فِي السَّبْتِ . ١٧ ❖ أَمَّا يَسُوعُ فَأَجَابَهُمْ قَائِلاً : «إِنَّ أَبِي حَتَّى الآنَ يَعْمَلُ وَأَنَا أَيْضًا أَعْمَلُ[١]» . ١٨ ❖ فَاشْتَدَّتْ رَغْبَةُ الْيَهُودِ فِي قَتْلِهِ[٢] ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَحَسْبُ ، وَإِنَّمَا قَالَ أَيْضًا : اللهُ أَبِي ، مُسَاوِيًا نَفْسَهُ بِاللهِ[٣] . ١٩ ❖ وَمِنْ ثَمَّ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ : «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ الاِبْنَ لاَ يَسَعُهُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا[٤] ، إِلاَّ مَا يَرَى الآبَ يَعْمَلُهُ . لأَنَّ كُلَّ مَا يَعْمَلُهُ الآبُ ، يَعْمَلُهُ الاِبْنُ أَيْضًا . ٢٠ ❖ فَإِنَّ الآبَ يُحِبُّ الاِبْنَ[٥] ، وَهُوَ يُرِيهِ كُلَّ مَا يَعْمَلُ ، وَسَيُرِيهِ أَعْمَالاً أَعْظَمَ[٦] مِنْ هٰذِهِ لِتَتَعَجَّبُوا أَنْتُمْ . ٢١ ❖ لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ يُقِيمُ الْمَوْتَى وَيُحْيِيهِمْ ،[٧] هٰكَذَا الاِبْنُ يُحْيِي مَنْ يَشَاءُ[٨] . ٢٢ ❖ فَإِنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَدًا ، وَإِنَّمَا سَلَّمَ الْقَضَاءَ كُلَّهُ لِلاِبْنِ[٩] ، ٢٣ ❖ لِيُمَجِّدَ الْجَمِيعُ الاِبْنَ كَمَا يُمَجِّدُونَ الآبَ . وَمَنْ لاَ يُمَجِّدُ الاِبْنَ ، لاَ يُمَجِّدُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ[١٠] . ٢٤ ❖ الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي[١١] لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ[١٢] ، وَلَنْ يَأْتِيَ إِلَى دَيْنُونَةٍ[١٣] ، وَإِنَّمَا يَنْتَقِلُ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ[١٤] . ٢٥ ❖ الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ

١١

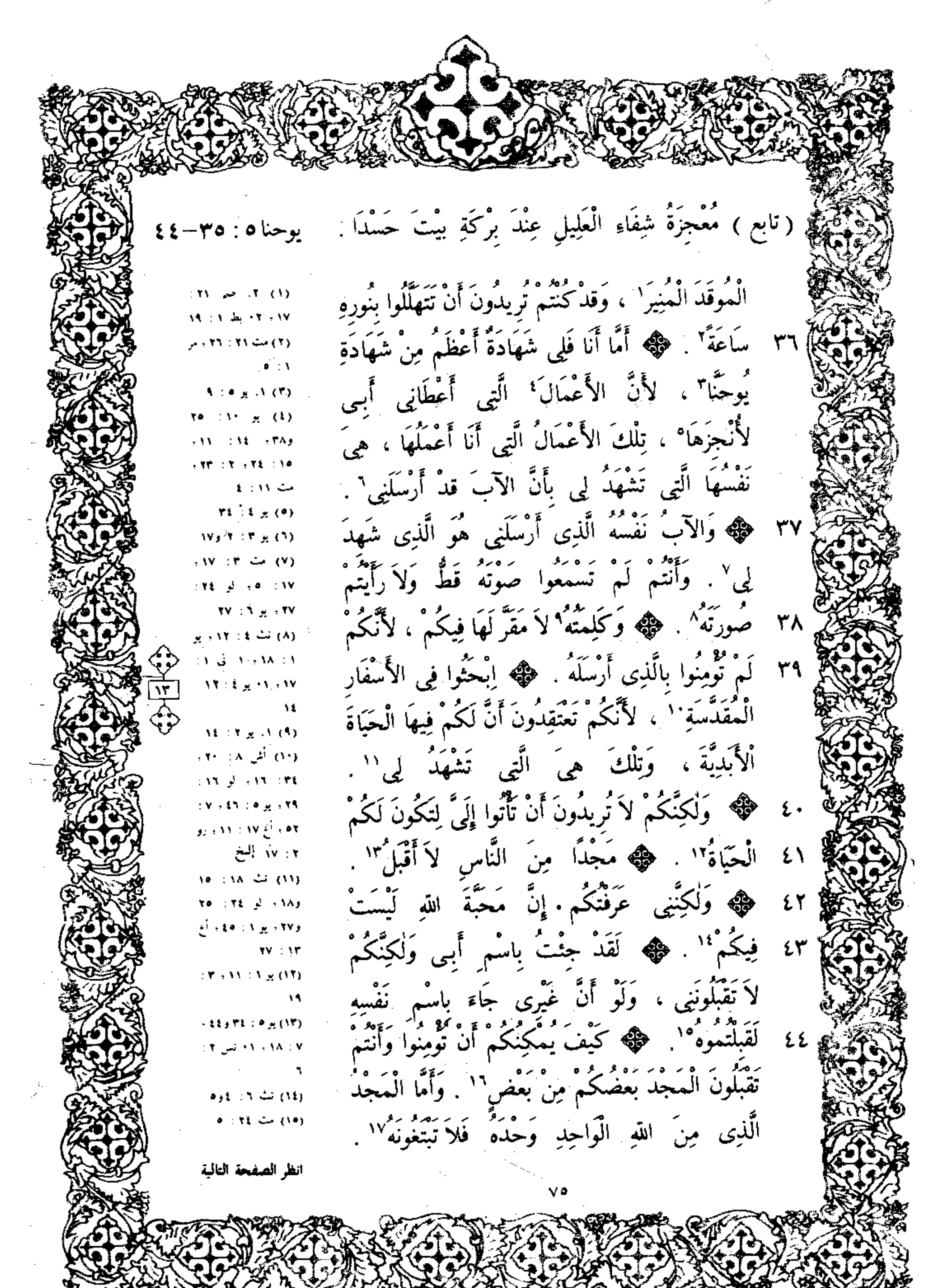
(١) يو ٩ : ٤ ، ١٤ : ١٠
(٢) يو ٧ : ١٩
(٣) يو ١٠ : ٣٠ و٣٣ ، ف ٢ : ٦
(٤) يو ٥ : ٣٠ ، ٨ : ٢٨ ، ٩ : ٤ ، ١٢ : ٤٩ ، ١٤ : ١٠
(٥) مت ٣ : ١٧ ، يو ٣ : ٣٥ ، ٢ بط ١ : ١٧
(٦) يو ١٤ : ١٢
(٧) رو ٤ : ١٧ ، ٨ : ١١
(٨) لو ٧ : ١٤ ، ٨ : ٥٤ ، يو ١١ : ٢٥ و٤٣
(٩) مت ١١ : ٢٧ ، ٢٨ : ١٨ ، يو ٥ : ٢٧ ، ٣ : ٣٥ ، ١٧ : ٢ ، أع ١٠ : ٤٢ ، ١٧ : ٣١ ، ١ بط ٤ : ٥
(١٠) ١ يو ٢ : ٢٣
(١١) يو ١٢ : ٤٤
(١٢) يو ٣ : ١٦ ، ٦ : ٤٠ ، ٤٧ ، ٢٠ : ٣١ ، ١ يو ٥ : ١٣
(١٣) مز ١٤٢ : ٢ ، يو ٣ : ١٨
(١٤) يو ٨ : ٥١ ، ٩ : ٣٩ ، ١ يو ٣ : ١٤



لَكُمْ : إِنَّ ثَمَّةَ سَاعَةً تَأْتِى[١] ، وَقَدْ أَتَتِ الآنَ ، يَسْمَعُ فِيهَا الْمَوْتَى[٢] صَوْتَ ابْنِ اللهِ ، وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَ يَحْيَوْنَ[٣] . ٢٦ ❖ لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ الْحَيَاةُ فِى ذَاتِهِ ، هٰكَذَا أَعْطَى الابْنَ أَنْ تَكُونَ لَهُ الْحَيَاةُ[٤] فِى ذَاتِهِ . ٢٧ ❖ وَقَدْ أَعْطَاهُ السُّلْطَانَ لأَنْ يَدِينَ[٥] ، لأَنَّهُ ابْنُ الإِنْسَانِ[٦] . ٢٨ ❖ لاَ تَعْجَبُوا مِنْ هٰذَا ، فَإِنَّه تَأْتِى سَاعَةٌ يَسْمَعُ فِيها كُلُّ الَّذِينَ فِى الْقُبُورِ صَوْتَهُ[٧] ، ٢٩ ❖ فَيَخْرُجُ[٨] الَّذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ ، وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ[٩] . ٣٠ ❖ أَنَا وَحْدِى لاَ أَسْتَطِيعُ مِنْ نَفْسِى أَنْ أَعْمَلَ شَيْئًا[١٠] ، وَإِنَّمَا حَسْبَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ ، وَدَيْنُونَتِى عَادِلَةٌ[١١] ، لأَنَّنِى لاَ أَبْتَغِى مَشِيئَتِى ، بَلْ مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِى أَرْسَلَنِى[١٢] . ٣١ ❖ لَوْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِى لَمَا كَانَتْ شَهَادَتِى حَقًّا[١٣] . ٣٢ ❖ وَإِنَّمَا هُنَاكَ آخَرُ[١٤] يَشْهَدُ لِى ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ الَّتِى يَشْهَدُ لِى بِهَا حَقٌّ . ٣٣ ❖ أَنْتُمْ أَرْسَلْتُمْ إِلَى يُوحَنَّا فَشَهِدَ بِالْحَقِّ[١٥] . ٣٤ ❖ وَأَنَا لاَ أَقْبَلُ شَهَادَةً مِنْ إِنْسَانٍ[١٦] . وَلٰكِنَّنِى أَقُولُ هٰذَا لِتَخْلُصُوا أَنْتُمْ . ٣٥ ❖ ذَاكَ كَانَ هُوَ السِّرَاجَ

(١) يو ٤ : ٢١ و٢٣
(٢) لو ١٥ : ٢٤ ، أف ٢ : ١ و٥ ، ٥ : ١٤ ، كو ٢ : ١٣
(٣) يو ٨ : ٤٣ و٤٧ ، ٩ : ٢٧ .
(٤) يو ١ : ٤ ، ٦ : ٥٧
(٥) يو ٥ : ٢٢ ، أع ١٠ : ٤٢ ، ١٧ : ٣١
(٦) دا ٧ : ١٣ و١٤
(٧) يو ١١ : ٢٤ ، ١ كو ١٥ : ٥٢
(٨) أش ٢٦ : ١٩ ، ١ كو ١٥ : ٥٢ ، ١ تس ٤ : ١٦
(٩) دا ١٢ : ٢ ، مت ٢٥ : ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٦ ، أع ٢٤ : ١٥
(١٠) يو ٥ : ١٩
(١١) يو ٨ : ١٦
(١٢) مت ٢٦ : ٣٩ ، يو ٤ : ٣٤ ، ٦ : ٣٨
(١٣) يو ٨ : ١٤ ، رؤ ٣ : ١٤
(١٤) مت ٣ : ١٧ ، ١٧ : ٥ ، يو ٨ : ١٨ ، ١ يو ٥ : ٦ و٧ و٩
(١٥) يو ١ : ٧ و١٥ و١٩ الخ
(١٦) ١ يو ٥ : ٩

١٣



الْمُوقَدَ الْمُنِيرَ[١] ، وَقَدْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَتَهَلَّلُوا بِنُورِهِ سَاعَةً[٢] . ٣٦ ❖ أَمَّا أَنَا فَلِي شَهَادَةٌ أَعْظَمُ مِنْ شَهَادَةِ يُوحَنَّا[٣] ، لأَنَّ الأَعْمَالَ[٤] الَّتِي أَعْطَانِي أَبِي لأُنْجِزَهَا[٥] ، تِلْكَ الأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا ، هِيَ نَفْسُهَا الَّتِي تَشْهَدُ لِي بِأَنَّ الآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي[٦] . ٣٧ ❖ وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ الَّذِي شَهِدَ لِي[٧] . وَأَنْتُمْ لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ وَلاَ رَأَيْتُمْ صُورَتَهُ[٨] . ٣٨ ❖ وَكَلِمَتُهُ[٩] لاَ مَقَرَّ لَهَا فِيكُمْ ، لأَنَّكُمْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِالَّذِي أَرْسَلَهُ . ٣٩ ❖ اِبْحَثُوا فِي الأَسْفَارِ الْمُقَدَّسَةِ[١٠] ، لأَنَّكُمْ تَعْتَقِدُونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ ، وَتِلْكَ هِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي[١١] . ٤٠ ❖ وَلٰكِنَّكُمْ لاَ تُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمُ الْحَيَاةُ[١٢] . ٤١ ❖ مَجْداً مِنَ النَّاسِ لاَ أَقْبَلُ[١٣] . ٤٢ ❖ وَلٰكِنَّنِي عَرَفْتُكُم . إِنَّ مَحَبَّةَ اللهِ لَيْسَتْ فِيكُمْ[١٤] . ٤٣ ❖ لَقَدْ جِئْتُ بِاسْمِ أَبِي وَلٰكِنَّكُمْ لاَ تَقْبَلُونَنِي ، وَلَوْ أَنَّ غَيْرِي جَاءَ بِاسْمِ نَفْسِهِ لَقَبِلْتُمُوهُ[١٥] . ٤٤ ❖ كَيْفَ يُمْكِنُكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ الْمَجْدَ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ[١٦] . وَأَمَّا الْمَجْدُ الَّذِي مِنَ اللهِ الْوَاحِدِ وَحْدَهُ فَلاَ تَبْتَغُونَهُ[١٧] .

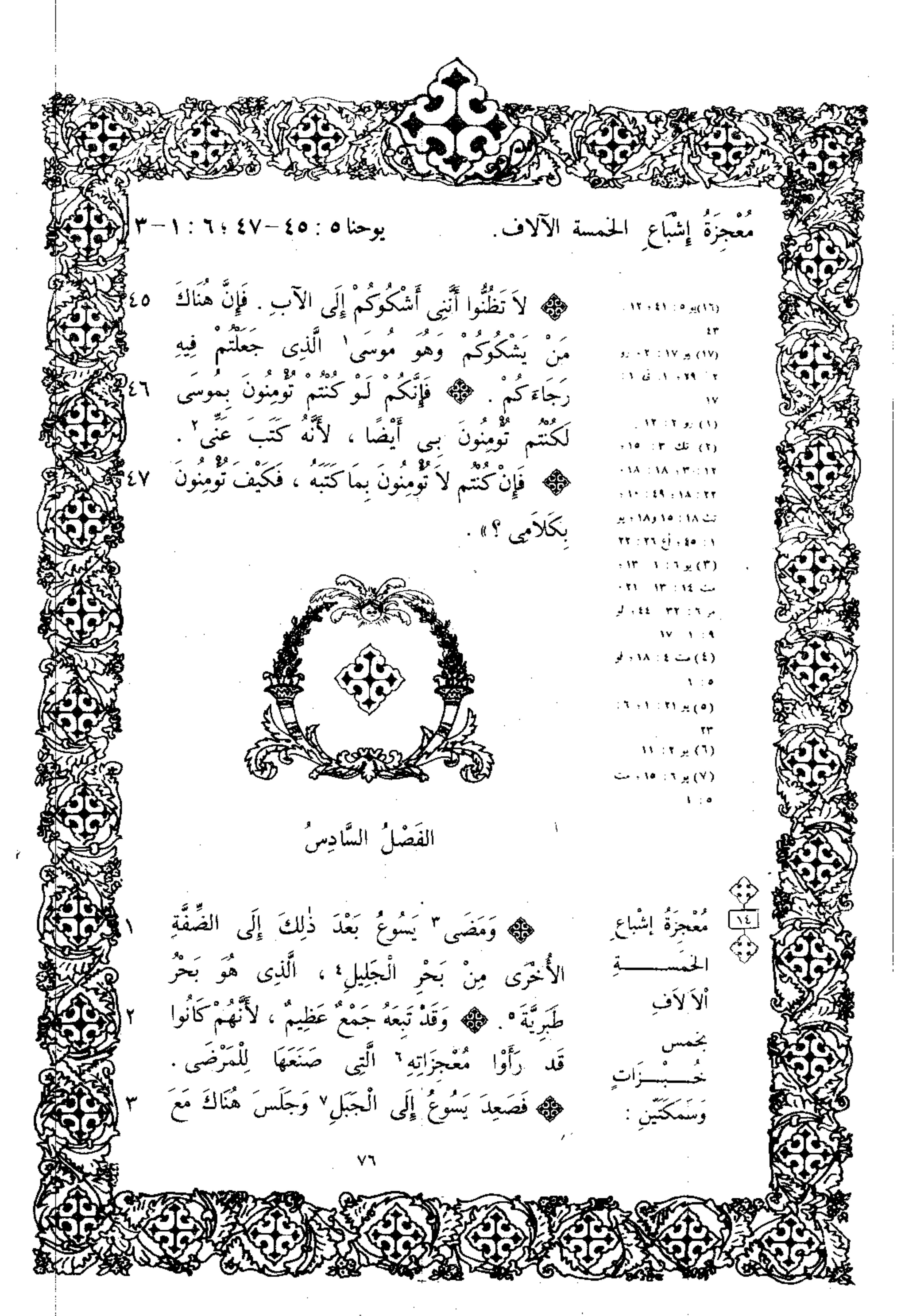
١٣

(١) ٢ صم ٢١: ١٧؛ ٢ بط ١: ١٩
(٢) مت ٢١: ٢٦؛ مر ١: ٥
(٣) ١ يو ٥: ٩
(٤) يو ١٠: ٢٥ و٣٨؛ ١٤: ١١؛ ١٥: ٢٤؛ ٢: ٢٣؛ مت ١١: ٤
(٥) يو ٤: ٣٤
(٦) يو ٣: ٢ و١٧
(٧) مت ٣: ١٧؛ ١٧: ٥؛ لو ٢٤: ٢٧؛ يو ٦: ٢٧
(٨) تث ٤: ١٢؛ يو ١: ١٨؛ ١ ق ١: ١٧؛ ١ يو ٤: ١٢ و١٤
(٩) ١ يو ٢: ١٤
(١٠) أش ٨: ٢٠؛ ٣٤: ١٦؛ لو ١٦: ٢٩؛ يو ٥: ٤٦؛ ٧: ٥٢؛ أع ١٧: ١١؛ رو ٢: ١٧ إلخ
(١١) تث ١٨: ١٥ و١٨؛ لو ٢٤: ٢٥ و٢٧؛ يو ١: ٤٥؛ أع ١٣: ٢٧
(١٢) يو ١: ١١؛ ٣: ١٩
(١٣) يو ٥: ٣٤ و٤٤؛ ٧: ١٨؛ ١ تس ٢: ٦
(١٤) تث ٦: ٤ و٥
(١٥) مت ٢٤: ٥

انظر الصفحة التالية

٤٥ ❖ لاَ تَظُنُّوا أَنِّي أَشْكُوكُمْ إِلَى الآبِ. فَإِنَّ هُنَاكَ مَنْ يَشْكُوكُمْ وَهُوَ مُوسَى[١] الَّذِي جَعَلْتُمْ فِيهِ رَجَاءَكُمْ. ٤٦ ❖ فَإِنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِمُوسَى لَكُنْتُم تُؤْمِنُونَ بِي أَيْضًا، لأَنَّهُ كَتَبَ عَنِّي[٢]. ٤٧ ❖ فَإِنْ كُنْتُم لاَ تُؤْمِنُونَ بِمَا كَتَبَهُ، فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ بِكَلاَمِي؟».

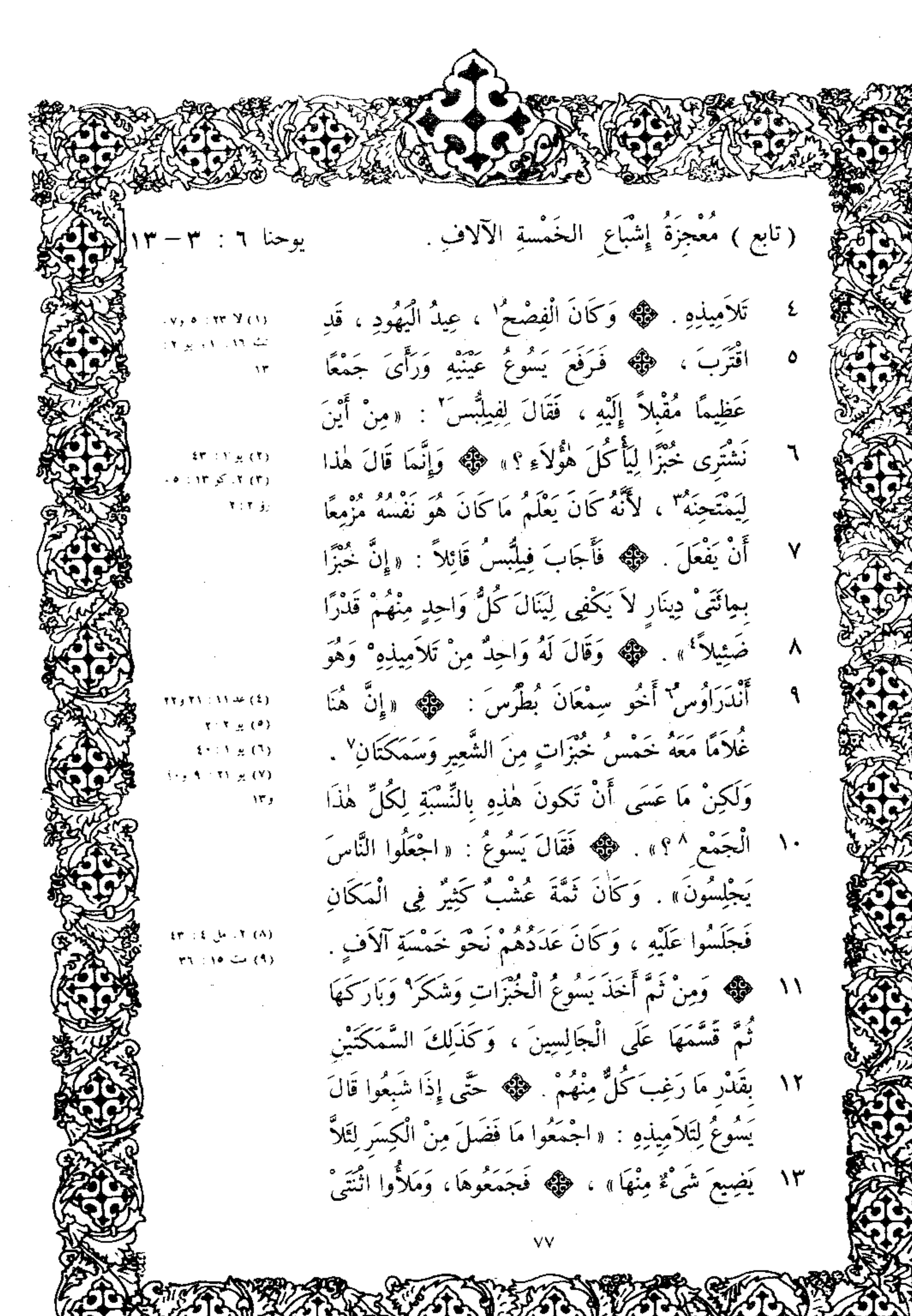
(١٦) يو ٥ : ٤١، ١٢، ٤٣
(١٧) يو ١٧ : ٢٠ ؛ رو ٢ : ٢٩، ١ ؛ ف ١ : ١٧
(١) رو ٢ : ١٢.
(٢) تك ٣ : ١٥ ؛ ١٢ : ٣ ؛ ١٨ : ١٨ ؛ ٢٢ : ١٨ ؛ ٤٩ : ١٠ ؛ تث ١٨ : ١٥ و١٨ ؛ يو ١ : ٤٥ ؛ أع ٢٦ : ٢٢
(٣) يو ٦ : ١ ١٣ ؛ مت ١٤ : ١٣ ٢١ ؛ مر ٦ : ٣٢ ٤٤ ؛ لو ٩ : ١ ١٧
(٤) مت ٤ : ١٨ ؛ لو ٥ : ١
(٥) يو ٢١ : ١ ؛ ٦ : ٢٣
(٦) يو ٢ : ١١
(٧) يو ٦ : ١٥ ؛ مت ٥ : ١



الفَصْلُ السَّادِسُ

١٤ مُعْجِزَةُ إِشْبَاعِ الخَمْسَةِ الآلاَفِ بِخَمْسِ خُبْزَاتٍ وَسَمَكَتَيْنِ:

١ ❖ وَمَضَى[٣] يَسُوعُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الضِّفَّةِ الأُخْرَى مِنْ بَحْرِ الْجَلِيلِ[٤]، الَّذِي هُوَ بَحْرُ طَبَرِيَّةَ[٥]. ٢ ❖ وَقَدْ تَبِعَهُ جَمْعٌ عَظِيمٌ، لأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ رَأَوْا مُعْجِزَاتِهِ[٦] الَّتِي صَنَعَهَا لِلْمَرْضَى. ٣ ❖ فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْجَبَلِ[٧] وَجَلَسَ هُنَاكَ مَعَ



٤ تَلاَمِيذِهِ . ❖ وَكَانَ الْفِصْحُ[١] ، عِيدُ الْيَهُودِ ، قَدِ
٥ اقْتَرَبَ ، ❖ فَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ وَرَأَى جَمْعًا
عَظِيمًا مُقْبِلاً إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِفِيلُبُّسَ[٢] : «مِنْ أَيْنَ
٦ نَشْتَرِي خُبْزًا لِيَأْكُلَ هٰؤُلاَءِ ؟» ❖ وَإِنَّمَا قَالَ هٰذَا
لِيَمْتَحِنَهُ[٣] ، لأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ مَا كَانَ هُوَ نَفْسُهُ مُزْمِعًا
٧ أَنْ يَفْعَلَ . ❖ فَأَجَابَ فِيلُبُّسُ قَائِلاً : «إِنَّ خُبْزًا
بِمِائَتَيْ دِينَارٍ لاَ يَكْفِي لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْرًا
٨ ضَئِيلاً[٤]» . ❖ وَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ[٥] وَهُوَ
٩ أَنْدَرَاوُسُ[٦] أَخُو سِمْعَانَ بُطْرُسَ : ❖ «إِنَّ هُنَا
غُلاَمًا مَعَهُ خَمْسُ خُبْزَاتٍ مِنَ الشَّعِيرِ وَسَمَكَتَانِ[٧] .
وَلٰكِنْ مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هٰذِهِ بِالنِّسْبَةِ لِكُلِّ هٰذَا
١٠ الْجَمْعِ[٨] ؟» . ❖ فَقَالَ يَسُوعُ : «اجْعَلُوا النَّاسَ
يَجْلِسُونَ» . وَكَانَ ثَمَّةَ عُشْبٌ كَثِيرٌ فِي الْمَكَانِ
فَجَلَسُوا عَلَيْهِ ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ نَحْوَ خَمْسَةِ آلاَفٍ .
١١ ❖ وَمِنْ ثَمَّ أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَاتِ وَشَكَرَ[٩] وَبَارَكَهَا
ثُمَّ قَسَّمَهَا عَلَى الْجَالِسِينَ ، وَكَذٰلِكَ السَّمَكَتَيْنِ
١٢ بِقَدْرِ مَا رَغِبَ كُلٌّ مِنْهُمْ . ❖ حَتَّى إِذَا شَبِعُوا قَالَ
يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ : «اجْمَعُوا مَا فَضَلَ مِنَ الْكِسَرِ لِئَلاَّ
١٣ يَضِيعَ شَيْءٌ مِنْهَا» ، ❖ فَجَمَعُوهَا ، وَمَلأُوا اثْنَتَيْ

(١) لا ٢٣ : ٥ ، ٧ . تث ١٦ : ١ ؛ يو ٢ : ١٣
(٢) يو ١ : ٤٣
(٣) ٢ كو ١٣ : ٥ . رؤ ٢ : ٢
(٤) عد ١١ : ٢١ و٢٢
(٥) يو ٢ : ٢
(٦) يو ١ : ٤٠
(٧) يو ٢١ : ٩ و١٠ و١٣
(٨) ٢ مل ٤ : ٤٣
(٩) مت ١٥ : ٣٦

عَشْرَةَ قُفَّةً مِنَ الْكِسَرِ الَّتِي فَضَلَتْ عَنِ الآكِلِينَ مِنْ خَمْسَةِ أَرْغِفَةِ الشَّعِيرِ.

الْيَهُودُ يُحَاوِلُونَ اخْتِطَافَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ لِيَجْعَلُوهُ مَلِكًا فَيَرْفُضُ ذَلِكَ :

١٥

١٤ ❖ فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَاتِ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا : « هٰذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ[١] الآتِي إِلَى الْعَالَمِ » . ١٥ ❖ أَمَّا يَسُوعُ فَإِذْ رَأَى عِنْدَئِذٍ أَنَّهُمُ اعْتَزَمُوا أَنْ يَأْتُوا وَيَخْتَطِفُوهُ لِيَجْعَلُوهُ مَلِكًا[٢] ، إِنْصَرَفَ[٣] إِلَى الْجَبَلِ وَحْدَهُ .

مُعْجِزَةُ الْمَشْيِ عَلَى مَاءِ الْبَحْرِ :

١٦ ❖ حَتَّى إِذَا كَانَ الْمَسَاءُ نَزَلَ تَلاَمِيذُهُ إِلَى الْبَحْرِ[٤] . ١٧ ❖ وَرَكِبُوا سَفِينَةً وَعَبَرُوا الْبَحْرَ مُتَّجِهِينَ إِلَى كَفْرَ نَاحُومَ[٥] ، وَقَدْ خَيَّمَ الظَّلاَمُ ، وَلَمْ يَكُنْ يَسُوعُ قَدْ جَاءَ بَعْدُ إِلَيْهِمْ . ١٨ ❖ وَكَانَ الْبَحْرُ هَائِجًا ، إِذْ هَبَّتْ عَلَيْهِ رِيحٌ شَدِيدَةٌ . ١٩ ❖ فَلَمَّا كَانُوا قَدْ جَذَّفُوا وَأَوْغَلُوا نَحْوَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ أَوْ ثَلاَثِينَ غَلْوَةً ، أَبْصَرُوا يَسُوعَ مَاشِيًا عَلَى الْبَحْرِ وَمُقْبِلاً نَحْوَ السَّفِينَةِ ، فَخَافُوا . ٢٠ ❖ فَقَالَ لَهُمْ : « أَنَا هُوَ . لاَ تَخَافُوا »[٦] . ٢١ ❖ وَمِنْ ثَمَّ رَغِبُوا فِي أَنْ يَأْخُذُوهُ مَعَهُمْ فِي السَّفِينَةِ . وَمَا لَبِثَتِ السَّفِينَةُ أَنْ بَلَغَتْ شَاطِئَ الأَرْضِ الَّتِي كَانُوا يَقْصِدُونَهَا .

(١) تك ٤٩ : ١٠ ، تث ١٨ : ١٥ و١٨ ، مت ١١ : ٣ ، ٢١ : ١١ ، يو ١ : ٢١ ، ٤ : ١٩ و٢٥ ، ٧ : ٤٠
(٢) يو ١٨ : ٣٦ الخ
(٣) يو ٦ : ١٥ - ٢١ ، مت ١٤ : ٢٢ - ٣٣ ، مر ٦ : ٤٥ - ٥١
(٤) مت ١٤ : ٢٤ ، مر ٦ : ٤٧
(٥) يو ٦ : ٢٤ و٥٩ ، مر ٦ : ٤٥
(٦) مت ١٤ : ٢٧

الجُمُوعُ تَتْبَعُ السَّيِّدَ المَسيحَ فَيُواصِلُ تَعْلِيمَها :

٢٢ ۞ وَفِي الْغَدِ كَانَ الْجَمْعُ[١] الْوَاقِفُ عَلَى الضِّفَّةِ الأُخْرَى مِنَ الْبَحْرِ ، قَدْ رَأَوْا أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ ثَمَّةَ سَفِينَةٌ أُخْرَى إِلاَّ تِلْكَ الَّتِي رَكِبَهَا التَّلامِيذُ ، وَأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَرْكَبِ[٢] السَّفِينَةَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ ، وَإِنَّمَا

٢٣ إِنْطَلَقَ التَّلاَمِيذُ وَحْدَهُمْ . ۞ بَيْدَ أَنَّ سُفُنًا أُخْرَى لَمْ تَلْبَثْ أَنْ أَقْبَلَتْ مِنْ طَبَرِيَّةَ[٣] إِلَى قُرْبِ الْمَكَانِ الَّذِي أَكَلُوا فِيهِ الْخُبْزَ بَعْدَ أَنْ صَلَّى الرَّبُّ عَلَيْهِ

٢٤ صَلاَةَ الشُّكْرِ[٤] . ۞ فَلَمَّا رَأَتِ الْجُمُوعُ أَنَّهُ لاَ يَسُوعُ كَانَ هُنَاكَ وَلاَ تَلاَمِيذُهُ ، رَكِبُوا هُمْ أَيْضًا السُّفُنَ ، وَجَاءُوا إِلَى كَفْرَ نَاحُومَ[٥] يَبْحَثُونَ عَنْ يَسُوعَ .

٢٥ ۞ فَلَمَّا وَجَدُوهُ عَلَى الضِّفَّةِ الأُخْرَى مِنَ الْبَحْرِ قَالُوا لَهُ : « يَا مُعَلِّمُ[٦] مَتَى جِئْتَ إِلَى هُنَا ؟ » .

٢٦ ۞ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ : « الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّكُمْ تَبْحَثُونَ عَنِّي ، لاَ لأَنَّكُمْ رَأَيْتُمُ الْمُعْجِزاتِ[٧] ، وَإِنَّمَا لأَنَّكُمْ أَكَلْتُمْ مِنَ الْخُبْزِ

٢٧ وَشَبِعْتُمْ . ۞ اعْمَلُوا لاَ مِنْ أَجْلِ الطَّعَامِ الْفَانِي[٨] ، وَإِنَّمَا مِنْ أَجْلِ الطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ[٩] ، الَّذِي يُعْطِيكُمُ ابْنُ الإِنْسَانِ[١٠] ، لأَنَّ

٢٨ هٰذَا قَدْ أَقَرَّهُ اللهُ الآبُ بِخَتْمِهِ[١١] » . ۞ فَقَالُوا

(١) يو ٦ : ٢
(٢) يو ٦ : ١٥
(٣) يو ٦ : ١
(٤) يو ٦ : ١١
(٥) يو ٦ : ١٧ و٢٤ و٥٩ ؛ مت ١٤ : ٣٤ ، مر ٦ : ٥٣
(٦) مت ٢٣ : ٧
(٧) يو ٦ : ٢ و١٤ و٣٠
(٨) ١ كو ٦ : ١٣ ، أش ٥٥ : ٢
(٩) يو ٦ : ٤٠ و٤٧ و٥٤ ، ٣ : ١٥ ، ٤ : ١٤ ، ١٠ : ٢٨ ، ١٧ : ٢ إلخ
(١٠) يو ٦ : ٥٣ و٦٢ ، مت ٨ : ٢٠
(١١) مت ٣ : ١٧ ، ١٧ : ٥ ، مر ١ : ١١ ، ٩ : ٧ ، لو ٣ : ٢٢ ، ٩ : ٣٥ ، يو ١ : ٣٣ ، ٣ : ٣٣ ، ٥ : ٣٧ ، ٨ : ١٨ ، أع ٢ : ٢٢ ، ٢ بط ١ : ١٧

لَهُ : «مَاذَا نَفْعَلُ حَتَّى نَعْمَلَ أَعْمَالَ اللهِ؟» .

٢٩ ✤ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ : «هٰذَا هُوَ عَمَلُ اللهِ[١] : أَنْ تُؤْمِنُوا بِالَّذِي أَرْسَلَهُ[٢]» .

٣٠ ✤ فَقَالُوا لَهُ : «أَيَّةَ آيَةٍ تَصْنَعُ[٣] أَنْتَ لِنَرَى وَنُؤْمِنَ بِكَ؟ أَيَّ عَمَلٍ تَصْنَعُ؟ .

٣١ ✤ إِنَّ آبَاءَنَا أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ[٤] ، وَفْقًا لِمَا هُوَ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ لِيَأْكُلُوا» .

٣٢ ✤ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مُوسَى لَمْ يُعْطِكُمُ الْخُبْزَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَإِنَّمَا أَبِي هُوَ الَّذِي يُعْطِيكُمُ الْخُبْزَ الْحَقِيقِيَّ مِنَ السَّمَاءِ .

٣٣ ✤ لأَنَّ خُبْزَ اللهِ هُوَ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَيَهَبُ الْحَيَاةَ لِلْعَالَمِ» .

٣٤ ✤ فَقَالُوا لَهُ : «يَا رَبُّ أَعْطِنَا هٰذَا الْخُبْزَ فِي كُلِّ حِينٍ»[٥] .

٣٥ ✤ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : «أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ[٦] . مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلَنْ يَجُوعَ . وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلَنْ يَعْطَشَ أَبَدًا[٧] .

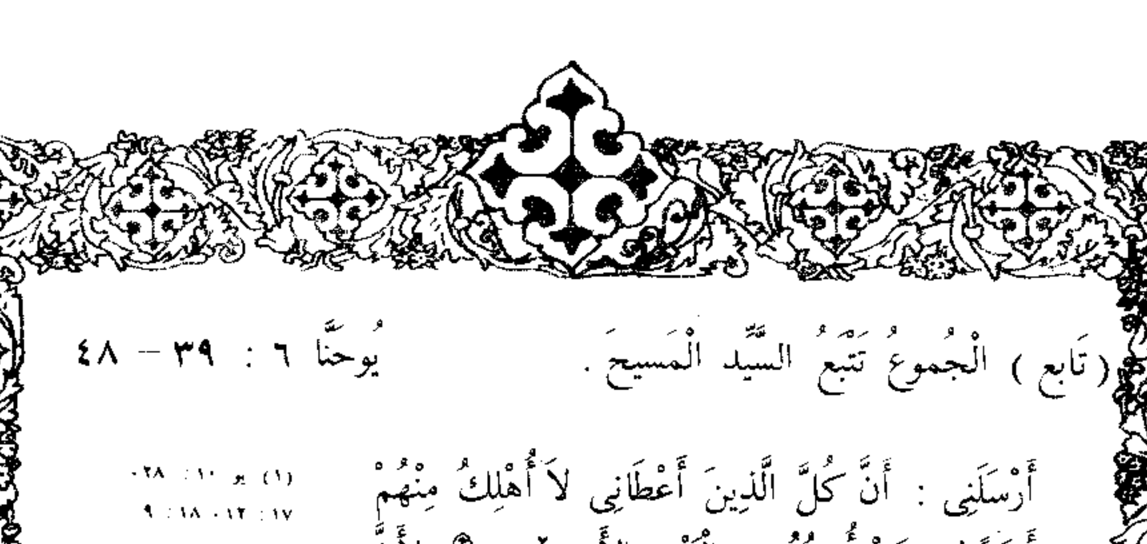
٣٦ ✤ وَلٰكِنَّنِي قُلْتُ لَكُمْ[٨] إِنَّكُمْ قَدْ رَأَيْتُمُونِي وَلَمْ تُؤْمِنُوا .

٣٧ ✤ كُلُّ مَنْ يُعْطِينِيهِ الآبُ يُقْبِلُ إِلَيَّ ، وَمَنْ يُقْبِلْ[٩] إِلَيَّ لاَ أُلْقِي بِهِ خَارِجًا[١٠] .

٣٨ ✤ لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ ، لاَ لأَعْمَلَ بِمَشِيئَتِي[١١] ، وَإِنَّمَا بِمَشِيئَةِ الَّذِي أَرْسَلَنِي[١٢] .

٣٩ ✤ وَهٰذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ الآبِ الَّذِي

(١) ١. تس ١ : ٣ ؛ يع ٢ : ٢٢ و٢٣ ؛ ١. يو ٣ : ٢٢ و٢٣ ؛ رؤ ٢ : ٢٦
(٢) يو ٣ : ١٧
(٣) مت ١٢ : ٣٨ ، ١٦ : ١ ؛ مر ٨ : ١١ ؛ ١. كو ١ : ٢٢
(٤) خر ١٦ : ١٥ ؛ عد ١١ : ٧ ؛ نح ٩ : ١٥ ، مز ٧٧ : ٢٤ ، ١٠٤ : ٤٠ ؛ يو ٦ : ٤٩ و٥٨ ؛ ١. كو ١٠ : ٣
(٥) يو ٤ : ١٥
(٦) يو ٦ : ٤٨ و٥٨ و٥١
(٧) يو ٤ : ١٤
(٨) يو ٦ : ٢٦ و٦٤
(٩) يو ٦ : ٤٥
(١٠) يو ١٠ : ٢٨ و٢٩
(١١) مت ٢٦ : ٣٩ ، يو ٥ : ٣٠
(١٢) يو ٤ : ٣٤

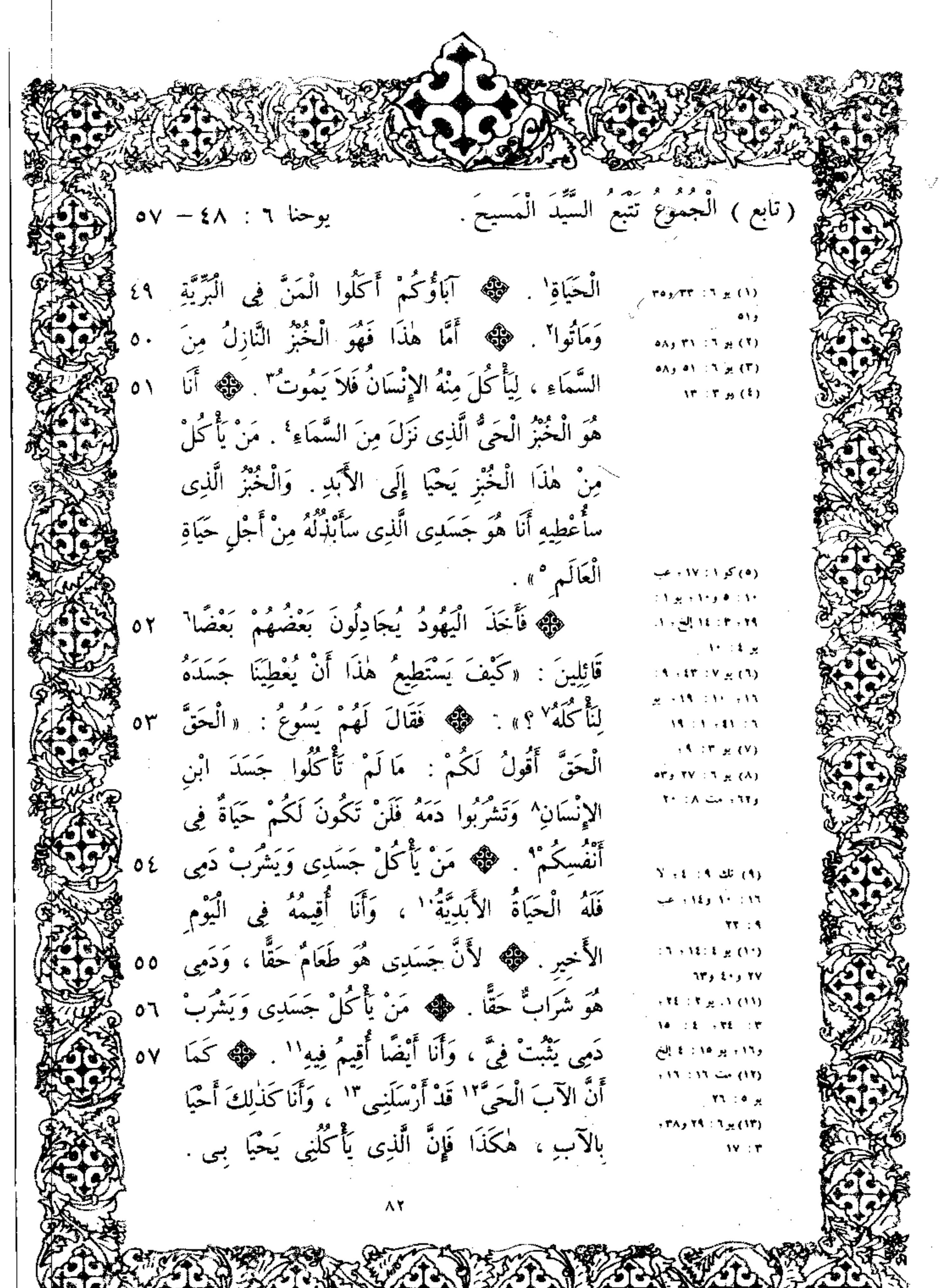


أَرْسَلَنِي : أَنَّ كُلَّ الَّذِينَ أَعْطَانِي لاَ أُهْلِكُ مِنْهُمْ أَحَدًا[١] ، بَلْ أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ[٢] . ٤٠ ❖ لأَنَّ هٰذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ أَبِي الَّذِي أَرْسَلَنِي : أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى[٣] الابْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ[٤] ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ» .

٤١ ❖ فَتَذَمَّرَ الْيَهُودُ عَلَيْهِ لأَنَّهُ قَالَ : «أَنَا هُوَ ٤٢ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ»[٥] . ❖ وَقَالُوا : «أَلَيْسَ هٰذَا هُوَ يَسُوعَ بْنَ يُوسُفَ[٦] الَّذِي نَحْنُ نَعْرِفُ[٧] أَبَاهُ وَأُمَّهُ . فَكَيْفَ يَقُولُ الآنَ إِنِّي نَزَلْتُ مِنَ ٤٣ السَّمَاءِ؟» . ❖ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ : ٤٤ «لاَ تَتَذَمَّرُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ . ❖ مَا مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقْبِلَ نَحْوِي مَا لَمْ يَجْتَذِبْهُ إِلَيَّ الآبُ[٨] الَّذِي ٤٥ أَرْسَلَنِي وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ . ❖ إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي أَسْفَارِ الأَنْبِيَاءِ[٩] أَنَّ الْجَمِيعَ سَيَكُونُونَ مُتَعَلِّمِينَ مِنَ اللهِ[١٠] . فَكُلُّ مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى أَبِي ٤٦ وَتَعَلَّمَ مِنْهُ يُقْبِلُ نَحْوِي[١١] . ❖ لاَ أَحَدَ قَدْ رَأَى الآبَ[١٢] إِلاَّ الَّذِي هُوَ مِنَ اللهِ[١٣] ، فَهٰذَا هُوَ الَّذِي ٤٧ قَدْ رَأَى الآبَ[١٤] . ❖ الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ ٤٨ مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ . ❖ أَنَا هُوَ خُبْزُ

(١) يو ١٠ : ٢٨ ، ١٧ : ١٢ ، ١٨ : ٩
(٢) يو ٦ : ٤٠ و٤٤ و٥٤ ، ١١ : ٢٤
(٣) يو ١٢ : ٤٥ ، ١٤ : ١٧و١٩
(٤) يو ٣ : ١٥ و١٦ و٣٦ ، ٤ : ١٤ ، ٥ : ٢٤ ، ٦ : ٢٧ و٤٠ و٤٧ و٥١ و٥٤ و٥٨ ، ١ يو ١ : ٢٦ .
(٥) يو ٦ : ٣٣ و٣٨ و٤١ و٤٢ و٥٠ و٥١ و٥٨ و٦٢
(٦) مت ١٣ : ٥٥ ، مر ٦ : ٣ ، لو ٤ : ٢٢
(٧) يو ٧ : ٢٧ نح
(٨) تش ١ : ٤ ، يو ٦ : ٦٥ ، ١٢ : ٣٢
(٩) أع ٧ : ٤٢ ، ١٣ : ٤٠
(١٠) أش ٥٤ : ١٣ ، إر ٣١ : ٣٤ ، مى ٤ : ٢ ، عب ٨ : ١٠ و١١ ، ١٠ : ١٦ ، ١ تس ٤ : ٩ ، ق ٣ : ١٥ ، ١ يو ٢ : ٢٧
(١١) يو ٦ : ٣٧
(١٢) يو ١ : ١٨ ، ٥ : ٣٧
(١٣) يو ٧ : ٢٩ ، ٨ : ١٩
(١٤) مت ١١ : ٢٧ ، لو ١٠ : ٢٢

١٦



الْحَيَاةِ[١] . ٤٩ آبَاؤُكُمْ أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ وَمَاتُوا[٢] . ٥٠ أَمَّا هٰذَا فَهُوَ الْخُبْزُ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، لِيَأْكُلَ مِنْهُ الإِنْسَانُ فَلاَ يَمُوتُ[٣] . ٥١ أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ[٤] . مَنْ يَأْكُلْ مِنْ هٰذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ . وَالْخُبْزُ الَّذِي سَأُعْطِيهِ أَنَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي سَأَبْذُلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ[٥] » .

٥٢ فَأَخَذَ الْيَهُودُ يُجَادِلُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا[٦] قَائِلِينَ : « كَيْفَ يَسْتَطِيعُ هٰذَا أَنْ يُعْطِيَنَا جَسَدَهُ لِنَأْكُلَهُ[٧] ؟ » . ٥٣ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : « الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ : مَا لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ[٨] وَتَشْرَبُوا دَمَهُ فَلَنْ تَكُونَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِي أَنْفُسِكُمْ[٩] . ٥٤ مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي فَلَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ[١٠] ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ . ٥٥ لأَنَّ جَسَدِي هُوَ طَعَامٌ حَقًّا ، وَدَمِي هُوَ شَرَابٌ حَقًّا . ٥٦ مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ ، وَأَنَا أَيْضًا أُقِيمُ فِيهِ[١١] . ٥٧ كَمَا أَنَّ الآبَ الْحَيَّ[١٢] قَدْ أَرْسَلَنِي[١٣] ، وَأَنَا كَذٰلِكَ أَحْيَا بِالآبِ ، هٰكَذَا فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُنِي يَحْيَا بِي .

(١) يو ٦ : ٣٣ و٣٥ و٥١
(٢) يو ٦ : ٣١ و٥٨
(٣) يو ٦ : ٥١ و٥٨
(٤) يو ٣ : ١٣
(٥) كو ١ : ١٧ ؛ عب ١٠ : ٥ و١٠ ؛ يو ١ : ٢٩ ، ٣ : ١٤ إلخ ، ١ يو ٤ : ١٠
(٦) يو ٧ : ٤٣ ، ٩ : ١٦ ، ١٠ : ١٩ ، يو ٦ : ٤١ ، ١ : ١٩
(٧) يو ٣ : ٩ ؛
(٨) يو ٦ : ٢٧ و٥٣ و٦٢ ؛ مت ٨ : ٢٠
(٩) تك ٩ : ٤ ؛ لا ١٦ : ١٠ و١٤ ؛ عب ٩ : ٢٢
(١٠) يو ٤ : ١٤ ؛ ٦ : ٢٧ و٤٠ و٦٣
(١١) ١ يو ٢ : ٢٤ ؛ ٣ : ٢٤ ، ٤ : ١٥ و١٦ ؛ يو ١٥ : ٤ إلخ
(١٢) مت ١٦ : ١٦ ؛ يو ٥ : ٢٦
(١٣) يو ٦ : ٢٩ و٣٨ ، ٣ : ١٧

٥٨ ❖ هٰذَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ[١]. وَهُوَ لَيْسَ كَالْمَنِّ الَّذِي أَكَلَهُ آبَاؤُكُمْ ثُمَّ مَاتُوا[٢]. مَنْ يَأْكُلْ مِنْ هٰذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ»[٣].

٥٩ ❖ قَالَ هٰذَا وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي مَجْمَعِهِمْ[٤] بِكَفَرْ نَاحُومَ[٥].

٦٠ ❖ فَحِينَ سَمِعَهُ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ قَالُوا: «إِنَّ هٰذَا كَلاَمٌ عَسِيرٌ[٦]. مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَمِعَ إِلَيْهِ»[٧].

٦١ ❖ وَإِذْ عَلِمَ يَسُوعُ فِي نَفْسِهِ[٨] أَنَّ تَلاَمِيذَهُ تَذَمَّرُوا مِنْ كَلاَمِهِ، قَالَ لَهُمْ: «أَهٰذَا يَجْعَلُكُمْ تَرْتَابُونَ[٩]؟

٦٢ ❖ فَمَاذَا لَوْ رَأَيْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ صَاعِدًا إِلَى حَيْثُ كَانَ مِنْ قَبْلُ[١٠]؟

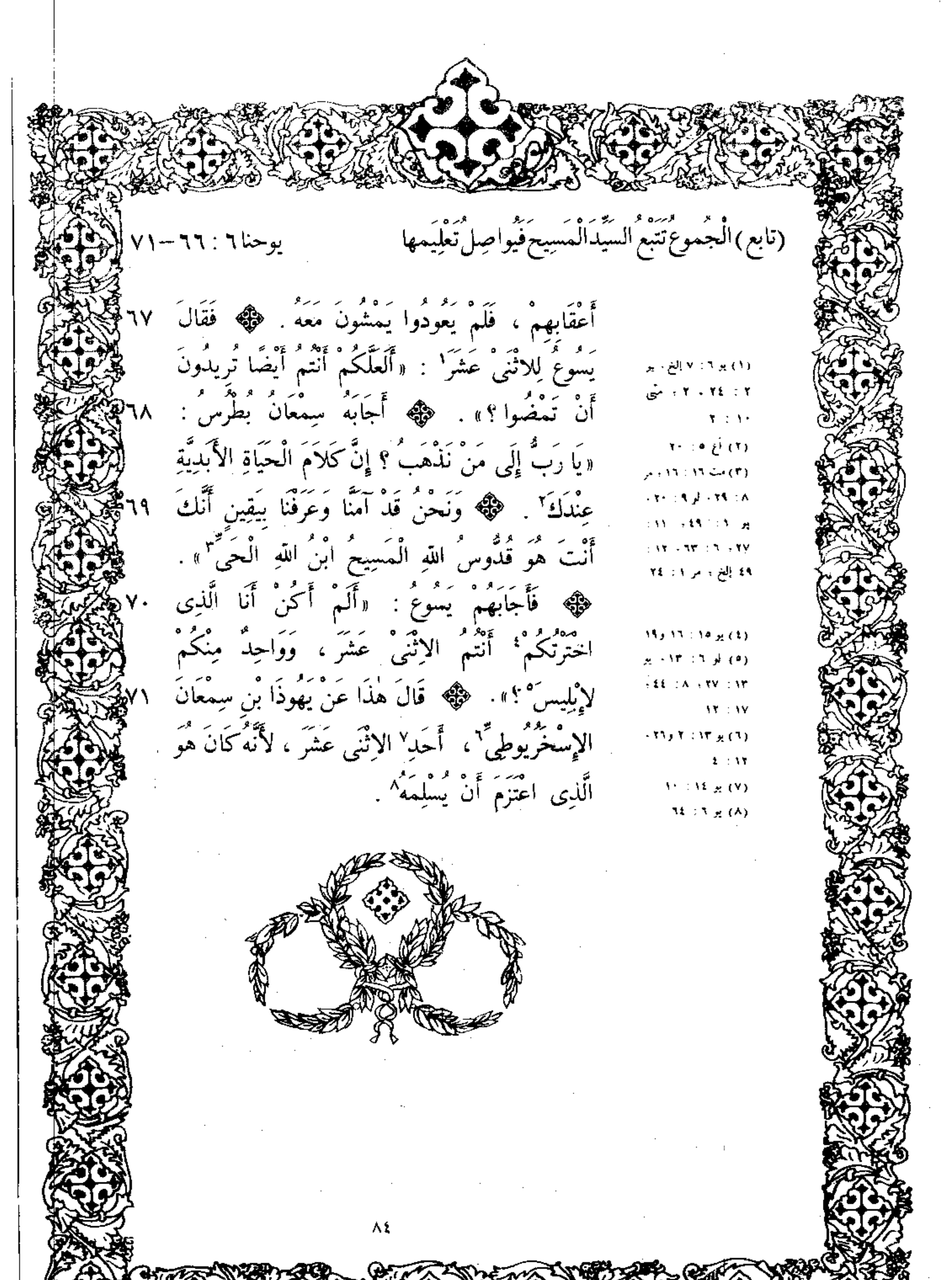
٦٣ ❖ إِنَّ الرُّوحَ هُوَ الَّذِي يُحْيِي[١١]، وَأَمَّا الْجَسَدُ فَلاَ يُجْدِي نَفْعًا. وَالْكَلاَمُ الَّذِي قُلْتُهُ لَكُمْ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ[١٢].

٦٤ ❖ وَلٰكِنَّ قَوْمًا مِنْكُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ[١٣]»، فَقَدْ كَانَ يَسُوعُ مُنْذُ الْبَدْءِ يَعْلَمُ[١٤] مَنْ هُمُ الَّذِينَ سَوْفَ لاَ يُؤْمِنُونَ وَمَنْ هُوَ الَّذِي سَيُسْلِمُهُ[١٥]،

٦٥ ❖ وَمِنْ ثَمَّ قَالَ: «لِذٰلِكَ قُلْتُ لَكُمْ[١٦] إِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقْبِلَ إِلَيَّ مَا لَمْ يُوهَبْ مِنْ أَبِي»[١٧].

٦٦ ❖ لِذٰلِكَ[١٨] نَكَصَ كَثِيرٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ عَلَى

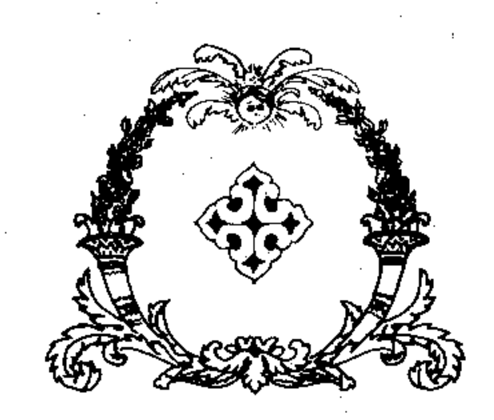
(١) يو ٦: ٤٩ و٥٠ و٥١
(٢) يو ٦: ٣١: ٤٩
(٣) يو ٦: ٤٧ و٥١ و٥٨؛ يو ٣: ٣٦؛ ٥: ٢٤؛ ١١: ٢٦
(٤) مت ٤: ٢٣
(٥) يو ٦: ٢٤
(٦) يو ٢: ٢؛ ٦: ١١؛ ٧: ٣
(٧) مت ١١: ٦؛ يو ٦: ٦٦
(٨) يو ٦: ٦٤
(٩) مت ١١: ٦
(١٠) مر ١٦: ١٩؛ يو ٣: ١٣؛ أع ١: ٩؛ أف ٤: ٨
(١١) ٢. كو ٣: ٦
(١٢) يو ٦: ٦٨
(١٣) يو ٦: ٣٦ و٦٠ و٦٦
(١٤) يو ٢: ٢٥
(١٥) يو ٢: ٢٤ و٢٥؛ ١٣: ١١؛ ٦: ٧١؛ مت ١٠: ٤
(١٦) يو ٦: ٣٧ و٤٤ و٤٥
(١٧) مت ١٣: ١١؛ يو ٣: ٢٧
(١٨) يو ٦: ٦٠ و٦٤



أَعْقَابِهِمْ ، فَلَمْ يَعُودُوا يَمْشُونَ مَعَهُ . ٦٧ فَقَالَ يَسُوعُ لِلاثْنَيْ عَشَرَ[١] : «أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا تُرِيدُونَ أَنْ تَمْضُوا ؟» . ٦٨ أَجَابَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ : «يَا رَبُّ إِلَى مَنْ نَذْهَبُ ؟ إِنَّ كَلاَمَ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ[٢] . ٦٩ وَنَحْنُ قَدْ آمَنَّا وَعَرَفْنَا بِيَقِينٍ أَنَّكَ أَنْتَ هُوَ قُدُّوسُ اللهِ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ[٣]» . ٧٠ فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ : «أَلَمْ أَكُنْ أَنَا الَّذِي اخْتَرْتُكُمْ[٤] أَنْتُمُ الاثْنَيْ عَشَرَ ، وَوَاحِدٌ مِنْكُمْ لإِبْلِيسَ[٥] ؟» . ٧١ قَالَ هٰذَا عَنْ يَهُوذَا بْنِ سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ[٦] ، أَحَدِ[٧] الاثْنَيْ عَشَرَ ، لأَنَّهُ كَانَ هُوَ الَّذِي اعْتَزَمَ أَنْ يُسْلِمَهُ[٨] .

(١) يو ٦ : ٧ إلخ ، يو ٢ : ٢٤ ، ٢ ؛ متى ١٠ : ٢
(٢) أع ٥ : ٢٠
(٣) مت ١٦ : ١٦ ؛ مر ٨ : ٢٩ ، لو ٩ : ٢٠ ، يو ١ : ٤٩ ، ١١ : ٢٧ ، ٦ : ٦٣ ، ١٢ : ٤٩ إلخ ؛ مر ١ : ٢٤
(٤) يو ١٥ : ١٦ و ١٩
(٥) لو ٦ : ١٣ ، يو ١٣ : ٢٧ ، ٨ : ٤٤ ؛ ١٧ : ١٢
(٦) يو ١٣ : ٢ و ٢٦ ، ١٢ : ٤
(٧) يو ١٤ : ١٠
(٨) يو ٦ : ٦٤





الْفَصْلُ السَّابِعُ

السَّيِّدُ المسيحُ يَدْخُلُ هيكلَ أورشليمَ فى عيدِ المظالِّ ويُخاطِبُ الشَّعبَ :

١ ❖ وَأَخَذَ يَسُوعُ بَعْدَ ذٰلِكَ يَجُولُ فِى الْجَلِيلِ[1] ، وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَجُولَ فِى الْيَهُودِيَّةِ ، لأَنَّ الْيَهُودَ[2] كَانُوا يَبْتَغُونَ قَتْلَهُ[3] .
٢ ❖ حَتَّى إِذَا اقْتَرَبَ عِيدُ الْمَظَالِّ[4] عِنْدَ الْيَهُودِ ،
٣ ❖ قَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ[5] : « ارْتَحِلْ مِنْ هُنَا وَامْضِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ ، حَتَّى يَرَى تَلاَمِيذُكَ[6] أَيْضًا أَعْمَالَكَ الَّتِى تَصْنَعُهَا .
٤ ❖ فَإِنَّهُ لاَ أَحَدَ يَعْمَلُ شَيْئًا فِى الْخُفْيَةِ وَهُوَ يَبْغِى أَنْ يَكُونَ مَعْرُوفًا . إِنْ كُنْتَ تَعْمَلُ هٰذِهِ الأَعْمَالَ فَأَظْهِرْ نَفْسَكَ لِلْعَالَمِ » ،
٥ ❖ إِذْ أَنَّ إِخْوَتَهُ أَنْفُسَهُم لَمْ يَكُونُوا يُؤْمِنُونَ بِهِ[7] .
٦ ❖ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ :

(١) يو ٤ : ٣ ، ٦ : ١ ، ١١ : ٥٤
(٢) يو ١ : ١٩ ، ٧ : ١١ و١٣ و١٥ و٣٥
(٣) يو ٥ : ١٦ و١٨ ، ٨ : ٣٧ و٤٠ ، ١١ : ٥٣ ، ٧ : ١٩
(٤) لا ٢٣ : ٣٤ ، تث ١٦ : ١٣ ، ١٧ ، زك ١٤ : ١٦ ، ١٩
(٥) مت ١٢ : ٤٦ ، مر ٣ : ٣١ ، أع ١ : ١٤ ، ٧ : ٥ و١٠
(٦) يو ٦ : ٦
(٧) مر ٣ : ٢١

«إِنَّ وَقْتِي لَمْ يَأْتِ بَعْدُ[١] . وَأَمَّا أَنْتُمْ فَوَقْتُكُمْ مُهَيَّأٌ فِي كُلِّ حِينٍ . ٧ ❖ إِنَّ الْعَالَمَ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُبْغِضَكُمْ[٢] . أَمَّا أَنَا فَيُبْغِضُنِي ، لأَنِّي أَشْهَدُ عَلَيْهِ بِأَنَّ أَعْمَالَهُ شِرِّيرَةٌ[٣] . ٨ ❖ فَاصْعَدُوا أَنْتُم إِلَى الْعِيدِ ، وَأَمَّا أَنَا فَلَنْ أَصْعَدَ الآنَ إِلَى هٰذَا الْعِيدِ ، لأَنَّ وَقْتِي لَمْ يَحِنْ بَعْدُ[٤] » . ٩ ❖ قَالَ لَهُمْ هٰذَا وَمَكَثَ فِي الْجَلِيلِ . ١٠ ❖ ثُمَّ بَعْدَ أَنْ صَعِدَ إِخْوَتُهُ ، صَعِدَ هُوَ أَيْضًا إِلَى الْعِيدِ[٥] ، وَلٰكِنْ لَيْسَ عَلاَنِيَةً ، بَلْ كَمُسْتَتِرٍ . ١١ ❖ فَكَانَ الْيَهُودُ يَبْحَثُونَ عَنْهُ فِي الْعِيدِ قَائِلِينَ «أَيْنَ هُوَ ؟» . ١٢ ❖ وَكَانَ ثَمَّةَ كَثِيرٌ مِنَ التَّهَامُسِ فِي شَأْنِهِ[٦] بَيْنَ جُمُوعِ الشَّعْبِ . فَقَدْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُونَ : «إِنَّه إِنْسَانٌ صَالِحٌ»[٧] ، فِي حِينَ كَانَ الْبَعْضُ الآخَرُ يَقُولُونَ «كَلاَّ . بَلْ إِنَّهُ يُضِلُّ الشَّعْبَ» . ١٣ ❖ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَتَكَلَّمُ عَلاَنِيَةً عَنْهُ خَوْفًا مِنَ الْيَهُودِ[٨] . ١٤ ❖ حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ نِصْفُ أَيَّامِ الْعِيدِ صَعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْهَيْكَلِ ، وَأَخَذَ يُعَلِّمُ[٩] . ١٥ ❖ فَكَانَ الْيَهُودُ يَتَعَجَّبُونَ قَائِلِينَ : «كَيْفَ يَعْرِفُ هٰذَا الْكُتُبَ وَهُوَ لَمْ يَتَعَلَّمْ[١٠] ؟» . ١٦ ❖ فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ قَائِلاً : «إِنَّ

(١) يو ٢ : ٤ ؛ ٧ : ٨ و ٣٠ ؛ ٨ : ٢٠ ؛ مت ٢٦ : ١٨
(٢) يو ١٥ : ١٨ إلخ
(٣) يو ٣ : ١٩ ، حك ٢ : ١٥
(٤) يو ٧ : ٦ و ٣٠ ؛ ٨ : ٢٠
(٥) يو ١١ : ٥٦
(٦) يو ٩ : ١٦ ؛ ١٠ : ١٩
(٧) يو ٧ : ٤٠ ، ٤٢ ؛ ٦ : ١٤ ؛ مت ٢١ : ٤٦ ؛ لو ٧ : ١٦
(٨) يو ٩ : ٢٢ ، ١٢ : ٤٢ ؛ ١٩ : ٣٨ ، ٢٠ : ١٩
(٩) يو ٧ : ٢٨ ، مت ٢٦ : ٥٥
(١٠) مت ١٣ : ٥٤ ، مر ٦ : ٢ ؛ لو ٤ : ٢٢ ، أع ٢ : ٧ ، ٢٦ : ٢٤ .

١٨

تَعْلِيمِي لَيْسَ مِنْ عِنْدِي ، بَلْ مِنْ عِنْدِ الَّذِي

١٧ أَرْسَلَنِي[١] . ❖ فَإِنْ عَمِلَ أَحَدٌ بِمَشِيئَةِ الَّذِي أَرْسَلَنِي فَسَيَعْرِفُ عِنْدَئِذٍ أَكَانَ تَعْلِيمِي[٢] مِنَ اللهِ أَمْ

١٨ أَنَّنِي أَتَكَلَّمُ مِنْ عِنْدِي وَحْدِي . ❖ إِنَّ مَنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ وَحْدَهُ إِنَّمَا يَبْتَغِي مَجْدَ نَفْسِهِ[٣] . وَأَمَّا الَّذِي يَبْتَغِي مَجْدَ الَّذِي أَرْسَلَهُ فَهُوَ صَادِقٌ

١٩ وَلاَ يَبْتَغِي ظُلْمًا . ❖ أَمَا أَعْطَاكُمْ مُوسَى الشَّرِيعَةَ[٤] وَمَعَ ذٰلِكَ فَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ يَعْمَلُ

٢٠ بِالشَّرِيعَةِ ؟ لِمَاذَا تَسْعَوْنَ إِلَى قَتْلِي ؟[٥] » ❖ أَجَابَ الْجَمْعُ وَقَالُوا : « إِنَّ بِكَ شَيْطَانًا[٦] . مَنِ الَّذِي

٢١ يَسْعَى إِلَى قَتْلِكَ ؟ » . ❖ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ : « لَقَدْ أَتَيْتُ عَمَلاً وَاحِدًا[٧] فَدَهِشْتُمْ كُلُّكُمْ .

٢٢ ❖ لَقَدْ أَعْطَاكُمْ مُوسَى الْخِتَانَ[٨] ، وَهُوَ لَيْسَ مِنْ مُوسَى ، وَإِنَّمَا مِنَ الآبَاءِ[٩] . وَأَنْتُمْ تَخْتِنُونَ الإِنْسَانَ

٢٣ فِي السَّبْتِ . ❖ فَإِنْ كَانَ الإِنْسَانُ[١٠] يُخْتَنُ فِي السَّبْتِ[١١] لِئَلاَّ تُنْقَضَ شَرِيعَةُ مُوسَى ، أَفَتَسْخَطُونَ عَلَيَّ لأَنَّنِي شَفَيْتُ إِنْسَانًا بِأَكْمَلِهِ فِي السَّبْتِ[١١] ؟

٢٤ ❖ لاَ تَحْكُمُوا حَسَبَ الظَّاهِرِ ، وَإِنَّمَا احْكُمُوا

٢٥ بِالْحَقِّ[١٢] » . ❖ فَقَالَ قَوْمٌ مِنْ أُورُشَلِيمَ : « أَلَيْسَ

(١) يو ٣ : ١١ ، ٨ : ٢٨ ، ١٢ : ٤٩ ، ١٤ : ١ و ٢٤

(٢) يو ٨ : ٤٣ ، ٣ : ٢١ ، مز ٢٤ : ٩ و١٤ ، أم ٣ : ٣٢ ، دا ١٢ : ١٠

(٣) يو ٥ : ٤١ ، ٨ : ٥ و٥٤ ، ١٢ : ٤٣

(٤) خر ٢٤ : ٣ ، تث ٣١ : ٤ ، يو ١ : ١٧ ، أع ٧ : ٣٨

(٥) مت ١٢ : ١٤ ، مر ٣ : ٦ ، ١١ : ١٨ ، يو ٥ : ١٦ و١٨ ، ١٠ : ٣١ و٣٩ ، ١١ : ٥٣ ، ٧ : ١

(٦) يو ٨ : ٤٨ و٥٢ ، ١٠ : ٢٠ ، مت ١١ : ١٨

(٧) يو ٧ : ٢٣ ، ٥ : ٢ ، ٩ و١٦

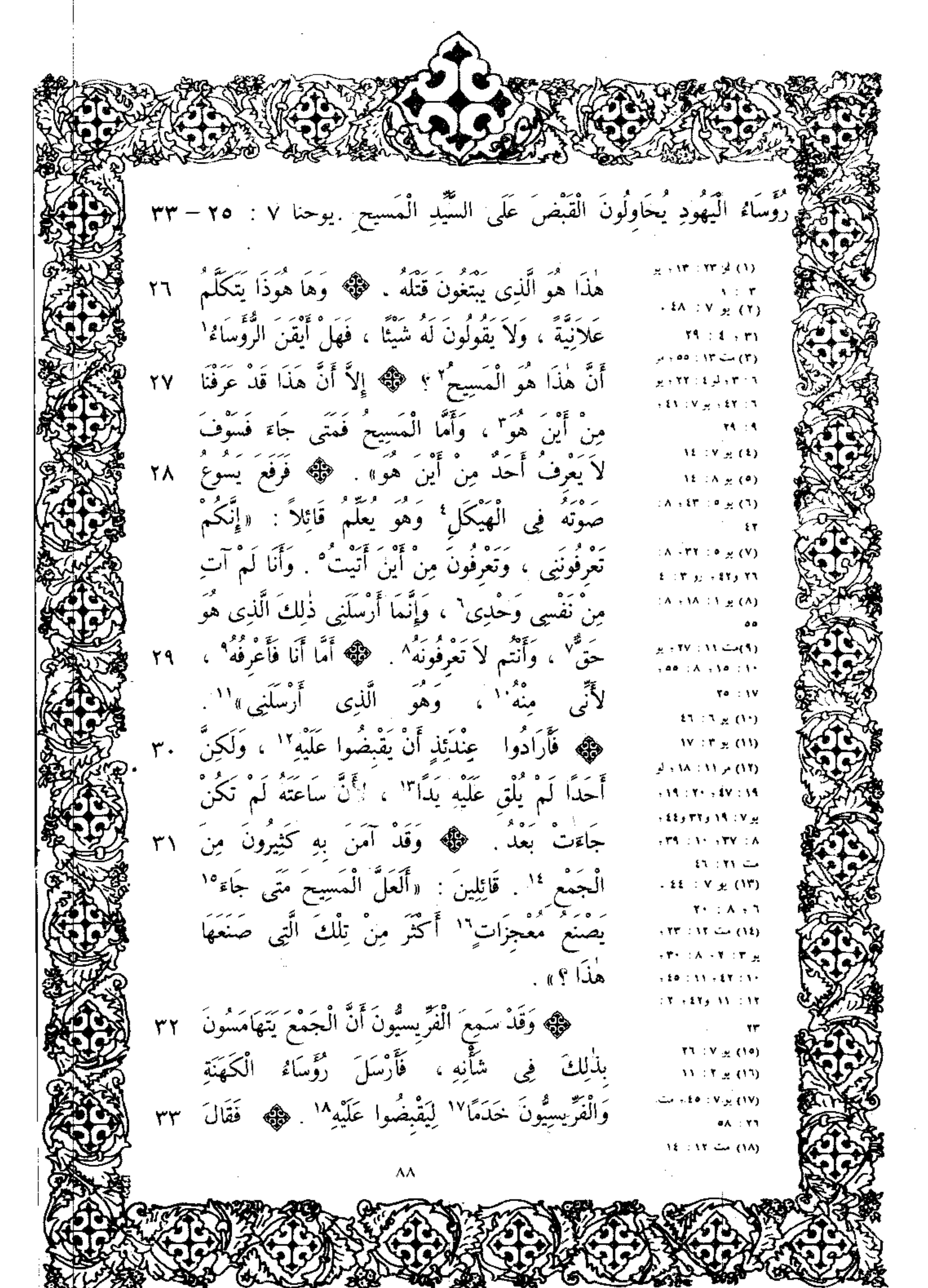
(٨) لا ١٢ : ٣

(٩) تك ١٧ : ١٠ ، ٢١ : ٤ ، أع ٧ : ٨

(١٠) مت ١٢ : ٢ ، يو ٥ : ١٠

(١١) يو ٥ : ٨ و٩ و١٦

(١٢) تث ١ : ١٦ و١٧ ، أم ٢٤ : ٢٣ ، يو ٨ : ١٥ ، يع ٢ : ١ ، لا ١٩ : ١٥ ، إش ١١ : ٣ ، زك ٧ : ٩



هٰذَا هُوَ الَّذِي يَبْتَغُونَ قَتْلَهُ . ❁ ٢٦ وَهَا هُوَذَا يَتَكَلَّمُ عَلاَنِيَةً ، وَلاَ يَقُولُونَ لَهُ شَيْئًا ، فَهَلْ أَيْقَنَ الرُّؤَسَاءُ[١] أَنَّ هٰذَا هُوَ الْمَسِيحُ[٢] ؟ ❁ ٢٧ إِلاَّ أَنَّ هٰذَا قَدْ عَرَفْنَا مِنْ أَيْنَ هُوَ[٣] ، وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَمَتَى جَاءَ فَسَوْفَ لاَ يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ هُوَ» . ❁ ٢٨ فَرَفَعَ يَسُوعُ صَوْتَهُ فِي الْهَيْكَلِ[٤] وَهُوَ يُعَلِّمُ قَائِلاً : «إِنَّكُمْ تَعْرِفُونَنِي ، وَتَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ[٥] . وَأَنَا لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي وَحْدِي[٦] ، وَإِنَّمَا أَرْسَلَنِي ذٰلِكَ الَّذِي هُوَ حَقٌّ[٧] ، وَأَنْتُمْ لاَ تَعْرِفُونَهُ[٨] . ❁ ٢٩ أَمَّا أَنَا فَأَعْرِفُهُ[٩] ، لأَنِّي مِنْهُ[١٠] ، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَنِي»[١١] .

❁ ٣٠ فَأَرَادُوا عِنْدَئِذٍ أَنْ يَقْبِضُوا عَلَيْهِ[١٢] ، وَلٰكِنَّ أَحَدًا لَمْ يُلْقِ عَلَيْهِ يَدًا[١٣] ، لأَنَّ سَاعَتَهُ لَمْ تَكُنْ جَاءَتْ بَعْدُ . ❁ ٣١ وَقَدْ آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ مِنَ الْجَمْعِ[١٤] . قَائِلِينَ : «أَلَعَلَّ الْمَسِيحَ مَتَى جَاءَ[١٥] يَصْنَعُ مُعْجِزَاتٍ[١٦] أَكْثَرَ مِنْ تِلْكَ الَّتِي صَنَعَهَا هٰذَا ؟» .

❁ ٣٢ وَقَدْ سَمِعَ الْفَرِّيسِيُّونَ أَنَّ الْجَمْعَ يَتَهَامَسُونَ بِذٰلِكَ فِي شَأْنِهِ ، فَأَرْسَلَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ خَدَمًا[١٧] لِيَقْبِضُوا عَلَيْهِ[١٨] . ❁ ٣٣ فَقَالَ

(١) لو ٢٣ : ١٣ ؛ يو ٣ : ١
(٢) يو ٧ : ٤٨ ، ٣١ ؛ ٤ : ٢٩
(٣) مت ١٣ : ٥٥ ؛ مر ٦ : ٣ ؛ لو ٤ : ٢٢ ؛ يو ٦ : ٤٢ ؛ يو ٧ : ٤١ ؛ ٩ : ٢٩
(٤) يو ٧ : ١٤
(٥) يو ٨ : ١٤
(٦) يو ٥ : ٤٣ ؛ ٨ : ٤٢
(٧) يو ٥ : ٣٢ ؛ ٨ : ٢٦ و٤٢ ؛ رو ٣ : ٤
(٨) يو ١ : ١٨ ؛ ٨ : ٥٥
(٩) مت ١١ : ٢٧ ؛ يو ١٠ : ١٥ ؛ ٨ : ٥٥ ؛ ١٧ : ٢٥
(١٠) يو ٦ : ٤٦
(١١) يو ٣ : ١٧
(١٢) مر ١١ : ١٨ ؛ لو ١٩ : ٤٧ ؛ ٢٠ : ١٩ ؛ يو ٧ : ١٩ و٣٢ و٤٤ ؛ ٨ : ٣٧ ؛ ١٠ : ٣٩ ؛ مت ٢١ : ٤٦
(١٣) يو ٧ : ٤٤ ؛ ٦ ؛ ٨ : ٢٠
(١٤) مت ١٢ : ٢٣ ؛ يو ٣ : ٢ ؛ ٨ : ٣٠ ؛ ١٠ : ٤٢ ؛ ١١ : ٤٥ ؛ ١٢ : ١١ و٤٢ ؛ ٢ : ٢٣
(١٥) يو ٧ : ٢٦
(١٦) يو ٢ : ١١
(١٧) يو ٧ : ٤٥ ؛ مت ٢٦ : ٥٨
(١٨) مت ١٢ : ١٤

يَسُوعُ : « أَنَا بَاقٍ مَعَكُمْ زَمَانًا يَسِيرًا[١] ثُمَّ أَمْضِى إِلَى
٣٤ الَّذِى أَرْسَلَنِى[٢] . ❖ عِنْدَئِذٍ سَتَطْلُبُونَنِى
فَلاَ تَجِدُونَنِى[٣] . وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا لَنْ تَسْتَطِيعُوا
٣٥ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا » . ❖ فَقَالَ الْيَهُودُ[٤] فِيمَا بَيْنَهُمْ :
« إِلَى أَيْنَ يُزْمِعُ هٰذَا أَنْ يَذْهَبَ[٥] حَتَّى إِنَّنَا
لاَ نَجِدُهُ ؟ أَلَعَلَّهُ مُزْمِعٌ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى شَتَاتِ[٦]
٣٦ الْيُونَانِيِّينَ وَيُعَلِّمَ الْيُونَانِيِّينَ ؟[٧] . ❖ مَا هٰذَا
الْكَلاَمُ الَّذِى يَقُولُهُ : سَتَطْلُبُونَنِى فَلاَ تَجِدُونَنِى ،
وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا ؟ » .

١٦

٣٧ ❖ وَفِى الْيَوْمِ الأَخِيرِ الْعَظِيمِ مِنَ الْعِيدِ[٨]
وَقَفَ يَسُوعُ وَصَاحَ قَائِلاً : « إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ
٣٨ إِلَىَّ وَيَشْرَبْ[٩] . ❖ مَنْ آمَنَ بِى كَمَا قَالَ الْكِتَابُ[١٠]
٣٩ سَتَجْرِى مِنْ بَاطِنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَىٍّ[١١] » . ❖ وَإِنَّمَا
قَالَ هٰذَا عَنِ الرُّوحِ[١٢] الَّذِى كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ
عَتِيدِينَ أَنْ يَنَالُوهُ[١٣] ، لأَنَّ الرُّوحَ[١٤] لَمْ يَكُنْ قَدْ
أُعْطِىَ بَعْدُ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ يَسُوعُ بَعْدُ قَدْ تَمَجَّدَ[١٥] .
٤٠ ❖ فَحِينَ سَمِعَ ذٰلِكَ الْكَلاَمَ قَوْمٌ مِنَ الْجَمْعِ
٤١ قَالُوا : « هٰذَا بِالْحَقِيقَةِ هُوَ النَّبِىُّ[١٦] » . ❖ وَقَالَ
آخَرُونَ : « هٰذَا هُوَ الْمَسِيحُ[١٧] » . وَقَالَ غَيْرُهُمْ :

(١) يو ١٣ : ٣٣ ، ١٢ : ٣٥ ، ١٤ : ١٩ ، ١٦ : ١٦ ، ١٩
(٢) يو ١٦ : ٥ و١٠ و١٧ ، ١٤ : ١٢ ، ٢٠ : ١٧
(٣) هو ٥ : ٦ ، يو ٨ : ٢١ ، ١٣ : ٣٣ ، ٧ : ٣٦
(٤) يو ٧ : ١
(٥) يو ٨ : ٢٢
(٦) إش ١١ : ١٢ ، يع ١ : ١ ، ١ بط ١ : ١
(٧) يو ١٢ : ٢٠ ، أع ١٤ : ١ ، ١٧ : ٤ ، ١٨ : ٤ ، رو ١ : ١٦
(٨) لا ٢٣ : ٣٦ ، عد ٢٩ : ٣٥ ، نح ٨ : ١٨
(٩) إش ٥٥ : ١ ، يو ٦ : ٣٥ ، رؤ ٢٢ : ١٧ ، يو ٤ : ١٠
(١٠) إش ٤٤ : ٣ ، ٥٥ : ١ ، ٥٨ : ١١
(١١) أم ١٨ : ٤ ، إش ١٢ : ٣ ، حز ٤٧ : ١و٢ ، زك ١٤ : ٨ ، يو ٤ : ١٠
(١٢) يؤ ٢ : ٢٨ ، يو ١ : ٣٣
(١٣) إش ٤٤ : ٣ ، يو ١٦ : ٧ ، أع ٢ : ١٧ و٣٣ و٣٨ ، رو ٨ : ٢
(١٤) أع ١ : ٤ ، ٢ : ٤ و٣٣ ، ١٩ : ٢ ، يو ٢٠ : ٢٢

انظر الصفحة التالية

«أَلَعَلَّ الْمَسِيحَ مِنَ الْجَلِيلِ[1] يَأْتِي ؟ ٤٢ ❖ أَلَمْ يَقُلِ الْكِتَابُ[2] إِنَّهُ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ وَمِنْ قَرْيَةِ بَيْتَ لَحْمَ الَّتِي مِنْهَا كَانَ دَاوُدُ[3] يَأْتِي الْمَسِيحُ ؟» . ٤٣ ❖ وَمِنْ ثَمَّ حَدَثَ انْشِقَاقٌ[4] بَيْنَ الْجَمْعِ فِي شَأْنِهِ . ٤٤ ❖ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمٌ مِنْهُمْ أَنْ يَقْبِضُوا عَلَيْهِ[5] ، وَلَكِنَّ أَحَدًا لَمْ يُلْقِ عَلَيْهِ يَدًا .

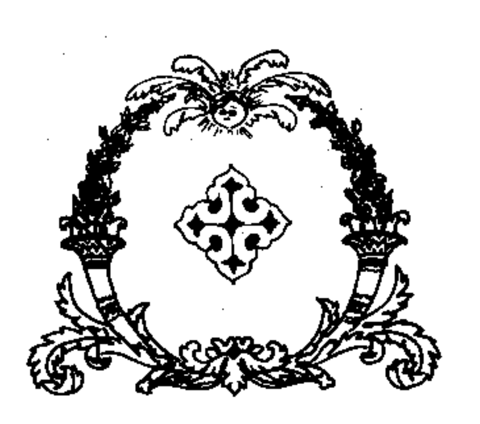
٢٠

٤٥ ❖ ثُمَّ جَاءَ الْجُنْدُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ ، فَقَالَ هؤُلاءِ لَهُمْ : «لِمَاذَا لَمْ تَأْتُوا بِهِ ؟» . ٤٦ ❖ فَأَجَابَ الْجُنْدُ : «مَا تَكَلَّمَ إِنْسَانٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ هٰذَا الإِنْسَانُ[6]» . ٤٧ ❖ فَقَالَ الْفَرِّيسِيُّونَ لَهُمْ : «أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا قَدْ ضَلَلْتُمْ ؟. ٤٨ ❖ هَلْ آمَنَ بِهِ أَحَدٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ أَوْ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ[7] ؟ ٤٩ ❖ وَلٰكِنَّ هٰذَا الشَّعْبَ الَّذِي لاَ يَعْرِفُ الشَّرِيعَةَ شَعْبٌ مَلْعُونٌ» . ٥٠ ❖ فَقَالَ لَهُمْ نِيقُودِيمُوسُ الَّذِي كَانَ قَدْ جَاءَ إِلَى يَسُوعَ لَيْلاً[8] ، وَكَانَ وَاحِدًا مِنْهُمْ : ٥١ ❖ «هَلْ تَحْكُمُ شَرِيعَتُنَا عَلَى أَحَدٍ مَا لَمْ تَسْمَعْ مِنْهُ أَوَّلاً[9] ، وَتَعْرِفْ مَاذَا فَعَلَ ؟» . ٥٢ ❖ فَأَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ «أَلَعَلَّكَ أَنْتَ أَيْضًا مِنَ

(١٥) يو ١٢ : ١٦ ، ٣٣ ، ١٦ : ٧ و١٤ ، ١٣ : ٣١ ، ١٧ : ١
(١٦) تث ١٨ : ١٥ و١٨ ، يو ١ : ٢١ ، ٦ : ١٤ ، مت ٢١ : ١١
(١٧) يو ٤ : ٤٢ ، ٦ : ٦٩
(١) يو ١ : ٤٦ ، ٧ : ٥٢
(٢) مز ١٣١ : ١١ ، ... ٢٣ : ٥ ، ميخا ٥ : ٢ ، مت ٢ : ٥ ، لو ٢ : ٤
(٣) ١ صم ١٦ : ١ و٤ ، مت ١ : ١
(٤) يو ٧ : ١٢ ، ٩ : ١٦ ، ١٠ : ١٩
(٥) يو ٧ : ٣٠
(٦) مت ٧ : ٢٨ و٢٩
(٧) يو ١٢ : ٤٢ ، أع ٦ : ٧ ، ١ كو ١ : ٢٠ و٢٦ ، ٢ : ٨ ، يو ٧ : ٢٦ ، لو ٢٣ : ١٣
(٨) يو ٣ : ٢ ، ١٩ : ٣٩
(٩) خر ٢٣ : ١ ، تث ١ : ٧ و١٧ ، ١٧ : ٦ و٨ إلخ ، ١٩ : ١٥ ، أم ١٨ : ١٣ ، أع ٢٣ : ٣

الْجَلِيلِ؟ اِبْحَثْ وَانْظُرْ. فَإِنَّهُ لاَ يَقُومُ نَبِيٌّ مِنَ الْجَلِيلِ[١]» ٥٣ وَمِنْ ثَمَّ إِنْصَرَفَ كُلٌّ مِنْهُمْ إِلَى بَيْتِهِ.

(١) إش ٩ : ١ و٢؛ ٢. مل ١٤ : ٢٥؛ مت ٤ : ١٥



الْفَصْلُ الثَّامِنُ

المَرْأَةُ الزانيةُ وَهَلِ يدينها السيد المسيح عنها؟

١ أَمَّا يَسُوعُ فَمَضَى إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ[٢]،
٢ ثُمَّ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ عادَ إلى الهَيْكَلِ، وَأَقْبَلَ الشَّعْبُ كُلُّهُ إِلَيْهِ، فَجَلَسَ[٣] يُعَلِّمُهُمْ.
٣ وَقَدَّمَ إِلَيْهِ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ امْرَأَةً ضَبَطُوها وَهِيَ تَزْنِي، وَأَقَامُوهَا فِي الْوَسَطِ،
٤ وَقَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ قَدْ ضَبَطْنَا هذِهِ الْمَرْأَةَ مُتَلَبِّسَةً وَهِيَ تَزْنِي، ٥ وَشَرِيعَةُ مُوسَى تَقْضِي

(٢) مي ٢١ : ١
(٣) مت ٢٦ : ٥٥؛ يو ٨ : ٢٠



بِرَجْمِهَا[1]، فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ ؟» . ٦ ❖ قَالُوا هٰذَا لِيُحْرِجُوهُ[2] كَيْ يَجِدُوا مَا يَتَّهِمُونَهُ[3] بِهِ . وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَنَى يَخُطُّ بِإِصْبَعِهِ عَلَى الأَرْضِ ، ٧ ❖ وَإِذِ اسْتَبْطَأُوا إِجَابَتَهُ وَأَلَحُّوا عَلَيْهِ ، رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لَهُمْ : «مَنْ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ[4] ، فَلْيَبْدَأْ وَيَرْمِهَا بِحَجَرٍ[5]» ٨ ❖ ثُمَّ انْحَنَى ثَانِيَةً يَخُطُّ عَلَى الأَرْضِ . ٩ ❖ فَلَمَّا سَمِعُوا هٰذَا مِنْهُ وَفَهِمُوا تَوْبِيخَهُ لَهُمْ[6] ، أَخَذُوا يَخْرُجُونَ وَاحِدًا فَوَاحِدًا ، يَتَقَدَّمُهُمُ الشُّيُوخُ حَتَّى خَرَجُوا جَمِيعًا وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ ، وَالْمَرْأَةُ قَائِمَةٌ فِي الْوَسَطِ . ١٠ ❖ فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ لَهَا : «يَا امْرَأَةُ ، أَيْنَ أُولٰئِكَ الَّذِينَ حَكَمُوا عَلَيْكِ ؟ أَمَا أَدَانَكِ أَحَدٌ ؟» . ١١ ❖ قَالَتْ «لاَ أَرَى أَحَدًا يَا سَيِّدِي» . فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ : «وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ[7] ، فَاذْهَبِي وَمِنَ الآنَ لاَ تَعُودِي تَخْطَئِينَ[8]» .

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُوَاصِلُ التَّعْلِيمَ فِي هَيْكَلِ أُورُشَلِيمَ :

١٢ ❖ ثُمَّ خَاطَبَهُمْ يَسُوعُ قَائِلاً : «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ[9] . مَنْ يَتْبَعُنِي لاَ يَسِيرُ فِي الظَّلاَمِ[10] ، وَإِنَّمَا يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» . ١٣ ❖ فَقَالَ لَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ : «إِنَّكَ تَشْهَدُ لِنَفْسِكَ ، فَشَهَادَتُكَ لَيْسَتْ حَقًّا[11]» . ١٤ ❖ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ

(١) لا ٢٠ : ١٠ ، تث ٢٢ : ٢٢
(٢) مت ١٦ : ١-١٩ : ٣٠ ، ٢٢ : ١٨ و٣٥ ، مر ٨ : ١١-١٠ : ٢ ، ١٢ : ١٥ ، لو ١٠ : ٢٥ ، ١١ : ١٦
(٣) مر ٣ : ٢
(٤) مت ٧ : ١
(٥) تث ١٧ : ٧ ، رو ٢ : ١
(٦) رو ٢ : ٢٢
(٧) لو ٩ : ٥٦ ، ١٢ : ١٤ ، يو ٣ : ١٧
(٨) يو ٥ : ١٤
(٩) يو ١ : ٤ و٥ و٩ ، ٣ : ١٩ ، ٩ : ٥ ، ١٢ : ٣٥ و٣٦ و٤٦ ، ٢ : ٣٥
(١٠) مت ٥ : ١٤
(١١) يو ٥ : ٣١



أَشْهَدُ لِنَفْسِى فَشهَادَتِى حَقٌّ[١] ، لأَنِّى أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ جِئْتُ[٢] ، وَإِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ جِئْتُ وَلاَ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ[٣] . ١٥ أَنْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ تَدِينُونَ[٤] ، وَأَمَّا أَنَا فَلا أَدِينُ أَحَدًا[٥] . ١٦ وَإِنِّى وَإِنْ دِنْتُ فَدَيْنُونَتِى حَقٌّ[٦] ، لأَنِّنِى لَسْتُ وَحْدِى ، بَلْ أَنَا وَالآبُ الَّذِى أَرْسَلَنِى[٧] . ١٧ وَقَدْ جَاءَ فِى شَرِيعَتِكُمْ[٨] أَنَّ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ حَقٌّ ، ١٨ فَأَنَا أَشْهَدُ لِنَفْسِى ، وَيَشْهَدُ لِى أَبِى الَّذِى أَرْسَلَنِى[٩] » ١٩ قَالُوا لَهُ : « أَيْنَ أَبُوكَ ؟ » ، فَأَجَابَ يَسُوعُ قَائِلاً : « إِنَّكُمْ لاَ تَعْرِفُونَنِى أَنَا وَلاَ تَعْرِفُونَ أَبِى[١٠] . لَوْ كُنْتُمْ تَعْرِفُونَنِى لَكُنْتُمْ تَعْرِفُونَ أَبِى أَيْضًا[١١] » . ٢٠ قَالَ يَسُوعُ هٰذِهِ الْكَلِمَاتِ فِى الْخِزَانَةِ[١٢] وَهُوَ يُعَلِّمُ فِى الْهَيْكَلِ[١٣] . وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَقْبِضَ عَلَيْهِ[١٤] ، لأَنَّ سَاعَتَهُ لَمْ تَكُنْ قَدْ أَتَتْ بَعْدُ[١٥] .

٢١ وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا « إِنِّنِى سَأَمْضِى وَسَتَأْخُذُونَ تَبْحَثُونَ عَنِّى[١٦] وَتَمُوتُونَ فِى خَطَايَاكُمْ[١٧] . فَحَيْثُ أَمْضِى أَنَا لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُو » ٢٢ فَقَالَ الْيَهُودُ[١٨] : « لَعَلَّهُ سَيَقْتُلُ نَفْسَهُ

(١) يو ١٨ : ٣٧ ، رؤ ١ : ٥ ، ٣ : ١٤
(٢) يو ١٣ : ٣ ، ١٦ : ٢٨ ، يو ٨ : ٤٢
(٣) يو ٧ : ٢٨ ، ٩ : ٢٩
(٤) يو ٧ : ٢٤ ، ١ صم ١٦ : ٧
(٥) يو ٣ : ١٧ ، ١٢ : ٤٧ ، ١٨ : ٣٦
(٦) يو ٥ : ٣٠
(٧) يو ٨ : ٢٩ ، ١٦ : ٣٢
(٨) تث ١٧ : ٦ ، ١٩ : ١٥ ، مت ١٨ : ١٦ ، ٢ كو ١٣ : ١ ، عب ١ : ٢٨
(٩) يو ٥ : ٣٧ ، ١ يو ٥ : ٩
(١٠) يو ٨ : ٥٥ ، ١٦ : ٣
(١١) يو ١٤ : ٧ ، ١٦ : ٣ ، ٧ : ٢٨ ، ١٤ : ٩ ، ٨ : ٥٥
(١٢) مر ١٢ : ٤١ و٤٣ ، لو ٢١ : ١
(١٣) يو ٧ : ١٤ ، ٨ : ٢
(١٤) يو ٧ : ٣٠
(١٥) يو ٧ : ٨
(١٦) يو ٧ : ٣٤ ، ١٣ : ٣٣
(١٧) يو ٨ : ٢٤
(١٨) يو ١ : ١٩ ، ٨ : ٤٨ و٥٢ و٥٧

إِذْ يَقُولُ حَيْثُ أَمْضِى أَنَا لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا»[١] . ٢٣ ❖ فَقَالَ لَهُمْ «أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلُ[٢] وَأَمَّا أَنَا فَمِنْ فَوْقُ . أَنْتُمْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ[٣] وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ[٤] . ٢٤ ❖ لِذَلِكَ قُلْتُ لَكُمْ[٥] إِنَّكُمْ سَتَمُوتُونَ فِى خَطَايَاكُمْ ، لأَنَّكُمْ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِأَنِّى أَنَا هُوَ[٦] فَسَتَمُوتُونَ فِى خَطَايَاكُمْ[٧]» . ٢٥ ❖ قَالُوا لَهُ : «مَنْ أَنْتَ ؟» . فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : «أَنَا ذَاكَ الَّذِى مُنْذُ الْبَدْءِ كَلَّمْتُكُمْ عَنْهُ . ٢٦ ❖ إِنَّ عِنْدِى الْكَثِيرَ لأَقُولَهُ وَأَحْكُمَ بِهِ فِى شَأْنِكُمْ ، بَيْدَ أَنَّ الَّذِى أَرْسَلَنِى هُوَ حَقٌّ[٨] ، وَمَا سَمِعْتُهُ مِنْهُ هُوَ الَّذِى أَتَكَلَّمُ بِهِ فِى الْعَالَمِ[٩]» ٢٧ ❖ فَلَمْ يَدْرُوا أَنَّهُ يُكَلِّمُهُمْ عَنِ الآبِ . ٢٨ ❖ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : «حِينَمَا تَرْفَعُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ[١٠] تُدْرِكُونَ عِنْدَئِذٍ أَنِّى أَنَا هُوَ[١١] ، وَأَنِّى لاَ أَعْمَلُ شَيْئاً مِنْ نَفْسِى وَحْدِى[١٢] ، وَإِنَّمَا أَتَكَلَّمُ بِمَا عَلَّمَنِى أَبِى[١٣] . ٢٩ ❖ إِنَّ الَّذِى أَرْسَلَنِى هُوَ مَعِى[١٤] وَلَمْ يَتْرُكْنِى وَحْدِى[١٥] ، لأَنِّى فِى كُلِّ حِينٍ أَعْمَلُ مَا يُرْضِيهِ[١٦]» . ٣٠ ❖ وَإِذْ قَالَ هَذَا آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ[١٧] ٣١ ❖ فَقَالَ يَسُوعُ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ : «إِنْ ظَلَلْتُمْ[١٨] مُتَمَسِّكِينَ بِكَلاَمِى تَكُونُوا

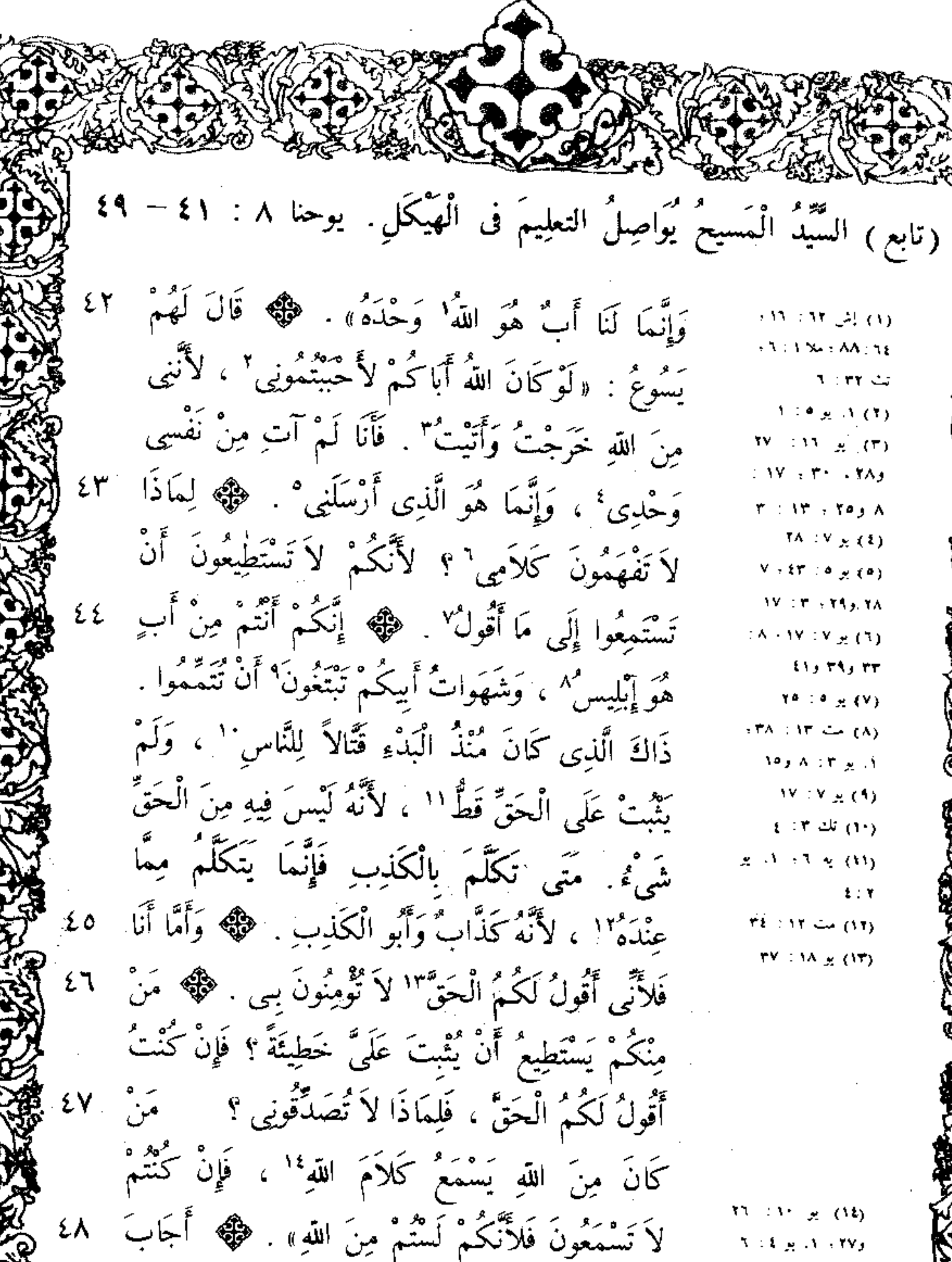
(١) يو ٧ : ٣٥
(٢) يو ٣ : ٣١
(٣) يو ١٥ : ١٩ ؛ ١٧ : ١٦ ؛ ١ يو ٤ : ٥
(٤) يو ١٧ : ١٤ و١٦
(٥) يو ٨ : ٢١
(٦) مر ١٣ : ٦ ؛ لو ٢١ : ٨ ؛ لو ٢١ : ٨ ؛ يو ٤ : ٣٦ ؛ ٨ : ٢٨ ؛ ١٣ : ١٩
(٧) مر ١٦ : ١٦
(٨) يو ٧ : ٢٨ ؛ ٣ : ٣٣
(٩) يو ٣ : ٣٢ ؛ ١٥ : ١٥ ؛ ٨ : ٤٠ ؛ ١٢ : ٤٩
(١٠) يو ٣ : ١٤ ؛ ١٢ : ٣٢
(١١) رو ١ : ٤
(١٢) يو ٥ : ١٩ و٣٠
(١٣) يو ٣ : ١١
(١٤) يو ١٤ : ١٠ و١١
(١٥) يو ٨ : ١٦ ؛ ١٦ : ٣٢
(١٦) يو ٤ : ٣٤ ؛ ٥ : ٣٠ ؛ ٦ : ٣٨
(١٧) يو ٧ : ٣١ ؛ ١٠ : ٤٢ ؛ ١١ : ٤٥ ؛ ١٢ : ١١ و٤٢ ؛ ٢ : ٢٣
(١٨) يو ١٥ : ٧ ؛ ٢ يو ٩

٢١

(تابع) السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُوَاصِلُ التعلِيمَ فى الْهَيْكَلِ. يوحنا ٨ : ٣١ – ٤١

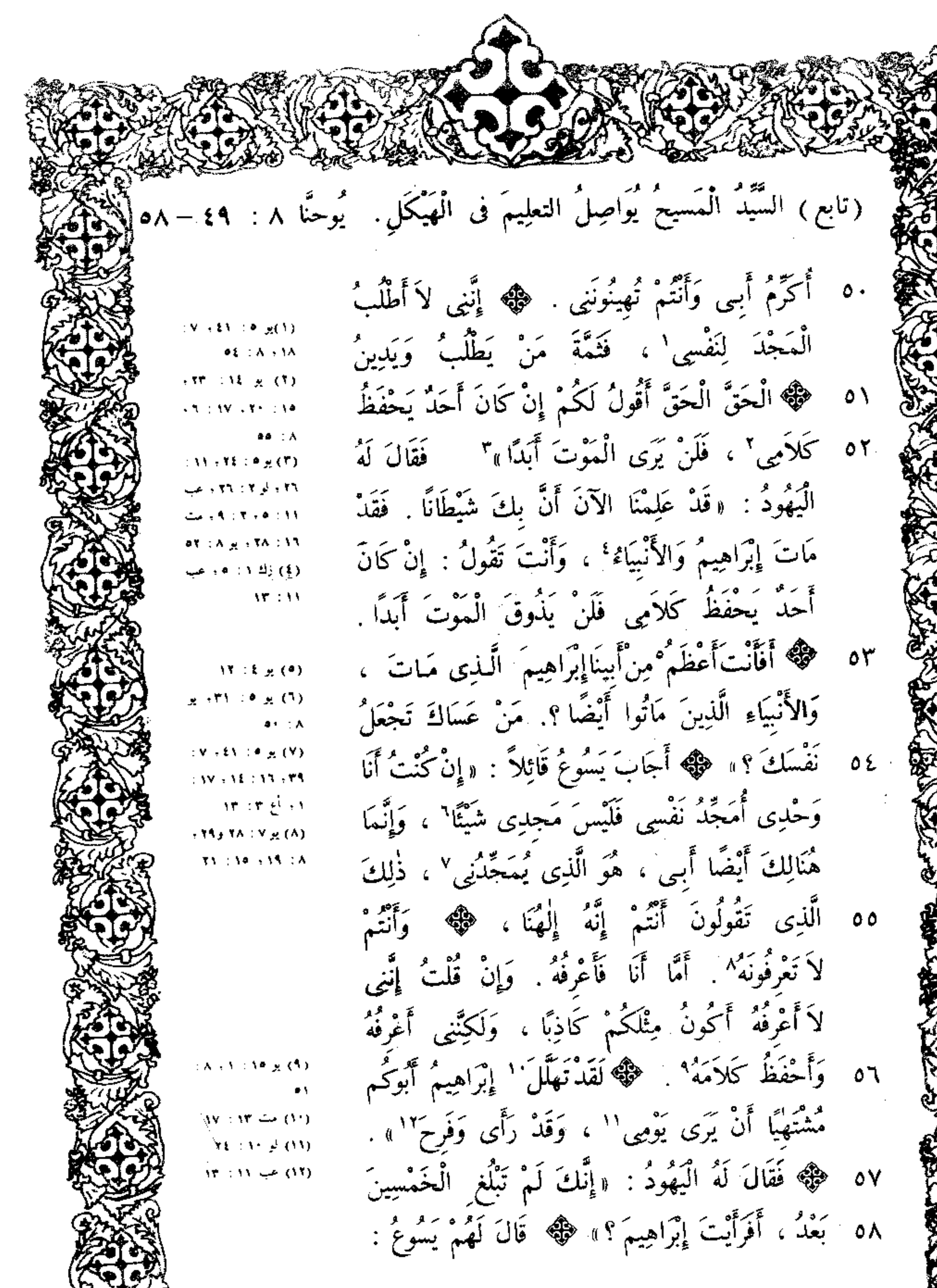
٣٢ بِالْحَقِيقَةِ تَلاَمِيذِى[١]، ❖ وَتَعْرِفُوا[٢] الْحَقَّ،
٣٣ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ[٣]». ❖ فَأَجَابُوهُ قَائِلِينَ: «إِنَّنَا ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ[٤] وَلَمْ يَسْتَعْبِدْنَا أَحَدٌ قَطُّ[٥]، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: إِنَّكُمْ تَصِيرُونَ أَحْرَارًا؟».
٣٤ ❖ فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ قَائِلاً: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ كُلَّ مَنْ يَقْتَرِفُ الْخَطِيئَةَ هُوَ عَبْدٌ
٣٥ لِلْخَطِيئَةِ[٦]. ❖ وَالْعَبْدُ لاَ يُمْكُثُ فِى الْبَيْتِ إِلَى
٣٦ الأَبَدِ[٧]، وَأَمَّا الابْنُ[٨] فَيَمْكُثُ إِلَى الأَبَدِ. ❖ فَإِنْ
٣٧ حَرَّرَكُمُ الابْنُ تَصِيرُوا بِالْحَقِيقَةِ أَحْرَارًا[٩]. ❖ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ، وَلٰكِنَّكُمْ تَبْتَغُونَ
٣٨ قَتْلِى[١٠]، لأَنَّ كَلاَمِى لاَ مَقَرَّ لَهُ فِيكُمْ. ❖ أَنَا أَتَكَلَّمُ بِمَا رَأَيْتُ لَدَى أَبِى[١١]، وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ بِمَا
٣٩ سَمِعْتُمْ مِنْ أَبِيكُمْ»[١٢]. ❖ فَأَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ: «أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ[١٣]». فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَوْكُنْتُمْ أَبْنَاءَ إِبْرَاهِيمَ لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ[١٤]،
٤٠ ❖ وَلٰكِنَّكُمُ الآنَ تَبْتَغُونَ قَتْلِى[١٥]، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُمْ بِالْحَقِّ الَّذِى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ[١٦]، وَهٰذَا مَا
٤١ لَمْ يَفْعَلْهُ إِبْرَاهِيمُ. ❖ إِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ أَبِيكُمْ». فَقَالُوا لَهُ: «إِنَّنَا لَمْ نُولَدْ مِنْ زِنًى[١٧]،

(١) يو ٢ : ٢.
(٢) يو ١ : ١٤ و١٧
(٣) رو ٦ : ١٤ و١٨ و٢٢، ٨ : ٢ يع ١ : ٢٥، ٢ : ١٢، يو ٨ : ٣٦، ٢ كو ٣ : ١٧، غل ٥ : ١ و١٣، ١ بط ٢ : ١٦
(٤) يو ٨ : ٣٧ و٣٩، مت ٣ : ٩
(٥) لا ٢٥ : ٤٢، مت ٣ : ٩، يو ٨ : ٣٩
(٦) رو ٦ : ١٦ و٢٠، ٢ بط ٢ : ١٩
(٧) غل ٤ : ٣٠، تك ٢١ : ١٠
(٨) لو ١٥ : ٣١
(٩) رو ٨ : ٢، غل ٤ : ٩ إلخ، ٥ : ١، يو ٨ : ٣٢
(١٠) يو ٧ : ١٩، ٨ : ٤٠
(١١) يو ٣ : ١١ و٣٢، ٥ : ١٩ و٣٠، ١٤ : ١٠ و٢٤
(١٢) يو ٨ : ٤١ و٤٢
(١٣) مت ٣ : ٩، يو ٨ : ٢٣ و٣٧ و٣٩
(١٤) رو ٢ : ٢٨، ٩ : ٧، غل ٣ : ٧ و٢٩
(١٥) يو ٨ : ٣٧ و٤٠، ٧ : ١
(١٦) يو ٨ : ٢٦
(١٧) تث ٣١ : ١٦، إش ١ : ٢١، هو ٢ : ٤



وَإِنَّمَا لَنَا أَبٌ هُوَ اللهُ[١] وَحْدَهُ» . ❖ ٤٢ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : «لَوْكَانَ اللهُ أَبَاكُمْ لأَحْبَبْتُمُونِى[٢] ، لأَنَّنِى مِنَ اللهِ خَرَجْتُ وَأَتَيْتُ[٣] . فَأَنَا لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِى وَحْدِى[٤] ، وَإِنَّمَا هُوَ الَّذِى أَرْسَلَنِى[٥] . ❖ ٤٣ لِمَاذَا لاَ تَفْهَمُونَ كَلاَمِى[٦] ؟ لأَنَّكُمْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَسْتَمِعُوا إِلَى مَا أَقُولُ[٧] . ❖ ٤٤ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ[٨] ، وَشَهَواتُ أَبِيكُمْ تَبْتَغُونَ[٩] أَنْ تُتَمِّمُوا . ذَاكَ الَّذِى كَانَ مُنْذُ الْبَدْءِ قَتَّالاً لِلنَّاسِ[١٠] ، وَلَمْ يَثْبُتْ عَلَى الْحَقِّ قَطُّ[١١] ، لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ شَىْءٌ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا عِنْدَهُ[١٢] ، لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذِبِ . ❖ ٤٥ وَأَمَّا أَنَا فَلأَنِّى أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ[١٣] لاَ تُؤْمِنُونَ بِى . ❖ ٤٦ مَنْ مِنْكُمْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُثْبِتَ عَلَىَّ خَطِيئَةً ؟ فَإِنْ كُنْتُ أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ ، فَلِمَاذَا لاَ تُصَدِّقُونِى ؟ ٤٧ مَنْ كَانَ مِنَ اللهِ يَسْمَعُ كَلاَمَ اللهِ[١٤] ، فَإِنْ كُنْتُمْ لاَ تَسْمَعُونَ فَلأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ اللهِ» . ❖ ٤٨ أَجَابَ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ : «أَلَمْ نَكُنْ عَلَى صَوابٍ إِذْ قُلْنَا إِنَّكَ سَامِرِىٌّ ، وَبِكَ شَيْطَانٌ[١٥]؟» ❖ ٤٩ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ : «أَنَا لَيْسَ بِى شَيْطَانٌ ، وَلَكِنَّنِى

(١) إش ٦٢ : ١٦ ؛ ٦٤ : ٨٨ ؛ ملا ١ : ٦ ؛ تث ٣٢ : ٦
(٢) ١. يو ٥ : ١
(٣) يو ١٦ : ٢٧ و٢٨ ، ٣٠ ؛ ١٧ : ٨ و٢٥ ؛ ١٣ : ٣
(٤) يو ٧ : ٢٨
(٥) يو ٥ : ٤٣ ؛ ٧ : ٢٨ و٢٩ ؛ ٣ : ١٧
(٦) يو ٧ : ١٧ ؛ ٨ : ٣٣ و٣٩ و٤١
(٧) يو ٥ : ٢٥
(٨) مت ١٣ : ٣٨ ؛ ١. يو ٣ : ٨ و١٥
(٩) يو ٧ : ١٧
(١٠) تك ٣ : ٤
(١١) يه ٦ ؛ ١. يو ٢ : ٤
(١٢) مت ١٢ : ٣٤
(١٣) يو ١٨ : ٣٧
(١٤) يو ١٠ : ٢٦ و٢٧ ؛ ١. يو ٤ : ٦
(١٥) يو ٧ : ٢٠ ؛ ٨ : ٤٨ و٥٢ ؛ ١٠ : ٢ ؛ ٤ : ٩ ؛ مت ١٠ : ٥



٥٠ أُكَرِّمُ أَبِى وَأَنْتُمْ تُهِينُونَنِى . ❖ إِنَّنِى لاَ أَطْلُبُ الْمَجْدَ لِنَفْسِى[1] ، فَثَمَّةَ مَنْ يَطْلُبُ وَيَدِينُ

٥١ ❖ الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ

٥٢ كَلاَمِى[2] ، فَلَنْ يَرَى الْمَوْتَ أَبَدًا»[3] فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ : «قَدْ عَلِمْنَا الآنَ أَنَّ بِكَ شَيْطَانًا . فَقَدْ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ وَالأَنْبِيَاءُ[4] ، وَأَنْتَ تَقُولُ : إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلاَمِى فَلَنْ يَذُوقَ الْمَوْتَ أَبَدًا .

٥٣ ❖ أَفَأَنْتَ أَعْظَمُ[5] مِنْ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِى مَاتَ ، وَالأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مَاتُوا أَيْضًا ؟. مَنْ عَسَاكَ تَجْعَلُ

٥٤ نَفْسَكَ ؟» ❖ أَجَابَ يَسُوعُ قَائِلاً : «إِنْ كُنْتُ أَنَا وَحْدِى أُمَجِّدُ نَفْسِى فَلَيْسَ مَجدِى شَيْئًا[6] ، وَإِنَّمَا هُنَالِكَ أَيْضًا أَبِى ، هُوَ الَّذِى يُمَجِّدُنِى[7] ، ذٰلِكَ

٥٥ الَّذِى تَقُولُونَ أَنْتُمْ إِنَّهُ إِلٰهُنَا ، ❖ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْرِفُونَهُ[8] . أَمَّا أَنَا فَأَعْرِفُهُ . وَإِنْ قُلْتُ إِنَّنِى لاَ أَعْرِفُهُ أَكُونُ مِثْلَكُمْ كَاذِبًا ، وَلٰكِنَّنِى أَعْرِفُهُ

٥٦ وَأَحْفَظُ كَلاَمَهُ[9] . ❖ لَقَدْ تَهَلَّلَ[10] إِبْرَاهِيمُ أَبُوكُم مُشْتَهِيًا أَنْ يَرَى يَوْمِى[11] ، وَقَدْ رَأَى وَفَرِحَ[12] » .

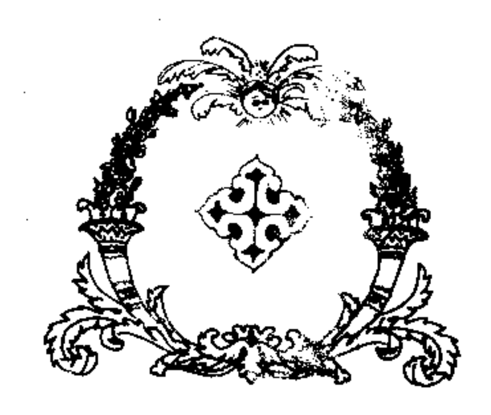
٥٧ ❖ فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ : «إِنَّكَ لَمْ تَبْلُغِ الْخَمْسِينَ

٥٨ بَعْدُ ، أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ ؟» ❖ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ :

(١) يو ٥ : ٤١ ، ٧ : ١٨ ، ٨ : ٥٤
(٢) يو ١٤ : ٢٣ ، ١٥ : ٢٠ ، ١٧ : ٦ ، ٨ : ٥٥
(٣) يو ٥ : ٢٤ ، ١١ : ٢٦ ، لو ٢ : ٢٦ ، عب ١١ : ٥ ، ٢ : ٩ ، مت ١٦ : ٢٨ ، يو ٨ : ٥٢
(٤) زك ١ : ٥ ، عب ١١ : ١٣
(٥) يو ٤ : ١٢
(٦) يو ٥ : ٣١ ، يو ٨ : ٥٠
(٧) يو ٥ : ٤١ ، ٧ : ٣٩ : ١٦ : ١٤ ، ١٧ : ١ ، أع ٣ : ١٣
(٨) يو ٧ : ٢٨ و٢٩ ، ٨ : ١٩ ، ١٥ : ٢١
(٩) يو ١٥ : ١ ، ٨ : ٥١
(١٠) مت ١٣ : ١٧
(١١) لو ١٠ : ٢٤
(١٢) عب ١١ : ١٣

«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ : قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ[١]» ❖ ٥٩ فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ[٢]. وَأَمَّا يَسُوعُ فَتَوارَى[٣] وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ، وَعَبَرَ مُجْتَازًا فِي وَسَطِهِمْ، وَهَكَذَا مَضَى.

(١) خر ٣ : ١٤ ؛ إش ٤٣ : ١٣ ؛ يو ١ : ١ ، ١٧ : ٥ و ٢٤
(٢) يو ١٠ : ٣١ و ٣٣ ، ٣٩ ؛ ١١ : ٨ ؛ مت ١٢ : ١٤
(٣) يو ١٢ : ٣٦



(٤) مت ٢٣ : ٧
(٥) يو ٩ : ٣٤ ؛ لو ١٣ : ٢ ؛ أع ٢٨ : ٤
(٦) خر ٢٠ : ٤ و ٥
(٧) يو ١١ : ٤

الْفَصْلُ التَّاسِعُ

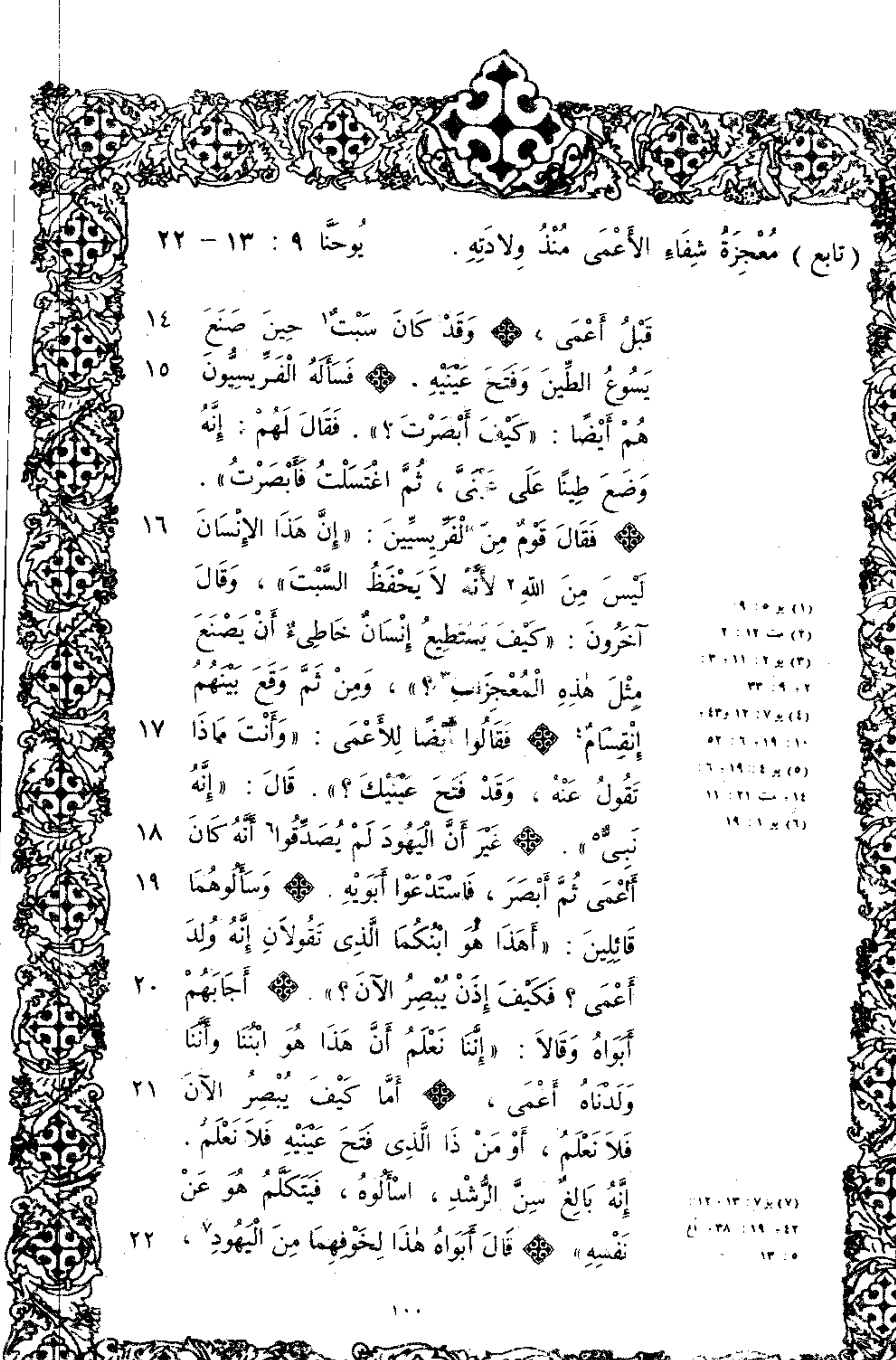
مُعْجِزَةُ شِفَاءِ الأَعْمَى مُنْذُ وِلادَتِهِ : [٢٢]

١ ❖ وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ، رَأَى رَجُلاً أَعْمَى مُنْذُ وِلاَدَتِهِ. ٢ ❖ فَسَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ : «يَامُعَلِّمُ[٤] مَنِ الَّذِي أَخْطَأَ؟ أَهٰذَا[٥] أَمْ أَبَوَاهُ[٦] حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟». ٣ ❖ أَجَابَ يَسُوعُ قَائِلاً : «لاَ هٰذَا أَخْطَأَ وَلاَ أَبَوَاهُ، وَإِنَّمَا لِكَيْ تَظْهَرَ فِيهِ أَعْمَالُ اللهِ[٧]. ٤ ❖ فَإِنَّنَا يَنْبَغِي – مَا دَامَ النَّهَارُ[٨] – أَنْ

(٨) يو ٤ : ٣٤ ، ٥ : ١٩ و ٣٦ ، ١١ : ٩ ، ١٢ : ٣٥ و ٤٦ ، ١٧ : ٤ ؛ ٧ : ٣٣ ؛ غل ٦ : ١٠

نَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِى أَرْسَلَنَا، لأَنَّهُ سَيَجِيءُ اللَّيْلُ الَّذِى لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِىَ فِيهِ عَمَلاً ٥ ❖ مَا دُمْتُ فِى الْعَالَمِ فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ[١]». ٦ ❖ قَالَ هٰذَا ثُمَّ تَفَلَ[٢] عَلَى الأَرْضِ وَصَنَعَ مِنَ التُّفْلِ طِينًا وَطَلَى بِالطِّينِ عَيْنَىِ الْمَوْلُودِ أَعْمَى. ٧ ❖ وَقَالَ لَهُ: «اذْهَبْ فَاغْسِلْ وَجْهَكَ فِى بِرْكَةِ سِلْوَامَ[٣]» وَمَعْنَاهُ: الْمُرْسَلُ، فَذَهَبَ وَغَسَلَ وَجْهَهُ[٤] وَعَادَ بَصِيرًا[٥]. ٨ ❖ فَقَالَ جِيرَانُهُ وَالَّذِينَ كَانُوا يَعْرِفُونَهُ مِنْ قَبْلُ يَسْتَعْطِى وَهُوَ أَعْمَى: «أَلَيْسَ هٰذَا هُوَ الَّذِى كَانَ يَجْلِسُ لِيَسْتَعْطِىَ؟»[٦]. ٩ ❖ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ هُوَ، وَقَالَ بَعْضُهُمُ الآخَرُ: لاَ، بَلْ يُشْبِهُهُ. أَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ: «أَنَا هُوَ». ١٠ ❖ فَقَالُوا لَهُ: «كَيْفَ انْفَتَحَتْ عَيْنَاكَ؟». ١١ ❖ أَجَابَ وَقَالَ: «إِنَّ الإِنْسَانَ الَّذِى يُدْعَى يَسُوعَ صَنَعَ طِينًا وَطَلَى بِهِ عَيْنَىَّ وَقَالَ لِىَ اذْهَبْ فَاغْسِلْ وَجْهَكَ[٧] فِى بِرْكَةِ سِلْوَامَ، فَذَهَبْتُ ١٢ وَغَسَلْتُ وَجْهِى فَأَبْصَرْتُ». ❖ فَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ هُوَ ذٰلِكَ الإِنْسَانُ؟». قَالَ: «لاَ أَعْلَمُ». ١٣ ❖ فَجَاءُوا إِلَى الْفَرِّيسِيِّينَ[٨] بِذٰلِكَ الَّذِى كَانَ مِنْ

(١) يو ١ : ٤ و ٥ و ٩، ٣ : ١٩، ٨ : ١٢، ١٢ : ٣٥ و ٤٦
(٢) مر ٧ : ٣٣، ٨ : ٢٣
(٣) نح ٣ : ١٥، لو ١٣ : ٤
(٤) ٢مل ٥ : ١٤
(٥) يو ١١ : ٣٧
(٦) أع ٣ : ٢ و ١٠
(٧) يو ٩ : ٦ و ٧
(٨) يو ١١ : ٤٦

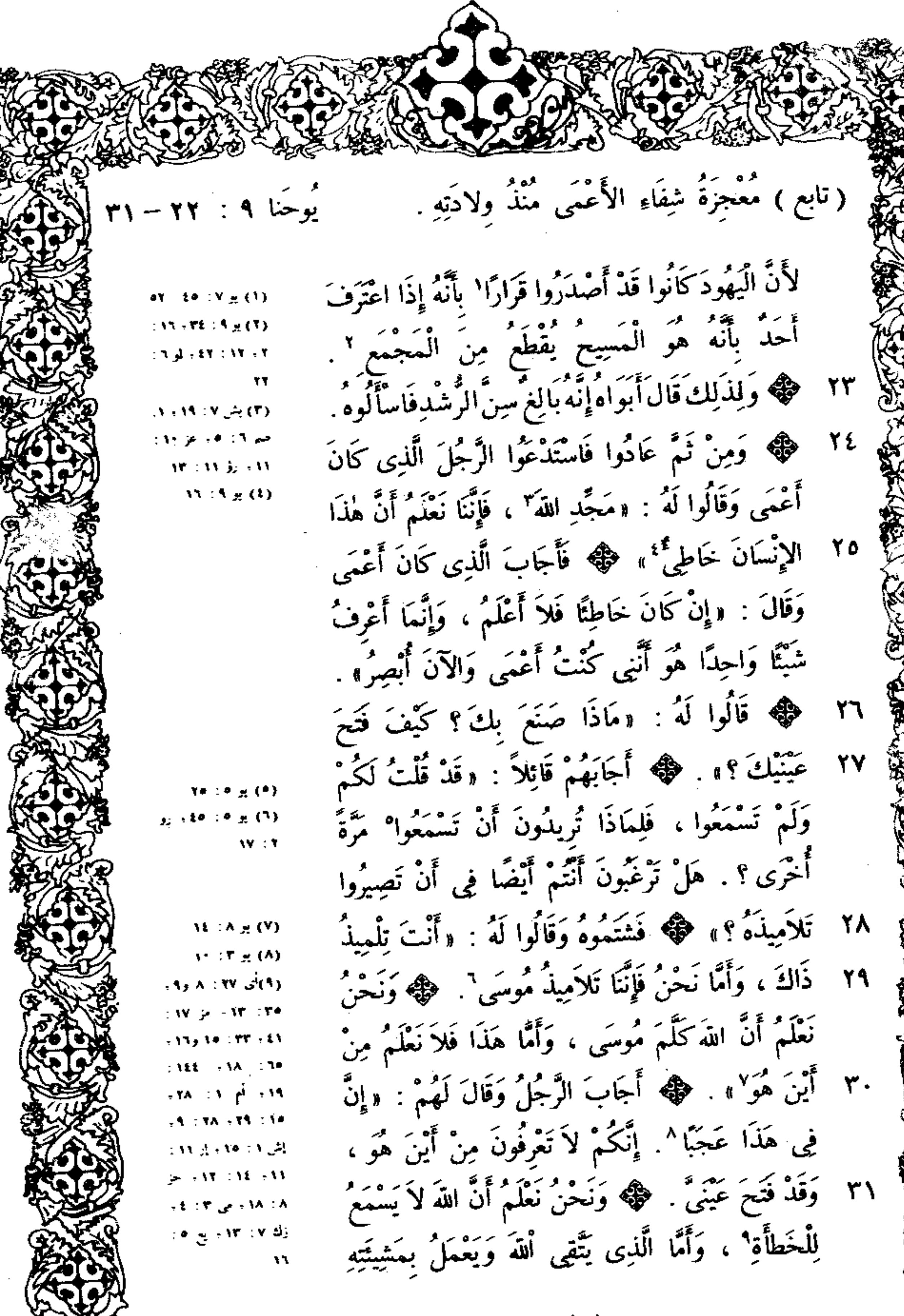


قَبْلُ أَعْمَى ، ١٤ ❖ وَقَدْ كَانَ سَبْتٌ[١] حِينَ صَنَعَ يَسُوعُ الطِّينَ وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ . ١٥ ❖ فَسَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ هُمْ أَيْضًا : «كَيْفَ أَبْصَرْتَ ؟» . فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّهُ وَضَعَ طِينًا عَلَى عَيْنَيَّ ، ثُمَّ اغْتَسَلْتُ فَأَبْصَرْتُ» .

١٦ ❖ فَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ : «إِنَّ هَذَا الإِنْسَانَ لَيْسَ مِنَ اللهِ[٢] لأَنَّهُ لاَ يَحْفَظُ السَّبْتَ» ، وَقَالَ آخَرُونَ : «كَيْفَ يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ خَاطِئٌ أَنْ يَصْنَعَ مِثْلَ هٰذِهِ الْمُعْجِزَاتِ[٣] ؟» ، وَمِنْ ثَمَّ وَقَعَ بَيْنَهُمُ انْقِسَامٌ[٤] . ١٧ ❖ فَقَالُوا أَيْضًا لِلأَعْمَى : «وَأَنْتَ مَاذَا تَقُولُ عَنْهُ ، وَقَدْ فَتَحَ عَيْنَيْكَ ؟» . قَالَ : «إِنَّهُ نَبِيٌّ[٥]» . ١٨ ❖ غَيْرَ أَنَّ الْيَهُودَ لَمْ يُصَدِّقُوا[٦] أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى ثُمَّ أَبْصَرَ ، فَاسْتَدْعَوْا أَبَوَيْهِ . ١٩ ❖ وَسَأَلُوهُمَا قَائِلِينَ : «أَهٰذَا هُوَ ابْنُكُمَا الَّذِي تَقُولاَنِ إِنَّهُ وُلِدَ أَعْمَى ؟ فَكَيْفَ إِذَنْ يُبْصِرُ الآنَ ؟» . ٢٠ ❖ أَجَابَهُمْ أَبَوَاهُ وَقَالاَ : «إِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ هٰذَا هُوَ ابْنُنَا وَأَنَّنَا وَلَدْنَاهُ أَعْمَى ، ٢١ ❖ أَمَّا كَيْفَ يُبْصِرُ الآنَ فَلاَ نَعْلَمُ ، أَوْ مَنْ ذَا الَّذِي فَتَحَ عَيْنَيْهِ فَلاَ نَعْلَمُ . إِنَّهُ بَالِغٌ سِنَّ الرُّشْدِ ، اسْأَلُوهُ ، فَيَتَكَلَّمُ هُوَ عَنْ نَفْسِهِ» ٢٢ ❖ قَالَ أَبَوَاهُ هٰذَا لِخَوْفِهِمَا مِنَ الْيَهُودِ[٧] ،

(١) يو ٥ : ٩ .
(٢) مت ١٢ : ٢ .
(٣) يو ٢ : ١١ ، ٣ : ٢ ، ٩ : ٣٣ .
(٤) يو ٧ : ١٢ و٤٣ ، ١٠ : ١٩ ، ٦ : ٥٢ .
(٥) يو ٤ : ١٩ ، ٦ : ١٤ ، مت ٢١ : ١١ .
(٦) يو ١ : ١٩ .

(٧) يو ٧ : ١٣ ، ١٢ : ٤٢ ، ١٩ : ٣٨ ، أع ٥ : ١٣ .



لأَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا قَدْ أَصْدَرُوا قَرارًا[١] بِأَنَّهُ إِذَا اعْتَرَفَ أَحَدٌ بِأَنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ يُقْطَعُ مِنَ الْمَجْمَعِ[٢] .

٢٣ ❖ وَلِذَلِكَ قَالَ أَبَوَاهُ إِنَّهُ بَالِغٌ سِنَّ الرُّشْدِ فَاسْأَلُوهُ .

٢٤ ❖ وَمِنْ ثَمَّ عَادُوا فَاسْتَدْعُوا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ أَعْمَى وَقَالُوا لَهُ : «مَجِّدِ اللهَ[٣] ، فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الإِنْسَانَ خَاطِئٌ[٤]»

٢٥ ❖ فَأَجَابَ الَّذِي كَانَ أَعْمَى وَقَالَ : «إِنْ كَانَ خَاطِئًا فَلاَ أَعْلَمُ ، وَإِنَّمَا أَعْرِفُ شَيْئًا وَاحِدًا هُوَ أَنِّي كُنْتُ أَعْمَى وَالآنَ أُبْصِرُ» .

٢٦ ❖ قَالُوا لَهُ : «مَاذَا صَنَعَ بِكَ ؟ كَيْفَ فَتَحَ عَيْنَيْكَ ؟» .

٢٧ ❖ أَجَابَهُمْ قَائِلاً : «قَدْ قُلْتُ لَكُمْ وَلَمْ تَسْمَعُوا ، فَلِمَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تَسْمَعُوا[٥] مَرَّةً أُخْرَى ؟ . هَلْ تَرْغَبُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا فِي أَنْ تَصِيرُوا تَلاَمِيذَهُ ؟»

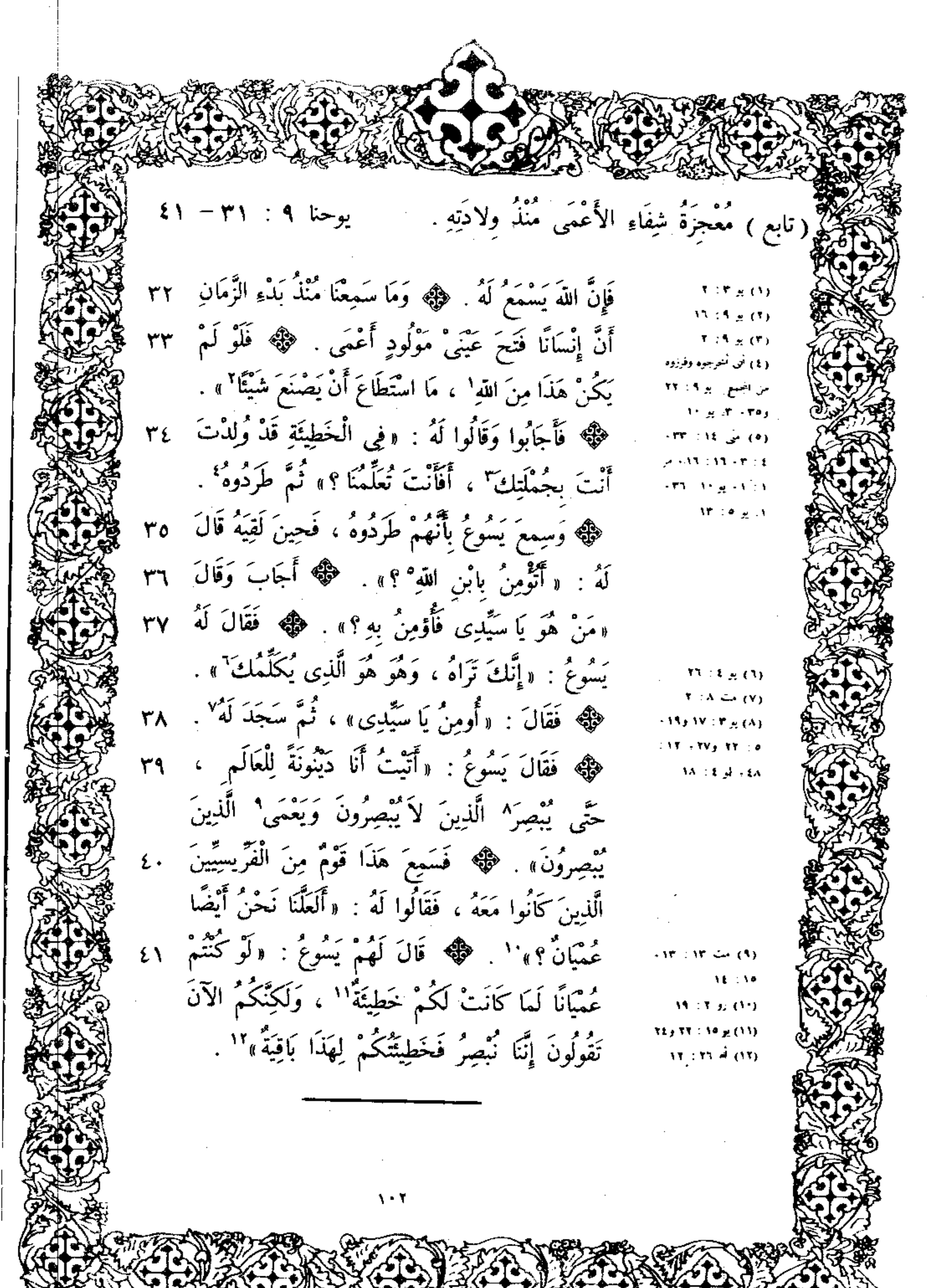
٢٨ ❖ فَشَتَمُوهُ وَقَالُوا لَهُ : «أَنْتَ تِلْمِيذُ ذَاكَ ، وَأَمَّا نَحْنُ فَإِنَّنَا تَلاَمِيذُ مُوسَى[٦] .

٢٩ ❖ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ اللهَ كَلَّمَ مُوسَى ، وَأَمَّا هَذَا فَلاَ نَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هُوَ[٧]» .

٣٠ ❖ أَجَابَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُمْ : «إِنَّ فِي هَذَا عَجَبًا[٨] . إِنَّكُمْ لاَ تَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ هُوَ ، وَقَدْ فَتَحَ عَيْنَيَّ .

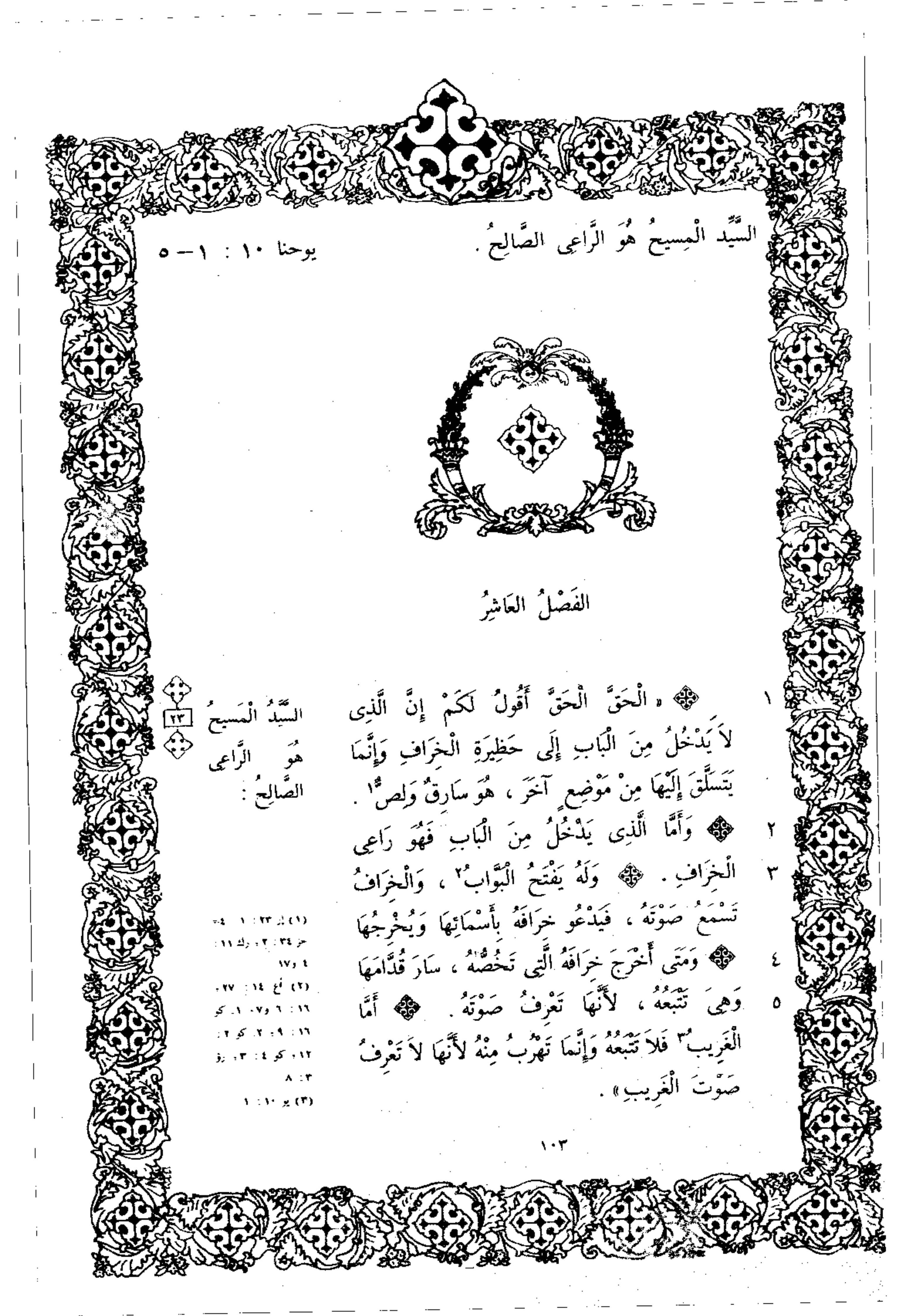
٣١ ❖ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ اللهَ لاَ يَسْمَعُ لِلْخَطَأَةِ[٩] ، وَأَمَّا الَّذِي يَتَّقِي اللهَ وَيَعْمَلُ بِمَشِيئَتِهِ

(١) يو ٧ : ٤٥ - ٥٢
(٢) يو ٩ : ٣٤ ، ١٦ : ٢ ، ١٢ : ٤٢ ، لو ٦ : ٢٢
(٣) يش ٧ : ١٩ ، ١ صم ٦ : ٥ ، عز ١٠ : ١١ ، رؤ ١١ : ١٣
(٤) يو ٩ : ١٦
(٥) يو ٥ : ٢٥
(٦) يو ٥ : ٤٥ ، رو ٢ : ١٧
(٧) يو ٨ : ١٤
(٨) يو ٣ : ١٠
(٩) أي ٢٧ : ٨ و٩ ، ٣٥ : ١٣ ، مز ١٧ : ٤١ ، ٣٣ : ١٥ و١٦ ، ٦٥ : ١٨ ، ١٤٤ : ١٩ ، أم ١ : ٢٨ ، ١٥ : ٢٩ ، ٢٨ : ٩ ، إش ١ : ١٥ ، إر ١١ : ١١ ، ١٤ : ١٢ ، حز ٨ : ١٨ ، مي ٣ : ٤ ، زك ٧ : ١٣ ، يع ٥ : ١٦



فَإِنَّ اللهَ يَسْمَعُ لَهُ . ❖ وَمَا سَمِعْنَا مُنْذُ بَدْءِ الزَّمَانِ ٣٢
أَنَّ إِنْسَانًا فَتَحَ عَيْنَيْ مَوْلُودٍ أَعْمَى . ❖ فَلَوْ لَمْ ٣٣
يَكُنْ هَذَا مِنَ اللهِ[1] ، مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَصْنَعَ شَيْئًا[2] » .
❖ فَأَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ : « فِي الْخَطِيئَةِ قَدْ وُلِدْتَ ٣٤
أَنْتَ بِجُمْلَتِكَ[3] ، أَفَأَنْتَ تُعَلِّمُنَا ؟ » ثُمَّ طَرَدُوهُ[4] .
❖ وَسَمِعَ يَسُوعُ بِأَنَّهُمْ طَرَدُوهُ ، فَحِينَ لَقِيَهُ قَالَ ٣٥
لَهُ : « أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللهِ[5] ؟ » . ❖ أَجَابَ وَقَالَ ٣٦
« مَنْ هُوَ يَا سَيِّدِي فَأُؤْمِنَ بِهِ ؟ » . ❖ فَقَالَ لَهُ ٣٧
يَسُوعُ : « إِنَّكَ تَرَاهُ ، وَهُوَ هُوَ الَّذِي يُكَلِّمُكَ[6] » .
❖ فَقَالَ : « أُومِنُ يَا سَيِّدِي » ، ثُمَّ سَجَدَ لَهُ[7] . ٣٨
❖ فَقَالَ يَسُوعُ : « أَتَيْتُ أَنَا دَيْنُونَةً لِلْعَالَمِ ، ٣٩
حَتَّى يُبْصِرَ[8] الَّذِينَ لاَ يُبْصِرُونَ وَيَعْمَى[9] الَّذِينَ
يُبْصِرُونَ » . ❖ فَسَمِعَ هَذَا قَوْمٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ ٤٠
الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ ، فَقَالُوا لَهُ : « أَلَعَلَّنَا نَحْنُ أَيْضًا
عُمْيَانٌ ؟ »[10] . ❖ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : « لَوْ كُنْتُمْ ٤١
عُمْيَانًا لَمَا كَانَتْ لَكُمْ خَطِيئَةٌ[11] ، وَلَكِنَّكُمُ الآنَ
تَقُولُونَ إِنَّنَا نُبْصِرُ فَخَطِيئَتُكُمْ لِهَذَا بَاقِيَةٌ »[12] .

(١) يو ٣ : ٢
(٢) يو ٩ : ١٦
(٣) يو ٩ : ٢
(٤) أى أخرجوه وفرزوه من المجمع . يو ٩ : ٢٢ و٣٥ . ٣ يو ١٠
(٥) مى ١٤ : ٣٣ . ٤ : ٣ . ١٦ : ١٦ . مر ١ : ١ . يو ١٠ : ٣٦ . ١ يو ٥ : ١٣
(٦) يو ٤ : ٢٦
(٧) مت ٨ : ٢
(٨) يو ٣ : ١٧ و١٩ . ٥ : ٢٢ و٢٧ . ١٢ : ٤٨ . لو ٤ : ١٨
(٩) مت ١٣ : ١٣ . ١٥ : ١٤
(١٠) رو ٢ : ١٩
(١١) يو ١٥ : ٢٢ و٢٤
(١٢) أم ٢٦ : ١٢

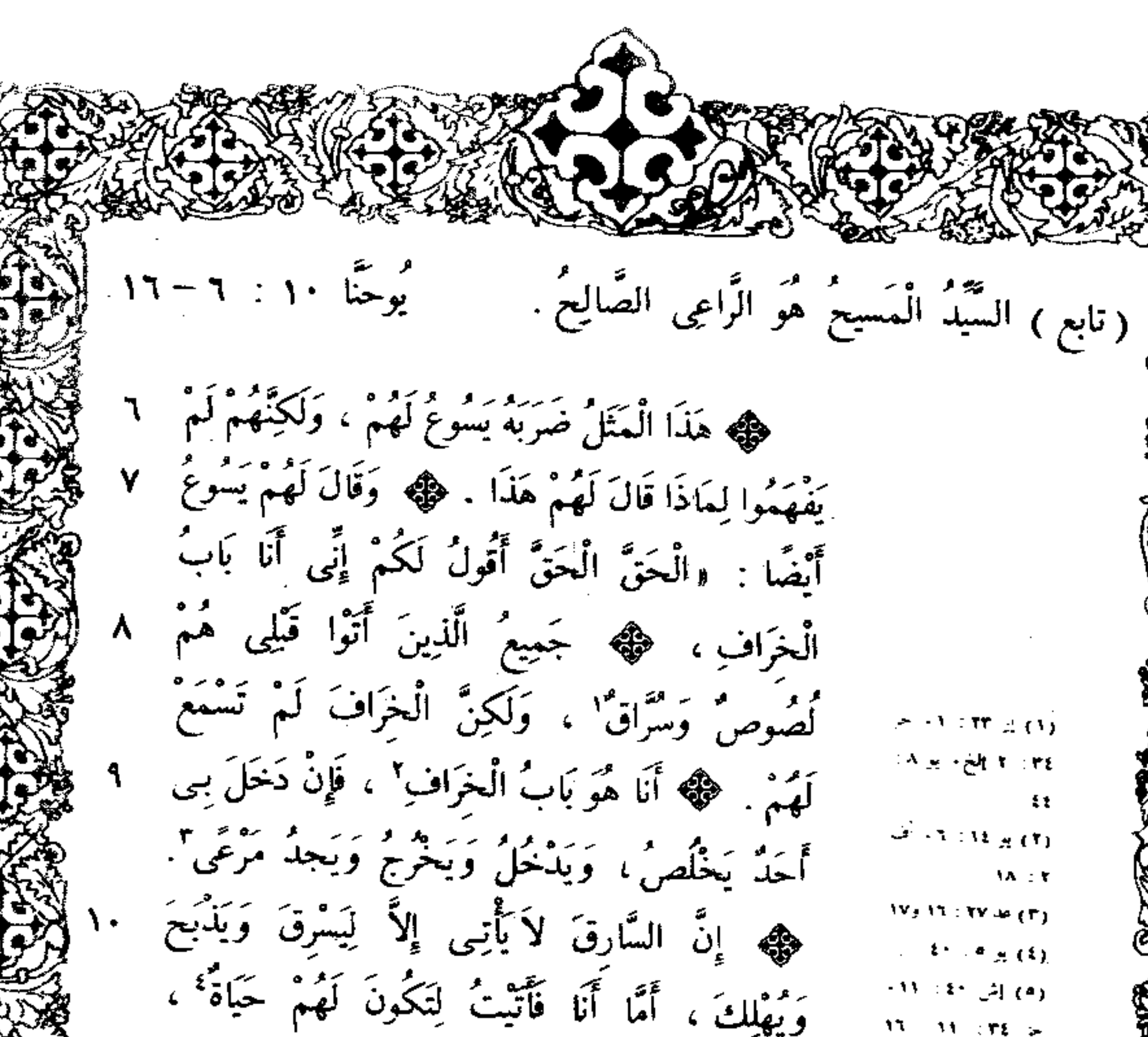


الفَصْلُ العَاشِرُ

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ [٢٣] هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ :

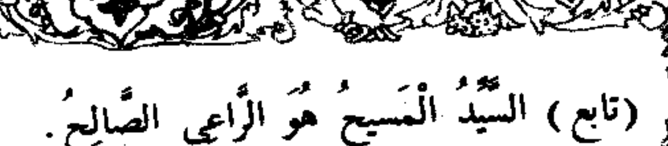
١ ❖ « الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ الَّذِي لاَ يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَى حَظِيرَةِ الْخِرَافِ وَإِنَّمَا يَتَسَلَّقُ إِلَيْهَا مِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ ، هُوَ سَارِقٌ وَلِصٌّ[١] .
٢ ❖ وَأَمَّا الَّذِي يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ فَهُوَ رَاعِي الْخِرَافِ .
٣ ❖ وَلَهُ يَفْتَحُ الْبَوَّابُ[٢] ، وَالْخِرَافُ تَسْمَعُ صَوْتَهُ ، فَيَدْعُو خِرَافَهُ بِأَسْمَائِهَا وَيُخْرِجُهَا
٤ ❖ وَمَتَى أَخْرَجَ خِرَافَهُ الَّتِي تَخُصُّهُ ، سَارَ قُدَّامَهَا وَهِيَ تَتْبَعُهُ ، لأَنَّهَا تَعْرِفُ صَوْتَهُ .
٥ ❖ أَمَّا الْغَرِيبُ[٣] فَلاَ تَتْبَعُهُ وَإِنَّمَا تَهْرُبُ مِنْهُ لأَنَّهَا لاَ تَعْرِفُ صَوْتَ الْغَرِيبِ » .

(١) ار ٢٣ : ١ – ٤؛ حز ٣٤ : ٢؛ زك ١١ : ٤ و ١٧
(٢) أع ١٤ : ٢٧؛ ١ كو ١٦ : ٦ و ٧؛ ١ كو ١٦ : ٩؛ ٢ كو ٢ : ١٢؛ كو ٤ : ٣؛ رؤ ٣ : ٨
(٣) يو ١٠ : ١



٦ ❖ هٰذَا الْمَثَلُ ضَرَبَهُ يَسُوعُ لَهُمْ ، وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا لِمَاذَا قَالَ لَهُمْ هٰذَا . ٧ ❖ وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا : « الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي أَنَا بَابُ الْخِرَافِ ، ٨ ❖ جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ لُصُوصٌ وَسُرَّاقٌ[١] ، وَلٰكِنَّ الْخِرَافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ . ٩ ❖ أَنَا هُوَ بَابُ الْخِرَافِ[٢] ، فَإِنْ دَخَلَ بِي أَحَدٌ يَخْلُصُ ، وَيَدْخُلُ وَيَخْرُجُ وَيَجِدُ مَرْعًى[٣] . ١٠ ❖ إِنَّ السَّارِقَ لاَ يَأْتِي إِلاَّ لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ ، أَمَّا أَنَا فَأَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ[٤] ، وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ . ١١ ❖ أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ[٥] ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذُلُ نَفْسَهُ[٦] عَنِ الْخِرَافِ ، ١٢ ❖ وَأَمَّا الَّذِي هُوَ أَجِيرٌ وَلَيْسَ رَاعِيًا ، ذٰلِكَ الَّذِي لَيْسَتِ الْخِرَافُ لَهُ ، فَيَرَى الذِّئْبَ مُقْبِلاً فَيَهْرُبُ وَيَتْرُكُ الْخِرَافَ[٧] ، فَيَخْطَفُهَا الذِّئْبُ وَيُبَدِّدُهَا . ١٣ ❖ لأَنَّهُ أَجِيرٌ فَهُوَ لاَ يُبَالِي بِالْخِرَافِ . ١٤ ❖ أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ وَأَعْرِفُ الْخِرَافَ الَّتِي هِيَ لِي ، وَخِرَافِي الَّتِي هِيَ لِي تَعْرِفُنِي[٨] . ١٥ ❖ كَمَا أَنَّ أَبِي يَعْرِفُنِي وَأَنَا أَعْرِفُ الآبَ[٩] . وَسَأَبْذُلُ نَفْسِي عَنْ خِرَافِي[١٠] . ١٦ ❖ وَلِي خِرَافٌ

(١) يَـ ٢٣ : ١ - حـ ٣٤ : ٢ إلخ - يو ٨ : ٤٤
(٢) يو ١٤ : ٦ - أف ٢ : ١٨
(٣) مـ ٢٧ : ١٦ و١٧
(٤) يو ٥ : ٤٠
(٥) إش ٤٠ : ١١ - حز ٣٤ : ١١ - ١٦ و٢٣ - ٣٧ : ٢٤ - عب ١٣ : ٢٠ - ١ بط ٢ : ٢٥ - ٥ : ٤
(٦) يو ١٠ : ١٥ و١٧ و١٨ - ١٥ : ١٣ - ١ يو ٣ : ١٦
(٧) زك ١١ : ١٦ و١٧
(٨) ٢ تى ٢ : ١٩
(٩) مت ١١ : ٢٧
(١٠) يو ١٥ : ١٣ - يو ١٠ : ١١ و١٧ و١٨



أُخْرَى لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ ، يَنْبَغِي أَنْ أَجِيءَ بِهَا هِيَ أَيْضًا[١] فَتَسْمَعُ صَوْتِي ، وَيَكُونَ ثَمَّةَ رَعِيَّةٌ وَاحِدَةٌ[٢] وَرَاعٍ وَاحِدٌ[٣] .

١٧ ❖ لِذَلِكَ يُحِبُّنِي أَبِي ، إِذْ أَبْذُلُ نَفْسِي ، كَيْ أَسْتَرِدَّهَا[٤] .

١٨ ❖ مَا مِنْ أَحَدٍ يَنْتَزِعُهَا[٥] مِنِّي ، وَإِنَّمَا أَبْذُلُهَا أَنَا وَحْدِي مِنْ ذَاتِي . فَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَبْذُلَهَا ، وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَسْتَرِدَّهَا[٦] . هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الَّتِي قَبِلْتُهَا مِنْ أَبِي[٧] » .

١٩ ❖ فَوَقَعَ انْقِسَامٌ أَيْضًا بَيْنَ الْيَهُودِ[٨] بِشَأْنِ هَذِهِ الأَقْوَالِ .

٢٠ ❖ فَقَالَ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ : « إِنَّ بِهِ شَيْطَانًا[٩] ، وَقَدِ اخْتَلَّ[١٠] عَقْلُهُ ، فَلِمَاذَا تَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ ؟ » .

٢١ ❖ وَقَالَ آخَرُونَ غَيْرُهُمْ : « لَيْسَ هَذَا كَلاَمَ مَنْ بِهِ شَيْطَانٌ[١١] . أَفَيَسْتَطِيعُ شَيْطَانٌ أَنْ يَفْتَحَ أَعْيُنَ الْعُمْيَانِ[١٢] ؟ » .

٢٢ ❖ وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عِيدُ التَّجْدِيدِ[١٣] بِأُورُشَلِيمَ ، وَكَانَ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ ،

٢٣ ❖ وَإِذْ كَانَ يَسُوعُ يَمْشِي فِي الْهَيْكَلِ ، فِي رُوَاقِ سُلَيْمَانَ[١٤] ،

٢٤ ❖ أَحَاطَ بِهِ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ : « إِلَى مَتَى تَتْرُكُنَا فِي حَيْرَةٍ ؟ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ فَقُلْ لَنَا ذَلِكَ

(١) إش ٥٦ : ٨ ، يو ١١ : ٥٢ ، أع ١٨ : ١٠
(٢) حز ٣٧ : ٢٢ ، أف ٢ : ١٣ – ١٨ ، عب ١٣ : ٢٠ ، ١ بط ٢ : ٢٥
(٣) حز ٣٤ : ٢٣ ، ٣٧ : ٢٤
(٤) إش ٥٣ : ٧ و٨ و١٢ ، ق ٢ : ٨ و٩ ، عب ٢ : ١٩
(٥) مت ٢٦ : ٥٣ ، يو ٥ : ٢٦
(٦) لو ٢٣ : ٤٦ ، يو ٢ : ١٩
(٧) يو ٦ : ٣٨ ، ١٢ : ٤٩ ، ١٥ : ١٠ ، ١٤ : ٣١ ، أع ٢ : ٢٤ و٣٢ ، ق ٢ : ٨ ، عب ٥ : ٨
(٨) يو ٧ : ٤٣ ، ٩ : ١٦
(٩) يو ٧ : ٢٠ ، ٨ : ٤٨ و٥٢ ، مت ١١ : ١٨
(١٠) مر ٣ : ٢١
(١١) مت ٤ : ٢٤
(١٢) خر ٤ : ١١ ، مز ٩٣ : ٩ ، ١٤٥ : ٨ ، يو ٩ : ٦ و٧ و٣٢ و٣٣
(١٣) أي تجديد الهيكل ، نحو عام ١٦٤ ق.م.
(١٤) أع ٣ : ١١ ، ٥ : ١٢

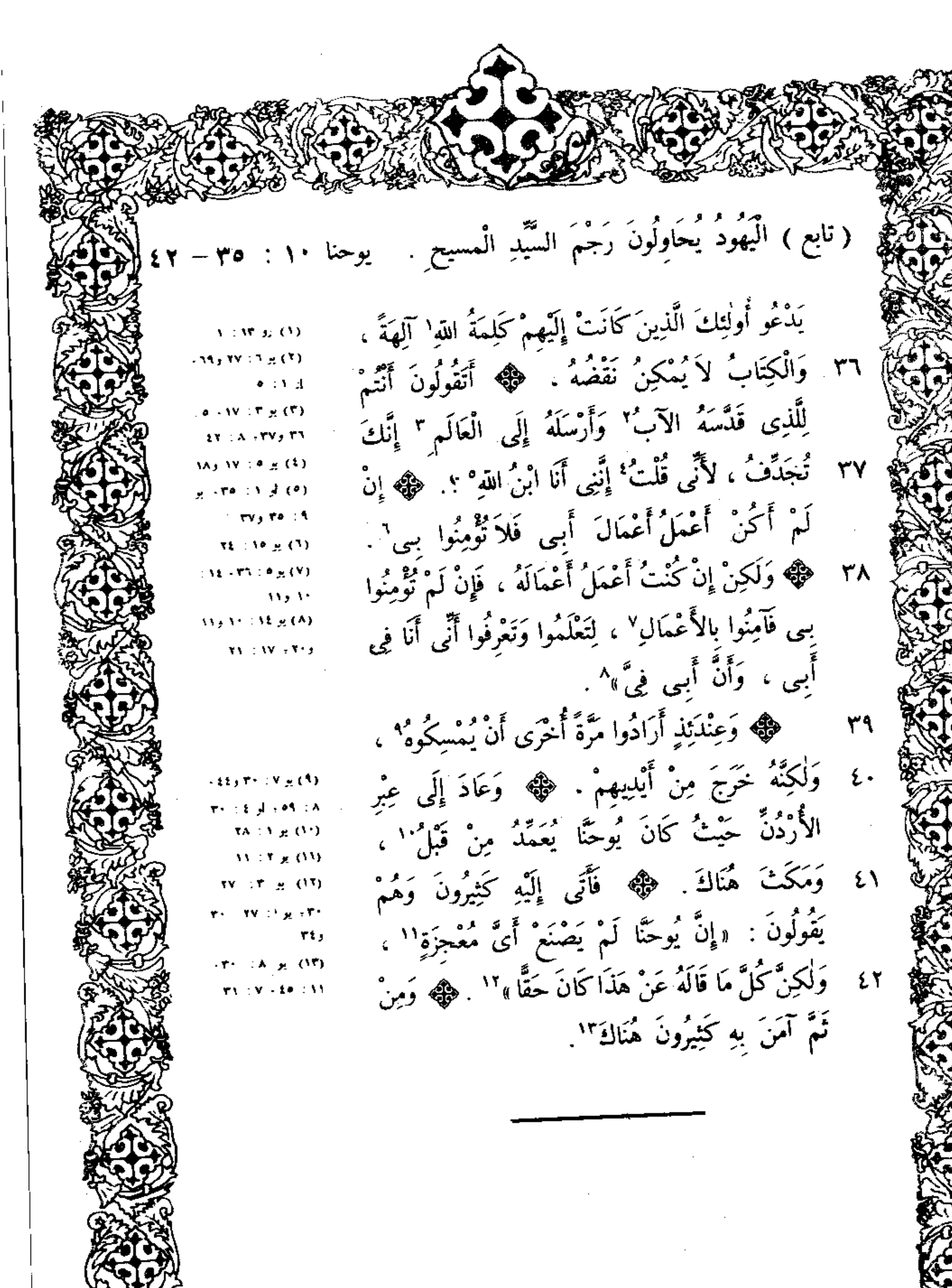
٢٤

صَرَاحَةً»[١] . ❖ ٢٥ فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ قَائِلاً : «قَدْ قُلْتُ لَكُمْ فَلَمْ تُؤْمِنُوا[٢] . إِنَّ الأَعْمَالَ الَّتِي أَعْمَلُهَا بِاسْمِ أَبِي ، هِيَ تَشْهَدُ لِي[٣] . ❖ ٢٦ وَلكِنَّكُمْ لاَ تُؤْمِنُونَ[٤] لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنْ خِرَافِي كَمَا قُلْتُ لَكُمْ . ❖ ٢٧ إِنَّ خِرَافِي أَنَا تَسْمَعُ صَوْتِي[٥] وَأَنَا أَعْرِفُهَا ، فَهِيَ تَتْبَعُنِي . ❖ ٢٨ وَأَنَا أَيْضًا أُعْطِيهَا الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ[٦] ، فَلاَ تَهْلِكُ إِلَى الأَبَدِ[٧] ، وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْتَطِفَهَا مِنْ يَدِي[٨] . ❖ ٢٩ إِنَّ أَبِي[٩] الَّذِي أَعْطَانِيهَا[١٠] هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْجَمِيعِ . فَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْتَطِفَهَا مِنْ يَدِ أَبِي . ❖ ٣٠ أَنَا وَأَبِي نَحْنُ مَعًا وَاحِدٌ»[١١] .

❖ ٣١ فَالْتَقَطَ الْيَهُودُ عِنْدَئِذٍ حِجَارَةً مَرَّةً أُخْرَى لِيَرْجُمُوهُ[١٢] ❖ ٣٢ فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ قَائِلاً : «إِنَّ أَعْمَالاً كَثِيرَةً حَسَنَةً قَدْ أَرَيْتُكُمْ مِنْ لَدُنِ أَبِي[١٣] ، فَبِسَبَبِ أَيِّ عَمَلٍ مِنْهَا تَرْجُمُونَنِي ؟» ❖ ٣٣ أَجَابَهُ الْيَهُودُ قَائِلِينَ : «إِنَّنَا نَرْجُمُكَ لاَ بِسَبَبِ عَمَلٍ حَسَنٍ ، وَإِنَّمَا بِسَبَبِ التَّجْدِيفِ[١٤] ، لأَنَّكَ ، وَأَنْتَ إِنْسَانٌ ، تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلَهًا[١٥]» .

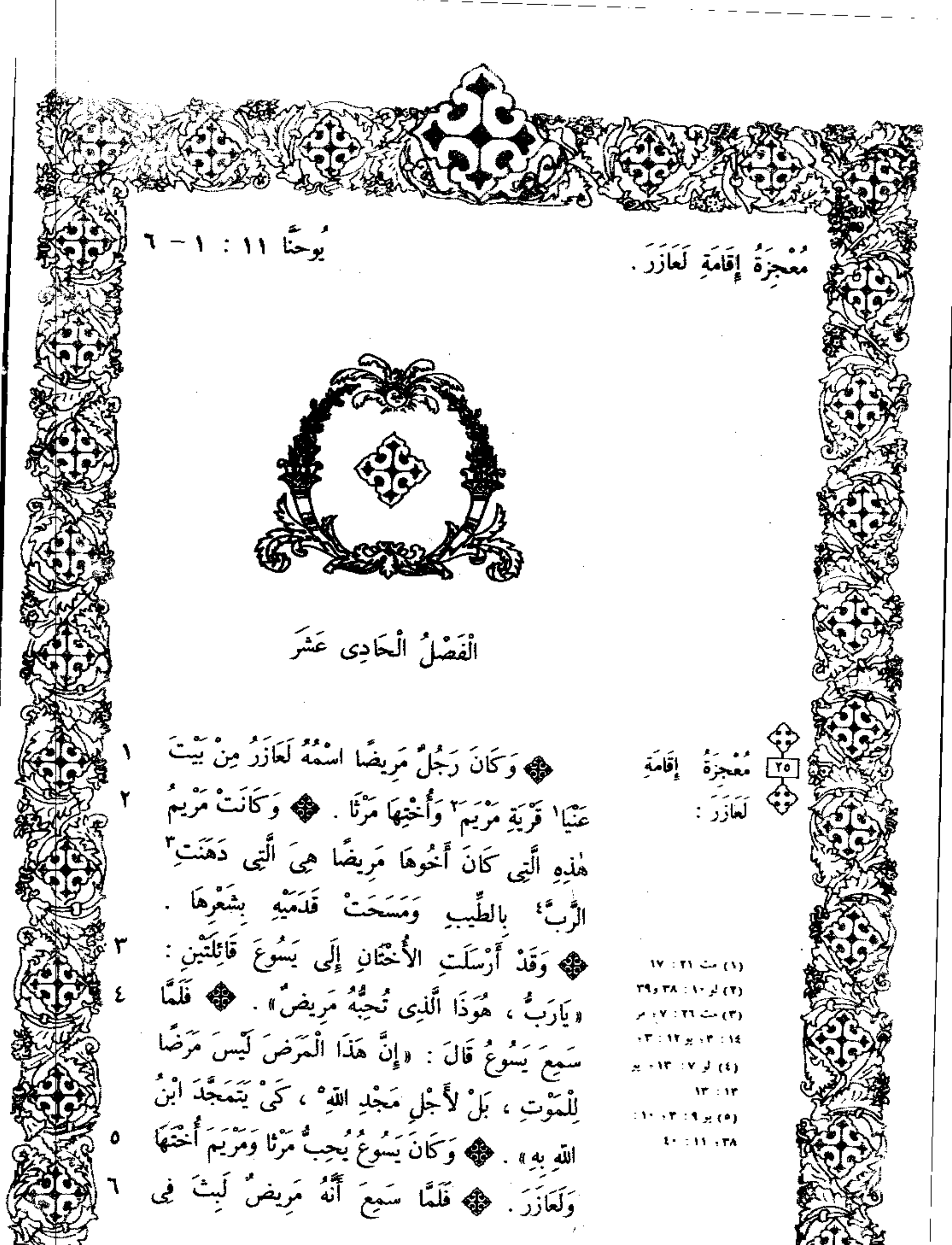
❖ ٣٤ فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ قَائِلاً : «أَلَيْسَ مَكْتُوبًا[١٦] فِي شَرِيعَتِكُمْ[١٧] : أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ ؟ ❖ ٣٥ فَإِنْ كَانَ

(١) يو ١٦ : ٢٥ ، لو ٢٢ : ٦٧
(٢) يو ٥ : ١٩ ، ٨ : ٣٦ و٥٦ و٥٨
(٣) يو ٣ : ٢ ، ٥ : ٣٦ ، ١٠ : ٣٨
(٤) يو ٨ : ٤٧ ، ١ يو ٤ : ٦
(٥) يو ١٠ : ٤ و١٤ و١٦
(٦) يو ١٧ : ٢ ، ١ يو ٥ : ١١
(٧) يو ٦ : ٣٧ و٣٩ ، ١٧ : ١١ و١٢ ، ١٨ : ٩
(٨) تث ٣٢ : ٣٩ ، إش ٤٩ : ٢
(٩) يو ١٤ : ٢٨
(١٠) يو ١٧ : ٢ و٦ إلخ
(١١) يو ١٧ : ١١ و٢٢
(١٢) لا ٢٤ : ١٠ إلخ ، يو ٨ : ٥٩
(١٣) مر ٧ : ٣٧
(١٤) لا ٢٤ : ١٦
(١٥) يو ٥ : ١٨
(١٦) يو ٥ : ١٧
(١٧) مز ٨١ : ٦ ، يو ١٢ : ٣٤ ، ١٥ : ٢٥ ، رو ٣ : ١٩ ، ١ كو ١٤ : ٢١



يَدْعُو أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَانَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ[١] آلِهَةً ،
٣٦ وَالْكِتَابُ لاَ يُمْكِنُ نَقْضُهُ . ❖ أَتَقُولُونَ أَنْتُمْ لِلَّذِى قَدَّسَهُ الآبُ[٢] وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ[٣] إِنَّكَ
٣٧ تُجَدِّفُ ، لأَنِّى قُلْتُ[٤] إِنَّنِى أَنَا ابْنُ اللهِ[٥] ؟ . ❖ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْمَلُ أَعْمَالَ أَبِى فَلاَ تُؤْمِنُوا بِى[٦] .
٣٨ ❖ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَهُ ، فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِى فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ[٧] ، لِتَعْلَمُوا وَتَعْرِفُوا أَنِّى أَنَا فِى أَبِى ، وَأَنَّ أَبِى فِىَّ »[٨] .
٣٩ ❖ وَعِنْدَئِذٍ أَرَادُوا مَرَّةً أُخْرَى أَنْ يُمْسِكُوهُ[٩] ،
٤٠ وَلَكِنَّهُ خَرَجَ مِنْ أَيْدِيهِمْ . ❖ وَعَادَ إِلَى عِبْرِ الأُرْدُنِّ حَيْثُ كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ مِنْ قَبْلُ[١٠] ،
٤١ وَمَكَثَ هُنَاكَ . ❖ فَأَتَى إِلَيْهِ كَثِيرُونَ وَهُمْ يَقُولُونَ : « إِنَّ يُوحَنَّا لَمْ يَصْنَعْ أَىَّ مُعْجِزَةٍ[١١] ،
٤٢ وَلَكِنَّ كُلَّ مَا قَالَهُ عَنْ هَذَا كَانَ حَقًّا »[١٢] . ❖ وَمِنْ ثَمَّ آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ هُنَاكَ[١٣] .

(١) رو ١٣ : ١
(٢) يو ٦ : ٢٧ و ٦٩ ، ﻟ ١ : ٥
(٣) يو ٣ : ١٧ ، ٥ : ٣٦ و ٣٧ ، ٨ : ٤٢
(٤) يو ٥ : ١٧ و ١٨
(٥) لو ١ : ٣٥ ، يو ٩ : ٣٥ و ٣٧
(٦) يو ١٥ : ٢٤
(٧) يو ٥ : ٣٦ ، ١٤ : ١٠ و ١١
(٨) يو ١٤ : ١٠ و ١١ و ٢٠ ، ١٧ : ٢١
(٩) يو ٧ : ٣٠ و ٤٤ ، ٨ : ٥٩ ، لو ٤ : ٣٠
(١٠) يو ١ : ٢٨
(١١) يو ٢ : ١١
(١٢) يو ٣ : ٢٧ - ٣٠ ، يو ١ : ٢٧ و ٣٠ و ٣٤
(١٣) يو ٨ : ٣٠ ، ١١ : ٤٥ ، ٧ : ٣١



الْفَصْلُ الْحَادِى عَشَرَ

٢٥ مُعْجِزَةُ إِقَامَةِ لَعَازَرَ :

١ ❖ وَكَانَ رَجُلٌ مَرِيضًا اسْمُهُ لَعَازَرُ مِنْ بَيْتَ عَنْيَا[1] قَرْيَةِ مَرْيَمَ[2] وَأُخْتِهَا مَرْثَا . ٢ ❖ وَكَانَتْ مَرْيَمُ هٰذِهِ الَّتِى كَانَ أَخُوهَا مَرِيضًا هِىَ الَّتِى دَهَنَتِ[3] الرَّبَّ[4] بِالطِّيبِ وَمَسَحَتْ قَدَمَيْهِ بِشَعْرِهَا . ٣ ❖ وَقَدْ أَرْسَلَتِ الأُخْتَانِ إِلَى يَسُوعَ قَائِلَتَيْنِ : «يَارَبُّ ، هُوَذَا الَّذِى تُحِبُّهُ مَرِيضٌ» . ٤ ❖ فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ : «إِنَّ هٰذَا الْمَرَضَ لَيْسَ مَرَضًا لِلْمَوْتِ ، بَلْ لأَجْلِ مَجْدِ اللهِ[5] ، كَىْ يَتَمَجَّدَ ابْنُ اللهِ بِهِ» . ٥ ❖ وَكَانَ يَسُوعُ يُحِبُّ مَرْثَا وَمَرْيَمَ أُخْتَهَا وَلَعَازَرَ . ٦ ❖ فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ مَرِيضٌ لَبِثَ فِى

(١) مت ٢١ : ١٧
(٢) لو ١٠ : ٣٨ و ٣٩
(٣) مت ٢٦ : ٧ ؛ مر ١٤ : ٣ ؛ يو ١٢ : ٣ ؛
(٤) لو ٧ : ١٣ ؛ يو ١٣ : ١٣
(٥) يو ٩ : ٣ ؛ ١٠ : ٣٨ ؛ ١١ : ٤٠

٧ الْمَوْضِعِ الَّذِى كَانَ فِيهِ[١] يَوْمَيْنِ ، ❖ ثُمَّ قَالَ لِتَلامِيذِهِ بَعْدَ ذَلِكَ : «لِنَعُدْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ» .

٨ ❖ فَقَالَ لَهُ تَلَامِيذُهُ : «يَا مُعَلِّمُ[٢] إِنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يَبْتَغُونَ أَنْ يَرْجُمُوكَ[٣]. أَفَتَذْهَبُ الآنَ إِلَى هُنَاكَ ؟» .

٩ ❖ أَجَابَ يَسُوعُ قَائِلاً : «أَلَيْسَ فِى النَّهَارِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً ؟ فَإِنْ مَشَى أَحَدٌ فِى النَّهَارِ[٤] فَلَنْ يَعْثُرَ لأَنَّهُ يَرَى نُورَ هَذَا الْعَالَمِ .

١٠ ❖ وَأَمَّا إِنْ مَشَى فِى اللَّيْلِ فَإِنَّهُ يَعْثُرُ لأَنَّهُ لَيسَ فِيهِ النُّورُ[٥]» .

١١ ❖ قَالَ هٰذَا ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهُمْ : «إِنَّ لَعَازَرَ حَبِيبَنَا قَدْ نَامَ[٦] ، وَلٰكِنَّنِى سَأَذْهَبُ لأُوقِظَهُ»

١٢ ❖ فَقَالَ التَّلامِيذُ لَهُ : «يَا رَبُّ إِنْ كَانَ قَدْ نَامَ فَإِنَّهُ يَقُومُ» .

١٣ ❖ بَيْدَ أَنَّ يَسُوعَ كَانَ يَتَكَلَّمُ عَنْ نَوْمِ مَوْتِهِ . وَأَمَّا هُمْ فَظَنُّوا أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ عَنْ رُقَادِ النَّوْمِ .

١٤ ❖ وَمِنْ ثَمَّ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ صَرَاحَةً : «إِنَّ لَعَازَرَ قَدْ مَاتَ .

١٥ ❖ وَأَنَا أَفْرَحُ مِنْ أَجْلِكُمْ - إِذْ لَمْ أَكُنْ هُنَاكَ - لِتُؤْمِنُوا . وَلٰكِنْ هَلُمُّوا نَذْهَبُ إِلَيْهِ»

١٦ ❖ فَقَالَ تُومَا[٧] الْمُلَقَّبُ دِيدِيمُوس[٨] لِلتَّلَامِيذِ رِفَاقِهِ : «لِنَذْهَبْ نَحْنُ أَيْضًا كَىْ نَمُوتَ مَعَهُ» .

١٧ ❖ فَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ وَجَدَ أَنَّ لَهُ فِى الْقَبْرِ أَرْبَعَةَ

(١) يو ١٠ : ٤٠

(٢) بالعبرانية «رابى» RABBI يعنى يامعلمى وهى تقابل فى المصطلح الجامعى لقب الدكتور أى عالم أوعلامة أوأحد كبار المعلمين مت ٢٣ : ٧

(٣) يو ١٠ : ٣١ ؛ ٨ : ٥٩

(٤) يو ٩ : ٤ ؛ لو ١٣ : ٣٣

(٥) يو ١٢ : ٣٥

(٦) تث ٣١ : ١٦ ؛ دا ١٢ : ٢ ؛ مت ٩ : ٢٤ ؛ ٢٧ : ٥٢ ؛ مر ٥ : ٣٩ ؛ لو ٨ : ٥٢ ؛ أع ٧ : ٦٠ ؛ ١٣ : ٣٦ ؛ ١ . كو ١٥ : ١٨ و ٥١

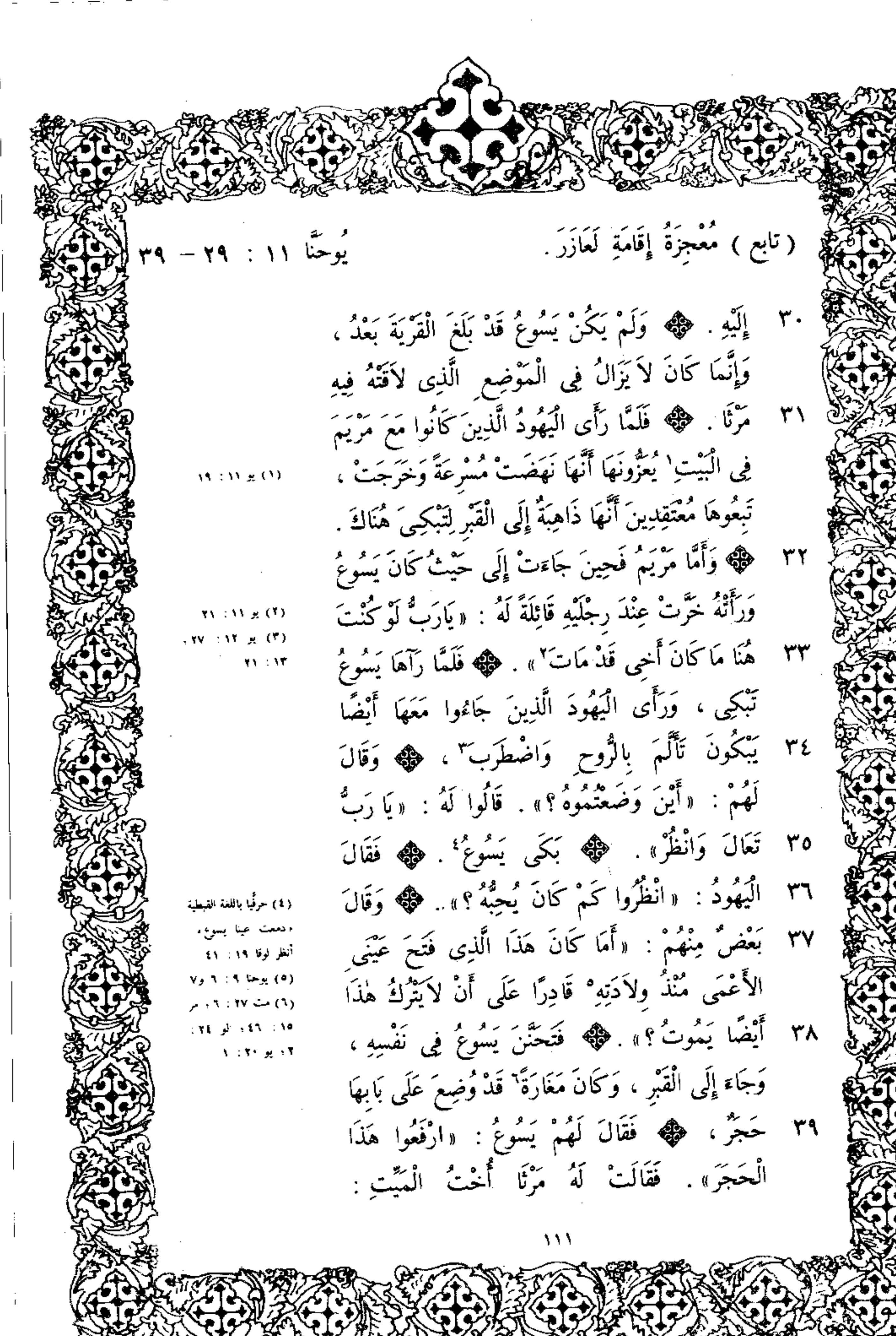
(٧) أى التوأم مت ١٠ : ٣ ؛ مر ٣ : ١٨ ؛ لو ٦ : ١٥ ؛ يو ١٤ : ٥ ؛ ٢٠ : ٢٦ - ٢٨ ؛ أع ١ : ٢٣

(٨) يو ٢٠ : ٢٤ ؛ ٢١ : ٢



أَيَّامٍ . ١٨ ❖ وَكَانَتْ بَيْتَ عَنْيَا قَرِيبَةً مِنْ أُورُشَلِيمَ عَلَى بُعْدِ نَحْوِ خَمْسَ عَشْرَةَ غَلْوَةً مِنْهَا . ١٩ ❖ وَقَدْ جَاءَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى مَرْثَا وَمَرْيَمَ لِيُعَزُّوهُمَا[١] عَنْ أَخِيهِمَا . ٢٠ ❖ فَمَا سَمِعَتْ مَرْثَا أَنَّ يَسُوعَ قَادِمٌ حَتَّى خَرَجَتْ تَسْتَقْبِلُهُ . وَأَمَّا مَرْيَمُ فَلَبِثَتْ قَاعِدَةً فِي الْبَيْتِ . ٢١ ❖ وَقَالَتْ مَرْثَا لِيَسُوعَ : «يَا رَبُّ لَوْ كُنْتَ هُنَا مَا كَانَ أَخِي قَدْ مَاتَ ، ٢٢ ❖ وَلكِنَّنِي مَا زِلْتُ أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُ مِنَ اللهِ يُعْطِيكَ اللهُ إِيَّاهُ»[٢] . ٢٣ ❖ فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ : «سَيَقُومُ أَخُوكِ» . ٢٤ ❖ قَالَتْ لَهُ مَرْثَا : «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقُومُ فِي الْقِيَامَةِ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ»[٣] . ٢٥ ❖ فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ : «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ[٤] وَالْحَيَاةُ[٥] . مَنْ آمَنَ بِي وَإِنْ مَاتَ فَسَيَحْيَا[٦] ، ٢٦ ❖ وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ[٧] . أَتُؤْمِنِينَ بِهذَا ؟» ، ٢٧ ❖ قَالَتْ لَهُ : «نَعَمْ يَا رَبُّ ، إِنَّنِي أُومِنُ بِأَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ[٨]» . ٢٨ ❖ قَالَتْ هذَا ثُمَّ ذَهَبَتْ وَدَعَتْ مَرْيَمَ أُخْتَهَا سِرًّا وَقَالَتْ لَهَا : «قَدْ حَضَرَ الْمُعَلِّمُ[٩] وَهُوَ يَدْعُوكِ» ٢٩ ❖ فَمَا إِنْ سَمِعَتْ حَتَّى نَهَضَتْ مُسْرِعَةً وَجَاءَتْ

(١) فى ٢ : ١١ ، ١ . ى ١٠ : ١٢
(٢) يو ٩ : ٣١
(٣) دا ١٢ : ٢ ، لو ١٤ : ١٤ ، يو ٥ : ٢٩ ، أع ٢٤ : ١٥
(٤) يو ٥ : ٢١ ، ٦ : ٣٩ و ٤٠ و ٤٤ و ٥٤
(٥) يو ١ : ٤ ، ٥ : ٢٦ ، ٦ : ٣٥ ، ١٤ : ٦ ، كو ٣ : ٤ ، ١ يو ١ : ١ و ٢ ، ٥ : ١١ ، رؤ ١ : ١٨
(٦) يو ٣ : ٣٦ ، ١ يو ٥ : ١ إلخ
(٧) يو ٦ : ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١
(٨) مى ١٦ : ١٦ ، يو ٤ : ٤٢ ، ٦ : ١٤ و ٦٩ ، لو ٢ : ١١
(٩) مت ٢٦ : ١٨ ، مر ١٤ : ١٤ ، لو ٢٢ : ١١ ، يو ١٣ : ١٣



إِلَيْهِ . ❖ ٣٠ وَلَمْ يَكُنْ يَسُوعُ قَدْ بَلَغَ الْقَرْيَةَ بَعْدُ ، وَإِنَّمَا كَانَ لاَ يَزَالُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لاَقَتْهُ فِيهِ مَرْثَا . ❖ ٣١ فَلَمَّا رَأَى الْيَهُودُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ مَرْيَمَ فِي الْبَيْتِ[١] يُعَزُّونَهَا أَنَّهَا نَهَضَتْ مُسْرِعَةً وَخَرَجَتْ ، تَبِعُوهَا مُعْتَقِدِينَ أَنَّهَا ذَاهِبَةٌ إِلَى الْقَبْرِ لِتَبْكِيَ هُنَاكَ . ❖ ٣٢ وَأَمَّا مَرْيَمُ فَحِينَ جَاءَتْ إِلَى حَيْثُ كَانَ يَسُوعُ وَرَأَتْهُ خَرَّتْ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَائِلَةً لَهُ : « يَارَبُّ لَوْ كُنْتَ هُنَا مَا كَانَ أَخِي قَدْ مَاتَ[٢] » . ❖ ٣٣ فَلَمَّا رَآهَا يَسُوعُ تَبْكِي ، وَرَأَى الْيَهُودَ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهَا أَيْضًا يَبْكُونَ تَأَلَّمَ بِالرُّوحِ وَاضْطَرَبَ[٣] ، ❖ ٣٤ وَقَالَ لَهُمْ : « أَيْنَ وَضَعْتُمُوهُ ؟ » . قَالُوا لَهُ : « يَا رَبُّ تَعَالَ وَانْظُرْ » . ❖ ٣٥ بَكَى يَسُوعُ[٤] . ❖ ٣٦ فَقَالَ الْيَهُودُ : « انْظُرُوا كَمْ كَانَ يُحِبُّهُ ؟ » . ❖ ٣٧ وَقَالَ بَعْضٌ مِنْهُمْ : « أَمَا كَانَ هَذَا الَّذِي فَتَحَ عَيْنَيِ الأَعْمَى مُنْذُ وِلاَدَتِهِ[٥] قَادِرًا عَلَى أَنْ لاَيَتْرُكُ هَذَا أَيْضًا يَمُوتُ ؟ » . ❖ ٣٨ فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ فِي نَفْسِهِ ، وَجَاءَ إِلَى الْقَبْرِ ، وَكَانَ مَغَارَةً[٦] قَدْ وُضِعَ عَلَى بَابِهَا حَجَرٌ ، ❖ ٣٩ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ : « ارْفَعُوا هَذَا الْحَجَرَ » . فَقَالَتْ لَهُ مَرْثَا أُخْتُ الْمَيِّتِ :

(١) يو ١١ : ١٩

(٢) يو ١١ : ٢١

(٣) يو ١٢ : ٢٧ ، ١٣ : ٢١

(٤) حرفيًا باللغة القبطية «دمعت عينا يسوع» أنظر لوقا ١٩ : ٤١

(٥) يوحنا ٩ : ٦ و٧

(٦) مت ٢٧ : ٦ ، مر ١٥ : ٤٦ ، لو ٢٤ : ٢ ، يو ٢٠ : ١

«يَا رَبُّ، إِنَّهُ قَدْ أَنْتَنَ، لأَنَّ هَذَا هُوَ يَوْمُهُ الرَّابِعُ». ٤٠ ❖ فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَلَمْ أَقُلْ لَكِ إِنَّكِ إِنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللهِ[1]». ٤١ ❖ فَرَفَعُوا الْحَجَرَ عَنْ بَابِ الْقَبْرِ. وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ[2] إِلَى فَوْقُ وَقَالَ: «يَا أَبَتَاهُ أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ قَدْ سَمِعْتَ لِي، ٤٢ ❖ وَأَنَا عَالِمٌ أَنَّكَ تَسْمَعُ لِي فِي كُلِّ حِينٍ، وَإِنَّمَا قُلْتُ ذٰلِكَ مِنْ أَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ حَوْلِي[3]، لِيُؤْمِنُوا بِأَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي أَرْسَلْتَنِي[4]». ٤٣ ❖ قَالَ هٰذَا ثُمَّ صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «لِعَازَرُ هَلُمَّ خَارِجًا[5]». ٤٤ ❖ فَخَرَجَ الْمَيِّتُ مَرْبُوطَةً[6] يَدَاهُ وَرِجْلاَهُ بِأَكْفَانٍ، وَمَلْفُوفًا وَجْهُهُ بِمِنْدِيلٍ[7]. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَمْضِي».

(١) يو ١١ : ٤ و٢٣
(٢) يو ١٧ : ١، أع ٧ : ٥٥
(٣) يو ١٢ : ٣٠، ١٧ : ٢١
(٤) يو ٣ : ١٧
(٥) يو ٥ : ٢٥ و٢٨
(٦) يو ١٩ : ٤٠
(٧) يو ٢٠ : ٧
(٨) يو ١٢ : ١٧
(٩) يو ٢ : ٢٣، ١٠ : ٤٢، ١٢ : ١١ و١٨
(١٠) مت ٢٦ : ٣
(١١) يو ٧ : ٣٢ و٤٥

رُؤَسَاءُ الْيَهُودِ يَتآمَرُونَ لِقَتْلِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ: [٢٦]

٤٥ ❖ وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ جَاءُوا إِلَى مَرْيَمَ[8]، إِذْ رَأَوْا مَا فَعَلَ يَسُوعُ آمَنُوا بِهِ[9]. ٤٦ ❖ غَيْرَ أَنَّ بَعْضَهُمْ ذَهَبُوا إِلَى الْفَرِّيسِيِّينَ[10] وَأَخْبَرُوهُمْ بِمَا فَعَلَ يَسُوعُ، ٤٧ ❖ فَعَقَدَ[11] رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ مَجْمَعًا[12]، وَقَالُوا: «مَاذَا نَعْمَلُ[13] فَإِنَّ هَذَا

(١٢) مز ٢ : ٢ - مت ٢٦ : ٣، مر ١٤ : ١، لو ٢٢ : ٢، مت ٥ : ٢٢
(١٣) يو ١٢ : ١٩، أع ٤ : ١٦



٤٨ الإِنْسَانَ يَصْنَعُ مُعْجِزَاتٍ كَثِيرَةً . ❖ فَإِنْ تَرَكْنَاهُ هَكَذَا آمَنَ الْجَمِيعُ بِهِ ، فَيَأْتِي الرُّومَانُ وَيَسْتَوْلُونَ عَلَى مَوْضِعِنَا[١] وَأُمَّتِنَا » .

٤٩ ❖ فَقَالَ لَهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ اسْمُهُ قَيَافَا[٢]، وَكَانَ هُوَ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ[٣] : « إِنَّكُمْ لاَ تَعْرِفُونَ شَيْئًا .

٥٠ ❖ وَلاَ تُدْرِكُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلاَ تَهْلِكُ الأُمَّةُ كُلُّهَا »[٤] .

٥١ ❖ وَلَمْ يَقُلْ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَإِنَّمَا إِذْ كَانَ هُوَ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ تَنَبَّأَ[٥] بِأَنَّ يَسُوعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الأُمَّةِ .

٥٢ ❖ وَلَيْسَ عَنِ الأُمَّةِ فَقَطْ[٦] ، وَإِنَّمَا لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَحْدَةٍ وَاحِدَةٍ[٧] .

٥٣ ❖ ومُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ أَخَذُوا يَتَآمَرُونَ[٨] عَلَى قَتْلِهِ .

٥٤ ❖ وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعُدْ يَسُوعُ يَمْشِي بَيْنَ الْيَهُودِ عَلاَنِيَةً[٩] ، وَإِنَّمَا مَضَى إِلَى بُقْعَةٍ بِالْقُرْبِ مِنَ الْبَرِّيَّةِ حَيْثُ كَانَتْ مَدِينَةٌ تُسَمَّى إِفْرَايِمَ[١٠] ، وَمكَثَ هُنَاكَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ .

٥٥ ❖ فَلَمَّا اقْتَرَبَ فِصْحُ[١١] الْيَهُودِ ، صَعِدَ كَثِيرُونَ مِنَ الرِّيفِ إِلَى أُورُشَلِيمَ قَبْلَ الْفِصْحِ لِيَتَطَهَّرُوا[١٢] .

٥٦ ❖ وَكَانُوا يَبْحَثُونَ عَنْ يَسُوعَ[١٣]

(١) مت ٢٤ : ١٥
(٢) مت ٢٦ : ٣ ، لو ٣ : ٢ ، يو ١٨ : ١٤ ، أع ٤ : ٦
(٣) يو ١٨ : ١٣
(٤) يو ١٨ : ١٤
(٥) خر ٢٨ : ٣٠ ، عد ٢٧ : ٢١ ، ١ صم ٢٣ : ٩ ، ٣٠ : ٧ ، عز ٢ : ٦٣
(٦) إش ٤٩ : ٦ ، ١ يو ٢ : ٢
(٧) يو ١٠ : ١٩ ، أف ٢ : ١٤ - ١٧
(٨) مت ٢٦ : ٤
(٩) يوحنا ٤ : ١ و ٣ ، ٧ : ١
(١٠) ٢ أى ١٣ : ١٩
(١١) يو ٢ : ١٣ ، ٥ : ١ ، ٦ : ٤ ، ١٢ : ١ ، مت ٢٦ : ١ ، مر ١٤ : ١ ، لو ٢٢ : ١
(١٢) عدد ٩ : ١٠ ، ٢ أى ٣٠ : ١٧ ، أع ٢١ : ٢٤ ، يو ١٨ : ٢٨
(١٣) يو ٧ : ١١

وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ وَهُمْ قِيَامٌ فِي الْهَيْكَلِ : «مَاذَا تَظُنُّونَ ، أَلَعَلَّهُ لَنْ يَأْتِيَ فِي الْعِيدِ ؟» .

٥٧ ❖ وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ قَدْ أَصْدَرُوا أَمْرًا بِأَنَّ عَلَى مَنْ يَعْرِفُ أَيْنَ هُوَ أَنْ يُرْشِدَهُمْ إِلَيْهِ لِيُمْسِكُوهُ .

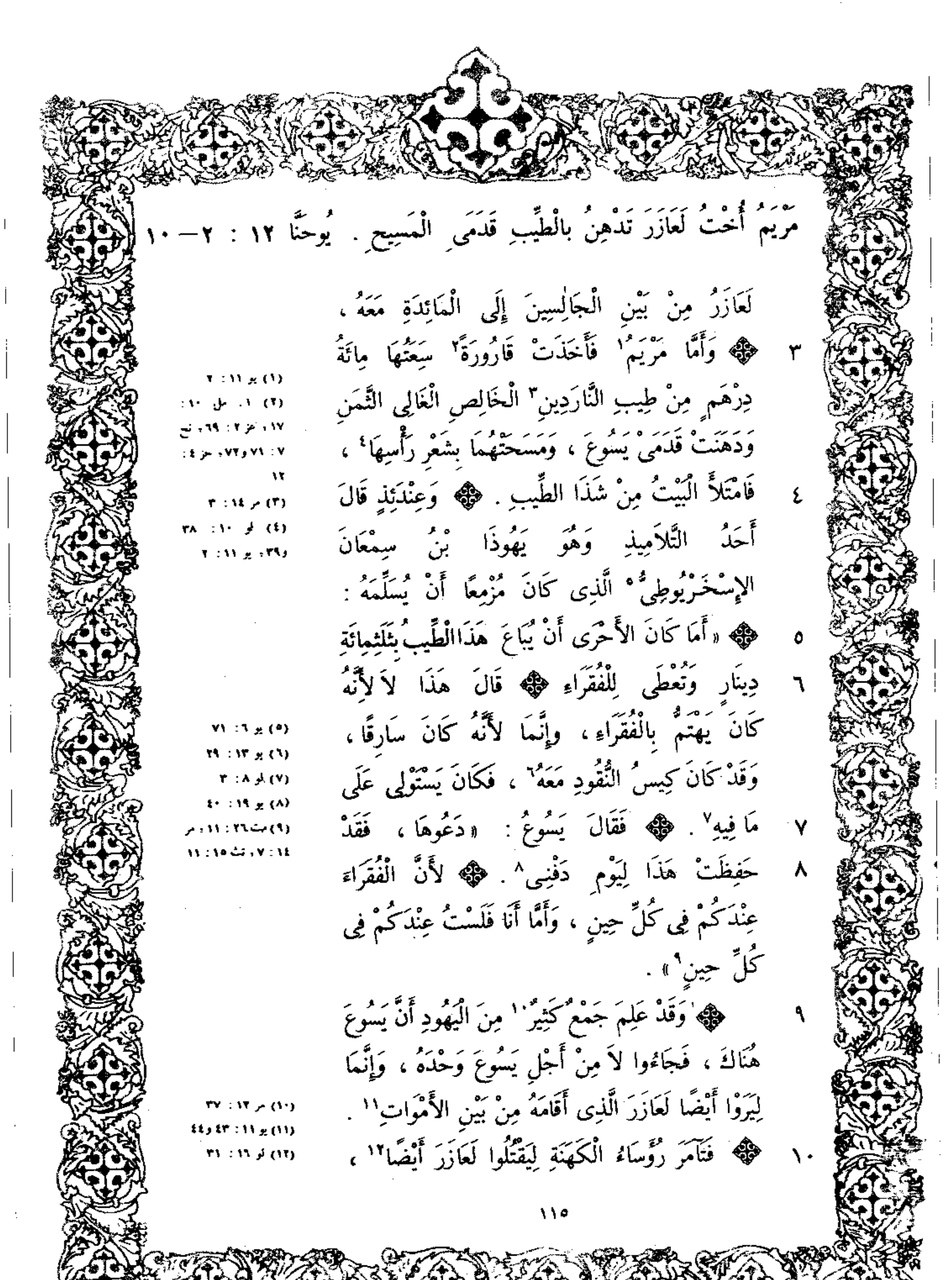


(١) يو ١٢ : ١ ٨ ؛ مت ٢٦ : ٦ ١٢ ؛ مر ١٤ : ٣ ٩
(٢) يو ١١ : ٥٥
(٣) مت ٢١ : ١٧ ؛ يو ١١ : ٤٣
(٤) يو ١١ : ١ و٤٢
(٥) مت ٢٦ : ٦ ؛ مر ١٤ : ٣
(٦) لو ١٠ : ٣٨

الْفَصْلُ الثَّانِي عَشَرَ

٢٧ مَرْيَمُ أُخْتُ لَعَازَرَ تَدْهِنُ بِالطِّيبِ قَدَمَيِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ :

١ ❖ وَقَبْلَ[١] الْفِصْحِ[٢] بِسِتَّةِ أَيَّامٍ ، جَاءَ يَسُوعُ إِلَى بَيْتَ عَنْيَا[٣] ، حَيْثُ كَانَ لَعَازَرُ الَّذِي مَاتَ وَأَقَامَهُ يَسُوعُ مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ[٤] ، ٢ ❖ فَأَقَامُوا لَهُ هُنَاكَ وَلِيمَةَ عَشَاءٍ[٥] ، وَكَانَتْ مَرْثَا تَخْدُمُ[٦] ، وَكَانَ



لَعَازَرُ مِنْ بَيْنِ الْجَالِسِينَ إِلَى الْمَائِدَةِ مَعَهُ ،

٣ ❖ وَأَمَّا مَرْيَمُ[١] فَأَخَذَتْ قَارُورَةً[٢] سِعَتُهَا مِائَةُ دِرْهَمٍ مِنْ طِيبِ النَّارَدِينِ[٣] الْخَالِصِ الْغَالِي الثَّمَنِ وَدَهَنَتْ قَدَمَيْ يَسُوعَ ، وَمَسَحَتْهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا[٤] ، فَامْتَلأَ الْبَيْتُ مِنْ شَذَا الطِّيبِ .

٤ ❖ وَعِنْدَئِذٍ قَالَ أَحَدُ التَّلاَمِيذِ وَهُوَ يَهُوذَا بْنُ سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيُّ[٥] الَّذِى كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يُسَلِّمَهُ :

٥ ❖ « أَمَا كَانَ الأَحْرَى أَنْ يُبَاعَ هَذَا الطِّيبُ بِثَلَثِمائَةِ دِينَارٍ وَتُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ

٦ ❖ قَالَ هَذَا لاَ لأَنَّهُ كَانَ يَهْتَمُّ بِالْفُقَرَاءِ ، وَإِنَّمَا لأَنَّهُ كَانَ سَارِقًا ، وَقَدْ كَانَ كِيسُ النُّقُودِ مَعَهُ[٦] ، فَكَانَ يَسْتَوْلِى عَلَى مَا فِيهِ[٧] .

٧ ❖ فَقَالَ يَسُوعُ : « دَعُوهَا ، فَقَدْ حَفِظَتْ هَذَا لِيَوْمِ دَفْنِى[٨] .

٨ ❖ لأَنَّ الْفُقَرَاءَ عِنْدَكُمْ فِى كُلِّ حِينٍ ، وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ عِنْدَكُمْ فِى كُلِّ حِينٍ[٩] » .

٩ ❖ وَقَدْ عَلِمَ جَمْعٌ كَثِيرٌ[١٠] مِنَ الْيَهُودِ أَنَّ يَسُوعَ هُنَاكَ ، فَجَاءُوا لاَ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ وَحْدَهُ ، وَإِنَّمَا لِيَرَوْا أَيْضًا لَعَازَرَ الَّذِى أَقَامَهُ مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ[١١] .

١٠ ❖ فَتَآمَرَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ لِيَقْتُلُوا لَعَازَرَ أَيْضًا[١٢] ،

(١) يو ١١ : ٢
(٢) ١ . مل ١٠ : ١٧ ، حز ٢ : ٦٩ ، نح ٧ : ٧١ و٧٢ ، حز ٤ : ١٢
(٣) مر ١٤ : ٣
(٤) لو ١٠ : ٣٨ و٣٩ ، يو ١١ : ٢
(٥) يو ٦ : ٧١
(٦) يو ١٣ : ٢٩
(٧) لو ٨ : ٣
(٨) يو ١٩ : ٤٠
(٩) مت ٢٦ : ١١ ، مر ١٤ : ٧ ، تث ١٥ : ١١
(١٠) مر ١٢ : ٣٧
(١١) يو ١١ : ٤٣ و٤٤
(١٢) لو ١٦ : ٣١



١١ ❖ لأَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ الْيَهُودِ كَانُوا بِسَبَبِهِ[١] يَذْهَبُونَ فَيُؤْمِنُونَ بِيَسُوعَ[٢] .

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَدْخُلُ أُورُشَلِيمَ مَلِكًا

١٢ ❖ وَفِي الْغَدِ سَمِعَ الْجَمْعُ الْعَظِيمُ[٣] الَّذِي جَاءَ لِلْعِيدِ أَنَّ يَسُوعَ قَادِمٌ إِلَى أُورُشَلِيمَ ، ١٣ ❖ فَأَخَذُوا سَعَفَ النَّخْلِ[٤] ، وَخَرَجُوا لاِسْتِقْبَالِهِ[٥] ، وَهُمْ يَهْتِفُونَ قَائِلِينَ «هُوشَعْنَا[٦] . تَبَارَكَ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ»[٧] . ١٤ ❖ وَقَدْ وَجَدَ يَسُوعُ جَحْشًا فَرَكِبَهُ[٨] ، وَفْقًا لِمَا هُوَ مَكْتُوبٌ[٩] : ١٥ ❖ «لاَتَخَافِي يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ . هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ رَاكِبًا عَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ» . ١٦ ❖ وَلَمْ يَفْهَمْ تَلاَمِيذُهُ ذَلِكَ فِي مَبْدَإِ الأَمْرِ[١٠] ، وَلكِنَّهُمْ لَمَّا تَمَجَّدَ[١١] يَسُوعُ تَذَكَّرُوا[١٢] أَنَّ ذَلِكَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ ، وَأَنَّهُمْ فَعَلُوا لَهُ هذَا .

١٧ ❖ وَقَدْ شَهِدَ[١٣] لَهُ الْجَمْعُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ حِينَ دَعَا لَعَازَرَ إِلَى خَارِجِ الْقَبْرِ وَأَقَامَهُ مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ ، ١٨ ❖ وَلِذَلِكَ اسْتَقْبَلَتْهُ الْجُمُوعُ[١٤] إِذْ سَمِعُوا أَنَّهُ صَنَعَ هذِهِ الْمُعْجِزَةَ . ١٩ ❖ فَقَالَ الْفَرِّيسِيُّونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : «أَتَرَوْنَ كَيْفَ أَنَّكُمْ

[٢٨]

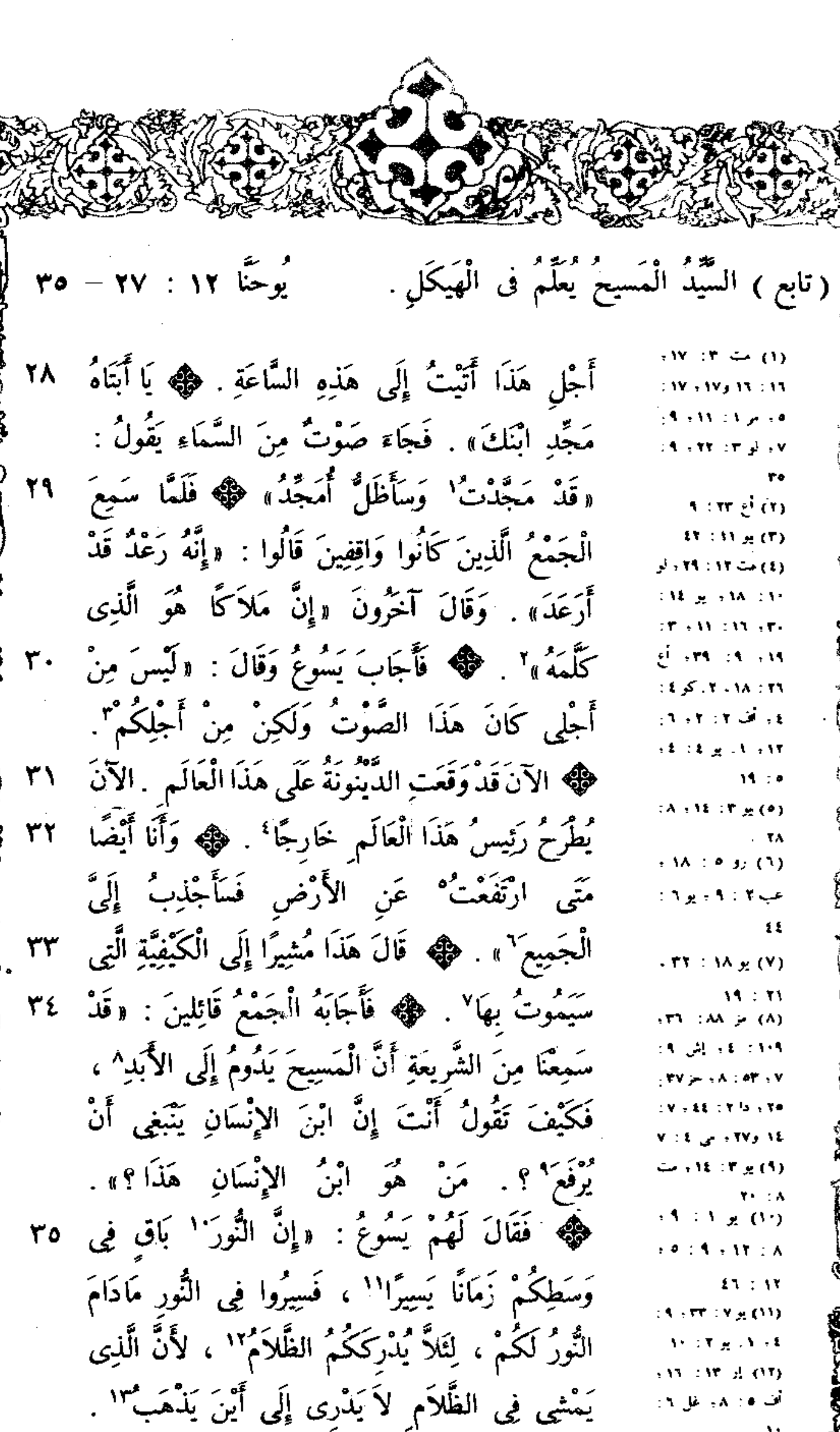
(١) يو ١١ : ٤٥
(٢) يو ١٢ : ١٨ ، ١١ : ٤٢ ،
(٣) يو ٧ : ٣١
(٤) رؤ ٧ : ٩
(٥) مت ٢١ : ٨ ، مر ١١ : ٨ ، لو ١٩ : ٣٥ إلخ
(٦) حرفيًا بالعبرانية «يارب خلص الآن» أنظر مز ١١٧ : ٢٥ و٢٦ ، مت ٢١ : ٩
(٧) يو ١ : ٤٩
(٨) مت ٢١ : ٧
(٩) زك ٩ : ٩
(١٠) لو ١٨ : ٣٤ ، مر ٩ : ٣٢ ،
(١١) يو ٧ : ٣٩ ، ١٧ : ٥
(١٢) يو ١٤ : ٢٦
(١٣) مت ٢١ : ١٠ و١١ ، لو ١٩ : ٣٧ و٣٨ ، يو ١١ : ٤٢
(١٤) يو ١٢ : ١١ ، لو ١٩ : ٣٧

لاَ تُفِيدُونَ شَيْئًا[1] ؟ ، هُوَذَا الْعَالَمُ قَدْ ذَهَبَ وَرَاءَهُ» .

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ : [٢٩]

٢٠ ❖ وَكَانَ ثَمَّةَ قَوْمٌ مِنَ الْيُونَانِيِّينَ[2] صَعِدُوا
٢١ لِيَسْجُدُوا فِي الْعِيدِ[3] ، ❖ فَتَقَدَّمُوا إِلَى فِيلُبُّسَ
الَّذِي مِنْ بَيْتَ صَيْدَا[4] بِالْجَلِيلِ ، وَنَاشَدُوهُ
٢٢ قَائِلِينَ : «يَاسَيِّدُ نُرِيدُ أَنْ نَرَى يَسُوعَ» . ❖ فَجَاءَ
فِيلُبُّسُ وَقَالَ لأَنْدَرَاوُسَ[5] ، ثُمَّ قَالَ أَنْدَرَاوُسُ
٢٣ وَفِيلُبُّسُ لِيَسُوعَ ، ❖ فَأَجَابَهُمَا يَسُوعُ قَائِلاً : «قَدْ
٢٤ أَتَتِ السَّاعَةُ لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ الإِنْسَانِ[6] . ❖ الْحَقَّ
الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ حَبَّةَ الْحِنْطَةِ مَا لَمْ تَقَعْ فِي
الأَرْضِ وَتَمُتْ ، تَظَلُّ وَحْدَهَا[7] ، وَأَمَّا إِنْ مَاتَتْ
٢٥ فَهِيَ تَأْتِي بِثَمَرٍ وَفِيرٍ . ❖ مَنْ أَحَبَّ نَفْسَهُ[8]
يُهْلِكُهَا ، وَمَنْ أَبْغَضَ نَفْسَهُ[9] فِي هَذَا الْعَالَمِ
٢٦ يَحْفَظُهَا لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ . ❖ مَنْ يَخْدُمْنِي
فَلْيَتْبَعْنِي ، وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا فَهُنَاكَ يَكُونُ
خَادِمِي[10] . وَمَنْ يَخْدُمْنِي يُكْرِمْهُ أَبِي[11] .
٢٧ ❖ نَفْسِي الآنَ قَدِ اضْطَرَبَتْ[12] ، فَمَاذَا أَقُولُ ؟
يَا أَبَتَاهُ[13] نَجِّنِي مِنْ هَذِهِ السَّاعَةِ[14] ، وَلَكِنَّنِي مِنْ

(١) يو ١١ : ٤٧ و٤٨
(٢) أع ١٧ : ٤ ، يو ٧ : ٣٥
(٣) ١ . مل ٨ : ٤١ و٤٢ ، أع ٨ : ٢٧
(٤) يو ١ : ٤٤
(٥) مت ١١ : ٢١ ، يو ١ : ٤٤
(٦) يو ١٣ : ١ و٣٢ ، ١٧ : ١ ، مت ٢٦ : ٤٥ ، مر ١٤ : ٣٥ و٤١
(٧) ١ . كو ١٥ : ٣٦ ، رو ١٤ : ٩
(٨) مت ١٠ : ٣٩ ، ١٦ : ٢٥ ، مر ٨ : ٣٥ ، لو ٩ : ٢٤ ، ١٧ : ٣٣
(٩) لو ١٤ : ٢٦
(١٠) يو ١٤ : ٣ ، ١٧ : ٢٤ ، ١ . تس ٤ : ١٧ ، ٢ . كو ٥ : ٨ ، ق ١ : ٢٣
(١١) ١ . صم ٢ : ٣٠ ، مز ٩٠ : ١٥ ، لو ١٢ : ٣٧
(١٢) مت ٢٦ : ٣٨ و٣٩ ، لو ١٢ : ٥٠ ، يو ١٣ : ٢١ ، ١١ : ٣٣ ، مر ١٤ : ٣٤
(١٣) مت ١١ : ٢٥
(١٤) لو ٢٢ : ٥٣ ، يو ١٨ : ٣٧ ، ١٢ : ٢٣



أَجْلِ هَذَا أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ السَّاعَةِ. ❖ ٢٨ يَا أَبَتَاهُ مَجِّدِ ابْنَكَ». فَجَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ: «قَدْ مَجَّدْتُ[١] وَسَأُمَجِّدُ». ❖ ٢٩ فَلَمَّا سَمِعَ الْجَمْعُ الَّذِينَ كَانُوا وَاقِفِينَ قَالُوا: «إِنَّهُ رَعْدٌ قَدْ أَرْعَدَ». وَقَالَ آخَرُونَ «إِنَّ مَلاَكًا هُوَ الَّذِى كَلَّمَهُ»[٢]. ❖ ٣٠ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «لَيْسَ مِنْ أَجْلِى كَانَ هَذَا الصَّوْتُ وَلَكِنْ مِنْ أَجْلِكُمْ[٣]. ❖ ٣١ الآنَ قَدْ وَقَعَتِ الدَّيْنُونَةُ عَلَى هَذَا الْعَالَمِ. الآنَ يُطْرَحُ رَئِيسُ هَذَا الْعَالَمِ خَارِجًا[٤]. ❖ ٣٢ وَأَنَا أَيْضًا مَتَى ارْتَفَعْتُ[٥] عَنِ الأَرْضِ فَسَأَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ[٦]». ❖ ٣٣ قَالَ هَذَا مُشِيرًا إِلَى الْكَيْفِيَّةِ الَّتِى سَيَمُوتُ بِهَا[٧]. ❖ ٣٤ فَأَجَابَهُ الْجَمْعُ قَائِلِينَ: «قَدْ سَمِعْنَا مِنَ الشَّرِيعَةِ أَنَّ الْمَسِيحَ يَدُومُ إِلَى الأَبَدِ[٨]، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِى أَنْ يُرْفَعَ[٩]؟. مَنْ هُوَ ابْنُ الإِنْسَانِ هَذَا؟». ❖ ٣٥ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «إِنَّ النُّورَ[١٠] بَاقٍ فِى وَسَطِكُمْ زَمَانًا يَسِيرًا[١١]، فَسِيرُوا فِى النُّورِ مَادَامَ النُّورُ لَكُمْ، لِئَلاَّ يُدْرِكَكُمُ الظَّلاَمُ[١٢]، لأَنَّ الَّذِى يَمْشِى فِى الظَّلاَمِ لاَ يَدْرِى إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ[١٣].

(١) مت ٣ : ١٧؛ ١٦ : ١٦ و١٧، ١٧ : ٥؛ مر ١ : ١١؛ ٩ : ٧؛ لو ٣ : ٢٢؛ ٩ : ٣٥
(٢) أع ٢٣ : ٩
(٣) يو ١١ : ٤٢
(٤) مت ١٢ : ٢٩؛ لو ١٠ : ١٨؛ يو ١٤ : ٣٠؛ ١٦ : ١١؛ ٣ : ١٩، ٩ : ٣٩؛ أع ٢٦ : ١٨. ٢ كو ٤ : ٤؛ أف ٢ : ٢؛ ٦ : ١٢. ١ يو ٤ : ٤؛ ٥ : ١٩
(٥) يو ٣ : ١٤؛ ٨ : ٢٨.
(٦) رو ٥ : ١٨؛ عب ٢ : ٩؛ يو ٦ : ٤٤
(٧) يو ١٨ : ٣٢. ٢١ : ١٩
(٨) مز ٨٨ : ٣٦؛ ١٠٩ : ٤؛ إش ٩ : ٧؛ ٥٣ : ٨؛ حز ٣٧ : ٢٥؛ دا ٢ : ٤٤؛ ٧ : ١٤ و٢٧؛ مى ٤ : ٧
(٩) يو ٣ : ١٤؛ مت ٨ : ٢٠
(١٠) يو ١ : ٩؛ ٨ : ١٢؛ ٩ : ٥؛ ١٢ : ٤٦
(١١) يو ٧ : ٣٣؛ ٩ : ٤. ١ يو ٢ : ١٠
(١٢) إر ١٣ : ١٦؛ أف ٥ : ٨؛ غل ٦ : ١٠

انظر الصفحة التالية

٣٦ ❖ مَادَامَ لَكُمُ النُّورُ فَآمِنُوا بِالنُّورِ، لِتَصِيرُوا أَبْنَاءَ النُّورِ[1]». قَالَ يَسُوعُ هَذَا ثُمَّ مَضَى وَاخْتَفَى عَنْهُمْ[2]. ٣٧ ❖ بَيْدَ أَنَّهُمْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ صَنَعَ مُعْجِزَاتٍ[3] كَثِيرَةً أَمَامَهُمْ، لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، ٣٨ ❖ لِيَتِمَّ قَوْلُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ[4]: يَارَبُّ مَنْ آمَنَ بِمَا سَمِعَ مِنَّا[5]؟ وَلِمَنْ تَجَلَّتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟». ٣٩ ❖ لِهَذَا لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُؤْمِنُوا لأَنَّ إِشَعْيَاءَ قَالَ أَيْضًا[6]: ٤٠ ❖ «قَدْ طَمَسَ عَلَى عُيُونِهِمْ وَأَغْلَقَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، لِئَلاَّ يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ أَوْ يَفْقَهُوا بِقُلُوبِهِمْ[7]، وَيَرْجِعُوا إِلَيَّ فَأَشْفِيَهُمْ». ٤١ ❖ قَالَ إِشَعْيَاءُ هَذَا حِينَ رَأَى مَجْدَهُ وَتَكَلَّمَ عَنْهُ[8]. ٤٢ ❖ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنَ بِهِ كَثِيرُونَ[9] مِنَ الرُّؤَسَاءِ[10] أَنْفُسِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا بِسَبَبِ الْفَرِّيسِيِّينَ لَمْ يَعْتَرِفُوا بِهِ عَلَنًا، لِئَلاَّ يُطْرَدُوا مِنَ الْمَجْمَعِ[11]، ٤٣ ❖ لأَنَّهُمْ أَحَبُّوا مَجْدَ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ مَجْدِ اللهِ[12].

٤٤ ❖ وَمِنْ ثَمَّ نَادَى يَسُوعُ قَائِلاً: «إِنَّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِى، لَيْسَ بِى يُؤْمِنُ، وَإِنَّمَا آمَنَ بِالَّذِى أَرْسَلَنِى[13]. ٤٥ ❖ وَمَنْ رَآنِى فَقَدْ رَأَى الَّذِى أَرْسَلَنِى[14]. ٤٦ أَنَا قَدْ جِئْتُ لِلْعَالَمِ نُورًا، حَتَّى

٣٠

(١٣) يو ١١ : ١٠ ، ١. يو ٢ : ١١ ، ١ : ٦

(١) لو ١٦ : ٨ ، يو ٨ : ١٢ ، ١٢ : ٤٦ ، أف ٥ : ٨ ، ١ تس ٥ : ٥ ، ١ يو ٢ : ٩ إلخ.

(٢) إش ٦ : ٩ ، ١٠ ، مت ١٣ : ١٤ ، يو ٨ : ٥٩ ، ١١ : ٥٤ ، لو ٢١ : ٣٧

(٣) يو ٢ : ١١

(٤) إش ٦ : ١

(٥) إش ٥٣ : ١ ، رو ١٠ : ١٦

(٦) إش ٦ : ٩ و١٠ ، مت ١٣ : ١٤

(٧) مر ٦ : ٥٢

(٨) إش ٦ : ١ إلخ ، لو ٢٤ : ٢٧

(٩) لو ٢٣ : ١٣

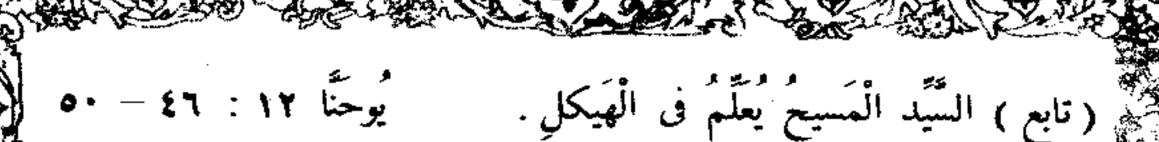
(١٠) يو ٧ : ٤٨

(١١) يو ٧ : ١٣ ، ٩ : ٢٢

(١٢) يو ٥ : ٤٤ و٤١

(١٣) مر ٩ : ٣٧ ، مت ١٠ : ٤٠ ، يو ٥ : ٢٤ ، ١ بط ١ : ٢١

(١٤) يو ١٤ : ٩

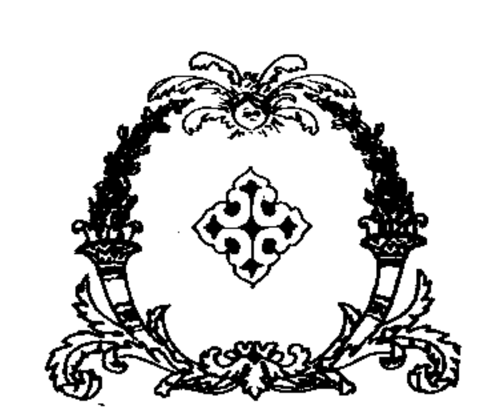


إِنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِى لاَ يَمْكُثُ فِى الظَّلاَمِ[١] .
٤٧ ❖ وَإِنْ سَمِعَ أَحَدٌ كَلاَمِى وَلَمْ يَحْفَظْهُ فَأَنَا لاَ أَدِينُهُ[٢] ، لأَنِّنِى مَا جِئْتُ لأَدِينَ الْعَالَمَ ، بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ[٣] .
٤٨ ❖ إِنَّ مَنْ يُنْكِرُنِى وَلاَ يَقْبَلُ كَلاَمِى[٤] فَلَهُ مَنْ يَدِينُهُ . الْكَلاَمُ الَّذِى تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ الَّذِى يَدِينُهُ فِى الْيَوْمِ الأَخِيرِ[٥] .
٤٩ ❖ لأَنِّنِى لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِى وَحْدِى[٦] ، وَإِنَّمَا الآبُ الَّذِى أَرْسَلَنِى هُوَ الَّذِى أَوْصَانِى بِمَا أَقُولُ وَبِمَا أَتَكَلَّمُ[٧] .
٥٠ ❖ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ وَصِيَّتَهُ هِىَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ[٨] . فَمَا أَقُولُ هُوَ مَا قَالَهُ لِىَ الآبُ[٩] ، وَبِهِ أَتَكَلَّمُ » .

(١) يو ٣ : ١٩ ، ٨ : ١٢ ، ٩ : ٥ و٣٩ ، ١٢ : ٣٥ و٣٦ ، ١ : ٤
(٢) يو ٥ : ٤٥ ، ٨ : ١٥ و٢٦
(٣) يو ٣ : ١٧ ، ٨ : ١٥
(٤) لو ١٠ : ١٦
(٥) تث ١٨ : ١٨ و١٩ ، مر ١٦ : ١٦ ، يو ٥ : ٤٥ ، ٨ : ٤٧ ، مت ١٠ : ١٥
(٦) يو ٨ : ٣٨ ، ١٤ : ١٠ ، ٣ : ١١
(٧) تث ١٨ : ١٨ ، يو ١٤ : ٣١ ، ١٧ : ٨
(٨) يو ٦ : ٦٨
(٩) يو ٨ : ٢٨



(١) مت ٢٦ : ٢ ، يو ١١ : ٥٥ ، ٢ : ١٣
(٢) يو ١٢ : ٢٣ ، ١٧ : ١ و ١١
(٣) يو ١٦ : ٢٨
(٤) يو ٦ : ٧
(٥) يو ٦ : ٧١
(٦) لو ٢٢ : ٣ ، يو ١٣ : ٢٧
(٧) يو ٣ : ٣٥
(٨) مت ١١ : ٢٧ ، ٢٨ : ١٨ ، يو ٣ : ٣٥ ، ١٧ : ٢ ، أع ٢ : ٣٦ ، ١ كو ١٥ : ٢٧ ، عب ٢ : ٨



الْفَصْلُ الثَّالِثُ عَشَرَ

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَغْسِلُ أَرْجُلَ تَلامِيذِهِ وَهُوَ يَحْتَفِلُ بِالْفِصْحِ مَعَهُمْ : [٣١]

١ ❖ وَقَبْلَ عِيدِ الْفِصْحِ[١] رَأَى يَسُوعُ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ جَاءَتْ[٢] لِيَنْتَقِلَ مِنَ الْعَالَمِ وَيَمْضِيَ إِلَى الآبِ[٣] . وَقَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ . أَحَبَّهُمْ إِلَى نِهَايَةِ الْمَدَى . ٢ ❖ وَلَمَّا كَانَ الْعَشَاءُ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ[٤] قَدْ سَبَقَ فَأَلْقَى فِي قَلْبِ يَهُوذَا سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ[٥] أَنْ يُسَلِّمَهُ[٦] . ٣ ❖ وَإِذْ كَانَ يَسُوعُ يَعْلَمُ[٧] أَنَّ الآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ[٨] ، وَأَنَّهُ مِنْ لَدُنِ اللهِ الآبِ خَرَجَ ، وَإِلَى اللهِ الآبِ يَمْضِي[٩] ، ٤ ❖ قَامَ عَنِ الْعَشَاءِ[١٠] ، وَخَلَعَ رِدَاءَهُ وَأَخَذَ مِنْشَفَةً وَائْتَزَرَ بِهَا[١١] ، ٥ ❖ ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي

(٩) يو ٨ : ٤٢ ، ١٦ : ٢٨
(١٠) لو ٢٢ : ٢٧ ، في ٢ : ٧ و ٨
(١١) لو ١٢ : ٣٧

مَطْهَرَةٍ وَأَخَذَ يَغْسِلُ[١] أَرْجُلَ تَلاَمِيذِهِ ، وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي كَانَ مُؤْتَزِرًا بِهَا . ٦ ❖ حَتَّى إِذَا جَاءَ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ لِيَغْسِلَ رِجْلَيْهِ ، قَالَ لَهُ بُطْرُسُ : « أَأَنْتَ يَا رَبُّ تَغْسِلُ رِجْلَيَّ[٢] ؟ » . ٧ ❖ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ : « إِنَّ الَّذِي أَفْعَلُهُ أَنَا لاَ تُدْرِكُهُ أَنْتَ الآنَ ، وَلكِنَّكَ سَتُدْرِكُهُ فِيمَا بَعْدُ[٣] » . ٨ ❖ قَالَ لَهُ بُطْرُسُ : « لَنْ تَغْسِلَ رِجْلَيَّ أَبَدًا » . فَأَجَابَهُ يَسُوعُ قَائِلاً : « إِنْ لَمْ أَغْسِلْ رِجْلَيْكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِي نَصِيبٌ[٤] » . ٩ ❖ قَالَ لَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ : « يَا رَبُّ لَيْسَ رِجْلَيَّ فَقَطْ ، بَلْ يَدَيَّ وَرَأْسِي أَيْضًا » . ١٠ ❖ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ : « إِنَّ الَّذِي اسْتَحَمَّ لاَ يَحْتَاجُ إِلاَّ إِلَى أَنْ يَغْسِلَ قَدَمَيْهِ ، فَإِنَّهُ طَاهِرٌ كُلُّهُ . وَأَنْتُمْ أَيْضًا أَطْهَارٌ ، وَلكِنَّكُمْ لَسْتُمْ كُلُّكُمْ أَطْهَارًا[٥] » . ١١ ❖ فَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ بِالْمُزْمِعِ أَنْ يُسَلِّمَهُ[٦] ، وَلِذَلِكَ قَالَ : إِنَّكُمْ لَسْتُمْ كُلُّكُمْ أَطْهَارًا .

السَّيِّد المَسِيحُ يَطْلُبُ مِنْ تَلامِيذِهِ أَنْ يَتمثَّلوا بِهِ :

١٢ ❖ وبَعْدَ أَنْ غَسَلَ أَرْجُلَهُمْ وَأَخَذَ رِدَاءَهُ عَادَ فَجَلَسَ إِلَى الْمَائِدَةِ وقَالَ لَهُمْ : « أَتَفْهَمُونَ مَا قَدْ

(١) لو ٧ : ٤٤
(٢) مت ٣ : ١٤
(٣) يو ١٣ : ١٢
(٤) يو ٣ : ٥ ، ١ كو ٦ : ١١ ، أف ٥ : ٢٦ ، تى ٣ : ٥ ، عب ١٠ : ٢٢ ، تث ١٢ : ١٢ ، ٢ صم ٢٠ : ١ ، ١ مل ١٢ : ١٦
(٥) يو ١٥ : ٣
(٦) يو ٦ : ٦٤

١٣ صَنَعْتُ بِكُمْ ؟ . ❖ إِنَّكُمْ تَدْعُونَنِى الْمُعَلِّمَ[١] وَالرَّبَّ[٢] . وَحَسَنًا تَقُولُونَ لأَنَّنِى أَنَا كَذَلِكَ .

١٤ ❖ فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا رَبُّكُمْ وَمُعَلِّمُكُمْ قَدْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ[٣] ، فَأَنْتُمْ أَيْضًا يَنْبَغِى لَكُمْ أَنْ يَغْسِلَ

١٥ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ[٤] ، ❖ لأَنِّى أَعْطَيْتُكُمْ مِثَالاً[٥] ، حَتَّى تَصْنَعُوا أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ

١٦ كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ . ❖ الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ مَا مِنْ خَادِمٍ أَعْظَمُ مِنْ سَيِّدِهِ[٦] ، وَمَا مِنْ رَسُولٍ

١٧ أَعْظَمُ مِمَّنْ أَرْسَلَهُ[٧] . ❖ إِنْ عَرَفْتُمْ هَذَا

١٨ فَمُبَارَكُونَ أَنْتُمْ إِنْ عَمِلْتُمْ بِهِ[٨] . ❖ لَسْتُ أَقُولُ هَذَا عَنْكُمْ جَمِيعًا ، فَأَنَا أَعْرِفُ الَّذِينَ اخْتَرْتُهُمْ[٩] ، وَإِنَّمَا لِيَتِمَّ الْمَكْتُوبُ أَنَّ الَّذِى أَكَلَ مَعِى خُبْزِى قَدْ

١٩ رَفَعَ عَلَىَّ عَقِبَهُ[١٠] . ❖ أَقُولُ لَكُمْ هَذَا مُنْذُ الآنَ قَبْلَ أَنْ يَحْدُثَ ، حَتَّى إِذَا مَا حَدَثَ تُؤْمِنُونَ أَنِّى

٢٠ أَنَا هُوَ[١١] . ❖ الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مَنْ يَقْبَلُ الَّذِى أُرْسِلُهُ يَقْبَلُنِى ، وَمَنْ يَقْبَلُنِى يَقْبَلُ الَّذِى أَرْسَلَنِى[١٢] » .

٢١ ❖ وَلَمَّا قَالَ يَسُوعُ هَذَا اضْطَرَبَ[١٣] بِالرُّوحِ وَصَرَّحَ قَائِلاً : « الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ وَاحِدًا

(١) يو ١١ : ٢٨
(٢) مت ٢٣ : ٨ و١٠ ، لو ٦ : ٤٦ ، يو ١١ : ٢ ، ١ . كو ٨ : ٦ ، ١٢ : ٣ ، ق ٢ : ١١
(٣) لو ٢٢ : ٢٧
(٤) رو ١٢ : ١٠ ، غل ٦ : ١ و٢ ، ١ . بط ٥ : ٥
(٥) مت ١١ : ٢٩ ، ق ٢ : ٥ ، ١ . بط ٢ : ٢١ ، ٣ : ٥ ، ١ . يو ٢ : ٦
(٦) مت ١٠ : ٢٤ ، لو ٦ : ٤٠ ، يو ١٥ : ٢٠
(٧) ٢ . كو ٨ : ٢٣ ، ق ٢ : ٢٥
(٨) يع ١ : ٢٥ ، لو ١١ : ٢٨ ، مت ٧ : ٢٤
(٩) يو ٦ : ٧ ، ١٥ : ١٦ و١٩
(١٠) مز ٤٠ : ٩ ، مت ٢٦ : ٢٣ ، يو ١٣ : ٣١ ، ١٧ : ١٢ ، ١٩ : ٢٤ و٣٦ ، ١٥ : ٢٥ ، ١٨ : ٣٢ ، مر ١٤ : ١٨ ، لو ٢٢ : ٢١
(١١) يو ١٤ : ٢٩ ، ١٦ : ٤
(١٢) مت ١٠ : ٤٠ ، ٢٥ : ٤٠ ، لو ١٠ : ١٦ ، غل ٤ : ١٤
(١٣) يو ١١ : ٣٣

٣٢

السَّيِّد الْمَسِيحُ يَتَنبَّأُ بِخِيانَة يَـــــهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيِّ لَهُ :

مِنْكُمْ سَيُسَلِّمُنِي[١] » . ❖ ٢٢ فَأَخَذَ التَّلاَمِيذُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، حَائِرِينَ لاَ يَدْرُونَ مَنِ الَّذِي يَعْنِيهِ بِقَوْلِهِ هَذَا . ❖ ٢٣ وَكَانَ مُتَّكِئًا فِي حِضْنِ يَسُوعَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ[٢] ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ ، ❖ ٢٤ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ سِمْعَانُ بُطْرُسُ لِيَسْأَلَهُ عَمَّنْ يَعْنِي بِقَوْلِهِ . ❖ ٢٥ فَانْحَنَى ذَلِكَ التِّلْمِيذُ عَلَى صَدْرِ يَسُوعَ[٣] وَقَالَ لَهُ : « رَبِّي . مَنْ هُوَ ؟ » . ❖ ٢٦ أَجَابَ يَسُوعُ قَائِلاً : « إِنَّهُ هُوَ الَّذِي سَأُعْطِيهِ اللُّقْمَةَ الَّتِي أَغْمِسُهَا » . ثُمَّ غَمَسَ اللُّقْمَةَ وَقَدَّمَهَا لِيَهُوذَا بْنِ سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ[٤] . ❖ ٢٧ فَبَعْدَ أَنْ أَخَذَ اللُّقْمَةَ دَخَلَهُ الشَّيْطَانُ[٥] ، فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ : « مَا أَنْتَ فَاعِلُهُ فَافْعَلْهُ سَرِيعًا » . ❖ ٢٨ غَيْرَ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْجَالِسِينَ إِلَى الْمَائِدَةِ لَمْ يَعْرِفْ لِمَاذَا قَالَ لَهُ هَذَا ، ❖ ٢٩ فَظَنَّ بَعْضُهُمْ ، إِذْ كَانَ كِيسُ النُّقُودِ[٦] مَعَ يَهُوذَا ، أَنَّ يَسُوعَ قَالَ لَهُ : « اشْتَرِ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْعِيدِ » . أَوْ أَمَرَهُ بِأَنْ يُعْطِيَ الْفُقَرَاءَ شَيْئًا[٧] . ❖ ٣٠ أَمَّا يَهُوذَا فَبَعْدَ أَنْ أَخَذَ اللُّقْمَةَ خَرَجَ عَلَى الْفَوْرِ ، وَكَانَ الْوَقْتُ لَيْلاً[٨] . ❖ ٣١ فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ يَسُوعُ : « الآنَ قَدْ تَمَجَّدَ[٩] ابْنُ الإِنْسَانِ[١٠] ،

(١) مت ٢٦ : ٢١ ، مر ١٤ : ١٨ ، لو ٢٢ : ٢١ ، يو ١٢ : ٢٧ ، أع ١ : ١٧ ، ١ . يو ٢ : ١٩
(٢) يو ١٩ : ٢٦ ، ٢٠ : ٢ ، ٢١ : ٧ و٢٠ و٢٤ ، ١ : ١٨
(٣) يو ٢١ : ٢٠
(٤) يو ٦ : ٧١
(٥) لو ٢٢ : ٣ ، يو ٦ : ٧٠ ، مت ٤ : ١٠
(٦) يو ١٢ : ٦
(٧) يو ١٢ : ٥
(٨) لو ٢٢ : ٥٣
(٩) يو ٧ : ٣٩
(١٠) يو ١٢ : ٢٣ ، مت ٨ : ٢٠

٣٢ وَتَمَجَّدَ اللهُ فِيهِ[١] . ❖ وَإِنْ كَانَ اللهُ قَدْ تَمَجَّدَ فِيهِ فَإِنَّ اللهَ سَيُمَجِّدُهُ فِي ذَاتِهِ[٢] ، وَسَيُمَجِّدُهُ سَرِيعًا[٣] .

٣٣ ❖ يَا أَبْنَائِي[٤] أَنَا بَاقٍ مَعَكُمْ زَمَانًا يَسِيرًا بَعْدُ[٥] ، وَسَتَطْلُبُونَنِي[٦] ، وَكَمَا قُلْتُ لِلْيَهُودِ[٧] ، حَيْثُ أَذْهَبُ أَنَا لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا ، أَقُولُهُ لَكُمْ

٣٤ أَنْتُمْ أَيْضًا الآنَ . ❖ وَصِيَّةً جَدِيدَةً[٨] أَنَا أُعْطِيكُمْ : أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا[٩] . كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا[١٠] فَلْتُحِبُّوا أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا .

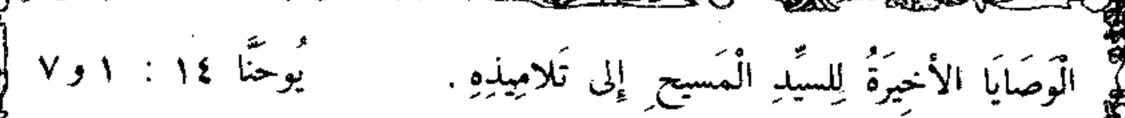
٣٥ ❖ بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي إِذَا أَحْبَبْتُمْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا»[١١] .

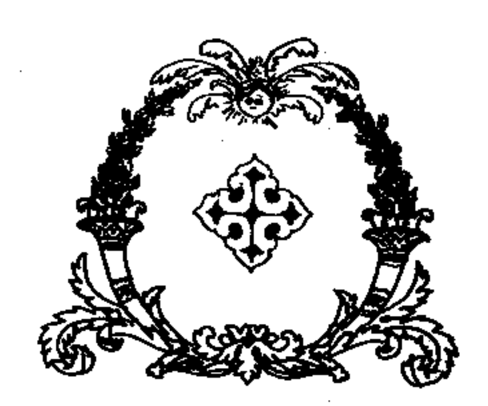
٣٦ ❖ فَقَالَ لَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ : «إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ يَارَبُّ ؟» . أَجَابَ يَسُوعُ قَائِلاً : «حَيْثُ أَذْهَبُ أَنَا لا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ الآنَ أَنْ تَتْبَعَنِي[١٢] .

٣٧ وَلَكِنَّكَ سَتَتْبَعُنِي أَخِيرًا[١٣]» . ❖ فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ : «يَارَبُّ لِمَاذَا لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتْبَعَكَ

٣٨ الآنَ ؟ إِنِّي أَفْدِيكَ بِحَيَاتِي»[١٤] . ❖ أَجَابَهُ يَسُوعُ قَائِلاً : أَتَفْدِينِي بِحَيَاتِكَ ؟. الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ إِنَّهُ لَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ[١٥] حَتَّى تَكُونَ قَدْ أَنْكَرْتَنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ» .

(١) يو ١٤ : ١٣، ١٧ : ٤، ١. بط ٤ : ١١
(٢) يو ١٧ : ١ ٦
(٣) يو ١٢ : ٢٣
(٤) غل ٤ : ١٩، ١. يو ٢ : ١
(٥) يو ٧ : ٣٣
(٦) يو ٧ : ٣٤
(٧) يو ٧ : ٣٤، ٨ : ٢١
(٨) لا ١٩ : ١٨، يو ١٥ : ١٢ و١٧، أف ٥ : ٢، ١. تس ٤ : ٩، يع ٢ : ٨، ١. بط ١ : ٢٢، ١. يو ٢ : ٧ و٨، ٣ : ١١ و٢٣، ٤ : ٢١، ٢. يو ٥
(٩) ١. يو ٤ : ٧، عب ١٣ : ١، غل ٥ : ١٤، مت ٥ : ٤٤
(١٠) أف ٥ : ٢، ١. يو ٤ : ١٠
(١١) ١. يو ٢ : ٥، ٤ : ٢٠، ٣ : ١٤
(١٢) يو ١٤ : ٢، ١٦ : ٥
(١٣) يو ٢١ : ١٨، ٢. بط ١ : ١٤
(١٤) مت ٢٦ : ٣٣ إلخ، مر ١٤ : ٢٩ إلخ، لو ٢٢ : ٣٣ و٣٤
(١٥) يو ١٨ : ٢٧، مر ١٤ : ٣٠





الْفَصْلُ الرابعَ عَشَرَ

[٣٤] الْوَصَايَا الأَخِيرَةُ لِلسَّيِّدِ الْمَسِيحِ إِلَى تَلامِيذِهِ :

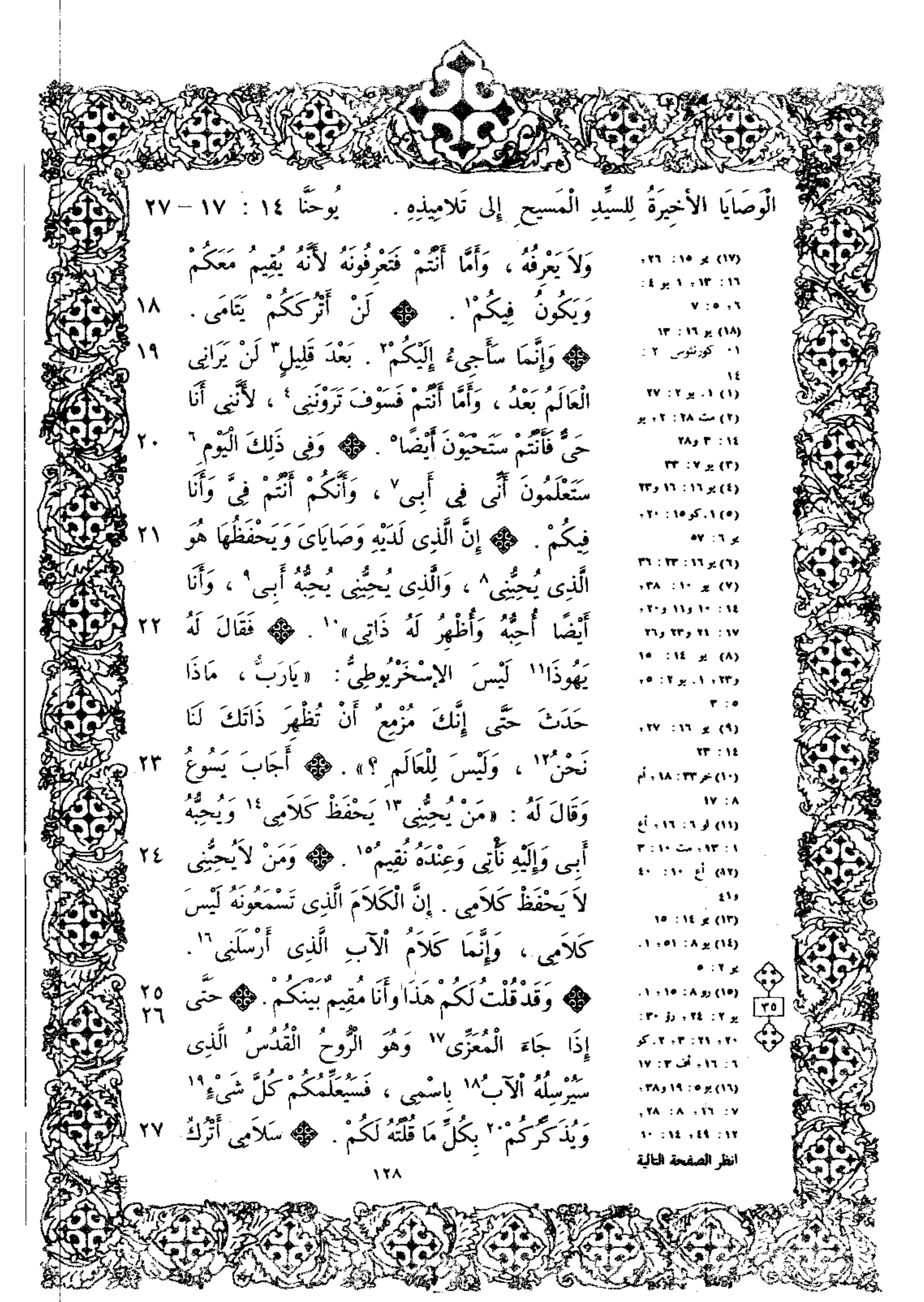
١ ❖ «لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ[١] . إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ ، فَآمِنُوا بِي . ٢ ❖ إِنَّ فِي بَيْتِ أَبِي[٢] مَنَازِلَ كَثِيرَةً . فَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ لَقُلْتُ لَكُمْ . أَنَا ذَاهِبٌ لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا[٣] ، ٣ ❖ وَلَئِنْ ذَهَبْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا ، سَأَجِيءُ[٤] ثَانِيَةً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ ، حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا[٥] . ٤ ❖ أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ الطَّرِيقَ إِلَى حَيْثُ أَنَا ذَاهِبٌ . ٥ ❖ فَقَالَ لَهُ تُومَا[٦] : «يَا رَبُّ إِنَّنَا لا نَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ أَنْتَ ذَاهِبٌ ، فَكَيْفَ نَعْرِفُ الطَّرِيقَ ؟» ٦ ❖ قَالَ لَهُ يَسُوعُ : «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ[٧] وَالْحَقُّ[٨] وَالْحَيَاةُ[٩] . لاَ يَأْتِي أَحَدٌ إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي ٧ ❖ لَوْ كُنْتُمْ قَدْ

(١) يو ١٤ : ٢٧ ؛ ١٦ : ٢٢ و٢٣ و٢٤
(٢) مز ٣٢ : ١٣ و١٤ ؛ إش ٦٣ : ١٥
(٣) يو ١٣ : ٣٣ و٣٦
(٤) يو ١٤ : ١٨ و٢٨ ؛ أع ١ : ١١
(٥) يو ١٢ : ٢٦ ؛ ١٧ : ٢٤ ؛ ١ تس ٤ : ١٧
(٦) يو ١١ : ١٦
(٧) عب ٩ : ٨ ؛ ١٠ : ٢٠ ؛ يو ١٠ : ٩ ؛ رو ٥ : ٢ ؛ أف ٢ : ١٨
(٨) يو ١ : ١٧ و١٤ ؛ ٨ : ٣٢
(٩) يو ١ : ٤ ؛ ١١ : ٢٥ ؛ ١ يو ٥ : ٢٠
(١٠) يو ١٠ : ٩

عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا[١]. وَمِنْذُ ٱلآنَ تَعْرِفُونَهُ[٢]، وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ»[٣]. ٨ ❖ فَقَالَ لَهُ فِيلُبُّسُ[٤]: «يَارَبُّ أَرِنَا ٱلآبَ وَكَفَانَا». ٩ ❖ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ هَذَا الزَّمَانِ وَلَمْ تَعْرِفْنِي بَعْدُ يا فِيلُبُّسُ؟ مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى ٱلآبَ[٥]. فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ أَرِنَا ٱلآبَ؟ ١٠ ❖ أَلاَ تُؤْمِنُ بِأَنِّي أَنَا فِي أَبِي وَأَنَّ أَبِي فِيَّ[٦]؟ إِنَّ الْكَلاَمَ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لاَ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي أَنَا وَحْدِي[٧]، وَإِنَّمَا ٱلآبُ الْكَائِنُ فِيَّ هُوَ الَّذِي يَعْمَلُ أَعْمَالَهُ. ١١ ❖ صَدِّقُونِي أَنِّي فِي أَبِي وَأَنَّ أَبِي فِيَّ، وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي مِنْ أَجْلِ ٱلأَعْمَالِ نَفْسِهَا[٨]. ١٢ ❖ الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا[٩]، بَلْ وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا[١٠]، ١٣ لأَنَّنِي مَاضٍ[١١] إِلَى أَبِي. ❖ فَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَ بِاسْمِي أَنَا أَفْعَلُهُ[١٢] لَكُمْ، لِكَيْ يَتَمَجَّدَ[١٣] ٱلآبُ فِي ٱلابْنِ. ١٤ ❖ فَإِنْ طَلَبْتُمْ شَيْئًا بِاسْمِي أَفْعَلُهُ[١٤]. ١٥ ❖ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ[١٥]. ١٦ ❖ وَسَأَطْلُبُ إِلَى ٱلآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ[١٦] ١٧ لِيُقِيمَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ. ❖ رُوحَ الْحَقِّ[١٧] الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ[١٨] لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ

(١) يو ٨: ١٩
(٢) ١. يو ٢: ١٣
(٣) يو ٦: ٤٦
(٤) يو ١: ٤٣
(٥) يو ١٢: ٤٥؛ كو ١: ١٥؛ عب ١: ٣؛ يو ١: ١٤
(٦) يو ١٠: ٣٨؛ ١٤: ٢٠، ١١؛ ١٧: ٢١ و٢٣
(٧) يو ٥: ١٩؛ ٧: ١٦؛ ٨: ٢٨؛ ١٢: ٤٩؛ ١٤: ٢٤
(٨) يو ٥: ٣٦؛ ١٠: ٣٨
(٩) مت ٢١: ٢١؛ مر ١٦: ١٧؛ لو ١٠: ١٧
(١٠) يو ٥: ٢٠؛ ٤: ٣٧
(١١) يو ٧: ٣٣؛ ١٤: ٢٨
(١٢) مت ٧: ٧؛ ٢١: ٢٢؛ ١٥: ٧؛ ١٦: ١٦ و٢٣ و٢٤؛ يع ١: ٥؛ ١. يو ٣: ٢٢؛ ٥: ١٤
(١٣) يو ١٣: ٣١
(١٤) يو ١٥: ١٦؛ ١٦: ٢٣
(١٥) يو ١٤: ٢١ و٢٣؛ ١٥: ١٠ و١٤؛ ١. يو ٥: ٣؛ ٢. يو ٦
(١٦) يو ١٥: ٢٦؛ ١٦: ٧؛ رو ٨: ١٥ و٢٦؛ يو ١٤: ٢٦؛ ٧: ٣٩؛ ١. يو ٢: ١

انظر الصفحة التالية



وَلاَ يَعْرِفُهُ ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ يُقِيمُ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ[١] . ١٨ ✤ لَنْ أَتْرُكَكُمْ يَتَامَى . ١٩ ✤ وَإِنَّمَا سَأَجِيءُ إِلَيْكُمْ[٢] . بَعْدَ قَلِيلٍ[٣] لَنْ يَرَانِي الْعَالَمُ بَعْدُ ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَوْفَ تَرَوْنَنِي[٤] ، لأَنَّنِي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ أَيْضًا[٥] . ٢٠ ✤ وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ[٦] سَتَعْلَمُونَ أَنِّي فِي أَبِي[٧] ، وَأَنَّكُمْ أَنْتُمْ فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ . ٢١ ✤ إِنَّ الَّذِي لَدَيْهِ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا هُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي[٨] ، وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي[٩] ، وَأَنَا أَيْضًا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي»[١٠] . ٢٢ ✤ فَقَالَ لَهُ يَهُوذَا[١١] لَيْسَ الإِسْخَرْيُوطِيُّ : «يَارَبُّ ، مَاذَا حَدَثَ حَتَّى إِنَّكَ مُزْمِعٌ أَنْ تُظْهِرَ ذَاتَكَ لَنَا نَحْنُ[١٢] ، وَلَيْسَ لِلْعَالَمِ ؟» . ٢٣ ✤ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ : «مَنْ يُحِبُّنِي[١٣] يَحْفَظْ كَلاَمِي[١٤] وَيُحِبُّهُ أَبِي وَإِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نُقِيمُ[١٥] . ٢٤ ✤ وَمَنْ لاَ يُحِبُّنِي لاَ يَحْفَظْ كَلاَمِي . إِنَّ الْكَلاَمَ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ كَلاَمِي ، وَإِنَّمَا كَلاَمُ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي[١٦] . ٢٥ ✤ وَقَدْ قُلْتُ لَكُمْ هَذَا وَأَنَا مُقِيمٌ بَيْنَكُمْ . ٢٦ ✤ حَتَّى إِذَا جَاءَ الْمُعَزِّي[١٧] وَهُوَ الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ[١٨] بِاسْمِي ، فَسَيُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ[١٩] وَيُذَكِّرُكُمْ[٢٠] بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ . ٢٧ ✤ سَلاَمِي أَتْرُكُ

(١٧) يو ١٥: ٢٦، ١٦: ١٣، ١ يو ٤: ٦، ٥: ٧
(١٨) يو ١٦: ١٣
١ كورنثوس ٢: ١٤
(١) ١. يو ٢: ٢٧
(٢) مت ٢٨: ٢، يو ١٤: ٣ و٢٨
(٣) يو ٧: ٣٣
(٤) يو ١٦: ١٦ و٢٣
(٥) ١. كو ١٥: ٢٠، يو ٦: ٥٧
(٦) يو ١٦: ٢٣: ٣٦
(٧) يو ١٠: ٣٨، ١٤: ١٠ و١١ و٢٠، ١٧: ٢١ و٢٣ و٢٦
(٨) يو ١٤: ١٥ و٢٣، ١. يو ٢: ٥، ٥: ٣
(٩) يو ١٦: ٢٧، ١٤: ٢٣
(١٠) خر ٣٣: ١٨، أم ٨: ١٧
(١١) لو ٦: ١٦، أع ١: ١٣، مت ١٠: ٣
(١٢) أع ١٠: ٤٠ و٤١
(١٣) يو ١٤: ١٥
(١٤) يو ٨: ٥١، ١. يو ٢: ٥
(١٥) رو ٨: ١٥، ١. يو ٢: ٢٤، رؤ ٣: ٢٠، ٢١: ٣، ٢. كو ٦: ١٦، أف ٣: ١٧
(١٦) يو ٥: ١٩ و٣٨، ٧: ١٦، ٨: ٢٨، ١٢: ٤٩، ١٤: ١٠

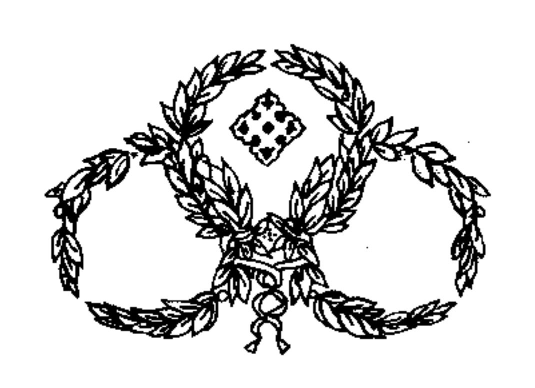
انظر الصفحة التالية

٣٥

لَكُمْ . سَلاَمِي أَنَا أُعْطِيكُمْ[١] . لَيْسَ كَمَا يُعْطِي
الْعَالَمُ[٢] أُعْطِيكُمْ أَنَا . لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ[٣]
٢٨ وَلاَ تَجْزَعْ . ❖ قَدْ سَمِعْتُمْ قَوْلِي إِنَّنِي سَأَذْهَبُ ثُمَّ
أَجِيءُ ثَانِيَةً إِلَيْكُمْ[٤] . فَلَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ
تَفْرَحُونَ بِأَنِّي أَمْضِي إِلَى أَبِي[٥] ، لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ
٢٩ مِنِّي[٦] . ❖ وَقَدْ قُلْتُ لَكُمْ ذَلِكَ الآنَ قَبْلَ أَنْ
٣٠ يَكُونَ ، فَإِذَا كَانَ تُؤْمِنُونَ[٧] . ❖ لا أَقُولُ لَكُمْ بَعْدُ
كَلاَمًا كَثِيرًا ، لأَنَّ رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ[٨] يَأْتِي
٣١ وَلاَ يَمْلِكُ فِيَّ شَيْئًا[٩] . ❖ لَكِنْ لِكَيْ يَعْرِفَ الْعَالَمُ
أَنِّي أُحِبُّ أَبِي وَأَنِّي أَعْمَلُ مَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي[١٠] .
قُومُوا نَنْطَلِقْ مِنْ هُنَا » .

(١٧) لو ٢٤ : ٤٩، ١٤ : ١٦، ١٥ : ٢٦، ١٦ : ٧
(١٨) يو ١ : ٣٣، ١٥ : ٢٦، ١٦ : ٧، لو ٢٤ : ٤٩، أع ٢ : ٣٣
(١٩) يو ١٦ : ١٣، ١ يو ٢ : ٢٠ و٢٧
(٢٠) يو ٢ : ٢٢

(١) يو ١٦ : ٣٣، ٢٠ : ١٩، ف ٤ : ٧، كو ٣ : ١٥
(٢) إر ٦ : ١٤
(٣) يو ١٤ : ١
(٤) يو ١٤ : ٣ و١٨
(٥) يو ١٤ : ١٢، ١٦ : ١٦، ٢٠ : ١٧
(٦) يو ٥ : ١٨، ١٠ : ٢٩ و٣٠، ف ٢ : ٦–١١
(٧) يو ١٣ : ١٩، ١٦ : ٤
(٨) يو ١٢ : ٣١، ١٦ : ١١
(٩) عب ٤ : ١٥
(١٠) يو ١٠ : ١٨، ١٢ : ٤٩، ف ٢ : ٨، عب ٥ : ٨







الْفَصْلُ الْخَامِسَ عَشَرَ

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُوَاصِلُ وَصَايَاهُ لِتَلامِيذِهِ :

١ «أَنَا هُوَ الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ[١] وَأَبِي هُوَ الْكَرَّامُ[٢] . ٢ كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لاَ يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْزِعُهُ[٣] وَكُلُّ غُصْنٍ مُثْمِرٍ يُنَقِّيهِ لِيَأْتِيَ بِثَمَرٍ أَكْثَرَ ٣ أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِيَاءُ بِفِعْلِ الْكَلامِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ[٤] . ٤ اثْبُتُوا فِيَّ ، كَمَا أَنَا أَيْضًا فِيكُمْ[٥] . فَكَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ وَحْدَهُ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ ، هكَذَا أَنْتُمْ لاَ يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَأْتُوا بِثَمَرٍ إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ . ٥ أَنَا الْكَرْمَةُ ، وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ . فَالَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ[٦] ، لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَفْعَلُوا

(١) إش ٥ : ١ إلخ ؛ حز ١٩ : ١٠ إلخ ؛ مز ٧٩ : ٨ ؛ مت ٢١ : ٣٣

(٢) مت ١٥ : ١٣ ؛ رو ١١ : ١٧ ؛ ١. كو ٣ : ٧

(٣) مت ١٥ : ١٣

(٤) يو ١٣ : ١٠ ؛ ١٧ : ١٧ ؛ أف ٥ : ٢٦

(٥) كو ١ : ٢٣ ؛ ١. يو ٢ : ٦ ؛ يو ٦ : ٥٦

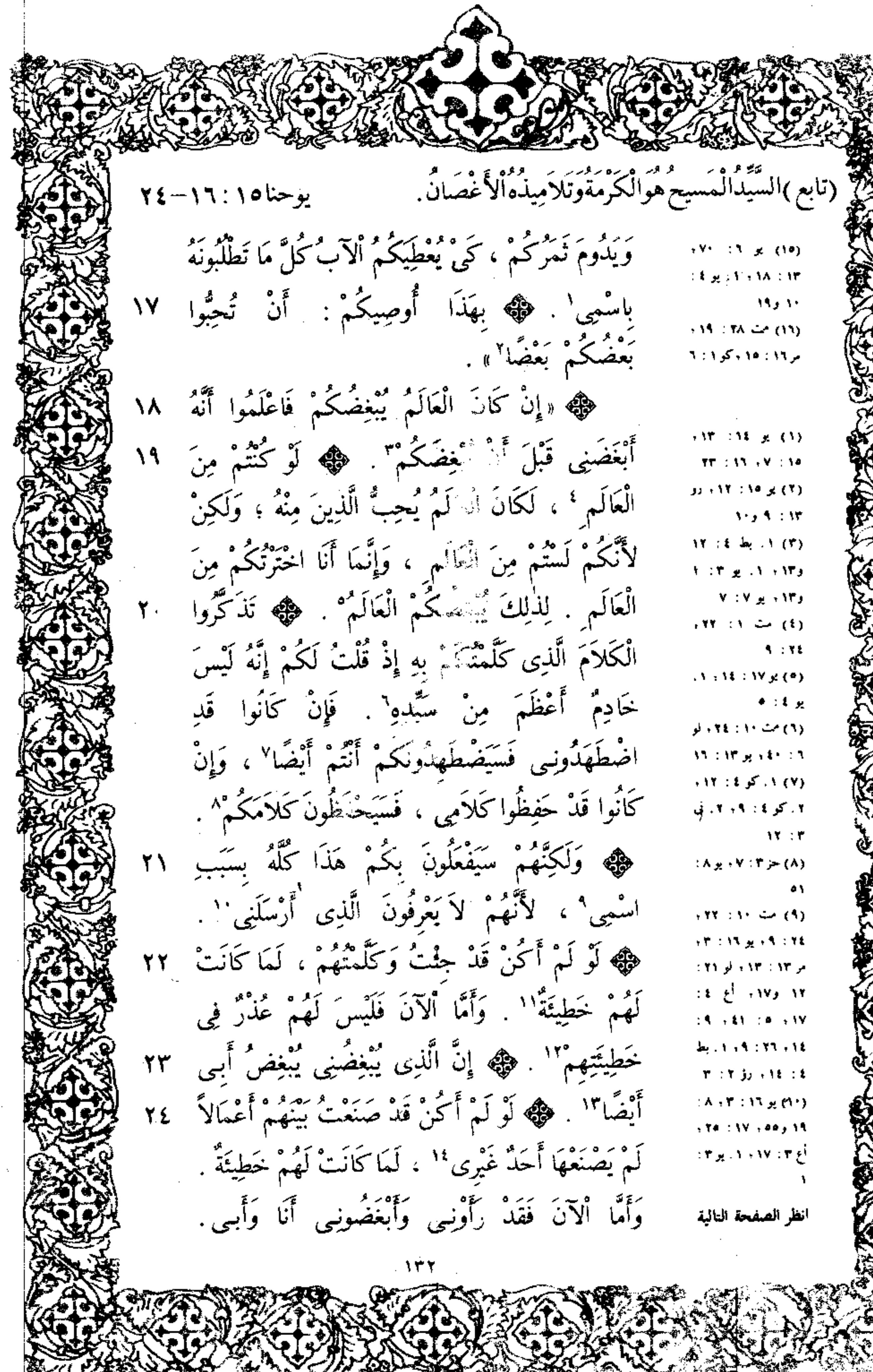
(٦) هو ١٤ : ٨ ؛ ف ١ : ١١ ؛ ٤ : ١٣

شَيْئًا[١] . ٦ ❖ وَأَمَّا الَّذِي لاَ يَثْبُتُ فِيَّ فَيُطْرَحُ خَارِجًا كَالْغُصْنِ فَيَجِفُّ ، فَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ فَيَحْتَرِقُ[٢] . ٧ ❖ إِنْ أَنْتُمْ ثَبَتُّمْ فِيَّ وَثَبَتَ كَلاَمِي فِيكُمْ ، فَإِنَّكُمْ تَطْلُبُونَ مَا تَشَاءُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ[٣] . ٨ ❖ بِهَذَا يَتَمَجَّدُ أَبِي[٤] : أَنْ تَأْتُوا بِثَمَرٍ كَثِيرٍ ، فَتَكُونُوا تَلاَمِيذِي[٥] . ٩ ❖ كَمَا أَحَبَّنِي أَبِي[٦] ، هَكَذَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا ، فَاثْبُتُوا فِي مَحَبَّتِي . ١٠ ❖ إِنْ حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ تَثْبُتُمْ فِي مَحَبَّتِي[٧] ، كَمَا أَنِّي أَنَا حَفِظْتُ[٨] وَصَايَا أَبِي وَثَبَتُّ فِي مَحَبَّتِهِ . ١١ ❖ قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا[٩] لِكَيْ يَثْبُتَ فَرَحِي فِيكُمْ وَلِيَكْتَمِلَ فَرَحُكُمْ[١٠] » .

١٢ ❖ « هَذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي ، أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا[١١] ، كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا . ١٣ ❖ مَا مِنْ حُبٍّ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَبْذُلَ أَحَدٌ نَفْسَهُ عَنْ أَحِبَّائِهِ[١٢] . ١٤ ❖ وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ أَحِبَّائِي إِنْ عَمِلْتُمْ بِمَا أُوصِيكُمْ بِهِ[١٣] . ١٥ ❖ لاَ أَدْعُوكُمْ عَبِيدًا بَعْدُ ، لأَنَّ الْعَبْدَ لاَ يَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَقَدْ دَعَوْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لأَنَّنِي عَرَّفْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي[١٤] . ١٦ ❖ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ اخْتَرْتُمُونِي ، وَإِنَّمَا أَنَا الَّذِي اخْتَرْتُكُمْ[١٥] وَأَقَمْتُكُمْ لِتَنْطَلِقُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ[١٦] ،

(١) أع ٤ : ١٢
(٢) مت ٣ : ١٠ ، ٧ : ١٩
(٣) يو ١٤ : ٣ و١٤ ، ١٥ : ١٦ ، ١٦ : ٢٣ ، مت ٧ : ٧
(٤) مت ٥ : ١٦ ، ف ١ : ١١
(٥) يو ٨ : ٣١ ، ١٣ : ٣٥
(٦) يو ١٧ : ٢٣ و٢٤ و٢٦ ، ٣ : ٣٥
(٧) يو ١٤ : ١٥ و٢١ و٢٣
(٨) يو ٨ : ٢٩
(٩) يو ١٧ : ١٣
(١٠) يو ١٦ : ٢٤ ، ١٧ : ١٣ ، ١ . يو ١ : ٤
(١١) يو ١٣ : ٣٤ ، ١ . تس ٤ : ٩ ، ١ . بط ٤ : ٨ ، ١ . يو ٣ : ١١ ، ٤ : ٢١
(١٢) يو ١٠ : ١١ و١٥ ، رو ٥ : ٧ و٨ ، أف ٥ : ٢ ، ١ . يو ٣ : ١٦
(١٣) مت ١٢ : ٥٠ ، يو ١٤ : ١٥ و٢٣ ، لو ١٢ : ٤
(١٤) تك ١٨ : ١٧ ، يو ١٧ : ٢٦ ، أع ٢٠ : ٢٧ ، يو ٨ : ٢٦ ، ١٦ : ١٢

انظر الصفحة التالية



وَيَدُومَ ثَمَرُكُمْ ، كَيْ يُعْطِيَكُمُ الآبُ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ مِنْهُ بِاسْمِي[١] . ١٧ بِهَذَا أُوصِيكُمْ : أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا[٢] » .

١٨ « إِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُبْغِضُكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ أَبْغَضَنِي قَبْلَ أَنْ يُبْغِضَكُمْ[٣] . ١٩ لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ[٤] ، لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ الَّذِينَ مِنْهُ ؛ وَلَكِنْ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ ، وَإِنَّمَا أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ . لِذَلِكَ يُبْغِضُكُمُ الْعَالَمُ[٥] . ٢٠ تَذَكَّرُوا الْكَلاَمَ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُ لَكُمْ إِنَّهُ لَيْسَ خَادِمٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ[٦] . فَإِنْ كَانُوا قَدِ اضْطَهَدُونِي فَسَيَضْطَهِدُونَكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا[٧] ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ حَفِظُوا كَلاَمِي ، فَسَيَحْفَظُونَ كَلاَمَكُمْ[٨] .

٢١ وَلَكِنَّهُمْ سَيَفْعَلُونَ بِكُمْ هَذَا كُلَّهُ بِسَبَبِ اسْمِي[٩] ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْرِفُونَ الَّذِي أَرْسَلَنِي[١٠] . ٢٢ لَوْ لَمْ أَكُنْ قَدْ جِئْتُ وَكَلَّمْتُهُمْ ، لَمَا كَانَتْ لَهُمْ خَطِيئَةٌ[١١] . وَأَمَّا الآنَ فَلَيْسَ لَهُمْ عُذْرٌ فِي خَطِيئَتِهِمْ[١٢] . ٢٣ إِنَّ الَّذِي يُبْغِضُنِي يُبْغِضُ أَبِي أَيْضًا[١٣] . ٢٤ لَوْ لَمْ أَكُنْ قَدْ صَنَعْتُ بَيْنَهُمْ أَعْمَالاً لَمْ يَصْنَعْهَا أَحَدٌ غَيْرِي[١٤] ، لَمَا كَانَتْ لَهُمْ خَطِيئَةٌ . وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ رَأَوْنِي وَأَبْغَضُونِي أَنَا وَأَبِي .

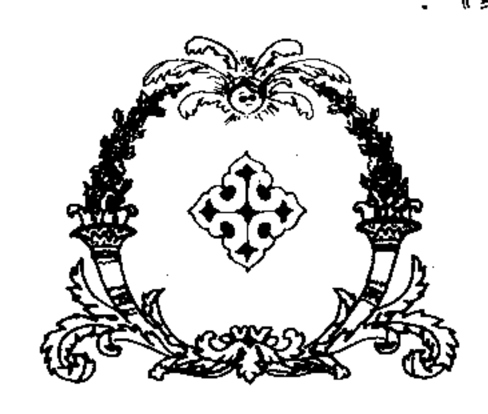
(١٥) يو ٦ : ٧٠ ، ١٣ : ١٨ ، ١ يو ٤ : ١٠ و١٩
(١٦) مت ٢٨ : ١٩ ، مر ١٦ : ١٥ ، كو ١ : ٦

(١) يو ١٤ : ١٣ ، ١٥ : ٧ ، ١٦ : ٢٣
(٢) يو ١٥ : ١٢ ، رو ١٣ : ٩ و١٠
(٣) ١ . بط ٤ : ١٢ و١٣ ، ١ . يو ٣ : ١ و١٣ ، يو ٧ : ٧
(٤) مت ١ : ٢٢ ، ٢٤ : ٩
(٥) يو ١٧ : ١٤ ، ١ . يو ٤ : ٥
(٦) مت ١٠ : ٢٤ ، لو ٦ : ٤٠ ، يو ١٣ : ١٦
(٧) ١ . كو ٤ : ١٢ ، ٢ . كو ٤ : ٩ ، ٢ . تي ٣ : ١٢
(٨) حز ٣ : ٧ ، يو ٨ : ٥١
(٩) مت ١٠ : ٢٢ ، ٢٤ : ٩ ، يو ١٦ : ٣ ، مر ١٣ : ١٣ ، لو ٢١ : ١٢ و١٧ ، أع ٤ : ١٧ ، ٥ : ٤١ ، ٩ : ١٤ ، ٢٦ : ٩ ، ١ . بط ٤ : ١٤ ، رؤ ٢ : ٣
(١٠) يو ١٦ : ٣ ، ٨ : ١٩ و٥٥ ، ١٧ : ٢٥ ، أع ٣ : ١٧ ، ١ . يو ٣ : ١

انظر الصفحة التالية



٢٥ وَلكِنَّ هذَا قَدْ كَانَ لِيَتِمَّ الْمَكْتُوبُ فِي شَرِيعَتِهِمْ
٢٦ إِنَّهُمْ أَبْغَضُونِي بِلاَ سَبَبٍ[1] . وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي[2] الَّذِي سَأُرْسِلُهُ[3] أَنَا إِلَيْكُمْ مِنْ عِنْدِ أَبِي ، رُوحُ الْحَقِّ[4] الْمُنْبَثِقُ مِنَ الآبِ[4] ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي[5] .
٢٧ وَأَنْتُمْ أَيْضًا سَتَشْهَدُونَ لِي[6] ، لأَنَّكُمْ مَعِي مُنْذُ الابْتِدَاءِ »[7] .



الْفَصْلُ السَّادِسَ عَشَرَ

١ « قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا[8] لِئَلاَّ تَصْطَدِمُوا بِمَا
٢ يُعْثِرُكُمْ[9] . فَإِنَّهُمْ سَيُخْرِجُونَكُمْ مِنَ الْمَجَامِعِ[10] . بَلْ سَتَأْتِي سَاعَةٌ[10] يَظُنُّ فِيهَا كُلُّ مَنْ
٣ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ ذَبِيحَةً للهِ[11] . وَهُمْ سَيَفْعَلُونَ هذَا بِكُمْ لأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا الآبَ وَلاَ عَرَفُونِي[12] .
٤ وَمَا قُلْتُ لَكُمْ هذَا إِلاَّ لِتَتَذَكَّرُوا ، مَتَى

٣٦

(١١) يو ٩ : ٤١
(١٢) رو ١ : ٢٠؛ يع ٤ : ١٧
(١٣) مز ٦٨ : ٩؛ رو ١٥ : ٣؛ ١. يو ٢ : ٢٣
(١٤) يو ٣ : ٢؛ ٧ : ٣١؛ ٩ : ٣٢؛ ٥ : ٣٦؛ ١٠ : ٣٧

(١) مز ٣٤ : ١٩؛ ٦٨ : ٤
(٢) يو ١٤ : ١٦
(٣) يو ١٤ : ٢٦؛ ١٤ : ١٧
(٤) لو ٢٤ : ٤٩؛ يو ١٤ : ١٧ و٢٦؛ ١٦ : ٧ و١٣؛ أع ٢ : ٣٣؛ يو ١ : ٣٤
(٥) ١. يو ٥ : ٦ و٧
(٦) لو ٢٤ : ٤٨؛ أع ١ : ٨ و٢١ و٢٢؛ ٢ : ٣٢؛ ٣ : ١٥؛ ٤ : ٢٠ و٣٣؛ ٥ : ٣٢؛ ١٠ : ٣٩؛ ١٣ : ٣١، ١. بط ٥ : ١؛ ٢. بط ١ : ١٦؛ يو ١٩ : ٣٥؛ ٢١ : ٢٤، ١. يو ١ : ٢؛ ٤ : ١٤
(٧) لو ١ : ٢؛ ١. يو ١ : ١
(٨) يو ١٥ : ١٨ ٢٨
(٩) مت ١١ : ٦؛ ٢٤ : ١٠؛ ٢٦ : ٣١
(١٠) يو ٩ : ٢٢ و٣٤؛ ١٢ : ٤٢

انظر الصفحة التالية



جَاءَتِ السَّاعَةُ ، أَنِّي قُلْتُهُ لَكُمْ[١] . وَلَمْ أَقُلْهُ لَكُمْ مُنْذُ الابْتِدَاءِ ، لأَنِّي كُنْتُ مَعَكُمْ[٢] . ٥ أَمَّا الآنَ فَإِنِّي مَاضٍ إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي[٣] ، وَلاَ يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى أَيْنَ تَمْضِي[٤] ؟ ٦ وَلكِنَّكُمْ إِذْ قُلْتُ لَكُمْ هذَا مَلأَ الْحُزْنُ قُلُوبَكُمْ[٥] . ٧ إِلاَّ أَنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ ، لأَنِّي إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي[٦] . أَمَّا إِذَا مَضَيْتُ فَإِنِّي أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ[٧] . ٨ وَمَتَى جَاءَ هذَا فَسَيُوَبِّخُ الْعَالَمَ عَلَى الْخَطِيئَةِ ، وَعَلَى الْبِرِّ ، وَعَلَى الدَّيْنُونَةِ . ٩ أَمَّا عَلَى الْخَطِيئَةِ فَلأَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِي[٨] . ١٠ وَأَمَّا عَلَى الْبِرِّ فَلأَنِّي مُنْطَلِقٌ إِلَى أَبِي فَلاَ تَرَوْنَنِي بَعْدُ[٩] . ١١ وَأَمَّا عَلَى الدَّيْنُونَةِ فَلأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ قَدْ أُدِينَ[١٠] . ١٢ لاَ يَزَالُ عِنْدِي كَلاَمٌ كَثِيرٌ لأَقُولَهُ لَكُمْ ، وَلكِنَّكُمْ لاَ تُطِيقُونَ احْتِمَالَهُ الآنَ[١١] . ١٣ فَمَتَى جَاءَ ذَاكَ الَّذِي هُوَ رُوحُ الْحَقِّ[١٢] ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى الْحَقِّ كُلِّهِ[١٣] ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ عِنْدِهِ ، وَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ بِمَا يَسْمَعُهُ ، وَسَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ[١٤] . ١٤ إِنَّهُ يُمَجِّدُنِي لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ[١٥] .

(١١) أع ٨ : ١ ، ٩ : ١ ، ٢٦ : ٩إلخ ، لو ٤ : ٢١ ، أع ٢٦ : ٩–١١ ، إش ٦٦ : ٥ ، رؤ ٦ : ٩
(١٢) لو ٢٣ : ٣٤ ، يو ١٥ : ٢١ ، أع ٣ : ١٧ ، رو ١ : ٢ ، ١ . كو ٢ : ٨ ، ١ . تي ١ : ١٣
(١) يو ١٣ : ١٩ ، ١٤ : ٢٩
(٢) مت ٩ : ١٥ ، يو ١٨ : ٨
(٣) يو ٧ : ٣٣ ، ١٣ : ٣ ، ١٤ : ٢٨ ، يو ١٦ : ١٠ و١٦
(٤) يو ١٣ : ٣٦ ، ١٤ : ٥
(٥) يو ١٤ : ١ ، يو ١٦ : ٢٢
(٦) يو ٧ : ٣٩ ، ١٤ : ١٦ ، ١٥ : ٢٦
(٧) أع ٢ : ٣٣ ، أف ٤ : ٨
(٨) يو ١٥ : ٢٢ و٢٤ ، أع ٢ : ٢٢ ، ٣٧ ، ١ كو ١٢ : ٣ ، ١ يو ٥ : ١٠
(٩) يو ٣ : ١٤ ، ٥ : ٣٢ ، أع ٢ : ٣٢ ، رو ٣ : ٢٥ و٢٦ ، أع ٣ : ١٤ ، ٧ : ٥٢ ، ١٧ : ٣١ ، ١ . بط ٣ : ٨
(١٠) لو ١٠ : ١٨ ، يو ١٢ : ٣١ ، أع ٢٦ : ١٨ ، أف ٢ : ٢ ، كو ٢ : ١٥ ، عب ٢ : ١٤

انظر الصفحة التالية

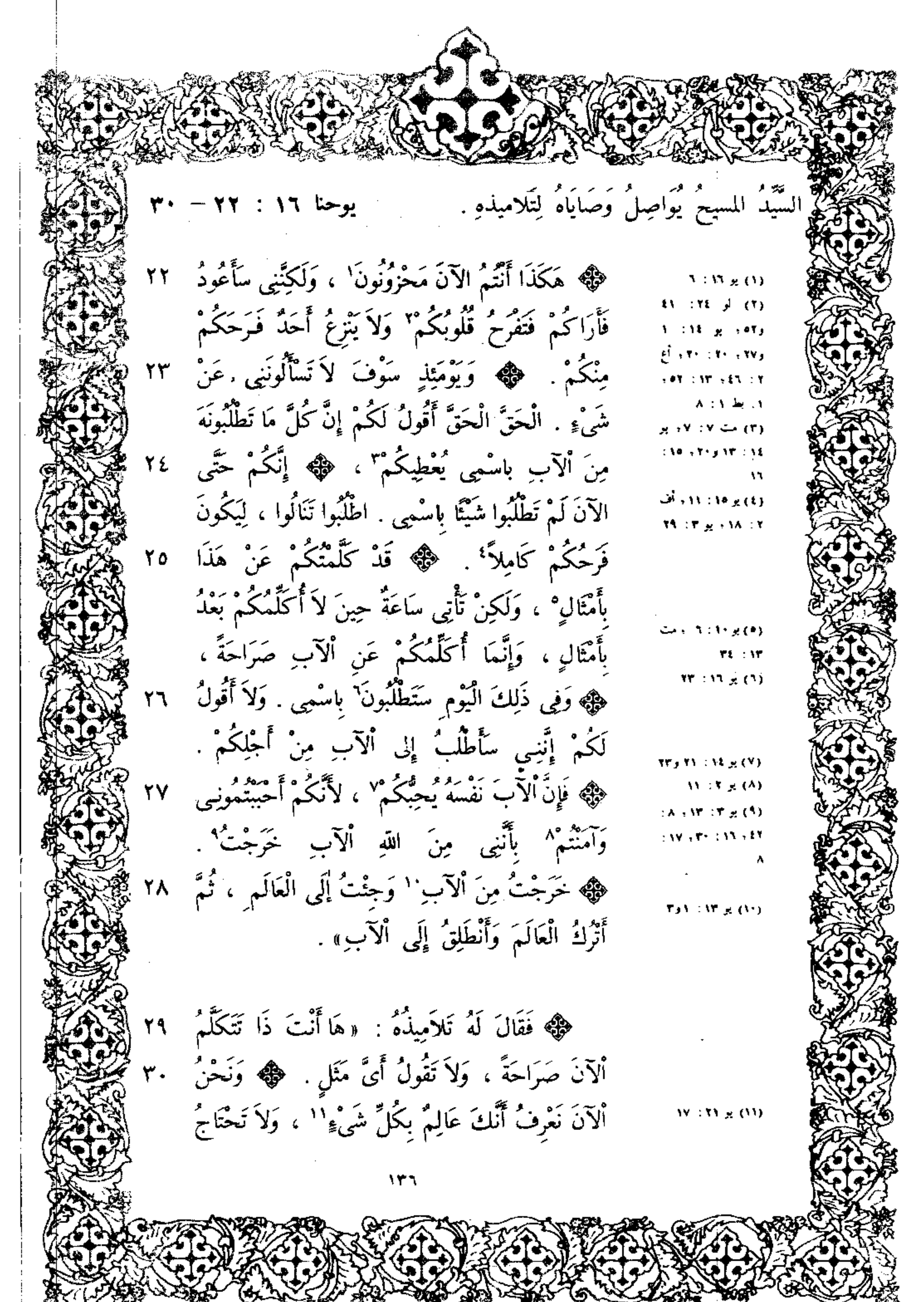
١٥ ❖ جَمِيعُ مَا لِلآبِ فَهُوَ لِي[١] . لِذَلِكَ قُلْتُ لَكُمْ
١٦ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ . ❖ بَعْدَ قَلِيلٍ
لاَ تَرَوْنَنِي[٢] ، ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضًا تَرَوْنَنِي ، لأَنِّنِي
مُنْطَلِقٌ إِلَى أَبِي[٣] » .

١٧ ❖ فَقَالَ بَعْضُ تَلاَمِيذِهِ فِيمَا بَيْنَهُمْ : « مَا هَذَا
الَّذِي يَقُولُهُ لَنَا : بَعْدَ قَلِيلٍ لاَ تَرَوْنَنِي ، ثُمَّ بَعْدَ
قَلِيلٍ أَيْضًا تَرَوْنَنِي . وَلأَنِّنِي مُنْطَلِقٌ إِلَى أَبِي ؟ » .
١٨ ❖ ثُمَّ قَالُوا : « مَا هَذَا الْقَلِيلُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ عَنْهُ ؟
إِنَّنَا لاَ نَدْرِي مَاذَا يَقُولُ ؟ » .

١٩ ❖ فَعَلِمَ[٤] يَسُوعُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَسْأَلُوهُ ،
فَقَالَ لَهُمْ : « أَعَنْ هَذَا تَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَكُمْ ، إِذْ
قُلْتُ لَكُمْ بَعْدَ قَلِيلٍ لاَ تَرَوْنَنِي ، ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضًا
٢٠ تَرَوْنَنِي ؟ . ❖ الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّكُمْ
سَتَبْكُونَ وَتَنُوحُونَ[٥] وَالْعَالَمُ يَفْرَحُ . أَنْتُمْ سَتَحْزَنُونَ
٢١ وَلَكِنَّ حُزْنَكُمْ سَيَتَحَوَّلُ إِلَى فَرَحٍ[٦] . ❖ فَالْمَرْأَةُ
وَهِيَ تَلِدُ تَحْزَنُ لأَنَّ سَاعَتَهَا قَدْ جَاءَتْ[٧] ، وَلَكِنَّهَا
مَتَى وَلَدَتِ الطِّفْلَ لاَ تَعُودُ تَذْكُرُ مَا كَانَتْ فِيهِ مِن
شِدَّةٍ ، لِفَرَحِهَا بِأَنَّهَا وَلَدَتْ إِنْسَانًا فِي الْعَالَمِ .

(١١) مر ٤ : ٣٣ ، ١ . كو ٣ : ٢ - عب ٥ : ١٢
(١٢) يو ١٤ : ١٧ ، ١٥ : ٢٦
(١٣) يو ١٤ : ٢٦ ، ١ . يو ٢ : ٢٠ و٢٧
(١٤) رؤ ١ : ١ ، ١٠ : ٢٢ : ١٦ . ١٧ : ١ ، ١٠
(١٥) ٢ . كو ٣ : ١٧ و١٨ ، يو ٧ : ٣٩

(١) مت ١١ : ٢٧ ، يو ٣ : ٣٥ ، ١٣ : ٣ ، ١٧ : ١٠
(٢) يو ٧ : ٣٣ ، ١٣ : ٣٣ ، ١٤ : ١٨ ، ٢٣ ، ١٦ : ١٠
(٣) يو ١٣ : ٣ ، ١٦ : ١ و١٦ ، ٢٤ و٢٨
(٤) يو ٦ : ٦١ ، مر ٩ : ٣٢
(٥) مر ١٦ : ١٠ ، لو ٢٣ : ٢٧
(٦) يو ٢٠ : ٢٠
(٧) إش ٢٦ : ١٧ ، ١٣ : ٨ ، ٢١ : ٣ ، هو ١٣ : ١٣ ، مي ٤ : ٩ ، ١ . تس ٥ : ٣



٢٢ ❖ هَكَذَا أَنْتُمُ الآنَ مَحْزُونُونَ[١] ، وَلَكِنَّنِي سَأَعُودُ فَأَرَاكُمْ فَتَفرَحُ قُلُوبُكُمْ[٢] وَلاَ يَنْزِعُ أَحَدٌ فَرحَكُمْ مِنْكُمْ .
٢٣ ❖ وَيَوْمَئِذٍ سَوْفَ لاَ تَسْأَلُونَنِي عَنْ شَيْءٍ . الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُونَهُ مِنَ الآبِ بِاسْمِي يُعْطِيكُمْ[٣] ،
٢٤ ❖ إِنَّكُمْ حَتَّى الآنَ لَمْ تَطْلُبُوا شَيْئًا بِاسْمِي . اطْلُبُوا تَنَالُوا ، لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً[٤] .
٢٥ ❖ قَدْ كَلَّمْتُكُمْ عَنْ هَذَا بِأَمْثَالٍ[٥] ، وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ حِينَ لاَ أُكَلِّمُكُمْ بَعْدُ بِأَمْثَالٍ ، وَإِنَّمَا أُكَلِّمُكُمْ عَنِ الآبِ صَرَاحَةً ،
٢٦ ❖ وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سَتَطْلُبُونَ[٦] بِاسْمِي . وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّنِي سَأَطْلُبُ إِلَى الآبِ مِنْ أَجْلِكُمْ .
٢٧ ❖ فَإِنَّ الآبَ نَفْسَهُ يُحِبُّكُمْ[٧] ، لأَنَّكُمْ أَحْبَبْتُمُونِي وَآمَنْتُمْ[٨] بِأَنَّنِي مِنَ اللهِ الآبِ خَرَجْتُ[٩] .
٢٨ ❖ خَرَجْتُ مِنَ الآبِ[١٠] وَجِئْتُ إِلَى الْعَالَمِ ، ثُمَّ أَتْرُكُ الْعَالَمَ وَأَنْطَلِقُ إِلَى الآبِ» .

٢٩ ❖ فَقَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ : «هَا أَنْتَ ذَا تَتَكَلَّمُ الآنَ صَرَاحَةً ، وَلاَ تَقُولُ أَيَّ مَثَلٍ .
٣٠ ❖ وَنَحْنُ الآنَ نَعْرِفُ أَنَّكَ عَالِمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ[١١] ، وَلاَ تَحْتَاجُ

(١) يو ١٦ : ٦
(٢) لو ٢٤ : ٤١ و٥٢؛ يو ١٤ : ١ و٢٧، ٢٠ : ٢٠، أع ٢ : ٤٦، ١٣ : ٥٢؛ ١ بط ١ : ٨
(٣) مت ٧ : ٧، يو ١٤ : ١٣ و٢٠، ١٥ : ١٦
(٤) يو ١٥ : ١١، ١ف ٢ : ١٨، يو ٣ : ٢٩
(٥) يو ١٠ : ٦ ، مت ١٣ : ٣٤
(٦) يو ١٦ : ٢٣
(٧) يو ١٤ : ٢١ و٢٣
(٨) يو ٢ : ١١
(٩) يو ٣ : ١٣، ٨ : ٤٢، ١٦ : ٣٠، ١٧ : ٨
(١٠) يو ١٣ : ١ و٣
(١١) يو ٢١ : ١٧



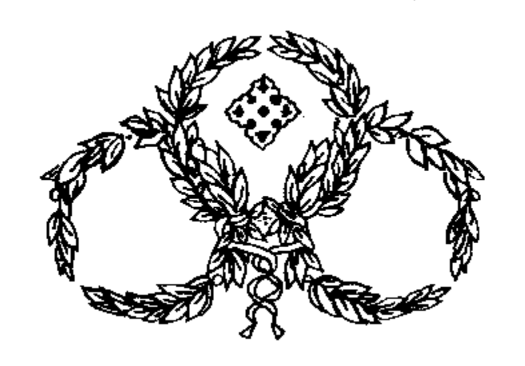
إِلَى أَنْ يَسْأَلَكَ أَحَدٌ[١] . لِهَذَا نُؤْمِنُ بِأَنَّكَ مِنَ اللهِ خَرَجْتَ »[٢] .

٣١ ❖ أَجَابَهُمْ يَسُوعُ قَائِلاً : « أَتُؤْمِنُونَ الآنَ؟

٣٢ ❖ هُوَذَا تَأْتِي سَاعَةٌ[٣] ، وَقَدْ أَتَتِ الآنَ ، تَتَفَرَّقُونَ[٤] فِيهَا كُلٌّ مِنْكُمْ إِلَى حَيْثُ كَانَ وَتَتْرُكُونَنِي وَحْدِي . غَيْرَ أَنَّنِي لَسْتُ وَحْدِي[٥] ، لأَنَّ أَبِي مَعِي[٦] .

٣٣ ❖ قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِيَّ سَلاَمٌ[٧] . سَيَكُونُ لَكُمْ فِي الْعَالَمِ ضِيقٌ[٨] ، وَلَكِنِ اطْمَئِنُّوا[٩] ، فَقَدْ غَلَبْتُ أَنَا الْعَالَمَ[١٠] » .

(١) يو ١٦ : ١٩
(٢) يو ١٦ : ٢٧، ١٧ : ٨، ٨ : ٤٢
(٣) يو ٤ : ٢٣
(٤) مت ٢٦ : ٣١؛ مر ١٤ : ٢٧؛ يو ٢٠ : ١٠؛ زك ١٣ : ٧؛ يو ١٩ : ٢٧
(٥) يو ٨ : ٢٩، ١٤ : ١٠ و١١
(٦) إش ٩ : ٦؛ يو ١٤ : ٢٧؛ رو ٥ : ١؛ كو ١ : ٢٠؛ أف ٢ : ١٤
(٧) يو ١٥ : ٩ إلخ؛ ٢. ق ٣ : ١٢
(٨) يو ١٤ : ١؛ ١٥ : ١٨ إلخ ٢٠ ق ٣ . ١٢
(٩) مت ٩ : ٢
(١٠) رو ٨ : ٣٧؛ ١ . يو ٤ : ٤، ٥ : ٤؛ ٢ . كو ٢ : ١٤؛ ٤ : ٧ إلخ؛ ٦ : ٤؛ رؤ ٣ : ٢١، ١٢ : ١١



الفَصْلُ السَّابِعَ عَشَرَ

٣٧ مُنَاجَاةُ السَّيِّد المَسيح أَبَاهُ السَّمَاوِيَّ :

١ ❖ تَكَلَّمَ يَسُوعُ بِهذَا ، ثُمَّ رَفَعَ عَيْنَيْهِ[1] نَحْوَ السَّمَاءِ ، وَقَالَ : «يَا أَبَتَاهُ قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ[2] . مَجِّدِ ابْنَكَ[3] لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ. ٢ ❖ كَمَا أَنَّكَ قَدْ أَعْطَيْتَهُ سُلْطَانًا عَلَى كُلِّ جَسَدٍ[4] كَيْ يُعْطِيَ[5] الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ لِكُلِّ الَّذِينَ أَعْطَيْتَهُ إِيَّاهُمْ[6]. ٣ ❖ وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ أَنْ يَعْرِفُوكَ[7] أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقَّ الْوَاحِدَ وَحْدَهُ[8] ، مَعَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ[9] ٤ ❖ أَنَا قَدْ مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ[10] ، وَالْعَمَلُ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ[11] . ٥ ❖ فَالآنَ مَجِّدْنِي يَا أَبَتَاهُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ مِنْ قَبْلِ كَوْنِ الْعَالَمِ[12] .

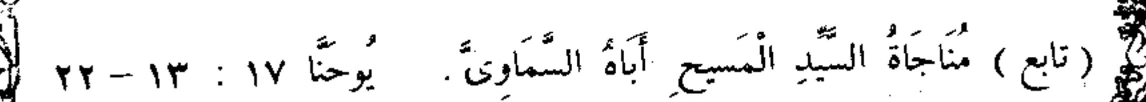
(١) يو ١١ : ٤١
(٢) يو ١٢ : ٢٣ ، ١٣ : ٣٢
(٣) يو ٧ : ٣٩ ، ١٣ : ٣١
(٤) تك ٦ : ٧ و١٣ و١٧ ، دا ٧ : ١٤ ، مت ١١ : ٢٧ ، ٢٨ : ١٨ ، يو ٣ : ٣٥ ، ٥ : ٢٧ ، في ١٢ : ١ ، عب ٢ : ٨ ، ١ . كو ١٥ : ٢٥ و٢٧
(٥) يو ١٠ : ٢٨
(٦) يو ٦ : ٣٧ ، ١٧ : ٦ و٩ و٢٤
(٧) إش ٥٣ : ١١ ، إر ٩ : ٢٤
(٨) ١ . كو ٨ : ٤ ، ١ . تس ١ : ٩ ، يو ٥ : ٤٤
(٩) يو ٣ : ١٧ و٣٤ ، ٥ : ٣٦ و٣٧ ، ٦ : ٢٩ و٥٧ ، ٧ : ٢٩ ، ١٠ : ٣٦ ، ١١ : ٤٢
(١٠) يو ١٣ : ٣١ ، ١٤ : ١٣

انظر الصفحة التالية

٦ ❖ « قَدْ أَظْهَرْتُ اسْمَكَ[١] لِلَّذِينَ أَعْطَيْتَنِيهِمْ مِنَ الْعَالَمِ[٢] . هُمْ كَانُوا لَكَ ، وَقَدْ أَعْطَيْتَنِي إِيَّاهُمْ ، فَحَفِظُوا كَلاَمَكَ[٣] . ٧ ❖ وَقَدْ عَلِمُوا الآنَ أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَيْتَنِي هُوَ مِنْ لَدُنْكَ ٨ ❖ لأَنَّنِي أَعْطَيْتُهُمُ الْكَلاَمَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي[٤] وَقَدْ قَبِلُوهُ ، وَأَيْقَنُوا أَنَّنِي مِنْكَ خَرَجْتُ[٥] ، وَآمَنُوا بِأَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي أَرْسَلْتَنِي[٦] . ٩ ❖ مِنْ أَجْلِهِمْ أَنَا أَطْلُبُ[٧] . لَسْتُ أَطْلُبُ مِنْ أَجْلِ الْعَالَمِ[٨] ، وَإِنَّمَا مِنْ أَجْلِ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِيهِمْ . ❖ لأَنَّهُمْ لَكَ . ١٠ ❖ وَجَمِيعُ مَا هُوَ لِي هُوَ لَكَ ، وَجَمِيعُ مَا هُوَ لَكَ هُوَ لِي[٩] . وَأَنَا قَدْ تَمَجَّدْتُ فِيهِمْ . ١١ ❖ أَنَا لَسْتُ فِي الْعَالَمِ بَعْدُ[١٠] ، وَأَمَّا هؤُلاَءِ فَهُمْ فِي الْعَالَمِ ، وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ[١١] ، يَا أَبَتَاهُ الْقُدُّوسُ ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ[١٢] ، هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِيهِمْ[١٣] ، لِيَكُونُوا فِي وَحْدَةٍ ، كَمَا نَحْنُ وَاحِدٌ[١٤] . ١٢ ❖ حِينَ كُنْتُ أَنَا مَعَهُمْ فِي الْعَالَمِ كُنْتُ أَحْفَظُهُمْ فِي اسْمِكَ[١٥] . هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِيهِمْ[١٦] حَفِظْتُهُمْ ، فَلَمْ يَهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ[١٧] إِلاَّ ابْنُ الْهَلاَكِ[١٨] ، لِيَتِمَّ قَوْلُ الْكِتَابِ[١٩] . ١٣ ❖ وَأَمَّا الآنَ فَإِنَّنِي آتِي إِلَيْكَ[٢٠] . وَأَنَا أَتَكَلَّمُ بِهذَا فِي

(١١) يو ٤ : ٣٤ ، ٥ : ٣٦ ، ٩ : ٣ ، ١٤ : ٣١ ، ١٥ : ١٠ ، ١٩ : ٣٠ ، لو ٢٢ : ٣٧
(١٢) يو ١ : ١ و٢ ، ١٠ : ٣٠ ، ١٤ : ٩ ، ٨ : ٥٨ ، ق ٢ : ٦ ، عب ١ : ٣ و١٠ ، كو ١ : ١٥ و١٧
(١) مز ٢١ : ٢٢ ، يو ١٧ : ٢٦
(٢) يو ٦ : ٣٧ و٣٩ ، ١٠ : ٢٩ ، ١٥ : ١٩ ، يو ١٧ : ٢ و٩ و١١
(٣) يو ٨ : ٥١
(٤) يو ٨ : ٢٨ ، ١٢ : ٤٩ ، ١٤ : ١٠ ، ١٥ : ١٥
(٥) يو ٨ : ٤٢
(٦) يو ١٦ : ٢٧ و٣٠ ، يو ١٧ : ٢٥
(٧) لو ٢٢ : ٣٢ ، يو ١٤ : ١٦
(٨) ١ . يو ٥ : ١٩ ، لو ٢٣ : ٣٤
(٩) يو ١٦ : ١٥
(١٠) يو ١٣ : ١ ، ١٦ : ٢٨
(١١) يو ٧ : ٣٣
(١٢) ١ . بط ١ : ٥ ، يه ١ ، يو ٧ : ٣٧
(١٣) ق ٢ : ٩ ، رؤ ١٩ : ١٢
(١٤) يو ١٠ : ٣٠ ، ١٧ : ٢١ الخ ، رو ١٢ : ٥

انظر الصفحة التالية



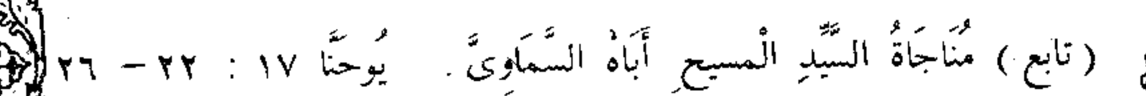
الْعَالَمِ ، لِيَكُونَ مَا بِي مِنْ فَرَحٍ كَامِلاً فِيهِمْ[١] .
١٤ ❖ قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ كَلاَمَكَ[٢] ، فَأَبْغَضَهُمُ[٣] الْعَالَمُ ، لأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ ، كَمَا أَنَّنِي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ[٤] ١٥ ❖ إِنَّنِي لاَ أَطْلُبُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ ، وَإِنَمَا أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشِّرِّيرِ[٥] .
١٦ ❖ هُمْ لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ . كَمَا أَنَّنِي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ[٦] . ١٧ ❖ قَدِّسْهُمْ[٧] فِي الْحَقِّ ، وَالْحَقُّ هُوَ كَلاَمُكَ[٨] . ١٨ ❖ كَمَا أَرْسَلْتَنِي[٩] إِلَى الْعَالَمِ ، أَرْسَلْتُهُمْ أَنَا أَيْضًا إِلَى الْعَالَمِ[١٠] . ١٩ ❖ وَمِنْ أَجْلِهِمْ أُقَدِّسُ[١١] أَنَا ذَاتِي ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا مُقَدَّسِينَ فِي الْحَقِّ[١٢] .

٢٠ ❖ «وَلَسْتُ أَطْلُبُ مِنْ أَجْلِ هؤُلاَءِ فَقَطْ ، وَإِنَّمَا أَيْضًا مِنْ أَجْلِ أُولئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ . ٢١ ❖ لِيَكُونُوا جَمِيعُهُمْ فِي وَحْدَةٍ[١٣] ، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا أَيْضًا فِيكَ[١٤] ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا فِي وَحْدَةٍ فِينَا ، كَيْ يُؤْمِنَ الْعَالَمُ بِأَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي أَرْسَلْتَنِي . ٢٢ ❖ قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي[١٥] ، لِيَكُونُوا فِي وَحْدَةٍ كَمَا

(١٥) يو ٦ : ٣٩ ؛ ١٠ : ٢٨ ؛ عب ٢ : ١٣
(١٦) ف ٢ : ٦ ؛ رؤ ١٩ : ١٢
(١٧) يو ١٨ : ٩ ، ١٠ . يو ٢ : ١٩
(١٨) يو ٦ : ٧٠ ؛ ١٣ : ١٨
(١٩) مز ١٠٨ : ٨ ، أع ١ : ٢٠
(٢٠) يو ٧ : ٣٣

(١) يو ١٥ : ١١ ، ١٦ : ٢٤ ، ١ . يو ١ : ٤ ؛ يو ٣ : ٢٩
(٢) يو ١٧ : ٨
(٣) يو ١٥ : ١٨ و١٩ ؛ ١ . يو ٣ : ١٣
(٤) يو ٨ : ٢٣ ؛ يو ١٧ : ١٦
(٥) مت ٥ : ٣٧ ، ٦ : ١٣ ؛ غل ١ : ٤ ، ٢ . تس ٣ : ٣ ، ١ . يو ٢ : ١٣ ، ٥ : ١٨
(٦) يو ١٧ : ١٤
(٧) يو ١٥ : ٣ ، أع ١٥ : ٩ ، أف ٥ : ٢٦ ، ١ . بط ١ : ٢٢
(٨) ٢ . صم ٧ : ٢٨ ؛ مز ١١٨ : ١٤٢ و١٥١ ؛ يو ٨ : ٤٠
(٩) يو ٣ : ١٧ ، ١٧ : ٣ و٨ و٢١ و٢٣ و٢٥

انظر الصفحة التالية



٢٣ أَنَّنَا نَحْنُ أَيْضًا فِي وَحْدَةٍ[١] . ❖ أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا فِي وَحْدَةٍ كَامِلَةٍ[٢] ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي أَرْسَلْتَنِي ، وَأَنَّنِي أَحْبَبْتُهُمْ[٣]

٢٤ كَمَا أَحْبَبْتَنِي . ❖ يَا أَبَتَاهُ أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِيهِمْ يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا[٤] ، لِيُعَايِنُوا مَجْدِي[٥] الَّذِي أَعْطَيْتَنِي ، لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ

٢٥ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ[٦] . ❖ يَا أَبَتَاهُ الْحَقُّ[٧] ، إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفْكَ[٨] ، وَأَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُكَ[٩] ، وَهَؤُلاَءِ أَيْضًا

٢٦ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي أَرْسَلْتَنِي[١٠] . ❖ وَقَدْ أَخْبَرْتُهُمْ بِاسْمِكَ[١١] وَسَأَظَلُّ أُخْبِرُهُمْ . لِتَكُونَ فِيهِمُ الْمَحَبَّةُ الَّتِي بِهَا أَحْبَبْتَنِي ، وَأَكُونَ أَنَا أَيْضًا فِيهِمْ[١٢] » .

(١٠) يو ٢٠ : ٢١ ، ٤ : ٣٨ ، مت ١٠ : ٥
(١١) ١ . كو ١ : ٢ ، ٣٠ ، ١ . تس ٤ : ٧ ، عب ٢ : ١٠ ، ١٠ : ١٠ ، يو ١٥ : ١٣
(١٢) ٢ . كو ٧ : ١٤ ، كو ١ : ٦ ، ١ . يو ٣ : ١٨ .
(١٣) يو ١٠ : ١٦ ، ١٧ : ١١ و ١٢ و ٢٣ ، رو ١٢ : ٥ ، غل ٣ : ٢٨
(١٤) يو ١٠ : ٣٨ ، ١٤ : ١١
(١٥) رو ٨ : ٣٠ ، أف ١ : ١٨ ، ٢ : ٦ ، يو ١ : ١٤
(١) يو ١٤ : ٢٠ ، ١ . يو ١ : ٣ ، ٣ : ٢٤
(٢) كو ٣ : ١٤
(٣) يو ١٦ : ٢٧
(٤) يو ١٢ : ٢٦ ، ١٤ : ٣ ، ١ تس ٤ : ١٧
(٥) رو ٨ : ١٧ ، ٢ . كو ٣ : ١٨ ، ١ . يو ٣ : ٢
(٦) يو ١٧ : ٥ ، مت ٢٥ : ٣٤
(٧) ١ . يو ١ : ٩
(٨) يو ١٥ : ٢١ ، ١٦ : ٣
(٩) يو ٧ : ٢٩ ، ٨ : ٥٥ ، ١٠ : ١٥
(١٠) يو ١٦ : ٢٧ ، ١٧ : ٨

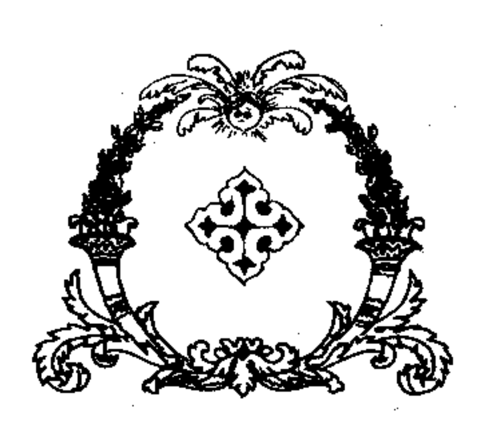
انظر الصفحة التالية






(١١) يو ١٥ : ١٥؛ ١٧ : ٦

(١٢) يو ١٥ : ٩؛ ١٧ : ٢٣



(١) ٢. صم ٥ : ٢٣؛ ١. مل ٢ : ٣٧، ١٥ : ١٣؛ ٢. مل ٢٣ : ٤ و٦ و١٢؛ ٢. أي : ١٥ و١٦؛ ٢٩ : ١٦؛ ٣٠ : ١٤؛ إر ٣١ : ٤٠؛ مت ٢٦ : ٣٠ و٣٦؛ مر ١٤ : ٢٦ و٣٢؛ لو ٢٢ : ٣٩

(٢) لو ٢١ : ٣٧؛ ٢٢ : ٣٩؛ يو ٨ : ١

الفَصْلُ الثامنَ عَشَرَ

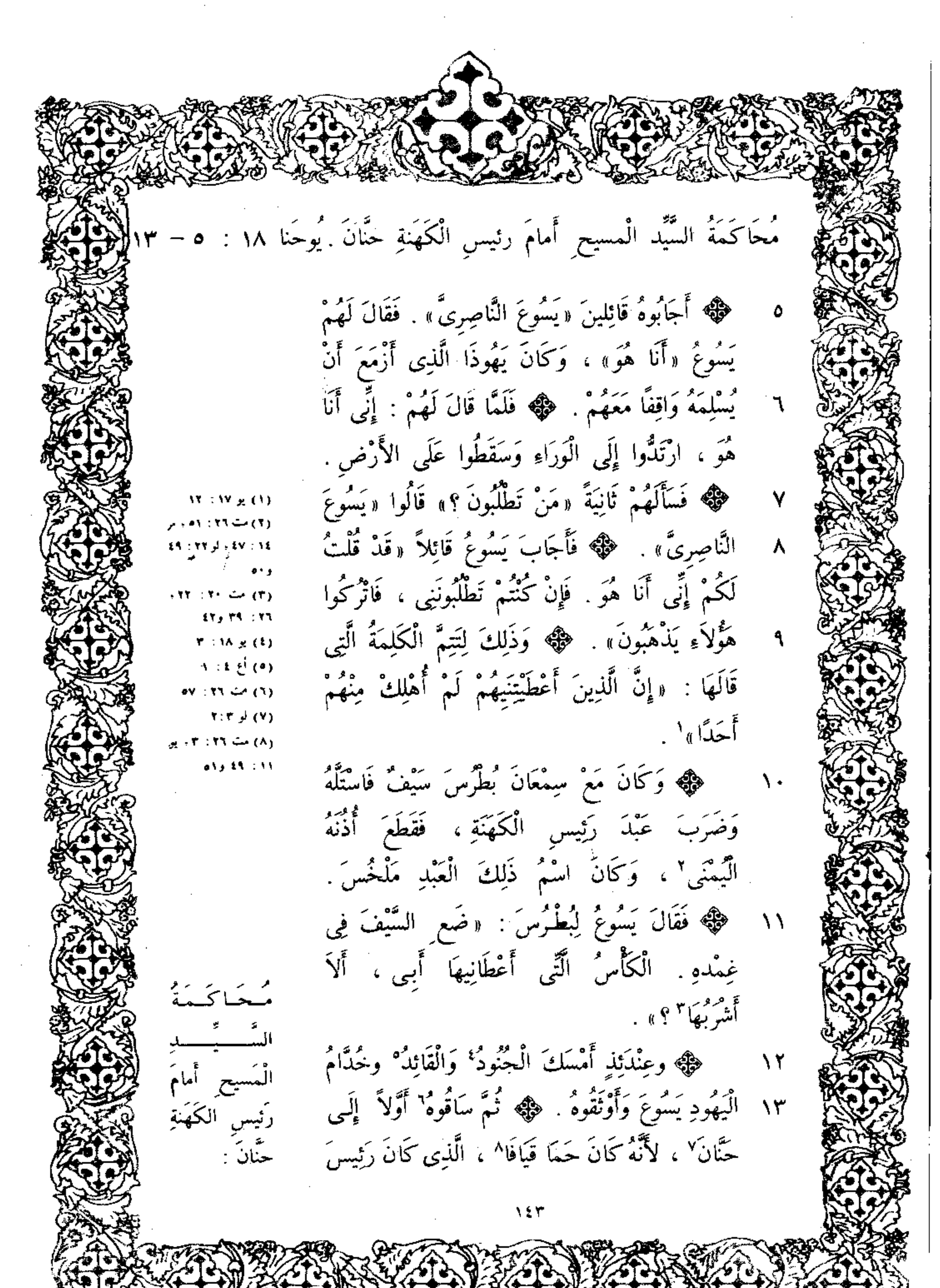
[٣٨] الْيَهُودَ يَقْبِضُونَ عَلَى السَّيِّدِ الْمَسِيحِ بِارْشَادِ يَهُوذَا الْخَائِنِ :

١ قَالَ يَسُوعُ هَذَا ، ثُمَّ خَرَجَ وَعَبَرَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ إِلَى وَادِي قِدْرُونَ ، حَيْثُ كَانَ ثَمَّةَ بُسْتَانٌ[١] ، فَدَخَلَهُ يَسُوعُ هُوَ وَتَلاَمِيذُهُ . ٢ وَكَانَ يَهُوذَا الْمُزْمِعُ أَنْ يُسَلِّمَهُ يَعْرِفُ ذَلِكَ الْمَكَانَ لأَنَّ يَسُوعَ كَانَ يَجْتَمِعُ فِيهِ كَثِيرًا مَعْ تَلاَمِيذِهِ[٢] . ٣ وَمِنْ ثَمَّ أَخَذَ يَهُوذَا عُصْبَةً مِنَ الْجُنْدِ[٣] وَالْخُدَّامِ مِنْ عِنْدِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ ، وَجَاءَ بِهِمْ إِلَى هُنَاكَ وَمَعَهُمْ الْمَشَاعِلُ وَالْمَصَابِيحُ وَالأَسْلِحَةُ[٤] . ٤ فَخَرَجَ يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا سَيَأْتِي عَلَيْهِ[٥] وَقَالَ لَهُمْ « مَنْ تَطْلُبُونَ ؟ » .

(٣) يو ٤ : ١؛ ٧ : ٣٣؛ أع ١٠ : ١

(٤) مت ٢٦ : ٤٧؛ ٢٥ : ١؛ مر ١٤ : ٤٣؛ لو ٢٢ : ٤٧؛ أع ١ : ١٦

(٥) يو ٦ : ٦٤؛ ١٣ : ١ و١١



٥ ❖ أَجَابُوهُ قَائِلِينَ «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ» . فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ «أَنَا هُوَ» ، وَكَانَ يَهُوذَا الَّذِي أَزْمَعَ أَنْ يُسْلِمَهُ وَاقِفًا مَعَهُمْ . ٦ ❖ فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ : إِنِّي أَنَا هُوَ ، ارْتَدُّوا إِلَى الْوَرَاءِ وَسَقَطُوا عَلَى الأَرْضِ . ٧ ❖ فَسَأَلَهُمْ ثَانِيَةً «مَنْ تَطْلُبُونَ ؟» قَالُوا «يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ» . ٨ ❖ فَأَجَابَ يَسُوعُ قَائِلاً «قَدْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي أَنَا هُوَ . فَإِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي ، فَاتْرُكُوا هؤُلاَءِ يَذْهَبُونَ» . ٩ ❖ وَذلِكَ لِيَتِمَّ الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَهَا : «إِنَّ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِيهِمْ لَمْ أُهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدًا»[١] .

١٠ ❖ وَكَانَ مَعَ سِمْعَانَ بُطْرُسَ سَيْفٌ فَاسْتَلَّهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ ، فَقَطَعَ أُذُنَهُ الْيُمْنَى[٢] ، وَكَانَ اسْمُ ذلِكَ الْعَبْدِ مَلْخُسَ . ١١ ❖ فَقَالَ يَسُوعُ لِبُطْرُسَ : «ضَعِ السَّيْفَ فِي غِمْدِهِ . الْكَأْسُ الَّتِي أَعْطَانِيهَا أَبِي ، أَلاَ أَشْرَبُهَا[٣] ؟» .

مُحَاكَمَةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَمَامَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ حَنَّانَ :

١٢ ❖ وَعِنْدَئِذٍ أَمْسَكَ الْجُنُودُ[٤] وَالْقَائِدُ[٥] وَخُدَّامُ الْيَهُودِ يَسُوعَ وَأَوْثَقُوهُ . ١٣ ❖ ثُمَّ سَاقُوهُ[٦] أَوَّلاً إِلَى حَنَّانَ[٧] ، لأَنَّهُ كَانَ حَمَا قَيَافَا[٨] ، الَّذِي كَانَ رَئِيسَ

(١) يو ١٧ : ١٢
(٢) مت ٢٦ : ٥١ ؛ مر ١٤ : ٤٧ ؛ لو ٢٢ : ٤٩ و٥٠
(٣) مت ٢٠ : ٢٢ ؛ ٢٦ : ٣٩ و٤٢
(٤) يو ١٨ : ٣
(٥) أع ٤ : ١
(٦) مت ٢٦ : ٥٧
(٧) لو ٣ : ٢
(٨) مت ٢٦ : ٣ ؛ يو ١١ : ٤٩ و٥١

الْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ[1] . ١٤ ❖ وَكَانَ قَيَافَا هَذَا هُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَى الْيَهُودِ قَائِلاً «إِنَّهُ خَيْرٌ أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ[2]» .

١٥ ❖ وَكَانَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ يَتْبَعُ يَسُوعَ[3] . وَكَذَلِكَ تِلْمِيذٌ آخَرُ ، وَكَانَ هَذَا التِّلْمِيذُ[4] مَعْرُوفًا لَدَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ ، فَدَخَلَ مَعَ يَسُوعَ إِلَى دَارِ[5] رَئِيسِ الْكَهَنَةِ . ١٦ ❖ وَأَمَّا بُطْرُسُ فَظَلَّ وَاقِفًا فِي الْخَارِجِ عِنْدَ الْبَابِ[6] ، فَخَرَجَ التِّلْمِيذُ الآخَرُ الَّذِي كَانَ مَعْرُوفًا لَدَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَكَلَّمَ حَارِسَةَ الْبَابِ وَأَدْخَلَ بُطْرُسَ . ١٧ ❖ فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ حَارِسَةُ الْبَابِ[7] لِبُطْرُسَ «أَلَسْتَ أَنْتَ أَيْضًا مِنْ تَلاَمِيذِ هَذَا الرَّجُلِ ؟» . فَقَالَ : «لاَ ، لَسْتُ مِنْهُمْ» ، ١٨ ❖ وَكَانَ الْعَبِيدُ وَالْخُدَّامُ[8] وَاقِفِينَ ، وَقَدْ أَشْعَلُوا جَمْرًا[9] ، لأَنَّهُ كَانَ بَرْدٌ ، وَأَخَذُوا يَسْتَدْفِئُونَ ، وَكَانَ بُطْرُسُ أَيْضًا وَاقِفًا مَعَهُمْ يَسْتَدْفِئُ[10] .

١٩ ❖ وَقَدْ سَأَلَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ[11] يَسُوعَ عَنْ تَلاَمِيذِهِ وَعَنْ تَعْلِيمِهِ ٢٠ ❖ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ قَائِلاً :

٣٩

(١) يو ١٨ : ٢٤
(٢) يو ١١ : ٥٠
(٣) مت ٢٦ : ٥٨ ؛ مر ١٤ : ٥٤ ؛ لو ٢٢ : ٥٤
(٤) يو ٢١ : ٧ و ٢٤
(٥) مت ٢٦ : ٣
(٦) مت ٢٦ : ٦٩ ، مر ١٤ : ٦٦ ، لو ٢٢ : ٥٤
(٧) أع ١٢ : ١٣
(٨) مر ١٤ : ٥٤ و ٦٧
(٩) يو ٢١ : ٩
(١٠) مت ٢٦ : ٥٨ ، مر ١٤ : ٥٤ ، لو ٢٢ : ٥٥
(١١) مت ٢٦ : ٥٩ – ٦٨ ؛ مر ١٤ : ٥٥ – ٦٥ ؛ لو ٢٢ : ٦٣ – ٧١

«إِنَّنِي كَلَّمْتُ الْعَالَمَ عَلانِيَةً[١] ، وَقَدْ عَلَّمْتُ كُلَّ حِينٍ فِي الْمَجَامِعِ[٢] وَفِي الْهَيْكَلِ[٣] حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْيَهُودُ كُلُّهُمْ ، وَلَمْ أَقُلْ أَيَّ كَلِمَةٍ فِي الْخَفَاءِ[٤] .
٢١ ❖ فَلِمَاذَا تَسْأَلُنِي أَنَا ؟ سَلِ الَّذِينَ سَمِعُوا مَا قُلْتُهُ
٢٢ لَهُمْ ، فَإِنَّ هَؤُلاءِ يَعْرِفُونَ مَا قُلْتُهُ» ❖ فَلَمَّا قَالَ يَسُوعُ هَذَا ، لَطَمَهُ[٥] أَحَدُ الْخُدَّامِ الْوَاقِفِينَ قَائِلاً لَهُ
٢٣ «أَهَكَذَا تُجِيبُ رَئِيسَ الْكَهَنَةِ ؟» ❖ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ قَائِلاً : «إِنْ كُنْتُ قَدْ غَلِطْتُ فِي كَلامِي فَقُلْ لِي فِيمَ غَلِطْتُ ، فَإِنْ كُنْتُ قَدْ تَكَلَّمْتُ بِالصَّوَابِ
٢٤ فَلِمَاذَا تَضْرِبُنِي[٦] ؟» . ❖ وَعِنْدَئِذٍ أَرْسَلَهُ حَنَّانُ مُوثَقًا إِلَى قَيَافَا رَئِيسِ الْكَهَنَةِ[٧] .

(١) مت ٢٦ : ٥٥ ، لو ٤ : ١٥ ، يو ٧ : ١٤ و٢٦ و٢٨ ، ٨ : ٢ و٣٦
(٢) مت ٤ : ٢٣ ، يو ٦ : ٥٩
(٣) مت ٢٦ : ٥٥
(٤) إش ٥٤ : ١٩ ، ٤٨ : ١٦
(٥) إر ٢٠ : ٢ ، أع ٢٣ : ٢ ، يو ١٩ : ٣
(٦) مت ٥ : ٣٩ ، أع ٢٣ : ٢ – ٥
(٧) مت ٢٦ : ٥٧ ، يو ١٨ : ١٣

بُطْرُسُ يُنْكِرُ مُعَلِّمَهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ :

٢٥ ❖ وَإِذْ كَانَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَاقِفًا يَسْتَدْفِئُ قَالُوا لَهُ «أَلَسْتَ أَنْتَ أَيْضًا مِنْ تَلامِيذِهِ[٨] ؟» فَأَنْكَرَ
٢٦ وَقَالَ «لَسْتُ مِنْهُمْ» . ❖ ثُمَّ قَالَ وَاحِدٌ مِنْ عَبِيدِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ كَانَتْ تَرْبِطُهُ صِلَةٌ بِذَلِكَ الَّذِي قَطَعَ بُطْرُسُ أُذُنَهُ : «أَمَا رَأَيْتُكَ أَنَا مَعَهُ فِي الْبُسْتَانِ ؟» .
٢٧ ❖ فَأَنْكَرَ بُطْرُسُ مَرَّةً أُخْرَى . وَعِنْدَئِذٍ صَاحَ الدِّيكُ[٩] .

(٨) مت ٢٦ : ٦٩ و٧١ ، مر ١٤ : ٦٩ ، لو ٢٢ : ٥٨
(٩) مت ٢٦ : ٧٤ ، مر ١٤ : ٧٢ ، لو ٢٢ : ٦٠ ، يو ١٣ : ٣٨

مُحَاكَمَةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَمَامَ بِيلاَطُسَ الْبُنْطِي :

٢٨ ❖ وَأَمَّا يَسُوعُ فَجَاءُوا بِهِ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ مِنْ عِنْدِ قَيَافَا إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ[1] ، وَلَمْ يَدْخُلُوا هُمْ دَارَ الْوِلاَيَةِ مَخَافَةَ أَنْ يَتَنَجَّسُوا[2] فَلاَ يَتَمَكَّنُوا مِنْ أَنْ يَأْكُلُوا الْفِصْحَ . ٢٩ ❖ وَمِنْ ثَمَّ خَرَجَ بِيلاَطُسُ إِلَيْهِمْ وَقَالَ لَهُمْ : «مَا هِيَ التُّهْمَةُ الَّتِي تُوَجِّهُونَهَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ ؟» . ٣٠ ❖ فَأَجَابُوا وَقَالُوا لَهُ : «لَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا فَاعِلَ شَرٍّ لَمَا أَسْلَمْنَاهُ إِلَيْكَ» ٣١ ❖ قَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ : «خُذُوهُ أَنْتُمْ وَاحْكُمُوا عَلَيْهِ طِبْقًا لِشَرِيعَتِكُمْ» . فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ «إِنَّنَا لاَ يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَقْتُلَ أَحَدًا» . ٣٢ ❖ وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ لِتَتِمَّ الْكَلِمَةُ الَّتِي قَالَهَا يَسُوعُ ، مُشِيرًا إِلَى الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي سَيَمُوتُ بِهَا[3] .

٣٣ ❖ وَمِنْ ثَمَّ عَادَ بِيلاَطُسُ فَدَخَلَ دَارَ الْوِلاَيَةِ ، وَدَعَا إِلَيْهِ يَسُوعَ وَقَالَ لَهُ «أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ[4] ؟ . ٣٤ ❖ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ قَائِلاً : «أَمِنْ نَفْسِكَ تَقُولُ هَذَا ، أَمْ قَالَ لَكَ آخَرُونَ ذَلِكَ عَنِّي ؟» . ٣٥ ❖ فَقَالَ بِيلاَطُسُ «أَلَعَلِّي أَنَا يَهُودِيٌّ ؟ إِنَّ أُمَّتَكَ وَرُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ هُمُ الَّذِينَ أَسْلَمُوكَ إِلَيَّ . فَمَاذَا فَعَلْتَ ؟» . ٣٦ ❖ أَجَابَ يَسُوعُ[5] قَائِلاً . «إِنَّ

(١) مت ٢٧ : ٢ و٢٧ ، مر ١٥ : ١ ، لو ٢٣ : ١ ، أع ٣ : ١٣ ، يو ١٩ : ٩
(٢) أع ١٠ : ٢٨ ، ١١ : ٣ ، لو ١١ : ٥٥
(٣) مت ٢٠ : ١٩ ، يو ١٢ : ٣٢ و٣٣ ، يو ٣ : ١٤ ، ٨ : ٢٨ ، مت ٢٦ : ٢ ، مر ١٠ : ٣٣ ، لو ١٨ : ٣٢
(٤) مت ٢٧ : ١١ ، لو ٢٣ : ٣٠ ، يو ١٩ : ١٢
(٥) ١ : تي ٦ : ١٣ ، لو ٢٣ : ٣٠

مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ[١] . وَلَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ لَكَانَ خُدَّامِي يُقَاتِلُونِ عَنِّي كَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَالآنَ فَإِنَّ مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ » . ٣٧ فَقَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ « أَفَأَنْتَ إِذَنْ مَلِكٌ ؟ » . أَجَابَ يَسُوعُ قَائِلاً « نَعَمْ أَنَا مَلِكٌ كَقَوْلِكَ[٢] . لأَجْلِ هَذَا وُلِدْتُ أَنَا ، وَلأَجْلِ هَذَا جِئْتُ إِلَى الْعَالَمِ كَيْ أَشْهَدَ لِلْحَقِّ[٣] . فَكُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي[٤] » . ٣٨ فَقَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ « وَمَا هُوَ الْحَقُّ ؟! » . قَالَ هَذَا ثُمَّ خَرَجَ ثَانِيَةً إِلَى الْيَهُودِ[٥] وَقَالَ لَهُمْ : « إِنَّنِي لاَ أَجِدُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مَا يَسْتَوْجِبُ الْحُكْمَ عَلَيْهِ[٦] ٣٩ وَلَمَّا كَانَتْ قَدْ جَرَتِ الْعَادَةُ عِنْدَكُمْ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ فِي الْفِصْحِ سَرَاحَ وَاحِدٍ[٧] فَهَلْ تُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ سَرَاحَ مَلِكِ الْيَهُودِ ؟ » . ٤٠ فَعَادُوا جَمِيعًا يَصْرُخُونَ[٨] قَائِلِينَ « لاَ تُطْلِقْ سَرَاحَ هَذَا ، بَلْ بَارَابَاسَ » ، وَكَانَ بَارَابَاسُ هَذَا لِصًّا[٩].

(١) دا ٢ : ٤٤ ، ٧ : ١٤ ، لو ١٢ : ١٤ ، يو ٦ : ١٥ ، ٨ : ١٥ ، مت ٢٦ : ٥٣ ، لو ١٧ : ٢١

(٢) مت ٢٧ : ١١ ، مر ١٥ : ٢ ، لو ٢٢ : ٧٠ ، ٢٣ : ٣

(٣) يو ١٧ : ١٧ و١٩ ، ٣ : ٣٢ ، ٨ : ١٤ ، ١ : ١٤

(٤) يو ٨ : ٤٧ ، ١ . يو ٣ : ١٩ ، ٤ : ٦

(٥) يو ١٩ : ٤

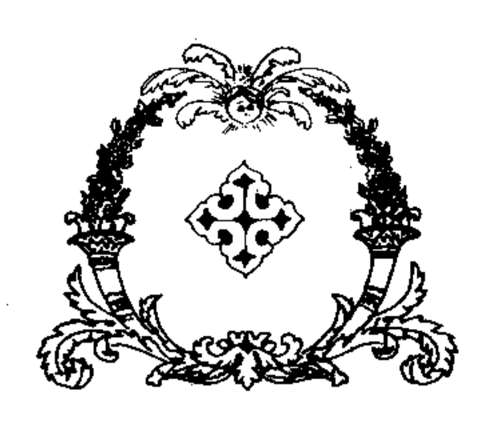
(٦) مت ٢٧ : ٢٤ ، لو ٢٣ : ٤ ، يو ١٩ : ٤ و٦

(٧) مت ٢٧ : ١٥ ، مر ١٥ : ٦ ، لو ٢٣ : ١٧

(٨) أع ٣ : ١٤

(٩) لو ٢٣ : ١٩





الفَصْلُ التَّاسِعَ عَشَر

[٤٠] بِيلاطُسُ يَجْلِدُ السَّيِّدَ الْمَسيحَ ثُمَّ يُحَاوِلُ إِطْلاقَ سَرَاحِهِ :

١ وَحِينَئِذٍ أَخَذَ بِيلاَطُس يَسُوعَ وَجَلَدَهُ[١] . ٢ وَضَفَرَ الْجُنْدُ إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ ، وَأَلْبَسُوهُ ثَوْبًا مِنَ أُرْجُوانٍ ، ٣ وَأَخَذُوا يَتَقَدَّمُونَ مِنْهُ وَيَقُولُونَ لَهُ « السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ » وَيَلْطِمُونَهُ[٢] . ٤ ثُمَّ خَرَجَ بِيلاَطُسُ ثَانِيَةً وَقَالَ لَهُمْ « هأَنَذَا سأُخْرِجُهُ إِلَيْكُمْ لِتَعْلَمُوا أَنِّي لاَ أَجِدُ فِيهِ جَرِيمَةً[٣] » . ٥ ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ لاَبِسًا إِكْلِيلَ الشَّوْكِ وَثَوْبَ الأُرْجُوانِ ، فَقَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ « هَاهُوَذَا الرَّجُلُ » . ٦ فَلَمَّا رَآهُ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْخُدَّامُ صَاحُوا قَائِلِينَ « اصْلِبْهُ . اصْلِبْهُ[٤] » . قَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ : « خُذُوهُ أَنْتُمْ وَاصْلِبُوهُ ، فَإِنَّنِي

(١) مت ٢٠ : ١٩ ؛ ٢٧ : ٢٦ ، ٣٠ ؛ مر ١٥ : ١٥ ، ١٩ ؛ لو ١٨ : ٣٣
(٢) يو ١٨ : ٢٢
(٣) يو ١٨ : ٣٨ ؛ ١٩ : ٦ ؛ لو ٢٣ : ٤
(٤) أع ٣ : ١٣ ؛ يو ١٨ : ٣٠ ؛ مت ٢٦ : ٥٨



٧ لاَ أَجِدُ فِيهِ خَطِيئَةً يُدَانُ عَلَيْهَا »[١]. ❖ فَأَجَابَهُ الْيَهُودُ قَائِلِينَ « إِنَّ لَنَا شَرِيعَةً ، وَإِنَّهُ عَلَى مُقْتَضَى شَرِيعَتِنَا . يَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ[٢] لأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنَ اللهِ[٣] » . ❖ فَلَمَّا سَمِعَ بِيلاَطُسُ هَذَا الْكَلاَمَ

٨ ازْدَادَ خَوْفًا ، ❖ وَدَخَلَ مَرَّةً أُخْرَى[٤] إِلَى دَارِ

٩ الْوِلاَيَةِ ، وَقَالَ لِيَسُوعَ « مِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ » ، وَلَكِنَّ

١٠ يَسُوعَ لَمْ يُجِبْهُ[٥] . ❖ فَقَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ « لِمَاذَا لاَ تُكَلِّمُنِي ؟ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ لِي سُلْطَانًا أَنْ أَصْلِبَكَ

١١ وَسُلْطَانًا أَنْ أُطْلِقَ سَرَاحَكَ ؟ » . ❖ أَجَابَ يَسُوعُ قَائِلاً « لَيْسَ لَكَ عَلَيَّ سُلْطَانٌ الْبَتَّةَ ، مَا لَمْ تَكُنْ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ فَوْقُ[٦] . وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الَّذِي أَسْلَمَنِي[٧]

١٢ إِلَيْكَ خَطِيئَتُهُ أَعْظَمُ » . ❖ وَبِسَبَبِ هَذَا كَانَ بِيلاَطُسُ يَبْتَغِي أَنْ يُطْلِقَ سَرَاحَهُ ، وَلَكِنَّ الْيَهُودَ أَخَذُوا يَصِيحُونَ قَائِلِينَ « إِنْ أَنْتَ أَطْلَقْتَ سَرَاحَهُ فَلَسْتَ مُحِبًّا لِقَيْصَرَ[٨] ، لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَلِكًا إِنَّمَا يُقَاوِمُ قَيْصَرَ[٩] » .

١٣ ❖ فَلَمَّا سَمِعَ بِيلاَطُسُ هَذَا الْكَلاَمَ ، أَخْرَجَ يَسُوعَ ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ الْقَضَاءِ[١٠] فِي مَكَانٍ

(١) يو ١٨ : ٣ٸ ، لو ٢٣ : ٤
(٢) لا ٢٤ : ١٦ ، مت ٢٦ : ٦٣ – ٦٦
(٣) مت ٢٦ : ٦٥ ، يو ٥ : ١٨ ، ١٠ : ٣٣
(٤) يو ١٨ : ٣٣
(٥) إش ٥٣ : ٧ ، مت ٧ : ٦ ، ٢٧ : ١٢ و١٤ ، يو ١٨ : ٣٤ ٣٧
(٦) لو ٢٢ : ٥٣ ، يو ٧ : ٣٠ ، رو ١٣ : ١
(٧) يو ١٨ : ١٣ و٢٨ إلخ ، أع ٣ : ١٣
(٨) لو ٢٣ : ٢ ، يو ١٨ : ٣٣
(٩) أع ١٧ : ٧
(١٠) مت ٢٧ : ١٩

٤١

يُسَمَّى الْبَلاَطَ ، وَبِالْعِبْرَانِيَّةِ جَبَّاثَا[1] . ❖ ١٤ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ يَوْمَ الاسْتِعْدَادِ لِلْفِصْحِ[2] ، وَكَانَتِ السَّاعَةُ نَحْوَ السَّادِسَةِ[3] ، فَقَالَ بِيلاَطُسُ لِلْيَهُودِ « هَا هُوَذَا مَلِكُكُمْ » . ❖ ١٥ أَمَّا هُمْ فَصَاحُوا قَائِلِينَ « ارْفَعْهُ . ارْفَعْهُ . اصْلِبْهُ »[4] . قَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ « أَأَصْلِبُ مَلِكَكُمْ ؟ » . فَأَجَابَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ قَائِلِينَ « لَيْسَ لَنَا مَلِكٌ إِلاَّ قَيْصَرُ ! »[5] . ❖ ١٦ وَعِنْدَئِذٍ سَلَّمَهُ إِلَيْهِمْ لِيَصْلِبُوهُ[6] ، فَأَخَذُوا يَسُوعَ وَمَضَوْا بِهِ .

الْيَهُودُ يَصْلِبُونَ السَّيِّدَ الْمَسِيحَ :

❖ ١٧ وَخَرَجُوا بِهِ[7] وَهُوَ حَامِلٌ صَلِيبَهُ[8] إِلَى الْمَوْضِعِ الْمُسَمَّى الْجُمْجُمَةَ[9] ، وَبِالْعِبْرَانِيَّةِ جُلْجُثَةَ[10] . ❖ ١٨ وَهُنَاكَ صَلَبُوهُ ، وَصَلَبُوا مَعَهُ لِصَّيْنِ[11] ، كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَى جَانِبٍ مِنْهُ ، وَيَسُوعُ فِي الْوَسْطِ .

❖ ١٩ وَوَضَعَ بِيلاَطُسُ لاَفِتَةً عَلَى الصَّلِيبِ[12] ، كَتَبَ فِيهَا « يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ » . ❖ ٢٠ فَقَرَأَ هَذِهِ اللاَّفِتَةَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ ، لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي صَلَبُوا فِيهِ يَسُوعَ كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَلأَنَّهَا كَانَتْ مَكْتُوبَةً بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَاللاَّتِينِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ . ❖ ٢١ فَقَالَ رُؤَسَاءُ كَهَنَةِ الْيَهُودِ لِبِيلاَطُسَ

(١) يو ٥ : ٢
(٢) مت ٢٧ : ٦٢
(٣) مر ١٥ : ٢٥ ، مت ٢٧ : ٤٥
(٤) لو ٢٣ : ١٨
(٥) تك ٤٩ : ١٠ ، ١ . صم ١٢ : ١٢
(٦) مت ٢٧ : ٢٦ و٣١ ، مر ١٥ : ١٥ ، لو ٢٣ : ٢٥
(٧) عد ١٥ : ٣٦ ، عب ١٣ : ١٢
(٨) مت ٢٧ : ٣١ و٣٢ ، مر ١٥ : ٢١ و٢٢ ، لو ٢٣ : ٢٦ و٣٣ ، ١٤ : ٢٧
(٩) لو ٢٣ : ٣٣
(١٠) وبالآرامية : جلجلتا .
(١١) لو ٢٣ : ٣٢
(١٢) مت ٢٧ : ٣٧ ، مر ١٥ : ٣٦ ، لو ٢٣ : ٣٨

«لاَ تَكْتُبْ أَنَّهُ مَلِكُ الْيَهُودِ، بَلْ إِنَّهُ هُوَ قَالَ أَنَا

٢٢ مَلِكُ الْيَهُودِ» ❖ فَأَجَابَ بِيلاَطُسُ قَائِلاً «مَا كَتَبْتُ قَدْ كَتَبْتُ»[1].

٢٣ ❖ وَلَمَّا صَلَبَ الْجُنْدُ يَسُوعَ، أَخَذُوا ثِيَابَهُ[2] وَجَعَلُوهَا أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ[3]، لِكُلِّ جُنْدِيٍّ مِنْهَا نَصِيبٌ، وَأَخَذُوا الْقَمِيصَ[4] أَيْضًا، وَإِذْ كَانَ بِغَيْرِ خِيَاطَةٍ مَنْسُوجًا كُلُّهُ مِنْ أَعْلاَهُ إِلَى نِهَايَتِهِ،

٢٤ ❖ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ «لاَ نَشُقُّهُ، بَلْ فَلْنَقْتَرِعْ عَلَيْهِ لِمَنْ مِنَّا يَكُونُ، كَيْ يَتِمَّ قَوْلُ الْكِتَابِ «اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى قَمِيصِي اقْتَرَعُوا». وَهَذَا مَا فَعَلَه الْجُنْدُ.

(١) تك ٤٣ : ١٤؛ إس ٤ : ١٦
(٢) مت ٢٧ : ٣٥؛ مر ١٥ : ٢٤؛ لو ٢٣ : ٣٤؛ خر ٢٨ : ٣٢
(٣) أع ١٢ : ٤
(٤) مز ٢١ : ١٨

٢٥ ❖ وَكَانَتْ وَاقِفَاتٍ[5] عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ أُمُّهُ[6]، وَأُخْتُ أُمِّهِ مَرْيَمُ زَوْجَةُ كِلُوبَا[7]، وَمَرْيَمُ

٢٦ الْمَجْدَلِيَّةُ[8]، ❖ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أُمَّهُ، وَالتِّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ[9] وَاقِفًا، قَالَ لأُمِّهِ «يَاسَيِّدَةُ[10]

٢٧ هُوذَا ابْنُكِ» ❖ ثُمَّ قَالَ لِلتِّلْمِيذِ «هِيَ ذِي أُمُّكَ». وَمُنْذُ تِلْكَ السَّاعَةِ أَخَذَهَا التِّلْمِيذُ إِلَى بَيْتِهِ[11].

(٥) مت ٢٧ : ٥٥؛ مر ١٥ : ٤٠؛ لو ٢٣ : ٤٩
(٦) مت ١٢ : ٤٦
(٧) لو ٢٤ : ١٨
(٨) يو ٢٠ : ١ و ١٨؛ لو ٨ : ٢
(٩) يو ١٣ : ٢٣؛ ٢٠ : ٢٠؛ ٢١ : ٧ و ٢٠ و ٢٤
(١٠) يو ٢ : ٤
(١١) يو ١ : ١١؛ ١٦ : ٣٢؛ لو ١٨ : ٢٨؛ أع ٢١ : ٦



[٤٢]

(١) مز ٦٨ : ٢١
(٢) خر ١٢ : ٢٢، لا ١٤ : ٤، مز ٥٠ : ٧
(٣) مت ٢٧ : ٤٨ و٥٠، مر ١٥ : ٣٦، لو ٢٣ : ٣٦

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يُسْلِمُ الرُّوحَ عَلَى الصَّلِيبِ :

٢٨ ❖ وَبَعْدَ ذَلِكَ رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدِ اكْتَمَلَ فَلِكَيْ يَتِمَّ قَوْلُ الْكِتَابِ قَالَ «أَنَا عَطْشَانُ»[١] . ٢٩ ❖ وَكَانَ ثَمَّةَ إِنَاءٌ مَوْضُوعٌ مُمْتَلِئٌ خَلاًّ ، فَمَلأُوا إِسْفَنْجَةً بِالْخَلِّ وَرَفَعُوهَا عَلَى قَصَبَةٍ مِنَ الزُّوفَاءِ[٢] وأَدنَوْهَا مِنْ فَمِهِ[٣] . ٣٠ ❖ فَلَمَّا ذَاقَ يَسُوعُ الْخَلَّ قَالَ «قَدْ تَمَّ كُلُّ شَيْءٍ»[٤] ، ثُمَّ أَمَالَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ[٥] .

(٤) يو ١٧ : ٤
(٥) يو ١٠ : ١٨، مت ٢٧ : ٥٠، مر ١٥ : ٣٧، لو ٢٣ : ٤٦
(٦) مر ١٥ : ٤٢، ١٩ : ٤٢
(٧) تث ٢١ : ٢٣، يس ٨ : ٢٩، ١٠ : ٢٦
(٨) خر ١٢ : ١٦
(٩) يو ٢٠ : ٢٧، ١ يو ٥ : ٦ و٨
(١٠) يو ١٥ : ٢٧، ٢١ : ٢٤

٣١ ❖ وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ هُوَ يَوْمَ الاسْتِعْدَادِ[٦] ، وَلِئَلاَّ تَبْقَى الأَجْسَادُ عَلَى الصَّلِيبِ يَوْمَ السَّبْتِ[٧] ، لأَنَّ يَوْمَ السَّبْتِ هَذَا كَانَ عَظِيمًا[٨] ، طَلَبَ الْيَهُودُ إِلَى بِيلاَطُسَ أَنْ يَكْسِرُوا سِقَانَهُمْ وَيَرْفَعُوهُمْ . ٣٢ ❖ فَجَاءَ الْجُنْدُ وكَسَرُوا سَاقَيْ أَوَّلِ اللَّذَيْنِ كَانَا مَصْلُوبَيْنِ مَعَهُ ، ثُمَّ كَسَرُوا سَاقَيِ الآخَرِ ٣٣ ❖ وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ وَجَدُوه قَدْ مَاتَ ، فَلَمْ يَكْسِرُوا سَاقَيْهِ .

جُنْدِيٌّ يَطْعَنُ جَنْبَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ بِحَرْبَةٍ :

٣٤ ❖ إِلاَّ أَنَّ وَاحِدًا مِنَ الْجُنْدِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ ، فَخَرَجَ مِنْهُ عَلَى الْفَوْرِ دَمٌ وَمَاءٌ[٩] . ٣٥ ❖ وَالَّذِي أَبْصَرَ ذَلِكَ قَدْ شَهِدَ[١٠] ، وَشَهَادَتُه حَقٌّ ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ قَالَ الْحَقَّ ، لِتُؤْمِنُوا

٣٦ أَنْتُمْ . ❖ وَقَدْ كَانَ هَذَا لِيَتِمَّ مَا جَاءَ فِي أَحَدِ أَسْفَارِ الْكِتَابِ «إِنَّ عَظْمًا مِنْهُ لَنْ يُكْسَرَ[١]» .

٣٧ ❖ كَمَا جَاءَ فِي سِفْرٍ آخَرَ «سَيَنْظُرُونَ إِلَى الَّذِي طَعَنُوهُ»[٢] .

دَفْنُ جَسدِ السَّيِّدِ المَسِيحِ :

٣٨ ❖ وَبَعْدَ هَذَا جَاءَ يُوسُفُ الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ[٣] ، وَكَانَ تِلْمِيذًا لِيَسُوعَ وَإِنْ يَكُنْ خُفْيَةً لِخَوْفِهِ مِنَ الْيَهُودِ[٤] ، وَطَلَبَ إِلَى بِيلاَطُسَ أَنْ يَأْخُذَ جَسَدَ يَسُوعَ ، فَأَمَرَ لَهُ بِيلاَطُسُ بِذَلِكَ ، فَجَاءَ وَأَخَذَ جَسَدَ يَسُوعَ .

٣٩ ❖ وَجَاءَ أَيْضًا نِيقُودِيمُوسُ[٥] الَّذِي كَانَ قَدْ أَتَى مِنْ قَبْلُ إِلَى يَسُوعَ لَيْلاً ، وَكَانَ يَحْمِلُ حَنُوطًا مِنَ الْمُرِّ[٦] وَالصَّبْرِ[٧] ، يَزِنُ نَحْوَ مِائَةِ رَطْلٍ[٨] .

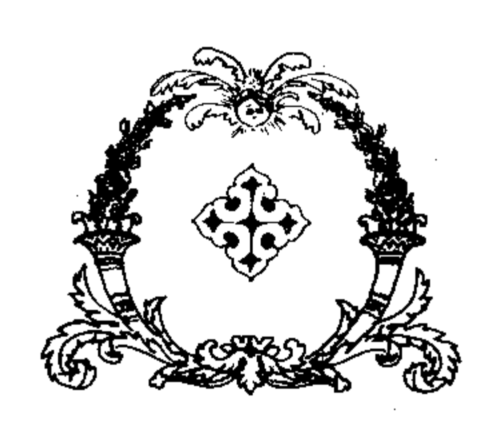
٤٠ ❖ وَأَخَذَا جَسَدَ يَسُوعَ وَكَفَّنَاهُ بِلَفَائِفَ[٩] مِنَ الْكَتَّانِ مَعَ الأَطْيَابِ[١٠] عَلَى عَادَةِ الْيَهُودِ فِي التَّكْفِينِ .

٤١ ❖ وَكَانَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي صَلَبُوهُ فِيهِ بُسْتَانٌ ، وَفِي الْبُسْتَانِ قَبْرٌ جَدِيدٌ لَمْ[١١] يُوضَعْ فِيهِ مِنْ قَبْلُ أَحَدٌ قَطُّ[١٢]

٤٢ ❖ فَوَضَعُوا يَسُوعَ فِيهِ[١٣] ، بِسَبَبِ الاِسْتِعْدَادِ[١٤] عِنْدَ الْيَهُودِ ، لأَنَّ الْقَبْرَ كَانَ قَرِيبًا .

(١) خر ١٢ : ٤٦ ، عد ٩ : ١٢ ، مز ٣٤ : ٢٠ ، زك ١٢ : ١٠ ، ١ . كو ٥ : ٧
(٢) مز ٢١ : ١٦ و١٧ ، زك ١٢ : ١٠ ، رو ١٠ : ٧
(٣) مت ٢٧ : ٥٧ ، مر ١٥ : ٤٣ ، لو ٢٣ : ٥٠
(٤) يو ٩ : ٢٢ ، ١٢ : ٤٢ ، ٧ : ١٣
(٥) يو ٣ : ١ و٢ ، ٧ : ٥٠
(٦) خر ٣٠ : ٢٣ ، إش ٢ : ١٢ ، أم ٧ : ١٧ ، نش ٣ : ٦ ، ٤ : ١٤ ، مر ١٦ : ١
(٧) مز ٤٤ : ٨ ، أم ٧ : ١٧ ، مت ٢ : ١١
(٨) يو ١٢ : ٣
(٩) يو ١١ : ٤٤ ، مت ٢٦ : ١٢ ، مر ١٤ : ٨ ، أع ٥ : ٦
(١٠) يو ٢٠ : ٥ و٧ ، لو ٢٤ : ١٢
(١١) مت ٢٧ : ٦٠
(١٢) لو ٢٣ : ٥٣
(١٣) إش ٥٣ : ٩
(١٤) يو ١٩ : ٣١





الفَصْلُ العِشرون

٤٣ قِيامَةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وظُهوره لِتَلامِيذِهِ :

١ وَفِى يَوْمِ الأَحَدِ أَوَّلِ الأُسْبُوعِ[1] جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ[2] إِلَى الْقَبْرِ[3] ، وَكَانَ الظَّلاَمُ لاَ يَزَالُ مُخَيِّمًا ، فَرَأَتْ أَنَّ الْحَجَرَ قَدْ رُفِعَ عَنْ بَابِ الْقَبْرِ ، ٢ فَرَكَضَتْ وَجَاءَتْ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ ، وَإِلَى التِّلْمِيذِ الآخَرِ الَّذِى كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ[4] ، وَقَالَتْ لَهُمَا : «قَدْ أَخَذُوا سَيِّدَنَا مِنَ الْقَبْرِ وَلاَ أَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ» . ٣ فَخَرَجَ بُطْرُسُ[5] وَالتِّلْمِيذُ الآخَرُ ، وَمَضَيَا إِلَى الْقَبْرِ . ٤ وَكَانَا يَرْكُضَانِ مَعًا ، وَلَكِنَّ التِّلْمِيذَ الآخَرَ سَبَقَ بُطْرُسَ فَوَصَلَ قَبْلَهُ إِلَى الْقَبْرِ ، ٥ وَتَطَلَّعَ إِلَى الدَّاخِلِ فَرَأَى الأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً[6] وَلَكِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ . ٦ ثُمَّ جَاءَ سِمْعَانُ

(١) مت ٢٨ : ١ ؛ مر ١٦ : ٩ ؛ لو ٢٤ : ١
(٢) يو ١٩ : ٢٥
(٣) مت ٢٧ : ٦٠ و٦٦ ؛ ٢٨ : ٢ ؛ مر ١٥ : ٤٦ ؛ ١٦ : ٣ ؛ لو ٢٤ : ٢ ؛ يو ١١ : ٣٨
(٤) يو ١٣ : ٢٣ ؛ ١٩ : ٢٦ ؛ ٢١ : ٧ و٢٠ و٢٤
(٥) لو ١٤ : ١٢
(٦) يو ١٩ : ٤٠

بُطْرُسُ يَتْبَعُهُ وَدَخَلَ الْقَبْرَ، فَرَأَى الأَكْفَانَ
٧ مَوْضُوعَةً، ❖ وَأَمَّا الْمِنْدِيلُ الَّذِى كَانَ عَلَى
رَأْسِ يَسُوعَ[١] فَلَمْ يَكُنْ مَوْضُوعًا مَعَ الأَكْفَانِ،
٨ وَإِنَّمَا كَانَ مَطْوِيًّا فِي مَكَانٍ عَلَى حِدَةٍ. ❖ ثُمَّ
دَخَلَ أَيْضًا التِّلْمِيذُ الآخَرُ الَّذِى جَاءَ أَوَّلاً إِلَى الْقَبْرِ
٩ وَرَأَى فَآمَنَ، ❖ لأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بَعْدُ يُدْرِكُونَ
مَعْنَى قَوْلِ الْكِتَابِ[٢] إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ مِنْ بَيْنِ
١٠ الأَمْوَاتِ[٣]. ❖ وَبَعْدَ ذَلِكَ مَضَى التِّلْمِيذَانِ
عَائِدَيْنِ إِلَى حَيْثُ كَانَا[٤].

١١ ❖ وَأَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ وَاقِفَةً فِي الْخَارِجِ عِنْدَ
الْقَبْرِ تَبْكِي[٥]. وَفِيمَا هِيَ تَبْكِي تَطَلَّعَتْ إِلَى دَاخِلِ
١٢ الْقَبْرِ. ❖ فَرَأَتْ مَلاَكَيْنِ[٦] فِي ثِيَابٍ بَيْضَاءَ
جَالِسَيْنِ حَيْثُ كَانَ جَسَدُ يَسُوعَ مَوْضُوعًا،
أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِهِ، وَالآخَرُ عِنْدَ قَدَمَيْهِ،
١٣ ❖ فَقَالاَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ لِمَاذَا تَبْكِينَ؟».
قَالَتْ لَهُمَا «إِنَّهُمْ أَخَذُوا سَيِّدِي وَلاَ أَعْلَمُ أَيْنَ
١٤ وَضَعُوهُ» ❖ وَإِذْ قَالَتْ هَذَا الْتَفَتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ
فَرَأَتْ يَسُوعَ وَاقِفًا[٧] وَلَمْ تَعْرِفْ أَنَّهُ يَسُوعُ[٨].
١٥ ❖ فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ «يَا امْرَأَةُ لِمَاذَا تَبْكِينَ؟

(١) يو ١١ : ٤٤
(٢) مت ٢٢ : ٢٩، يو ٢ : ٢٢
(٣) مز ١٥ : ١٠، أع ٢ : ٢٥ – ٣١، ١٣ : ٣٤ و٣٥، لو ٢٤ : ٢٦ و٤٦
(٤) لو ٢٤ : ١٢
(٥) مر ١٦ : ٥
(٦) لو ٢٤ : ٤، مت ٢٨ : ٢
(٧) مت ٢٨ : ٩، مر ١٦ : ١٩، لو ٢٤ : ١٦ و٣١، يو ٢١ : ٤
(٨) يو ٢١ : ٤

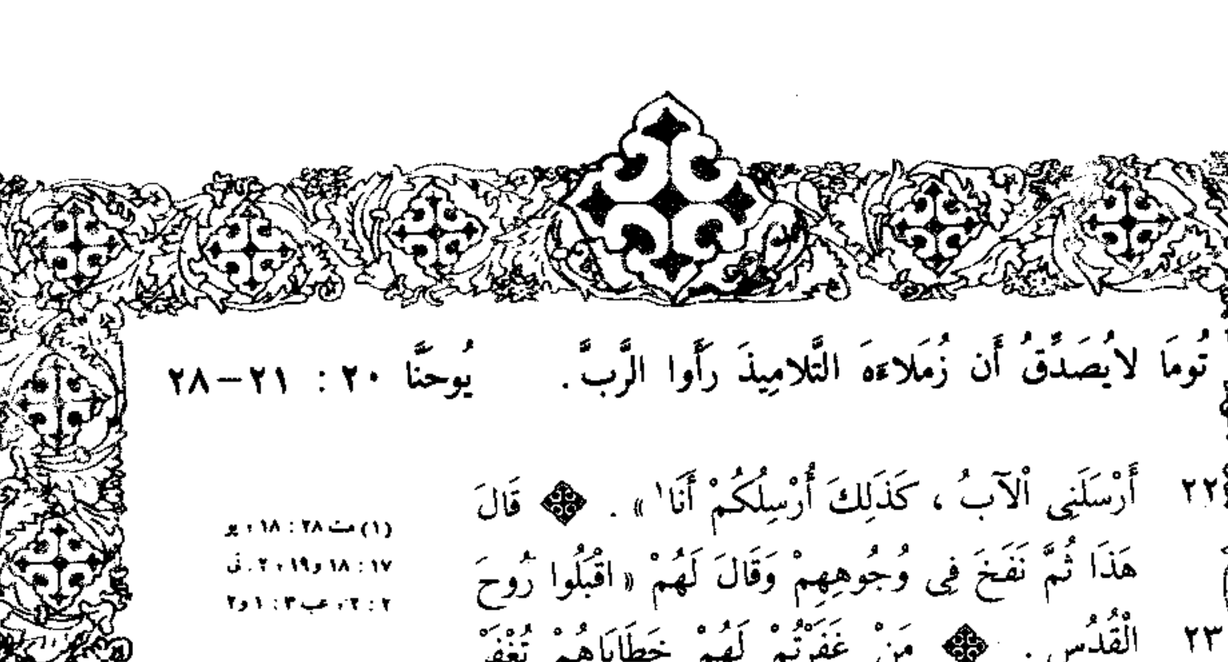
عَمَّنْ تَبْحَثِينَ ؟» . فَظَنَّتْ هِيَ أَنَّهُ الْبُسْتَانِيُّ ، فَقَالَتْ لَهُ «يَا سَيِّدِي إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي حَمَلْتَهُ ، فَقُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ وَأَنَا آخُذُهُ» . ١٦ ❖ قَالَ لَهَا يَسُوعُ «يَا مَرْيَمُ» ، فَالْتَفَتَتْ وَقَالَتْ لَهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ «رَبُّونِي»[1] أَيْ[2] «يَا مُعَلِّمُ» . ١٧ ❖ فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ «لاَ تُمْسِكِي بِي هكَذَا ، فَإِنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدُ إِلَى أَبِي ، وَلكِنِ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي[3] وَقُولِي لَهُمْ إِنِّي سَأَصْعَدُ إِلَى أَبِي[4] الَّذِي هُوَ أَبُوكُمْ ، وَإِلهِي الَّذِي هُوَ إِلهُكُمْ[5]» . ١٨ ❖ فَجَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَأَخْبَرَتِ التَّلاَمِيذَ قَائِلَةً «إِنِّي رَأَيْتُ الرَّبَّ» وَأَنَّهُ قَالَ لَهَا ذَاكَ الْقَوْلَ[6] .

(١) مر ١٠ : ٥١ ، مت ٢٣ : ٧
(٢) يو ٥ : ٢
(٣) مز ٢١ : ٢٢ ، مت ٢٨ : ١٠ ، رو ٨ : ٢٩ ، عب ٢ : ١١
(٤) يو ١٦ : ٢٨ ، ٧ : ٣٣ ، ١٢ : ٢٦ ، مر ١٦ : ١٩
(٥) أف ١ : ١٧
(٦) مت ٢٨ : ١٠ ، لو ٢٤ : ١٠ و٢٣ ، مر ١٦ : ١٠

السَّيِّدُ الْمَسيحُ يَظْهَرُ لِتلاَمِيذِهِ مُجْتَمِعينَ :

١٩ ❖ وَفِي مَسَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمِ[7] ، وَهُوَ الأَحَدُ أَوَّلُ أَيَّامِ الأُسْبُوعِ ، وَكَانَتِ الأَبْوابُ مُغَلَّقَةً حَيْثُ كَانَ التَّلاَمِيذُ مُجْتَمِعِينَ خَوْفًا مِنَ الْيَهُودِ[8] ، جَاءَ يَسُوعُ وَوَقَفَ فِي وَسْطِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ «السَّلاَمُ لَكُمْ[9]» . ٢٠ ❖ وَلَمَّا قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَجَنْبَهُ[10] . فَفَرِحَ التَّلاَمِيذُ إِذْ رَأَوُا الرَّبَّ[11] . ٢١ ❖ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ ثَانِيَةً «السَّلاَمُ لَكُمْ ، كَمَا

(٧) مر ١٦ : ١٤ ، لو ٢٤ : ٣٦ ، ١ كو ١٥ : ٥
(٨) يو ٧ : ١٣
(٩) لو ٢٤ : ٣٦ ، يو ١٤ : ٢٧
(١٠) لو ٢٤ : ٣٩ و٤٠ ، يو ١٩ : ٣٤
(١١) يو ١٦ : ٢٠ و٢٢



٢٢ أَرْسَلَنِي ٱلآبُ ، كَذَلِكَ أُرْسِلُكُمْ أَنَا[١] » . ❖ قَالَ هَذَا ثُمَّ نَفَخَ فِي وُجُوهِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ « اقْبَلُوا رُوحَ الْقُدُسِ . ❖ ٢٣ مَنْ غَفَرْتُمْ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ تُغْفَرْ لَهُمْ ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمُوهَا عَلَيْهِمْ تُمْسَكْ عَلَيْهِمْ[٢] » .

(١) مت ٢٨ : ١٨ ؛ يو ١٧ : ١٨ و١٩ ؛ ٢ . تى ٢ : ٢ ؛ عب ٣ : ١ و٢

٤٤ تُومَا لا يُصَدِّقُ أَنَّ زُمَلاءَهُ التَّلاميذَ رأَوا الرَّبَّ :

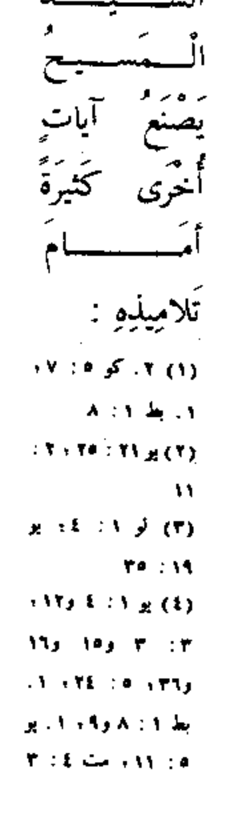
٢٤ ❖ وَأَمَّا تُومَا[٣] أَحَدُ الاثْنَيْ عَشَرَ[٤] ، الَّذِي كَانَ يُدْعَى دِيدِيمُوسَ ، أَيِ التَّوْأَمَ ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ هُنَاكَ حِينَ جَاءَ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ . ❖ ٢٥ فَقَالَ لَهُ التَّلامِيذُ الآخَرُونَ « إِنَّنَا قَدْ رَأَيْنَا الرَّبَّ » . فَقَالَ لَهُمْ « إِنْ لَمْ أُبْصِرْ فِي يَدَيْهِ أَثَرَ المَسَامِيرِ وَأَضَعْ فِي مَوْضِعِ الْمَسَامِيرِ إِصْبَعِي ، وَأَضَعْ يَدِي فِي جَنْبِهِ لاَ أُؤْمِنْ »[٥] .

(٢) مت ١٦ : ١٩ ؛ ١٨ : ١٨ ؛ أع ٥ : ١–١١ ، ٨ : ٢١ ، ١٣ : ٩ إلخ
(٣) يو ١١ : ١٦
(٤) يو ٦ : ٦٧
(٥) مر ١٦ : ١١

تُومَا يَرَى الرَّبَّ فَيُؤْمِنُ :

٢٦ ❖ ثُمَّ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ ، كَانَ التَّلامِيذُ مُجْتَمِعِينَ فِي الدَّاخِلِ أَيْضًا ، وَكَانَ تُومَا مَعَهُمْ ، فَدَخَلَ يَسُوعُ وَالأَبْوَابُ مُغَلَّقَةٌ وَوَقَفَ فِي وَسْطِهِمْ ٢٧ وَقَالَ لَهُمْ . « السَّلاَمُ لَكُمْ » . ❖ ثُمَّ قَالَ لِتُومَا « هَاتِ إِصْبَعَكَ إِلَى هُنَا وَأَبْصِرْ يَدَيَّ ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي[٦] ، وَلاَ تَكُنْ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بَلْ ٢٨ مُؤْمِنًا » . ❖ فَأَجَابَ تُومَا وَقَالَ لَهُ « رَبِّي

(٦) ١ . يو ١ . ١ ، لو ٢٤ : ٤٠



٢٩ وإلَهِي » . ❖ قَالَ لَهُ يَسُوعُ « لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ . طُوبَى لِلَّذِينَ لَمْ يَرَوْا وَآمَنُوا »[١] .

السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَصْنَعُ آياتٍ أُخْرَى كَثِيرَةً أَمَامَ تَلامِيذِهِ :

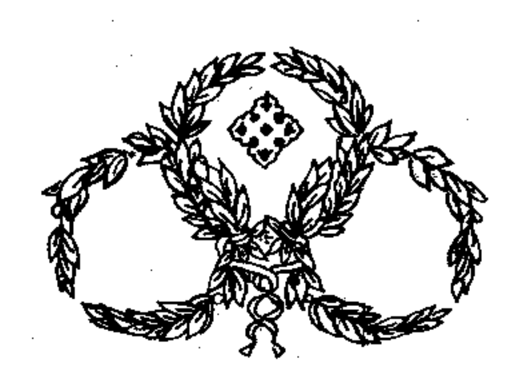
٣٠ ❖ وَقَدْ صَنَعَ يَسُوعُ أَمَامَ تَلاَمِيذِهِ[٢] آياتٍ أُخْرَى كَثِيرَةً ، لَمْ تُكْتَبْ فِي هَذَا الْكِتَابِ ، ٣١ ❖ وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا[٣] بِأَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ، وَلِتَكُونَ لَكُمْ إِنْ آمَنْتُمُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ بِاسْمِهِ[٤] .

(١) ٢ . كو ٥ : ٧ ، ١ . بط ١ : ٨

(٢) يو ٢١ : ٢٥ ، ٢ : ١١

(٣) لو ١ : ٤ ، يو ١٩ : ٣٥

(٤) يو ١ : ٤ و١٢ ، ٣ : ٣ و١٥ و١٦ و٣٦ ، ٥ : ٢٤ ، ١ . بط ١ : ٨ و٩ ، ١ . يو ٥ : ١١ ، مت ٤ : ٣







الْفَصْلُ الحَادِى والْعِشْرُونَ

(٤٥) السَّيِّدُ الْمَسيحُ يَظْهَرُ لِتَلاميذِهِ مَرَّةً أُخْرَى عَلَى بَحْرِ طَبَرِيَّةَ:

١ ❖ وَبَعْدَ ذَلِكَ أَظْهَرَ[١] يَسُوعُ نَفْسَهُ مَرَّةً أُخْرَى لِتَلاَمِيذِهِ[٢] عَلَى بَحْرِ طَبَرِيَّةَ[٣]، وَكَانَ ظُهُورُهُ هَكَذَا : ٢ ❖ كَانَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَتُومَا[٤] الْمَدْعُوُّ دِيدِيمُوسَ، ونَثَنَائِيلُ[٥] الَّذِى مِنْ قَانَا الْجَلِيلِ[٦] وَابْنَا زَبَدِى[٧] وَاثْنَانِ آخَرَانِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ مُجْتَمِعِينَ مَعًا،

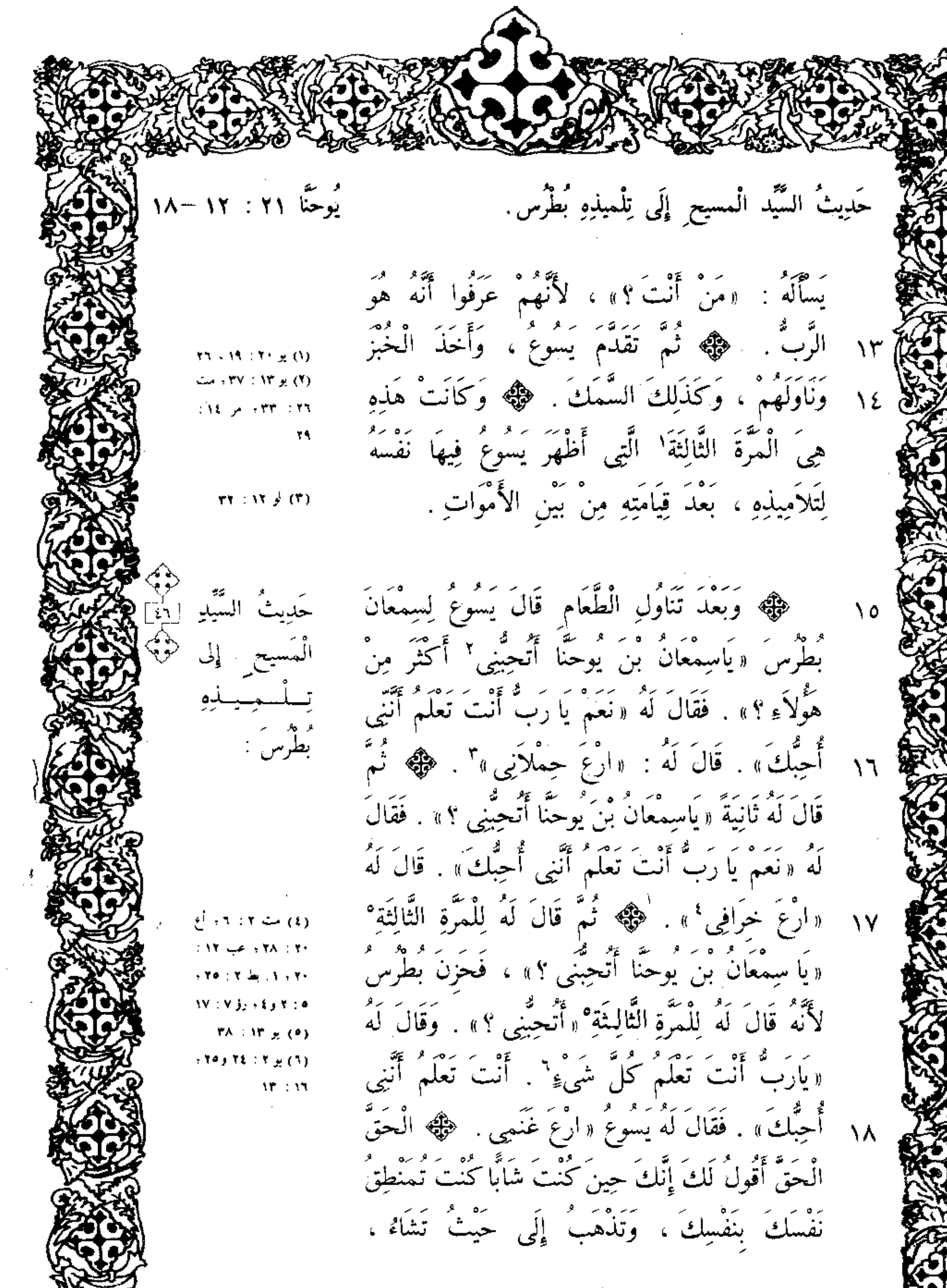
٣ ❖ فَقَالَ لَهُمْ سِمْعَانُ بُطْرُسُ «إِنَّنِى ذَاهِبٌ لأَصْطَادَ سَمَكًا». فَقَالُوا لَهُ «وَنَحْنُ أَيْضًا نَذْهَبُ مَعَكَ»، ثُمَّ خَرَجُوا وَرَكِبُوا السَّفِينَةَ، إِلاَّ أَنَّهُمْ لَمْ يَصِيدُوا فِى تِلْكَ اللَّيْلَةِ شَيْئًا[٨]. ٤ ❖ حَتَّى إِذَا طَلَعَ الصَّبَاحُ، وَقَفَ يَسُوعُ عَلَى الشَّاطِىءِ، وَلَكِنَّ

(١) مر ١٦ : ١٢
(٢) يو ٢٠ : ٩ و٢٦
(٣) يو ٦ : ١
(٤) يو ١١ : ١٦
(٥) يو ١ : ٤٥
(٦) يو ٢ : ١
(٧) مت ٤ : ٢١، مر ١ : ١٩، لو ٥ : ١٠
(٨) لو ٥ : ٥



٥ التَّلامِيذَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ هُوَ يَسُوعُ[١]. ❖ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ «يَافِتْيَانُ أَلَدَيْكُمْ شَيْءٌ يُؤْكَلُ[٢]؟». أَجَابُوهُ «لاَ». ٦ ❖ فَقَالَ لَهُمْ «أَلْقُوا الشَّبَكَةَ مِنَ الْجَانِبِ الأَيْمَنِ لِلسَّفِينَةِ فَتَجِدُوا»[٣]، فَأَلْقَوْهَا، وَعِنْدَئِذٍ لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَجْذِبُوهَا إِلَى فَوْقُ مِنْ كَثْرَةِ السَّمَكِ. ٧ ❖ فَقَالَ التِّلْمِيذُ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ[٤] لِبُطْرُسَ «إِنَّهُ الرَّبُّ». فَلَمَّا سَمِعَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ أَنَّهُ الرَّبُّ اتَّزَرَ بِثَوْبِهِ لأَنَّهُ كَانَ عُرْيَانًا، ثُمَّ أَلْقَى بِنَفْسِهِ فِي الْبَحْرِ. ٨ ❖ وَأَمَّا التَّلامِيذُ الآخَرُونَ، فَجَاءُوا بِالسَّفِينَةِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ تَبْعُدُ عَنِ الشَّاطِيءِ إِلاَّ نَحْوَ مِائَتَيْ ذِرَاعٍ، ثُمَّ أَخَذُوا يَجُرُّونَ شَبَكَةَ السَّمَكِ. ٩ ❖ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَى الأَرْضِ تَطَلَّعُوا فَرَأَوْا جَمْرًا[٥]، وَسَمَكًا[٦] مَوْضُوعًا عَلَيْهِ وَخُبْزًا. ١٠ ❖ وَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ «قَدِّمُوا مِنَ السَّمَكِ الَّذِي اصْطَدْتُمُ الآنَ». ١١ ❖ فَصَعِدَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَجَرَّ الشَّبَكَةَ إِلَى الأَرْضِ وَهِيَ مُكْتَظَّةٌ سَمَكًا كَبِيرًا، مِائَةً وَثَلاثًا وَخَمْسِينَ سَمَكَةً، وَمَعَ كَثْرَةِ هَذَا الْعَدَدِ لَمْ تَتَخَرَّقِ الشَّبَكَةُ. ١٢ ❖ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ «هَلُمُّوا تَنَاوَلُوا الطَّعَامَ»[٧]. وَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ مِنْ تَلامِيذِهِ عَلَى أَنْ

(١) يو ٢٠ : ١٤، لو ٢٤ : ١٦
(٢) لو ٢٤ : ٤١
(٣) لو ٥ : ٤ و٦ و٧
(٤) يو ١٣ : ٢٣، ٢٠ : ٢
(٥) يو ١٨ : ١٨
(٦) يو ٦ : ٩ و١١
(٧) أع ١٠ : ٤١



يَسأَلَهُ : «مَنْ أَنْتَ؟» ، لأَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّهُ هُوَ الرَّبُّ . ✤ ١٣ ثُمَّ تَقَدَّم يَسُوعُ ، وأَخَذَ الْخُبْزَ وَنَاوَلَهُمْ ، وَكَذَلِكَ السَّمَكَ . ✤ ١٤ وَكَانَتْ هَذِهِ هِىَ الْمَرَّةَ الثَّالِثَةَ[١] الَّتِى أَظْهَر يَسُوعُ فِيهَا نَفْسَهُ لِتلاَمِيذِهِ ، بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ .

حَدِيثُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ إِلَى تِلْمِيذِهِ بُطْرُسَ : [٤٦]

✤ ١٥ وَبَعْدَ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ قَالَ يَسُوعُ لِسِمْعَانَ بُطْرُسَ «يَاسِمْعَانُ بْنَ يُوحنَّا أَتُحِبُّنِى[٢] أَكْثَرَ مِنْ هَؤُلاَءِ؟» . فَقَالَ لَهُ «نَعَمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّنِى أُحِبُّكَ» . ١٦ قَالَ لَهُ : «ارْعَ حِمْلاَنِى»[٣] . ✤ ثُمَّ قَالَ لَهُ ثَانِيَةً «يَاسِمْعَانُ بْنَ يُوحنَّا أَتُحِبُّنِى؟» . فَقَالَ لَهُ «نَعمْ يَا رَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّنِى أُحِبُّكَ» . قَالَ لَهُ «ارْعَ خِرَافِى[٤]» . ✤ ١٧ ثُمَّ قَالَ لَهُ لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ «يَا سِمْعَانُ بْنَ يُوحنَّا أَتُحِبُّنِى؟» ، فَحَزِنَ بُطْرُس لأَنَّهُ قَالَ لَهُ لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ[٥] «أَتُحِبُّنِى؟» . وَقَالَ لَهُ «يَارَبُّ أَنْتَ تَعْلَمُ كُلَّ شَىْءٍ[٦] . أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّنِى أُحِبُّكَ» . ١٨ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ «ارْعَ غَنَمِى . ✤ الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ إِنَّكَ حِينَ كُنْتَ شَابًّا كُنْتَ تُمَنْطِقُ نَفْسَكَ بِنَفْسِكَ ، وَتَذْهَبُ إِلَى حَيْثُ تَشَاءُ ،

(١) يو ٢٠ : ١٩ ، ٢٦
(٢) يو ١٣ : ٣٧ ؛ مت ٢٦ : ٣٣ ؛ مر ١٤ : ٢٩
(٣) لو ١٢ : ٣٢
(٤) مت ٢ : ٦ ؛ أع ٢٠ : ٢٨ ؛ عب ١٣ : ٢٠ ؛ ١ . بط ٢ : ٢٥ ؛ ٥ : ٢ و ٤ ؛ رؤ ٧ : ١٧
(٥) يو ١٣ : ٣٨
(٦) يو ٢ : ٢٤ و ٢٥ ؛ ١٦ : ١٣

وَلَكِنَّكَ مَتَى شِخْتَ فَستَبْسِطُ يدَيْكَ وَشَخصٌ آخَرُ يُمَنْطِقُكَ وَيَحْمِلُكَ إِلَى حَيْثُ لاَ تَشَاءُ »[١] .

١٩ ❁ قَالَ لَهُ هَذَا مُشِيرًا[٢] إِلَى الْمِيتَةِ الَّتِى كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يُمَجِّدَ اللهَ بِهَا[٣] . وَبَعْدَ أَنْ قَالَ هَذَا ، قَالَ لَهُ « اتْبَعْنِى »[٤] .

(١) يو ١٣ : ٣٦، أع ١٢ : ٣ و٤
(٢) يو ١٢ : ٣٣، ١٨ : ٣٢
(٣) ٢. بط ١ : ١٤
(٤) مت ٨ : ٢٢، ١٦ : ٢٤

حَدِيثُ السَّيِّدِ الْمَسيحِ عَنِ الْقِديسِ يُوحَنَّا :

٢٠ ❁ فَالْتَفَتَ بُطْرُسُ وَرَأَى التِّلْمِيذَ الَّذِى كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ[٥] يَتْبَعُهُ . وَهُوَ ذَلِكَ الَّذِى كَانَ قَدِ اتَّكَأَ عَلَى صَدْرِهِ[٦] فِى أَثْنَاءِ الْعَشَاءِ ، وَالَّذِى قَالَ لَهُ : يَارَبُّ مَنْ هُوَ الَّذِى سَيُسَلِّمُكَ . ٢١ ❁ فَلَمَّا رَأَى بُطْرُسُ ذَلِكَ قَالَ لِيَسُوعَ « يَارَبُّ وَمَاذَا عَنْ هَذَا ؟ »

٢٢ ❁ قَالَ لَهُ يَسُوعُ « لَوْ أَنَّنِى شِئْتُ أَنْ أُبْقِيَهُ إِلَى أَنْ أَجِيءَ[٧] ، فَمَاذَا يَعْنِيكَ ؟. اتْبَعْنِى أَنْتَ » .

٢٣ ❁ فَذَاعَ بَيْنَ الإِخْوَةِ[٨] الْقَوْلُ بِأَنَّ ذَلِكَ التِّلْمِيذَ لاَ يَمُوتُ . غَيْرَ أَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَقُلْ لَهُ إِنَّهُ لاَ يَمُوتُ ، وَإِنَّمَا قَالَ « لَوْ أَنَّنِى شِئْتُ أَنْ أُبْقِيَهُ إِلَى أَنْ أَجِيءَ فَمَاذَا يَعْنِيكَ ؟ » .

(٥) يو ١٣ : ٢٣ و٢٥، ٢٠ : ٢
(٦) يو ١٣ : ٢٥
(٧) مت ١٦ : ٢٧ و٢٨، ٢٥ : ٣١، ١. كو ٤ : ٥، ١١ : ٢٦، رؤ ٢٠ : ٢٥، ٣ : ١١، ٢٢ : ٧ و٢٠
(٨) أع ١ : ١٥
(٩) يو ١٤ : ٢٧
(١٠) يو ١٩ : ٣٥، ٣ . يو ١٢

هَذِهِ الْبِشَارَةُ شَهِدَ بِهَا الْقِدِّيسُ يُوحَنَّا وَكَتَبَهَا :

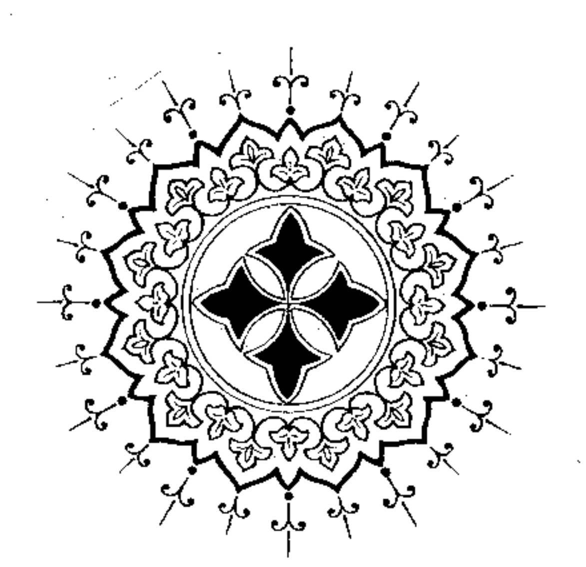
٢٤ ❁ ذَلِكَ هُوَ التِّلْمِيذُ الَّذِى شَهِدَ بِهَذَا ، وَالَّذِى كَتَبَ هَذَا[٩] ، وَنَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ حَقٌّ[١٠] .



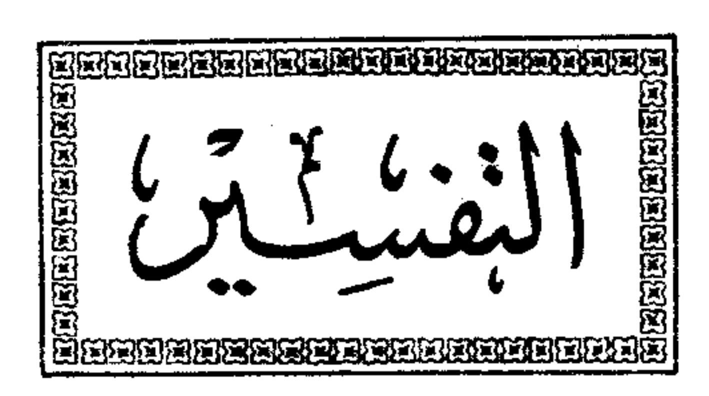
٢٥ ❖ وَثَمَّةَ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ أُخْرَى صَنَعَهَا يَسُوعُ[١] لَوْ أَنَّهَا كُتِبَتْ وَاحِدَةً فَوَاحِدَةً فَلاَ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ[٢] نَفْسَهُ يَسَعُ الْكُتُبَ الَّتِي تُكْتَبُ . آمِينْ .

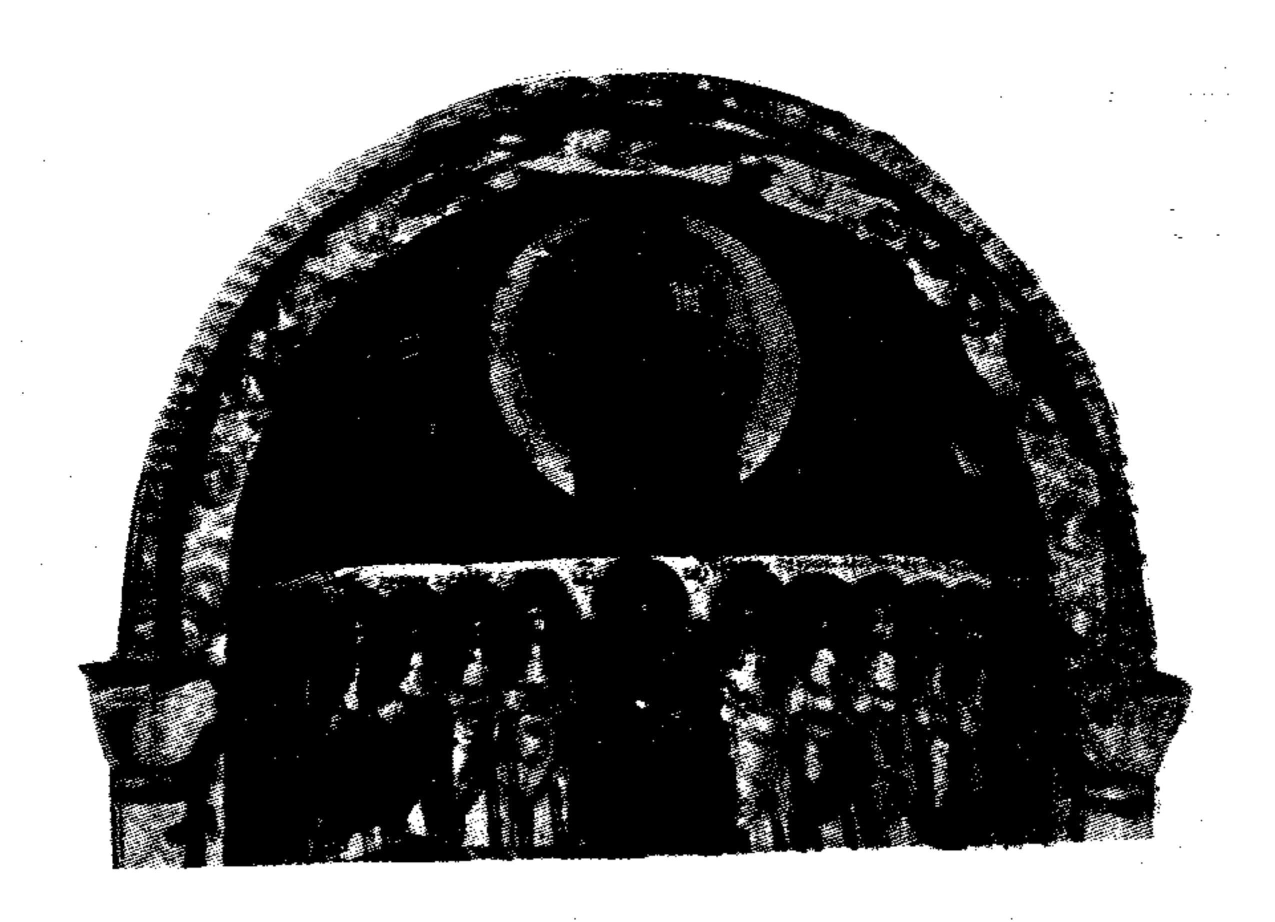
السَّيِّدُ الْمَسِيحُ صَنَعَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً جِدًّا غَيْرَمَا كُتِبَ فِي هَـــذِهِ الْبِشَارَةِ :

(١) يو ٢٠ : ٣
(٢) ع ٧ : ١٠






التفسير



الفصل الأول

١ : ١ - ١٣

ينفرد الإنجيل على يد القديس يوحنا بأنه لا يكلِّم الناس عن ميلاد السيد المسيح من العذراء مريم كما فعل الإنجيل على يد القديس متى والإنجيل على يد القديس لوقا ، ولا يتناول الأحداث التى سبقت الميلاد ولا تلك التى صاحبته أو التى لحقته ، كخطبة السيدة العذراء مريم ليوسف البار ، وَحَبَلها بميلاد السيد المسيح ومرسوم الإمبراطور أوغسطس قيصر بإجراء تسجيل لسكان العالم كله ، وأحداث ليلة الميلاد ، وظهور الملائكة للرعاة ، وظهور النجم للمجوس ، وهرب العائلة المقدسة إلى مصر . وعودتها إلى أرض فلسطين ، ولا ذَكَر شيئًا عن طفولة السيد المسيح وعمله كنجار ، وتردّده وهو صبّى على الهيكل ...

كل ذلك وغيره مما ذكره الإنجيليون الآخرون لم يذكره الإنجيل على يد القديس يوحنا ، لا لأنه سبقه إليه غيره من كتبة الأناجيل ، ولكن لأن الإنجيل على يد القديس يوحنا قصد به أن ينبه إلى أن السيّد المسيح قبل أن يظهر كإنسان فى صورة ابن الإنسان « يسوع » كان له وجود قبل الزمان ، وجود أزلىّ مع الآب فى السماء قبل أن ينزل على الأرض متجسدًا ، « آخذًا صورة عبد صائرًا فى شبه الناس » (فيلبى ٢ : ٧). إن المسيح قبل أن يولد من مريم كان هو الكائن منذ الأزل ، إله مريم ، وخالق مريم وكل الخليقة . فليس ميلاده من مريم فى الحقيقة الا أنه تجسد منها ، أى أن ميلاده ليس كميلاد أى طفل آخر . فميلاد أى طفل يعيِّن وجوده ، لأنه بميلاده يصير له وجود . أما السيد المسيح فقبل أن يولد من مريم العذراء كان كائنًا منذ الأزل مع الآب ، وهو الذى أراد فخلق كل الوجود . فميلاد السيد المسيح هو فى الحقيقة تجسّده . ولذلك فإن المسيحيين إذ يحتفلون بعيد الميلاد هم فى الواقع يحتفلون بعيد التجسد الإلهى من مريم العذراء .

لذلك يبدأ الإنجيل للقديس يوحنا ببيان الطبيعة الإلهية للسيد المسيح ، على قدر ما يمكن للغة البشرية أن تعبِّر عن تلك الطبيعة التى هى فوق إدراك البشر ، وأسمى من أن تعبِّر عنها لغتهم القاصرة . لأن الله روح . والروح لا يمكن أن تدركها إلا روح من ذات طبيعتها . وأما العقل البشرى فقاصر عن ادراك مافوق المادة . والمادة لا يمكن أن تدرك إلا ما هو مادىّ مثلها ، وفى نطاق حدودها .

وقد وصف القديسون متى ومرقس ولوقا السيد المسيح فى بشاراتهم بأنه « ابن الله » . وأما الإنجيل للقديس يوحنا فهو يصفه فى بدء كلامه عنه من زاوية أخرى ، وهو أنه « كلمة الله » . ولما كانت الكلمة هى التعبير عن الفكر أو العقل الإلهى . ولما كان فكر أى ذات من الذوات هو تلك الذات نفسها .

لأنه من جوهرها ، ففكر الله أو العقل الإلهى إذن هو الله ذاته . والكلمة التى تُعبِّر عن هذا الفكر أو العقل هى الله ذاته كذلك . ولذلك يصف القديس يوحنا « الكلمة » بأنه أزلى ، وهى صفة لا يمكن أن يوصف بها إلا الله وحده ، فيقول « فى البدء كان الكلمة . والكلمة كان لدى الله ، وكان الكلمة هو الله . كان منذ الأزل لدى الله » .

فالبدء هنا هو الأزل . هو البدء الذى قبل الزمان ، وقبل الوجود . هو البدء الذى لا علم للناس به حين بدأ ، أو هو البدء الذى لا بدء قبله ، هو البدء الذى بدأ مع الله الذى ليس له بدء . فهو الأزل الذى لا بداءة له . فما أبعد الفرق بين « البدء » هنا فى مطلع الإنجيل للقديس يوحنا ، وبين « البدء » الذى حدثنا عنه مطلع سفر التكوين ، إذ قال « فى البدء خلق الله السماوات والأرض » (التكوين ١ : ١) . فبدء سفر التكوين بدء فى الزمان . أما بدء إنجيل يوحنا فبدء قبل الزمان . بدء سفر التكوين هو بداءة الوجود للموجود . أما البدء فى إنجيل يوحنا فهو إشارة إلى الأول قبل الوجود ، واجب الوجود ، الله السرمدى الذى لا بداءة له ، والأوّل الذى لم يسبقه أوّل ، والبدء الذى ليس له ابتداء (انظر ١ • يوحنا ١ : ١) . وفى قول الإنجيل للقديس يوحنا « **كان الكلمة** » نجد أن الفعل « كان » سواء فى اللغة العربية أو اللغات الأصلية والقديمة التى ترجم عنها وإليها الإنجيل ، وإن كان فى الماضى لكنه أيضًا يفيد الامتداد فى الحاضر إلى أبد الآبدين . إن الفعل « كان » هنا فى الماضى لتوكيد الأزلية . ولكنه بمعناه يمتد إلى الأبدية ، لأن الله الكلمة كان وكائن ويدوم إلى الأبد .. « هو الألف والياء . البداءة والنهاية . الرب الإله الكائن والذى كان والذى يأتى ، القادر على كل شىء » (سفر الرؤيا ١ : ٨) ؛ (١١ : ١٧) ؛ (١٦ : ٥) ، أى الكائن فى الماضى لأنه أزلى ، والكائن فى الحاضر وإلى الأبد لأنه أبدى ، فهو الكائن دائمًا أو هو الدائم « يهوه » ، **الأزلى الأبدىّ** ، السرمد ، والسرمدى ، الدائم .

يقول الإنجيل للقديس يوحنا « فى البدء كان الكلمة » . و« الكلمة » ترجمة عربية يقابلها باليونانية اللوغوس (LOGOS) . واللوغوس هو العقل الإلهى ظاهرًا فى الوجود . فليس المقصود بـ « الكلمة » اللفظ ، لأنه قبل اللفظ هناك العقل أو الفكر الذى يلد الكلمة . والقَبْلِيَّة هنا قَبْلِيَّة منطقية وليست قَبلِيَّة زمنية ، لأنه حيث كان العقل أو الفكر هناك « الكلمة » . وليس هناك وقت كان فيه العقل ولم يكن الكلمة معه ، وإلا كان العقل عاطلاً لا حياة فيه ، وبالتالى لا وجود له . فالكلمة فى الإنجيل ليس اللفظ وإنما هو « **شخص** » . فالكلمة مُشَخَّص . ولذلك جاء الحرف الأول فى بعض اللغات الأصلية والترجمات حرفًا كبيرًا ، تمييزًا له عن لفظ الكلمة المقروءة والمسموعة . وجاء الفعل فى اللغة العربية مذكَّرًا ، أى «كان» وليس «كانت » ، توكيدًا لأن المقصود هو « الكلمة مشَخَّصًا » أى « الله الكلمة » أو « العقل الالهى ظاهرًا فى الوجود » (لوقا : ١ : ٢) ؛ (١ . يوحنا ١ : ١) .

فالعقل غير منظور ، ولكنه يصير منظورًا فى « الكلمة » لذلك فإن الفعل «كان » فى لغة العرب ، ليس استخدامه هنا فى مطلع إنجيل يوحنا باعتباره فعلاً ماضيًا ناقصًا ، ولكنه فعل ماض تام . فالفعل «كان » هنا من الكينونة بمعنى الوجود . فليس هو على نظير قولنا «كانت الشمس طالعة » أى أنها كانت طالعة ، ولكنها ليست الآن طالعة . بل «كان » الكلمة بمعنى أن كيان الكلمة ووجوده هو كائن منذ الأزل .

وأما قول الإنجيل للقديس يوحنا إن « **الكلمة كان لدى الله** » فمعناه أَن الكلمة أزلى لأنه منذ البدء ، إذ يقول قبل ذلك « **فى البدء كان الكلمة** » والله أزلى ، ولكن ليس ثمة إلهان أزليان ، فليس الكلمة مستقلاً بوجوده وكيانه عن الله ، وليس منفصلاً عنه قائمًا بذاته ، إنما « **الكلمة لدى الله** » ، أى كائن

فيه ومعه ، وكيانه به . ليس الله كيانًا والكلمة كيانًا آخر . **إن الله وكلمته كيان واحد ، ذات واحدة ، جوهر واحد** (١ • يوحنا ٥ : ٧) . **فالكلمة هو العقل الإلهي ظاهرًا ، والعقل الإلهي هو الكلمة ، لأنه بالكلمة يُعرف العقل ، والعقل يظهر بالكلمة وفى الكلمة**.وفى ذلك يقول القديس يوحنا البشير « فإن الحياة أظهرت . وقد رأينا ونشهد ونخبركم **بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وأُظهِرت لنا** » (١ • يوحنا ١ : ٢).وإذن فلولا التجسد لَمَا لُقِّب السيد المسيح بالكلمة ، ولَما دُعى اسمه «كلمة الله» (الرؤيا ١٩ : ١٣)؛(١ : ٢).وإذن **فالكلمة هو العقل الإلهي مُتجسدًا** . والعقل الإلهي إذ تجسَّد سُمِّى بـ« الكلمة » إذ يقول الانجيل المقدس « **الله لم يره أحد قط** . الابن الوحيد الذى فى حضن **الآب هو الذى أخبر عنه** » (يوحنا ١ : ١٨) وسمِّى السيد المسيح بالكلمة لأنه هو الخالق .. « به عمل العالمين » (العبرانيين ١ : ٢) . فالكلمة ليس لفظًا ، لكنه القدرة الفاعلة الخالقة .. « كلمة قدرته » (العبرانيين ١ : ٣) . وفى ذلك يقول الوحى الإلهي « بالإيمان نفهم أن العالمين **أُتقنت بكلمة الله** ، حتى لم يتكون مايرى مما هو ظاهر » (العبرانيين ١١ : ٣) . فكلمة الله فاعلة وخالقة . ولذلك فإن الترجمة الفرنسية لكلمة « اللوغوس » اليونانية جاءت معبرة عن « الفعل » و« الخلق » وهو Le Verbe أى « الفعل » أو « الكلمة الفاعلة » اذ تقول Au Commencement était Le Verbe . وقد سُمِّىَ السيد المسيح بـ « الكلمة » لأن فيه وبه تكلَّم الله الغير المنظور . لقد تكلَّم الله قبل التجسُّد على أفواه الأنبياء أو عن طريق الملائكة الذين أرسلهم لتبليغ رسالة منه ، ولكنه شاء أن يتكلَّم أخيرًا مع الناس بشخصه ، فنزل من السماء ، وتكلَّم معهم فمًا لفم . وكلمته هو يسوع المسيح . إذ يقول الكتاب المقدَّس إن « الله بعد أن كلَّم الآباء بالأنبياء قديمًا ، بأنواع وطرق كثيرة . **كلَّمَنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه** ، الذى جعله وارثًا لكلِّ شيء ، الذى به أيضًا عَمِل العالَمين . الذى هو ضياء

مجده وصورة جوهره وحامل جميع الأشياء بكلمة قدرته » (العبرانيين١ : ١ – ٣) ؛ (الأمثال ٨ : ٢٢ – ٣٠) .

ويقول الإنجيل للقديس يوحنا إن « **الكلمة كان لدى الله** » ، وذلك لأنه قبل أن يتجسد كان فى السماء لدى الله ، ومن قبل أن يظهر كيانًا متجسِّدًا على الأرض كان لدى الله فى السماء ، معه وفيه منذ الأزل (يوحنا ١٧ : ٥) ومع ذلك لم ينفصل عنه بنزوله إلى الأرض ، وبتجسده ، لأنه على حد قول مخلصنا له المجد « مامن أحد صعد إلى السماء إلاَّ ذلك الذى نزل من السماء ، ابن الإنسان الذى هو فى السماء » (يوحنا ٣ : ١٣) كما جاء فى رسالة القديس بطرس الأولى : « المسيح معروفًا سابقًا قبل تأسيس العالم ، ولكنه قد أُظهر فى الأزمنة الأخيرة من أجلكم » (١ . بطرس ١ : ١٩ و٢٠) . ويقول القديس أثناسيوس الرسولى إن « الكلمة كائن دائمًا فى الآب ، والآب كائن فى الكلمة ، كما هو الحال فى البهاء أو الضياء بالنسبة إلى النور » . فى رسالة للقديس أثناسيوس للدفاع عن قانون مجمع نيقية – فقرة ٢٠) .

ثم يقول الإنجيل للقديس يوحنا بعد ذلك « **وكان الكلمة هو الله** » وذلك لأن « الكلمة » هو الله متجسدًا . فالله بطبيعته غير منظور ، وإذ صار منظورًا فى المسيح لم يتغيَّر فى طبيعته ، لأنه ليس جسدًا ، وإنما استتر فى جسد ، احتجب فى جسد ، واتخذ جسدًا (يوحنا ١ : ١٤) . ومع ذلك فإنه لم يزل هو الله بذاته . ويقول القديس أثناسيوس الرسولى فى ذلك إن « المسيح كان ولم يزل إلها » ، وذلك لأن تجسده لم يغير طبيعته الإلهية ، ومن ثَمَّ ظلَّ وهو متجسِّد محتفظًا بألوهيته . ويقول الكتاب المقدس فى ذلك إن « المسيح .. الكائن على الكل إلهًا مباركًا إلى الأبد » (روما [رومية] ٩ : ٥) ؛ (١ : ٢٥) ؛ (٢ . كورنثوس ١١ : ٣١) . وقد جاء فى صلاة الصلح بالقداس الغريغورى « أنت بغير تحوُّل تجسَّدْتَ وتَأنَّسْتَ » .

فالسيد المسيح هو الكلمة الذى ظهر متجسدًا ، ومن ثَمَّ فهو كما يقرر الوحى الإلهى « صورة الله الغير المنظور » (كولوسى ١ : ١٥) . ولئن كان التجسد حدَثًا تمَّ فى الزمان إنّ الكلمة بوجوده ليس حادثًا ، وإنما هو أزلى ، لأنه كائن فى الآب وقائم معه منذ الأزل بلا فارق فى الزمان . لأنه حيث كان الله فالعقل الإلهى فيه ، إذ لا يمكن أن نتصور – على حد قول القديس أثنا سيوس الرسولى – زمنًا كان فيه الله الآب كائنًا ولم يكن العقل كائنًا معه وفيه . وإلا كان معنى هذا أن الله كان فى وقت ما غير عاقل ، ثم صار له عقل فيما بعد ، إنما العقل فى الله الآب كائن معه منذ أن كان هو الله الآب ، أى منذ الأزل . فالكلمة قبل التجسد هو العقل الإلهى . والعقل الإلهى أزلى ، فالكلمة إذن أزلى . وإن كان التجسد قد تم فى الزمان ، إذ أن التجسُّد معناه أن الله الأزلى الغير المنظور قد احتجب فى جسد .

بعد أن وصف الإنجيل للقديس يوحنا – بهذه العبارة الروحية الرائعة التركيب العميقة المعنى – سيدنا يسوع المسيح بالأزلية التى هى صفة الله وحده ، ذكر صفة أخرى تدل على ألوهيته كذلك ، هى أنه الخالق الوحيد لكل شىء فى الوجود . ولما كان الخالق الوحيد لكل شىء فى الوجود هو الله وحده ، فإن السيد المسيح كما أنه هو ابن الله وهو كلمة الله ، فهو الله ذاته فى الوقت نفسه ، إذ يقول الانجيل للقديس يوحنا إن «**كل شىء به كان ، وبغيره لم يكن شىء مما كان** » . وإذا كان العقل البشرى عاجزًا عن التسامى إلى فهم هذه الحقيقة فذلك لأنها حقيقة تتعلق بطبيعة الله اللانهائى غير المحدود ، فى حين أن العقل البشرى إنما ينتهى عند حد معين لا يمكنه أن يتعداه ، وهو عاجز عن أن يدرك ماوراء هذا الحدّ ، إلا إذا تلقى وحيًا من الله ، بواسطة أحد مختاريه ، يكشف له عن ذلك السّر الإلهى .

فالقول بأن «كل شىء به كان» معناه أن « الكلمة » الذى هو « صورة الله الغير المنظور ، المولود أولاً قبل كل الخليقة » هو الخالق لكل الوجود (المزمور ٣٢ : ٦) . وقد «كان العالم به » (يوحنا ١ : ١٠) فانه « فيه خلق الجميع ، ما فى السماوات ، وماعلى الأرض ، مايُرى ومالايرى ، سواء أكان عروشًا أم سيادات أم رئاسات أم سلاطين . الجميع به وله قد خُلق . الذى هو قبل كل شىء وفيه يقوم الكل .. الذى هو البداءة .. لأنه فيه سُرَّ أن يحل كل الملئ » (كولوسى ١ : ١٥ – ١٩) . « وكل خليقة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وماعلى البحر وفيه » (الرؤيا ٥ : ١٣) ؛ (الأعمال ١٤ : ١٥ ؛ ١٧ : ٢٤) ؛ (الرؤيا ٤ : ١١) ؛ (١٠ : ٦) .

وأما قول الإنجيل للقديس يوحنا بأن « **بغيره لم يكن شىء مما كان** » ، فمعناه أن سيدنا يسوع المسيح هو وحده الخالق ، وليس غيره الخالق . وهذا برهان آخر على لاهوته ، إذ ينسب الإنجيل إليه صفة الخلق التى لا يتصف بها إلا الله وحده . وفى ذلك يقول الكتاب المقدس إن « الله خالق الجميع بيسوع المسيح » (أفسس ٣ : ٩) . ولذلك جاء فى سفر الرؤيا إن السيد المسيح هو « رئيس خليقة الله » (الرؤيا ٣ : ١٤) . فهو الأول فى الوجود أو قبل الوجود ، لأن به كان الوجود ، وهو لذلك رأس الخليقة ، وسيِّد الخليقة ، ورب الخليقة .

وفضلاً عن أن السيد المسيح يتصف بالأزلية التى هى من صفات الله ، وهو الخالق لكل شىء فى الكون ، وذلك لا يمكن نسبته إلا إلى الله الواحد وحده ، فإنه الإله الحىّ ، وهو أصل الحياة ومصدرها . ومن ثَمَّ يصفه الإنجيل للقديس يوحنا بأن « **فيه كانت الحياة** » وبالتالى فإن كل ذى حياة استمدَّ حياته منه ، ولا سيما الناس الذين وهبهم الله مع الحياة العقل . فكانت الحياة العاقلة نورًا لهم يرون على هداه نور الله . ولذلك يقول الانجيل للقديس يوحنا « **والحياة كانت**

نور الناس » . وعلى الرغم من أن الناس قد سقطوا فى ظلمة الخطيئة ، إذ خالفوا وصايا الله ، فان السيد المسيح الذى هو خالقهم وهو الحياة ، وهو النور ، قد جاء بتجسده بينهم ليبدد ما يكتنفهم من تلك الظلمة . ولكنهم – يسبب كثافة تلك الظلمة التى أصبحت تكتنفهم – لم يدركوا حقيقته . وهذا هو معنى قول القديس يوحنا إن « **النور يضىء فى الظلمة . والظلمة لم تدركه** » .

ومن ثَمَّ فإن السيد المسيح هو الكلمة الأزلى لأنه « صورة الله الغير المنظور » . وهو الكلمةُ لأن فيه وبه تكلم الله مع الناس . وهو الخالق الذى «كل شىء به كان . وبغيره لم يكن شىء مما كان » . ولهذا ففيه كانت الحياة ، ومن دونه لم تكن حياة . فليس هو حيًّا فى ذاته وبذاته فقط (يوحنا ٥ : ٢٦) ؛ (١٤ : ١٩) . بل إن « فيه كانت الحياة » لكل أحد ولكل شىء . وإذَن فهو منشىء الحياة ، وباعث الحياة ، ومبدىء الحياة . وبهذا المعنى هو « رئيس الحياة » (الأعمال ٣ : ١٥) . أى أنه رأس الحياة ، وأصل الحياة . بل هو « الحياة » (يوحنا ١١ : ٢٥) ؛ (١٤ : ٦) ،

وهو « الحياة الأبدية » (١ . يوحنا ٥ : ٢٠) و« به نحيا » (١ . يوحنا ٤ : ٩) ؛ (الأعمال ١٧ : ٢٨) ، إذ أنه « يهب الحياة للعالم » (يوحنا ٦ : ٣٣) . بل يهب « الحياة الأبدية » (١ . يوحنا ٥ : ١١) .

والسيد المسيح من حيث هو « الكلمة » ، ومن حيث هو « الحياة » هو أيضًا « نور الناس » . فهو يبعث فيهم الحياة ، وينير لهم الطريق . فهو « نور وليس فيه ظلمة البتة » (١ . يوحنا١ : ٥) و« ساكنًا فى نور لايُدنى منه » (١ . تيموثيئوس ٦ : ١٦) . وإذ منح الناس الحياة ، منحهم مع الحياة النور ، اذ يقول هو نفسه « أنا هو نور العالم . من يتبعنى لا يسير فى الظلام ، وإنما يكون له نور الحياة » (يوحنا ٨ : ١٢) . ويقول« أنا قد جئت للعالم نورًا حتى إن كل من

يؤمن بى لا يمكث فى الظلمة » (يوحنا ١٢ : ٤٦) . كما يقول : « مادمت فى العالم فأنا نور العالم » (يوحنا ٩ : ٥) . ويقول « إن النور باق فى وسطكم زماناً يسيراً . فسيروا فى النور مادام النور لكم » (يوحنا ١٢ : ٣٥) .

فالنور إذن هو المسيح . هو الله الكلمة . وقد جاء إلى العالم نوراً يضىء فى الظلمة . والظلمة هنا هى ظلمة الشر والخطيئة والدنس التى كان العالم متردياً فيها . ومع ذلك لم يستطع الناس لكثافة الظلام الذى كانوا يعيشون فيه أن يدركوا قيمة النور الذى أشرق عليهم بتجسد الله الكلمة وإقامته بينهم . لقد قال إشعياء النبى قديماً بروح النبوءة عن المسيح له المجد ، باعتباره النور الذى أضاء العالم بمجيئه ، وإن « الشعب السالك فى الظلمة **أبصر نوراً عظيماً** . الجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم **نور** » (إشعياء ٩ : ٢) ؛ (متى ٤ : ١٦) ؛ (لوقا ١ : ٧٩) . وقال الوحى الإلهى عن السيد المسيح كلمة **الله** ، على فم إشعياء النبى أيضاً « وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم ، لتفتح أعين العُمْى ، لتُخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن ، الجالسين فى **الظلمة** » (إشعياء ٤٢ : ٦و٧) ؛ (٤٩ : ٧) ؛ (الأعمال ٢٦ : ١٨) .

وقد قال السيد المسيح له المجد مؤكداً على نفس المعنى « وهذه هى الدينونة أن **النور جاء إلى العالم** ، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة . فإن كلّ من يفعل الشر يبغض النور ، ولا يقبل إلى **النور** ، لِئلا تفتضح أعماله الشريرة وتتوبَّخ . وأما مَنْ يفعل الحق فإنه يقُبل إلى **النور** ، لكى يظهر أن أعماله إنما أتاها فى **الله** » (يوحنا ٣ : ١٩ - ٢١) .

<u>١ : ٦ - ١٣</u>

وقد أثبت السيد المسيح **بعد** أن بدأ يؤدى رسالته ، بأقواله الإلهية ، وأعماله

التى لا يمكن أن تصدر إلا من الله وحده ، أنه هو ابن الله ، وأنه هو كلمة الله ، وأنه هو النور الإلهى . ولكنه قبل أن يبدأ فى أداء هذه الرسالة ، وهو فى الثلاثين من عمره ، شاء تدبير الله وشاءت حكمته أن يبعث برسول ليعلن مجيئه للعالم ، ويمهد الطريق له بأن يشهد بأنه هو المسيح الذى كان العالم ينتظر مجيئه ، على مقتضى نبوءة ملاخى النبى التى يقول فيها على لسان السيد المسيح : « هأنذا أرسل ملاكى فيُهيِّئ الطريق أمامى » (ملاخى ٣ : ١). وكان هذا الملاك أو الرسول هو يوحنا المعمدان (انظر أيضًا إشعياء ٤٠ : ٣ – ٥) ؛ (متى ٣ : ٣) ؛ (مرقس ١ : ٢ و٣) ؛ (لوقا ١ : ٧٦) ؛ (٣ : ٤ – ٦) . ومن ثم يقول الإنجيل للقديس يوحنا عنه :

« كان رجل قد أُرسل من الله اسمه يوحنا ، جاء هذا للشهادة كى يشهد للنور ، ليؤمن الكل على يده » .

ويوحنا المقصود هنا هو يوحنا المعمدان ابن زكريا الكاهن وأليصابات (لوقا ١ : ١ – ٢٥) ؛ (١ : ٥٧ – ٨٠) الذى شهد عنه السيد المسيح بأنه أكثر من نبى ، وأنه لم يقم بين المولودين من النساء أعظم منه . غير أن الأصغر منه فى ملكوت الله أعظم منه (متى ١١ : ٩ و١١) ، (لوقا ٧ : ٢٦ و٢٨) . وقال عنه ملاخى النبى كما رأينا بلسان السيد المسيح : « هاأنذا أرسل ملاكى فيهيىء الطريق أمامى » (ملاخى ٣ : ١) . كما جاء عنه فى سفر إشعياء النبى « صوت صارخ فى البرِّيَّة : أعدّوا طريق الرب ، قوِّموا فى القفر سبيلاً لإلهنا » (إشعياء ٤٠ : ٣) ؛ (متى ٣ : ٣) ؛ (مرقس ١ : ٢ و ٣) ؛ (لوقا ١ : ٧٦) ؛ (٣ : ٤ – ٦) .

وإذ كان كثيرون من اليهود يظنون أن يوحنا المعمدان هو المسيح الذى ينتظرونه ، أراد الإنجيل للقديس يوحنا أن يصحح هذا الظن ، ويوضّح الرسالة الحقيقية ليوحنا المعمدان . فقال إنه :

« **لم يكن هو النور ، وإنما أُرسل ليشهد للنور** » وقد شهد يوحنا المعمدان بأنه « **مُرسل** » أمام سيده المسيح ، فقال لليهود : « لست أنا المسيح ، وإنما أنا **مرسَل** أمامه » (يوحنا ٣ : ٢٨) وقال كذلك « وأنا لم أكن أعرفه . ولكن الذى أرسلنى لأعمِّد بالماء هو الذى قال لى .. » (يوحنا١ : ٣٣) ؛ (لوقا ٣ : ٢).

وهكذا حدَّد الإنجيل الهدف من إرسالية يوحنا المعمدان ، وهو أنه مُرْسَل من الله ليشهد للمسيح أنه ابن الله الأزلىّ ، وأنه حمَل الله الذى يحمل خطيئة العالم ، وأنه أتى من السماء ، وأنه فوق الجميع ، إذ يقول الإنجيل « وقد شهد يوحنا له ونادى قائلاً : هذا هو الذى قلت عنه إنَّ الذى يأتى بعدى قد تقدَّمنى لأنه كان قبلى » (يوحنا ١ : ١٥) .. « وهذه هى شهادة يوحنا .. فاعترف ولم ينكر وأقر قائلاً : لست أنا المسيح .. أنا صوت الصارخ فى البرّية ، أَعدُّوا طريق الرب .. أنا أعمّدكم بالماء . ولكن بينكم قائم ذلك الذى لستم تعرفونه ، **الذى وإن أتى بعدى كان قبلى ، وأنا لست بمستحق لأن أحلّ أربطة حذائه** .. وفى الغد رأى يوحنا يسوع مقبلاً إليه ، **فقال : هوذا حَمَل الله الذى يحمل خطيئة العالم** . هذا هو الذى قلت عنه **يأتى بعدى رجل يتقدمنى لأنه كان قبلى** . وأنا لم أكن أعرفه ، ولكن من أجل أن يُظْهَرَ لإسرائيل جئت أنا أُعمِّد بالماء . **وشهد يوحنا قائلاً** : إنِّى قد أبصرت الروح نازلاً عليه من السماء فى هيئة حمامة ، واستقرَّ على رأسه . وأنا لم أكن أعرفه ، ولكن الذى أرسلنى لأعمِّد بالماء هو الذى قال لى : إنَّ الذى تبصر الروح ينزل ويستقر على رأسه **هو الذى يعمِّد بروح القدس . وأنا قد أبصرت وشهدت بأن هذا هو ابن الله** . ثم فى اليوم التالى كان يوحنا واقفًا مع اثنين من تلاميذه . وإذ أبصر يسوع ماشيًا ، قال : هذا هو حمل الله » (يوحنا ١ : ١٥ - ٣٦ - انظر أيضًا يوحنا ٣ : ٢٥ - ٣٦) ؛ (يوحنا ٥ : ٣٣ - ٣٦) .

وجاء فى سفر الأعمال « فقال بولس إنَّ يوحنا عمَّد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب **أن يؤمنوا بالذى يأتى بعده ، أى بالمسيح يسوع** . فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع » (الأعمال ١٩ : ١ — ٥) .

ومع أن الإنجيل نسب بوضوح إلى المسيح وهو الله الكلمة أنه هو النور الذى يضىء فى ظلمة هذا العالم الشرير ، وأن الظلمة لم تدرك حقيقته ، عاد يكررّ من جديد أنَّ يوحنا المعمدان على الرغم من أنه كان كما وصفه رب المجد « هو السِّراج الموقَد المنير » (يوحنا ٥ : ٣٥) ، لكنه « **لم يكن هو النور** » فى ذاته المقصود فى قوله « والنور يضىء فى الظلمة » . ولذلك أضاف يؤكد هذه الحقيقة معلنًا الفرق بين يوحنا المعمدان وبين سيده المسيح ، قائلاً إنَّ ذاك « **لم يكن هو النور ، وإنما أُرسل ليشهد للنور** » .

إنَّ يوحنا المعمدان « أكثر من نبى » كماشهد عنه رب المجد ، ومع ذلك فإنه ليس بشىء بالقياس إلى سَيِّدِهِ الذى كان يوحنا المعمدان خادمًا له ، وهو الذى جاء يتقدمه بمثابة العبد الجارى السابق أمام الملك لِيُعدَّ الطريق أمامه ، يصرخ وينادى معلنًا عن قدوم مَلِكه وسيِّده . وقد أقرَّ يوحنا بذلك قائلاً « وأنا لست بمستحق لأن أنحنى وأحلَّ أربطة حذائه » (يوحنا ١ : ٢٧) ، (مرقس ١ : ٧) ؛ (لوقا ٣ : ١٦) أو « أحمل حذاءه » (متى ٣ : ١١) .

أما أن يوحنا المعمدان إنما أُرسِلَ ليشهد النور ، فهذا يتضح من قول الإنجيل : «كان رجل قد أُرسِل من الله اسمه يوحنا » (١ : ٦) . كما يتضح أيضًا من (ملاخى ٣ : ١) ؛ (يوحنا ٣ : ٢٨) ؛ (يوحنا ١ : ٣٣) .

وبعد أن قرر الإنجيل للقديس يوحنا أن يوحنا المعمدان « لم يكن هو النور ، وإنما أُرسل ليشهد للنور » ، قرر أن « النور الحقيقى » هو السيد المسيح الذى كان عندئذ قد أتى إلى العالم والذى جاء يوحنا المعمدان ليشهد أنه هو الذى كان مقررًا

فى التدبير الإلهى أن يأتى إلى العالم ، إذ يقول : «**كان النور الحقيق الذى ينير كل إنسان آتيًا إلى العالم**» ومن يكون « النورالحقيق » غير السيد المسيح له المجد . وهو الله الكلمة الذي لَبِس جسدًا . وقد أشرق على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت موثقين بالذل والحديد (المزمور ١٠٦ : ١٠ و ١٤) . ؟

لقد وصفه الإنجيل قبل ذلك بأنه « النور » (يوحنا ١ : ٤و٥و٧و٨) . لكنه يضيف هنا إلى النور أنه « الحقيق » وذلك تمييزًا له عن أى إنسان آخر يعتبر نورًا ، لقد قال السيد المسيح لتلاميذه « أنتم نور العالم » (متى ٥ : ١٤) وقال لهم أيضًا « فليضئ نوركم هكذا أمام الناس » (متى ٥ : ١٦) . وقال له المجد عن يوحنا المعمدان : « ذاك كان هو السراج الموقد المنير . وقد كنتم تريدون أن تتهللوا بنوره ساعة » (يوحنا ٥ : ٣٥) . فالرسل والقديسون لهم نور ، لكن نورهم ليس منهم . إنّه نور مستعار أو منعكس عليهم من « **النور الحقيق** » . . مثلهم فى ذلك مثل القمر : فالقمر جسم معتم لكنه يبدو منيرًا . على أن النور الذى يظهر به ليس منه .. إنه من نور الشمس ، وقد انعكس عليه ، فصار يبدو منيرًا . **فالمسيح وحده هو « النور الحقيق »** . وقد تكرر هذا الوصف عن السيد المسيح له المجد .(١ . يوحنا ٢ : ٨) .

هذا النور الحقيق ينير كل إنسان . ينيره فى الروح والنفس والفكر والقلب ، فيبصر ببهاء هذا النور مالم يكن يبصره من قبل . وهو ينير كل إنسان ، أى يغمر بنوره قلب الإنسان الذى كان – بسبب خطيئته – قد غمرته الظلمة ، فلم يعد يهتدى بنور الله الذى بدونه يضلّ الطريق ، ويتخبّط ويتعثر فى كل خطوة يخطوها ، ويسقط فى كلِّ هوّة تعترضه . حتى ينتهى به الأمر إلى السقوط الأبدىّ . وهو يغمر بنوره لا قلوب اليهود وحدهم الذين أتى بينهم ، والذين كانوا يعدّون أنفسهم شعب الله المختار ، دون سائر شعوب الأرض ، وإنما قلوب

جميع الناس فى كل مكان وكلِّ زمان ، لأنه كما يقرر الإنجيل للقديس يوحنا « ينير كلَّ إنسان » . ولقد قال السيد المسيح له المجد « أتيت أنا دينونة للعالم ، حتى يبصر الذين لا يبصرون » (يوحنا ٩ : ٣٩) . يبصر ماضيه فيندم عنه ويتوب ، ويبصر حاضره فيدرك أين هو ، ويتبين نسبته إلى الله وإلى الكون .. ويبصر مستقبله فيرعوى ويتعظ . ويجاهد ليكون له نصيب مع الذين ينالون الخلاص ، فيحظى بفردوس النعيم وملكوت السماوات .

إنه « **ينير كل إنسان** » ، يهوديًا كان أو من غير اليهود . فالسيد المسيح وإن كان قد جاء لليهود أولاً ، لكن دعوته كانت **دعوة إنسانية غير عنصرية** . كانت دعوة لجميع الناس للخلاص إلى أقصى الأرض (إشعياء ٤٩ : ٦) . لأن كلَّ إنسان قد خُلِق « على صورة الله ومثاله » (التكوين ١ : ٢٦ و٢٧) .. « وليس يهودى ولا يونانى . ليس عبد ولا حر . ليس ذَكَر وأنثى ، لأنكم جميعًا واحد فى المسيح يسوع » (غلاطية ٣ : ٢٨) .

ومع أن السيد المسيح كان « آتيًا إلى العالم » فإنه كما يقول الإنجيل « **كان فى العالم ، وكان العالم به ، والعالم لم يعرفه** » .

لقد كان له المجد فى العالم منذ إنشاء العالم ، بل إنه كائن قبل كون العالم (يوحنا ١٧ : ٥) . لأنه هو خالق العالم ، إذ « كان العالم به » ولكنه بتجسده ظهر للعالم إلهًا متأنسًا ، ورآه الناس إنسانًا بينهم ، محدودًا بناسوته ، وإن كان غير محدود بلاهوته ، وعلى الرغم من أنه ماتجسَّدَ إلا لخلاص العالم ، بسبب محبته للعالم الذى هو خالقه ، فإن « العالم لم يعرفه » (يوحنا ١ : ٢٦ و ٢٧) ؛ (٨ : ١٩) ؛ (١٤ : ٧) . لأن المادية كانت قد طغت على أهل العالم ، والظلمة قد اكتنفتهم ، وأعمت أبصارهم وبصائرهم ، ومن ثم كانوا عاجزين عن أن يروا ذلك النور الذى سطع بينهم أويعرفوا حقيقته .

لقد كان هو النور الحقيقى الذى أتى إلى العالم متجسِّدًا ، « صائرًا فى شبه الناس » (فيلبى ٢ : ٧) . « وظهر فى الهيئة كإنسان » (فيلبى ٢ : ٨) « لَمَّا جاء ملءُ الزمان » (غلاطية ٤ : ٤) . **ولكنه قبل التجسُّد من السيدة العذراء مريم « كان فى العالم » أيضًا . وقد كان فى العالم منذ إنشاء العالم** ، يدبره ويرعاه بصفته خالق العالم ، « **وكان العالم به** » فهو الكلمة « الكائن منذ الأزل . كل شىء به كان ، وبغيره لم يكن شىء مما كان » (يوحنا١ : ٢و٣) . والكائن « قبل كون العالم » (يوحنا ١٧ : ٥) . « الذى هو قبل كلِّ شىء وفيه يقوم كل شىء » (كولوسى ١ : ١٧) . « وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته » (العبرانيين ١ : ٢) ؛ (١١ : ٣) . وقد « **كان فى العالم . والعالم لم يعرفه** » . **وكان فى العالم بوجوده غير المنظور ، ومع ذلك كان يظهر أحيانًا فى شكل منظور ، بنوع من التجسُّد قبل التجسُّد** : فقد ظهر لآدم وحواء بعد سقوطهما وسمعا صوته «ماشيًا فى الجنَّة» (التكوين ٣ : ٨) فاختبأ من وجهه .. وظهر لإبراهيم الخليل عند بلّوطات ممرا ومعه ملاكان (التكوين ١٨ : ١) ، ووعده بميلاد إسحق ، وتشفع لديه إبراهيم فى سدوم وعمورة .. وظهر لإبراهيم أيضًا فى هيئة ملْكِى صادق ، وباركه وقبِل منه العشور (التكوين ١٤ : ١٨ — ٢٠) .. ثم ظهر ليعقوب أبى أسباط اليهود الاثنى عشر وصارعه ثم باركه « فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل ، قائلاً : لأنى نظرت الله وجها لوجه » (التكوين ٣٢ : ٢٤ — ٣١) .. وظهر ليشوع بن نون فى هيئة رئيس جند ، وأمره بأن يخلع نعله من رجله « لأن المكان الذى أنت واقف عليه هو مقدّس » (يشوع ٥ : ١٣ — ١٥) . ولو لم يكن هو الرَّب لَمَا أمَرَه بما أمر به موسى النبى عندما ظهر له بأن يخلع حذاءه « لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة » (الخروج ٣ : ٤و٥) ... وظهر لإشعياء النبّى « جالسًا على كرسى عالٍ ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل » (٦ : ١) وظهر لحزقيال النبى جالسًا على العرش فى شبه منظر إنسان (١ : ٢٦) .. وظهر لدانيال النبِى

فى شبه ابن إنسان (٧ : ١٣) .. فى كل ذلك الظهور قبل التجسد من السيدة العذراء مريم « لم يعرفه العالم » . وحتى فى ظهوره متجسدًا من العذراء مريم « لم يعرفه العالم » . وقد قال عنه يوحنا المعمدان : « أنا أُعمِّدكم بالماء . ولكن بينكم قائم ذلك **الذى لستم تعرفونه** ، الذى وإن أتى بعدى كان قبلى » (يوحنا ١ : ٢٦و٢٧) . وقال السيد المسيح له المجد لليهود : « إنكم لا تعرفوننى أنا ولا تعرفون أبى . لوكنتم تعرفوننى لكنتم تعرفون أبى أيضًا » (يوحنا ٨ : ١٩) . بل قال لبعض تلاميذه « لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضًا » (يوحنا ١٤ : ٧) . والمعنى من كل ذلك أن العالم لم يعرفه على حقيقته . ذلك لأنه جاء محتجبًا فى الناسوت ، مستترًا فيه ، مخفيًا لاهوته عن الشيطان ليتم عمل الفداء وخلاص الإنسان : « لأنهم لو عرفوا لَمَا صلبوا رب المجد » (١ . كورنثوس ٢ : ٨) .

« **إلى خاصته جاء** » . وقد كانت خاصته هم **اليهود** الذين أعلن الله لهم ذاته دون غيرهم من الأمم . وأعطاهم شريعته ليحافظوا عليها ويعملوا بمقتضاها ويُبَشِّروا بها العالَمَ كلَّه ، وينشروا نورها فى كلِّ أرجاء الأرض . ولكن « **خاصته لم تقبله** » ، لأن أولئك اليهود الذين كانوا هم خاصته كانت ظلمة الخطيئة قد غَلَّفَت قلوبهم ، وأعمت أبصارهم وبصائرهم كما فعلت بسائر البَشَر ، بل أكثر مما فعلت بسائر البَشَر ، فرفضوا النور الذى أتى إليهم لينير قلوبهم . لأن السيد المسيح الذى هو « النور الحقيقى » لم يأتِ إليهم كما كانوا يتوقعون ، بناء على فهمهم الخاطىء لنبوءات أنبيائهم ، أنه سيأتى إليهم فى مجد دنيوى عظيم ، كملك جبّار ، وقائد مغوار ، يتربع على عرشهم ، ويقود جيوشهم ، ليسيطروا على العالم كله ويسودوا شعوبه ، على مقتضى غرورهم وأطماعهم ولؤم طباعهم . وإنما أتى إليهم فى صورة إنسان فقير وديع بسيط المظهر متواضع القلب ، لا يُرْضى جشعهم الدنيوىّ ، ولا يقيم لهم مملكة أرضية ، وإنما يوصيهم بالتخلّى عن مطامع الدنيا . وبالتطلُّع إلى ملكوت السماء . لذلك لم يقبلوه لأنهم لم

يعرفوه على حقيقته باعتباره المسيح الذى ينتظرونه ، فى حين آمن كثيرون من سائر الشعوب الوثنية الأخرى بأنه هو المسيح ابن الله وكلمته . ومن ثم لم يقبله إلا الذين آمنوا به . و « **أما الذين قبلوه ، فأعطاهم السلطان لأن يكونوا أبناء الله ، أولئك هم المؤمنون باسمه** » . أى أنه له المجد قَبِل الذين قَبِلوه من اليهود أو من غير اليهود . وقد فتح لهم هذا القبول الباب لأن ينالوا أعظم وأكرم مكانة يمكن أن ينالها إنسان فى كل مكان وكل زمان ، ولا يمكن أن تضاهيها مكانة أو سلطان . وهى أن يكونوا أبناء الله ، الذين يحتضنهم الله احتضان الأَبِ أبناءه ، ويحبهم ويحدب عليهم ، فينعمون بقربهم منه ، ويتمتعون فى ملكوته بسلطان يستمدونه من سلطانه ، لأنهم بإيمانهم بابن الله وكلمته واعتمادهم باسمه قد وُلدوا ولادة ثانية .. « ولدوا لا من دمٍ ، ولا من مشيئة إنسان ، وإنما من الله وُلدوا » ، أى أن تلك الولادة الثانية ليست ولادة جسدية من أبٍ بشرىّ كالولادة الأولى ، ولم تنشأ كالولادة الأولى عن مشيئة إنسان حين تتجه مشيئته لأن ينجب ابنًا . وإنما الولادة الثانية هى ولادة روحية تنشأ عن مشيئة الله ، ويصير بها الإنسان ابنًا لله بالمعمودية .

وتفصيل ذلك أن **خاصة السيد المسيح هم اليهود** . فالمسيح جاء أولاً من أجل اليهود . ولذلك **وُلد من أم يهودية** هى السيدة مريم التى من سبط يهوذا (العبرانيين ٧ : ١٤) ؛ (٨ : ٨) ؛ (الرؤيا ٥ : ٥) . وَوُلد فى بيت لحم بإقليم اليهودية بأرض يهوذا (متى ٢ : ١و٥و٦و٨) ؛ (ميخا ٥ : ٢) ؛ (يوحنا ٧ : ٤٢) . وقيل عنه **إنه يهودى** (يوحنا ٤ : ٩) ودُعِىَ « **ملك اليهود** » (متى ٢ : ٢) ؛ (٢١ : ٥) ؛ (٢٧ : ١١و٢٩و٣٧) ؛ (مرقس ١٥ : ٢و٩و١٢و١٨و٢٦) ؛ (لوقا ٢٣ : ٣و٣٧و٣٨) ؛ (يوحنا ١٨ : ٣٣و٣٩) ؛ (١٩ : ٣و١٩و٢١) . وسُمى « ملك إسرائيل » (يوحنا ١ : ٤٩) ؛ (متى ٢٧ : ٤٢) ؛ (مرقس ١٥ : ٣٢) ؛ (يوحنا ١٢ : ١٣) .

وقال السيد المسيح له المجد : « لأن الخلاص إنما هو من اليهود » (يوحنا ٤ : ٢٢) .

ولقد عَدَّ الرَّب اليهود ، أو بنى إسرائيل ، خاصته إذ قال لموسى النبي « هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بنى إسرائيل .. فالآن إن سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى - **تكونون لى خاصة** من بين جميع الشعوب » (الخروج ١٩ : ٣ - ٥) وجاء فى سفْر المزامير : « لأن الربَّ قد اختار يعقوب لذاته وإسرائيل **لخاصته** » (المزمور ١٣٤ : ٤) . وجاء فى سِفْر نبوءة ملاخى النّبى « ويكونون لى ، قال رب الجنود ، فى اليوم الذى أنا صانع ، **خاصَّة** ، وأشفق عليهم كما يشفق الإنسان على ابنه الذى يخدمه » (ملاخى ٣ : ١٧) .

ولكن على الرغم من أن المسيح الرب جاء إلى اليهود ، وهم الذين يعدّون خاصته ، لأنه جاء من أم يهودية ، فإن اليهود مع ذلك رفضوه وتمرّدوا عليه ولم يقبلوه لقسوة قلوبهم وتصلُّب رقابهم .. واليهود الذين رفضوه هم رؤساء اليهود وقادتهم وزعماؤهم من الكهنة ورؤساء الكهنة والكتبة والفرّيسيين والصدُّوقيين ومَن انقاد إليهم وخضع لهم من عامة اليهود ، فكم من مرَّة ذكر الإنجيل المقدَّس أنهم كانوا يتذمَّرون عليه ويبتغون قتله (يوحنا ٧ : ١ و١٩ و٢٠ و٢٥ و٣٠ و٣٢ و٤٤ و٤٥) ؛ (١٠ : ٣٩) ؛ (١١ : ١٦ و٥٠ و٥١ و٥٣ و٥٧) . وكثيرًا ماشتموه وقالوا له « ألم نكن على صواب إذ قلنا إنك سامرى وبك شيطان ؟ » (يوحنا ٨ : ٤٨ و٤٨ و٥٢) ؛ (٧ : ٢٠) ؛ (١٠ : ٢٠) . وقالوا عنه إنه قد اختل عقله (مرقس٣ : ٢١) ؛ (يوحنا ١٠ : ٢٠) ؛ ورفعوا حجارة ليرجموه (يوحنا ٨ : ٥٩) ؛ (١٠ : ٣١) ؛ (١١ : ٨) . بل لقد « أصدروا قرارًا بأنه إذا اعترف أحد بأنه هو المسيح يُقطع من المجمع » (يوحنا ٩ : ٢٢) ؛ (١٢ : ٤٢) . وأخيرًا تآمروا عليه وصلبوه وقتلوه ، كما أشار هو

نفسه إلى ذلك فى مَثَل الكرم إذ قال « لكن الكرامين حين رأوا الابن تآمروا فيما بينهم قائلين بعضهم لبعض : هوذا الوارث هلمُّوا نقتله فيصير الميراث لنا ثم أمسكوه ومن ثَمَّ طرحوه خارج الكرم وقتلوه » (متى ٢١ : ٣٨و٣٩) ؛ (مرقس ١٢ : ٧و٨) ؛ (لوقا ٢٠ : ١٤و١٥) . وردّد نفس المعنى حين قال « ولكن أَهْل بلده إذكانوا يكرهونه أرسلوا فى إثره سفراء عنهم يقولون : لا نريد أن يملك هذا علينا »(لوقا ١٩ : ١٤) ؛ (الأعمال ٣ : ٢٦) .

وقد اتخذ السيد المسيح له المجد من رفض اليهود له تبريرًا لأن يفتح باب الخلاص للأمم من غير اليهود ، أى الوثنيين ، إذ قال « ولى خراف أخرى ليست من هذه الحظيرة ، ينبغى أن أجىء بها هى أيضا فتسمع صوتى ، ويكون ثمة رعية واحدة وراعٍ واحد » (يوحنا ١٠ : ١٦) ؛ (الأعمال ١٣ : ٤٦) . وقد عبَّر عن ذلك قائلاً :

« أما كل الذين قَبِلوه فأعطاهم السلطان لأن يكونوا أبناء الله ، أولئك هم المؤمنون بِاسْمِهِ » .

وذلك أن الله لا يفرض عطاياه على الناس ، لئلاً يكون بهذا قد قهرهم على أن يقبلوا نعمة على الرغم منهم . مما يتعارض مع الحرية الممنوحة لهم ابتداء ، إذ أنهم خُلقوا على صورة الله أحرارًا (يشوع ٢٤ : ١٥و٢٢) . لذلك فإذ جاء أولا إلى خاصته فرفضوه ولم يقبلوه ، قد فتح الطريق أمام كل الذين قَبِلوه وارتضوه وآمنوا به ، سواء أكانوا من اليهود أو من غير اليهود . فليس جميع اليهود قد رفضوه . وإنما رفضه قادة اليهود وزعماؤهم من الكهنة ورؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين والصدّوقيين ومَن انقاد إليهم ولكنَّ تلاميذه وَهُم من اليهود قَبِلُوا دعوته . وكثيرون آخرون من اليهود ومن رؤسائهم آمنوا به (يوحنا ١٢ : ٤٢) . ولعلَّ من أبرزهم نيقوديموس الذى جاء إلى السيد المسيح ليلاً (يوحنا

٣ : ١) . ويوسف الرامى (يوحنا ١٩ : ٣٨) . فمنح كل الذين قبلوه السلطان والحقَّ لأن يكونوا أبناء الله ، أى المنضوين تحت لوائه ، ممن قَبِلَهم وَقَبلُوه وصاروا من أتباعه وضمن نطاق مملكته . على أن هذه البُنَّوة لله بُنَّوة بالوضع لا بالطبع . فهى بُنُّوة بالتفضل والإنعام ولكنها ليست بالطبيعة . وهى إذَن بالتبنِّى . وبذلك تفترق افتراقًاجوهريًا وأساسيًا عن بُنُّوة السيد المسيح لله ، فالمسيح ابن الله الحىّ (متى ١٦ : ١٦) بالطبع ، لأنه من طبيعة الله ومن جوهره ، فهو واحد معه فى الجوهر (يوحنا ١٠ : ٣٠) . وهو « صورة الله الغير المنظور » (كولوسى ١ : ١٥) . وهو « الله الذى ظهر فى الجسد » (١ . تيموثيئوس ٣ : ١٦) . وقد جاء فى رسائل الرسل : « لأن كل الذين ينقادون بروح الله . فأولئك هم أبناء الله . إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضًا للخوف ، بل أخذتم روح التبنّى الذى به نصرخ ياأبا الآب . الروح نفسه أيضًا يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله . فإن كنا أولادًا فإننا وَرَثة أيضًا ، وَرَثَة الله ووارثون مع المسيح » (روما [رومية] ٨ : ١٤ – ١٧) . وأيضا « أنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله » (١ . يوحنا ٣ : ١).انظر أيضًا (متى ٥ : ٩) ؛ (لوقا ٢٠ : ٣٦) ؛ (يوحنا ١١ : ٥٢) ؛ (روما [رومية] ٨ : ١٩) ؛ (غلاطية ٣ : ٢٦) .

أولئك الذين آمنوا بابن الله وكلمته قد وُلدوا ولادة ثانية .. « **ولدوا لا من دم ، ولا من مشيئة جسد ، ولا من مشيئة إنسان ، وإنما من الله** » فَهُم بالإيمان بالسيد المسيح صاروا أصحاب حق وسلطان أن يكونوا أولاد الله . وليس هذا بفعل الإيحاء الذاتى عند الذين آمنوا ، ولكن إذ آمنوا أعطوا الله مجالاً لفعاليات العمل الإلهى فيهم للولادة الجديدة من الله ، فالمؤمنون يقبلون بعد إيمانهم بالمسيح سِرَّ العماد المقدس ، وبالمعمودية يولدون « الميلاد الثانى من الماء والروح » (يوحنا ٣ : ٣ و٥) . « فيغتسلون » من خطاياهم السابقة » (الأعمال ٢٢ : ١٦) ؛

(أفسس ٥ : ٢٦) . وهذا كله يتم بحلول روح القدس على مياه المعمودية فتتحوَّل إلى مياه ملتهبة بنار ، فيصير الغماد بروح القدس وبالنار (متى ٣ : ١١) ، (لوقا ٣ : ١٦) . وجاء فى الكتاب المقدس : « حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه ، لا بأعمال فى بِرٍّ عملناها نحن . بل بمقتضى رحمته خلَّصَنَا بِغَسل **الميلاد الثانى** وتجديد الروح القدس » (تيطس ٣ : ٤ و٥) . **فهذه الولادة** الجديدة هى ولادة من فوق (يوحنا ٣ : ٣) لا من الأرض . **فهى** ولادة ثانية غير الولادة الأولى التى تتم من الأَب والأم . و« **الدم** » المتكون منهما معًا ، والذى يسرى فى الجنس البشرى كله متَّصلاً بالإنسان الأول آدم ، إذ « صنع من **دم واحد** كل أمة من الناس يسكنون على وجه الأرض كلها » (الأعمال ١٧ : ٢٦) ، وتسرى فيه الخطيئة الأَصلية إلى كل الجنس البشرى (روما [رومية] ٥ : ١٢) .

الذين وُلِدوا من الله الولادة الثانية ولدوا لا من دم الأَب والأم ، ولا من مشيئة جسد بشهوة الزواج التى قال عنها داود النبى « بالآثام حُبِل بى ، وبالخطيئة اشتهتنى أمى » (المزمور ٥٠ : ٥) ولا من مشيئة إنسان ، « وأنتم إذ كنتم أمواتًا بالذنوب والخطايا التى سلكتم فيها قبلاً .. نحن أيضًا جميعًا تصرَّفنا قبلاً .. فى شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار . وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضًا .الله الذى هو غنى فى الرحمة من أجل محبته التى أحبّنا بها ، ونحن أموات بالخطايا أحْيانَا مع المسيح . بالنعمة أنتم مُخلَّصون . وأقامنا معه .. لأنكم بالنعمة مخلَّصون بالإيمان . وذلك ليس منكم ، هو عَطيَّة الله . ليس من أعمال كَيْلا يفتخر أَحَد ، لأننا نحن عمله ، مخلوقين فى المسيح يسوع » (أفسس ٢ : ١ - ١٠) .

هذا هو الفارق العظيم بين الولادة الثانية من الله ، من الماء والروح القدس ،

والتى نالها فى المعموديَّة ، والولادة الأولى التى نناها من الأب والأُم ، من خلال دم الأبوين ، ومشيئة الجسد بالشهوة ، ومشيئة الإنسان فى الزواج وبه .

إن الولادة الثانية هى من الله للمؤمنين بالمسيح ، وهى ولادة حقيقية من فوق ، بنعمة المسيح التى تهبط من السماء باستدعاء الروح القدس ، فيغيِّر طبع الماء ، فتصير لمياه المعمودية القدرة على أن تطهر المؤمنين من الإنسان العتيق ، وتغسل الخطيئة الأصلية فيه ، وتخلق منه إنسانًا جديدًا بالمسيح . وهذه هى الخليقة الجديدة ... « إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة . الأشياء العتيقة قد مضت . هُوَذا الكل قد صار جديدًا » (٢. كورنثوس ٥ : ١٧) ، لأنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئًا ولا الغرلة ، بل الخليقة الجديدة » (غلاطية ٦ : ١٥) .

ومرة أخرى ليس يتم هذا الخلق الجديد بمجرَّد إيمان المؤمن . إنما الإيمان يهيِّىء للمؤمن أن يَقبل عَمَل الروح القدس الآتى من فوق ، من عند الله ، « لأنكم جميعًا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع . لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح » (غلاطية ٣ : ٢٦و٢٧) .



١ : ١٤

« **والكلمة اتخذ جسدًا . وحَلَّ بيننا** » ، وهذا هو السِّرُّ الأعظم الذى تنطوى عليه العقيدة المسيحية ، والذى يقف أمامه العقل البَشرىُّ ذاهلاً مبهورًا . ولولا أننا تلقيناه بوحى من الله إلى أنبيائه القديسين ، وبتصريح واضح صريح من السيد المسيح الذى آمنَّا به أصدق الإيمان وأعمق الإيمان ، لما استطعنا أن نرتفع بكياننا المادى الأرضى إلى مستوى دلالته الروحية السمائية . فإن كلمة الله الذى هو الله ذاته المالئ السماء والأرض ، الأزلىّ الأبدىّ ، العزيز الجبار ، الخالق لكل شىء ، والقادر على كل شىء الذى لا يحدّه زمان ولا مكان ، قد شاءت حكمته ورحمته وقدرته أن يتنازل فيتخذ جسدًا بشريًّا ترابيًّا كأجساد البشر المخلوقة من التراب ، ويحلّ بينهم كواحد منهم ، ليفديهم – كما قرَّر هو نفسه – ويكفِّر فى هذا الجسد الذى يشبه أجسادهم عن خطيئتهم التى ارتكبوها واستحقوا عنها لدى العدل الإلهى الهلاك والموت . ولمَّا كانت ذبيحة التكفير عن الخطيئة ينبغى أن تكون طاهرة ، لم يَعُد أحد من البَشَر صالحًا لأن يكفِّر عن سائر البشر ، بعد أن نجستهم الخطيئة جميعًا ، ومن ثَم ارتضى – له المجد – أن يقدِّم نفسه ، وهو الطاهر طهارة كاملة ، ذبيحة عنهم ، لا لأنه محتاج إليهم ، ولكن لأنه أحبهم وهم خليقته حب الأب لأبنائه ، والراعى لرعيته . وقد أراد أن يرحمهم من عاقبة الحكم الذى أصدرته عدالته عليهم ، لأنه كما أنه إله عادل عدالة مطلقة ، فهو كذلك إله رحيم رحمة مطلقة ، على مقتضى كماله الإلهى الذى لا تجور فيه صفة من صفات الكمال على صفة . وإنما تجتمع له تلك الصفات كلها متعادلة متكاملة .

وعلى هذه الصورة المذهلة المبهرة ، ولهذه الحكمة الإلهية السمائية السامية اتخذ كلمة الله جسدًا بشريًّا وحلَّ بين البَشَر ليروْا فيه الله الغير المنظور بأعينهم ،

ويسمعوا كلمته بآذانهم ، وليخلِّصهم بموته فى الجسد من لعنة الموت الذى استحقوه جزاء خطيئتهم . وعلى الرغم من أن سائر اليهود قد عميت أبصارهم وبصائرهم عن أن يدركوا حين رأوه – وقد اتخذ جسد إنسان فقير بسيط متواضع – أنه هو ابن الله وأنه هو كلمة الله . وأنه هو الله . فإن تلاميذه الذين التصقوا به ولازموه وخالطوه وسمعوا وصاياه ورأوا معجزاته ، عرفوا حقيقته الإلهية . ولذلك يشهد القديس يوحنا وهو أحد هؤلاء التلاميذ قائلا : « **وقد أبصرنا مجده ، مجد الابن الوحيد لأبيه ، الممتلئ من النعمة والحق** » . أى أنهم قد تكشف لهم مجد لاهوته وهو فى جسد ناسوته ، وأدركوا أن هذا هو ابن الله الوحيد ، الذى تسمو بُنُوَّته عن أن تكون كبنُوَّة سائر البشر لله ، على مقتضى القول بأن البشَر جميعًا هم أبناء الله . لأن بنُوته لله – كما سبق أن رأينا – إنما هى بنُوة فريدة فى طبيعتها ، لا يتمتع بها إلا هو وحده ، لأنه من جوهر الله ذاته . فهو ابن الله ، وهو الله فى الوقت ذاته . ولذلك يصفه القديس يوحنا بأنه « **الممتلىء من النعمة والحق** » وهذه صفة لاتنطبق على أحد من البشر ، وإنما تنطبق على الله وحده ، الذى هو النعمة الخالصة ، والحق المطلق ، لأن ابن الله وكلمته حين اتخذ جسدًا بشريًا ، شَابَه البَشَرَ فى كل شىء ، إلا فى صفة واحدة هى أنه ظلَّ طاهرًا طهارة كاملة ، صادقًا صدقًا مطلقًا ، ينطوى على النعمة فى شخصه ويسبغها على المؤمنين به . ويتمثل الحق فى شخصه ويقيم عليه كل تعاليمه .

إن الكلمة الأزلّى الذى كان منذ الأزل لدى الله ، وهو الله ذاته ، العقل الأعظم ، والحياة ذاتها ، وباعث الحياة فى الوجود وفى كل الخَلْق ، لأن « فيه كانت الحياة » و « كان العالم به » ، بل « كل شىء به كان ، وبغيره لم يكن شىء مما كان » . وهو « النور الحقيقى » الذى أضاء على الجالسين فى الظلمة .. هذا الكلمة الأزلى « **اتخذ له جسدًا** » **من طبيعة جسدنا . استتر فيه ، وصار له**

حجابًا ، **حتى لا تحترق** الأرض ومن عليها وما عليها بنزوله إليها وسكنه فيها وعليها ، «لأن إلهنا نار آكلة» (العبرانيين ١٢ : ٢٩) ؛ (الخروج ٢٤ : ١٧) ؛ (التثنية ٤ : ٢٤) ؛ (٩ : ٣) ؛ (اشعياء ٢٩ : ٦) ؛ (٣٠ : ٣٠) .

فلو ظهر المسيح ، الله الكلمة ، بكمال لاهوته ، ولو لم يحتجب فى جسد ، فَمن من الناس كان يمكنه أن يعيش ؟ لقد قال الله لموسى « لأن الإنسان لا يرانى ويعيش » (الخروج ٣٣ : ٢٠) . وقال إشعياء النبى « مَنْ مِنَّا يسكن فى نار آكلة ؟. مَنْ منَّا يسكن فى وقائد أبدية ؟ » (إشعياء ٣٣ : ١٤) .

لقد « **اتخذ الله جسدًا** » من قبل ، فظهر لآدم وحواء فى الجنة « وسمعا صوت الرب الإله ماشيًا فى الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الربّ الإله فى وسط الجنّة . فنادى الربُّ الإله آدم وقال له : أين أنت ؟. فقال : إنى سمعت صوتك فى الجنة فخشيت ، لأنى عريان ، فاختبأت » (التكوين ٣ : ٨ - ١٠) .

و « **اتخذ جسدًا** » فظهر مَلكًا وكاهنًا فى صورة مَلْكى صادق ملك شاليم (أى ملك السلام) ، وبارك إبراهيم الخليل وقدَّم له إبراهيم العشور من كلِّ شىء » (التكوين ١٤ : ١٨ - ٢٠) ؛ (العبرانيين ٧ : ١ - ٢٥) .

و « **اتخذ جسدًا** » وظهر ومعه ملاكان لإبراهيم أبى الآباء عند بلّوطات ممْرا وهو جالس فى باب خيمته وقت حَرِّ النهار ، وبارك إبراهيم ، ووعده بإسحق ابنًا واستشفع لديه إبراهيم فى خلاص سدوم وعَموره (التكوين ١٨ : ١ - ٢٣) .

و « **اتخذ جسدًا** » وظهر ليشوع بن نون عند أريحا فى هيئة رئيس جُنْد . ولَمَّا

سأله يشوع عن شخصيته قال له « اخلع نعليك من رجليك ، فإن الموضع الذى أنت قائم فيه هو مقدَّس . فصنع يشوع كذلك . وسقط يشوع على وجهه على الأرض وسَجد » (يشوع ٥ : ١٣ - ١٥) ، وهى نفس العبارة التى قالها الرب لموسى النبى عندما ظهر له فى العليقة وقال له « اخلع نعليك من رجليك فإن الموضع الذى أنت قائم فيه أرض مقدسة » (الخروج ٣ : ٥) .

و« **اتخذ جسدًا** » وظهر لأشعياء النبى « جالسًا على عرش عال ومرتفع ، وأذياله تملأ الهيكل . من فوقه السرافيم قائمون .. فقلت ويل لى . إنى قد هلكت لأنى رجل دنس الشفتين.. وقد رأت عيناى الملك رب الجنود » (إشعياء ٦ : ١ - ٧) .

واتّخذ جسدًا وظهر للنبىّ حزقيال جالسا على العرش فى السماء « شبه عرش كمنظر العقيق الازرق ، وعلى شبه العرش شبه كمنظر إنسان عليه من فوق » (حزقيال ١ : ٢٦) .

و « **اتخذ جسدًا** » وظهر لدانيال النبى على سحب السماء مثل ابن إنسان .وله سلطان ومجد وملكوت ، فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه ، وسلطانه سلطان أبدى لن يزول . وملكه لا ينقرض (دانيال ٧ : ١٣ و١٤) .

لكن الكلمة عندما اتخذ جسدًا فى القديم قبل ميلاده من العذراء مريم ، لم يكن جسده من طبيعة جسدنا ، يحُبل به فى البطن لمدة تسعة أشهر (لوقا ٢ : ٦و٧) ، ثم يولد (روما [رومية] ١ : ٣) ؛ (غلاطية ٤ : ٤) . وينمو قليلاً قليلاً إلى قامة الإنسان الكامل (لوقا٢ : ٥٢) . إنما كان صورة يتراءى بها لعين الإنسان ثم يختفى . قال الوحى الإلهى : « لما حَان مِلْءُ الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة ، مولودًا تحت الشريعة ليفتدى الذين تحت الشريعة ، لتنال التبنِّى » (غلاطية ٤ : ٤و٥) .

والعبارة اليونانية المقابلة لقول الإنجيل « والكلمة اتخذ جسدًا » هى

σὰρξ ἐγένετο تفيد حرفيًّا « صار له جَسَد » ، وأما العبارة في اللغة العبرانية فهى « لَبِس جَسدًا » ... לָבַשׁ בָּשָׂר

وفى اللغة القبطية – ⲁϥⲉⲣ ⲟⲩⲥⲁⲣⲝ أى أخذ أواتخذ جسدًا .

والمعنى أن « الكلمة » اتخذ له جسدًا ... « عظيم هو سرّ التقوى .الله ظهر فى الجسد » (١ . تيموثيئوس ٣ : ١٦) . ولكنه مازال هو الكلمة ، فهو لم يتغير ولم يتحوَّل ولم يفقد بالتجسُّد طبيعته الإلهية .. « أنت الذى بغير تحوُّل تجسَّدْتَ وتأنَّسْتَ وشابهتنا فى كل شيء ماخلا الخطيئة وحدها » (القداس الغريغورى – صلاة الصلح) .

وكما يقول القديس أثنا سيوس الرسولى : «كان ولم يزل إلهًا » وهذا يوافق قول الوحى الإلهى « المسيح بحسب الجسد الكائن على الكل الإله المبارك إلى الأبد » (رُوما [رومية] ٩ : ٥) .

إتخذ جسدًا أى « جاء فى الجسد » (١ . يوحنا ٤ : ٢) . ولم يكن هذا الجسد مجرّد صورة أو إطار ، لكنه جسد حقيقى له عظام ولحم (لوقا ٢٤ : ٣٩) . ولقد تكوَّن من دم العذراء مريم . ولما لم يكن هناك زرع رجل (متى ١ : ١٨)؛(لوقا ١ : ٣٤) ، فقد حَلَّ الروح القدس على العذراء مريم (متى ١ : ٢٠)؛ (لوقا ١ : ٣٥). وصنع من دمها جسَدًا... «هيَّأْتَ لى جَسَداً » (العبرانيين ١٠ : ٥) . وبعد تهيئته نزل الكلمة الإلهى واتحد به اتحادًا لا يُعبَّر عنه ولا يوصف ولا يُدرك . لكنه على قول الآباء والمجامع المقدَّسة ، مسكونية ومحليَّة ، إتحاد كامل تام لا يقبل الانقسام أو الانفصال أو التقسيم أو التجزئة أو المفارقة . ثم إنه اتحاد بغير اختلاط ، وبغير امتزاج أو تغيير . وعلى ذلك فليس له فى عالم الطبيعة المادية نظير . وإذا كان له شبيه مع الفارق الكبير فهو – على قول البابا كيرلس الإسكندرى رئيس مجمع أَفَسُس الأول عام ٤٣١ للميلاد –

شبيه باتحاد النار بالحديد : إذا ماوُضِع قضيب من حديد فى النار لمدة طويلة فإنه يتوهج بالنار ويَحرق ، ولكن دون أن يفقد الحديد أو النار بالاتحاد خصائصهما . فالحديد باق بصفاته من حيث هو كتلة صلبة لها شكلها وحجمها ووزنها . وكذلك النار باقية بخصائصها وهى التوهج والإحراق . وعلى قول البابا ديوسقوروس الإسكندرى ، إنّه شبيه باتحاد النار بالفحم ، فصار بفضل هذا الاتحاد جمرًا له خصائص الفحم من حيث الكتلة والوزن والحجم والصلابة ، وله خصائص النار من حيث التوهج والإحراق .

هذا الاتحاد بين الكلمة وبين الجسد ، أى بين اللاهوت والناسوت ، اتحاد حقيقى لا يمكن فصمه ، كَمَثَل الحديد إذا اتحد بالنار لا يمكن الفصل بينهما ، وَكَمَثَلِ الفحم إذا اتحد بالنار لا يمكن الفصل بينهما . ولذلك فهو اتحاد حقيقى وليس من قبيل الجمع أو الضم وإنما صار الاثنان (اللاهوت والناسوت) كُلاً واحدًا ، أقنومًا واحدًا ، وطبيعة واحدة جمعت بين خصائص اللاهوت وخصائص الناسوت معًا . وهذا هو بالضبط معنى عبارة القديس كيرلس عمود الإيمان التى تبنتها من بعده الكنيسة المسيحية شرقًا وغربًا : « طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسِّد »

« **وحل بيننا** » وفى اللغة العبرانية « سَكَن بيننا » וַיִּשְׁכֹּן أى أن الحلول هنا ليس بالمعنى العادى لكلمة الحلول فى مفهومها العربى . فإن الحلول بمعناه الحرفى فى اللغة العربية يفيد « النزول فى المكان » . وحلول الكلمة بيننا لا بمعنى النزول فى المكان كأنه لم يكن فيه من قبل إذ أن الله بطبيعته حال فى كلِّ مكان . ولا يخلو منه مكان . ولكن الحلول هنا هو بمعنى أنه صار للكلمة كيان منظور فى المكان على الأرض ، مع أنه كان له فيه من قبل كيان غير منظور . وحيث إن الله يوصف دائمًا بالنسبة للإنسان أنه فى السماء وعرشه فى السماء ، وذلك على الرغم من أنه معروف أنه كائن فى السماء وعلى الأرض وكل مكان .

فإذا صار له على الأرض كيان منظور ، فقد نزل بالنسبة إلى الإنسان أو حَلَّ فى المكان .

وفى الترجمة القبطية نقرأ « وحلَّ فينا »
أى أنه سَكَنَ ليس فقط فى أرضنا وإنما سَكَن فى طبيعتنا ، أى سَكَن فى الجَسَد المطابع لجسدنا . وبذلك شاركنَا فى كل شىء .. « فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضًا كذلك فيهما لكى يُبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت ، أى إبليس ، ويعتق أولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعًا كل حياتهم تحت العبودية .. مِنْ ثَمَّ كان ينبغى أن يشبه إخوته فى كل شىء .. حتى يكَفِّر خطايا الشعب » (العبرانيين ٢ : ١٤ و١٥ و١٧).وبهذا يكشف لنا الكتاب المقدس عن سبب آخر للتجسُّد الإلهى . فليس الهدف من تجسُّد الكلمة هو فقط التواجد مع البَشَر محبَّة فيهم ورحمة بهم «مشاركة لهم فى حياتهم ، وهو أقصى الحب واللطف الإلهى . وإنما الهَدف الآخر هو الفداء ، وخلاص الإنسان . وذلك بأن يتخذ الإله له جسدًا يحتمل فيه الحكم بالموت بدلاً من الإنسان . وبذلك يفدى الإنسان من العذاب الأبدى المحكوم به عليه لمخالفته للوصية . وفى هذا يتجلَّى عدل الله كما تتجلَّى فيه محبته . فى الصليب تلتقى محبة الله وعدله .. « الرحمة والحق التْقيَا . البِرُّ والسلام تلاثما » (المزمور ٨٤ : ١٠) .

يقول القديس أثنا سيوس الرسولى : « إذا كان (الكلمة) مخلوقًا ، فما كان يمكن أن يتخذ الجسد المخلوق ليحييه إذ ماهو النفع الذى تحصل عليه الخلائق من مخلوق هو نفسه بحاجة إلى الخلاص ؟.. ولكن لما كان (الكلمة) هو الخالق الذى خلق المخلوقات ، لذلك فى ، آخر الدهور لَبِسَ (الكلمة) المخلوق ، حتى بوصفه الخالق يقدِّس المخلوق ويشفيه . إذ أن المخلوق لا يمكن أن يخلِّصُ المخلوق . كما أنه لا يمكن لمخلوق أن يخلق مخلوقات مالم يكن (الكلمة) هو

الخالق » (الرسالة رقم ٦٠ للقديس أثناسيوس الرسولى إلى الأسقف أديلفيوس فقرة ٧) .

وفى حلول « الكلمة » فى طبيعتنا صرنا نحن فيه « شركاء الطبيعة الإلهية » (٢ . بطرس ١ : ٤)

« **وقد أبصرنا مجده ، مجد الابن الوحيد لأبيه ، الممتلىء من النعمة والحق** » .

ولعلَّ القديس يوحنا كاتب هذه البشارة يشير إلى كثير من الأحداث التى ظهر بها مجد المسيح ، ومنها المعجزات التى أجراها السيد المسيح له المجد بسلطان لاهوته (يوحنا ٢ : ١١) . فقد كان يشفى المرضى ، ويطَهر الُبْرصَ ، ويقيم الموتى (يوحنا ١١ : ٤٠) . ويُخرج الشياطين بلمسة منه أو بكلمة .. « لأن قوة كانت تخرج منه فتبرئهم جميعًا » (لوقا ٦ : ١٩) ؛ (٨ : ٤٦) ؛ (٥ ؛ ١٧) ؛ (مرقس ٥ : ٣٠) – انظر (إشعياء ٤٠ : ٥) .

ولعلَّ القديس يوحنا يشير إلى شهادة الآب السماوى عنه فى نهر الأردن . إذ « انفتحت السماء له . ونزل عليه الروح القدس فى صورة جسم يشبه الحمامة ، وجاء صوت من السماء يقول : أنت هو ابنى حبيبى الذى به سُررت » (لوقا ٣ : ٢٢) ؛ (متى ٣ : ١٦ و١٧) ؛ (مرقس ١ : ١٠ و١١) .

ولعلّه يشير بالأحرى إلى **مجده** الذى تجلى على جبل تابور حين تَغَيَّرت هيئته متجلِّياً أمام ثلاثة من تلاميذه ، وكان من بينهم يوحنا نفسه ومعه بطرس ويعقوب . فأضاء وجهه كالشمس ، وصارت ثيابه بيضاء كالنور ، متألقة كالبرق ، ناصعة كالثلج حتى ليعجز أى قَصَّار على الأرض عن أن يجعلها فى مثل

بياضها . وإذا رجلان وهما موسى وإيليا ، قد ظهرا له يخاطبانه .. وفيما هو يتكلّم إذا سحابة من نور غمرتهم ، وإذا صوت من السحابة يقول : هذا هو ابنى حبيبى الذى به سُررت فله اسمعوا » (متى ١٧ : ١ – ٥) ؛ (مرقس ٩ : ١ – ٦) ؛ (لوقا ٩ : ٢٨ – ٣٥) .

ويبدو أن هذه الرؤيا كانت لا تزال فى ذهنه عندما شرع القديس يوحنا يقول فى مطلع رسالته الأولى عن سيده المسيح مخلّصنا : « ذاك الذى كان من البدء . ذاك الذى سمعناه . ذاك الذى رأيناه بعيوننا ، ذاك الذى شاهدناه ولمَسَته أيدينا ، من جهة كلمة الحياة . فإنَّ الحياة أُظهرت . وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وأظهرت لنا » (١ . يوحنا ١ : ١ – ٣) .

بل لقد كان فى ذهنه ماهو أقوى مما رآه على جبل التجلّى وهو مارآه فى رؤياه العظيمة حين رأى مجد المسيح كما وَصَفَه وبُهر به ، إذ رآه فى بهاءٍ أَعظم مما رآه على جبل التجلّى . رأى وجهه يضىء كالشمس وهى تضىء فى اشتدادها . وسيف ماض ذو حَدَّين يخرج من فمه . ثم يقول : « فلما رأيته سقطت عند رجليه كميِّتٍ ، فوضع يده اليمنى على رأسى قائلا : لاتَخفْ . أنا هو الأوَّل والآخِر ، والحىُّ وَقَد مُتُّ وهأنذا حىٌّ إلى أبد الآبدين آمين . ولى مفاتيح الهاوية والموت » (الرؤيا ١ : ١٠ – ١٨) .

أما بطرس الرسول ، فهو أيضًا لم ينْسَ بهاء المسيح له المجد وَعَظَمَته التى تجلَّت على جبل تابور فأنشد يقول فى رسالته : « لأننا لم نَتَّبِعْ خُرافات مصُنَّعة ، إذ عرَّفناكم بقوة ربِّنا يسوع المسيح ومجيئه ، بل قد كنا معاينين **عَظمَتهُ** ، لأنه أخذ من الله الآب كرامة **ومجدًا** ، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنَى : هذا هو ابنى حبيبى الذى به سُررت . ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء ، إذ كُنَّا معه فى الجبل المقدّس » (٢ . بطرس ١ : ١٦ – ١٨) .

« مجد الابن الوحيد لأبيه »

إن مجد المسيح ليس مجدَ نبّى ، ولا مجد واحد ممَّن يصدق عليهم أنهم أبناء الله بالتبنِّى (يوحنا ١ : ١٢و١٣) .

لكنه مجد « **الابن الوحيد** » الذى لا يشاركه أحد من البشَر أو الملائكة فى هذا النوع من البنوَّة ، فهو الابن الوحيد الذى ليس له نظير :

وقد وَرَدَ وصف السيد المسيح أو « الكلمة » بوصفه « الابن الوحيد للآب » أو « ابن الله الوحيد » فى أكثر من موضع من الإنجيل . فإلى هذا الموضع يرد قوله مرة أخرى « الله لم يره أحد قط ، الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه » (يوحنا ١ : ١٨) . وهنا يصفه بأنه « الذى فى حضن الآب » أى فى عُمق الآب ، وفى ذات جوهره ، حيث أن الآب ليس له حضن كما للإنسان حضن . فحضن الآب هو ذاته ، وأعماقه ، وجوهره .. فليس مولودًا منه على نحوالولادة فى عالم الإنسان ، لكنه قائم فيه وكائن معه فى ذات الجوهر .

وجاء بعد ذلك قوله : « لأنه إلى هذا المدى أحبَّ الله العالم ، حتى إنه بذل **ابنه الوحيد** ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية . لأن الله لم يرسل **ابنه** إلى العالم ليدين العالم ، وإنما ليخلِّص به العالم . فالذى يؤمن به لايُدان . وأما الذى لا يؤمن فقد أدين لأنه لم يؤمن باسم **ابن الله الوحيد** » (يوحنا ٣ : ١٦ - ١٨) .

وجاء فى رسالة القديس يوحنا الأولى قوله : « بهذا أُظْهِرت محبة الله فينا أنَّ الله قد أرسل **ابنه الوحيد** إلى العالم لكى نحيا به » (١ . يوحنا ٤ : ٩) .

ويلاحظ أن الكلمة اليونانية المترجمة « الابن الوحيد » وهى

تفيد حرفيًّا « **الابن الوحيد الجنس** » أى الفريد فى نوعه وجنسه ، المتفرِّد وليس له نظير . ولعله لهذا السبب تميز السيد المسيح بشهادة الآب السماوى أنه « ابنى الحبيب » أو كما جاء فى الترجمة القبطية « ابنى حبيبى » (متى ٣ : ١٧) ؛ (١٧ : ٥) ؛ (مرقس ١ : ١١) ؛ (٩ : ٧) ؛ (لوقا ٣ : ٢٢) ؛ (٩ : ٣٥) ؛ (٢٠ : ١٣) .

يقول القديس أثنا سيوس الرسولى إن (الابن) ؛ وهو فى طبيعته الإله الحق ، وهو (الكلمة) ، وهو حكمة (الآب) ، قد صار بمسرَّة (الآب) إنسانًا فى الجسد من أجل خلاصنا جميعًا ، ويعتق أولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعًا كل حياتهم تحت العبودية » (العبرانيين ٢ : ١٥) فإنه ليس مجرد إنسان مَنْ بَذَل حياته من أجلنا ، إذ أن كل إنسان هو تحت حكم الموت وفقًا لما قيل للجميع فى آدم : « إنك تراب وإلى التراب تعود » (التكوين٣ : ١٩) . وليس مخلوقا ، فإن كل مخلوق قابل للتغيّر . لكن (الكلمة) بذل جسده عنا حتى لا تكون ثقتنا ورجاؤنا فى إنسان ، وإنما لتكون ثقتنا فى الله (الكلمة) ذاته ، حتى إنَّه إذ صار إنسانًا « أبصرنا مجده ، مجد الابن الوحيد لأبيه . الممتلىء من النعمة والحق » ، لأنَّ ماقَبِله (الكلمة) فى جسده قد مجَّده من حيث هو الله . إنه جاع فى الجسد ، لكنه كإله أشبع الجياع .. إنه كإنسان سأل عن لعازر أين وضعوه . لكنه كإله أقامه من بين الأموات . فلا يسخر أحد إذا دُعى (الكلمة) طفْلاً ، وذُكر عن سنِّه ونموِّه وأكله وشُربة وآلامه ، لئلا إذا أنكر مايخص الجسد أنكر أيضًا تمامًا أنه أقام فيما بيننا . وكما أنه لم يصِر بطبيعته إنسانًا كذلك كان مقبولاً أنه إذ اتخذ جسدًا كان يلزم أن يظهر مايَخصّ الجسد ، حتى لا يظن أحد ماظنه « مانى » أنه اتخذ جسدًا خياليًا . كذلك كان من المناسب ، وقد اتخذ جسدًا ، أن لا يخفُى مايخص لاهوته حتى لا يجد بولس الساموساطى ما يبررّ ادعاءه عن الكلمة أنه إنسان متميز فى شخصه عن الله الكلمة » (رسائل

القديس أثناسيوس – الرسالة ٦١ إلى مكسيموس فقرة ٣) .

وأمَّا أنه « **الممتلىء من النعمة والحق** » فلأنه المُدَّخَر فيه جميع كنوز النعمة ، إذْ « فيه يحل كل ملء اللاهوت » (كولوسى ٢ : ٢و٣و٩و١٠) وهو واهب كلِّ نعمة . ومنه تصدر كل نعمة « لأن فيه سُرَّ أن يَحلَّ كل الملء » (كولوسى ١ : ١٩) . ولذلك قال الإنجيل عن الربِّ يسوع « فكان الجميع يشهدون له ، ويتعجبون من **كلمات النعمة التى كانت تخرج من فمه**» (لوقا ٤ : ٢٢) .

وقد تمَّ الخلاص من فيض نعمته .. « متبررين مجَّانًا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح » (روما [رومية] ٣ : ٢٤) ؛ (تيطس ٣ : ٧) ؛ (روما [رومية] ٥ : ٢و١٥و٢٠و٢١) ؛ (١ : ٥) ؛ (٦ : ١٤) ؛ (١١ : ٥و٦) ؛ (غلاطية ٥ : ٤) ؛ (أفسس ٢ : ٨) ؛ (٤ : ٧) ؛ (٢ . كورنثوس ٨ : ٩) ؛ (أفسس ١ : ٦) ؛ (٢ : ٧) ؛ (٢ . تيموثيئوس ١ : ٩) ؛ (٢ : ١) ؛ (١. بطرس ١ : ١٠) ؛ (٥ : ١٠) .

وقد صارت **نعمة الخلاص** التى تُفَاضُ منه على المؤمنين **دعاء وبَرَكة** يسألونها ويلتمسونها منه :

فى رسائل الآباء الرُّسُل ، نجدهم يستحدرون النعمة على كنيسة الله وعلى المؤمنين فى مقدمة الرسالة وفى ختامها .

فى مقدمة الرسالة يقول الرسول « **نعمة لكم وسلام من الله أبينا وربنا يسوع المسيح** » (روما [رومية] ١ : ٧) ؛ (١ . كورنثوس ١ : ٣) ؛ (٢ . كورنثوس ١ : ٢) ؛ (غلاطية ١ : ٣) ؛ (أفسس ١ : ٢) ؛ (فيلبى ١ : ٢) ؛ (كولوسى ١ : ٢) ؛ (١ . تسالونيكى ١ : ١) ؛ (٢ . تسالونيكى ١ : ٢) ؛ (١ . تيموثيئوس ١ : ٢) ؛ (٢ . تيموثيئوس ١ : ٢) ؛ (تيطس

١ : ٤) ؛ (فليمون:٣) ؛ (٢ . يوحنا ٣) .

وفى ختام الرسالة : « نعمة ربنا يسوع المسيح معكم ، آمين » (روما [رومية] ١٦ : ٢٠و٢٤) .

وقد صيغت فى البركة الرسولية على النحو الآتى : « **نعمة ربنا يسوع المسيح** . ومحبة الله الآب ، وشركة الروح القدس مع جميعكم » (٢ . كورنثوس ١٣ : ٤) . وصار العرش الإلهى ذاته يعرف بـ« عرش النعمة » (العبرانيين ٤ : ١٦) .

وأما أن السيد المسيح الكلمة هو الممتلىء من الحق ، فلأنه **هو الحق ذاته** . قال المسيح « **أنا هو الطريق والحق والحياة** » (يوحنا ١٤ : ٦) . وجاء فى سفر الرؤيا « واكتب إلى ملاك الكنيسة التى فى فيلادلفيا ، هذا يقوله القدوس **الحق** الذى له مفتاح داود ، الذى يفتح ولا أحد يغلق ، ويغلق ولا أحد يفتح » (الرؤيا ٣ : ٧) ؛ (٦ : ١٠)

ومن ثم فمن يتبعه « **يحيا فى الحق** » و« **يعرف الحق** » . جاء فى رسالة القديس يوحنا الأولى : « ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة ، **لنعرف الحق** ، **ونحن فى الحق** فى ابنه يسوع المسيح . هذا **هو الإله الحق** والحياة الأبدية » (١ . يوحنا ٥ : ٢٠) . قال المسيح له المجد « إن ظللتم متمسكين بكلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى **وتعرفون الحق** ، والحق يحرركم » (يوحنا ٨ : ٣١و٣٢)

ولأنه هو الحق ، فهو « **يعلن الحق** » (متى ١٢ : ١٨) . « **ويعلّم بالحق** » (متى ٢٢ : ١٦) ؛ (مرقس ١٢ : ١٤) ؛ (لوقا ٢٠ : ٢١) . « **ويدين بالحق** » (يوحنا ٨ : ١٦) .

١ : ١٥

وبعد أن تحدث القديس يوحنا عن طبيعة السيد المسيح باعتباره ابن الله وكلمته ، وأدلى بشهادة تلاميذه عنه بعد أن أبصروا مجده ، سجَّل الشهادة عنه التى أدلى بها يوحنا المعمدان الذى سبق تلاميذه فى التبشير به قائلاً :

« وقد شهد يوحنا له ونادى قائلاً : هذا هو الذى قلت عنه إنَّ الذى يأتى بعدى قد تقدَّمنى ، لأنه كان قبلى » .

وكان يوحنا المعمدان يقول قبل أن يبدأ مخلصنا أداء رسالته ويظهر نفسه للناس ، إن المسيح الذى كان اليهود ينتظرون مجيئه قد جاء فعلاً إلى العالم ، وإن وقت ظهوره قد اقترب ، وإنه إن كان يظهر بعده من حيث الزمن فإنه يتقدمه من حيث المكانة ، لأنه هو مجرد رسول يقتصر دوره على أن يتقدَّم أمام المسيح ليمهِّد له الطريق بين الناس ، كما يمهِّد الخادم الطريق أمام الملك . وأما المسيح فهو سيِّد ذلك الرسول وهو إلهه . وهو إن كان قد جاء بعد يوحنا ، فإنه كان كائنا قبله ، لأن يوحنا إنسان بدأ وجوده بالولادة ، وأما السيد المسيح فهو الإله الأزلّى الأبدىّ الذى لا بداءة لوجوده ولا نهاية . ولأن مجد يوحنا كرسول ومجد جميع الصالحين من الناس إنما يستمدونه من مجد السيد المسيح الذى له المجد الكامل . حتى إذا أظهر السيد المسيح نفسه للناس ورآه يوحنا المعمدان نادى قائلاً : « هذا هو الذى شَهدتُ له من قبل » ، وكان يعنيه بما سبق أن قاله لليهود .

لقد أعلن يوحنا المعمدان مناديًا لتلاميذه ولليهود عن سيِّده المسيح أن الذى أتى بعده فى الزمن ، وهو المسيح ، من حيث أن يوحنا قد وُلد سابقا على زمن ولادة المسيح يسوع بستة أشهر (لوقا ١ : ٢١) ، يتقدمه فى المكانة والمنزلة

والأهمية . وذلك لأنه هو الأزلى . أما يوحنا فهو زمنى . فالمسيح لم يكن ميلاده غير تجسده فى صورة إنسان . ولكنه قبل أن يتجسَّد من العذراء مريم كانْ كائنًا قبل يوحنا المعمدان ، بل قبل إبراهيم الخليل ، فلقد قال « الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون ابراهيم ، أنا كائن » (يوحنا ٨ : ٥٨) . بل إنه « قبل كل شيء » (كولوسى ١ : ١٧) . « متقدِّمًا فى كلِّ شيء » (كولوسى١ : ١٨) ؛ (يوحنا ١ : ٢٧ و٣٢) ؛ (٣ : ٢٨ - ٣٦) ؛ ٥ : ٣٣) ؛ (متى ٣ : ١١) ؛ (مرقس ١ : ٧) ؛ (لوقا ٣ : ١٦) .

١ : ١٦و١٧

وإذ سبق للقديس يوحنا البشير أن قال عن السيد المسيح إنه ممتلىء من النعمة والحق ، عاد فقال إننا « **من ملئِهِ جميعنا أخذنا ، ونعمة أخذنا بدلاً من نعمة** » أى أنه إن كان التلاميذ وسائر المؤمنين يتمتعون ببعض النعمة ، أو يتصفون بجانب من الحق . فإن مصدر تلك النعمة ومنبع ذلك الحق هو السيد المسيح الممتلىء من كليهما ، ومن ملئِهِ أخذ كل الذين تمتعوا ببعض النعمة أو اتصفوا بجانب من الحق . إذ يقول بولس الرسول فى رسالته إلى أهل أفسس إن السيد المسيح قد امتلأ لكى « **يملأ الكل فى الكل** » (أفسس ١ : ٢٣) . ويحدّد القديس يوحنّا معنى هذه النعمة التى أخذناها من فادينا ، فيقول إنها «**نعمة أخذنا بدلاً من نعمة ، لأن الشريعة بموسى أعطيت ، وأما النعمة والحق فبيسوع المسيح** كانا » . أى أنها نعمة العهد الجديد التى أعطانا إياها له المجد بدلا من نعمة العهد القديم . إذ أن العهد الجديد ينطوى على النعمة الحقيقية التى تتمثل فى سيدنا يسوع المسيح وحده ، والتى لم تكن نعمة العهد القديم التى جاء بها موسى النبى إلاَّ رمزًا لها ، ومجرّد وعدٍ بها وتطلُّع إليها . ففى السيد المسيح وهو

الإله المتجسِّد تجسَّدت النعمة كما تجسد الحق الذى لا يمكن إدراكه إلا بفعل النعمة . والمقصود بالحق هنا هو الله نفسه ، لأنه هو الحق فى جوهره ، وهو مصدر الحق فى جميع صوره ، وبمختلف دلالاته . فإن كان موسى قد تنبأ بمجىء الله فى صورة الإنسان كى يسبغ نعمته على بنى الإنسان . فلم تكن نبوءته تلك تنطوى إلا على أمل سيتحقق فى المستقبل البعيد ، ومن ثم يقتصر الأثر الذى يتركه فى النفس على مايثيره الأمل من سعادة مجدَّدة غامضة تخامر النفس فلا تغدو تلك السعادة كاملة وسافرة وغامرة إلاَّ بأن يتحقق ذلك الأمل ويغدو حقيقة ملموسة وحقًّا منظورًا . ومِنْ ثَمَّ يغدو نعمة حقيقية تفيض على النفس فتملؤها بالبهجة وتغمرها بالاطمئنان والأمان والإيمان ، وهذا هو الذى حدث حين تجسَّد ابن الله ، وخاطب الناس بأقوال الله ، وكشف لهم النقاب عن طبيعته ، فتحقق بذلك الأمَلُ الذى تنطوى عليه نبوءة موسى ، والذى ترمز إليه كل طقوس شريعته .. وإذ لم يكن فى مقدور الناس أن يروا الله أو يدركوا شيئًا عن حقيقته ، كان من نعمة الله عليهم أن يرسل إليهم ابنه وكلمته ليخبرهم بما كانوا عاجزين عن أن يروه أو يدركوه . وما كان فى استطاعة أحد أن يفعل ذلك غيره . لأنه كائن منذ الأزل فى حضنه ، وطبيعته هى من ذات طبيعته . فهو فى وحدة كاملة معه ، وهو القادر وحده على أن يعرف كنهه ويدرك حقيقته ويخبر البشر بهذا الذى يعرفه كل المعرفة ويدركه كل الإدراك عن أبيه السماوى الذى هو واحد معه . ومن ثم يقول القديس يوحنا فى بشارته إن « الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه » .

إن السيد المسيح هو الكل فى الكل .. « هو الأَلِف والياء . البداءة والنهاية ، الأوَّل والآخِر » (الرؤيا ٢٢ : ١٣) . « الذى هو قبل كل شىء . وفيه يقوم الكل .. هو البداءة .. لأنه فيه سُرَّ أن يحلَّ كل الملئ » (كولوسى ١ :

١٧ – ١٩) ، « فإنه فيه يحل كل ملئ اللاهوت جسديًّا » (كولوسى ٢ : ٩) . فهو مصدر النِّعَم والبركات ولذلك فإن كُلَّ بَشَر لديه نعمة أو بركة ، ليست هى من عنده ، وإنما هى من عند الله الكلمة ، فمنه أخذ جميع الأنبياء والرسل وكُلُّ الخَلق (يوحنا ١٠ : ٨) . فالأنبياء والرسل من بحر نعمته اغترفوا وأعطوا . لا من عندهم أعطوا . وكما قال يوحنا المعمدان « إن الذى يأتى من فوق هو فوق الجميع » (يوحنا ٣ : ٣١) .

لقد كان هو مانح العهد القديم بكل شرائعه وطقوسه ورموزه وبكل امتيازاته . فَلَمَّا تجسَّد الله الكلمة جاء لنا بخيرات أَعظم ، وبركات أوفر ، بحيث لم تكن كل امتيازات العهد القديم غير ظل لتلك الامتيازات والبركات التى أتانا بها المسيح فى العهد الجديد (العبرانيين ٩ : ١١) ؛ (١٠ : ١) .

هو سيِّد العهدين ، لكنه أعطانا نعمة العهد الجديد بدلاً من نعمة العهد القديم « لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب ، الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غِنَى نعمته التى أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة ، إذ عَرَّفَنَا بِسرِّ مشيئته حسب مَسَرَّته التى قصدها فى نفسه لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كُلَّ شىء فى المسيح ، ما فى السَّماوات وما على الأرض » (أفسس ١ : ٦ – ١٠) .

« لأن الشريعة بموسى أعطيتْ . وأما النعمة والحق ، فبيسوع المسيح كانا » .

فشريعة العهد القديم التى أنعم الله بها على البشرية نزلت على يد موسى النبى الكليم . وقد سُمِّيت « شريعة موسى » لأن موسى هو الذى تلقاها من الله ، وأبلغها إلى بنى إسرائيل (١ الملوك ٢ : ٣) ؛ (نحميا ٨ : ١) ؛ (دانيال ٩ : ١١) ؛ (ملاخى ٤ : ٤) ؛ (لوقا ٢ : ٢٢) ؛ (يوحنا ٧ : ١٩ و٢٣) ؛ (٨ : ٥) ؛ (الأعمال ١٣ : ٣٩) ؛ (١٥ : ٥) ؛ (العبرانيين ١٠ : ٢٨) .

قال الكتاب المقدَّس « وهذه هي الشريعة التي وضعها موسى أمام بني إسرائيل . هذه هي الشهادات والفرائض والأحكام التي كلَّم بها موسى بني إسرائيل .. » (التثنية ٤ : ٤٤ و٤٥) .. « ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم : اسمع ياإسرائيل الفرائض والأحكام التي أتكلَّم بها في مسامعكم اليوم ، وتعلَّموها واحترزوا لتعملوها » (التثنية ٥ : ١) ؛ انظر أيضا التثنية (٣٣ : ٤) .

وأما قول القديس يوحنا « **وأما النعمة والحق فبيسوع المسيح كانا** » فليس معناه أنْ لا شريعة في المسيحية ، إذ الواقع أن شريعة موسى مازال لها احترامها في العهد الجديد ، لأن الشريعة هي شريعة الله ، والله لا يتناقض ولا يتعارض مع ذاته . وقد طالب السيد المسيح كثيرًا بالعمل حسب شريعة موسى ولم ينقضها ولم يهدمها .

قال السيد المسيح له المجد : « لا تظنوا أني جئت لأنقض الشريعة أو الأنبياء . ماجئت لأنقض بل لأتمِّم . فالحق أقول لكم إنه إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الشريعة حتى يتم كل شيء . » (متى ٥ : ١٧ و١٨) . وقال للرجل الأبرص بعد أن شفاه « اذهب إلى الكاهن أَرِهِ نفسك ، وقدِّم عن تطهيرك القربان الذى أَمَر بِه موسى » (مرقس ١ : ٤٤) ؛ (لوقا ٥ : ١٤) ؛ (متى ٨ : ٤) – انظر أيضًا (متى ٧ : ١٢) ؛ (٢٢ : ٣٥ – ٤٠) ؛ (٢٣ ؛ ٢٣) ؛ (لوقا ١٠ : ٢٦ – ٢٨) ؛ (١٦ : ١٧) .

وقال القديس بولس الرسول : « هكذا أعبد إله آبائي مؤمنًا بكل ماهو مكتوب في الشريعة والأنبياء » (الأعمال ٢٤ : ١٤) .

بيد أن المفهوم من قول الإنجيل للقديس يوحنا « **أما النعمة والحق فبيسوع**

المسيح كانا » ، هو لَفْتُ النظر إلى فضل السيد المسيح فى نزوله من السماء ، ليشترك مع البشَرية فى آلامها ومعاناتها . ثم لكى يُقَدم ذاته فِدية عن الإنسان لخلاص الإنسان . وهذا هو كمال الحب ، وقمة عمل النعمة . فإذا كان موسى قد أتى البشرية بشريعة إلهية عظيمة ، فإن السيد المسيح أتى بنفسه ليتمم الشريعة التى عجز الإنسان عن طاعتها وتنفيذ متطلباتها . وقَبِلَ على نفسه أن ينوب عن الإنسان ليفتدى الإنسان . فأخذ وهو الإله ، صورة الإنسان . فكان هو آدم الثانى ، الذى قَبِل فى إنسانيته الحكم المقضى به على آدم الأول وذرّيته .

قال الكتاب المقدس فى العهد الجديد : « وأما الآن فقد ظهر برّ الله بدون الشريعة ، مشهودًا له من الشريعة والأنبياء ، برّ الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون ، لأنه لا فرق ، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله ، متبررين مجانًا بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدّمه الله كفّارة بالإيمان بدمه لإظهار برِّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله » . (روما [رومية] ٣ : ٢١ – ٢٥) . « لأنه إن كان بخطيئة الواحد قد ملك الموت بالواحد ، فبالأوْلى كثيرًا الذين ينالون فيض النعمة وعطية البرّ سيملكون فى الحياة بالواحد ، يسوع المسيح . فَإذنْ كما بخطيئة واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة ، هكذا ببِرٍّ واحد صارت الهِبَة إلى جميع الناس لتبرير الحياة ، لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جُعِل الكثيرون خطاة ، هكذا أيضًا بإطاعة الواحد سيُجعل الكثيرون أبرارًا . وأما الشريعة فدخلت لكى تكثر الخطيئة . ولكن حيث كثرت الخطيئة ازدادت النعمة جدًا . حتى كما مَلَكت الخطيئة فى الموت هكذا تمِلك النعمة بالبِرِّ للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا » (روما [رومية] ٥ : ١٧ – ٢١) « فإنَّ الخطيئة لن تسودكم لأنكم لستم تحت الشريعة بل تحت النعمة » (روما [رومية] ٦ : ١٤) .

إنَّ عَمَل النعمة فى العهد الجديد هو أوّلا فى تجسُّد الكلمة الإلهى ، وثانيًا فى قيامه بعمل الفداء والخلاص بدلاً من الإنسان من أجل الإنسان .

وأمّا أن الحق كان بالمسيح ، فلأن المسيح هو الحق الذى أعلن ذاته . لقد قال سقراط : لا سبيل إلى معرفة الحق إلا إذا أظهر رب الحق وأعلن ذاته للبشَر . والمسيح أعلن أنه الحق بقوله « أنا هو الحق » (يوحنا ١٤ : ٦) . و « القدوس الحق » (الرؤيا ٢ : ٧) ؛ (٦ : ١٠) . لقد عَرَف الحكماء والفلاسفة بعض الحق ، أما فى المسيح وبالمسيح فقد عَرَفنا الحق الكامل ، إذ هو الحق المطلق . وهو الحق لأنه صادق « يقول الحق » (يوحنا ٨ : ٤٥و٤٦) ولا يبالى بأحد ولا يحابى وجه إنسان (متى ٢٢ : ١٦) . و « يعلن الحق » (متى ١٢ : ١٨) و « يُعَلِّم بالحق » (مرقس ١٢ : ١٤) . و « يشهد للحق » (يوحنا ١٨ : ٣٧) .

وبالمسيح كان **الحق** ، إذ هو الفادى الذى بدمه كان الوفاء **للحق** الإلهى كاملاً .. « ونحن نعلم أن دينونة الله هى حسب الحق » (روما [رومية] ٢ : ٢و٢٠) . وقد التقَت فى الصليب النعمة مع **الحق** . فلولا محبة الله لخلاص الإنسان ما كان نزوله إلى الأرض وقبوله الآلام بدلاً من الإنسان . ولولا **الحق** لَمَا كان الصليب ضرورة لفداء الإنسان . ففَى صليب المسيح إذَن التقت محبة الله التى لا حدود لها بعدله الذى لا حدود له .. « الرحمة والحق التقيا » (المزمور ٨٤ : ١٠) . ولولا الصليب لَمَا تحرَّر الإنسان أو انعتق من الحكم عليه .. « **الحق** يحرِّركم » (يوحنا ٨ : ٣٢) . يقول الكتاب المقَّدس « وإذْ كنتم أمواتًا فى الخطايا وغَلف جسدكم أحياكم معه مسامحًا لكم بجميع الخطايا ، إذْ محا الصك الذى علينا فى الفرائض . الذى كان ضدًّا لنا ، وقد رفعه من الوسط مُسمرًّا إياه بالصليب » (كولوسى ٢ : ١٣و١٤) .

١ : ١٨

« **الله لم يره أحَد قط . الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه** » .

الله لم يره أحد قط . إن الله من حيث طبيعته فى ذاته غير منظور للناس . وهو لا يقع تحت الحواس . وهو غير ملموس . ولقد قال الله لموسى عندما رغب موسى فى أن يراه قائلاً : أرنى مجدك .. قال : « **لا تقدر أن ترى وجهى ، لأن الإنسان لا يرانى ويعيش** » (الخروج ٣٣ : ١٨ — ٢٠ و٢٣) . وقال عنه موسى النبى لبنى اسرائيل : « لم تروا صورة بل صوتًا .. لم تروا صورةً ما يوم كلمكم الربّ فى حوريب من وسط النار » (التثنية ٤ : ١٢و١٥) .

وقال المسيح له المجد « **لا أَحَد قد رأى الآب إلاَّ** الذى هو من الله ، فهذا هو الذى قد رأى الآب » (يوحنا ٦ : ٤٦) . والمعنى واضح أنَّ بَشَرا مالم يستطع أن يرى الله ، ولا يقدر أن يراه . إنما الوحيد الذى رأى الله هو المسيح . ذلك لأنه من حيث لاهوته هو من طبيعة الله الآب ومن جوهره . فهو الذى رأى الآب لأنه كائن معه وفيه . وهو فى الآب والآب فيه (يوحنا ١٤ : ١٠و١١و٢٠)؛ (١٧ : ٢١ و٢٣) . على أن رؤية الابن للآب ليست من قبيل تلك الرؤية الحسية
لأنه كائن معه وفيه . وهو فى الآب والآب فيه (يوحنا ١٤ : ١٠و١١و٢٠) ؛ (١٧ : ٢١و٢٣) . على أن رؤية الابن للآب ليست من قبيل تلك الرؤية
الحسية المادية ، وإنما هى الرؤية الروحية الباطنية التى لا يُعبَّر عنها ولا توصف . إنها رؤية عيانيَّة من غير واسطة ، مباشرة لأنها فى الجوهر الإلهى والطبيعة الإلهية (يوحنا ٣ : ١١و٣٢) ؛ (٨ : ٣٨) .

وقال الرسول القديس بولس : « وملك الدهور الذى لا يفنى **ولا يُرَى** ، الإله الحكيم وحده » (١ . تيموثيئوس ١ : ١٧) . « الذى وحده له عدم الموت ، ساكنًا فى نور لا يُدْنَى منه ، الذى **لم يره أحد من الناس . ولا يقدر أن يراه** » (١ . تيموثيئوس ٦ : ١٦) . وقال الرسول القديس يوحنا « الله لم ينظره أحد قط » (١ . يوحنا ٤ : ١٢ و ٢٠)– وانظر (أيوب ٩ : ١١) و (٢٢ : ١٤) ؛ (٢٣ : ٩) ؛ (٣٤ : ٢٩) ؛ (٣٥ : ١٤) ؛ (العبرانيين ١١ : ٢٧) ؛ (١ . بطرس ١ : ٨) .

الإبن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه » .

ومع أن الله لم يره أحد قط ولا يقدر أن يراه ، لكنه شاء لكى يجعل ذاته منظورًا أن يحتجب فى جسد (يوحنا ١ : ١٤) . وهذا هو « الله الذى ظهر فى الجسد » (١ . تيموثيئوس ٣ : ١٦) . هو **الابن الوحيد** (يوحنا ١ : ١٤) ؛ (٣ : ١٦ – ١٨) ؛ (١ . يوحنا ٤ : ٩) . لأنه ليس له نظير فى هذه البنَّوة . وليست هذه البنوة من نوع الولادة كما هى فى عالم الإنسان . لكنها للدلالة على أن المسيح من حيث لاهوته هو من طبيعة الله ومن جوهره ، ولأنه ظهر فى الجسد .

وهو فى **حضن الآب** ، بمعنى أنه **فى ذات الآب** ، **وفى عين جَوهرِهِ** ، لأن الله ليس له حضن كما للإنسان حضن ، **وإنما حِضْنه هو ذَاتُه** ، **وأعماقه وصميم جوهره** ، فقد قال « **صدقونى أَنِّى فى أبى وأَنَّ أبى فِيَّ** » (يوحنا ١٤ : ١٠ و ١١ و ٢٠) ؛ (١٧ : ٢١ و ٢٣) . **وقد أَخبر عنه** بمعنى أنَّ المسيح هو الذى **أخبرنا عن الآب** ، **ومن غيره لا نعرف شيئًا عن الآب** . فهو وحده الذى يعرف الآب المعرفة الحقيقية الكاملة المباشرة من غير واسطة ، ذلك لأنه منه وكائن فيه . وقد قال المسيح له المجد « **ولا أحد يعرف مَن هو الابن إلا الآب ، ولا أحد**

يعرف من هو الآب إلا الابن » (لوقا ١٠ : ٢٢) ؛ (متى ١١ : ٢٧) . وقال أيضًا لليهود عن الآب « وأنتم لا تعرفونه . **أما أنا فأعرفه لأنى منه** »(يوحنا ٧ : ٢٩) . وقال كذلك لليهود « أبى هو الذى يمجدنى . ذلك الذى تقولون أنتم إنَّه إلهنا ، وأنتم لا تعرفونه . **أما أنا فأعرفه** . وإن قلت إننى لا أعرفه أكون مثلكم كاذبًا ، **ولكننى أعرفه** » (يوحنا ٨ : ٥٤ و ٥٥) . وقال ملحًّا على نفس المعنى : « **إن أبى يعرفنى ، وأنا أعرف الآب** » (يوحنا ١٠ : ١٥) . وعندما سأله تلميذه فيلبس أحد الاثنى عشر قائلاً : « يارب أرنا الآب وكفانا . قال له يسوع : « أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى بعد يافيلبس ؟ مَنْ رآنى **فقد رأى الآب** . فكيف تقول أنت أرنا الآب ؟ ألاَ تؤمن بأنّى أنا فى أبى وأن أبى فيَّ .. صدقونى أنّى فى أبى ، وأن أبى فيَّ » (يوحنا ١٤ : ٨ - ١١) . **والمعنى والمغزى من هذا الحوار أن المسيح له المجد يؤكد على هذه الحقيقة : أن الله الآب لم يره أحد قط . ولكن لمَّا شاء الله أن يجعل ذاته منظورًا لَبِس صورة إنسان ، وفيه عَرَفنا الله** الآب الذى ماكنا لنعرفه على حقيقته لو لم يتجسَّد . فالمسيح هو الذى أعلن لنا عن الله الآب الغير المنظور . وهو الذى أخبرنا عنه ، فهو صورة الله الغير المنظور » (كولوسى ١ : ١٥) .

<u>١ : ١٩ - ٢٨</u>

وقد سبق للقديس يوحنا البشير أن تكلم فى بداية هذا الفصل عن يوحنا المعمدان ، قائلاً إنه رجل مُرسَل من الله ليشهد للنور الذى هو السيد المسيح . ثم أورد ملخص شهادته عنه حين رآه ، إذ أشار إليه وهتف قائلا إن هذا هوالمسيح ابن الله الذى ينتظره اليهود ، والذى تنبأ هو مِن قبل بأنه قد اقترب موعد ظهوره . وأنه إن كان يظهر بعده فإنه سيتقدمه ، لأنه كان موجودًا قبله ، مشيرًا بذلك إلى أزليته ، ومن ثم إلى ألوهيته ، حيث أن الأزلّى هو الله وحده . ثم لم

يلبث القديس يوحنا بعد أن أشار فى إيجاز إلى هذه الشهادة التى أدلى بها يوحنا المعمدان أن عاد ليتكلم عنها بشىء من التفصيل . (انظر يوحنا ٣ : ٢٥ – ٣٦) ؛ (٥ : ٣٣) . إذ كان اليهود بسبب لهفتهم إلى ظهور المسيح الذى تنبأ بمجيئه كل أنبيائهم لِيُخلِّصهم مما كانوا فيه من مذلة وهوان ، قد اعتقدوا أنه هو يوحنا المعمدان الذى رأوا فى سيرته النقية وطهارته وتقواه وسموّ تعاليمه سِماتٍ وصفاتٍ من أنبيائهم الأقدمين الذين كان قد انقطع ظهورهم منذ مئات السنين . ومن ثم أرسلوا إليه من أورشليم عاصمة بلادهم وأقدس مدنهم قومًا من علمائهم الدينيين العارفين بأسرار الشريعة ونبوءات الأنبياء ، وهم الكهنة واللاويون (يشوع ٣ : ٣) أصحاب السلطة فى الهيكل وأقدر الناس على المناقشة فى أصول الدين ، والوصول إلى الحقيقة فى أمر ذلك الذى قام يُعَلِّم الناس ويعمِّدهم ويجمع حوله عددًا عظيمًا من التلاميذ والمريدين .

ومن ثم جاء هؤلاء المتكبرون المغرورون إلى يوحنا تقودهم الغيرة منه والرغبة فى هدم إيمان الشعب اليهودى به ، فسألوه قائلين : « منَ أنت ؟ » . وإذ كان يعلم أنهم يريدون أن يعرفوا منه إن كان هو حقًّا المسيح الآتى إلى العالم كما كان سائر اليهود يظنون (لوقا ٣ : ١٥) ، اعترف على الفور فى تواضع ولم ينكر الحقيقة ، وإنما أقَّر قائلاً « لست أنا المسيح » (انظر يوحنا ٣ : ٢٨) ؛ (الأعمال ١٣ : ٢٥) .

وقد كانوا يعرفون من نبوءات أنبيائهم أن ثمة نبيًّا سيبعث به المسيح قبل أن يُظهر نفسه للناس كى يهيىء الطريق له بينهم ، بأن يعلن لهم مجيئه ويدعوهم إلى الإيمان به ، إذ قال إشعياء النبى عن هذا النبى إنه « صوت صارخ فى البرِّية ، أعدُّوا طريق الربّ ، قوِّموا فى القفر سبيلاً لإلهنا . كل وطاء يرتفع ، وكل جبل وأكمة ينخفض ، ويصير المعوجُّ مستقيمًا ، والعراقيب سهلاً ، فيعلن مجد الرب

ويراه كل بَشَر » (إشعياء ٤٠ : ٣ – ٥) ؛ (متى ٣ : ٣) ؛ (مرقس ١ : ٢ و٣) ؛ (لوقا ٣ : ٤ – ٦) . كما كان علماء اليهود يعرفون من نبوءات أنبيائهم كذلك أن إيليا النبي الذى صعد بالجسد إلى السماء فى مركبة نارية (٢ . الملوك ٢ : ١١ و١٢) ، سيعود ثانية إلى العالم ليكون هو ذلك النبي الذى يجىء قبل المسيح ليهيئ الطريق له ، إذ تنبأ ملاخى النبى قائلا بلسان المسيح : « هأنذا أرسل ملاكى فيهيئ الطريق أمامى » (ملاخى ٣ : ١) كما تنبأ قائلاً : « هأنذا أرسل إليكم إيليا النبى قبل مجىء يوم الربِّ ، اليوم العظيم المخوف ، فيردّ قلب الآباء إلى الأبناء ، وقلب الأبناء إلى آبائهم » (ملاخى ٤ : ٥و٦) . وإذ كانوا قد لمسوا أوجُه الشبَه العظيم بين صفات إيليا وأسلوب حياته (٢. الملوك ١ : ٨) ، وصفات يوحنا وأسلوب حياته (متى ٣ : ٤) ؛ (مرقس ١ : ٦) ؛ (لوقا ١ : ١٧) ، ظنوا أنه هو نفسه إيليا قد نزل من السماء ، ومن ثم سألوه قائلين : « ماذا إذن ؟ أأنت إيليًا » ؟.. وقد كان يوحنا المعمدان يعرف أنه هو صوت الصارخ فى البرِّية ليعلن مجىء الربّ على مقتضى نبوءة إشعياء النبى . كما كان يعرف أنه هو الملاك الذى تنبأ ملاخى النبى بأن المسيح سيرسله ليهيئ الطريق أمامه ، وأنه هو الذى رَمَز إليه ملاخى فى نبوءته بإيليا النبى الذى سيجىء قبل مجىء يوم الربِّ . ولكن يوحنّا المعمدان كان يدرك فى نفس الوقت أن الذى سيجىء ليمهِّد الطريق أمام المسيح ليس إيليًا نفسه كما كان اليهود يعتقدون ، وإنما نبىّ آخر يجىء مشابهاً له فى سيرته ورسالته ، وفى روحه وقوّته . وذلك هو الإدراك السليم الذى أيّده الملاك الذى بشَّر زكريًا الكاهن بأن زوجته أليصابات ستحبل فى شيخوختها وتلد ابنًا هو يوحنا المعمدان ، إذ قال له « لا تخَفَ يازكريا فإن دعاءك قد استجيب ، وزوجتك أليصابات ستحبل وتلد ابنًا فتسميه يوحنا وتفرح وتبتهج ، كما يفرح كثيرون بميلاده ، لأنه سيكون عظيمًا أمام الربّ ، وخمرًا أو مسكرًا لا يشرب ، ومنذ يكون فى بطن أمه سيكون ممتلئًا من روح

القدس ، وسيردّ كثيرين من بنى إسرائيل إلى الربّ إلههم ، ويتقدَّم أمام الربِّ بروح إيليَّا وقوَّته ، ليردَّ قلوب الآباء إلى أبنائهم ، والعصاة إلى فكر الأبرار ، كى يهيئ للرب شعبًا صالحًا » (لوقا ١ : ١٣ - ١٧) . بل إن السيد المسيح نفسه قد أيّد ذلك الإدراك السليم لمعنى نبوءة ملاخى النبى ، إذ أن القديس متى بعد أن تحدث فى بشارته عن معجزة تجلِّى السيد المسيح على الجبل ، قال إن تلاميذه بطرس ويعقوب ويوحنا حين رأوا تجلِّيه فى هيئته الإلهية تأكدوا أنه هو المسيح ابن الله ، ومِنْ ثَمَّ سألوه قائلين : « لماذا يقول الكتَبَة إذنْ إنَّ إيليَّا ينبغى أن يجىء أولاً ؟ فأجاب يسوع وقال لهم : حقًّا إنَّ إيليَّا ينبغى أن يجىء أوّلا ويعيد كلَّ شىء إلى نصابه ، ولكنى أقول لكم إنَّ إيليا قد جاء فعلاً فلم يعرفوه ، وإنما فعلوا به كلَّ ماأرادوا . هكذا ابن الإنسان أيضًا سوف يتألم منهم . وعندئذ فَهِم التلاميذ أنه كان يكلمهم عن يوحنَّا المعمدان » (متى ١٧ : ١٠ - ١٣) ؛ (مرقس ٩ : ١١ - ١٣) . كما أن السيد المسيح فى موضع آخر من بشارة القديس متى تحدَّث عن يوحنا المعمدان قائلاً : « هذا هو الذى كُتب عنه : هأَنذا أبعث أمام وجهك رسولى الذى يهيئ طريقك أمامك .. فهذا إن شئتم أن تقبلوا هو إيليَّا المُزْمع أن يجىء » (متى ١١ : ١٠ و١٤) . وعلى الرغم من أنّ السيد المسيح وهو يتحدث عن يوحنا المعمدان أشاد بِعَظَمَتِهِ إذ وَصَفَه قائلاً : « إنه لم يقمُ بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان » (متى ١١ : ١١) . فإن يوحنَّا - فى تواضع القديسين الأبرار - حين سأله كهنة اليهود وعلماؤهم قائلين « أأنت إيليا ؟ » قال : « لست هو » ، لأنه - وإن كان قد جاء بروح إيليَّا وقوَّته كقول ملاك الله (لوقا ١ : ١٧) - لم يكن هو إيليَّا نفسه الذى أكرمه الله فأصعده بالجَسَد إلى السماء فى مركبة نارية (٢٠ الملوك ٢ : ١١ و١٢) . ومِنْ ثَمَّ كانت له لدى اليهود منزلة عظيمة لم يشأ يوحنَّا - على الرغم من عَظَمته هو - أن ينسبها إلى نفسه . وإنما اقتصر على أن يبيِّن لليهود

المهمة التي جاء من أجلها كمجرَّد خادم للمسيح يتقدمه في الطريق كما يتقدم الخادمُ الملكَ العظيم .

فلما سمع الكهنة والعلماء من يوحنا أنه ليس المسيح وليس إيليًا ، بقي في أذهانهم احتمال ثالث وهو أن يكون هذا الإنسان البارّ الذي ظهر بين اليهود فجأة فتبعوه والتفوا حوله ، هو النبي الذي تنبأ موسى بمجيئه ، إذ قال لليهود في سفر التثنية : « يقيم لك الرب إلهك نبيًّا من وَسَطك ، من إخوتك مثلي .. وأجعل كلامي في فمه .. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلَّم به باسمي أنا أطالبه» (التثنية ١٨ : ١٥و١٨)- انظر (أعمال الرسل ٧ : ٣٧). ومن ثَمَّ سألوا يوحنا قائلين : « أأنت النبي ؟ » . بيد أنهم بسؤالهم هذا برهنوا على جهلهم حتى بشريعتهم ونبوءات أنبيائهم التي كانوا يزعمون أنهم فقهاؤها المتضلعون في فهمها . لأن ذلك النبي الذي تحدَّث عنه موسى وقال إنه سيجيء من بين اليهود هو نفسه المسيح ابن الله الذي كانوا ينتظرونه ، كما يبدو ذلك جليًّا في سياق النبوءة نفسها . ولعلَّ مما يؤكِّد جهل اليهود بهذه الحقيقة أن يوحنا ، مع أنه يدرك كل الإدراك أنه هو نفسه نبي ، وإذ أدرك أن أولئك الفقهاء حين سألوه لم يكونوا يقصدون أيَّ نبيٍّ دون تحديد . وإنما كانوا يقصدون ذلك النبي بذاته الذي تنبأ موسى عن مجيئه ، أجابهم بالنفي قائلاً «كلاّ » ، أي أنه ليس ذلك النبي الذي كان يعلم أن المقصود به في النبوءة هو المسيح نفسه .

والمعروف أن النبوءة هي من وظائف المسيح بوصفه إنسانًا ، وهي إحدى ثلاث وظائف رئيسية تقلدها المسيح بصفته آدم الثاني والنائب عن البشرية والذي قام بعمل الفداء بالنيابة عن الإنسان ، وهي : **النبوءة والمُلك** والكهنوت .

ولقد رأى قادة اليهود وعلماؤهم أن في ما قاله النبي موسى عن ذلك النبي

الذى سيقوم فى وسط بنى إسرائيل ، إشارة وتلويحًا إلى المسيح باعتبار أن **النبوءة** هى من بين وظائفه .

ولذلك يقول الإنجيل عن اليهود إنهم لما رأوا ما صنع المسيح له المجد من معجزات باهرة « قالوا : هذا هو بالحقيقة **النبى** الآتى إلى العالم » (يوحنا ٦ : ١٤) . ولا بُدّ أنهم قصدوا بذلك أنه النبى الذى تكلّم عنه موسى فى التوراة (التثنية ١٨ : ١٥و١٨) . ويروى الإنجيل مِنْ ثَمَّ الحوار بين المسيح وبين اليهود ، وقوله له المجد « منَ آمن بى فكما قال الكتاب ستجرى من باطنه أنهار ماء حىّ » ، ثم يعقِّب على ذلك بقوله « فحين سمع ذلك الكلام قوم من الجمع قالوا : هذا بالحقيقة هو **النّبى**. وقال آخرون : هذا هو المسيح» (يوحنا ٧ : ٤٠و٤١) . ولكن زعماء اليهود عندما سمعوا رواية المرسلين منهم ليقبضوا عليه ويأتوهم به قالوا « ابحث وانظر فإنه لا يقوم نبى من الجليل » (يوحنا ٧ : ٥٢) .

كذلك عندما استقبل اليهود المسيح فى أَحَد الشعانين بأغصان الزيتون وسعف النخل ، ودَخل أورشليم « اهتزت المدينة قائلة : منَ هذا ؟ فقالت الجموع : هذا هو يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل » (متى ٢١ : ١٠و١١) .

وعندما صدر الحكم على المسيح الفادى بالموت .. « راح بعضهم يبصقون عليه ، وقد غطّوا عينيه ، وأخذوا يلطمونه على وجهه ثم يسألونه قائلين له : تنبأ لنا أيها المسيح مَن الذى لطمك الآن؟»(مرقس ١٤ : ٦٥) ؛ (متى ٢٦ : ٦٧ و٦٨) ، (لوقا ٢٢ : ٦٤و٦٥) . وهذا معناه أنّهم حتى وهم يهزأون به يعلمون أنه لو كان هو المسيح لكانت النبوءة من بين صفاته ووظائفه . وعندما آمنت المرأة السامرية بالمسيح قالت له فى مبدأ الأمر « ياسيدى أرى أنك نبى » . ثم انطلقت إلى المدينة وقالت للناس هلموا انظروا ذلك الرجل الذى قال لى كل شىء فعلته ..

أيكون هذا هو المسيح ؟ (يوحنا ٤ : ١٩ و ٢٥ و٢٩) . وهذا يدل على أنها تعلم أن النبوءة هى بعض وظائف المسيح . ويقول الإنجيل بعد ذلك : « وقد آمن به كثيرون من السامريين فى تلك المدينة بسبب كلام المرأة التى شهدت قائلة : إنه قال لى كل ما كنت قد فعلت . ومِنْ ثَمَّ جاء السامريون إليه ورجوه أن يمكث عندهم .. وقد آمن به كثيرون آخرون من أجل كلامه ، وجعلوا يقولون للمرأة : إننا الآن نؤمن ، لا بسبب كلامك ، وإنما لأننا سمعناه بأنفسنا ، وقد علمنا أن هذا هو حقًّا المسيح مخلِّص العالم » (يوحنا ٤ : ٣٩ – ٤٢) .

انظر أيضًا فى بيان ذلك ماقاله اليهود بعد أن أقام المسيح من الموت الشابَّ ابن أرملة نايين إذ «مَجَّدوا الله قائلين قد قام فينا نبى عظيم ، وقد تفقَّد الله شعبه » (لوقا ٧ : ١٦) ، وما قاله عنه تلميذا عمَّاوس : « يسوع الناصرى الذى كان نبيًّا مقتدرًا فى الفعل والقول لدى الله وكل الشعب » (لوقا ٢٤ : ١٩) .

وقال عنه ذلك أيضًا المولود أعمى حين شفاه (يوحنا ٩ : ١٧) – انظر أيضا (مرقس ٦ : ١٥) ؛ (يوحنا ٣ : ٢) .

ومِنْ ثَمَّ تضايق أولئك الكهنة واللاويون إذ أَخفقوا فى أن يحصلوا من يوحنا المعمدان على أية إجابة تدلُّ على حقيقة شخصيته ليعودوا بها إلى رؤسائهم الذين أرسلوهم إليه ، والذين كانوا يخافونهم ، وقد أرادوا أن يخيفوا يوحنا بهم . لأنهم رؤساء الكهنة وأعضاء مجلس السنهدريم وغيرهم من أصحاب المناصب العليا والنفوذ العظيم ، وكانوا قد أقلقهم تزايد عدد الذين آمنوا بيوحنّا المعمدان من الشعب اليهودى . واعتبارهم إياه نبيًّا عظيمًا ، وبالتالى ارتفاع مكانته بينهم ، مما يهدِّد مكانة أولئك الرؤساء ويجرح كبرياءهم ويملأ بالحقد صدورهم . وقد أراد أولئك الكهنة واللاويون أن يُحرجوا يوحنا ليدفعوه إلى إجابة ينكر فيها أىّ صفة فيه تجعله مستحقًّا لإيمان الشعب به وإكبارهم إياه والتفافهم حوله ، كى يخففوا

بذلك حنق رؤسائهم وينالوا رضاءهم عنه ، فسألوه قائلين : « فَمَن أنت لنعطى إجابة للذين أرسلونا ؟ ماذا تقول عن نفسك ؟ » وعندئذ كشَفَ لهم عن حقيقة شخصيته ، فصارحهم بأنه هو الذى تنبأ عنه إشعياء النبى قائلاً : « صوت صارخ فى البرِّية ، أَعدُّوا طريق الرب ، قوِّموا فى القفر سبيلاً لإلهنا .. فَيُعلنُ مجدُ الربِّ ويراه كل بشَر » (إشعياء ٤٠ : ٣ — ٥) ، إذ قال يوحنا لهم « أنا صوت صارخ فى البرِّية : أَعدُّوا طريق الربّ . كما قال إشعياء النبّى » وقد كان أولئك الكهنة واللاويون الذين أرسلهم رؤساء اليهود إلى يوحنا من طائفة الفرِّيسيّين المتعصبين المتحذلقين المنافقين الذين على الرغم من جهلهم بروح الشريعة وجوهرها ، كانوا لا يفتأون يتشدقون بقشورها وبظاهر نصوصها وطقوسها ، وبفهمهم السطحى الملتوى لها ، ومنْ ثَمَّ تجاهلوا ماتعنيه إجابة يوحنا من أنه هو الرسول الذى تنبأ إشعياء النبى بأنه سيجىء ليمهد الطريق للمسيح ، وأنه بالتالى هو الملاك الذى قال عنه المسيح على لسان ملاخى النبى : « هأنذا أرسل ملاكى فيهيئ الطريق أمامى » (ملاخى ٣ : ١) . وماتنطوى عليه تلك الإجابة من كرامة يستحق يوحنا التكريم والتعظيم من أجلها ، وأرادوا على العكس أن يُحَقِّروه ويزدروه ويغضوا من شأنه ، بل أن يلصقوا به مخالفة دينية ، باجترائه على أن يمارس طقسًا لا يحَقٌّ له فى اعتقادهم أن يمارسه ، وهو طقس العماد ، إذ قالوا له : « لماذا تُعمِّد إذن مادمت لست المسيح ولا إيليا ولا النبى ؟ » وعلى الرغم مما فى سؤالهم من تحرُّش واستفزاز ، فقد أجابهم يوحنا بكل هدوء وكل تواضع قائلاً « أنا أعمِّدكُم بالماء ، ولكن بينكم قائم ذلك الذى لستم تعرفونه ، الذى — وإن أتى بعدى — كان قبلى ، وأنا لست بمستحق لأن أحلَّ أربطة حذائه » . أى أن كل مايستطيعه هو — فى حدود السلطان الممنوح له — لكى يطهرهم من شرورهم أن يعمِّدهم بالماء الذى هو مجرَّد رمز للوسيلة الحقيقية للتطهير وهى الروح القدس الذى لا يملك التطهير به إلا واحد هو المسيح ، وفقًا

لِما جاء فى بشارة القديس متى ، إذ قال يوحنا المعمدان لليهود « أنا أعمدكم بالماء من أجل التوبة . أما الذى سيأتى بعدى فهو أقوى منى .. إنه سيعمِّدكم بالروح القدس وبالنار » (متى ٣ : ١١) . وقد أعلن لهم يوحنا أن المسيح قائم بالفعل فى ذلك الوقت بينهم وإن كانوا لا يعرفونه . لأنه لم يبدأ رسالته بعد . وهو إن كان سيُظهر نفسه للعالم بعد أن أظهر يوحنا نفسه ، فإنه كان كائنًا قبله ، لأنه هو الإله الكائن منذ الأزل . وقد تحدَّث عنه يوحنا بكل الخشوع والإجلال اللذين يتحدث بهما الخادم عن سيِّده الذى تفوق عَظَمتُه كل عَظَمةٍ فى الوجود ، حتَّى إن يوحنا – وإن كان السيد المسيح نفسه قد وصفه بأنه لم يقم بين المولودين من النساء أعظم منه (متى ١١ : ١١) ؛ (لوقا ٧ : ٢٨) – قد عدَّ نفسه من قِلة الشأن بالنسبة إليه حتى إنه غير مستحق لأن يحلَّ أربطة حذائه (مرقس ١ : ٧) ؛ (لوقا ٣ : ١٦) . وهكذا أفصح يوحنا المعمدان لليهود عن حقيقة شخصيته وحدود مُهمَّته وبشَّرهم بمجىء المسيح مخلِّص العالم الذى كانوا ينتظرونه منذ مئات السنين ، مبيِّنًا لهم مقدار مجده وعظمته .

١ : ٢٩ – ٣٤

ثم واصل القديس يوحنا البشير بعد ذلك تسجيل شهادة يوحنا المعمدان عن السيد المسيح ، فقال إنه فى اليوم التالى لحديثه مع الكهنة واللاويين الذين أرسلهم رؤساء اليهود ليعرفوا حقيقة شخصيته ، رأى مُخلصنا مَقبلاً إليه ، فقال لتلاميذه ولسائر المؤمنين به الذين جاءوا ليعتمدوا منه : « هوذا حمل الله الذى يحمل خطيئة العالم » (انظر أيضا يوحنا ١ : ٣٦) ؛ (العبرانيين ٩ : ٢٨) ؛ (١ . بطرس ٢ : ٢٤) ؛ (١ . يوحنا ٣ : ٥) .. هذا هو الذبيحة الحقيقية التى لم يكن الحمل الذى يذبحه اليهود فى عيد الفصح إلا رمزًا لها (الخروج ١٢ : ٣ و ٤ – ١٣) . والذى شاءت رحمة الله ومحبته للبشَر أن يُقدمه – وهو ابنه

الوحيد – ذبيحة وضحية ليكفر بها عن خطيئة آدم وذريته فى العالم كله (إشعياء ٥٣ : ٦و٧) ؛ (الأعمال ٨ : ٣٢و٣٣) . فيستحقوا بذلك صفحه عنهم ومغفرته لهم ، ويستعيدوا رضاه عنهم ومصالحته إياهم . ومن ثَمَّ يرحمهم بذلك من الهلاك الذى استحقوه بموجب العدل الإلهى .. « عالمين أنكم افتُديتم لا بأشياء تفنى ، بفضة أو ذهب .. بل بدم كريم كما مِنْ حَمَل بلا عيب ولا دَنس ، دم المسيح » (١ . بطرس ١ : ١٨ و ١٩) . عقابًا لهم على خطيئة آدم جدهم الأول التى ورثوها عنه ، فضلاً عن خطاياهم التى ارتكبوها هم أنفسهم ، لأن ابن الله إذ ارتضى أن يكون هو الذبيحة والضحية للتكفير عْن خطايا العالم (العبرانيين١ : ٣) ؛ (٢ : ١٧) ؛ (١ . بطرس ٣ : ١٨) ؛ (الرؤيا ٥ : ٦ – ١٢) ارتضى فى الوقت نفسه أن يحمل على عاتقه كل هذه الخطايا (يوحنا ١ : ٣٦) كأنه هو نفسه الذى ارتكبها (٢ . كورنثوس ٥ : ٢١) . وكان عليه مِنْ ثَمَّ أن يكفِّر عنها نيابة عن البشَر الذين هم المرتكبون الحقيقيون لها (١ . كورنثوس ١٥ : ٣) ؛ (غلاطية ١ : ٤) ؛ (١ . يوحنا ٤ : ١٠) . وهذا هو المعنى الذى ردّده القديس يوحنا البشير فى رسالته الأولى ، إذ يقول إن السيد المسيح « هو كفَّارة لخطايانا . ليس لخطايانا نحن فقط ، بل لخطايا كلّ العالم أيضًا » (١ . يوحنا ٢ : ٢) ؛ (الرؤيا١ : ٥) كما أن هذا هو المعنى الذى ردّده إشعياء النبى فى نبوءاته عن السيد المسيح ، إذ يقول عنه : « لكنَّ أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمَّلها .. وهو مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا ... وبحُبره شُفينا .. كُلُّنا كغنم ضللنا ، مِلْنا كلّ واحد إلى طريقه . والرب وضع عليه إثم جميعنا ... جعل نفسه ذبيحة إثم .. وهو حَمل خطيئة كثيرين وشفع فى المذنبين » (إشعياء ٥٣ : ٤ – ١٢) .

ثم قال يوحنا المعمدان وهو يواصل شهادته عن مخلصنا : « هذا هو الذى قلت عنه يأتى بعدى رجل يتقدمنى لأنه كان قبلى . وأنا لم أكن أعرفه ، ولكن

من أجل أن يُظْهر لإسرائيل جئت أنا أُعمِّد بالماء» وهو يردِّد بهذه العبارة ماسبق أن قاله لليهود الذين أتوا ليعتمدوا منه (يوحنا ١ : ١٥ و٢٧) . ثم ماقاله للكهنة واللاويين الذين أرسلهم رؤساء اليهود ليتحققوا من شخصيته . فهو لا يفتأ يكرر هذه العبارة لتستقرَّ فى الأذهان ، وليعلم الجميع مكانة السيد المسيح ومكانته هو بالنسبة للسيد المسيح . فهو يصفه بأنه رَجُل لأنه إنسان كامل الناسوت . ولكنه يصفه بأنه كان قبله مع أنه جاء بعده فى الزمان ، إذ وُلِدَ متأخرًا عنه بستة أشهر (لوقا ١ : ٢٦ و٥٧) ، ليبين أنه كان كائنًا منذ الأزل . ولما كان ليس أزليًّا إلا الله ، . فهو الله الكامل اللاهوت . ومع أن يوحنا المعمدان سبق له وهو فى بطن أمه أليصابات أن سجد للسيد المسيح وهو فى بطن أمه السيدة العذراء مريم حين جاءت لزيارتها (لوقا ١ : ٤١) ، فإنه لم يكن يعرفه قبل أن يجيء ليعتمد منه ، لأن كُلاًّ منهما كان بعد ولادته يعيش بعيدًا عن الآخر . فكان مخلصنا يعيش فى مدينة الناصرة (لوقا ٢ : ٣٩ و٤٠) ؛ (متى ٢ : ٢٣) . أما يوحنا المعمدان فقد كان « يقيم فى البرارى إلى يوم ظهوره لإسرائيل » (لوقا ١ : ٨٠) ؛ (متى ٣ : ١١) ؛ (١١ : ٧) . وذلك منذ طفولته المبكِّرة . فقد كان هيرودس ملك اليهود قد أَمَر بقتل كل الأطفال المناهزين لعمر الطفل الإلهى يسوع المسيح « من ابن سنتين فما أقل وفقًا للزمان الذى تحققه من المجوس » (متى ٢ : ١٦) . وكانوا قد جاءوا يسألون عن ذلك الطفل قائلين : « أين هو المولود ملك اليهود ؟ » (متى ٢ : ٢) . وقد كان يوحنا المعمدان واحدًا من بين الأطفال الذين ينطبق عليهم أمر القتل الذى أصدره هيرودس . ويروى لنا تقليد قديم أن الجند حين جاءوا ليقتلوه فى بيت أبيه زكريا ، إحتضنه أبوه بين يديه ، وقال للجند : « سأسلمه إليكم من المكان الذى أخذته منه » ، ثم جرى مسرعًا نحو الهيكل يحمل ابنه بين ذراعيه ، والجند يجرون وراءه ، فلما بلغ الهيكل أمسك بقرون المذبح وأخذ يصرخ إلى الرب إلهه قائلاً : « أليس هذا هو الابن الذى

أعطيتنى إياه فى سن الشيخوخة بعد طول جهاد ؟ إنهم يريدون قتله » ، وعند ذاك خطفه ملاك الرب من بين ذراعَىْ أبيه ومضى به إلى البرِّية ، فلما لم يجده الجند ، قتلوا أباه زكريا بالسيف ، وأما يوحنا فقد ظلَّ فى البرِّية حتى كبر وصار يافعًا « وكان طعامه جرادًا وعسلاً بريًّا » (متى ٣ : ٤) . وهكذا أَعَدَّ يوحنا نفسه للرسالة الجليلة التى تنتظره ، والتى كرَّسه الله لها منذ الحبل به فى بطن أمه ، وهىْ إعداد الطريق للمسيح المنتظر حين يُظهر نفسه للناس ، وتعريفهم به وبحقيقة شخصيته ، وبجوهر تعاليمه . حتى إذا أزف موعد ظهوره بدأ هو يقوم بالدور المرسوم له ، فأخذ يعَمِّد بنى إسرائيل بالماء (متى ٣ : ٦ و٧) ؛ (مرقس ١ : ٥ و٨) ؛ (لوقا ٣ : ٣ و٤ و١٦). ليطِّهرِّ أجسادهم ونفوسهم كى يكونوا مهيئين للتوبة ، ولاستقبال ذلك الذى جاء ليفديهم ويكفِّر عنهم لمغفرة خطاياهم (لوقا ١ : ١٧ و٧٦ و٧٧) .

وقد شرح يوحنا المعمدان بعد ذلك الوسيلة التى عَرَف بها شخصيَّة السيد المسيح الذى لم يكن قد رآه من قبل ، إذ شهد قائلاً : « إنى قد أبصرت الروح نازلاً عليه من السماء فى هيئة حمامة ، واستقرَّ على رأسه ، وأنا لم أكن أعرفه . ولكن الذى أرسلنى لأُعمِّد بالماء هو الذى قال لى : إن الذى تبصر الروح ينزل ويستقر عليه ، هو الذى يعمِّد بروح القدس . وأنا قد أبصرت وشهدت بأن هذا هو ابن الله » (يوحنا ١ : ٣٢ — ٣٤) ؛ (متى ٣ : ١٦) ؛ (مرقس ١ : ١٠) ؛ (لوقا ٣ : ٢٢) ؛ (يوحنا ٥ : ٣٢ و٣٣) .

وفى هذه الشهادة الرائعة نلمس تدبير الله فى حكمته ، كما نلمس حكمته فى تدبيره . فلم يكن عدم معرفة يوحنا لمخلصنا قبل أن يجىء ليعتمد منه ، أو قيام أى صداقة بينهما محض مصادفة ، وإنما كان أمرًا قَصَدت إليه العناية الإلهية لئلاَّ تكون شهادة يوحنا المعمدان للسيد المسيح منطوية أمام الناس على أيَّة شبهة للمجاملة التى قد تشوب شهادة صديق عن صديقه ، أو منطوية على أيَّة شبهة

للتأثيرالذى قد يفتعله صديق فى أفكار صديقه بحيث يرى أو يروى ما قد يعدّه الناس وهمًا أو أضغاث أحلام . وإنما شاء الله ألاَّ يتعرَّف يوحنا على شخصية سيِّده الذى جاء ليمهِّد الطريق أمامه إلاَّ بعلامة مادِّية منظورة ومسموعة ومحسوسة وملموسة ، بحيث لاتَدع فى نفسه أيَّة ريبة أو ادنى شك فى أن هذا هو السيد الذى ماجاء هوإلى العالم إلا ليشهد له ، والذى ظل حياته كلَّها ينتظره ليشهد له . وبحيث لا يَدَع هذا كله فى نَفْس مَن يسمع شهادته أيَّة ريبة أو أدنى شك فى أن مايقوله عنه حق وصدق . وذلك أنَّ الله الآب الذى أرسله لهذه الغاية وحدها جعل له علامة يتعرَّف بها إلى ذلك السيِّد الإلهى الذى لم يَرَه من قبل وإن كان قد سجد له وهو لا يزال فى بطن أمه . فقد أمره بأن يعمِّد بالماء فقط تمهيدًا لذلك السيد الذى سيعمِّد بالروح القدس . أى ذلك الذى لن يكتفى بالتعميد بالماء الذى لا يصلح إلا لتطهير الجسَد المادىّ الفانى ، وإنما سيطهِّر الروح نفسها ، وهى العنصر الجوهرى الخالد فى الإنسان بما يصلح لها ويتَّفق مع طبيعتها ، وهو روح الله الذى هوالروح القدس . ومِنْ ثَمَّ قال له الله الآب : « إنَّ الذى تبصر الروح ينزل ويستقر عليه ، هو الذى يعمِّد بروح القدس » . وهنا يبدو الفارق واضحًا بين معمودية يوحنا ومعمودية المسيح له المجد . فمعمودية يوحنا هى للإعداد والتوبة ، لكنّ الماء فيها يبقى على بسيط الحال ، ولا يتغيَّر عن طبعه . أما معمودية المسيح فشىء آخر . إنها ينحدر فيها الروح القدس على الماء (يوحنا ٣ : ٣ و ٥) . فيتغيَّر الماء عن طبعه ، ويصير ماء نزل فيه الروح القدس ، فصار ماء من نار (متى ٣ : ١١) ؛ (الأعمال ١ : ٥) ؛ (٢ : ٤) ، له القدرة على أن يغسل الخطيئة (الأعمال ٢٢ : ١٦) ، ويطهر من الدَّنَس ، بل يخلق الإنسان خلقًا جديدًا (غلاطية ٦ : ١٥) . وهو أيضًا ختان جديد ، لا بقطع جزء من الجسد ، بل بقطع جسم خطايا البشَرية ، ختان المسيح (كولوسى ٢ : ١١ و ١٢) .

وقد حدث ذلك بالفعل أمام عينى يوحنا حين جاء مخلصنا ليعتمد منه . إذ يقول « إنى قد أبصرت الروح نازلاً عليه من السماء فى هيئة حمامة واستقرَّ على رأسه » . وما كان ليوحنا المعمدان ، أو كان فى استطاعته ، أو كان من طبيعة كيانه البشرى أن يرى روح الله الذى لا يستطيع أن يراه إنسان ، ولا يحتمل أن يراه إنسان ، وقد سبق لليهود حين كانوا فى صحراء سيناء أن تجلَّى الله لهم ، فخافوا خوفًا شديدًا ، وتملكتهم رهبة قاتلة . إذ جاء فى سفر الخروج أنه حين أراد الله أن يخاطب اليهود .. « صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جدًّا ، فارتعد كل الشعب الذى فى المحلّة ، وأخرج موسى الشعب من المحلّة لملاقاة الله ، فوقفوا فى أسفل الجبل . وكان جبل سيناء كله يدخّن من أجل أنَّ الربَّ نزل عليه بالنار ، وصعد دخانه كدخان الأتون ، وارتجف كل الجبل جدًا . فكان صوت البوق يزداد اشتدادًا جدًّا ، وموسى يتكلَّم والله يجيبه بصَوْت .. وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخِّن . ولما رأى الشعبُ ارتعدوا ووقفوا من بعيد ، وقالوا لموسى : تكلَّم أنت معنا فنسمع ، ولا يتكلَّم معنا الله لئلاً نموت » (الخروج ١٩ : ١٦-١٩)؛ (٢٠ : ١٨و١٩). ولذلك فإن الله بعد أن استبدل بعهد النقمة على البشَر بسبب خطاياهم ، عهدَ النعمة بعد أن أرسل ابنه الحبيب ليكفِّر بموته عن تلك الخطايا ، ويعيدهم إلى أحضان حنان أبيهم السَّماوى ، قد شاءت حكمته ورحمته أن يبعث بروحه القدّوس إلى بنى الإنسان ، لا فى رعود وبروق وصوت بوق ونار ودخان ، وإنما فى هيئة حمامة بيضاء نقية وديعة رقيقة هى أبدع وأروع رمز للمحبة والسلام فى العهد الجديد ، عهد المحبّة والسلام . وفى هذه الهيئة رأى يوحنا المعمدان روح الله القدّوس نازلاً على فادينا الحبيب ، ومستقرًّا على رأسه ، كإشارة بليغة وبالغة الدلالة وعميقة المعنى ، ليفهم منها يوحنا المعمدان أنَّ هذه هى العَلامة التى حَدَّدها الله له ليدرك منها أن هذا هو المسيح ابن الله الذى جاء

ليشهد له ويمهِّد الطريق أمامه لدى بنى إسرائيل ولَدَى العالم أجمع . ومِن ثَمَّ خَتَم يوحنا شهادته بقوله فى يقين ليس بعده يقين ، وفى إيمان ليس أعمق منه إيمان : « أنا قد أبصرت وشهدت بأن هذا هو ابن الله » .



١ : ٣٥ - ٤٢

ثم فى اليوم التالى كان يوحنا المعمدان واقفًا مع اثنين من تلاميذه الذين بهرتهم تعاليمه الجديدة فآمنوا به والتفُّوا حوله . وقد ازداد تعلقهم به حين سمعوه يبشِّرهم بأن المسيح ابن الله الذى ينتظرونه مع سائر اليهود قد جاء فعلاً ، وأنه قائم بينهم وإنْ كانوا لم يعرفوه بعد ، وأنه قد أوشك أن يُظهِر لهم ذاته ويبدأ بينهم رسالته التى جاء من أجلها إلى العالم . ولم يلبث يوحنًا وهو واقف مع تلميذيه أن أبصر مخلِّصنا ماشيا قبالتهم . وكان قد بدأ بالفعل يجول فى بلاد اليهود ، مظِهرًا لهم ذاته . فما أبصره يوحنا حتى أخذ يُكرِّر على مسمع من تلميذيه شهادته التى كان قد جاهر بها مرارًا من قبل على مسمع من اليهود الذين كانوا يجيئون إليه ومنهم هذان التلميذان ، إذ قال لهما : « هذا هو حَمَل الله » . وإذ كانا قد فَهِما معنى هذه العبارة من يوحنا الذى كانا يعدّانه معلمهما ويثقان فيه ثقة التلاميذ بمعلّمهم ، أدركا أنَّ هذا هو المسيح فادى البشَر ومخلّصهم الذى ينتظرونه ،

فتبعاه . وقد ذكَرَ القدّيس يوحنا البشير اسم أحد هذين التلميذين وهو أندراوس أخو سمعان بطرس (متى ٤ : ١٨) . وأما التلميذ الآخر الذى كان معه ، فلا بدَّ أن يكون هو القديس يوحنا ذاته . ولذلك لم يذكر اسمه تواضعًا منه وتحرُّجًا من أن يتكلم عن نفسه ، شأن الأبرار القديسين . وفيما كان هذان التلميذان يتبعان مُخلِّصَنَا التفَتَ مُخلصُنَا ورآهما وهما يتبعانه . وإذ كان يعلم أنهما يريدان أن يتحدثا إليه ، ولكنهما يمنعهما عن ذلك الرَّهبةُ والخجل والأدَبُ . كما كان يَعْلم أنهما سيكونان من بين تلاميذه (متى ١ : ٢) ؛ (مرقس ٣ : ١٧و١٨) ؛ (لوقا ٦ : ١٤) ، أراد – بوداعته وتواضعه – أن يفتح لهما باب الحديث بنفسه . فقال لهما : « ماذا تطلبان ؟ » ، أى « ماذا تريدان أن تقولا لى ؟ » . فقالا له : « رابِّى – الذى ترجمته يامعلم – أين تقيم ؟ » . ولم يكن سؤالهما هذا لمجرَّد أن يعلما أين يقيم ، وإنما أرادا أن يُعبِّرا بذلك عن تعظيمهما له ، إذ لقّباه بالمعلِّم . وكان اليهود لا يطلقون هذا اللقب إلا على أعظم علمائهم ومعلِّميهم . كما أرادا أن يعبِّرا عن رغبتهم فى أن يتبعاه ليلتصقا به فى الموضع الذى يقيم فيه ، لأنهما أدركا أنه يقيم فى مكان بعيد عن المكان الذى رأياه فيه . ولأنهما قرّرا منذ تلك اللحظة أن يكونا من أقرب تلاميذه إليه ، فيقيما حيث يقيم ، ويذهبا إلى حيث يذهب ، ويستمعا إلى كل مايقول ، ويريا كلَّ مايفعل . فقال لهما : « تعاليا وانظُرا » ، تعبيرًا عن ترحيبه بهما وقبوله رغبتهما فى أن يتعرفا به فيعرفاه على حقيقته .

ومِن ثَمّ أرادهما أن ينظرا إلى المكان المتواضع الذى يقيم فيه لئلاَّ يتوهَّما أنه وهو ابن الله قد اختار لنفسه حين جاء إلى العالم قصرًا من قصور الملوك أو قلعة من قلاع الأباطرة ، فيبنيان على ذلك أفكارًا دنيوية وآمالاً أرضية فى الجاه الدنيوى والسلطان الأرضى . وإنما اختار أن يكون إنسانًا فقيرًا متواضعًا ، كالغالبية العظمى من بنى الإنسان ، لأن مملكته التى سيدعو إليها ليست على الأرض ، وإنما

هى فى السماء (يوحنا ١٨ : ٣٦) . فإن كان هذان التلميذان يريدان حقًّا أن يتبعاه ، فليعرفا هذه الحقيقة منذ اللحظة الأولى ، فلا يكونا ضحية وهْم خادعٍ أو أملٍ كاذب . وفعلاً أتيا ونظرا أين يقيم ومكثا عنده ذلك اليوم حتى بلغت الساعة نحو العاشرة بالتوقيت اليهودى ، أى نحو الساعة الرابعة بعد الظهر بالتوقيت الحديث ، أى مكثا عنده اليوم كله ، مما يدلُّ على أنهما – على الرغم من تواضع المكان الذى وجداه يقيم فيه ، وعلى الرغم من تواضعه هو نفسه – بهرتهما عظمة شخصيته النبيلة الجليلة ، وأذهلتهما روعة تعاليمه السماوية السامية . مما جعلهما يتعلقان به من أول وهلة ، فلم يتركاه إلا فى آخر النهار ، وماتركاه إلا لينطلقا فرحين إلى اخوتهما ومعارفهما ليبشراهم بذلك النبأ العظيم الذى تنبأ به كل أنبياء العهد القديم ، نبأ مجئ المسيح ابن الله مخلِّص العالم .

وكان أول من لقيه أندراوسُ أخاه سمعان بطرس ، فبادره قائلاً « قد وجدنا المشيح » ، وهذا هو النطق الآرامى لكلمة المسيح ، أو باليونانية « مَسيَّاس » . وإذ كان أندراوس فى لهفة شديدة لأن يذيع أمر ذلك الاكتشاف الرائع بأسرع ما يمكن ، وعلى أوسع نطاق ، أخذ أخاه بطرس على الفور وجاء به إلى مخلصنا . والراجح أن بطرس كان هو أيضًا من تلاميذ يوحنا المعمدان ، فلما رآه مخلِّصنا قال له « أنت سمعان بن يوحنَّان ، وليكن اسمك كيفا » . وهكذا برهن السيد المسيح منذ أول لحظة بدأ فيها أداء رسالته على علمه الإلهى بكل شىء وبكل شخص (يوحنا ٢ : ٢٥) ، إذ عرف بمجرد أن رأى بطرس لأول مرة أن اسمه العبرانى سمعان ، وأن اسم أبيه يُوحنَّان ، ولكنه شاءت حكمته أن يختار له اسمًا آخر هو « كيفا » ، وهى كلمة آرامية معناها « حَجَر » ، وباليونانية بطرس Πέτρος ومعناها أيضًا « حَجَر » ، فأصبح هو الاسم الغالب له (متى ١٦ : ١٨) ؛ (مرقس ٣ : ١٦) ؛ (لوقا ٦ : ١٤) ؛ (يوحنا ١٣ : ٨) . وإن كان

الكتاب المقدس كثيرًا مايجمع بين الاسمين فيقول عنه « سمعان بطرس » (متى ١٦ : ١٦) ؛ (لوقا ٥ : ٨) ؛ (يوحنا ١ : ٤٠) .

١ : ٤٣ - ٥١

وفى اليوم التالى ، إذ كان فادينا يقصد إلى منطقة الجليل فى تجواله الذى أصبح دائمًا ومتصلاً كى ينجز رسالته ، وجد رجلاً آخر أدرك بعلمه الإلهى صلاحيته لأن يكون من تلاميذه الأقربين . وكان اسمه « فيلبس » ، فقال له « اتبعنى » ، فتبعه على الفور وأصبح من تلاميذه الاثنى عشر (متى ١٠ : ٣) ؛ (مرقس ٣ : ١٨) ؛ (لوقا ٦ : ١٤) ، مما يدل على أن اختيار مخلصنا له كان قائمًا على حكمته الإلهية ، وعلمه العميق والدقيق بمعادن الرجال ودخائل نفوسهم ، ومدى استعدادهم واستحقاقهم للرسالة الجليلة التى هيأهم للقيام بها . وقد كان فيلبس هذا من مدينة « بيت صيدا » على شاطىء بحر الجليل (يوحنا ١٢ : ٢١) . وهى نفس المدينة التى كان منها أندراوس وبطرس . ومعنى اسمها « بيت الصيد » ، لأن أغلب سكانها كانوا من صيَّادى السمك . فلما استمع فيلبس إلى تعليم الرب يسوع المسيح الذى دعاه ليتبعه حتى أدرك على الفور حقيقة شخصيته ، فانطلق فى فرح عظيم ليذيع النبأ كما فعل أندراوس من قبل . وكان أول من وجده من معارفه نثنائيل الذى من بلدة « قانا » بالقرب من « الناصرة » (يوحنا ٢١ : ٢) . فأفضى اليه على الفور بذلك السِّرِّ الرائع قائلاً له : « قد وَجَدْنا الذى كَتَبَ عنه موسى فى الشريعة ، وكذلك الأنبياء ، وهو يسوع بن يوسف الذى من الناصرة » ، ويدلّ قوله هذا على أنه كان دارسًا للعهد القديم من الكتاب المقدَّس دراسة دقيقة وعميقة ، ومدرِكًا كُلَّ الإدراك لمعنى نبوءات كل الأنبياء الذين تكلموا عن مجىء المسيح ابن الله ، منذ موسى النبى (التكوين ٣ : ١٥) ؛ (١٧ : ٧) ؛ (٢٢ : ١٨) ؛ (٤٩ : ١٠) ؛ (التثنية ١٨ :

١٨) وكل الذين جاءوا بعده من الأنبياء على مدى أكثر من ألف عام (إشعياء ٤ : ٢)؛ (٧ : ١٤)؛ (٩ : ٦)؛ (٥٣ : ٢)؛ (ميخا ٥ : ٢)؛ (زكريا ٦ : ١٢) ؛ (٩ : ٩) . بَيد أنَّ فيلبس إن كان قد تأكد من أنَّ ذلك الذى وجده والذى دعاه لأن يتبعه هو المسيح الذى تنبأ بمجيئه الأنبياء ، فإنه حين ذَكَر اسمه لنثنائيل قال إنه « يسوع بن يوسف » . ولعلَّ السبب فى ذلك أن مخلصنا كان معروفًا لدى أهل مدينة الناصرة التى قضى فيها معظم حياته على الأرض (متى ٢ : ٢٣) ؛ (لوقا ٢ : ٤) ؛ (٤ : ١٦) بأنه ابن يوسف النجار ، على مقتضى التدبير الإلهى الذى شاء أن يتم بين يوسف ومريم عقد زواج رسمى عَقَده كهنة الهيكل بينهما قبل أن تنتقل مريم من بيت النذيرين فى الهيكل إلى بيت يوسف ، وبالتالى قبل أن يُبَشرها الملاك جبرائيل بالحبَل الإلهى . فالمعروف من تاريخ مريم أن أبويها نذراها للهيكل فى الثالثة من عمرها ، فلما بلغت الثامنة من عمرها كانت قد تيتمت من أبويها ، وظلت فى الهيكل حتى سن الثانية عشرة من عمرها . وعندئذ كان لابُدَّ – فى سن البلوغ – أن تخرج من الهيكل . ومِنْ ثَمَّ لزم أن يعقد لها على رجل يحميها ، إذ ما كان لهم أن يسلِّموها إلى رَجُلٍ إلاَّ إذا عَقدوا لها عليه عقدًا رسميًّا ، يبرئها من كل اتهام يخدش سمعتها لو حملت بجنين – على أن هذا الزواج بالنسبة لمريم كان من نوع ذلك الزواج البتولى الذى لا يجرى فيه اختلاط جَسَدِى بين الرَّجُل وزوجته . ومِمَّا يدلُّ على ذلك أن مريم اعترضت على قول الملاك لها : « هاأنت ذى ستحبلين وتلدين ابنًا تسمينه يسوع » (لوقا ١ : ٣١) قائلة : « كيف يكون لى هذا ، وأنا لا أعرف رجلاً » (لوقا ١ : ٣٤) على الرغم من أن بشارة الملاك لها كانت بعد أن عقد الكهنة عليها وعلى يوسف ، وبعد أن انتقلت بالفعل إلى بيت يوسف ، وهذا يثبت أنها كانت معتزمة على بقائها بتولاً على الرغم من عقد الزواج الرسمى بينها وبين يوسف ، حتى إن الملاك ظهر ليوسف فى الحلم ، وقال له « يايوسف بن داود ، لا تَخَف أن

تستبق مريم امرأتك ، لأن الذى سيولد منها إنما هو من روح القدس ... فلما نهض يوسف من النوم فَعَل كما أَمَرَهُ ملاك الرَّبِّ ، واستبق مريم امرأته » (متى ١ : ٢٠ - ٢٤) .

ولو لم تكن مريم قد انتقلت بالفعل إلى بيت يوسف بعد اتمام عقد الزواج الرسمى ، ثم قبلت بُشْرى الملاك لها هناك ، لَمَا قال الإنجيل عن يوسف ، « وإذ كان يوسف رجلها بارًّا ، ولم يشأ أن يشهر أمرها ، أراد أن يخلى سبيلها سرًّا » (متى ١ : ١٩) . فهو إذن رَجلُها . ثم بعد أن رأى علامات الحمل عليها وهى فى بيته ، وهو يعلم أن هذا الحمل ليس منه ، أراد أن يخلى سبيلها سرًّا لأنه لم يشأ أن يشهر أمرها ، وذلك بأن يخرجها من بيته خفية من دون أن يعلم أحد بموضوعها حتى لا تُرجَمَ بموجب الشريعة . ثم يذكر الإنجيل بعد ذلك « ولكنه فيما كان يفكِّر فى ذلك إذا ملاك الربِّ قد ظهر له فى حلم قائلاً : يايوسف بن داود ، لا تخَفَ أن تستبق مريم امرأتك لأن الذى سيولد منها إنما هو من روح القدس » (متى ١ : ٢٠) .

وإذن فمريم زوجة رسمية ليوسف بموجب العقد الرسمى الذى بينهما ، وبناء عليه انتقلت بالفعل إلى بيت يوسف : وبعد ذلك ظهر لها الملاك جبرائيل وبشَّرها بالحمل الإلهى . وقد ذكر الإنجيل ذلك صراحة ، أن يوسف رَجُل مريم ، وأن مريم امرأة يوسف ، إذ يقول « ويعقوب أنجب يوسف رجل مريم التى وُلد منها يسوع الذى يُدْعَى المسيح » (متى ١ : ١٦) . وأيضًا « وإذ كان يوسف رَجلها بارًّا » (متى ١ : ١٩) . ثم « يايوسف بن داود ، لا تَخَف أن تستبق مريم امرأتك » (متى ١ : ٢٠) . وكذلك « فلما نهض يوسف من النوم ، فَعَلَ كما أَمَره ملاك الرَّبّ ، واستبق مريم امرأته » (متى ١ : ٢٤) .

أما اعتراض مريم على بشرى الملاك لها وقولها له : « كيف يكون لى هذا وأنا

لا أعرِف رَجلاً » (لوقا ١ : ٣٤) . فيدُّل ليس فقط على أنها كانت بتولاً قبل الحبل بيسوع المسيح (متى ١ : ١٨) ، وإنما يدلّ أيضًا على أنها كانت قد نذرت البتولية لتظلَّ بتولاً كُلَّ أيام حياتها مُقدَّسة جَسَدًا وروحًا . إذ كيف لفتاة عُقِد عليها عَقْد زواج رسمى ، وانتقلت إلى بيت رَجلها بالفعل ، وقد ذَكَره الإنجيل صراحة أنّه رجُلها وهى امرأته ، كيف لفتاة هذا وضعها أن تعترض على بُشرى الملاك مع أنه يكلِّمها بلغةِ المستقبل قائلاً « وها أنت ذى ستحبلين وتلدين ابنًا » (لوقا ١ : ٣١) ، وتقول بِلغة الحَسْمِ « كيف يكون لى هذا وأنا لا أعرف رَجلاً » لو لم تكن قد نذرت نفسها للبتولية الدائمة والعفة الكاملة كل أيام حياتها ؟

ثم إن الملاك جبرائيل لم يُوَبِّخها على هذا الاعتراض ولم يَلُمها ، ولكنه فى احترام وفى أدب جمٍّ أدرك مغزى اعتراضها مبينًا لها أن هذا الحمل سوف لا يتعارض مع احتفاظها ببتوليتها ، لأنه سوف يكون بالروح القدس . لا بزرع رَجلٍ.. «إنَّ روح القدُس سيحلّ عليك وقوَّة العلِيِّ سَتُظَلِّلك» (لوقا١ : ٣٥) . فَلماَّ اقتنعت بأنها ستكون أمًّا وَأنها ستظل عذراء دائمًا . عذراء دائمة البتولية ، خضعت لمشيئة الله وإرادته وقالت على الفور « هاأناذا أَمةُ الرَّبِّ ، فليكن لى بِحَسَبِ قولك» (لوقا ١ : ٣٨) .

ولذلك ردَّد فيلبّس ذلك القول الشائع من أنه ابن يوسف ، لأنه لم يكن قد أدرك بعدُ، ذلك السِّر الذى يفوق عقول البَشَر ويتجاوز مداركهم عن طبيعة السَّيد المسيح من أنه ابن الله ، وأنه فى الوقت نفسه ابن الإنسان ، لأنه جاء من نسل المرأة ، متخذًا جَسَد إنسان . (غلاطية ٤ : ٤) .

غير أن نثنائيل حين سمع مع فيلبس أن المسيح من الناصرة ، لم يصَدِّق ماقاله

له ، لأن اليهود كانوا ينظرون إلى هذه المدينة نظرة احتقار وازدراء ، إذ أن ساكنيها من اليهود كانو يختلطون بالوثنيين ويتبادلون معهم التجارة والمصالح ، مما يجعلهم فى نظر اليهود المتزمتين أنجاسًا وأشرارًا وكفّارًا يستوجبون غضب الله عليهم وقضاءه بهلاكهم (يوحنا ٧ : ٤١و٤٢و٥٢) . ومِنْ ثَمَّ قال نثنائيل على الفور : « أيمكن أن يخرج من الناصرة شيء صالح ؟ » فلم يجد فيلبس حجة يردّ بها على هذا الاعتراض إلا أن يدعو نثنائيل لأن يأتى معه ليرى بنفسه ذلك الذى أبدى الشك فى صلاحه لمجرّد أنه نشأ فى مدينة يعدّها غير صالحة . ومن ثم قال له : «تعال وانظر» . وقد كان هذا أبلغ برهان يمكن أن يفحمه به . لأنه بالفعل أدَّى إلى النتيجة الرائعة التى هَدَفَ إليها وتوقعها ، لأن مخلِّصنا ما إن رأى نثنائيل مقبلاً نحوه حتى أشار إليه كأنه يعرفه من زمان بعيد ، وقال عنه للمجتمعين حوله : « هوذا حقًّا إسرائيلى لاغشَّ فيه » ، لأنه علم عنه أكثر مما يعلمه هو عن نفسه ، ممتدحًا إياه بأنه رجل مستقيم لا يلتوى ، وصادق لا يكذب ، وصريح لا يعرف الغش ولا الرياء ، وهى الصفات التى ينبغى أن تتوفَّر للرجل الإسرائيلى حقًّا ووفقًا لوصايا الله التى أوصى بها بنى إسرائيل (المزمور ٣١ : ٢) ؛ (٧٢ : ١) ؛ (يوحنا ٨ : ٣٩) ؛ (روما[رومية]٢ : ٢٨و٢٩) ؛ (٩ : ٦) وقد دهش نثنائيل دهشة عظيمة من قول مُخَلِّصنا الذى لم يكن قد رآه قبل ذلك ، وسأله قائلاً «من أين تعرفنى؟» . ولم يكن هذا سؤالاً بقدر ما كان تعبيرًا عما أصاب نثنائيل من ذهول وعجب من ذلك الإنسان الذى – مع أنه لم يره إلا فى هذه اللحظة – أظهر معرفة كاملة بأعمق أعماق نفسه . وعندئذ ضاعف مخلِّصنا من دهشته وذهوله وعجبه ، إذ أجاب قائلاً : « قبل أن يدعوك فيلبس حين كنت تحت شجرة التين ، رأيتك » . وقد كشف له بذلك أنه لا يعرف دخيلة نفسه فحسب ، وإنما يعرف عنه أمرًا خاصًّا لا يعلم به أحد غير نثنائيل نفسه ، وأمّا نثنائيل ، كما يدلنا على ذلك مانقله إلينا تقليد قديم ، وهو أنه عندما كان طفلاً

رضيعًا ، كان من بين الأطفال الذين انطبق عليهم قرار هيرودس الملك الذى « حين رأى أن المجوس قد سخروا به استشاط غضبًا وأرسل فقتل كل الأطفال الذين كانوا فى بيت لحم وفى كل نواحيها ، من ابن سنتين فأقل ، وفقًا للزمان الذى تحققه من المجوس » (متى ٢ : ١٦) . وإذ تنبهت أم نثنائيل وضعت طفلها فى سفط ، وحملته إلى أعلى شجرة التين وخبأته بين أغصانها . فدخل الجند بيتها ولم يجدوا فى البيت طفلاً فخرجوا ، وهكذا نجا الطفل نثنائيل من موت محقق .. هذه القصة التى لم يعرفها إلا نثنائيل وأمه التى أخبرته بها هى التى نقلت إيمان نثنائيل فجأة من شخص كان مترددًا أن يجىء إلى يسوع المسيح بعد أن علم أنه من الناصرة ، بل قال لفيلبس الذى دعاه « أيمكن أن يخرج من الناصرة شىء صالح ؟ » إلى شخص يقول ليسوع الناصرى بانبهار « يامعلّم أنت ابن الله . أنت ملك إسرائيل » (يوحنا ١ : ٥٠). ذلك لأنه سمع من الرب يسوع قوله له « حين كنت تحت شجرة التين رأيتك » ، أى حين لم يبصرك أحد وأنت تغطيك الأغصان قابعًا فى سَفَطٍ فى تعريشة التينة ، أنا رأيتك .. عندئذ أدرك نثنائيل – وهو عالم بالكتب المقدسة وأسفار الأنبياء – أن يسوع الناصرى ليس إنسانًا ، وإنْ ظَهَرَ فى صورة إنسان ، إنه صورة الله الغير المنظور ، إنه ابن الله (متى ١٤ : ٣٣) على الحقيقة ، من ذاته ومن طبيعته ، وإنه بالتالى « ملك إسرائيل » المسيح الموعود به فى نبوءات الأنبياء . إذ كانت النبوات عن المسيح ابن الله تقول إنه حين يجىء سيكون ملك اليهود ويجلس على عرش إسرائيل (يوحنا ١٨ : ٣٧) . وإذ رأى مخلّصنا أنه آمن بكل هذه السرعة وكل هذا الصدق وكل هذا العمق ، لمجرّد أنه وجده عالمًا بأمور خاصة به لا يعرفها عنه أحد غيره ، أراد له المجد أن يوطّد إيمانه ويؤكد صدق الشهادة التى هتف بها . فقال له : « لأنى قلت لك إنى رأيتك تحت شجرة التين آمنت ؟ لسوف ترى أعظم من هذا » . أى أنه سوف يرى براهين أقوى وأروع من هذا البرهان على أنه هو المسيح ابن الله ، وذلك

حين يرى المعجزات الغريبة العجيبة الإلهية التى سيصنعها ، إذ يقيم الموتى ويشفى المرضَى ويُخرج الشياطين وغير ذلك من الآيات الرائعة بكلمة منه . ثم قال مخلِّصنا لنثنائيل ولسائر الموجودين : « الحق الحق أقول لكم إنكم سترون السماء مفتوحة ، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان » . أى أنه بتعاليمه السماوية ومعجزاته الإلهية سيزيل الحاجز بين الأرض والسماء فيرى الناس السماء مفتوحة أمامهم (إشعياء ٦٤ : ١) ؛ (حزقيال١ : ١) ؛ (ملاخى ٣ : ١٠) ؛ (متى ٣ : ١٦) ؛ (مرقس ١ : ١٠) ؛ (لوقا ٣ : ٢١) فى عهد النعمة الذى جاء به مخلِّصنا ، بتكفيره عن خطايا البشر ، بعد أن كانت السماء مغلقة فى عهد النقمة ، حين كانوا لا يزالون رازحين تحت نير خطاياهم . ولما كان الملائكة هم خدّام ابن الله قبل أن يجيء من السماء إلى العالم ، فإنهم سيظلون يخدمونه بعد مجيئه إلى العالم . وهم لا يفتأون لهذه الغاية يصعدون وينزلون عليه (متى ٤ : ١١) ؛ (مرقس ١ : ١٣) ؛ (لوقا ٢ : ٩و١٣) ؛ (٢٢ : ٤٣) ؛ (٢٤ : ٤) ؛ (الأعمال ١ : ١٠) . وقد لقب نفسه بابن الإنسان تواضعًا منه وهو ابن الله ، وإظهارًا لناسوته الذى اتحد بلاهوته ، إذ كان حريصًا على أن يكشف للناس هذه الحقيقة ، لئلاً تتبلبل أفكارهم بشأنه ، وليعلموا علم اليقين أنه وإن كان إنسانًا كامل الناسوت فيما عدا الخطيئة ، كما يدلُّ على ذلك مظهره الإنسانى ، فإنه فى الوقت نفسه هو ابن الله ، وهو الله ذاته الكامل اللاهوت ، كما تدلُّ على ذلك أقواله وأعماله الإلهية .





الفصل الثانى

٢ : ١ – ١١

ثم روى القديس يوحنا قصة أول معجزة صنعها مخلِّصنا بعد ذهابه إلى الجليل بثلاثة أيام . وقد بدأ له المجد يصنع المعجزات ليؤمن الناس بحقيقة شخصه الإلهى ، إذ أعلن يوحنا المعمدان فى شهادته عنه أن هذا هو ابن الله . وقد كان هذا الإعلان عن إنسان مثلهم أمرًا فوق مدارك البشَر ، يصعب على العقل البشرىّ أن يستوعبه ، ولا يسعه لأوّل وهلة إلا أن يكذِّبه ، بل أن يسخر منه ويستهزئ به ، لأنه كيف يمكن للعقل البشرى أن يصدِّق أن الله العظيم الجبار ، الأزلى الأبدى ، المالئ السماوات والأرض ، الذى لا بداءة له ولا نهاية ، ولا يحدّه زمان ولا مكان ، ولا يمكن أن يصل إلى كنهه أو مدى قوته أو قدرته أو قد سيته خيال إنسان ، يتنازل هكذا فيأخذ صورة رجلٍ متواضع ، فقير النشأة ، بسيط الرداء ، قليل الغذاء ، لا مضجع له ولا مال ولا منصب ولا جاه ، ولا موضع له بين السادة الأقوياء والأغنياء والوجهاء من أهل هذا العالم ؟. حقًّا لقد كان اليهود ينتظرون مجىء ابن الله فى صورة البَشَر على مقتضى نبوءات أنبيائهم . ولكنهم تصوروه – كما صوره لهم كهنتهم وفقهاؤهم وعلماؤهم – سيجىء بصخب عظيم فى هيئة ملك طاغية ، يملأ الأرض بجيوشه ، ويغطى البحر بأساطيله ، ليخلِّصهم من ربقة الرُّومان ، ويعيد إليهم مجد مملكة داود وسليمان ، ويفتح العالم كله

ليجعلهم سادة جميع الأمم . وذلك لأن غباوة اليهود وغلظة قلوبهم وعَمَى بصائرهم وشدة كبريائهم وغطرستهم ، وبشاعة حيوانيتهم وبهيميتهم ، حالت بينهم وبين أن ينكشف لهم ذلك السرُّ الإلهى العجيب الذى أعلنه الله لهم فى نبوءات أنبيائهم ، والذى طالما أكَّدلهم فى تلميح غامض تارة وفى تصريح واضح تارة أخرى أنه - إذ شاءت حكمته ورحمته خلاص البشَر من الهلاك المحكوم به عليهم من العدل الإلهى - قَرَّر أن يرسل ابنه الذى هو كلمته فى صورة البشَر لِيُقدِّم بدمه الكفَّارة اللازمة لذلك الخلاص . وإذ هو قادر على كل شىء ، فهو قادر على تحقيق هذا الذى قرّره ، على الرغم من قصور العقل البشرىِّ عن إدراك الكيفية التى يمكن أن يتم بها ذلك ، لقصور ذلك العقل عن معرفة كُنْه الله ، وحقيقة طبيعته ، لأنه لا يمكن للجزء أن يحيط بالكل ، ولا يمكن للمخلوق - وهو لا يعرف حقيقة نفسه - أن يعرف بالأحرى حقيقة خالقه . وقد كان السيد المسيح يدرك - وقد جاء فى غير الصورة التى كان اليهود يتصورونها - أنهم لن يصدِّقوا أنه المسيح ابن الله الذى ينتظرونه ، إلا إذا صنع أمامهم - على الرغم من هيئته البشرية المتواضعة - أعمالاً لا يستطيع أن يصنعها إلا الله وحده ، بسلطان لا يمكن أن يكون إلا سلطان الله وحده ، لأنه ليس فى استطاعة إنسان ولا فى سلطانه أن يصنعها .. ولذلك سميت بالمعجزات ، إذ تعجز كلُّ قوة بشرية عن أن تأتى مثلها .

وقد تبدو المعجزات التى صنعها السيد المسيح ليؤمن به اليهود خارقة لقوى الطبيعة ، بحيث يرتاب فى صدقها كثيرون ممن لم يروها بأعينهم . بيد أن ذلك لا يصدر من هؤلاء المرتابين إلا عن سطحية فى التفكير ، وجهل بمدى قدرة الله . لأن الإنسان بقدراته الضئيلة واستعداداته المحدَّدة لا يمكن أن يميز فى ذلك الكون العظيم المحيط به بين ماهو ممكن وماهو غير ممكن . وبين مايبدو منها خارقا

لقوى الطبيعة وماهو غير خارق لها ، وبين ماهو موافق لقوانين الطبيعة ومايظهر منها مخالفًا لتلك القوانين . ولأن الله – وهو الخالق الكون ، والمانح الطبيعة قواها ، والواضع لها قوانينها – قادر على أن يدير هذه الطبيعة كيف يشاء ، وأن يدبِّر أمورها على مقتضى إرادته التى لا يحدّها حَدّ ولا يعوقها عائق ، ولا يحول دون تنفيذها حائل ولا مانع من قوة أو قانون . وإلا كان فى قوى الطبيعة وقوانينها مايحدّ من قدرته وإرادته ، فى حين أنه هو مبدعها وواضعها . وهذا غير معقول ولا مقبول . كما أن قوى الطبيعة وقوانينها إذا كانت تحدّ من قدرة الله وإرادته كان ذلك مدعاة إلى القول بعجزه ، وهو تعالى منزّه عن العجز ، لأنه كامل كمالاً مطلقًا . فما نسمّيه إذن بالمعجزات – وإن كان معجزًا للناس لأنه فوق قدرتهم – لا يمكن أن يكون معجزًا لله ، لأنه قادر على كل شىء . (أيوب ٤٢ : ١) ؛ (التكوين ١٨ : ١٤ ؛ لوقا ١ : ٣٧) .

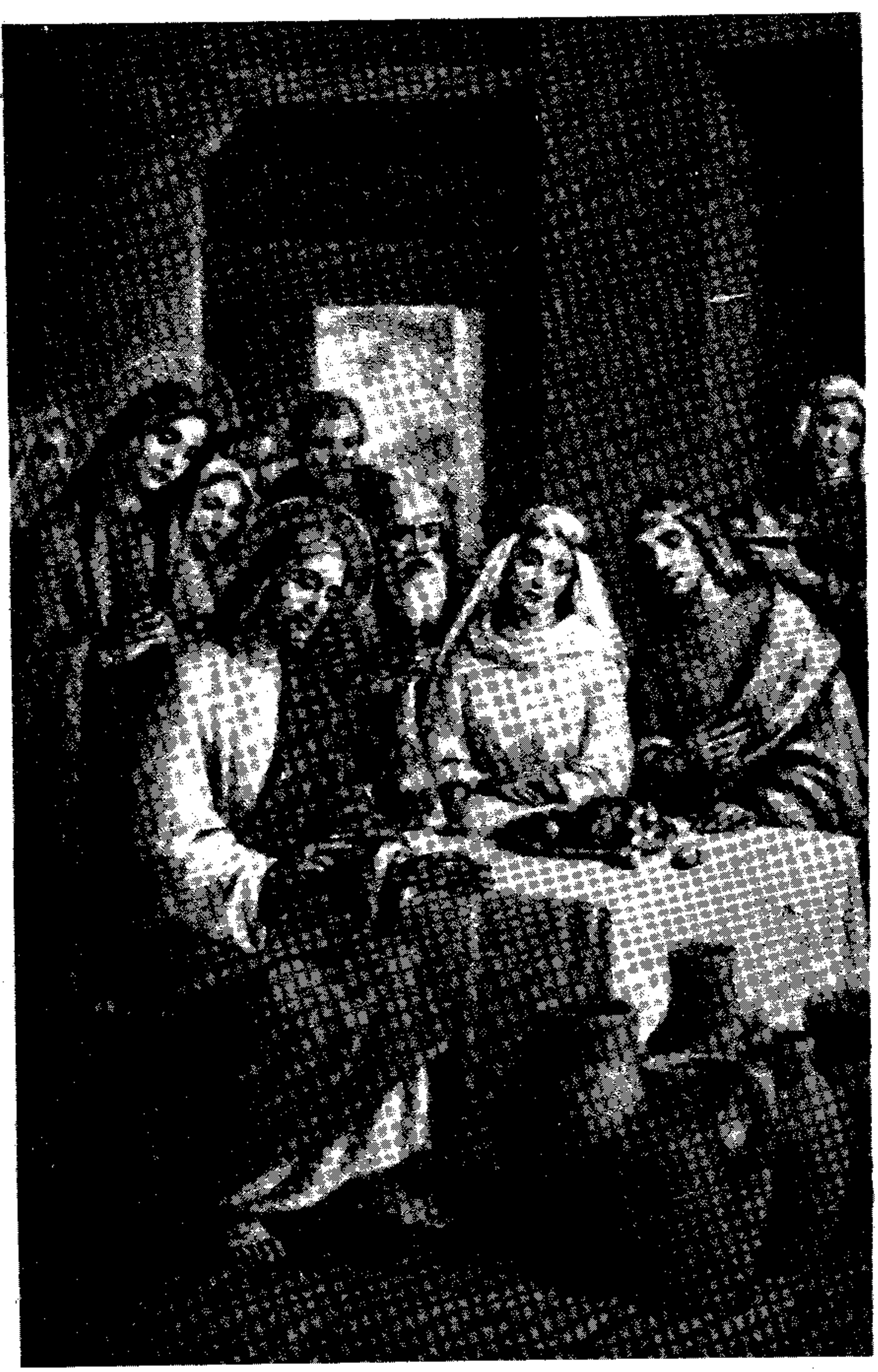
فبعد أن ذهب مخلِّصنا إلى الجليل بثلاثة أيام ، يروى الإنجيل للقديس يوحنا أنه كان ثمة عرس فى قانا الجليل . وكانت السيدة العذراء القديسة مريم أم مخلِّصنا حاضرة فى ذلك العرس . كما كان مدعوًّا إليه الرب يسوع هو (متى ١١ : ١٨ و ١٩) وتلاميذه الأوائل الذين كانوا لا يزالون قلائل فى ذلك الحين . وقد كان تقديم الخمر من مستلزمات الضيافة عند اليهود ولا سيما فى الأعراس ، لأن الخمر لم تكن محرّمة لديهم (التكوين ٢٧ : ٢٥و٢٨و٣٧) ، وإنما كانوا يعدّونها من بركات الله ودلائل نعمته (التكوين ١٤ : ١٨) ؛ (إشعياء ٣٦ : ١٧) ؛ (٦٢ : ٨و٩) ؛ (٦٥ : ٨) ؛ (المزمور ١٠٣ : ١٥) ؛ (يوئيل ٢ : ٢٤) . لأنها كانت من عصير العنب الذى تجود به الأرض الطيبة إذا رعاها الله بعنايته (إرميا ٦ : ٩) ؛ (٢٥ : ٣٠) ؛ (٤٨ . ١١ و١٢و٣٣) ؛ (إشعياء ٥ : ٢) ؛ (١٦ : ١٠) ؛ (٦٣ : ١ – ٣) ؛

(نحميا ١٣ : ١٥) ؛ (أيوب ٢٤ : ١١) ؛ (٣٢ : ١٩) ؛ (متى ٢٦ : ٢٩) . بل لقد كانت الخمر من عصير العنب تقدم للربّ كسكيب مع المحرقة اليومية (الخروج ٢٩ : ٤٠) . ومع الباكورات (اللاويين ٢٣ : ١٣) ومع كل أنواع الذبائح (العدد ١٥ : ٥) . وكانت البكور والعشور منها تقدَّم للربّ وللكهنة (التثنية ١٨ : ٤) وكانت الخمر تشرب فى أثناء أكل خروف الفصح .

بيد أن الخمر لم تلبث أن نفدت فجأة فى ذلك العرس ، فارتبك العريس ، وانتابه حرج شديد إزاء المدعوّين ، ومِنْ ثَمَّ عطَفت السيدة العذراء عليه وأرادت أن تنقذه من ورطته . وكانت تعلم أن ابنها قادر على ذلك ، فقالت له : « ليس لديهم خمر » ، وبهذه العبارة اللبقة القصيرة ناشدته أن يتدخل بقدرته الإلهية المعجزيَّة التى تعرفها عنه دون سائر الناس كى يرفع الحرج عن العريس ويدفع عنه الخجل الذى انتابه من ذلك التقصير فى إكرام ضيوفه . ولا سيَّما أن السيدة العذراء قد لاحظت أن ابنها الإلهى قد بدأ فعلاً فى إنجاز رسالته ، فلم يَعُد ثمة مانع من أن يبدأ فى إثبات حقيقة ذاته ، بأن يصنع أمام تلاميذه ما كان ولا ريب يصنعه أمامها هى من معجزاته الإلهية ، لأنها كانت تعرف أنه ابن الله . ولكن مخلِّصنا فيما يبدو كان يرى أنه ينبغى أوَّلاً أن يقضى وقتًا كافيًا فى التعليم قبل أن يبدأ فى صنع المعجزات ، لأن كلّ قول وكل عمل كان له وقت محدّد لديه ، فلا يقول أو يعمل شيئًا فى غير وقته المحدّد له . ومِنْ ثَمَّ قال لها : « ماشأنى ياسيدة وشأنك فى هذا ؟ إن ساعتى لم تأت بعد » . أى أنَّ الساعة التى حدَّدها لصنع المعجزات لم تأتِ بعد (يوحنا ٧ : ٦) . ومع ذلك فقد كانت مخاطبته لها — وهو يطلب إليها ذلك تنطوى على كل الاحترام الذى يليق بالابن نحو أمه . لأن قوله لها « ياسيِّدة » أو « ياامرأة » (يوحنا ١٩ : ٢٥) كان فى تقاليد تلك الأيام يدلّ على أعظم الإجلال والإكرام . ولكنها كانت تعلم أنه — وإن كان قد اعترض على الطلب الذى تقدَّمت به إليه — سيطيعها كما تعودت منه ذلك (لوقا ٢ :

٥١) . طاعة الابن البارّ لأمه ، ولا يرفض لها طلبًا . كما كانت تعلم كم هو رحيم وحنون ومحب ورءوف ومستعد لعمل الخير لكل إنسان وفى كلِّ حين . فقالت فى ثقة للقائمين بالخدمة فى وليمة العرس « مايأمركم به افعلوه » أى نَفِّذوا كل أوامره بكل دقة ، ودون أى مناقشة . وذلك ثقة منها بأنه قد استجاب لطلبها ، ولابدّ أنها فهمت من لهجة حديثه معها ومن قَسمات وجهه أنه قَبِل رجاءها ، وأنه على الرغم من أن ساعته لصنع المعجزات لم تأتِ بعد كما قال لها ، سيصنع المعجزة إكرامًا لها .

وقد كان ثمة ستة قدور من الحجر موضوعة هناك للتطهير بالماء وفقًا لسنن اليهود وتقاليدهم ، إذ كانوا بناء على أَوامر الشريعة اليهودية وبناء على تعاليم الفقهاء وتعليماتهم لا يفتأون يغتسلون قبل الخروج وبعد العودة ، وقبل الأكل وبعده ، وفى غير ذلك من مختلف المناسبات التى تتجاوز المئات .. « لأن الفريسيين وسائر اليهود لا يأكلون مالم يغسلوا أيديهم مرارًا ، متمسكين فى ذلك بما تسلموه من الشيوخ . وإذا عادوا من السوق لا يأكلون مالم يغتسلوا ، وغير ذلك الكثير من الأمور التى تسلّموها وتمسكوا باتّباعها ، كغسل الكؤوس والأباريق والأوانى النحاسية والأسرَّة » (مرقس ٧ : ٣ و ٤) . فهم يحتفظون على الدوام فى كل بيت من بيوتهم بعدد كبير من الأوانى المملوءة بالماء لهذا الغرض . وكانت تلك القدور الستة الموضوعة فى بيت العريس من الضخامة بحيث يَسَع كلٌّ منها بثَّين أو ثلاثة . والبَث مكيال يهودى يُسمَّى كذلك « إيفة » (١٠ الملوك ٧ : ٢٦) ؛ (٠٢ أخبار الأيام ٢ : ١٠) ؛ (إشعياء ٥ : ١٠) ؛ (حزقيال ٤٥ : ١٤) ؛ (الخروج ١٦ : ٣٦) و « الإيفة » لفظ فرعونى الأصل وكان يعادل ٩٩١ و ٢٢ لترًا أو ٧٥ و ٢٢ أقة . ومِنْ ثَمَّ كانت سعة القِدْر الواحد من تلك القدور الستة نحو ستة وأربعين لترًا ، أو تسعة وستين لترًا ، مما يدلُّ على اتّساعه الكبير . فقال مخلِّصنا للخَدم « إملأوا القدور ماء » فأطاعوه كوصية أمه



السيد المسيح فى عرس قانا الجليل (يوحنا ٢ : ١ - ١١)

السيدة العذراء ، وملأوا تلك القدور إلى حافة كل منها بالماء ، وهم لا يدرون ماهو مزمع أن يفعل ، لأن المشكلة كانت الحاجة إلى مزيد من الخمر وليس الماء . بيد أنهم لدهشتهم البالغة وذهولهم العظيم وجدوا أن الماء بمجرَّد أن وضعوه فى القدور تحوَّل على الفور إلى خمر ، ولا بدّ أنهم ذاقوها وتأكدوا أنها خمر فعلاً . وقد أمَرهم مخلصنا قائلاً « اغترفوا الآن وقدِّموا إلى رئيس الوليمة » . وكان من عادة اليهود أن يختاروا لكل وليمة رئيسًا من رؤساء الكهنة أو أصحاب المراكز العليا ليتصَّدر المائدة ، كنوع من التشريف له أو التشرُّف به . وقد كان الأمر الطبيعى أن يكون مخلِّصنا هو رئيس هذه الوليمة بالذات . ولكن يبدو أنه لم يكن قد ذاعت شهرته بالقدر الكافى بعد ، لأنه لم يكن قد بدأ يُظهر شخصيته للناس إلا منذ أيام قليلة . ولذلك تصدَّر المائدة شخص آخر كان أكثر منه شهرة فى ذلك الحين . وكان هو رئيس الوليمة الذى ينبغى أن يقدِّم إليه الخدم الطعام والشراب قبل غيره . وقد قدَّموا إليه من الخمر الجديدة التى تحوَّلَ إليها الماء . (يوحنا ٤ : ٤٦) . فلما ذاق رئيس الوليمة تلك الخمر ، ولم يكن يعلم من أين جاء الخدم بها ، وإن كان أولئك الخَدَم يعرفون ، دعا العريسَ إليه وقال له : « كل إنسان يُقَدم للمدعوِّين الخمر الجيدة أولاً ، حتى إذا سكروا قدَّم لهم ماهو دونها جودة . أما أنت فأبقيت الخمر الجيدة إلى الآن » ، مما يدلُّ على أن مخلِّصنا حين اتجهت إرادته - استجابة لشفاعة أمه - لأن يصنع خمرًا بمعجزة ، صنع من الماء أجود أنواع الخمر التى لا تفوقها خمر أخرى من صنع الإنسان .

وليس معنى ذلك أن مخلِّصنا أباح للناس شُرْبَ الخمر ، لأنه قد صنعها فى تلك الحادثة لينقذ العريس من ورطة وقع فيها أدت إلى إحراجه أمام ضيوفه من اليهود الذين كانت قد جرت العادة لديهم على تقديم الخمر للضيوف كمظهر من مظاهر تكريمهم . ولم يكونوا يعدّونها محرَّمة أو نجسة ، وإنما كانوا على العكس

يعدّونها نِعمة من نِعَم الله عليهم ، ومن أفضل خيراته التى يقدمها إليهم إذا كان راضيًا عنهم . كما أنه ليس ثمة فى شريعة مخلِّصنا طعام نجس أو شراب نجس . فإن من تعاليمه أنه « لا شيء مما هو خارج الإنسان إذا دخله يمكن أن ينجّسه . وإنما مايخرج من فم الإنسان هو الذى ينجّس الإنسان » ، لأنَّ « كل ماهو فى الخارج إذا دخل الإنسان لا يمكن أن ينجسه ، لأنه لا يدخل فى قلبه وإنما فى جوفه ثم يندفع إلى الخارج .. لأنه من الداخل ، من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة . يخرج الزنى والفجور والقتل والسرقة والطمع والخبث والمكر والعهارة والعين الشريرة والتجديف والكبرياء والجهل . فهذه الشرور كلها تخرج من الداخل ، وهى التى تنجس الإنسان » . (مرقس ٧ : ١٥ — ٢٣) ؛ (متى ١٥ : ١٠ و ١٧ — ٢٠) .

ولكن مخلِّصنا مع ذلك ينهى الإنسان عن أن يُفْرِط فى شُرب الخمر حتى يسكر ، مما يؤدى به إلى أن يفقد عقله فيفعل الشرَّ ويُعرِّض نفسه للهلاك ، إذ يقول مخلِّصنا لتلاميذه ولسائر المؤمنين به وهو يتحدث عن يوم الدينونة الذى سيجيء فجأة : « فانتبهوا لأنفسكم لئلا تصير قلوبكم مثقلة بالتخمة والسُّكر والانغماس فى المشاغل الدنيوية ، فيفاجئكم ذلك اليوم بغتة » (لوقا ٢١ : ٣٤) .

وقد تلقى تلاميذ مخلِّصنا عنه ذلك التعليم ونادوا به . ومن ذلك ماقاله الرسل فى رسائلهم ، فقد قال بولس الرسول : « قد تَنَاهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظُّلمة ونلبس أسلحة النور . لنسلك بلياقة كما فى النهار ، لا بالبَطَر والسُّكر ... » (روما [رومية] ١٣ : ١٢ و ١٣) فالسُّكر إذن من أعمال الظُّلمة والشَّر . ويقول أيضًا : « إن كان أحد مدعو أخا زانيًا أو طماعًا أو عابد وثن أو شتَّامًا أو سِكيرًا ... فلا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا » (١ . كورنثوس ٥ :

١١) . فالسُّكْر يُحصى بين الخطايا الكبار مثله مثل الزنى وعبادة الأوثان . وقد مُنِع المسيحيون من مخالطة السِّكِّيرين . وقد صار مقرَّرا أن السِّكيرين يجب أن يُفْرزوا من الكنيسة ويمُنعوا من شركة المؤمنين . ويقول بولس الرسول أيضًا : « لا تضلُّوا . لازناة ولا عَبَدَة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور ولا سارقون ولا طمَّاعون ولا سكِّيرون .. يرثون ملكوت الله » (١ . كورنثوس ٦ : ١٠) . فالسكِّيرون محرومون من ملكوت الله . ويقول كذلك : « وأعمال الجسد ظاهرة ، التى هى : زنى ، عهارة ، نجاسة ، دعارة ، عبادة الأوثان ، سِحْر ، عداوة .. حسد . قتل . سُكْر .. وأمثال هذه التى أسبق فأقول لكم عنها كما سبقْت فقلتُ أيضًا إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله » (غلاطية٥ : ١٩ — ٢١) . ثم يقول « لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ما هى مشيئة الرَّب . ولا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة » (أفسس ٥ : ١٧و١٨ — انظر أيضًا (إشعياء ٥ : ١١و١٢و٢٢) ؛ (٢٨ : ١ — ٧) ؛ (هو شع ٤ : ١١) ؛ (إشعياء ٥٦ : ١٢) . وقال بولس الرسول أيضًا بين واجبات وصفات الأسقف والقسيس أن يكون « غير مومن الخمر » (١ . تيموثيئوس ٣ : ٣) . وكذلك الشمامسة « يجب أن يكون الشمامسة ذوى وقار .. غير مولعين بالخمر الكثير » (١ . تيموثيئوس ٣ : ٨) . وقال لتلميذه الأسقف تيموثيئوس ، وقد كان مريضًا بالاستسقاء « لا تكن فى مابعد شَرَّاب ماء . بل استعمل خمرًا قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة » (١ . تيموثيئوس ٥ : ٢٣) . وهذا معناه أن الخمر أبيحت فى المسيحية لأسباب علاجية دوائية على أن يكون القدر المسموح به قليلاً ، لأن الكثير منها يؤدى إلى السُّكر وهو شَر وخطيئة (١ . تسالونيكى ٥ : ٦و٧)

ويقول القديس بطرس الرسول : « لأن زمان الحياة الذى مضى يكفينا

لنكون قد عملنا إرادة الأمم سالكين فى الدَّعارة والشهوات وإدمان الخمر.. وعبادة الأوثان المحرَّمة ، الأمر الذى فيه يستغربون أنكم لستم تركضون معهم إلى فيض هذه الخلاعة عينها مجدِّفين » (١ . بطرس ٤ : ٣و٤) . فالخمر فى هذه الحالة فضلاً عن أنها تؤدى إلى هلاك الجسم ، تؤدى إلى هلاك الروح . ففيها مضيعة للإنسان فى دنياه وفى آخرته على السواء .

لذلك ، نعتقد أن الخمر التى صنعها الرب يسوع لم تكن خمرا مسكرة ، إذ من غير الممكن أن يتناقض صاحب الشريعة مع نفسه ، ويبيح ما سبق فنهى عنه ، وحذّر منه فى الأسفار المقدسة .

جاء فى سفر الأمثال « الخمر مستهزئة ، المسكر عجاج ومن يترنح بهما فليس بحكيم » (٢٠ : ١) وفيه « لاتكن بين شريبى الخمر بين المتلفين أجسادهم لأن السكير والمسرف يفتقران والنوم يكسو الخرق (٢٣ : ٢٠ ، ٢١) ، وأيضا قوله « لمن الويل لمن الشقاوة لمن المخاصمات لمن الكرب لمن الجروح بلا سبب ، لمن ازمهرار العينين . للذين يدمنون الخمر الذين يدخلون فى طلب الشراب المزوج . لاتنظر إلى الخمر إذا احمرّت حين تظهر حبابها فى الكأس وساغت مرقرقة . فى الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأفعوان . عيناك تنظران الأجنبيات وقلبك ينطق بأمور ملتوية . وتكون كمضطجع فى قلب البحر أو كمضطجع على رأس سارية . يقول ضربونى ولم أتوجع . لقد لكأونى ولم أعرف . متى استيقظ . أعود اطلبها بعد (٢٣ : ٢٩ — ٣٥) ثم يقول « ليس للملوك .. ليس للملوك أن يشربوا خمرا ، ولا للعظماء المسكر ، لئلا يشربوا وينسوا المفروض ويغيروا حجة بنى المذلة . أعطوا مسكرا لهالك وخمرا لمرّى النفس يشرب وينسى (٣١ : ٤ — ٧) . انظر (أمثال ٢١ : ١٧) . ١ . صموائيل ١ : ١٤ — ١٦) .

وقد نهى الرب الكهنة عن شرب الخمر وكذلك النذير . .

جاء فى سفر اللاويين : « وكلّم الرب هرون قائلا : خمرًا ومسكرا لا تشرب

أنت وبنوك معك عند دخولك إلى خيمة الاجتماع ، لكى لا تموتوا.فرضًا دهريا فى أجيالكم » (اللاويين ١٠ : ٨ و ٩) .

وجاء فى سفر العدد « وكلّم الرب موسى قائلا ... إذا انفرز رجل أو امرأة لينذر نذر النذير لينتذر للرب . فعن الخمر والمسكر يفترز ولا يشرب خل الخمر ولا خل المسكر ... كل أيام نذره لا يأكل من كل مايعمل من جفنة الخمر ... » (العدد ٦ : ١ - ٤) .

وقد كانت هذه المعجزة التى صنعها مخلّصنا إذ حوَّل الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل هى أول معجزة يصنعها أمام تلاميذه . ونلاحظ أنه فى هذه المعجزة حوَّل الماء إلى خمر بمجرَّد إرادته الداخلية وحدها دون أن ينطق بكلمة واحدة ، كما نلاحظ ماانطوت عليه هذه المعجزة وما صاحبها من معان جليلة ودلالات سامية : إذ نرى كيف أن مخلّصنا مع أنه صَرَّح بأن موعد صنعه للمعجزات علانية لم يكن قد حان بعد ، فإنه تقديرًا لمكانة السيدة العذراء مريم وكرامتها عنده استجاب لرجائها وصنع المعجزة التى طلبتها ، ونرى كيف أن مخلّصنا مع أنه عاش بتولاً بغير زواج طيلة حياته على الأرض ، بارك الزواج وقَدَّسه بحضوره هذا العُرْس . كما نرى كيف أنه مع أنه التزم حياة التقشف والزُّهد فى متاع الدنيا ومشتهياتها ، شارك الناس أفراحهم ومباهجهم البريئة ، فى سماحة رفيعة ، ومودَّة سامية ، حتى إنهم حين أحوجتهم الخمر وَفَّرها لهم كى لا ينقص من فرحهم وبهجتهم ، فَعَلَى الرغم من أنه كان يدعو فى ديانته إلى الكمال ، لم يكن يَظهر - كما يفعل الدَّاعون إلى الأديان والعقائد - بمظهر التَّزمُّت الشكلى والمغالاة الجوفاء . لأن ديانته لم تكن ديانة الشكليَّات والمظاهر الزائفة ، وإنما كانت هى ديانة النيَّة النقيَّة ، والطَّوية البريئة ، والقلب الصادق . ومِنْ ثَمَّ كانت هى ديانة المحبَّة والمودَّة والسماحة والصفاء .

وقد أدَّت هذه المعجزة على الرغم من الظروف التى أحاطت بها ، إلى

النتيجة التى كان يقصد إليها مُخَلِّصُنَا بصفة أساسية من صنع معجزاته ، وهى أن يُظهر مجده باعتباره المسيح ابن الله ، ليؤمن الناس بهذه الحقيقة . فقد قرّر القديس يوحنا أن تلاميذه الذين كانوا حاضرين معه فى العُرس ، حين رأوا هذه المعجزة الأولى التى صنعها أمامهم آمنوا به ، أو بالأحرى توطّد وتأكّد إيمانهم به ، إذ كانت بذرة هذا الإيمان قد استقرت قبل ذلك بالفعل فى قلوبهم بمجرّد أن سمعوا تعاليمه السماوية التى لا يمكن أن تصدر عن إنسان عادىّ ، وإنما عن الله وحده .

٢ : ١٢ - ٢٢

وبعد هذا نزل فادينا إلى كفرناحوم - التى معناها بالعبرية قرية ناحوم - وهى تقع فى منطقة الجليل ، على الشاطئ الشمالى الغربى لبحيرة طبريّة . وكانت تبعُد سَفر يوم عن قانا الجليل . وقد انتقل إليها بعد ذلك من الناصرة التى كان قد قضى فيها شطرًا كبيرًا من حياته . ولم يلبث أن جعل من كفرناحوم هذه مَقرًّا له ومركزًا لدعوته ، ومِنْ ثمَّ قيل عنها إنها مدينته (متى ٩ : ١) . وقد صنع فيها كثيرًا من معجزاته . والراجح أنها كانت قائمة فى الموضع الذى يسمى اليوم « تل حوم » وهو يبعد نحو ميلين ونصف ميل إلى الجنوب الغربى من مصب نهر الأردن ، ونحو ميلين إلى الجنوب من مدينة « كورازين » التى كانت تقع بالقرب من بحيرة طبرية ، المسمّاة كذلك بحر الجليل .

ويقول الإنجيل للقديس يوحنا إن ربنا يسوع له المجد أخذ معه إلى كفرنا حوم أمه وإخوته وتلاميذه ، وذلك لأنهم كانوا يلازمونه فى كل مكان يذهب إليه ، إذ كانوا هم أسرته . فكان يرعاهم ويعلّمهم ، وكانوا هُمْ يخدمونه ويتعلّمون منه ويتتلمذون كلهم عليه ، إذ كانوا هُم الصف الأول من المؤمنين به . وقد يثور

التساؤل عمَّن يكون أولئك الذين يدعوهم الإنجيل للقديس يوحنا إخوته . مع أن السيدة العذراء القديسة مريم لم تكن قد تزوَّجَت قبل أن تلده من روح القدس ، أو بعد أن ولدته ، وإنما ظلت عذراء طاهرة طوال حياتها . والواقع أن أولئك الذين يقال عنهم إخوته هم فى الحقيقة أقاربه ، إذ كان من عادة اليهود أن يقولوا عن الأقارب إنهم إخوة . ومثال ذلك أنه قيل فى سفر التكوين عن لوط إنه أخو ابراهيم مع أنه كان ابن أخيه (التكوين ١٤ : ١٤) وقيل عن يعقوب إنه أخو لابان ، مع أنه كان ابن أخته (التكوين ٢٩ : ١٢) . كما قيل عن إخوة لابان إنهم إخوة يعقوب ، مع أنهم كانوا أخواله (التكوين ٣١ : ٣٢ و٣٧ و٤٦) . وقد قيل فى سِفْر اللاويين عن أبناء العم إنهم إخوة . بل إن اليهود كانوا يقولون عن كل بنى جنسهم إنهم إخوة . ومن ذلك ماورد فى سِفْر التثنية ، إذ تنبأ موسى لليهود قائلاً « يقيم لك الرب إلهك من وسطك ، من وسط إخوتك ، نبيًّا مثلى .. قال لى الرب .. أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك » (التثنية ١٨ : ١٥ و١٧ و١٨) . ولذلك فإنه على الرغم من أن يوسف لم يتزوج السيدة العذراء قبل ميلاد السيد المسيح أو بعده ، وبالتالى لم يكن للسيد المسيح إخوة بالمعنى المعروف لهذه الكلمة فكان يقال عن أقرباء أمه وأقرباء يوسف انهم إخوته . ومثال ذلك أنه جاء فى بشارة القديس متى أن السيد المسيح « فيما كان يكلِّم الجموع ، إذا أُمه وإخوته قد وقفوا فى الخارج يريدون مخاطبته ، فقال له أحد تلاميذه : هاهم أولاء أُمُّك وإخوتك واقفون فى الخارج يريدون مخاطبتك » (متى ١٢ : ٤٦ و٤٧) ؛ (مرقس ٣ : ٣١ – ٣٥) ؛ (لوقا ٨ : ١٩ – ٢١) . كما جاء فى بشارة القديس متّى أن السيد المسيح « حين جاء إلى وطنه كان يعلِّمهم فى مجامعهم حتى بهتوا وقالوا : مِن أين له هذه الحكمة وهذه القدرات ؟ أليس هذا هو ابن النجار ؟ أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ؟ أو ليست أخواته جميعهن عندنا ؟ » (متى ١٣ : ٥٣ –

٥٦) ؛ (مرقس ٦ :٣) . وقد كان يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا الذين قيل عنهم هنا إنهم إخوته هم – كما يتضح من النصوص الأخرى – أبناء خالته ، أخت السيدة العذراء مريم ، التى كان اسمها مريم كذلك ، وكانت زوجة رَجل يسمى «كلوبا» إذ يقول القديس يوحنا فى بشارته «وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا» (يوحنا ١٩ : ٢٥) . وجاء فى بشارة القديس متّى أنه عندما كان السيد المسيح على الصليب «كانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد .. وكانت بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسى» (متى ٢٧ : ٥٥و٥٦) . ومِنْ ثَمَّ فإن مريم زوجة كلوبا وأخت السيدة العذراء التى ذكرها القديس يوحنّا فى بشارته ، هى نفسها مريم التى ذكرها القديس متّى وقال إنها أم يعقوب ويوسى ، وهما من الذين قيل عنهم إنهم إخوة السيد المسيح ، فى حين أنهما كما يتضح هنا أبناء خالته . هذا إلى أن كلوبا أوحلفى كان أيضًا أخا ليوسف النجار ، كما يروى يوسابيوس القيصرى . ومِنْ ثَمَّ يكون يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا أولاد خئولة السيد المسيح وأولاد عمومته فى الوقت نفسه .

بيد أن أن سيدنا له المجد – وإن كان قد جَعَل فيما بعد من كفرنا حوم مقرًا له ومركزًا لدعوته – لم يمكث فيها فى هذه المرة التى ذهب فيها مع أسرته وتلاميذه حين جاء من قانا الجليل ، أيامًا كثيرة ، إذ كان لا يفتأ يجول فى أنحاء بلاد اليهود كلها ليعلمهم ويصنع المعجزات لهم وأمامهم ، إظهارًا لمجده باعتباره المسيح ابن الله الذى كانوا ينتظرونه .

وبعد ذلك بنحو ستة أشهر كان فصح اليهود قد اقترب ، وهو ذكرى خروج اليهود من مصر (الخروج ١٢ : ١٤) ؛ (التثنية ١٦ : ١٠ و١٦) ؛ (يوحنا ٢ : ٢٣) ؛ (٥ : ١) ؛ (٦ : ٤) ؛ (١١ : ٥٥) . ومِنْ ثَمّ كان أكبر أعيادهم . وكان يحتشد اليهود فى أثناء الاحتفال به من جميع أنحاء العالم فى أورشليم ، حتى ليقال

إن عدد الذين كانوا يجيئون إليها فى ذلك العيد كان يبلغ الملايين . وكانوا يجتمعون فى احتفالات صاخبة زاخرة بالرقص والموسيقى . وإذ كان ينبغى أن تقام تلك الاحتفالات بذلك العيد فى أورشليم وينبغى أن تتم كل الصلوات والطقوس الخاصة به فى هيكلها ، صعد مخلِّصنا إلى أورشليم ودخل الهيكل لأول مرة بعد أن بدأ فى إنجاز رسالته . وكان هيكل أورشليم هو مركز العبادة اليهودية ورمز تاريخ اليهود وموضع فخارهم وزهوهم . وقد شيَّده الملك سليمان قبل ميلاد المسيح بألف سنة ، وأنفق بإسراف عظيم على بنائه وزخرفته ، حتى لقد احتاج فى ذلك إلى عشرة آلاف عامل وألف عربة وألف كاهن فى ثيابهم المزركشة ليضعوا أحجاره فى أمكنتها بعد أن قام النحاتون بتسويتها وصقلها . وقد أتى له سليمان بالذهاب من ترشيش ، وبالخشب من لبنان ، وبالأحجار الكريمة من اليمن ، ثم بعد سبع سنوات من العمل المتواصل تكامل بناء الهيكل ، فكان آية من آيات الدنيا فى ذلك الزمان ، ولكن يد الخراب لم تلبث أن امتدت إلى الهيكل مرات عديدة ، إذ كان هدفًا دائمًا للغزاة والطامعين ينهبون مابه من كنوز ، ثم يشيعُون فيه الدمار . حتى قام هيردوس الكبير بتجديد بنائه ، فأنفق فى هذا السبيل أموالاً طائلة ، إذ كان يريد أن يضفى على نفسه مجد سليمان ، وكان يطمع فى الوقت نفسه فى أن يرضى اليهود الذين كانوا يبغضونه ويرفضونه كملك عليهم . وقد استغرق بناء الهيكل فى هذه المرة ستة وأربعين سنة (يوحنا ٢ : ٢٠) ، أصبح بعدها صرحًا ضخمًا تحيط به ثلاثة أسوار هائلة ، لم يبق منها إلا جدار واحد هو حائط المبكى . ولكن اليهود اعتدوا على قدسيَّة هذا الهيكل وأهانوا رونقه وفخامته ، إذ لم يلبثوا أن أحالوه إلى سوق للبيع والشراء . فتزاحم فى ساحته بائعو الثيران والكباش والحمَام ، حتى امتلأ بهم الرواق وأصبح لقذارته أقرب إلى مربط البهائم . كما كانت تكتنف الهيكل مكاتب الصيارفة التى لا يفتأ يتعالى منها رنين النقود مختلطًا بصوت مساومات الناس وهم يستبدلون ما بيدهم من

دراهم . فقد كان الكهنة فى الأعياد يجمعون الفريضة المقدَّسة القديمة ، أى نصف الشَّاقل سنويًّا عن كل إسرائيلى – سواء أكان غنيًّا أم فقيرًا – فدية عن نفسه . وكانت هذه الضريبة تخصَّصُ لخدمة الهيكل ، ولم يكن قانونيًّا أن يؤتى بهذه الفِدية من عملة أجنبية ولا سيما إذا كانت من النحاس الأحمر أو الأصفر ، المنقوشة بِصُوَر وثنية أو كتابات كُفريَّة . ولذلك كان اليهود يضطرون لأن يُبَدِّلوا نقودهم إلى العملة المرغوبة ، أى الشاقل الفضى ، ومِنْ ثمَّ احتل الصيارفة مداخل الهيكل وشاركوا تجار الماشية فى تحويل ذلك المكان المقدس إلى سوق للبيع والشراء ، تختلط فيه البهائم بالناس . وتطغى فيه أصوات خوار البقر وثغاء الأغنام على صوت الكهنة وتراتيل اللاويين . وكان الكهنة يشتركون فى هذه التجارة ويأخذون ضرائب من التجار ويشاركونهم فى أرباحهم.ومِنْ ثَمَّ تألَّم السيد المسيح مما رأى من هَوَانٍ لبيت الله واستهانة بقدسية هيكله ، إذ وَجد فى ذلك الهيكل باعة البقر والغنم والحمام ، والصيارفة جالسين إلى مناضدهم ، فصنع سوطًا من الحبال التى كان تجار الماشية يربطونها ويسوقونها بها ، وطردهم جميعًا من الهيكل مع البقر والغنم ، وكَبَّ نقود الصيارفة وقلب مناضدهم ، وقال لباعة الحمام « ارفعوا هذه من هنا . ولا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة » . وقد كان مخلِّصنا وديعًا وداعة كاملة ، رقيقًا رقة السماء الصافية ، حنونًا حنان الأب نحو أبنائه . عطوفًا عطف الراعى على حملانه ، غير عنيف ولا قاسٍ ولا متجهِّم ولا متهجِّم . ولا غَضُوب ولا مشاكس ، وإنما يتصرف ويتكلم فى هدوء ورفق وسلام ومسالمة ورحمة وحكمة وصبر وطول أناة . بيد أن هذه الصِّفات كلها فيه لم تكن تعنى أنه لم يكن يغضب ، أو لم يكن صارمًا وعنيفًا حين تكون الصرامة لازمة والعنف ضروريًا . لأن وداعته لم تكن ضعفًا فيه ، وإنما كانت فضيلة من فضائله وسجيَّة من سجاياه . فإذا تطلب الموقف تصرفًا قويًا أو كلمة عنيفة ، كان يتصرف ذلك التصرُّف القوى ، وينطق بتلك الكلمة العنيفة . كوسيلة من

وسائل التعبير عن الغضب المقدّس ، أوكوسيلة من وسائل الردع والقمع والتقويم والتعليم . ولذلك غضب غضبًا شديدًا حين رأى اليهود قد حوّلوا ذلك المكان الطّاهر المقدس المخصّص لعبادة الله إلى مكان أبعد مايكون عن الطهارة ، أو القدسية ، أو عبادة الله إذ جعلوه سوقًا لتجارة الماشية والطيور واستبدال النقود ، مما يتضمَّن أعمال الاستغلال والسرقة . ولما كان الهيكل بالنسبة لمخلِّصنا هو بيت أبيه السماوى . قال : « لا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة » . وهو يشير بذلك إلى نبوءة إرميا النبى عن الهيكل ، إذ يقول لليهود على لسان الله الآب « هل صار هذا البيت الذى دُعى باسمى عليه مغارة لصوص فى أعينكم ؟ » (ارميا ٧ : ١١) . فلما قال مخلِّصنا ذلك تذكّر تلاميذه أنه مكتوب فى سفر المزامير « إنَّ الغيرة على بيتك أكلتنى » (المزمور ٦٨ : ٩) . ويبدو من ذلك أن التلاميذ قد أذهلهم ذلك الغضب المقدَّس الذى أبداه معلمهم ، وذلك العمل العنيف الذى قام به ، مع ماعرفوه عنه من وداعة ومسالمة وطول أناة . ولذلك فَسَّروا غضبه وعُنفَه غير المألوفين أو المعروفين عنه ، بغيرته على قدسية هيكل الله ، الذى – وهو المسيح ابن الله – يعدّه بيت أبيه .

وقد حنق اليهود حنقًا شديدًا على مخلِّصنا لأنه فعل هذا بهيكلهم ، مع أنه لم يفعل إلا أن طهَّره مما دَنَّسُوه هم به . ولم يروا فى ذلك عملاً من أعمال الخير نحو الله وتكريمًا له . وإنما رأوا فيه عملاً من أعمال الشر نحوهم والتعدى عليهم . وإذا كان هذا من أعمال الخير فقد أنكروا على مخلِّصنا أن يكون هو الذى يقوم به ، لأنه ليس له – فى اعتقادهم – أى صفة فى الهيكل تعطيه السلطان لأن يُطهِّره . فلم يكن من رؤساء الكهنة ولا من أعضاء مجلس السهندريم الذين هم عظماء الشعب . ولم يكونوا يعرفون بعد حقيقة شخصيته ، لا باعتباره من خُدَّام الهيكل فحسب ، وإنما باعتباره ابن الله (لوقا ٢ : ٤٩) ، فهو ابن صاحب الهيكل ، وباعتباره الله نفسه صاحب الهيكل . ولو كانوا قد فهموا نبوءات

أنبيائهم لعرفوا هذه الحقيقة من نبوءة ملاخى النبى التى تنبأ فيها بأن المسيح ابن الله الذى ينتظرونه سيأتى إلى هيكله فى وقت لا يعلمونه ، ويطهِّره ، ويطهر خُدَّامه من اللاويين المختصين بشئون الهيكل ، إذ يقول : « يأتى بغتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه .. فيجلس ممحِّصًا ومنقِّيًا للفضة ، فينَقِّى بنى لاوى ويصفِّيهم كالذهب والفضَّة ، ليكونوا مقرِّبين للرَّب تقدمة بالبِرِّ ، فتكون تقدمة يهوذا وأورشليم مُرضية للربِّ كما فى أيام القِدم ، وكما فى السنين القديمة » (ملاخى ٣ : ١ - ٤) . وإذ كان اليهود يعتقدون أنه لا سلطان لأحد فى تطهير الهيكل إلا إذا كان نبيًّا من الأنبياء الذين يعدُّونهم أعظم سلطانا من الكهنة ورؤساء الكهنة . ولما كان البرهان الذى يقَدمه النبى على توافر هذا الوصف له ، هو أن يصنع الآيات والمعجزات (التثنية ١٣ : ١ - ٣) ؛ (١٨ : ٢١ و٢٢) ؛ (متى ١٢ : ٣٨) ؛ (يوحنا ٦ : ٣٠) ، قالوا لمخلِّصنا . «أية آية ترينا حتى تفعل هذا ؟ » فأجابهم قائلاً « انقضوا هذا الهيكل وأنا فى ثلاثة أيام أقيمه » . بَيْدَ أنهم فهموا هذا القول الرمزى فهمًا حرفيًّا ، غير مدركين حقيقة ما يعنيه ، حتى إنهم استندوا إلى هذا المفهوم الخاطىء حين حاكموه فيما بعد ، حاسبين ما قاله جريمة يستحق عليها الموت (متى ٢٦ : ٦١) ؛ (٢٧ : ٤) ؛ (مرقس ١٤ : ٥٨) ؛ (١٥ : ٢٩) . ولذلك قالوا له « فى سِتٍّ وأربعين سنة بنى هذا الهيكل ، أفتقيمه أنت فى ثلاثة أيام ؟ » وقد كان بالفعل قادرًا - حتى بهذا المفهوم الحرفىِّ الظَّاهِرى - على أن يصنع هذه المعجزة ، لأنه بصِفَتِهِ الإلهية قادر على كل شىء . ولكنه لم يكن يعنى فيما قال هيكل أورشليم ، وإنما كان يتكلَّم - كما قرر الإنجيل للقديس يوحنا - عن هيكل جسده ، إذ كان يعلم أن اليهود سيقتلونه ، ناقضين بذلك هيكل هذا الجَسد ، ولكنه سيقيمه بعد ثلاثة أيام (انظر ١ . كورنثوس ٣ : ١٦) ؛ (٦ : ١٩) ؛ (٢ . كورنثوس ٦ : ١٦) ؛ (العبرانين ٨ : ٢) . فكانت هذه أعظم آية من شأنها أن تقنعهم بأنَّ له سلطانًا لا أن يعيد بناء

هيكل أورشليم فحسب ، وإنما أن يعيد نفسه هو بإرادته إلى الحياة بعد الموت . فلما صلبوه بعد ذلك بنحو ثلاث سنوات ، ومات على الصليب ، ثم قام من بين الأموات بسلطانه وإرادته وحدها ، تذكر تلاميذه أنه قال لهم هذا (لوقا ٢٤ : ٨) . فآمنوا – أو بالأحرى توطَّد إيمانهم – بأنَّ هذا هو حقًّا المسيح ابنَ الله ، على مقتضى النبوءات التى وردت فى العهد القديم عنه ، وتحققوا من أن الكلمة التى قالها مخلِّصنا عندئذ لليهود كانت حقًّا وصدقًا ، إذ رأوا بأعينهم أنها تمَّت بالفعل كما قالها .

٢ : ٢٣ – ٢٥

وإذ كان فادينا فى أثناء رحلته تلك إلى أورشليم فى عيد الفصح قد قام بالتعليم كمعلِّم إلهى ، وصنع بعضًا من معجزاته التى لا يمكن أن يصنعها إلا الله وحده ، بَهَر بتعاليمه ومعجزاته الجموع الضخمة التى كانت مجتمعة فى تلك المدينة وفى هيكلها فى أثناء ذلك العيد ، ومِن ثَمَّ آمن به كثيرون منهم ، باعتباره المسيح الذى ينتظرونه ، أو على الأقل باعتباره نبيًّا عظيمًا من الأنبياء . بَيْد أنَّ فادينا كان يعلم طبيعة اليهود المتقلِّبة ، ومايتَّصفون به من تَسرُّع فيما يقولون ويعملون ، ومن جهل يجعل عقولهم وقلوبهم غير مستقرة كالسحابات فى مهب الرِّيح ، ومن جُبن يدفع بهم إلى التراجع أمام رؤسائهم عن كل اعتقاد يعتقدونه ولو كانوا مقتنعين به ، ومن نفاق يبدونه أمام أولئك الرؤساء ، تملُّقًا لهم وكسبًا لرضائهم عنهم ، ومن شرٍّ ومكْر وغَدْر وخديعة وخيانة حتى لمن أسدوا إليهم الخير وأخلصوا فى خدمتهم وفى بذل النصيحة الصالحة لهم . ومِنْ ثَمَّ فإنَّ فادينا لم يكُن يأمنهم على الرغم مما أبدوه من إيمان به . وقد سبق لهم أن قتلوا أو اضطهدوا كل الأنبياء (متى ٢٣ : ٢٩ – ٣٦) ؛ (الأعمال ٧ : ٥١ و٥٢) ، الذين جاءوا لتعليمهم وتقويمهم وإرشادهم إلى طريق الله ، بعد أن كفروا به وعبدوا الأوثان من دونه .

ولذلك لم يكن فادينا له المجد يثق فيهم أو يأمن جانبهم ، لأنه كان عارفًا بدخيلة نفس كل واحد منهم .. (١ . صموئيل ١٦ : ٧) ، كما يعرف بعلمه الإلهى دخيلة نفوس الناس جميعًا (١ . أخبار الأيام ٢٨ : ٩) ؛ (متى ٩ : ٤) ؛ (مرقس ٢ : ٨) . فلم يكن – وهو فاحص القلوب (الأعمال ١ : ٢٤) ؛ (الرؤيا ٢ : ٢٣) والمطّلع على السرائر والأسرار – بحاجة لأن يخبره أحد عمَّا يبدى أى إنسان أو يبطن من طبيعته أو طبعه ، إذ أنه يعلم أدق العلم وأعمقه وأصدقه ما فى الإنسان من خير أو شر (يوحنا ٦ : ٦٤) ؛ (١٦ : ٣٠) ، ومن فساد أو بِرّ ، ومن صِدقٍ أو نفاق ، ومن كُلِّ صفة من الصفات ، أو مبدأ من مبادىء الأخلاق .

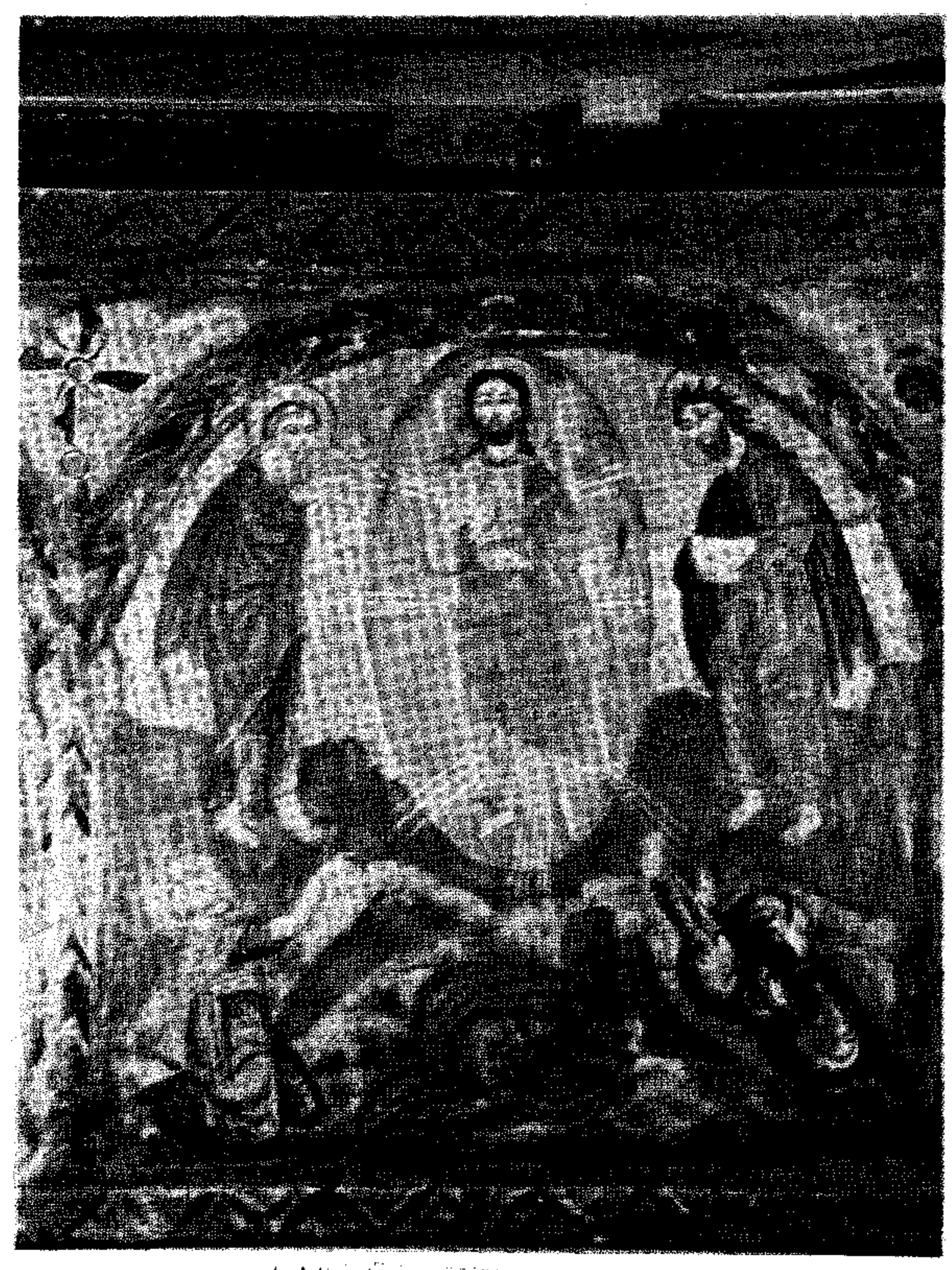




الفصل الثالث

٣ : ١ - ٢١

وكان ممن آمنوا بفادينا الحبيب حين كان يُبَشر فى أورشليم ويصنع المعجزات فى عيد الفصح رجل اسمه نيقوديموس ، كان رئيسًا من رؤساء اليهود وعظيمًا من عظمائهم (يوحنا ٧ : ٥٠) ؛ (١٢ : ٤٢) ؛ (١٩ : ٣٩) ، إذ كان عضوًا بالمجلس الأعلى لهم ، وهو مجلس السنهدريم . كما أنه كان فقيهًا من فقهائهم وعالِمًا من علمائهم ، إذ كان من الفرِّيسيين الذين اشتهروا بدراسة الكتب المقدسة لديهم ، والإفتاء فى شئونهم الدينية ، وإن كان أغلبهم من المرائين المنافقين الذين يقولون مالا يعملون ، ويتظاهرون بالورع والتقوى ، فى حين كانوا فى داخلهم أشرارًا فاسدين ، يتاجرون بالدين ، ويتحايلون لمخالفة أحكامه فى تصرفاتهم وكلِّ شئون حياتهم ، متَّخذينه وسيلة لإمتاع أنفسهم وإشباع أهوائهم وشهواتهم . فحين سمع نيقوديموس هذا تعاليم سيّدنا له المجد ورأى معجزاته الإلهية أدرك أنه ليس إنسانًا عاديًّا ، وإنما نبيًّا من الأنبياء ظَهر بينهم بعد انقطاع ظهور الأنبياء بمئات السنين ، فعقد العزم على أن يلتقى به على انفراد ليتأكَّد من حقيقة شخصيته . ولكنّه إذ كان حريصًا على منصبه الكبير ومنزلته الرفيعة بين اليهود ، خشى أن يذهب إليه علانية لئلاً يعرِّض للخطر ذلك المنصب وتلك المنزلة ، بعد



تجلى السيد المسيح على الجبل



المعجزة فى عرس قانا الجليل

أن رأى مخلصنا يتحدَّى رؤساء الكهنة وغيرهم من كبار الرؤساء ، إذ نَسَبَ إلى نفسه السلطان فى أن يطهِّر هيكل أورشليم ويطرد منه كُلَّ التجار والصيارفة الذين كانوا يقتسمون أرباحهم مع أولئك الرؤساء المسئولين عن ذلك الهيكل . كما أنه خشى بوصفه فريسيًّا أن يتعرَّض لسخط الفرِّيسيين الذين كانوا يحتكرون النفوذ والاحترام بين سائر اليهود ويكرهون أن ينافسهم أحد فى ذلك النفوذ وذلك الاحترام . ومِنْ ثَمَّ جاء ليلتقى بمخلصنا ليلاً تحت جنح الظلام حتى لا يراه أحد من أولئك أو هؤلاء ، وإن كان قد برهن – بعد ذلك بنحو ثلاث سنوات – على أنه قد اكتمل إيمانه به وتوطَّد يقينه بحقيقة شخصيته حين حاكمه رؤساء اليهود ليقضوا عليه . فجاهَرَ بذلك الإيمان وأعلن ذلك اليقين صراحة وفى غير خفاء ، إذ اعترض على حكم أعضاء السنهدريم عليه بالموت (يوحنا ١٢ : ٤٢) ، كما اشترك مع يوسف الرامى علانية فى تكفينه ودفنه (يوحنا ١٩ : ٣٩) .

وقد بدأ نيقوديموس حديثه مع ربنا له المجد حين أتى إليه فى تلك المرة الأولى قائلا له : « يامعلِّم ، نحن نعلَم أنك جئت من الله معلِّمًا ، لأنه مامن أحد يقدر أن يصنع هذه الآيات التى أنت تصنع مالم يكن الله معه » . ومع أنه كان من عظماء اليهود ، وكان من الفرِّيسيين المتعاظمين ، فقد خاطب سيِّدنا بكل احترام ، ملقبًّا إياه بالمعلِّم ، وهو لقب لم يكن اليهود يخاطبون به إلا عظماءهم وعلماءهم (متى ٢٢ : ١٦) مما يدلّ على اقتناعه بأنه أمام شخصية سماوية سامية . وقد أيَّد ذلك الاقتناع بقوله له إنه مع كل الذين آمنوا به حينذاك يعلمون – بعد أن سمعوا تعاليمه – أنه جاء ، لا بتعليم أرضىٍّ تلقنه من الناس ، وإنما بتعليم سماوى تلقّاه من الله نفسه (يوحنا ٣ : ٢٧ و٣١ – ٣٤) ، وأن الله أرسله ليكون معلِّمًا . فلم يكن ذلك اللقب الذى يخاطبه به فى بدء حديثه معه منحة من الناس إكبارًا له ، لأن الناس كثيرًا بل غالبًا مايلقبون به ذوى النفوذ

بينهم ، خوفًا منهم ، أو تملقًا لهم ، أو نفاقًا لا يعبِّرون به عن مشاعرهم الحقيقية نحوهم ، وإنما استحقَّ مخلِّصنا هذا اللقب من لدن الله الذى أرسله . وقد أدرك نيقوديموس هذه الحقيقة – وهو الرجل المثقف والفقيه المتمكّن – من بديهية استند إليها ، وهى أنه مامن أحد يقدر أن يصنع هذه الآيات والمعجزات التى يصنعها مخلِّصنا مالم يكن الله معه (يوحنا ٩ : ١٦و٣٠ – ٣٣) ؛ (الأعمال ٢ : ٢٢) ؛ (١٠ : ٣٨) ، لأنها آيات ومعجزات لا يقدر أن يصنعها إلا الله وحده . وإذ كانت هذه الحقيقة التى توصَّل إليها نيقوديموس مجرّد استنباط عقلى ، أراد مخلِّصنا أن يرتفع به فوق مستوى العقل البشرى الدنيوى إلى الآفاق العليا الروحية السماوية ، ليدرك الحقائق إدراكًا روحيًا لا عقليًا . فأجابه قائلا له : « الحق الحق أقول لك إن الإنسان مالم يولد ثانية من فوق ، لا يمكنه أن يرى ملكوت الله » . أى أن الإنسان ينبغى أن تتطهَّر روحه طهارة كليَّة وكاملة ، حتى تصبح روحًا لا تنتسب إلى الأرض التى تتدنس الأرواح فيها وتتنجَّس وإنما تنتسب إلى السماء التى لا تسكنها إلا الأرواح الطاهرة طهارة كلِّية وكاملة ، بحيث تغدو روحه قد وُلدت ولادة ثانية وجديدة وسماوية ، غير الولادة الجسدية الأولى التى بدأت بها حياته على الأرض . لأنه بغير ذلك لا يمكن للروح الأرضية أن تدرك غير الأرضيَّات ، فلا يمكنها إلا بتلك الولادة الثانية الجديدة السماوية أن تغدو روحًا سماوية تدرك ملكوت الله الذى هو حياة السماء ، ومِنْ ثَمَّ لا يمكنها إلا بذلك أن تدخل ذلك الملكوت (يوحنا ١ : ١٣) ؛ (يعقوب ١ : ١٨) ؛ (١ . بطرس ١ : ٢٣) ؛ (١ . يوحنا ٣ : ٩) .

ولكن نيقوديموس – على الرغم من أنه عالم وفقيه – فَهِم حديث فادينا عن الولادة الثانية فهمًا حرْفيًا سطحيًا ينطوى على السذاجة والجهل ، إذ أجاب قائلاً : « كيف يمكن أن يولد إنسان وهو شيخ ؟ أَلَعَلَّه يقدر أن يدخل مرة أخرى

فى بطن أمه ثم يولد ؟ » . وبذلك برهن نيقوديموس على أنه لم يكن يختلف كثيرًا فى عقليته عن سائر الفرِّيسيين الذين – على الرغم من تظاهرهم بالعلم وتصديهم للتعليم وقسرهم الناس على أن يلقبوا كُلاًّ منهم بالمعلِّم – كانوا فى الواقع جهلاء يفسِّرون نصوص الكتب المقدسة تفسيرًا حرفيًّا سطحيًّا ساذجًا ، يخرج بها عن معناها الحقيقى ، ويعلِّمون البسطاء من الناس على هذا النحو . فكان ينطبق عليهم القول إنهم « عميان قادة عميان » (متى ١٥ : ١٤) ؛ (٢٣ : ١٦ و ٢٤) ، ومِنْ ثَمَّ أراد مخلِّصنا أن يفتح بصر نيقوديموس وينير بصيرته ، ليكتسب مزيدًا من الفهم ، شأن المعلِّم الذى يجد أن تلميذه لم يفهم تعليمه ، فيسهب فى الشرح والتوضيح له ، فقال له : « الحقَّ الحقَّ أقول لك إنَّ الإنسان مالم يولَد من الماء والروُّح . لا يمكن أن يدخل ملكوت الله . فالمولود من الجسَد هو جسَد والمولود من الروح هو روح . لا تعجب إذ قلت لك إنكم ينبغى أن تولدوا ثانية من فوق . فإن الرِّيح تهبُّ إلى حيث تشاء ، وأنت تسمع صوتها ، ولكنك لا تعلم من أين تأتى ولا إلى أين تذهب . هكذا كل مولود من الروح » .

وقد أنشأ مخلِّصنا بهذا القول سرَّ العماد لا بالماء وحده كما كان يفعل يوحنا المعمدان لتطهير الجسد ، كمقدمة لتطهير الروح (متى ٣ : ١١) ؛ (مرقس ١ : ٨) ؛ (لوقا ٣ : ١٦) ؛ (يوحنا ١ : ٢٦) وإنما بالماء والروح القدس معًا (أفسس ٥ : ٢٦) ؛ (تيطس ٣ : ٥) كوسيلة فعلية ومباشرة لتطهير الروح تطهيرًا فعليًّا ومباشرًا ، ولغفران الخطايا السالفة ونَيْل الخلاص (مرقس ١٦ : ١٦) ؛ (الأعمال ٢ : ٣٨) . وقد كانت هذه من أهمِّ وصاياه لتلاميذه قبل صعوده إلى السماء ، إذ قال لهم : « فاذهبوا إذَن وتلمذوا جميع الأمم وعَمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (متى ٢٨ : ١٩) . وذلك لأن الإنسان مالم يتم عِمَادُهُ بالماء والروح لا يمكن أن يغير طبيعته الجسدية المادية الأرضية التى تنجست بالخطيئة

التى ورثها البشر عن جَدهم الأول آدم ، فأصبحوا جسديين أرضيين يتجهون بكل كيانهم إلى إرضاء شهواتهم الجسدية الأرضية النجسة ، فضعفت فيهم الطبيعة الروحية السماوية الطاهرة التى كانت متحدة بأجسادهم حين خلقهم الله فى بدء الخليقة . ومِنْ ثَمَّ فما لم يغيّر الإنسان هذه الطبيعة الجسدية االأرضية النجسة إلى طبيعة روحية سماوية طاهرة ، حتى يولد ولادة ثانية وجديدة ، لا يمكنه أن يحيا حياة السماء التى هى ملكوت الله ، وبالتالى لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله ، ولا ينبغى لنيقوديموس أو لغيره من الناس أن يتساءل فى دهشة وعجب عن ماهية هذه الولادة الثانية من الروح ، لأن هذه الولادة الروحية تتم فى الخفاء بروح الله . ومع ذلك تفعل فعلها وتترك أثرها ، لأنها ليست ولادةَ جسدٍ من جسد ، أى ولادة جسدية مادية يدركها الإنسان بحواسه البشرية المادية ، وإنما هى ولادة روح من روح . فَمَثَلُها فى ذلك مَثل الريح التى لا يعلم الإنسان من أين تأتى ولا إلى أين تذهب ، ومع ذلك يحسّ بهبوبها ويسمع صوتها . فالروح تشبه الرِّيح (١ . كورنثوس ٢ : ١١) . ولعلها أخذت اسمها منها . وقد أدرك تلاميذ مخلِّصنا هذا التشابه بينهما فقال القديس لوقا كاتب سفر أعمال الرسل إن التلاميذ حين كانوا مجتمعين فى يوم الخمسين بعد صعود ربنا له المجد : « صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين ، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم ، وامتلأ الجميع من روح القدس » (الأعمال ٢ : ٢و٣) .

بيد أن نيقوديموس ظل مع ذلك غير مدرك بعقله الجسدى ذلك الشرح الروحى ، لأن طبيعته الجسدية كانت لا تزال غالبة على الطبيعة الروحية التى أماتتها فيه حياة الجَسَد ، فتساءل قائلاً فى دهشة : «كيف يمكن أن يكون هذا ؟ » . وإذ رأى مخلِّصنا مقدار جهل هذا الذى يعدّه بنو إسرائيل معلِّما لهم

وعالمًا بكل ماجاء فى كتبهم ، وبَّخَهُ قائلاً « أأنت معلِّم إسرائيل ولا تعلَم هذا؟» فلو أنه كان عالمًا حقًّا بنبوءات العهد القديم حتى يتخذ لنفسه لقب المعلِّم ، لأدرك معنى الولادة الثانية الجديدة التى تحدَّثَ عنها مُخَلِّصنا ، لأنها قد ورد ذكرها كثيرًا فى تلك النبوءات ، ومن ذلك قول حزقيال النبى لبنى إسرائيل : « اطرحوا عنكم كل معاصيكم التى عصيتم بها واعملوا لأنفسكم قلبًا جديدًا وروحًا جديدة »(حزقيال ١٨ : ٣١) . وقوله : « هكذا قال السيد الربّ .. أرشُّ عليكم ماء طاهرًا ، فتطهرون من كل نجاستكم .. وأعطيكم قلبًا جديدًا وأجعل روحًا جديدة فى داخلكم ، وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلبَ لحمْ ، وأجعل روحى فى داخلكم وأجعلكم تسلكون فى فرائضى وتحفظون أحكامى وتعملون بها .. وأخلِّصكم من كُلِّ نجاساتكم » (حزقيال ٣٦ : ٢٥ - ٢٩) .

ثم قال معلِّمنا الإلهى لنيقوديموس : « الحقَّ الحقَّ أقول لك إننا نتكلَّم بما نعلَم ونشهد بما رأينا ، ولكنكم لا تقبلون شهادتنا . إن كنت قد كلمتكم عن الأرضيات ولم تؤمنوا ، فكيف تؤمنون إن كلمتكم عن السمائيات ؟. مامن أحد صعد إلى السماء إلا ذلك الذى نزل من السماء : ابن الإنسان الذى هو فى السماء » . وهكذا فإن فادينا على الرغم من أنه وَبَّخَ نيقوديموس على جهله ، أراد أن يوطِّد إيمانه به ، ذلك الإيمان الذى دفع به لأن يجىء تحت جنح الظلام إليه ، مخاطرًا بمركزه الرفيع فى المجتمع اليهودى ، فأكَّدَ له أنه إن كان قد تكلَّم معه عن الولادة الثانية من فوق ، فهو إنما يتكلَّم بما يعلم ويشهد بما رأى (يوحنا ١ : ١٨) ؛ (٧ : ١٦) ؛ (٨ : ٢٨) ؛ (١٢ : ٤٩) ؛ (١٤ : ٢٤) . لأنه من الله جاء (يوحنا ١٦ : ٢٨) . وإذاكان قد تكلَّم عن بعض أسرار السماء التى هى ملكوت الله ، فهو صادق لأنه يعلم بما فى السماء التى جاء منها والتى رأى بنفسه

مافيها ، لاكما يعلم ويشهد سائر الأنبياء ، لأن هؤلاء إنما اكتسبوا علمهم واستمدوا شهادتهم من وحى الله إليهم بأمور لم يروها بأنفسهم (٢ . بطرس ١ : ٢١) . وأما هو فإنه يَعْلم بصفته ابن الله وبصفته الله نفسه (متى ١١ : ٢٧) ويشهد بما رأى فى ملكوت أبيه وملكوته هو نفسه . ومع ذلك فإن اليهود لا يقبلون شهادته (يوحنا ٣ : ٣٢) ، لأنهم يجهلون نبوءات أنبيائهم عنه ، ومِنْ ثَمَّ يجهلون حقيقة شخصيته . وقد كلَّمهم عن الأسرار الإلهية بنفس اللغة التى يتكلمون بها عن الأرضيات ، كى يُيسِّر لعقولهم المحدودة القاصرة أن تفهم تلك الأسرار العالية جدًّا والسامية جدًّا والتى ترتفع كثيرًا عن أن تدركها تلك العقول ، مستخدمًا التشبيهات والأمثال وغيرها من شئون الحياة الأرضية التى يعرفونها ويألفونها ، ليساعدهم على فهم الحياة السمائية ، ومع ذلك لم يؤمنوا ، لظلام عقولهم وغلظة قلوبهم ، فكيف يؤمنون إن كلَّمهم عن السمائيات كما هى بغير تبسيط أو تشبيه أو مثَال أو بأى أسلوب من أساليب الإيضاح والشرح والتفسير ؟. وإذ كان ذلك عسيرًا على اليهود بالفعل ، فإن فادينا أراد أن يأخذ بيد نيقوديموس ليؤمن به الإيمان الكامل ، فاستمر يميط له اللثام عن حقيقة شخصيته ليتأكد من أن مايقوله صدق وحق ، وصارحه بطبيعته الإلهية التى لا يشاركه فيها أى نبىّ من الأنبياء أو معلِّم من معلِّمى الأرض ، وهى أنه – وهو ابن الله وهو الله نفسه الذى فى السماء – قد نزل من السماء (يوحنا ٦ : ٣٣ و٣٨ و٥١) ؛ (١ . كورنثوس ١٥ : ٤٧) ؛ (يوحنا ١ : ١٨) . واتخذ جسد ابن الإنسان كى يتمم عمل الفداء الذى رسمته الرحمة الإلهية لخلاص البشَر . وإذ اتحَدَ لاهوته بناسوته اتحادًا كاملاً فهو ابن الإنسان المقيم فى الأرض ، وهو فى الوقت نفسه ابن الله المقيم فى السماء . وبعد أن يتمم رسالته الجليلة النبيلة التى جاء من أجلها سيصعد إلى السماء (يوحنا ٦ : ٦٢) كما نزل من السماء (يوحنا ١٦ : ٢٨) ؛ (الأعمال ٢ : ٣٤) ؛ (أفسس ٤ : ٩ و١٠)

« مامن أحد صعد إلى السماء إلا ذلك الذى نزل من السماء » وقد جاء فى سِفْر الامثال « مَنْ صعد إلى السماوات ونزل . مَن جمع الريح فى حفنتيه . منْ صَرّ المياه فى ثوب . من ثَبَّت جميع أطراف الأرض . ماسمه وما اسم ابنه إن عَرفت ؟ » (الأمثال ٣٠ : ٤) .

ثم استرسل فادينا له المجد يشرح لنيقوديموس هذا السِّر العجيب الذى أفضى به إليه قائلاً إنه « كما رفَعَ موسى الحية فى البرِّية ، هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الإنسان ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية ، لأنه إلى هذا المَدَى أحب الله العالم حتى إنه بَذَلَ ابنه الوحيد ، لكى لا يهلك كلُّ مَنْ يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية . لأنَّ الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم ، وإنما ليخلِّص به العالم . فالذى يؤمن به لا يُدان . وأما الذى لا يؤمن به فقد أدين ، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد . وهذه هى الدينونة : أن النور جاء إلى العالم ، وأحبَّ الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة . فإن كل من يفعل الشر يبغض النور . ولا يقْبِل إلى النور لئلاَّ تفتضح أعماله الشريرة وتتوبَّخ . وأما مَنْ يفعل الحق فإنه يقبل إلى النور ، لكى يظهر أن أعماله إنما أتاها فى الله » .

وفى هذه العبارة يميط مخلصنا اللثام عن سِرِّ تجسُّده وسبب مجيئه إلى العالم ، إذ ضَربَ لنيقوديموس - كى يفهم هذا السِّرَّ - مثَلاً من التوراة التى هو من علمائها والمتفقهين فيها ، وهو أنَّ بنى إسرائيل حين كانوا فى صحراء سيناء تذمروا على الله وعلى موسى النبى « قائلين لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت فى البريَّة لأنه لا خُبز ولا ماء ، وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف ، فأرسل الربُّ على الشعب الحيَّات المحرقة فَلَدغَت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل .. فَصَلَّى موسى لأجل الشعب . فقال الربُّ لموسى : اصنَع لك حيةً محرقةً وضعها على سارية ،

فكل من لُدغ ونظر إليها يحيا . فصنع موسى حيةً من نحاس ووضعها على السارية . فكان متى لَدَغَت حَيَّةٌ إنسانًا ونظر إلى حيَّة النحاس يحيا » (العدد ٢١ : ٤ — ٩) . وقد كانت هذه القصة رمزًا للغرض الذى جاء من أجله مخلِّصنا إلى العالم . فكما كانت خطيئة بنى إسرائيل نحو الله وحكمه بالموت عليهم ، هكذا كانت خطيئة آدم نحو الله ومِنْ بعدِهِ جميع البشَر سَبَبًا فى غضب الله وحكمه بالموت عليهم . وكما رَفَع موسى الحيةَ على سارية فى البرّية لكى لا يهلك كلُّ مَنَ نظر إليها . هكذا رتبت رحمة الله أن يرسل ابنه إلى العالم ليتخذ جَسَد إنسان ويكفِّر عن خطايا البشَر ويفديهم ، بأن يموت مرفوعًا على خشبة الصليب (يوحنا ٨ : ٢٨) ؛ (١٢ : ٣٢) ؛ (كولوسى ٢ : ١٤) ، لكى لا يهلك كلُّ مَنْ يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية (يوحنا ٣ : ٣٦) . وذلك أَنَّ الله أحب البَشَر الذين فى العالم لأنهم خليقته ، وقد بَلَغ من قوة هذا الحب وعمقه أن الله الآب ارتضى — كى ينقذ البَشَر من الهلاك والموت الأبدى — أن يفديهم بابنه الوحيد الذى هو وحده المتَّحد به ومعه اتحادًا كاملاً ، لأنه من ذات جوهره ، فهو ليس ابنًا له بذات المعنى الذى تتضمنه بُنُوَّة البَشَر لله . وإنما هو ابنه بمعنى آخر لا يشاركه فيه أحد أبدًا ، ولذلك قيل عنه إنه الوحيد ، لأن كيانه هو ذات كيانه ، وطبيعته هى ذات طبيعته ، فهو وإن كان يدعى ابنه للتعبير عن مدى قوة صِلتَهِ به ، فإنه واحد معه (يوحنا ١٠ : ٣٠) . فهو ابن الله ، وهو فى ذات الوقت الله نفسه متجسِّدًا . وهذا سرٌّ من أسرار الطبيعة الإلهية كَشَفَه لنا مخلِّصنا ، وإن كانت عقولنا البشرية المحدودة لا يمكن أن تستوعبه أو تصل إلى مدى ارتفاعه وعُلوه وسُموه ، فإن الله إذ أحبَّ البَشَر الذين فى العالَم إلى هذا المدى ، حتى إنه بذل ابنه الوحيد ليفديهم ، ويكفِّر عن خطاياهم كى يعفو عنهم ، فإنَّ «الله بيَّن محبتَه لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (روما[رومية] ٥ : ٨) . فإنَّ أَحدًا من البَشَر لا يستحقُّ هذا الحب ولا هذا البذْل ولا هذا

الفداء ولا هذا العفو ، إلا إذا آمن بأن الله فعَل ذلك من أجله ، وبالتالى إذا آمن بأن يسوع هو المسيح ابن الله فادى البَشَر ومُخلِّصهم . فكل مَنْ يؤمن به على هذا الوجه وبهذا المعنى لا يهلك تنفيذًا للحكم الذى أصدرته العدالة الإلهية على آدم وذريته بسبب خطاياهم . وإنما يتبرَّر ويتطهَّر ومِنْ ثَمَّ يغدو مستحقًّا لأن ينال الحياة الأبدية ، التى لا ينالها إلا الأبرار والأطهار فى ملكوت الله (يوحنا ٦ : ٤٠ و٤٧) ؛ (٢٠ : ٣١) . لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم فى هذه المرة ليدين البَشَر الذين فى العَالَم (يوحنا ٥ : ٤٥) ؛ (٨ : ١١ و١٥) ؛ (١٢ : ٤٧) ، كما سيحدث عند مجيئه الثانى فى يوم الدينونة ، وإنما أرسله فى هذه المرَّة ليخلِّص به البَشَر الذين فى العالم (لوقا ٩ : ٥٦) ؛ (١ يوحنا ٤ : ١٤) . فالذى يؤمن به حين جاء ليخلِّص البشَر لا يُدان حين يجىء ثانية فى يوم الدينونة ليحاسب البشَر ، (يوحنا ٥ : ٢٤) ، لأنه بإيمانه أثبت أنه اعترف بخطاياه وتاب عنها وتطهرَّ منها وشكرَ الله الذى هيأ له سبيل النجاة من الهلاك الذى كان معرَّضًا له بسببها . لأنه « بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكى نحيا به » (١ . يوحنا ٤ : ٩) . وأمَّا الذى لايؤمن بذلك الفادى باعتباره ابن الله الوحيد ، فقد صدر عليه الحكم بالإدانة بمجرد رفضه الإيمان به (مرقس ١٦ : ١٦) . لأنه بعدم إيمانه أثبت أنه متشبِّث بخطاياه ، لا يريد أن يتوب عنها أو يتطهر منها أو يشكر الله الذى فتح له باب الخلاص ودعاه إليه ، فنكص عن دخول ذلك الباب ، ورفض تلك الدعوة الكريمة الرحيمة الموجهة إليه ، ومن ثَمَّ أثبت أنه غير مستحق للخلاص ، وأنه مخلوق فاسد شرير لا يصلح لأن يشارك الأبرار والأطهار فى حياتهم الأبدية فى السماء ، وإنما يظل ساريًا عليه حكم الهلاك الذى سبق أن أصدره العدل الإلهى عليه . فهو ابن الهلاك ، ومصيره حتمًا إلى هلاك ، إذ لم يعد له أو لأى فاسدٍ شرير من أمثاله عذر ، بعد أن كان الناس يهيمون فى ظلام الخطيئة والشّر ، حتى عميت أبصارهم وبصائرهم عن أن يروا

الفضيلة والبر ليسلكوا سبيلها ، ثم جاء ابن الله إلى العالم فبدَّد الظلام بنوره السماوى ، لأنه هو النور (يوحنا ١ : ٤و٨و٩) ؛ (٨ : ١٢) . وقد قال هو نفسه : « أنا قد جئت للعالم نورًا ، حتى إن كلّ من يؤمن بى لا يمكث فى الظلام » (يوحنا ١٢ : ٤٦) . وقال للناس : « إن النور باق فى وسطكم زمانًا يسيرًا ، فسيروا فى النور مادام النور لكم ، لئلاً يدرككم الظلام ، لأن الذى يمشى فى الظلام لا يدرى إلى أين يذهب . مادام لكم النور ، فآمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور » (يوحنا ١٢ : ٣٥ و ٤٦) .

ولكن الناس لم يؤمنوا بالنور ، وإنما أحبّوا الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة ، فإن كل من يفعل الشرَّ يبغض النور (الأعمال ٢٤ : ١٣) ؛ (أفسس ٥ : ١٣) ، ولا يقترب إليه وإنما يفرُّ مبتعدًا عنه ، لئلا تفتضح فى النور أعماله الشريرة ، فيناله بسببها التَّوْبيخ والتحقير والزجر والعقاب . وأما من يفعل الحق والخير والبرَّ والصلاح ، فإنه لا يهرب من النور وإنما يهرع إليه ، سعيدًا به مطمئنًا إليه ، لأنه سيكشف عن معدنه النقى وعن قلبه التقى ، وعن أعماله النبيلة التى أتاها فى خوف الله ، وطاعته وتقواه . ومن ثم يتمجد من الناس ، وينال رضى الله .

وهكذا كشف مخلصنا لنيقوديموس عن حقيقة شخصيته الإلهية وأوضح له سر العقيدة المسيحية السماوية السامية فى عبارات قليلة ولكنها سامية سمو السماوات ، عميقة عمق الحقيقة الخالدة ، دقيقة دقة الخالق المبدع فى كل ماخلق وأبدع . فلا عجب ولا غرابة بعد ذلك فى أن نيقوديموس اكتمل إيمانه به ، إذ علم منه ماكان لا يعلمه ، وفهم ماكان لا يفهمه ، وسطع نور الفادى عليه فأضاء قلبه وفتح على مجده السماوى بصره وبصيرته ، فتبعه كتلميذ له ، وإن يكن فى الخفاء ، حتى إذا حانت اللحظة الحاسمة التى كان عليه فيها أن ينكره

وتنكَّر له أو يناصره ويجاهر على رؤوس الأشهاد بإيمانه به ، لم يتراجع ولم يتزعزع ، وإنما تَصَدَّى لرؤساء اليهود فى مجلس السنهدريم حين حكموا على مخلصنا بالموت ، فعارضهم فيما حكموا به (يوحنا ٧ : ٥٠) . حتى إذا نفذوا ذلك الحكم وقتلوه ، تقدَّم أمام الجميع فأخذ جثمانه واشترك مع يوسف الرامى فى تكفينه ودفنه (يوحنا ١٩ : ٣٩ — ٤٢) ؛ مخاطرًا بكل شيء ومضحيًا بكل شيء ، حتى لقد سبق فى ذلك الموقف الشهم النبيل تلاميذ مخلصنا الاثنى عشر أنفسهم . فكان إيمانه أصدق إيمان وأعمق إيمان على مَرِّ الزمان .

٣ : ٢٢ — ٣٦

وبعد أن أقام مخلصنا ومعه تلاميذه بعض الوقت فى أرض الجليل ، جاء وَهُمْ معه إلى أرض اليهودية ، ومكث هناك يُعَمِّد . وكان يوحنا المعمدان أيضًا لا يزال يعمِّد فى عين نون ، بالقرب من ساليم ، وهما مكانان يقعان فى وادى الأردن على مسافة نحو ستة أميال شمال شرقى أورشليم ، وكانت المياه وفيرة هناك ، ووفرة المياه ضرورية للمعمودية ، لأن المعمودية كانت تباشر بالتغطيس الكامل . فكان كثيرون من اليهود يأتون هناك إلى مخلِّصنا وتلاميذه ويعتمدون . وذلك أن مخلِّصنا كان يعلم أن هيردوس أنتيباس ملك الجليل سيقبض على يوحنا المعمدان ويلقى به فى السجن ثم يقتله ، لأنه كان يندِّد به جهارًا مُوَبخًا إياه لأنه اغتصب من أخيه فيلبس وهو لا يزال على قيد الحياة زوجته هيروديًا واتخذها زوجة لنفسه ، قائلاً له إنه لا يحلّ له ذلك .. (متى ١٤ : ١ — ١٢) ؛ (مرقس ٦ : ١٤ — ٢٩) ؛ (لوقا ٩ : ٧ — ٩) . وإذ كان يوحنا يعمد كجزء من الرسالة التى عهد الله بها إليه وأمره بها (يوحنا ١ : ٣٣) ، ليمهِّد قلوب اليهود لاستقبال الرب يسوع المسيح والإيمان به ، أراد مخلِّصنا أن تستمر عملية التعميد بعد احتجاب يوحنا فى السجن . فأخذ تلاميذه وعهد إليهم بالتعميد بدلاً من يوحنا ، ومن ثم اختلط

الأمر على تلاميذ يوحنا وغيرهم من اليهود الذين كانوا يؤمنون بأنه هو المسيح الذى ينتظرونه . وقد جرت بين تلاميذ يوحنا وبعض اليهود مجادلة بشأن عملية العماد والتطهير التى كان يقوم بها وإذ عجز أولئك التلاميذ عن تفسير هذا الذى حدث ، ولعلهم أخذتهم الغيرة على معلّمهم يوحنا المعمدان ، وظنوا أن يسوع المسيح أخذ اختصاصاته وتنكر له ، جاءوا إلى يوحنا وقالوا له « يامعلّم إنَّ الذى كان معك فى عبر الأردن ، ذلك الذى شهدتَ له ، هوذا يعمِّد والجميع يقبلون إليه » ، مما يدلّ على أن تلاميذ يوحنا على الرغم من أنهم سمعوا معلّمهم يشهد لمخلّصنا فى عبارات صريحة واضحة بأنه هو المسيح الفادى – أشفقوا على معلّمهم يوحنا من المصير الذى آل إليه . فقد أخذ يسوع المسيح يقوم بعمل التعميد الذى كان يقوم به يوحنا . وذهب الناس وراء يسوع المسيح يتبعونه . وأما يوحنا معلّمهم فقد انفض الناس عنه ، فأفل نجمه . فأجابهم يوحنا إجابة يحدِّد بها رسالته هو ، ومكانته بالقياس إلى رسالة مخلّصنا ومكانته ، قائلاً لهم « لا يستطع الإنسان أن ينال شيئًا مالم يُعطَه من السماء ، أنتم أنفسكم تشهدون بأنى قلت إننى لست أنا المسيح ، وإنما أنا مُرسل أمامه . إن الذى له العروس هو العريس ، وأما صديق العريس الذى يقف ويسمعه ففرحًا يفرح لصوت العريس . ومن ثم فإن فرحى قد اكتمل . إنه ينبغى أن يزداد هو . أما أنا فأنقص . إن الذى يأتى من فوق ، هو فوق الجميع ، والذى من الأرض هو أرضى ، ومن الأرض يتكلّم ، أما الذى يأتى من السماء فهو فوق الجميع . ومارآه وماسمعه هو الذى به يشهد . ولكن أحدًا لا يقبل شهادته . وكل من قَبِل شهادته فقد أقرّ بأن الله حق . لأن ذلك الذى أرسله الله إنما بكلام الله يتكلّم . فإن الله يعطيه الروح بغير مقدار . إنَّ الآب يحب الابن ، وقد جعل فى يده كلَّ شىء . فمن يؤمن بالابن له الحياة الأبدية . ومن لا يؤمن بالابن فلن يرى الحياة ، وإنما يحلّ عليه غضب الله » .

وهكذا أوضح يوحنا لتلاميذه أن له رسالة معينة كلفته بها السماء ، فكان عليه أن يؤدى هذه الرسالة فى حدودها المعينة له . ولا يستطيع أن يتجاوز هذه الحدود التى عَيَّنَتْها له السماء . وقد سبق أن شهد واعترف أمام تلاميذه أولئك الذين جاءوا يسألونه الآن بأنه ليس هو المسيح (يوحنا ١ : ١٩و٢٠و٢٧) ، وإنما تنحصر رسالته فى أنه رسول جاء ليمهد الطريق للمسيح الفادى (يوحنا ١ : ٢٣) ؛ (ملاخى٣ : ١) ؛ (مرقس١ : ٢) (لوقا١ : ١٧) . فكما أن الشخصية الرئيسية فى كلِّ عرس هى العريس الذى تزفُّ العروس له ، وليس صديق العريس الذى يصاحبه ويتولى خدمته ، هكذا هو بالنسبة للمسيح . لأنه إذ كانت كنيسة المسيح هى عروسه (٢. كورنثوس ١١ : ٢) ؛ (الرؤيا ٢١ : ٩) ، فهو العريس (متّى٩ : ١٥) ؛ (مرقس٢ : ١٩) ؛ (لوقا٥ : ٣٤) . وليس أحدًا سواه . وأما يوحنا فهو صديق ذلك العريس (نشيد الأناشيد ٥ : ١) ، الذى تنحصر كل مهمته فى أن يصاحبه ويخدمه . ولأنه يحبه بحكم صداقته له ، يفرح فرحًا عظيمًا بأن يسمع صوته ، ومن ثم فقد اكتمل فرح يوحنا بأنه كان هو صاحب ابن الله وخادمه ، وبأنه أدى واجبه نحوه على أكمل وجه ، وتمم رسالته الموكول بها إليه فى أنبل صورة . ومادام ابن الله قد جاء (يوحنا ١ : ١١) ؛ (١٠ ١٠) . وأظهر ذاته للناس ، فينبغى أن تزداد فى نفوس الناس مكانته بقدر مايزداد إيمانهم به . وأما يوحنا وقد أكمل الرسالة المعهود بها إليه ، فإن المجد الذى له لدى الناس لابد أن يتناقص ويتوارى كما يتناقص نور النجم الصغير ويتوارى حين يسطع نور الشمس العظيمة ويحجب كل أنوار النجوم الأخرى ، لأن المسيح ابن الله الآتى من فوق (يوحنا ٣ : ١٣) ؛ (٨ : ٢٣) ، هو فوق الجميع (فيلبى ٢ : ٩) من أبناء الأرض . ومع أن يوحنا نبى عظيم ، فإنه ليس إلا إنسانًا من الأرض ، ومع أنه موحى إليه من السماء بما يتكلّم ، فإنه من الأرض يتكلم (١ . كورنثوس١٥ : ٤٧) . وأما

المسيح ابن الله الآتي من السماء فهو فوق الجميع (روما ٩ : ٥) ؛ (أفسس ١ : ٢١) وهو الوحيد الذى يستطيع أن يشهد شهادة صادقة بما رآه وسمعه فى السماء (يوحنا ١٥ : ١٥) لأنه هو إله السماء الذى نزل من السماء (يوحنا ٣ : ١٣) ؛ (٦ : ٣٣و٣٨و٥١و٦٢) ؛ (١٦ : ٢٨) ؛ (١٧ : ٨). ولكن أحدًا من اليهود مع ذلك لا يقبل شهادته ، لظلام عقولهم وغلظة قلوبهم . وأما كل من قبل شهادته من اليهود أو غير اليهود فى الأرض كلها ، فقد أقرَّ بأن الله حق (١ . يوحنا ٥ : ١٠) . لأن الله سبق فأعلن على لسان أنبيائه مجىء السيد المسيح ابن الله وكلمته (إشعياء ٩ : ٦) ؛ (ميخا ٥ : ٢) . وقد تحقق هذا مما يدلّ على أن الله حق (روما ٣ : ٤) . لأن كل ماأوحى به إلى أنبيائه اتضح أنه حق (٢ . بطرس ١ : ٢١) . وقد أُرسل يوحنا المعمدان ليمهد لمجىء ابن الله . فلما جاء اتضح أن ماقاله رسول الله بوحى من الله حق . ثم حين جاء ابن الله بالفعل ، وخاطب الناس بكلمات لايمكن أن تصدر إلا من الله (متى ٧ : ٢٩) ؛ (يوحنا ١٤ : ٦) ؛ (مرقس ٢ : ٧و١٠) وبمعجزات لايمكن أن يقدر عليها إلا الله وحده (مرقس ٤ : ٤١) ؛ (١ : ٢٧) ؛ (لوقا ٤ : ٣٦) ، تأكيد من ذلك أن الله حق ، لأن ذلك الذى أرسله الله إنما يتكلم بكلام الله (يوحنا ٣ : ١١) ؛ (٨ : ٢٦) ؛ (٧ : ١٦) . فهو كلمة الله بحق ، إذ أن الله لم يضع فيه روحه ليلهمه كما ألهم كل أنبيائه بمقدار مُعَيَّن محدود ، وإنما أعطاه الروح القدس بغير مقدار . لأن الله وروحه القدوس هما من جوهر واحد . فالروح القدس هو كائن مع الابن ومع الآب ، فى جوهر واحد ، وذات إلهية واحدة . ذلك أن الآب والابن والروح القدس لاهوت واحد ، وطبيعة واحدة ، بغير انقسام وبغير انفصال وبغير تجزئة . فالمسيح ممتلىء بالروح القدس امتلاء الذات بذاتها . فقد حلَّ فيه كل ملء اللاهوت جسديًّا (كولوسى ٢ : ٩) . والله الآب يحب الله الابن (يوحنا ٥ : ٢٠ ؛ متى ٣ : ١٧) ؛ (١٧ : ٥) ؛ (٢ . بطرس ١ : ١٧) . ذلك أنهما معًا كيان واحد وذات

واحدة . وقد جعل الله الآب فى يد الله الابن كل شىء وكل شخص وكل سلطان (متى ١١ : ٢٧) ؛ (٢٨ : ١٨) ؛ (لوقا ١٠ : ٢٢) ؛ (يوحنا ١٣ : ٣) ؛ (١٧ : ٢) ؛ (١ . كورنثوس ١٥ : ٢٧) ؛ (العبرانيين ٢ : ٨) . فمن يؤمن بالله الابن ينال — باعتبار أنه يؤمن بالله الآب فى نفس الوقت — الحياة الأبدية . لأن إيمانه هذا دليل على تسليمه بسلطان الله عليه ، وخضوعه لهذا السلطان ، والتزامه بوصاياه ، وانتهاجه — بسبب هذا الإيمان — سبيل الفضيلة والطهارة والتقوى وكل الصفات التى تجعله أهلا لأن يقترب من ملكوت الله ، وأن يصبح أحد رعايا هذا الملكوت ، بل يصبح ابنًا لله ، مستحقًّا للحياة الأبدية فى حضن أبيه السماوى ، لأن الله هو الآب السماوى لكل من يستحق أن يطيعه طاعة الابن البار لأبيه (حبقوق ٢ : ٤) ؛ (روما [رومية] ١ : ١٧) . وأما مَنْ لا يؤمن بابن الله ، بل يكفر به وينكر حقيقة شخصيته ، فإنه يكون ابنًا عاقًا لا يستحق تلك البنُّوة لله ، ومن ثم لا يستحق — بسبب عقوقه — الاقتراب منه . وبالتالى لا يستحق أن يحيا معه تلك الحياة الأبدية التى سينعم بها الأبرار والأطهار ، وإنما يحلّ عليه غضب الله . لأنه تشبث بشروره وأصرَّ على المضى فى الطريق الشرير الذى اختاره لنفسه بمحض إرادته . فلم يعد أهلاً لأن يكون أبنًا له ولا أن يكون أحد رعاياه فى ملكوته . ولا يصلح إلا لأن يكون مصيره لا الحياة الأبدية ، وإنما الهلاك الأبدىّ ، على مقتضى العدل الإلهى الذى يحكم بالهلاك على كلِّ شرير .

قال مخلصنا له المجد : « الحق الحق أقول لكم إنَّ من يؤمن بى فله الحياة الأبدية » (يوحنا ٦ : ٤٧) . وقال أيضًا « لأنه إلى هذا المدى أحب الله العالم حتى إنه بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية » (يوحنا ٣ : ١٦) . وجاء فى رسالة القديس يوحنا الأولى قوله « إن الله أعطانا حياة أبدية . وهذه الحياة هى فى ابنه . مَنْ له الابن فله الحياة .

وَمَن ليس له ابن الله فليست له الحياة » (١ . يوحنا ٥ : ١١و١٢) ، وقوله « بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكى نحيا به » (١ . يوحنا ٤ : ٩ – وانظر يوحنا ١ : ٤) .

وقد كانت هذه الأقوال التى نطق بها يوحنا المعمدان مطابقة كل المطابقة لكل ماقال مخلِّصنا لنيقوديموس وهو يشرح له سر العقيدة المسيحية ، مما يدلّ على أن يوحنا المعمدان لم يكن ينطق فيما يقول إلا بما أوحى الله به إليه ، وبالتالى يدل على أنه الرسول الصادق الأمين الذى كان أوّل مَنْ بَشَّر من البشَر بالسِّر الإلهى الذى تنطوى عليه عقيدة العهد الجديد التى جاء بها مخلِّصنا ، تلك العقيدة التى تأسست على صخرتها كنيسة سيدنا يسوع المسيح له المجد ، وستظل راسخة فى قلوب المسيحيين إلى الأبد .

إن ماقاله يوحنا المعمدان عن سيده يسوع المسيح ، شهادة عظيمة ، ماأعظمها شهادة ! وقد أشاد بها رب المجد كما أشاد بعبده يوحنا . فقال : « أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد بالحق . وأنا لا أقبل شهادة من إنسان ، ولكننى أقول هذا لتخلصوا أنتم . ذاك هو السّراج الموقد المنير . وقد كنتم تريدون أن تتهلّلوا بنوره ساعة ، أما أنا فلى شهادة أعظم من شهادة يوحنا ، لأن الأعمال التى أعطانى أبى لأنجزها ، تلك الأعمال التى أنا أعملها هى نفسها التى تشهد لى » (يوحنا ٥ : ٣٣ – ٣٦) .

على أن يوحنا كان عظيمًا أيضًا فى ردّه على الذين قصدوا أن يثيروه بأن جميع الناس تركوه وذهبوا إلى يسوع المسيح . وقد برهن بردِّه الرُّوحانى على أنه أعظم من الإثارة ، وأنه حقًّا نبى عظيم وخادم أمين فَهِم رسالته كل الفهم ولم يخرج عنها . وأنه كان أمينًا لسيده ، إذ عرف أن مهمته تنحصر فى أن يهيىء العروس للعريس ، فلم ينحرف فى فهم تلك الرسالة ، ولم يطمع فى أن يخطف

العروس لنفسه ، فكان نِعْم الصديق للعريس ، ذلك الصديق الذى يفرح من كل قلبه بأن تذهب العروس لعريسها ، وبأن يكون له كصديق للعريس شرفُ تهيئة العروس لعريسها . وهنا تنتهى مهمته . وقد أتمها يوحنا بنجاح عظيم ، غير أن نجاحه الأعظم كان فى أنه عرف حدود مهمته ولم ينحرف عنها . فطوبى له من نبى كريم وقدّيس عظيم



الفصل الرابع

٤ : ١ - ٤٢

ولما علم الرب يسوع أن الفرِّيسيين الذين كانوا فى أرض اليهودية سمعوا أنه اتخذ تلاميذ كثيرين ممن آمنوا به حين رأوا شخصيته الإلهية وسمعوا تعاليمه السماوية ، وأنه يعمِّد أكثر من يوحنا ، مع أن ربنا نفسه لم يكن يعمِّد ، وإنما كان تلاميذه هم الذين يعمِّدون بتكليف منه وبإرشاده ، امتلأ هؤلاء الفريسيون غيرة منه وحقدًا عليه ، بسبب ازدياد عدد المؤمنين به ، وارتفاع مكانته لدى الشعب مما أصبح يهدّد مكانتهم التى كانت تضفى عليهم الاحترام والتعظيم . ومن ثم كانوا يجنون من ورائها كثيرًا من المكاسب والمنافع ، وكانوا فى سبيل الاحتفاظ بها واحتكارها لأنفسهم ، لا يتورعون عن قتل كل منافس لهم فيها . ولذلك فإن مخلِّصنا له المجد ترك أرض اليهودية بعد أن مكث بها نحو ستة أشهر . ومضى ثانية إلى أرض الجليل . وقد كان يتحتَّم كى يصل إليها أن يمرَّ فى طريقه بمنطقة السامرة التى تقع فى وسط فلسطين بين اليهوديَّة فى الجنوب ، والجليل فى الشمال . وكان سكان هذه المقاطعات الثلاث جميعًا من شعب بنى إسرائيل وكانت لهم مملكة واحدة عاصمتها أورشليم . وقد ظلت كذلك إلى عهد الملك سليمان بن داود . فلما مات سليمان وخلفه ابنه رحبعام انقسمت المملكة فى عهده بسبب حماقته إلى مملكتين ، إذ تمردت عليه عشرة من أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر وأقاموا لأنفسهم مملكة مستقلة فى السامرة أسموها مملكة « إسرائيل » وجعلوا عاصمتها

« شكيم » التى تسمى اليوم « نابلس » ، واختاروا يربعام بن نباط ملكًا عليهم .
فلم يبق مع رحبعام إلاسبط واحد هو سبط يهوذا وظلت عاصمة مملكته هى
أورشليم (١ . الملوك ١٢) . ولكى يضمن يربعام ولاء العشرة الأسباط التى
تتألف منها مملكة إسرائيل واستمرار انفصالها عن مملكة « يهوذا » عمل على أن
يمنع ذهاب شعبه إلى أورشليم للحج أو للسجود هناك فى الهيكل « عمل عجلين
من الذهب وقال لهم لا حاجة لكم بعد بالصعود إلى أورشلم . هذه آلهتكم
يا إسرائيل التى أخرجتكم من مصر ، وجعل أحدهما فى بيت إيل والآخر وضعه
فى دان .. وبَنَى بيت المرتفعات وأقام كهنة من لفيف الشعب لم يكونوا من بنى
لاوى ، وأقام يربعام عيدًا فى الشهر الثامن فى اليوم الخامس عشر من الشهر
كالعيد الذى فى يهوذا ، وأصعد على المذبح ، وكذلك عمل فى بيت إيل وذبح
للعجلين اللذين عملها » (١ . الملوك ١٢ : ٢٥ - ٣٣) ؛ (٢ . الملوك ١٠ :
٢٩) ؛ (١٧ : ١٦) ؛ (هوشع ٨ : ٤ - ٧) . ثم بعد ذلك قام عمرى أبى أخاب
ملك إسرائيل ببناء السامرة أوتجديدها فى المدة بين عامى ٨٧٦ و ٨٤٢ قبل
الميلاد . فصارت هذه المدينة هى عاصمة مملكة إسرائيل . حتى إذا جلس آخاب
بن عمرى ملكًا على إسرائيل أقام فى السامرة مذبحًا للبعل الذى هو من آلهة
الوثنيين (١ . الملوك ١٦ : ٣٢) . ومن ثم كانت السامرة منذ بنائها مدينة وثنية
واستمرت كذلك (هوشع ٨ : ٤ - ٦) ؛ (عاموس ٨ : ١٤) حتى هاجم
شلمناصّر ملك آشور هذه المدينة سنة ٧٢٤ قبل الميلاد وحاصرها ثلاث سنوات .
ثم فى سنة ٧٢٢ قبل الميلاد غزا سرجون خليفة شلمناصّر هذه المدينة أيضًا
(إشعياء ٢٠ : ١) وسبى من أهلها ٢٧٢٨٠ شخصًا وأخذهم إلى آشور
وأسكنهم فى بعض مدنها (٢ . الملوك ١٧ : ٥ و ٦) فلم يترك فى السامرة
إلا الضعفاء المعدمين من سكانها . ثم لكى يضمن خضوع تلك البقية الباقية من
السامريين فى السامرة ، نقل إليها خليطًا من الشعوب الوثنية .. « وأتى ملك آشور

بقوم من بابل وكوث وعوًّا وحماه وسفروايم وأسكنهم فى مدن السامرة مكان بنى إسرائيل ، فامتلكوا السامرة واستوطنوا مدنها . وكان أنهم فى مبدأ إقامتهم هناك لم يتقوا الرَّبَّ .. فأخذت كل أمة تعمل آلهتها وتضعها فى بيوت المرتفعات التى عملها السَّامريون ، كل أمة فى مدنها التى سكنتها . فعمل أهل بابل سكُّوت بنُّوت ، وأهل كوث عملوا نرجال .. والسفروائيميون كانوا يحرقون بنيهم بالنار لأدرملّك وعنملّك إلهى سفروائم .. فكانوا يتقون الرب ويقيمون لأنفسهم من لفيفهم كهنة مرتفعات ، ويعبدون آلهتهم كعادة الأمم الذين جلوهم من بينهم .. فكان هؤلاء الأمم يتقون الرب ويعبدون تماثيلهم ، وكذلك بنوهم وبنو بنيهم » (٢ . الملوك ١٧ : ٢٤ — ٤١) . وقد ظل أهل السامرة يمارسون هذه العبادة المزدوجة أيضًا فى عهد آسر حدّون ملك آشور حتى سقوط أورشليم فى عام ٥٨٦ قبل الميلاد (عزرا ٤ : ٢) ؛ (٢ . الملوك ١٩ : ٣٧) . كما أن الإسكندر المقدونى عندما استولى على السامرة فى عام ٣٣٢ قبل الميلاد ، نقل سكانها إلى شكيم ، وأتى بدلاً منهم بمقدونيين وسوريين وثنيين وأسكنهم فيها . وهكذا تأثر السامريون بمعتقدات الوثنيين من الأجناس المختلفة الذين وفدوا إليهم ، واختلطت ديانتهم اليهودية بكثير من تلك المعتقدات . ولذلك أصبح سائر اليهود فى بقية أنحاء فلسطين يحتقرون السامريين ويتجنبون مخالطتهم ، بل يتجنبون حتى مخاطبتهم ، أو التعامل بأى صورة من الصور معهم ، معتبرين إياهم نجسين ودنسين وملعونين من الله . ومن ثم اشتدت العداوة بين أولئك وهؤلاء ، حتى إن السامريين امتنعوا عن الصلاة فى هيكل أورشليم ، وأقاموا لأنفسهم هيكلاً خاصًّا بهم على جبل جرزيم الذى يقع فى أرضهم .

وقد مرَّ مخلِّصنا وهو فى طريقه من اليهودية إلى الجليل بمدينة من مدن السامرة تسمى « سوخار » ، بالقرب من الضيعة التى كان يعقوب يملكها فى شكيم ، وقد

وهبها قبيل موته لابنه يوسف . وكانت هناك بئر يعقوب وهى عين ماء كانت تقع فى تلك الضيعة التى كانت مملوكة له . وكان مخلِّصنا قد أتعبه السَّفر ، بعد تلك الرحلة الطويلة الشاقة التى بدأت عند الفجر سيرًا على الأقدام من اليهودية إلى السامرة التى بلغها فى نحو الساعة السادسة بالتوقيت الشرقى القديم ، أى الساعة الثانية عشرة ظهرًا بالتوقيت الحديث . ومِنْ ثمَّ جلَسَ عند بئر يعقوب ليستريح بعض الوقت . ولم تلبث أن جاءت امرأة سامريَّة لتستقى ماء من البئر . فقال لها مخلصنا « أعطينى لأشرب » . ولابُدَّ أن يكون قد عطش فعلاً كإنسان . بيد أن الأمر الغريب أنه عطش ولم يشرب .. أفَلاَ يكون هذا معناه أن هذا العطش إنما كان عطشًا « تَدْبيريًّا » ، أى أن مخلصنا له المجد كان يمكنه أن يبُطل فعل هذا العطش بسلطان لاهوته المتحد بناسوته ، ولكنه سمح لنفسه بأن يعطش . ولم يتدخل بلاهوته ليبطل فِعل هذا العطش ، ليجعل من هذا العطش تبريرًا صادقًا لأن يدخل فى حوار مع المرأة السامرية كى يقودها به إلى خلاص نفسها وخلاص أهل السامرة جميعًا ؟. ومن ثم كان مخلِّصنا يريد بطلبه من تلك المرأة أن تعطيه ليشرب أن يفتح معها باب الحديث ليقودها إلى الإيمان ، إذ كان هذا من وسائط أداء رسالته . وكان تلاميذه فى هذه الأثناء قد مضوا إلى مدينة قريبة من ذلك الموضع ليبتاعوا طعامًا لهم ولمعلِّمهم . بيد أن المرأة السامرية دهشت لهذا الطلب منه ، إذ كان يهوديًّا ، . وكان اليهود كما رأينا يتجنبون السامريين ويرفضون التعامل معهم أو مجرد مخاطبتهم ، وقد اشتدت القطيعة بين اليهود من سبط يهوذا وبين السامريين حتى إنه عندما عاد المسبيون من اليهود إلى أورشليم فى عهد زَرُبَّابل ، طلب السامريون أن يشتركوا معه فى بناء الهيكل فى أورشليم بزعم أنهم مثلهم يعبدون الرب إله إسرائيل ، لكن زربَّابل رفض طلبهم ، فلم يسمح لهم بالاشتراك معه فى البناء ، فحنق السامريون على اليهود ، وجعلوا يحاربونهم ويقاومونهم وانضمُّوا إلى أعداء اليهود فى تعطيل بناء الهيكل ثم فى تعطيل بناء

سور أورشليم . وقد جاء عن ذلك فى سفر نحميا « ولما سمع سَنْبلَّط أننا آخذون فى بناء السور غضب وحنق حنقًا شديدًا وسخر من اليهود . وتكلَّم أمام إخوته أهل السامرة وقال : ماذا يفعل أولئك اليهود الضعفاء .. ولما سمع سَنْبلَّط والعرب والعمُّونيون والأشدوديون بأن أسوار أورشليم قد رُمِّمَت ، وأنه قد أخذ فى سَدِّ الثلم غضبوا جدًا ، وتحالفوا كلهم يدًا واحدة على أن يأتوا ويحاربوا أورشليم وينزلوا بها شرًّا .. » (نحميا ٤ : ١ – ٢١) . وقد استفحل العداء أكثر عندما طرد نحميا من الكهنوت منسَّى الكاهن لأنه تزوّج من ابنة سنبلَّط الحورونى ، على مايروى يوسيفوس المؤرخ اليهودى . فلما لجأ مِنَسَّى إلى سنبلَّط حميِّه وَعَده هذا ببناء هيكل على جبل جرزِيم ، إذا احتفظ بابنته زوجة له ولم يطلِّقها كطلب شيوخ إسرائيل (انظر كتاب « تاريخ اليهود » ليوسيفوس اليهودى . الجزء ١١ – الفقرة ٢ – ثم الجزء ١٢ . فصل ٤ فقرة١) . وقد برَّ سنبلَّط بوعده فبنى هيكلاً على جبل جرزيم ، لينافس به هيكل أورشليم فى نحو عام ٤٣٢ قبل الميلاد ، وأصبح يسمى بالهيكل السامرىّ . وقد صار جبل جرزيم هذا مقدسًا عند السامريين نظرًا لبناء هيكلهم فوقه ، وظلَّ مقدسًا عندهم حتى بعد أن هدم يوحنا هركانوس ذلك الهيكل سنة ١٢٨ قبل الميلاد (انظر كتاب « تاريخ اليهود » ليوسيفوس اليهودى – الجزء ١٣ فصل ٩ فقرة ١) . ومع ذلك استمر السامريون يقدمون قرابينهم على جبل جرزيم حيث كان ذلك الهيكل . وعندما نجّس أنطيوخوس أبيفانيوس اليونانى هيكل أورشليم بأن قدم خنزيرة على مذبحه ، أعلن السَّامريون أنهم لا ينتمون إلى اليهود أصلاً ، وزادوا على ذلك بأن ألقى بعض السامريين فى هيكل أورشليم عظامًا نجسة ، وذلك فى السنة السادسة قبل الميلاد فاشتدت لذلك كراهية اليهود للسامريين حتى أصبح اليهودى يعتبر طعام السامرىّ نجسًا بمثابة لحم الخنزير ، بل لقد غالى اليهود فى احتقارهم للسامريين حتى صار اسم السامرى ذاته نجسًا عند اليهودى ، وكان يستنكف أن ينطق به لئلاَّ تتنجس

بذكر اسمه شفتاه . وبالتالى صار العداء مستحكمًا بين اليهود والسامريين . وانقطعت بين الفريقين كل صلة ، ولم تعد بينهما أيّة علاقات دينية أو اجتماعية . وقد كان هذا ماعبَّرت عنه المرأة السامرية فى دهشة وذهول حين طلب منها مخلِّصنا أن تعطيه ليشرب ، إذ قالت له على الفور «كيف تطلب منى لتشرب وأنت يهودى وأنا سامرية ، واليهود لا يخالطون السامريين ؟ » (يوحنا ٤ : ٩) – وانظر أيضا (متى ١٠ : ٥) ؛ (لوقا ٩ : ٥٢و٥٣) ؛ (يوحنا ٨ : ٤٨) ؛ (الأعمال ١٠ : ٢٨) . وقد كان هذا القول من تلك المرأة هو الذى قصد إليه مخلِّصنا حين أراد ان يفتح معها باب الحديث ليستدرجها إلى معرفة حقيقة شخصيته ، وينير بصيرتها لتؤمن به ، ومن ثم قال لها : « لو كنت تعرفين عطية الله ومن هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب ، لطلبت أنت منه ، فأعطاك ماءً حيًّا » . وقد كان يقصد بالماء الحيِّ النعمَة الرُّوحيَّة السمائيةَ الخالدة التى لا تزول ولا يزول أثرها كما يزول أثر الماء المادىِّ الأرضىِّ ، وتلك هى نعمة الروح القدس .

بيد أن المرأة لبساطتها وسذاجتها لم تفهم ما يقصده مخلِّصنا بالماء الحىِّ ، وإنما ظنت أنه يحدثها عن الماء الذى فى البئر ، فقالت له « ياسيِّد ، ليس معك دلو ، والبئر عميقة فمن أين لك الماء الحىّ ؟ » ثم إنها على الرغم من أنها خاطبته فى بدء حديثها معه باحترام ، عادت فأبدت تعجبها منه إنْ كان يقصد أنه قادر على أن يعطيها ماءً أفضل من ذلك الماء الذى فى البئر ، قائلة له « ألعلَّك أعظم من أبينا يعقوب الذى أعطانا هذه البئر ، وقد شرب منها هو وبنوه وماشيته » . وهكذا اتجهت إجاباتها فى نفس الاتجاه الذى أراده مخلِّصنا ليكشف لها عن حقيقة شخصيته التى هى أعظم من شخصية إبراهيم بما لا يقاس . وليكشف لها عن حقيقة الماء الحىّ الذى يستطيع هو أن يعطيه إياها ، والذى هو أثمن من الماء الذى فى تلك البئر . والذى فى كل آبار الأرض وبحيراتها وبحارها ومحيطاتها بمالا

مجال معه لمقارنة أو قياس . ومِنْ ثَمَّ قال لها : «كل مَنْ يشرب من هذا الماء لا يلبث أن يعطش ، أما من يشرب من الماء الذى أعطيه إياه أنا ، فلن يعطش إلى الأبد ، بل الماء الذى أعطيه إياه يكون فيه ينبوع ماء ينهمر إلى الحياة الأبدية » . أى أن الماء الذى فى بئر يعقوب أو أى ماء آخر ينبع من الأرض ، قد يرتوى منه الإنسان لحظة ، ولكنه لا يلبث أن يعطش ، ومهما شرب منه فإنه سيعود فيعطش ، لأنه ماء مادىّ ، فهو من احتياجات الجسد المادىِّ الذى هو من طبيعته ، والذى مهما شرب منه فإنه سيموت فى النهاية ويفنى ، وأما الماء الذى يعطيه مخلِّصنا فهو ماء روحى ترتوى به روح الإنسان فلا تشعر بأنه ينقصها أبدًا ، لأنها تمتلىء به امتلاءً كاملاً ، فتظل مرتوية به إلى الأبد ، كينبوع منهمر من النعمة الرُّوحِّية لا ينقطع ولا ينضب ولا يفتأ يفعل فِعلَه فى الإنسان حتى يؤدى به إلى الحياة الأبدية .

ولم تفهم المرأة السَّامرية بطبيعة الحال ما يقصد إليه معلِّمنا بهذا القول السامى السماوى الذى لم يكن ليفهمه فى ذلك الحين حتى أكبر علماء اليهود وفقهائهم ، فى حين أنها كانت امرأة قروية ساذجة . ومِنْ ثَمَّ ظَنَّت أنه يحدثها عن نوع آخر من الماء يوجد فى نبع آخر من ينابيع الأرض غير بئر يعقوب ، من شأنه أن يرويها بصفة دائمة فلا تعطش ، وبذلك توفر على نفسها ذلك المجهود الذى تبذله كل يوم فى المجىء إلى البئر حاملة جرَّتها ، ثم تعود حاملة إياها وهى ممتلئة ، فقالت له فى بساطة وبراءة « ياسيد أعطنى هذا الماء لكيلا أعطش ولا أجىء إلى هنا لأستقى » . بيد أن فادينا له المجد أراد أن يجعلها تفهم قوله على وجهه الصحيح ، بأن تعرف شخصيته السماوية على حقيقتها ، وبذلك تدرك أن الماء الذى يتحدث عنه ماء يصدر عن السماء لا عن الأرض . ولم يكن ذلك ممكنًا بالنسبة لهذه المرأة إلا أن يظهر لها بعض قدرته الإلهية فى العلم بالغيب ، تلك القدرة التى

لا يملكها إلا الله وحده ، فقال لها « اذهبى واستدعى زوجك وتعالى إلى هنا » . أجابت المرأة وقالت له « ليس لى زوج » ، فقال لها « أحَسَنْت إذْ قُلت ليس لى زوج ، لأنه كان لك خمسة أزواج ، والذى معك الآن ليس زوجك . فى قولك هذا صَدَقت » . ومن هذه العبارة يتبين أن تلك المرأة كانت امرأة ساقطة ، لأنها تنتقل من رجل إلى آخر تحت ستار الزواج تارة ، أو بغير زواج تارة أخرى ، كما حدث بالنسبة لذلك الرجل الأخير الذى تعيش معه دون أن تتزوّجه ، ومع ذلك تجاوز مخلِّصنا عن توبيخها أو تعييرها بتلك الحياة الشائنة التى تحياها ، لأنه كان يبتغى منذ البداية ماهو أهم من ذلك ، وهو خلاصها خلاصًا كاملاً ، وتوجيهها إلى الإيمان لتحيا حياة التوبة والطهارة ، ومنْ ثَمَّ فإنه بدلاً من التوبيخ والتعيير امتدح صدقها ، إذ اعترفت بأن الرجل الذى تعيش معه حينذاك لم يكن زوجها . وقد كان لهذا الأسلوب الحكيم الذى اتبعه معها أثره السريع والمباشر ، إذ أدركت المرأة أن ذلك الذى يتحدث معها ليس إنسانًا عاديًّا . فقالت له « ياسيد . أرى أنك نبىّ » . وهكذا تقدمت درجة فى إدراكها بطبيعة مخلِّصنا . بيد أنها إذ فهمت من حديثه معها أنه نبىّ ، وإذ رأت أنه وهو يهودى يعاملها وهى سامريَّة فى رقة وسماحة ، على العكس ممايفعله سائر اليهود مع السَّامريين ، أرادت أن تفهم منه وجه الحق فى قضية من قضايا الخلاف بين اليهود والسامريين ، وهى أن اليهود كانوا يعدّون أنَّ المكان المقدس الوحيد الذى تنبغى فيه عبادة الله والسجود له هو هيكل أورشليم دون أى موضع آخر على الأرض ، فى حين يعتقد السامريون أن تلك العبادة وذلك السجود ينبغى أن يكون فى هيكل السامريين القائم على جبل جرزيم . والمعروف أن يعقوب الذى هو إسرائيل بنى فيه مذبحًا لله وهناك عبده وسَجد له (التكوين ٣٣ : ١٨ — ٢٠) . ومن ثَمَّ قالت المرأة لمخلِّصنا « لقد كان آباؤنا يسجدون فى هذا الجبل ، وأنتم تقولون إن فى أروشليم الموضع الذى ينبغى فيه السجود » . ولا شك أن المرأة السامرية عندما

قالت « لقد كان آباؤنا يسجدون فى هذا الجبل » كانت تشير إلى آبائها من اهل السامرة الذين كانوا ومازالوا على قولها يسجدون فى جبل جرزيم الذى تعنيه بقولها « هذا الجبل » ، أى الجبل القريب منها ، وهو الذى يسمى الآن « جبل الطور » الذى يكوِّن الحد الجنوبى للوادى العميق الضيق الذى كانت تقع فيه « شكيم » المسماة اليوم « نابلس » ، ويقف فى مواجهته جبل « عيبال » فى الجانب الشمالى من الوادى . وفى سفح جبل جرزيم هذا بئر يعقوب التى جلس عندها مخلصنا والتقى هناك بالمرأة السامرية التى كانت قد جاءت لتستقى ماء من تلك البئر . والمعروف أنه على جبل جرزيم كان يقف نصف أسباط بنى إسرائيل يهتفون بالبركات لمن يحفظ وصايا الرب ، فى حين كان يقف النصف الآخر من الأسباط على جبال عيبال ينطقون باللعنات على من يعصى أوامر الرب (انظر سفر التثنية ١١ : ٢٩) ؛ (٢٧ : ١٢) ؛ (يشوع ٨ : ٣٣ - ٣٥) ؛ (القضاة ٩ : ٧ - ٢١) .

وقد أجاب مخلِّصنا المرأة قائلاً : « ايتها المرأة صدقينى أنه تأتى ساعة فيها لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للآب . انتم تسجدون لمن لا تعرفون . وأما نحن فنسجد لمن نعرف ، لأن الخلاص إنما هو من اليهود . ولكن تأتى ساعة ، وقد أتت الآن ، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق . فإن الله روح ، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » .

وقد كان فى هذا القول الذى أفضى به معلِّمنا للمرأة إعلان عن العهد الجديد الذى جاء هو به ، إذ كان السجود فى العهد القديم يتم كعلامة لعبادة الله وتعظيمه والخشوع أمامه . بيد أن اليهود كانوا يمارسونه كعمل جسدى بحت ، وشكلى محض ، لا دخل فيه للروح التى ينبغى أن تكون هى التى تعبد الله وهى التى تعظّمه ، وهى التى تخشع أمامه ، وهذا هو السجود الروحى الذى أصبح فى العهد الجديد هو الغاية العظمى وهو الهدف الأسمى ، سواء أكان هذا فى جبل

جرزيم أم فى أورشليم أم فى أى مكان فى الوجود ، لأنه ينطوى على العبادة الحقيقية لله الآب . بيد أن معلِّمنا مع ذلك أوضح للمرأة السامرية، أن الترتيب الإلهى قد قصد أن يأتى المسيح مخلِّص العالم من نسل داود ، وقد حدد الله فى أسفار العهد القديم هيكل أورشليم ليكون رمزًا لعبادته والسجود له . فإذا خالف السامريون هذا الأمر الإلهى وجعلوا مركز عبادتهم وسجودهم هيكلاً آخر أقاموه على جبل جرزيم ، فقد كانوا فى ذلك مخطئين . وقد نشأ خطأهم عن أنهم لم يكونوا يهودًا خالصين وإنما اختلطوا بالشعوب الوثنية التى كانت تسجد لآلهة لا تعرفها ، فى حين كان اليهود الاصليون يسجدون لله الذى أعلن لهم ذاته فعرفوه ، وإن كانوا على الرغم من معرفتهم له قد خالف أغلبهم وصاياه . فقد كانت عبادتهم له شكلية محضة ، ومظهرية غير صادقة . لكن ثمة ساعة تأتى ، وقد أتت فى ذلك الوقت بالفعل بمجىء المسيح ابن الله مخلِّص العالم ، يسجد فيها المؤمنون لله الآب سجودًا حقيقيًّا وفعليًّا وليس شكليًّا أو مظهريًّا ، لأنه سجود لا بالجسد كعلامة لعبادة الله ، قد تكون كاذبة ، وإنما هو سجود بالروح ينبع عن إيمان حقيقى وصادق ، وعن وَرَع وإخلاص ، لا نفاق فيه ولا افتراء ولا رياء ، لأن الله الآب لا يقبل سجود الساجدين له إلا بهذا المفهوم وعلى هذا الأساس الرُّوحى العميق . فان الله روح ، والذين يسجدون له فبالرُّوح والحق ينبغى أن يسجدوا . فإن فعلوا ذلك نالوا رضاه عنهم ومسرَّته بهم ونعمة ملكوته يغدقها عليهم .

ومن هذه الإجابة القدسية من فم السيد المسيح له المجد عن سؤال المرأة السامرية تتضح الحقائق الآتية :

أولاً : أن العبادة الحقيقية فى العهد المسيحى لا ترتبط بالمكان ، بل بالأحرى إنها تقوم بالروحانية والصدق . فليس المهمّ فى تعليم المسيح أين يكون

السجود أو أين تكون العبادة ، وإنما المهم فى العبادة أن تمارس « بالروح والحق » . وبعبارة أخرى ليس المهم « أين » يسجد العابد ، بل « كيف » يسجد و « كيف » يعبد . ليكن المكان أى مكان . هذا لا يهم . وإنما الذى يهم فى الحقيقة هو « روح العبادة » ، وأن تكون عبادة صادقة وحقيقية . عبادة من أعماق القلب والروح والنفس ، وليس مجرّد عبادة شكلية مظهرية رسمية .. والدليل على أن هذا هو المقصود هو قوله له المجد : « السّاجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق ، لأن الآب يبتغى مثل هؤلاء الساجدين له . فإن الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (انظر أيضا غلاطية ٥ : ٢٥) ؛ (فيلبى ٣ : ٣) ؛ (١ . تيموثيئوس ٢ : ٨) ؛ (يعقوب ٤ : ٨) ؛ (١ . بطرس ١ : ٢٢) .

ثانيًا : إن العبادة « والسجود لله » فى تعليم السيد المسيح له المجد لم تعد مرتبطة بمكان معيَّن ، وإنما صارت العبادة لله الآب عبادة محرّرة من الارتباط بالمكان المحدود . وهذا يتمشى مع منطق تعليم المسيح فى العهد الجديد الذى نقل الكنيسة إلى كل امتداد . فلم تعد كما كانت فى المفهوم اليهودى القديم كنيسة عنصرية تتألف من شعب بذاته ، وهو الشعب اليهودى الذى كان يُسَّمى الشعب المختار ، وإنما صارت فى العهد الجديد كنيسة جامعة مسكونية عالمية تضم المؤمنين بالمسيح من كل شعب وأمة ولسان فى كل مكان .. « ليس يهودى أو يونانى ، عبد أو حُر ، ذكر أو أنثى . لأنكم جميعًا واحد فى المسيح يسوع » (غلاطية ٣ : ٢٨) . وعن هذا المفهوم للعبادة المسيحية جاء فى نبوءة ملاخى النبى : « لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمى عظيم فى الأمم ، وفى كل مكان يُقرَّب لاسمى بخور وتقدمة طاهرة . لأن اسْمى عظيم فى الأمم . قال رب الجنود » (ملاخى ١ : ١١) . وهذا هو النص القدسى الذى يردّده الكاهن فى القدّاس للدلالة على امتداد العبادة المسيحية الروحانية إلى كل مكان وفى كل مكان .

ثالثًا : إن هذا المفهوم الجديد للكنيسة بامتدادها الجامعى المسكونى العالمى هو المفهوم الذى قدَّمه السيد المسيح له المجد بنفسه . وقد بدأ فعلاً بمجىء المسيح وصار مرتبطًا أساسًا بالدعوة المسيحية والرسالة المسيحية . ويتضح هذا من تصريحه له المجد بقوله : « تأتى ساعة ، وقد أتت الآن » (يوحنا ٤ : ٢٣) وإذن فقد بدأت ممارسة هذا المفهوم بمجرد النطق الإلهى « وقد أتت الآن » . أى أن السيد المسيح لا يحيلنا على المستقبل البعيد ، وإنما يحسم القضية بأن هذا المفهوم الجديد قد صار « الآن » .

وقد أبدت المرأة السامرية ارتياحها لأقوال مخلِّصنا . ولكنها مع ذلك لم تفهمها ، لأنها تسمو كثيرًا عن مدارك تلك المرأة الريفية الساذجة ، ولما كان السامريُّون كسائر اليهود ينتظرون مجىء المسيح ، فقد أعربت عن أملها فى أنه حين يجىء ستفهم عنه مالم تفهمه من مخلِّصنا . أو لعلها أدركت أن هذا الذى يحدِّثها هو المسيح نفسه ، بعد أن رأته يعرف كُلَّ دخائل حياتها ، إذ قالت « نحن نعلَم أن مسِيًّا الذى يُدعى المسيح آت ، فمتى أتى فسيخبرنا بكلِّ شىء » ، فقال لها على الفور « أنا الذى أكلمك هو » .

وعند ذلك جاء تلاميذ مخلِّصنا ، فتعجبوا إذ رأوه يتكلَّم مع امرأة سامرية ، مع أن اليهود لم يكونوا يكلِّمون السامريين . ولكنهم تهيبوا أن يسألوه عما تطلب هذه المرأة ، أو عن سبب كلامه معها ، لأنهم كانوا يعلمون أن له حكمة فى كل مايقول وكل مايعمل ، وأنه لو أراد أن يوضح لهم جليَّة ذلك الأمر الذى حيّرهم لفعل . أما وقد سكَتَ فقد منعهم احترامهم إيّاه أن يسألوه .

وأما المرأة السامرية فتركت جرتها عند البئر وانطلقت إلى المدينة التى جاءت منها وقالت للناس : « هلمُّوا انظروا ذلك الرجل الذى قال لى كلَّ شىء فعلته . أيكون هذا هو المسيح ؟ » . فخرجوا من المدينة وأقبلوا عليه ، لأن السَّامريين

كانوا كسائر اليهود فى ذلك الحين يتوقعون فى لهفة مجىء المسيح ليخلِّصهم من ربقة الرومان ، ويعيد اليهم مجد مملكة داود ويجعلهم سادة العالم ، ولا سيَّما أنهم كانوا يعلمون من نبوءات دانيال النبى موعد مجىء المسيح بالضبط . وكان هذا الموعد قد حلَّ بالفعل .

وقد انتهز تلاميذ مخلِّصنا فرصة انصراف المرأة السامرية ، فطلبوا إلى معلِّمهم أن يتناول غداءه من الطعام الذى كانوا قد ذهبوا ليبتاعوه من المدينة ، فطلبوا إليه قائلين : « يامعلِّم قم تناول الطعام » . فقال لهم « إنَّ لى طعامًا آكله لا تعرفونه أنتم » . وإذ لم يكونوا قد تدرَّبوا بعد على فهم أقواله البعيدة المرمى التى يعنى بها أمورًا روحيَّة ومعنوية ، فهموا قوله هذا على ظاهره الحرفى ، فقالوا فيما بينهم : « ألعَلَّ أحدًا جاءه بما يأكل » . ويبدو أنهم قد طالت غيبتهم فى المدينة حين ذهبوا ليبتاعوا طعامًا . فظنوا أن أحدًا جاء لمعلِّمهم فى هذه الأثناء ببعض الطعام فأكله ، ومِنْ ثَمَّ صحَّح لهم مخلِّصنا فهمهم الخاطىء لكلامه كما كان يفعل دائمًا معهم حين يخطئون الفهم ، فقال لهم : « إنَّ طعامى هو أَن أعمل بمشيئة الذى أرسلنى وأُنجز عمله » ، أى أنه لا يهمه الطعام الجسدى بقدر ما يهمه أن يؤدى الرسالة التى جاء من عند أبيه السماوىّ لينجزها ، وهى تتضمَّن هداية البشَر إلى طريق الحق وإنقاذهم من الشر المتسلط عليهم ، كما فعل مع المرأة السَّامريَّة ، إذ يعتبر خلاصها وخلاص شعبها هو طعامه الرُّوحى الذى يتجه كل اهتمامه إليه ، لأنه ينطوى على العمل بمشيئة الله الآب التى هى فى ذات الوقت مشيئته هو ، وينطوى على انجاز عمل الله الآب الذى هو فى ذات الوقت عمله هو ، لأن الله الآب و الله الابن كيان واحد وطبيعة واحدة وذات إلهية واحدة . وقد أراد مخلِّصنا أن يشرح لتلاميذه رسالته التى جاء من أجلها بقدر أكبر من الوضوح ، كما أراد أن يشرح لهم رسالتهم هم أنفسهم . فقال لهم : « أما

تقولون : بعد أربعة أشهر يحين الحصاد ؟ وهأنذا أقول لكم : ارفعوا أعينكم وانظروا إلى الحقول . إنها قد ابيضَّت فِعلاً للحصاد . والحاصد يأخذ الأُجرة ، ويجمع ثمارًا للحياة الأبدية ، لكى يفرح الزارع والحاصد كلاهما معًا ، إذ فى هذا يصدق القول : إن واحدًا يزرع وآخر يحصد . وقد أرسلتكم لتحصدوا مالم تتعبوا فيه . فإن آخرين قد تعبوا . وأنتم تجنون ثمرة تعبهم » .

وقد كان فادينا الحبيب يستخدم الأمثال من واقع حياة الناس المادية الأرضية ليُيسِّر لهم فهم أقواله الروحية السمائية ، ومن ثم ضَرَب هنا مثلاً لتلاميذه. يفهمون معناه حق الفهم ، كى يفهموا ما يطابقه من معانى عباراته السامية ، وهو أنهم كانوا حين يزرعون أى نوع من محاصيلهم كانوا يعلمون بالتحديد بعد كم من الزمن سينضج ويحين حصاده ، فحدثهم عن محصول من تلك المحاصيل كان مزروعًا وهم يدركون أنه يحتاج إلى أربعة أشهر كى ينضج ويبَيضّ لونه فيحصدوه ، ثم أرادهم أن يفهموا أن الناس تشبه زراعة تلك المحاصيل ، وأن الحصول على ثمرة غرس الإيمان فى نفوس الناس بعد الزمن اللازم لذلك ، يشبه حصاد تلك المحاصيل ، فليفهم التلاميذ إذن أن أنبياء العهد القديم قد زرعوا بنبوءاتهم فى نفوس اليهود الإيمان بمجىء المسيح حتى تغلغل فيهم ذلك الإيمان ، وراحوا يتوقعون ذلك المجىء بين لحظة وأخرى . ولا أدل على ذلك من أن تلك المرأة السامرية التى وجد التلاميذ عند عودتهم من المدينة أن معلِّمهم يتكلَّم معها كان لديها ذلك الإيمان ، وقد أفضت به صراحة لمخلِّصنا على الرغم من أنها سامرية ينكر اليهود أنها تنتسب إليهم هى وكل السامريين من عشيرتها . ثم بعد أن حان الوقت المحدّد لتحقيق صحة ذلك الإيمان ولينتج ثمرته ، ظهر يوحنا المعمدان كى يؤكد ويوطِّد ذلك الإيمان فى نفوس اليهود ، ويُهيِّئ قلوبهم لاستقبال المسيح الذى ينتظرونه « لأن جميع الأنبياء وكتبة الشريعة حتى يوحنا قد تنبأوا » (متى ١١ : ١٣) . معلنًا لهم إنه قد جاء بالفعل (يوحنا ١ :

٢٦ و ٢٩ – ٣٦) . ومِنْ ثَمَّ أصبحت تلك القلوب مهيأة لقبول الإيمان الكامل ولا تحتاج إلا لمن يدفعها إليه ، كما يحتاج محصول الزرع حين ينضج ويَبْيضّ إلى الحاصد ليحصده ، وإلا يسقط على الأرض ويتلف . وكما شبَّه مخلِّصنا الأنبياء السابقين بأنهم الزارعون ، شبَّه تلاميذه بأنهم الحاصدون ، لأن مهمتهم كانت هى أن يجمعوا المؤمنين كما يجمع الحاصد المحصول بعد نضجه . ولم تكن مهمة التلاميذ هذه بغير أجر . لأن الحاصد من حقه أن يأخذ الأجرة عن عمله (متى ١٠ : ١٠) ؛ (١ . كورنثوس٩ : ٧) ؛ (١ . تيموثيئوس٥ : ١٨) ؛ (التثنية٢٥ : ٤) ، لأنه يجمع الثمار التى هى نفوس المؤمنين للحياة الأبدية ، كما يجمع حاصد الزرع الثمار ليضعها فى الأمكنة التى أُعِدَّت لها ، فيفرح بذلك الزارعون الذين هم الأنبياء السابقون الذين زرعوا الإيمان بنبوءاتهم ، فجاء ذلك الإيمان أخيرًا بثماره ، كما يفرح بذلك الحاصدون الذين هم التلاميذ الذين جمعوا نفوس المؤمنين بعد أن اكتمل إيمانهم . بيد أنَّ فى هذا يصدق القول : « إنَّ واحدًا يزرع وآخر يحصد » ، أى أن البعض يزرعون ولكنهم لا يرون ثمار ما زرعوا ، لأن تلك الثمار تجىء بعد موتهم ، فى حين أن البعض الآخر يحصدون مالم يتعبوا فى زراعته ورعايته . وهذا ما ينطبق على التلاميذ ، لأن معلِّمهم ارسلهم ليحصدوا مالم يتعبوا فى زراعته ، إذ أن الذين تعبوا فى ذلك هم الأنبياء الذين جاءوا قبلهم . ثم جاء التلاميذ ليجنوا ثمرة ماتعب فى زراعته أولئك الأنبياء .

ولعلَّ من المفارقات التى تدلّ على الحكمة الإلهية أن المرأة السَّامرية التى لم تكن من تلاميذ مخلِّصنا ، وإنما كانت تنتسب إلى شعب يعدّه اليهود كافرًا وملعونًا من الله ومصيره إلى الجحيم ثم جهنم ، أصبحت من أوائل الحاصدين الذين كلفهم مخلِّصنا بأن يجمعوا نفوس المؤمنين (متى٩ : ٣٧و٣٨) ؛ (لوقا١٠ : ٢) ، إذ استطاعت أن تدفع للإيمان بالمسيح عددًا كبيرًا من السامريين المقيمين فى المدينة التى ذهبت لتبشِّر به فيها ، إذ طفقت تقول لهم عنه فى حماس عظيم :



العشاء الربانى



قيامة السيد المسيح

« إنه قال لى كل ماكنت قد فعلته » ، أى أنه يعلم الغيب . فهو إذن المسيح ابن الله الذى ظلوا طويلاً ينتظرونه ، ومن ثَمَّ جاء السامريون إليه (قارن لوقا ٩ : ٥٢-٥٦) ؛ (الأعمال ٨ : ٢٥) . ورجَوْه أن يمكث عندهم ليتحققوا من صحة ماقالته تلك المرأة لهم عنه . وعلى الرغم من أن اليهود كانوا لا يخالطون أولئك السامريين وإنما يبتعدون كل الابتعاد عنهم ، بحسبانهم أشرارًا نجسين ملعونين ، فقد قَبِل مخلِّصنا بكل سماحة دعوتهم ، بل لقد مكث يومين كاملين معهم وفى بيوتهم ، لأنه جاء لخلاص البَشَر جميعًا وليس اليهود وحدهم ، ولأنه جاء - كما قال هو نفسه - ليدعو إلى التوبة ، لا الأبرار ، وإنما الخطاة ، إذ « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب ، بل المرضَى » .. « لأنى ماجئت لأدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة» (متى ٩ : ١٢و١٣) ؛ (مرقس ٢ : ١٧) ؛ (لوقا ٥ : ٣١و٣٢) . وفعلاً كان من نتيجة إقامته تلك بين السامريين أَنَّ كثيرين آخرين منهم إذ سمعوا كلماته السامية وتعاليمه السماوية آمنوا به ، وجعلوا يقولون للمرأة التى بشَّرتهم به : « إننا الآن نؤمن ، لا بسبب كلامك . وإنما لأننا سمعناه بأنفسنا . وقد علمنا أن هذا هو حقًّا المسيح مخلِّص العالم » . وهكذا آمن به واعترف بحقيقة شخصيته أولئك المغضوب عليهم والمحتقرون من سائر اليهود (يوحنا ٨ : ٤٨) ، حتى قبل أن يكتمل إيمان تلاميذه أنفسهم به ، او يدركوا كل الإدراك حقيقة شخصيته ، مع أن أولئك السامريين لم يكونوا قد سمعوا شهادة يوحنا المعمدان عنه ، كما سمعها بعض تلاميذه ، بأنه هو المسيح ابن الله مخلِّص العالم .

٤ : ٤٢ - ٤٥

وبعد أن أمضى مخلِّصنا يومين فى المدينة السامرية وآمن به كثيرون من أهلها خرج من هناك ومضى إلى منطقة الجليل (متى ٢ : ٢٢) ؛ (٣ : ١٣) ؛ (٤ : ١٢ و١٥ و٢٥) التى أمضى سنوات كثيرة من حياته السابقة على الأرض فى

« الناصرة » إحدى مدنها (متى ٢ : ٢٣) ؛ (٤ : ١٣) . وكان هو نفسه قد شهد بأنه لا كرامة لنبي فى وطنه (متى ١٣ : ٥٧) ؛ (مرقس ٦ : ٤) ؛ (لوقا ٤ : ٢٤) ؛ (يوحنا ٤ : ٤٤) . وذلك لأن أهل أى بلد تتملكهم الغيرة من أى شخص ينشأ بينهم كواحد منهم ، ثم ينال بين الناس إكرامًا ومجدًا بسبب ما يبدى من أسباب العظمة والسُمّو ، فيحقدون عليه ويحاولون الغضَّ من شأنه والتنكُّر له وإنكار ما استحقه فى البلاد الأخرى من كرامة وتكريم . ومع ذلك فإن مخلِّصنا حين مضى إلى منطقة الجليل وجعل يطوف بين مدنها فيما عدا الناصرة ، مواصلاً التعليم وصُنْع المعجزات استقبله الجليليون استقبالاً حافلاً بمظاهر الحفاوة والتعظيم ، وآمنوا به (يوحنا ٢ : ٢٣) ؛ (٣ : ٢) . لأنهم كانوا قد رأوا كل ماصنعه فى أورشليم فى عيد الفصح ، إذ أنهم هم أيضًا كانوا قد ذهبوا إلى هناك للاحتفال بذلك العيد الذى كان واجبًا على اليهود جميعًا فى كل أنحاء بلادهم أن يحتفلوا به فى هيكل أورشليم دون سواه ، حيث يقدِّمون ذبائحهم وقرابينهم وعطاياهم التى نصت عليها الشريعة اليهوديّة. (التثنية ١٦ : ١٦) ؛ (الخروج ٢٣ : ١٤ و ١٧) ؛ (٣٤ : ٢٣) .

<u>٤ : ٤٦ - ٥٤</u>

وكان من أوائل المدن التى جاء إليها فادينا فى تجواله فى أنحاء منطقة الجليل ، مدينة « قانا الجليل » (يوحنا ٢١ : ٢) ، حيث كان قد صنع معجزة تحويل الماء إلى خمر (يوحنا ٢ : ١ - ١١) . وإذ كانت هذه المعجزة قد ذاع أمرها فى تلك المدينة ، كما ذاعت فيها بعض المعجزات الأخرى التى صنعها مخلِّصنا فى غيرها من الأماكن ، ولا سيّما فى أورشليم . وقد سمع بهذه المعجزات أحد رجال حاشية الملك هيرودس أنتيباس ملك الجليل ، وكان له ابن مريض فى كفرناحوم (متى ٤ : ١٣) ؛ (٨ : ٥) ؛ (١١ : ٢٣) ؛ (١٧ : ٢٤) ، فما إن سمع أنَّ

مخلِّصنا جاء من إقليم اليهودية إلى قانا الجليل حتى انطلق إليه على الرغم من أن كفرناحوم كانت تبعد عن هذه المدينة نحو خمسة عشر ميلاً (مرقس ١ : ٢١) ؛ (٢ : ١) . (٩ : ٣٣) . وقد قطع هذه المسافة الطويلة من فرط ثقته بأن مخلِّصنا قادر على شفاء ابنه المريض ، فلما وصل إلى حيث كان مخلِّصنا تَوسَّل إليه فى تواضع ومذلّة على الرغم من أنه كان ذا مركز رفيع فى البلاط الملكى ، متناسيًا أمام ذلك الشخص الإلهى كل عجرفته وعنجهيته المعروفتين عن حاشية الملوك ، ضارعًا إليه أن يجىء ويشفى ابنه ، إذ كان مشرفًا على الموت ، فقال له فادينا « مالم تروا آيات وعجائب لا تؤمنون » (١ . كورنثوس ١ : ٢٢) ، وهى عبارة تنطوى على التوبيخ لذلك الجيل كله من اليهود الذين كانوا ينتظرون مجىء المسيح ابن الله منذ مئات السنين ، ويعلمون من نبوءات أنبيائهم موعد مجيئه بالتحديد ، لم يكن يكفيهم مع ذلك ليؤمنوا به أن يسمعوا تعاليمه السامية السماوية التى تدل على حقيقة شخصيته والتى لا يمكن أن تصدر إلا عن الحكمة الإلهية وحدها ، وإنما كانوا يطلبون كى يؤمنوا به أن يروا منه معجزات وغرائب تفوق إدراك العقل البشرىّ ، ليكتشفوا بواسطتها أنه ليس إنسانًا عاديًا من أهل الأرض ، وإنما هو المسيح الذى ينتظرونه ، وأنه ذات إلهية نزلت من السماء . بيد أن ذلك الذى كان صاحب وظيفة عظيمة لدى الملك الجبّار هيرودس احتمل هذا التوبيخ فى انكسار أمام هيبة فادينا . ورفعه إيمانه الراسخ بقدرته على شفاء ابنه الذى اشتدت عليه العلّة حتى يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة ، والذى لابد أنه عَرَضه قبل ذلك على أطباء كثيرين فأخفقوا فى إنقاذه من مرضه الخطير، فعاد يتضرّع إلى فادينا قائلاً له فى لهفة : « هيَّا ياسيدى قبل أن يموت ابنى » . ولم يكن يخطر ببال هذا الرجل أنَّ فى مقدور مخلِّصنا أن يشفى ابنه المريض إلا إذا ذهب إليه حيث يرقد وفحصه كأى طبيب بشرى كى يشفيه (يوحنا ١١ : ٢١ و ٣٢) . بيد أن مخلِّصنا فاجأ ذلك الرجل بمعجزة أكبر وأعجب لم يكن يتوقعها أو يتصوَّرها ، إذ

شَفَى ابنه بكلمة منه وهو فى مكانه على بعُد نحو خمسة عشر ميلاً من الموضع الذى يرقد فيه ابنه ، إذ قال له « اذهب . إن ابنك حيّ » . فوثق الرجل على الفور بالكلمة التى قالها له مخلِّصنا من فرط إيمانه بقدرته الإلهية . وذهب إلى حيث كان ابنه فى كفر ناحوم (لوقا ٤ : ٢٣ و ٣١) ؛ (٧ : ١) ؛ (١٠ : ١٥) . وفيما هو ذاهب قابله خدمه فى الطريق وبشَّروه قائلين « إن ابنك حى » فاستفسر منهم عن الساعة التى بدأ فيها يسترد صحته . فقالوا له « بالأمس فى الساعة السابعة زالت عنه الحُمَّى » ، فأدرك أبوه أنها هى تلك الساعة ذاتها التى قاله له مخلِّصنا فيها « إن ابنك حى » . فآمن هو وكل أَهل بيته بفادينا الحبيب . ويعتقد البعض أن ذلك الرجل هو « خوزى » وكيل الملك هيردوس الذى ذكره القديس لوقا فى بشارته (لوقا ٨ : ٣) فى حين يعتقد آخرون أنه هو « منايِن » الذى جاء فى سفر أعمال الرسل أنه تَربَّى مع ذلك الملك (الأعمال ١٣ : ١) . وقد كانت هذه هى المعجزة الثانية التى صنعها مخلِّصنا فى « قانا الجليل » بعد عودته من اليهودية ، اذ كانت معجزته الأولى التى صنعها فى تلك المدينة هى معجزة تحويل الماء إلى خمر .



الفصل الخامس

٥ : ١ - ١٦

وبعد هذا كان عيد لليهود ، وهو عيد الفصح (اللاويين ٢٣ : ٥) ؛ (التثنية ١٦ : ١) ؛ (يوحنا ٢ : ١٣) ، فصعد مخلّصنا إلى أورشليم للاحتفال بذلك العيد كعادته كل عام (لوقا ٢ : ٤١ و ٤٢) . لأنه كان يلتزم بعادات اليهود كواحد منهم (الخروج ٢٣ : ١٥) . وقد كان من عادة اليهود أن يحتفلوا بعيد الفصح فى أورشليم ، حيث يقيمون الطقوس الخاصة به فى هيكلها ، ويقدمون فيه ذبائحهم وكل مافرضته الشريعة اليهودية عليهم أن يقدّموه بهذه المناسبة (التثنية ١٦ : ١) . كما أن تجمُّع اليهود فى أورشليم فى ذلك العيد كان فرصة طيبة لفادينا كى يجاهر بتعاليمه السماوية ، ويصنع معجزاته الإلهية بينهم ، فيؤمنوا بأنه هو المسيح الذى ينتظرونه .

وكان عند أحد أبواب أورشليم المسمّى « باب الضأن » (نحميا ٣ : ١ و٣٢) ؛ (١٢ : ٣٩) ، حظيرة بالقرب منه يباع فيها الضأن وهو الخراف التى كان اليهود يقدمونها ذبيحة فى عيد الفصح . وكان هذا الباب هو أقرب الأبواب إلى هيكل أورشليم الذى يقدّمون فيه ذبائحهم . وكانت عنده بركة يسمونها بالعبرانية « بيت حَسْدا » ، وهى بركة قديمة من المرجح أنها هى المذكورة فى نبوءات إشعياء النبى باسم « البركة العتيقة » (إشعياء ٢٢ : ١١) .

وكان اليهود يستخدمونها للاغتسال من الأدناس الطقسية التى وردت فى أسفارهم . ولذلك بنوا حولها خمسة أروقة . أى دهاليز مسقوفة . لخلع الملابس قبل الاغتسال . ثم ارتدائها بعد ذلك . ثم حدثت فيها ظاهرة رتَّبها الله لشفاء المرضى ، مما جعل اليهود يضطجعون فى تلك الأروقة طلبًا للشفاء من أمراضهم . فكان منطرحًا فيها حشد كبير من المرضى ، من العُمْى والعُرْج والمصابين بالكساح ، منتظرين وقوع تلك الظاهرة الإلهية وهى تحريك الماء . لأن مَلاَكًا كان ينزل من وقت لآخر إلى البِرْكة ويحرِّك ماءها . فكان أول من ينزل عند تحريك الماء يبرأ من كل مرض يعتريه . وقد كانت هذه الظاهرة علامة على اقتراب موعد ظهور المسيح ابن الله الذى كان اليهود ينتظرونه . والذى كان هو القادر وحده على شفاء كل مرض مهما كان خطره أوكانت خطورته ، أوكان استعصاؤه على الشفاء . وكان اقتصار الشفاء فى حالة تحريك الملاك للماء على مَن يُلْقِى بنفسه فيه أولاً من المرضَى علامة على أن الذى يبادر إلى الإيمان بالمسيح عندما يجيء هو الذى يفوز بالخلاص . كما أن عدم شفاء المرضى الآخرين الذين يلقون بأنفسهم فى البِركة بعده ، علامة على امتحان الله لمدَى تلهُّف الناس على مجيء المسيح لخلاصهم ومقدار صبرهم فى انتظار هذا الخلاص .

وكان هناك بين المنطرحين حول هذه البركة عندما مرَّ بها مخلِّصنا رجل عليل منذ ثمان وثلاثين سنة ، ويبدو أنه كان مصابًا بالفالج أو الكساح . فلما رآه مخلِّصنا مضطجعًا ، وإذ كان يعلم على مقتضى علمه الإلهى أن له زمانًا طويلاً هكذا ، قال له « أتريد أن تبرأ » . وقد كان مخلِّصنا يعلم بالطبع أنه يريد أن يبرأ ولكنه اراد أن يبدى اهتمامه به وعطفه عليه ، كما أراد أن يثير انتباهه إلى المعجزة التى سيصنعها له . ومع أنه يبدو حسب الظاهر أن سؤال فادينا له المجد لا محلَّ له ، بالنسبة لإنسان مريض منذ ثمانية وثلاثين عامًا ، وقد أتى بالفعل وانطرح

مضطجعًا بالقرب من البركة ، مما يظهر معه أنه راغب فى الشفاء . لكن مما لاشك فيه أن مخلِّصنا لم يسأل هذا السؤال عبثًا : « هل تريد أن تبرأ ؟ » بيد أن السؤال كان لابد منه احترامًا لإرادة الرجل . فعطايا الله ومواهبه لا تمنح من غير إرادة الإنسان ورغبته ، وهذا برهان على حريَّة الإرادة فى الأفعال الأدبية من خير وشر . وأن الإنسان مناطُ أمره بيده . وأنه لا يقسر على شىء بالرغم منه . حتى أمر الشفاء من المرض وبالتالى الشفاء من الخطيئة . ثم إن سؤال مخلِّصنا له المجد ربما كان مقصودًا على أنه مُوَجَّه إلى عمق أعماق الرجل : إذا كان حقا يريد أن يشفى ، وبالتالى إذا كان مستعدًّا أن يمنع نفسه عن الخطيئة التى سببت له هذا المرض ، وهو الثمن الذى لابد له أن يدفعه فى مقابل شفائه ، بدليل قول مخلِّصنا بعد أن شفاه : « هاأنت ذا قد برئت . فلا تعد إلى الخطيئة لئلاً يصيبك ماهو أسوأ » . وإلا فإنه قد يكون هذا العليل يريد الشفاء لجسده حتى يصير قادرًا على أن يعود إلى الخطيئة التى أصبح عاجزًا عنها بعجز جسده . فيعود إليها من جديد . وعلى كل حال فإن هناك من المرضى من لا يريد حقًّا الشفاء لنفسه لأنه يعلم أن الشفاء يكلِّفه التوبة التى لا يريدها . وقد كان هذا الرجل فيما يبدو من هذا الطراز ، لأنه على مايخبرنا البابا كيرلس الأول عمود الإيمان نقلاً عن يوحنا الرسول ، أن هذا الرجل قد عاد إلى الخطيئة فعلاً .

وعلى أى حال فإن العليل أجاب عن سؤال مخلِّصنا قائلاً : « ياسيِّد ليس لى من يلقى بى فى البركة متى تحرك الماء . ففيما أنا أهمّ بالنزول يسبقنى آخَر » . ويبدو من هذه العبارة المريرة مدى أنانية الناس ، فإن كُلاًّ منهم لا يفكر إلا فى نفسه ، ولا يريد إلا أن يبرأ هو وحده من علته وإن كان يعلم أن كثيرين غيره يعانون أكثر مما يعانى ، وأن زمان مرض كثيرين غيره قد امتدَّ أكثر كثيرًا مما امتد زمان مرضه هو . بل إن من الأصحاء الذين لا يكابدون أى مرض مَن يحجمون عن مساعدة المريض ليعينوه على الشفاء من مرضه ، إذ يقول ذلك الرجل المسكين لمعلِّمنا :

« ليس لى من يلقى بى فى البركة متى تحرَّك الماء » . أى أنه قد هجره الجميع فلم يَعُد له صديق ولا معين . وقد يدل هذا من ناحية أخرى على أن ذلك الرجل كان مكروهًا لشرِّه وفظاظته ، فإنه من غير المألوف أن يفقد الإنسان محبة كل الناس بحيث لا يبقى له صديق أوقريب ، مالم يكن إنسانًا يستحق كراهية الناس له وابتعادهم عنه . وهنا نلمس الفارق الضخم بين هذا العليل وبين المفلوج الذى حمله أحباؤه وجاءوا به إلى مخلِّصنا فلما وجدوا الزحام حوله يحول دون الوصول إليه صعدوا بالمفلوج إلى السقف ونقبوه ثم انزلوه بفراشه الذى كان راقدًا عليه إلى حيث كان مخلِّصنا (مرقس ٢ : ١ - ١٢) ؛ (لوقا ٥ : ١٧ - ٢٦) . ولا ريب أن عدم اهتمام الناس بذلك العليل الراقد بجوار البركة كان عاملاً من العوامل التى جعلت مخلِّصنا يؤثره باهتمامه دون غيره من المرضى الآخرين المضطجعين حول البركة ، ومن ثم قال له : « قم احمل فراشك وامشِ » . ففى الحال برىء الرجل وحمل فراشه ومشَى . فكانت هذه الكلمة من فادينا الحبيب تنطوى على أمر للمرض المزمن بأن ينصرف على الفور ، بحيث يستعيد الرجل كل قوّته ، ويبلغ من قدرته لا أن يقوم من رقدته الطويلة ويمشى فحسب ، وإنما كذلك أن يقوَى على حَمل فراشه كأى إنسان صحيح الجسم لا يعانى أى مرض أو ضعف ، مع أنه كان ولاشكَّ قد تقدمت به السِّنُّ بعد مرضه كل تلك السنين الطوال المليئة بالأوجاع والأهوال . وهنا نلاحظ أن مخلِّصنا له المجد لم يتضرَّع كما يتضرَّع الأنبياء ، فهو لم يطلب قوة من خارج ذاته . وإنما شفى المريض بأن أصدر إليه الأمر بالشفاء من دون صلاة ، مما يدل على سلطان لاهوته . وقد صنع مخلِّصنا ذلك مرارًا فى كل المعجزات التى أجراها (متى ٩ : ٥و٦) ، (مرقس ٢ : ٩و١١) ؛ (لوقا ٥ : ٢٣و٢٤) .

ولعلَّ تفاهة عقلية اليهود وسفاهة فهمهم لشريعتهم ، وخبث طبعهم ومكر طبيعتهم ، وكل ما اجتمع لهم من صفات شريرة وحقيرة ، لا يبدو كمابدا فى

حديثهم عن هذه المعجزة التى صنعها مخلِّصنا الصالح . إذ أنهم حين رأوا ذلك الرجل المنطرح مشلولاً مايقارب الأربعين عامًا ، لم يسألوه عمَّن صنع له تلك المعجزة التى تعلو على مدارك البشر فأبرأه . وإنما إذ كان اليوم سبتًا ، وإذ رأوه يحمل فراشه ، قالوا له « إن اليوم سبت ، فلا يحلٌ لك أن تحمل فراشك » ، وهذا تمشيًا مع الفهم الحرفى لما أمرت به الشريعة (الخروج ٢٠ : ١٠) ؛ (نحميا١٣ : ١٩) ؛ (ارميا١٧-٢٧) . ولابد أن الرجل قد أذهله تفكيرهم اللئم ، ومنطقهم السقيم ، بعد أن رأوا معجزة شفائه ، فلم يبالوا بها ، على الرغم من غرابتها التى تفوق كُلَّ حَد ، وإنما اتجه كل همِّهم إلى لومه على أمر شكلىٍّ تافه يدل على سوء فهمهم لمقاصد شريعتهم ، لأنه كما قال مخلِّصنا : « إنما جُعل السبت لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت » (مرقس ٢ : ٢٧) . فأجابهم الرجل بتفكير سليم ومنطق قويم أفحمهم به وألجمهم ، إذ قال لهم : « إنَّ الذى أبرأنى هو الذى قال لى : احمل فراشك وَامْشِ » ، أى أن الذى صنع له هذه المعجزة الباهرة المبهرة لابد أنه يملك من القوة القادرة القاهرة أكثر بكثير مما لشريعة حفظ السبت . وكأنما كان يعرف ما قرره مخلِّصنا فى مثل هذه المناسبة إذ قال إن « ابن الإنسان هو رب السبت » (مرقس٢ : ٢٨) ؛ (متّى ١٢ : ٨) ؛ (لوقا ٦ : ٥) . وإذ تخاذل اليهود أمام هذه الإجابة السديدة سألوه فى غيظ : « من هو الرجل الذى قال لك احمل فراشك وَامْشِ ؟ » . ولكن الذى برىء لم يكن يعلم مَنْ هو لأن السيد المسيح له المجد بعد أن شفاه لم يكشف له عن شخصيته . وإنما تركه واختفى ، حيث كان ذلك المكان مزدحمًا بالناس ، لأنه لم يكن يريد لحكمة ارتآها أن يعلن عن شخصيته فى هذا الزحام فيختلف الناس فى أمره ، ويحدث بينهم شقاق وشغب لم يكن يريده أن يحدث ، تاركًا المعجزة التى صنعها للرجل الكسيح تتحدث عن نفسها .

بيد أن مخلِّصنا بعد ذلك وجد الرَّجُل فى الهيكل – ولابد أَنه بمجرَّد شفائه

ذهب ليقدم الشكر هناك لله – فقال له : « هاأنت ذا قد برئت . فلا تعد إلى الخطيئة لِئلاَّ يصيبك ماهو أسوأ » . ويدلّ ذلك على أن المرض الطويل الذى عاناه ذلك الرجل إنما كان قصاصًا له من الله على خطيئة ارتكبها . ومِنْ ثَمَّ حذّره من أنه إذا عاد إلى ارتكاب الخطيئة فسيصيبه من الشر أسوأ مما سبق أن أصابه . فلم يعد له عذر إذا أخطأ مرة أخرى . ويكون من العدل الإلهى عندئذ عقابه بمرض أشد وأقسى فى هذه الحياة الدنيا أو بهلاكه فى يوم الدينونية . وفعلاً لقد عاد هذا الرجل إلى الخطيئة من جديد . وكان هو الرجل الذى قاد مظاهرة لمنع دفن العذراء مريم بعد وفاتها ، وأمسك بالتابوت ، فضربه رئيس الملائكة ميخائيل بسيفه ، فانفصلت يداه من جسمه ، على ما روى البابا كيرلس الأول عمود الايمان نقلا عن القديس يوحنا الرسول . وإذ علم هذا الرجل أن مخلِّصنا بعد هذا الذى قاله له هو الذى شفاه ، مضى وقال لليهود إن يسوع هو الذى أبرأه . غير أن اليهود أوغلوا فى تفاهتهم وسفاهتهم وخبثهم ومكرهم وشرّهم ، فلم يمجّدوا ذلك الشخص الإلهى الذى صنع تلك المعجزة التى لا يقدر أن يصنعها إلا الله وحده ، بل على العكس أخذوا يطاردونه ويسعون إلى قتله ، لا لسبب إلا لأنه صنع تلك المعجزة فى السبت . بيد أن هذا لم يكن السبب الحقيقى لمَا أرادوا أن يفعلوه به . وإنما كان السبب هو غيرتهم العمياء منه وحقدهم الأسود عليه ، بعد أن راوا مانال من مجد وكرامة وتكريم لدى الذين آمنوا به .

٥ : ١٧ – ٣٠

وهنا ثارت مناقشة محتدمة بين مخلِّصنا وبين اليهود ، إذ كان له المجد هدفًا دائمًا لمناوأة طوائف كثيرة منهم ، ولا سيما رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين والصّدوقيين المتفقهين فى الشريعة اليهودية ، الذين كانوا لا يفتأون متربصين له ، ليتصيّدوا منه كلمة يثبتون بها أنه ليس المسيح المنتظر ، ليحولوا دون إيمان الناس

به ، أو ليدفعوه إلى قول يتهمونه فيه بارتكاب مخالفة للشريعة تستوجب الحكم عليه بالموت ، أو يتهمونه فيه بالتمرُّد على الرومان الذين يحكمونهم ، فيكون ذلك ذريعة للحكم عليه بالموت كذلك . إذ كان هدفهم الدائم وغايتهم الوحيدة أن يقضوا عليه ويتخلصوا منه ، لأنه كان يندِّد بشرورهم ويهدِّد مكانتهم فى المجتمع اليهودى ، إذ يفضح رياءهم وتماديهم فى كبريائهم وغرورهم ، واتخاذهم الدين ستارًا للاستمتاع بالدنيا واستعباد الناس واستغلالهم وابتزاز أموالهم وإخضاعهم لجورهم وفجورهم . فكانوا لا ينقطعون عن مراقبته والتجسس عليه وتوجيه أسئلة إليه يتضمَّن كل سؤال منها فخًّا يريدون أن يقتنصوه به . وقد أعدُّوه له بكل ما فى طبيعتهم من خبث ومكر ودهاء . وبكل ما فى طاقتهم من علم بالشريعة وأسرارها وخفاياها . ومن قدرة على المحاورة والمناورة والخديعة والالتواء . وقد كانوا يفاجئونه بتلك الأسئلة ليأخذوه على غرَّة ، وليدفعوه لأن يجيبهم دون تفكير أو تحضير أو حيطة أو حَذَر ، عَسَى أن يخطىء الخطأ القاتل الذى يريدونه له . ولكن السيد المسيح كان ينطلق فى الاجابة عن اسئلتهم على الفور . فسرعان مايفحمهم بالحجة القوية ويلجمهم بالمنطق الدقيق العميق ، متخذًا من السلاح الذى يوجهونه إليه سلاحًا ضدهم . وإذ كانوا يتشدّقون بمعرفتهم بالشريعة ويحاولون أن يوقعوه فى أحابيلها ، فسرعان ما كان يأتيهم بالحجة التى تبطل كيدهم من شريعتهم ذاتها ، فهى حاضرة دائمًا بين شفتيه ، لا يحتاج فى الاستشهاد بها إلى وقت ليتذكرها ، أو إلى بحث ليعثر عليها . فكانوا يقفون أمامه مدحورين مقهورين مبهورين . ثم لا يلبثون أن ينصرفوا عنه خجلين متخاذلين . ونجد مثالاً من كل ذلك فى هذا الفصل وفى الفصول التالية من بشارة القديس يوحنا ، إذ كان أغلب تلك الفصول حوارًا محتدمًا مضطرمًا بينه وبين اليهود ، لا يلبث أن يهدر فيه حجتهم ويقهر حقدهم وسوء نيتهم وسواد قلوبهم .

ومن ذلك ماحدث بعد أن صنع فادينا له المجد معجزة شفاء الكسيح عند بركة بيت حسدا ، إذ رأينا أن اليهود حين علموا بأنه هو الذى صنع هذه المعجزة أخذوا يطاردونه ويسعون إلى قتله ، زاعمين أنهم يريدون أن يفعلوا به ذلك لأنه صنع معجزته تلك فى السبت . ويبدو أنهم قدَّموه من أجل هذه التهمة إلى مجلسهم الأعلى وهو السنهدريم ليحاكمه ويحكم عليه بالموت وفقًا للشريعة اليهودية التى تقضى بقتل من يكسر السبت بأن يقوم فيه بأى عمل .

ولم تكن هذه هى المرة الوحيدة التى اعترض فيها اليهود على مخلِّصنا لأنه شفى مريضًا فى يوم سبت ، وعَدُّوه لذلك ناقضًا لشريعة السبت ، فقد اعترضوا عليه أيضًا لأنه أبرأ رجلاً ذايد يابسة فى يوم سبت ، « فخرج الفرِّيسيون على الفور وتآمروا ضده مع الهيرودسيين كى يهلكوه » (مرقس ٣ : ١ - ٦) ؛ (متى ١٢ : ٩ - ١٤) . بل يقول الإنجيل للقديس لوقا « ومن ثم جنَّ جنونهم ، وراحوا يتشاورون فيما بينهم ماذا يفعلون بيسوع » (لوقا ٦ : ٦ - ١١) .

واعترضوا عليه لأنه شفى فى يوم سبت امرأة كان قد استولى عليها روح أصابها بمرض منذ ثمانية عشر عامًا ، فكانت منحنية ولم تكن لتستطيع أن تنتصب البتَّة ، فوضع يديه عليها ، ففى الحال انتصبت .. » (لوقا ١٣ : ١٠ - ١٧) .

واعترضوا عليه لأنه شفى فى يوم سبت رجلاً مصابًا بداء الاستسقاء (لوقا ١٤ : ١ - ٦) .

واعترضوا عليه لأنه شفى فى يوم سبت المولود أعمى .. « فقال قوم من الفرِّيسيين : إن هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت » (يوحنا ٩ : ١٤ - ١٦) .

وكان مخلِّصنا دائمًا يرد على اعتراضاتهم مصححًا لهم سوء فهمهم لمقاصد الشريعة ، بأنه « يحلّ فعل الخير فى السبت » (متى ١٢ : ١٢) ؛ (مرقس ٣ :

٤) . وبالتالى « يحلّ الإبراء فى السبوت » (متى ١٢ : ١٠) ؛ (لوقا ١٤ : ٣) . وقال يوبِّخهم على غلظة قلوبهم . « إن كان لأىٍّ منكم شاة واحدة وسقطت فى حفرة فى السبت ، أفلا يمسك بها ويخرجها . فكم هو الإنسان أفضل من الشاة ؟ » . (متى ١٢ : ١١ و ١٢) . كما قال : « أيها المراؤون ألا يحلّ كل منكم فى يوم السبت ثوره أو حماره من المزود ويمضى به فيسقيه ؟ » (لوقا ٦ : ١٥) . وقال « من منكم يسقط حماره أو ثوره فى بئر فلا يسارع إلى انتشاله فى يوم السبت ؟ » (لوقا ١٤ : ٥) .

وقال أيضا يوبِّخهم على مايقعون فيه هم أنفسهم من تناقض « وأنتم تختنون الإنسان فى السبت . فإن كان الإنسان يختن فى السبت لئلا تُنْقَضَ شريعة موسى ، أفتسخطون علىَّ لأننى شفيت إنسانًا بأكمله فى السبت ؟. لا تحكموا حسب الظاهر ، وإنما احكموا بالحق » (يوحنا ٧ : ٢٣ و ٢٤) .

وإذ وجَّه أعضاء السنهدريم هذه التهم إلى مخلِّصنا أجابهم قائلاً : « إن أبى حتى الآن يعمل ، وأنا أيضًا أعمل » . أى أن الله أباه السماوى له السلطان أن يقضى بماينبغى عمله ومالا ينبغى عمله فى السبت ، لأنه هو رب السبت . ولما كان مخلِّصنا هو ابن الله ، فإن له نفس السلطان ، ومن ثم هو ايضًا رب السبت . وقد سبق له أن قرَّر ذلك صراحة ، إذ قال « إن ابن الإنسان هو رب السبت » (متى ١٢ : ٨) ؛ (مرقس ٢ : ٢٨) . وبهذه العبارة التى قالها له المجد أمام رؤساء اليهود أكَّد انه هو ابن الله الآب ، وأنه يعمل مع الآب لأنه فى وحدة كاملة معه . فإذا كان الله الآب هو الذى قرَّر فى شريعة العهد القديم أن يكون السبت يوم راحة ، لا يصح فيه القيام بأى عمل (الخروج ٢٠ : ٨) ؛ (٣١ : ١٣) فإن له السلطان أيضًا أن يقرر الأعمال التى يصح القيام بها فى ذلك اليوم إن كانت هذه الأعمال تستوجبها الضرورة أو الرحمة أو الخير (متى ١٢ : ١٢) ؛

(مرقس ٣ : ٤) ؛ (لوقا ٦ : ٩) ، أو أي اعتبار آخر ينطوى على تمجيد الله والعمل بمشيئته ، على مقتضى إرادته وحكمته . ولما كان مخلِّصنا هو ابن الله وله نفس سلطانه فمن حقه أن يفعل نفس الشيء ، لأنه كما أن الله خلق كل الأشياء بالمسيح (يوحنا ١ : ٣) ؛ (أفسس ٣ : ٩) ؛ (كولوسى ١ : ١٦) ؛ (العبرانيين ١ : ٢) ؛ (الرؤيا ٤ : ١١) ، فهو أيضا يعمل كل الأشياء ويدبرهابه (العبرانيين ١ : ٣).ثم إن في قوله له المجد « إن أبي حتى الآن يعمل وأنا أيضًا أعمل » بيانا بأن الله تعالى لا يتوقف عن العمل . حقًّا لقد قال الكتاب المقدَّس « وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذى عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل » (التكوين ٢ : ٢) ؛ (الخروج ٢٠ : ١١) ؛ (٣١ : ١٧) ؛ (العبرانيين ٤ : ٤) . بيد أن الفراغ من العمل ليس معناه التوقف عن العمل . إنه تعالى فرغ من عمل الخليقة الأولى ، لكنه لا يتوقف عن العمل إطلاقًا . فالله الذى خلق الكون ، لا يزال يخلق بالقوانين التى سنّها للخليقة ولكل مخلوق منها ، سواء المخلوقات الحيَّة أو الجامدة . وهو تعالى حافظ الكون وليس خالقه فقط ، فعنايته وتدبيره ورعايته مستمرة وإلى الأبد بغير توقف . ثم إنه تعالى هو الذى يحفظ لقوانين الطبيعة بقاءها واستمرارها وفعاليتها بغير توقف . هذا فضلاً عن تدبيره للكائنات العاقلة وتدخله المباشر وغير المباشر في حياة كُلِّ مخلوق ، ورعايته له . وهو أيضًا ساهر لا ينام ليضمن للوجود بقاءه واستمراره ، ويكفل لكل شيء في خليقته أن يسير في مساره المرسوم له بحسب طبيعته دون تصادم مع غيره ، فهو تعالى الضابط للكون ، وسيِّده ، ولا يغفل عن سياسته وتدبيره ، كليًّا وجزئيًّا (انظر يوحنا ٩ : ٤)؛(١٤ : ١٠).

وفى قول مخلِّصنا له المجد « إن أبي حتى الآن يعمل وأنا أيضًا أعمل » تمجيد للعمل ، وتكريم له . فإذا كان الله يعمل ، فمن شرف الإنسان المخلوق على صورة

الله ومثاله أن يعمل ، ولا يتوقف عن العمل . وعندما خلق الله الإنسان « وضعه فى جنة عدن ليفلحها ويحفظها » (التكوين ٢ : ١٥) . فالعمل كرامة الإنسان ، ليكون على غرار خالقه ، خالقًا صغيرًا بما وهبه الله من إمكانات وإمكانيات يصقلها ويستثمرها . وقد أمر الله الإنسان منذ الابتداء قائلا « املأوا الأرض وأخضعوها وتسلَّطوا على سَمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدبُّ على الأرض » (التكوين ١ : ٢٨) . فهذا السلطان العظيم الذى أعطاه الله للإنسان كى يُخضع الأرض ويسود به على الطبيعة وعلى الخليقة معناه أن الله يتطلَّب من الإنسان أن يستثمر ماوهبه الله إياه من قدرات روحية وعقلية وماديَّة لكى يخضع الأرض وقوانينها لخيره وخير الوجود ، حسب إرادة خالقه. وفى تمجيد العمل يقول القديس بولس الرسول « أنتم تعرفون كيف يجب أن يُتمثل بنا ، لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم ، ولا أكلنا خبزًا مجانًا من أحد ، بل كنا نشتغل بتعب وكدٍّ ليلاً ونهارًا لكى لا نثقل على أحد منكم .. لكى نعطيكم أنفسنا قدوة حتى تتمثلوا بنا . فإننا أيضًا حين كنا عندكم أوصيناكم بهذا ، إنه إن كان أحد لا يريد أن يعمل فلا ينبغى أن يأكل ايضًا » (٢ . تسالونيكى ٣ : ٧ — ١٠) . وقال أيضًا « أطلب اليكم أيها الإخوة .. أن تحرصوا على أن تكونوا هادئين وتمارسوا أموركم الخاصة وتشتغلوا بأيديكم أنتم كما أوصيناكم » (١ . تسالونيكى ٤ : ١٠) . ويقول أيضًا « لا يسرق السارق فيما بعد ، بل بالحرى يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له أن يعطى من له احتياج » (أفسس ٤ : ٢٨) .

وإذ قال مخلِّصنا « إن أبى حتى الآن يعمل وأنا أيضًا أعمل » ، اشتدت رغبة اليهود فى قتله ، لأنه لم ينقض السبت فحسب ، وإنما قال أيضًا إن « الله أبى » . مساويًا نفسه بالله . وهذا يدل على أن اليهود فهموا من بنوَّة المسيح لله أنها ليست

مجرد بنوّة نَسَبية ، إنما فهموا هذه البُنُّوة على معناها الحقيق الكامل ، أى بمعنى أن المسيح هو « صورة الله الغيرالمنظور» (كولوسى ١ : ١٥) ؛ (٢ . كورنثوس ٤ : ٤) ؛ (العبرانيين ١ : ٣) . وبعبارة أخرى أنه هو الله الغيرالمنظور وقد صار منظورًا وأنه هو الله الظاهر فى الجسد . لذلك أرادوا قتله ، لأنه بهذه الدعوى جعل نفسه مساويًا لله (يوحنا ١٠ : ٣٣) . ولقد أكَّد السيد المسيح له المجد مساواته لله الآب إذ قال « أنا وأبى نحن معًا واحد » (يوحنا ١٠ : ٣٠) وجاء فى رسالة بولس الرسول إلى فيلبى « المسيح يسوع الذى إذ هو فى صورة الله لم يكن يعتد مساواته لله اختلاسًا » (فيلبى ٢ : ٦) ومِنْ ثَمَّ أضاف مخلِّصنا بذلك إلى تهمته الأولى التى تستوجب الموت ، وهى أنه نقض السبت ، تهمة أخرى عدَّها اليهود أشنع وأبشع ، وتستوجب الموت أكثر من الأولى ، وهى أنه قال عن نفسه إنه ابن الله وإنه مساو له ويملك نفس سلطانه وقوته ومجده . ولم تكن هذه هى المرة الوحيدة التى كان اليهود يبتغون فيها قتله ، فقد سعوا كثيرًا لأن يقتلوه (انظر متى ١٢ : ١٤) ؛ (٢٧ : ١) ؛ (مرقس ٣ : ٦) ؛ (لوقا ٦ : ١١) ؛ (يوحنا ٧ : ١٩) ؛ (١٠ : ٣١و٣٩) ، (١١ : ٥٣) ؛ (الأعمال ٣ : ١٣و١٥) .

فلما رأى مخلصنا غلظة قلوبهم وعمى أبصارهم وبصائرهم ، وإصرارهم على قتله ، بدلاً من أن يؤمنوا بما يقول ، ولا سيما بعد ماسمعوا من تعاليمه السامية ومعجزاته الإلهية ، استرسل فى توضيح تلك الحقيقة التى قررها لهم عن علاقته بالله الآب ، عسَى أن يفتح بذلك مغاليق عقولهم وقلوبهم ، قائلاً لهم : « الحق الحق أقول لكم إن الابن لا يسعه أن يعمل من نفسه شيئًا ، إلا ما يرى الآب يعمله ، لأن كل مايعمله الآب يعمله الابن ايضًا . فإن الآب يحب الابن ، وهو يريه كل مايعمل ، وسيريه اعمالاً أعظم من هذه لتتعجبوا أنتم ، لأنه كما أَن الآب يقيم الموتى ويحييهم ، هكذا الابن يحيى من يشاء ، فإن الآب لا يدين أحدًا وإنما

سلَّم القضاء كله للابن ، ليمجد الجميع الابن كما يمجدون الآب . ومن لا يمجد الابن ، لا يمجّد الآب الذى أرسله . الحق الحق أقول لكم إن مَن يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى له الحياة الأ دية ، ولن يأتى إلى دينونة ، وإنما ينتقل من الموت إلى الحياة . الحق الحق أقول لكم : إن ثمة ساعة تأتى ، وقد أتت الآن ، يسمع فيها الموتى صوت ابن الله ، والذين يسمعون يحيون . لأنه كما أن الآب له الحياة فى ذاته ، هكذا أعطى الابن أن تكون له الحياة فى ذاته . وقد أعطاه السلطان لأن يدين ، لأنه ابن الإنسان . لا تعجبوا من هذا ، فإنه تأتى ساعة يسمع فيها كل الذين فى القبور صوته ، فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة . أنا وحدى لا أستطيع من نفسى أن أعمل شيئًا ، وإنما حسبما أسمع أدين ، ودينونتى عادلة ، لأننى لا أبتغى مشيئتى ، بل مشيئة الآب الذى أرسلنى » .

وفى هذه العبارات العظيمة الدلالة ، العميقة المعنى ، يوضح مخلِّصنا العلاقة التى تربطه بأبيه السماوى ، باعتبار أنهما ذات إلهية واحدة ، ولهما مشيئة واحدة . فما يريده الآب يريده الابن أيضًا وما يعمله الآب يعمله الابن أيضًا . والابن باعتباره الله الظاهر فى الجسد ، لايسَعه أن يعمل من نفسه شيئًا إلا ما يرى الآب يعمله ، أى أَن عمل الابن بصفته الله المنظور ، لا يمكن إلا أن يكون مطابقًا لعمل الآب ، ومتفقًا معه ، أى أن الابن لا ينفرد بعمل شىء دون أن يكون الآب يريده ويبتغيه ، إذ أن إرادتهما واحدة . وهو يؤكد هذا المعنى كثيرًا . ومن ذلك قوله : « أنا وحدى لا أستطيع من نفسى أن أعمل شيئًا » (يوحنا ٥ : ٣٠) وقوله « إنى لا أعمل شيئًا من نفسى وحدى وإنما أتكلم بما علَّمنى أبى » (يوحنا ٨ : ٢٨) وقوله « لأننى لم أتكلَّم من نفسى وحدى » (يوحنا ١٢ : ٤٩) وقوله « إن الكلام الذى أكلِّمكم به لا أتكلم به من نفسى أنا وحدى » (يوحنا ١٤ : ١٠) . انظر أيضا (يوحنا ٩ : ٤) .

إن السلطان الذى للابن هو نفسه السلطان الذى للآب ، نظرًا للوحدة الكاملة بينهما (متى ١١ : ٢٧) ؛ (٢٨ : ١٨) ؛ (لوقا ١٠ : ٢٢) ؛ (يوحنا ٣ : ٣٥) ؛ (١٧ : ٢) ؛ (١ . كورنثوس ١٥ : ٢٧) ؛ (أفسس ١ : ١٠ و٢١) ؛ (فيلبى ٢ : ٩ و١٠) ؛ (العبرانيين ١ : ٢) ؛ (٢ : ٨) . والوحدة الكاملة بينهما تنطوى بالضرورة على المحبة الكاملة التى تربط بينهما (متى ٣ : ١٧) ؛ (١٢ : ١٨) ؛ (١٧ : ٥) ؛ (مرقس ١ : ١١) ؛ (٩ : ٧) ؛ (لوقا ٣ : ٢٢) ؛ (٩ : ٣٥) ؛ (يوحنا ٣ : ٣٥) ؛ (١٠ : ١٧) ؛ (أفسس ١ : ٦) ؛ (كولوسى ١ : ١٣) ؛ (٢ . بطرس ١ : ١٧) . كما تنطوى هذه الوحدة الكاملة بين الله الآب والله الابن على المشيئة الواحدة والإرادة الواحدة بينهما ، متطابقة مطابقة تامة ومطلقة . ويترتب على ذلك أن كل ما يعمله الآب يراه الابن وباعتباره الله المتجسد يعمل بمقتضاه لأن ارادتهما واحدة ومشيئتهما واحدة ومقاصدهما واحدة . ووساطة الابن فى مهمة الفداء التى أخذها على عاتقه ، لا تنتقص ذرة واحدة من تلك الوحدة بين الآب والابن فى الإرادة والمشيئة والمقاصد ، لأنه حين اتخذ الابن جسدًا بشريًا وحَلَّ فى الأرض بين الناس كواحد منهم ، ظل مع ذلك وفى نفس الوقت فى السماء ، وقد سبق لمخلِّصنا أن قرر ذلك فى حديثه مع نيقوديموس حين قال له « ما من أحد صعد إلى السماء إلا ذلك الذى نزل من السماء » (يوحنا ٣ : ١٣) . وهو – وإن حَلَّ فى الأرض – ظل مع ذلك وفى نفس الوقت « فى حضن الآب » ، إذ يقول الإنجيل للقديس يوحنا إن « الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه » (يوحنا ١ : ١٨) . ولذلك فإن الابن وهو كائن فى الأرض كان يعلم تمام العلم ، ويرى أوضح الرؤية ، كل ما يعمل الآب فى السماء . ولما كان الابن واحدًا مع الآب فى الجوهر وفى اتحاد كامل معه ، فإن « كل ما يعمله الآب يعمله الابن أيضًا » وهو يعمله – وإن كان متخذًا جسد

إنسان على الأرض – بنفس السلطان الذى للآب فى السماء . فإذا قام الابن بعمل فى السبت – وهو الاتهام الذى وجَّهه إليه اليهود – فإن ذلك داخل فى سلطانه بنفس الدرجة التى هو داخل بها فى سلطان الله الآب ، بل إن الابن سيعمل – على مقتضى التوافق والمساواة والاتحاد بينه وبين الآب – أعمالاً أعظم من عمل الخير فى السبت ، إذ تقتضى الحكمة الإلهية ذلك ، وأعظم من شفاء الرجل العليل عند بركة بيت حسدا وإصدار الأمر إليه بأن يحمل فراشه فى ذلك اليوم ، وستكون تلك الأعمال العظيمة مصدر عجب ودهشة لليهود ، تفوق كل عجب ودهشة استولت عليهم قبل ذلك من أى معجزة صنعها مخلِّصنا . ولعله يشير إلى سلطانه المطلق فى شفاء جميع الأمراض دون استثناء ، وإخراج الأرواح النجسة بسلطان لاهوته دون أن يتضرَّع أو يصلِّى كما يفعل الأنبياء والرسل ، وكيف ينتهر الريح والبحر ، ويزجر الحُمَّى ، ويقيم الموتى بقدرته ، دون أن يطلب شيئًا من هذا من كائن آخر خارج عن ذاته . وذلك لأنه سيقوم بما لا يمكن أن يقوم به إلا الله الآب وحده ، إذ سيقيم الموتى ويعيدهم إلى الحياة «لأنه كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم هكذا الابن يحيى من يشاء» . لقد أقام ابنة يايروس بسلطان لاهوته (مرقس ٥ : ٤١) ؛ (لوقا ٨ : ٥٤) . وأقام ابن أرملة نايين بسلطان لاهوته (لوقا ٧ : ١٤) . وأقام لعازر بسلطان لاهوته (يوحنا ١١ : ٤٣) . وقال إنه يمنح الحياة ، بل الحياة الأبدية ، لكل من يؤمن به ويحفظ كلامه ويعمل به (يوحنا ٣ : ١٥ و١٦ و٣٦) ؛ (٤ : ١٤) ؛ (٦ : ٢٧ و٤٠ و٤٧ و٥٤) ؛ (٨ : ٥١) ؛ (١١ : ٢٥) ؛ (٢٠ : ٣١) ؛ (١ . يوحنا ٥ : ١١ و١٢) . وهذا أكبر دليل على أن سيدنا وفادينا له المجد هو ابن الله ويملك نفس السلطان الذى يملكه أبوه السَّماوىّ ، فهو متحدٌ به اتحادًا كاملاً . ومساوٍ له مساواة كاملة فى جميع الصفات والكمالات الإلهية ، كما أن من دلائل ذلك السلطان الذى يملكه مخلصنا بناء على اتحاده الكامل بالله الآب

ومساواته الكاملة له ، أن أباه قد سلَّم له القضاء كله فى يوم الدينونة . فلن يكون الديَّان فى ذلك اليوم هو الآب ، وإنما سيكون هو الابن . وهذا وحده دليل كامل وكاف على ألوهية الابن الذى هو مخلِّصنا ، مادام له كل هذا السلطان على كل البشر ، إذ يملك فى ذلك اليوم الرهيب المهيب أن يفصل بين الأخيار والأشرار ، فيمنح الاخيار الحياة الأبدية ، وأما الأشرار فيقضى بهلاكهم الهلاك الأبدى (متى ٢٥ : ٣١ - ٤٦) .

أما أن المسيح هو وحده الذى سيدين الأحياء والأموات فى اليوم المعيَّن للدينونة ، فهو مانجده فى مواضع متفرقة من الكتاب المقدس : إذ يقول المسيح له المجد « ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده ، وكل الملائكة القديسين معه ، يجلس عندئذ على عرش مجده ، وتجتمع أمامه كل الشعوب ، فيفرز بعضهم من بعض كما يفرز الراعى الخراف من الجداء ، ثم يقيم الخراف عن يمينه وأما الجداء فعن يساره . حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا أيها المباركون من أبى لترثوا الملكوت .. ثم يقول أيضًا للأشرار الذين عن يساره : اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعُدة لإبليس وملائكته .. » (متى ٢٥ : ٣١ - ٤٦ - وانظر أيضًا متى ١٩ : ٢٨) . وجاء فى سفر أعمال الرسل « نحن (الرسل) الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من بين الأموات . وقد أوصانا أن نكرز للشعب ، ونشهد بأنه هو الذى عيَّنه الله ديَّانا للأحياء والأموات » (الاعمال ١٠ : ٤١ و ٤٢) .. « لأنه قد عيَّن يومًا فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجُل قد عيَّنه مقدِّمًا للجميع إيمانًا ، إذ أقامه من بين الأموات » (الأعمال ١٧ : ٣١) . وجاء فى رسالة بولس الرسول إلى أهل روما قوله « اليوم الذى يدين الله فيه سرائر الناس بحسب إنجيلى بيسوع المسيح » (روما ٢ : ١٦) ، وقوله « فإننا جميعًا سنقف أمام منبر المسيح » (روما ١٤ : ١٠) وفى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس يقول « لأننا جميعنا لا بُدّ من أن نظهر أمام منبر المسيح لينال كل واحد على حسب

ماصنع بالجسد خيرًا كان أم شرًّا » (٢ . كورنثوس ٥ : ١٠) ، وفى رسالته الثانية إلى تيموثيئوس يقول « الرب يسوع المسيح سيدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته » (٢ . تيموثيئوس ٤ : ١) .

وبسبب سلطان الدينونة هذا الذى لمخلّصنا ابن الله ، والذى ليس فوقه سلطان يتعين على الجميع أن يمجدوا الابن كما يمجدون الآب . ومن لا يمجِّد الابن ، لا يمجد الآب الذى أرسله إلى الأرض متخذًا جسد إنسان ليتمم عمل الفداء الذى دبرته الرحمة الإلهية لخلاص البشَر وإنقاذهم من حكم الهلاك الصادر عليهم بسبب خطاياهم . وإذا كان المسيح له المجد يردد دائمًا أن الآب أرسله أو أنه مُرسل من الآب (يوحنا ٤ : ٣٤) ؛ (٦ : ٣٨) فهذا الإرسال ليس من نوع إرسال الأنبياء والرسل . لأن هؤلاء إرسالهم من خارج الذات الإلهية . وأما إرسال الابن فهو إرسال من الداخل ، أى من الذات الإلهية على نحو ما ترسل الشمس أشعتها ، فهى منها وفيها ولا تنفصل عنها . ثم إنه إذ يقول إن الآب أرسله أو أنه مُرسل من الآب ، إنما يقول ذلك لكى يطمئن الناس إلى أنه ليس إلهًا آخر مستقلاً أو منفصلاً عن الآب الذى يعرفونه بأنه هو الله . وذلك قصدًا إلى توكيد الوحدانية ، وأن الله واحد : فالآب هو الله غير المنظور ، والابن هو الله وقد صار منظورًا . فهما ليسا اثنين ، وإنما إله واحد .

وقد رتَّبَ مخلِّصنا على هذه الحقيقة ، حقيقة أخرى ترتبط بها وتؤدى إليها ، إذ قال لليهود « الحق الحق أقول لكم إنّ من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى له الحياة الأبدية ، ولن يأتى إلى دينونة ، وإنما ينتقل من الموت إلى الحياة » . لأنه ما دام له سلطان الدينونة بصفته الله الدَّيان ، وبحكم اتحاده بالله اتحادًا تامّا فإن من يُطيعه ، بأن يسمع كلامه ، وينفِّذ وصاياه وأحكامه ، ويؤمن به وبالآب السَّماوىّ الذى أرسله إلى الأرض متخذًا جسد إنسان ليؤدى المهمة التى

دبرتها العناية الإلهية لخلاص البشر ينال الخلاص بالفعل ويستحق الحياة الأبدية التي هي من نصيب أولئك الذين نالوا الخلاص . ولن يحكم عليه الديّان العادل بالموت الذي هو الهلاك الأبديّ . ويتم ذلك على مرحلتين ، وفي مناسبتين ، إحداهما هي « أن ثمة ساعة تأتي ، وقد أتت الآن ، يسمع فيها الموتى صوت ابن الله ، والذين يسمعون يحيون » ، أي أن ثمة أناسًا وإن كانوا لا يزالون على قيد الحياة في أثناء وجود المسيح بينهم على الأرض – يُعَدُّون مَوتى بسبب خطاياهم (متى ٨ : ٢٢) ؛ (لوقا ٩ : ٥٩ و٦٠) ؛ (أفسس ٢ : ١ و٥) ؛ (٥ : ١٤) ؛ (كولوسي ٢ : ١٣) ، فإن آمنوا بفادينا نالوا الخلاص ، ومِنْ ثَمَّ يستحقون الحياة الأبدية بسبب ايمانهم ، وبسلطان ذلك الذي يملك الحكم بالحياة الأبدية للذين يؤمنون به ، أو بالهلاك الأبدي للذين ينكرونه ويتنكرون له ، ويسعون إلى القضاء عليه . والقيامة هنا هي القيامة من موت الخطيئة . وهي ليست عامة ، لكنها مقصورة على الذين يسمعون كلام الله ، وصوت ابن الله ودعوته وتعاليمه ويطيعون ويعملون بما سمعوا .. « هذه هي القيامة الأولى . مبارك ومقدس مَن له نصيب في القيامة الأولى . هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم » (الرؤيا ٢٠ : ٥ و٦) . لأنه كما أن الآب له الحياة في ذاته ، هكذا أعطى الابن أن تكون له الحياة في ذاته ، أي أنه كما أن الآب لا يستمد وجوده من آخَر ولا يعتمد على آخَر ، وإنما هو الموجود بذاته والحيّ بذاته ، وهو واهب الحياة بسلطانه المطلق ، فإن الابن كذلك لا يستمد وجوده من آخَر ، ولا يعتمد على آخَر . وإنما هو الموجود بذاته والحيّ بذاته . وهو باتحاده الكامل بالآب واهب الحياة بسلطانه المطلق الناتج عن هذا الاتحاد . وأما المرحلة والمناسَبة الثانية التي يتحدث عنها مخلِّصنا للحكم بالحياة الأبدية أو الموت الأبديّ فهي يوم الدينونة ، الذي سيكون فيه له المجد هو الديّان ، إذ أعطاه أبوه السماوي هذا السلطان لأنه ابن الإنسان .. وكان هو الذي نزل إلى الناس وخالطهم وعايشهم

وحثَّهم على انتهاج سبيل الخير كى يسلكوه فينالوا به الحياة الأبدية ، وحذّرهم من انتهاج سبيل الشّر كى يبتعدوا عنه وإلا استحقوا الموت الأبدى . وهو ابن الإنسان لأنه أخذ طبيعة الإنسان واتخذ صورة الإنسان وولد من مريم العذراء كإنسان (دانيال ٧ : ١٣ و ١٤) ؛ (متى ٢٤ : ٣٠) ؛ (٢٦ : ٦٤) ؛ (الرؤيا ١ : ١٣) ؛ (١٤ : ١٤) . لذلك صار هو بصفته هذه رئيس الخليقة أو رأس الخليقة (كولوسى ١ : ١٥) ؛ (الرؤيا ٣ : ١٤) .

ولا ينبغى أن يعجب اليهود من هذا الذى يقوله مخلِّصنا عن ذلك السلطان الذى يملكه ، بزعم أنه أمر غريب وعجيب لا يمكن تصوُّره أو تصديقه ، إذ أكد لهم أنه تأتى ساعة محدّدة فى نهاية الدهر يسمع فيها صوته كل الذين فى القبور ، الذين ماتوا منذ آدم حتى تلك الساعة ، فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة الأبدية التى يمنحها هو إياهم ، مكافأة لهم على ما عملوا من صالحات ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة التى يحكم بها هو عليهم بالموت الأبدى جزاء لهم على ما عملوا من سيئات . وهذا هو ما يعرف بالقيامة العامة ، أو القيامة الثانية (بالنسبة إلى القيامة الأولى وهى التوبة) أو قيامة الأجساد ، إذ القيامة الأولى هى للروح . أما القيامة الثانية فللأجساد بعد أن تدخل فيها أرواحها . ويصير الإنسان كاملاً بالروح والجسد ليقف أمام منبر المسيح أو كرسيه للقضاء . ثم هى قيامة للجميع ، أخيارًا كانوا أو أشرارًا . جاء فى سفر إشعياء « تحيا أمواتك . تقوم الجثث . استيقظوا ، ترنّموا ياسكّان التراب » (إشعياء ٢٦ : ١٩) . وجاء فى سفر دانيال « وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون ، هؤلاء إلى الحياة الأبدية ، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدى » (دانيال ١٢ : ٢) . وجاء فى سفر الأعمال « سوف تكون قيامة للأموات ، الأبرار منهم والأثمة » (الأعمال ٢٤ : ١٥) . وجاء فى سفر حزقيال وصف

لعملية القيامة للأجساد ، إذ يقول «كان صوت وإذا رعش ، فتقاربت العظام كلُّ عظمٍ إلى عظْمِه . ونظرت وإذا بالعصب واللحم كساها وبسط الجلد عليها من فوق وليس فيها روح . فقال لى تنبأ للروح .. وقُل للروح هكذا قال السيّد الرب : هَلُمَّ ياروح من الرياح الأربع وهبّ على هؤلاء القتلى ليحيوا . فتنبأت كما أمرنى فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على أقدامهم ، جيش عظيم جدًّا جدًّا » (حزقيال ٣٧ : ١ — ١٠) — وانظر أيضًا (طوبيا ٤ : ٧ و ١٠ و ١٧) ؛ (لوقا ١٤ : ١٤) ؛ (٢ . كورنثوس ١ : ٩) ؛ (١ . تسالونيكى ٤ : ١٦) .

ثم أكّد مخلِّصنا لليهود أن دينونته عادلة لا ظُلم فيها ولا مجاملة ولا محاباة ، لأنه كما أن الله الآب عادل عدلاً مطلقًا بحكم كماله المطلق ، هكذا الابن عادل عدلاً مطلقًا بحكم كما له المطلق ، لاتحاده بالآب اتحادًا تامًّا ، ولمساواته للآب فى جميع الصفات والكمالات الإلهية . فما يصدر عن الابن من حكم يكون هو فى الوقت نفسه حكم الآب . وهذا هو معنى قول مخلِّصنا « أنا وحدى لا أستطيع من نفسى أن أعمل شيئًا ، وإنما حسبما أسمع أدين . ودينونتى عادلة ، لأننى لا أبتغى مشيئتى ، بل مشيئة الآب الذى أرسلنى » . أما أن دينونته عادلة فلأنه سيدين كل واحد على حسب عمله ، إذ يقول « لأن ابن الإنسان سيأتى فى مجد أبيه مع ملائكته ، وعندئذ سيجازى كل إنسان على حسب أعماله » (متى ١٦ : ٢٧) .. « لأننا جميعنا لابدّ من أن نظهر أمام منبر المسيح لينال كل واحد على حسب ماصنع بالجسد خيرًا كان أو شرًّا » (٢ . كورنثوس ٥ : ١٠) . كما يقول مخلصنا « هأنذا آتٍ سريعًا وجزائى معى ، لأجازى كل واحد على حسب أعماله » (الرؤيا ٢٢ : ١٢) — انظر ايضًا (زكريا ٩ : ٩) ؛ (روما ٢ : ٦) ؛ (٢ . تيموثيئوس ٤ : ٨) ؛ (الرؤيا ١٥ : ٣) ؛ (١٦ : ٥) ؛ (٢٠ : ١٢ و ١٣) .

فما يعمل الابن هو فى الوقت نفسه مايعمل الآب ، ومشيئة الابن هى فى

الوقت نفسه مشيئة الآب ، لأنهما معًا إله واحد ورب واحد . وبحكم هذا الاتحاد لا يمكن أن يعمل الابن أمرًا لا يوافق عليه الآب ، أو أن تكون للابن مشيئة تختلف عن مشيئة الآب (متى ٢٦ : ٣٩ و ٤٢) . ولما كان اليهود لا يعرفون إلا الله الآب ، ولا يعترفون إلا به ، فقد أكد لهم مخلصنا هنا أنه ابن الله الآب ومساوٍ له ومتَّحد به . فإن أنكروا الابن فإنما ينكرون بذلك الآب ، وإن تنكروا للابن فإنما يتنكَّرون بذلك للآب . وإذا كان الآب قد أرسل الابن إلى الناس ليكون وسيطًا بينه وبينهم ، متخذًا لذلك جسدًا بشريًا ، فقد كان هذا تدبيرًا اتفق فيه الابن مع الآب وصدر عن مشيئتهما ، لأنها مشيئة واحدة لرب واحد .

٥ : ٣١ - ٣٧

ولما كان مخلِّصنا فى ذلك الوقت يقف أمام المحكمة العليا لليهود ، وهى مجلس السنهدريم . وإذ كانت المحاكم لا تقبل من المتهم الذى تحاكمه قولاً إلا إذا أثبته بوثيقة معتمدة ، أو بشهادة شهود تثق فى صدقهم ، فقد فعل مخلِّصنا ذلك مستشهدًا بشهود لا تجرؤ المحكمة على رفض شهادتهم . ومع أنه له المجد صادق الصدق الكامل ، وقوله هو الحق الكامل ، لأنه هو الإله الكامل ، فقد تواضع أمام أولئك الذين يتهمونه بالكذب ، ولا يصدِّقون ما يقوله عن نفسه وعن حقيقة شخصيته باعتباره ابن الله . فتنازل عن شهادته لنفسه قائلاً لهم « لو كنت أشهد لنفسى لَمَا كانت شهادتى حقًّا » . والمعنى إننى إن كنت أشهد لنفسى وحدى ، ففى هذه الحالة لا تكون شهادتى حقًّا . ولعلَّ هذا ردّ على قول الفريسيين له « إنك تشهد لنفسك . فشهادتك ليست حقًّا » (يوحنا٨ : ١٣).
والمعروف والمقرر فى الشريعة اليهودية أنه « على فم شاهدين أو ثلاثة .. لا على فم شاهد واحد يقوم الأمر » (التثنية ١٧ : ٦) ؛ (١٩ : ١٥) ؛ (العدد ٣٥ :

٣٠) ؛ (١ . المكابيين ٢ : ٣٧) ؛ (متى ١٨ : ١٦) ؛ (٢ . كورنثوس ١٣ : ١) ؛ (١ . تيموثيئوس ٥ : ١٩) ؛ (العبرانيين ١٠ : ٢٨) .

ثُمَّ استشهد مخلِّصنا بشاهد يؤمن اليهود بصدقه ، لأنهم كانوا يعدّونه نبيًّا ، وهو يوحنا المعمدان ، قائلاً « إن هناك آخَر يشهد لى ، وأنا أعلم أن شهادته التى يشهد لى بها حق . أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد بالحق . وأنا لا أقبل شهادة من إنسان . ولكننى أقول هذا لتخلصوا أنتم . ذاك كان هو السراج الموقد المنير ، وقد كنتم تريدون أن تبتهَّلُّوا بنوره ساعة » . وكان فادينا يقصد بالشاهد الآخر هنا أعماله الإلهية التى تشهد له بأَنه ابن الله ، كما كان يقصد أباه السماوى الذى شهد له ، وشهادته له هى الحق (١ . يوحنا ٥ : ٩) . وهو باعتباره ابنه ومتحد به يعلم أنها هى الحق ، فلا حاجة بعدها لشهادة إنسان ، وهو لا يقبل بعد شهادة الله أن يكون الشاهد له إنسانًا ، مهما كان هذا الإنسان صادقًا وبارًّا ، ولو كان نبيًّا تسطع قداسته كالسِّراج الموقد المنير (٢ . بطرس ١ : ١٩) . ولكن لما كان اليهود قد فرحوا بيوحنا وتهللوا بنوره ، فقد كانوا يصدّقون شهادته . « لأنهم كانوا يعدّونه نبيًّا »(متى ١٤ : ٥) ؛ (٢١ : ٢٦) ؛ (لوقا ٢٠ : ٦) ، وحتى الملك هيرودس «كان يرهب يوحنا ، إذ كان يعلم أنه رجل بار وقدّيس » (مرقس ٦ : ٢٠) . ولذلك استشهد مخلِّصنا بشهادته (يوحنا ١ : ١٥ - ٣٤) لا لأنها تعادل شهادة الله ، ولكن ليثق اليهود فى شهادته فيؤمنوا بمخلِّصنا فيكون فى إيمانهم به خلاصهم هم أنفسهم . وقد أوضح مخلِّصنا قصده من عبارته السابقة إذ قال : « أما أنا فلى شهادة أعظم من شهادة يوحنا . لأن الأعمال التى أعطانى أبى لأنجزها ، تلك الأعمال التى أنا أعملها هى نفسها التى تشهد لى بأن الآب قد أرسلنى » . فلو كان لليهود ذَرَّة من العقل ، أو بصيص من النور يضيء قلوبهم المظلمة ، ولو رفعوا غشاوة الحقد والشر التى تعمى أبصارهم وبصائرهم ، لكانوا قد آمنوا بأن مخلِّصنا هو ابن الله ، بعد أن سمعوا بآذانهم أقواله الإلهية ، ورأوا

بأعينهم معجزاته التى لا يمكن أن تصدر إلا عن الله وحده . ولاتخذوا من تلك الأقوال وتلك المعجزات برهانًا كافيًا ووافيًا وساطعًا ومقنعًا يشهد له بحقيقة شخصيته ، وبأن الله الآب قد أرسله لينجز عمل الفداء لخلاص البشر على مقتضى نبوءات كل أنبيائهم . وقد كانت أعماله ومعجزاته هى الشهادة بأنه ابن الله . فقد قال « إن الأعمال التى أعملها باسم أبى هى تشهد لى » (يوحنا ١٠ : ٢٥) . وقال أيضًا « إن لم أكن أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى » (يوحنا ١٠ : ٣٨) . كما قال « لو لم أكن قد صنعت بينهم أعمالاً لم يصنعها أحد غيرى لما كانت لهم خطيئة » (يوحنا ١٥ : ٢٤) . وقد شهد نيقوديموس عضو السنهدريم اليهودى قائلاً « يا معلِّم نحن نعلم أنك جئت من الله معلِّمًا ، لأنه مامن أحد يقدر أن يصنع هذه الآيات التى أنت تصنع مالم يكن الله معه » (يوحنا ٣ : ٢) . وقال عنه بعض اليهود « كيف يستطيع إنسان خاطىء أن يصنع مثل هذه المعجزات » (يوحنا ٩ : ١٦) . وقال عنه المولود أعمى « ماسمعنا منذ بدء الزمان أن إنسانًا فتح عينى مولود أعمى . فلو لم يكن هذا من الله مااستطاع أن يصنع شيئًا » (يوحنا ٩ : ٣٢ و ٣٣) .

بيد أن الأبلغ من ذلك والأكثر قوة وإقناعًا هو أن الله الآب نفسه شهد لمخلِّصنا بحقيقة شخصيته وبأنه هو ابنه الحبيب ، وقد كانت تلك الشهادة بصوت مسموع واضح طَرَقَ آذان اليهود فسمعوه ووعوه ، إذ جاء فى الإنجيل للقديس متى أنه بعد أن اعتمد مخلِّصنا من يوحنا المعمدان « إذا صوت يجىء من السماء قائلاً : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سُرِرتُ » (متى ٣ : ١٧) ؛ (مرقس ١ : ١١) ؛ (لوقا ٣ : ٢٢) ؛ (متى ١٧ : ٥) . كما جاء فى الإنجيل أنه بعد تَجَلِّى مخلِّصنا على الجبل كان معه من تلاميذه ، القديسون بطرس ويعقوب ويوحنا . و« إذا سحابة من نور غمرتهم ، وإذا صوت من السحابة يقول :- هذا هو ابنى الحبيب الذى به سُرِرت فله اسمعوا » (متى ١٧ : ٥) ؛ (مرقس ٩ : ٧) ؛

(لوقا ٩ : ٣٥) . ولذلك قال مخلِّصنا أمام مجلس السنهدريم إن « الآب نفسه الذى أرسلنى هو الذى شهد لى » . كما قال فى مرة أخرى : « ويشهد لى أبى الذى أرسلنى » (يوحنا ٨ : ١٨) ؛ (٦ : ٢٧) . ولكن اليهود على الرغم من أنهم قد طَرَق آذانهم صوت الله الآب وهو يقول عن مخلِّصنا إنه هو ابنه الحبيب ويأمرهم بأن يستمعوا إليه ويطيعوه بحسبانه هو الله نفسه (١ . يوحنا ٥ : ٦ و ٧ و ٩) ، لم يستخدموا موهبة السمع هذه التى أعطاهم الله إياها بسبب غلظة قلوبهم ، وإنما صَمُّوا آذانهم كى لا يسمعوا كلمة الله ، كما أغمضوا أعينهم كى لا يروا مجده . وفى ذلك يقول مخلِّصنا عنهم فى الإنجيل للقديس متى إنهم « مبصرون ولا يبصرون ، وسامعون ولا يسمعون ولا هُم يفهمون ، ففيهم قد تمَّت نبوءة أشعياء القائلة : بالسمع تسمعون ولا تفهمون ، وبالبصر تبصرون ولا ترون ، لأنَّ قلب هذا الشعب قد غُلِّظ وآذانهم قد ثقل سمعها ، وعيونهم قد أغمضوها لئلاَّ يبصروا بعيونهم أو يسمعوا بآذانهم أو يفهموا بقلوبهم ، أو يرجعوا إلَيَّ فأشفيهم » (متى ١٣ : ١٣ – ١٥) . ولذلك فإن مخلِّصنا بعد أن قرر أمام أعضاء السنهدريم أن الله الآب نفسه هو الذى شهد له ، قال لهم « وأنتم لم تسمعوا صوته قط ولا رأيتم صورته . وكِلمتُه لا مَقَرَّ لها فيكم . لأنكم لم تؤمنوا بالذى أرسله » . وذلك لأنهم كانوا بالفعل قد سمعوا صوت الله الآب وهو يشهد لمخلِّصنا بأنه هو ابنه الحبيب ، وقد سبق لآبائهم من قبل أن سمعوا صوته ورأَوْا مجده على الجبل فى صحراء سيناء ، ولو أنهم لم يروا هيئته (التثنية ٤ : ١٢) لأن اللاهوت لا يقدر إنسان أن يراه مالم يحتجب فى الناسوت (يوحنا ١ : ١٨) ؛ (١ . تيموثيئوس ١ : ١٧) ؛ (١ . يوحنا ٤ : ٢ – ١٤)، إذ جاء فى سفر الخروج : « فقال الرب لموسى ها أنَذَا آتٍ إليك فى ظلام السحاب لكى يسمع الشعب حينما أتكلم معك فيؤمنوا بك أيضًا إلى الأبد ... وحدث فى اليوم الثالث لمَّا كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل ، وصوتُ

بوق شديد جدًا . فارتعد كل الشعب الذى فى المحلة . وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله ، فوقفوا فى أسفل الجبل ، وكان جبل سيناء كله يدخِّن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار وصعد دخانه كدخان الأتون ، وارتجف كل الجبل جدًّا ، فكان صوت البوق يزداد اشتدادًا جدًّا وموسى يتكلَّم والله يجيبه بصوت ... وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخّن . ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد ، وقالوا لموسى تكلَّم أنت معنا فنسمع ، ولا يتكلَّم معنا الله لئلاَّ نموت . فقال موسى للشعب : لا تخافوا لأن الله إنما جاء لكى يمتحنكم ، ولكى تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا .. وكان منظر مجد الرب كنار آكلة على رأس الجبل أمام عيون بنى إسرائيل » (الخروج ١٩ : ٩ - ١٩) ؛ (٢٠ : ١٨ - ٢٠) ؛ (٢٤ : ١٧) .

بيد أن اليهود على الرغم من أنهم سمعوا صوت الله الآب ورأوا مجده ، نسوا ذلك كلّه أو تناسوه . وبعد أن آمنوا به أيامًا قليلة وعملوا بوصاياه ، لم يلبثوا أن تنكروا له وخانوه وخالفوه ، لأن إيمانهم به كان سطحيًّا ووقتيًّا وغير مستقر فى قلوبهم . وقد أرسل إليهم أنبياءه ليعيدوهم إلى حظيرته ويحثوهم على طاعته . وقد أجمع أولئك الأنبياء فى نبوءاتهم على أن الله سيرسل إليهم ابنه لخلاصهم (لوقا ٢٤ : ٢٥ و ٢٧) ؛ (الأعمال ٣ : ٢٤) . فلما تحقق هذا ، وجاء ابن الله إليهم رفضوه وتنكروا له وأنكروه (يوحنا ١ : ١١) ؛ (لوقا ١٩ : ١٤) ؛ (الأعمال ٣ : ٢٦) ؛ (١٣ : ٤٦) ؛ (مرقس ٧ : ٩) ؛ (لوقا ٧ : ٣٠) ؛ (يوحنا ١٥ : ٢٤) . وبذلك رفضوا الله الآب نفسه الذى أرسله ، وتنكروا له وأنكروه ، وبرهنوا على ضعف إيمانهم به وعدم استقرار كلمته فى مشاعرهم أو ضمائرهم أو عقولهم أو قلوبهم . ومن ثم قال مخلِّصنا لهم : « ابحثوا فى الأسفار المقدسة ، لأنكم تعتقدون أن لكم فيها حياة أبدية ، وتلك هى التى تشهد لى . ولكنكم لا تريدون أن تأتوا إلىَّ لتكون لكم حياة . مجدًا من الناس لا أقبل ،

ولكننى عرَّفتكم أن محبة الله ليست فيكم . لقد جئت باسم أبى ولكنكم لا تقبلوننى . ولو أن غيرى جاء باسم نفسه لقبلتموه . كيف يمكنكم أن تؤمنوا وأنتم تقبلون المجد بعضكم من بعض . وأما المجد الذى من الله الواحد وحده فلا تبتغونه . لا تظنوا أنى أشكوكم إلى الآب . فإن هناك من يشكوكم وهو موسى الذى جعلتم فيه رجاءكم ، فإنكم لو كنتم تؤمنون بموسى لكنتم تؤمنون بى أيضًا ، لأنه كَتَبَ عنى . فإن كنتم لا تؤمنون بما كتبه ، فكيف تؤمنون بكلامى ؟ » .

وفى هذه العبارات يلوم فادينا اليهود على أنهم لا يعلمون شيئًا عما فى أسفارهم المقدسة ، وهى أسفار العهد القديم ، أو أنهم يعلمون ما فيها بصورة سطحية لا تؤهلهم لفهمها فهمًا صحيحًا . ولذلك طلب إليهم أن يبحثوا فى هذه الأسفار بحثًا عميقًا . لا لمجرد تلاوتها تلاوة حرفية دون فهم كما كانوا يفعلون ، وإنما لدراستها دراسة دقيقة وعميقة تؤدى بهم إلى الغوص فى روحها وإدراك معانيها الجليلة الأصيلة على حقيقتها. وبهذا المعنى جاء فى سفر اشعياء إذ يقول «إلى الشريعة وإلى الشهادة . إن لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر» (إشعياء ٨ : ٢٠) . ويقول : «فتشوا فى سِفْر الربّ ، واقرءوا واحدة من هذه لا تُفْقد . لا يغادر شىء صاحبه لأن فمه هو قد أَمَر . وروحه هو جَمَعَها » (إشعياء ٣٤ : ١٦) . وقال السيد المسيح له المجد بلسان إبراهيم الخليل : « إن لديهم موسى والأنبياء فليستمعوا إليهم » (لوقا ١٦ : ٢٩) . وقال له المجد لليهود : « فإنكم لو كنتم تؤمنون بموسى ، لكنتم تؤمنون بى أيضًا ، لأنه كَتَبَ عنِّى » (يوحنا ٥ : ٤٦) . وجاء فى سفر أعمال الرسل عن اليهود فى مدينة بيريَّه : « وكان هؤلاء أشرف من الذين فى تسالونيكى ، فَقَبلوا الكلمة بكل حرص ، وكانوا كل يوم يفحصون الكتب هل كانت تلك الأمور هكذا ، فآمن كثيرون منهم ومن كرام النساء اليونانيات ومن الرجال عدد ليس بقليل » (الأعمال ١٧ : ١١ و ١٢) .

وإذ كان اليهود على الرغم من فهمهم لشريعتهم ذلك الفهم السطحى غير العميق ولا الدقيق يعتقدون أن مجرد تلاوتها تمنحهم الحياة الأبدية ، فقد استشهد بها مخلِّصنا على حقيقة شخصيته وصدق رسالته قائلا إنها « هى التى تشهد لى » (لوقا ٢٤ : ٢٥و٢٧و٤٤) ، (يوحنا ١ : ٤٥) ؛ (الأعمال ٢٤ : ١٤) ؛ (٢٦ : ٢٢) ؛ (٢٨ : ٢٣) ؛ (روما ٣ : ٢١) . ولو أنهم فهموا هذه الشريعة على وجهها الصحيح لعلموا أنها تشتمل من أولها إلى آخرها على التنبؤ بمجيء المسيح ابن الله (التكوين ٢٢ : ١٨) ؛ (٢٦ : ٤) ؛ (٤٩ : ١٠) ؛ (إرميا ٢٣ : ٥) ؛ (ملاخى ٣ : ١) ؛ (٤ : ٢) وتحدد موعد مجيئه تحديدًا دقيقًا (دانيال ٩ : ٢٤) ، وتصف كيفية ميلاده من عذراء (إشعياء ٧ : ١٤) ، كما تصف شخصيته وصورته وطباعه وتصرفاته (إشعياء ٩ : ٦) ، (إرميا ٣٣ : ١٤ و ١٥) ؛ (حزقيال ٣٤ : ٢٣) ؛ (٣٧ : ٢٥) ؛ (ميخا ٧ : ٢٠) . وتذكر بتفصيل مسهب تعاليمه وماسيصدر عنه من أقوال وماسيصنع من معجزات ، وما سيفعله هو مع اليهود وماسيفعله اليهود معه ، وكيف أنهم على الرغم مما سيصنع لهم من خير سيضطهدونه ويطاردونه ثم فى نهاية الأمر سيصلبونه فيموت على الصليب (التكوين ٣ : ١٥) ؛ (العدد ٢١ : ٩) ؛ (المزمور ٢١ : ١ – ٢١) ؛ (إشعياء ٥٠ : ٦) ؛ (٥٣ : ١ – ١٢) . ثم تقرر تلك النبوءات أنه سيمكث فى القبر ثلاثة أيام ، ثم يقوم من بين الأموات (المزمور ١٥ : ٩ و ١٠) ، ويصعد إلى السماء (المزمور ٦٨ : ١٨) . فلو عرف اليهود الذين يحاكمونه الآن كل هذا الذى ورد عنه فى أسفارهم المقدَّسة ذاتها ، لمَا ولاموه لا حاكموه ، بل لكانوا قد آمنوا به ومجَّدوه وقدَّموا له الإكرام اللائق به على أنه إلههم وابن إلههم . ولكنهم لغبائهم وكبريائهم وشرِّهم ومكرهم وعمى بصائرهم وسواد قلوبهم لا يريدون أن يفعلوا ذلك ، حتى بناء على شهادة أسفارهم المقدسة التى شهدت له ، ولا يريدون أن يأتوا إليه معترفين

بحقيقة شخصيته لينالوا الحياة الأبدية (يوحنا ٣ : ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨) التى جاء من السماء ليمنحها لهم بتقديمه ذاته فداء عنهم . فهو إنما يفعل ذلك لمصلحتهم هم ، لأنهم هم المحتاجون إليه وليس هو المحتاج إليهم ، أو إلى مايقدمونه إليه من تمجيد . إذ قال له المجد « أنا لا أقبل شهادة من إنسان .. مجدًا من الناس لا أقبل » (يوحنا ٥ : ٣٤ و ٤١) . وذلك لأنه بصفته الإلهية ممجد على أى حال سواء مجَّده الناس أم لم يمجدوه (١ . تسالونيكى ٢ : ٦) . وهو لا يطلب لنفسه مجدًا دنيويًا كملك أو قائد أو زعيم أو صاحب أى منصب من تلك المناصب العليا التى يسعى الناس إليها ، لأن مملكته ليست من هذا العالم (يوحنا ١٨ : ٣٦) ؛ (دانيال ٢ : ٤٤) ؛ (٧ : ١٤) ؛ (لوقا ١٢ : ١٤) ؛ (يوحنا ٦ : ١٥) . ولأن له رسالة أخرى ما جاء إلى العالم إلا لينجزها . هى رسالة الفداء لخلاص البشر (متى ١ : ٢١) . وقد أوضح لليهود أنهم لا يريدون أن يؤموا به ويأتوا إليه لينالوا الحياة الأبدية ، لا لسبب يرجع إليه هو ، وإنما لسبب يرجع اليهم هُمْ كما عَرَفَهم ، وهى أن محبة الله ليست فيهم ، على الرغم من تظاهرهم بأنهم يحبونه حبًا عظيمًا ، « لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله » (يوحنا ١٢ : ٤٣) . إذ أنهم لوكانوا يحبون الله لأحبُّوه هو ، لأنه بشهادة أسفارهم المقدسة ذاتها ابن الله . وقد جاء باسم أبيه السماوى ، وقدَّم نفسه إليهم بهذه الصفة . ولكنهم لم يقبلوه . وفى ذلك قال له المجد « وهذه هى الدينونة أن النور جاء إلى العالم ، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة ، فإن كل من يفعل الشرَّ يبغض النور ، ولا يُقبل إلى النور ، لئلاَّ تفتضح أعماله الشريرة وتتوبَّخ » (يوحنا ٣ : ١٩ و ٢٠) . وذلك فى حين أنهم لو أن أحدًا من المسحاء الكذبة والأنبياء الكذبة جاءهم ، لاباسم الآب السماوى ، وإنما باسم نفسه وضدّ إرادة الآب السماوى لقبلوه . لأن المسحاء الكذبة والأنبياء الكذبة يستغلّون نواحى

الضعف فى الناس ، ولاسيّما قليلى الإيمان منهم بالله ، فيظهرون أمامهم بمظهر العظمة العالميَّة ، والمجد الدنيوى ، متخذين سيماء الملوك والقادة والزعماء ، واعدين إياهم بأن يمنحوهم إذا تبعوهم بعض ما لهم من مجد أضفوه على أنفسهم . والناس ضعفاء النفوس ، يغريهم المجد الدنيوى بمختلف مظاهره ، فيسعون إليه ويتكالبون عليه ، ويتذلّلون للقادرين على منحهم إياه تَذَلُّلَ العبيد لسادتهم . وهذا ما كان يفعله اليهود ، لأنهم كانوا يريدون مسيحًا يأتيهم كملك جبّار وقائد مغوار ، يقودهم بجيوشه الجرّارة ليفتحوا العالم كله ويسيطروا عليه ويستبدوا به ويستعبدوه ، ويستأثروا بخيراته ،ويستكثروا لأنفسهم من ثرواته ، فيُرضى بذلك غرورهم ، ويُشبِع نَهَمهم إلى المال والجاه والشهوات والملذات . فلما جاءهم المسيح الحقيق فقيرًا بسيطًا متواضعًا زاهدًا فى كل أمجاد الدنيا وأطماعها ، لا يملك فيها شيئًا ، ويقول لهم إن مملكته ليست من هذا العالم ، ولايعدُهم بأى مكسب من مكاسب الدنيا أو أموالها أو خيراتها ، بل يحثّهم على أن يزهدوا فى ذلك كله ، وأن يتطلعوا إلى غاية واحدة هى ملكوت السماوات ، رفضوه واحتقروه واضطهدوه وطاردوه . وعلى الرغم من أنه اثبت لهم فى كل ماقال وكل مافعل أنه هو المسيح ابن الله الذى ينتظرونه ، أنكروا عليه ذلك واستنكروه واستهانوا به وأهانوه ، ومِنْ ثَمَّ وبَّخهم مخَلِّصنا قائلاً : « لقد جئت باسم أبى ، ولكنكم لا تقبلوننى . ولو أن غيرى جاء باسم نفسه لقبلتموه . كيف يمكنكم أن تؤمنوا وأنتم تقبلون المجد بعضكم من بعض ، وأما المجد الذى من الله الواحد وحده فلا تبتغونه ؟ » ثم كشف لهم مخلِّصنا عن سبب آخر لعدم إيمانهم ، وهو أنهم يعدّون موسى النبى شفيعهم لدى الله ويجعلون فيه رجاءهم ، ويتظاهرون بتعظيمه أعظم التعظيم ، وبطاعة شريعته أعمق الطاعة . ولكنهم مع ذلك خالفوا فى تصرفاتهم وأسلوب حياتهم كل وصاياه التى تلقاها من الله ، حتى لم يعودوا فى الواقع يؤمنون به أو بشريعته ، ما داموا لا يطيعونه ولا يطيعون

شريعته . ومن ثم أصبح موسى ولا ريب غاضبًا منهم ساخطًا عليهم ، يشكوهم إلى الله وهو فى العالم الآخر ، كما كان يشكوهم إلى الله وهو فى هذا العالم حين كانوا يتمردون عليه فى صحراء سيناء . وقد كان هذا سببًا آخر لعدم إيمان اليهود بمخلِّصنا لأنهم لو كانوا لا يزالون يؤمنون بموسى لكانوا يؤمنون بمخلِّصنا أيضًا ، لأن موسى كتب عنه . متنبئًا بمجيئه (التكوين ١٢ : ٣) ؛ (١٨ : ١٨) ، إذ يقول فى سفر التثنية : « يقيم لك الرب إلهك نبيًّا من وسطك ، من إخوتك مثلى ، له تسمعون : حسب كل ماطلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلاً لا أعود أسمع صوت الرب إلهى . ولا أرى هذه النار العظيمة أيضًا لئلا أموت . قال لى الرب : قد أحسنوا فيما تكلموا . أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه فيكلِّمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلَّم به باسمى أنا أطالبه » (التثنية ١٨ : ١٥ – ١٩) . ولذلك قال مخلِّصنا لليهود : « لا تظنوا أننى أشكوكم إلى الآب ، فإن هناك من يشكوكم وهو موسى الذى جعلتم فيه رجاءكم . فإنكم لو كنتم تؤمنون بموسى ، لكنتم تؤمنون بى أيضًا لأنه كتب عنى . فإن كنتم لا تؤمنون بما كتبه ، فكيف تؤمنون بكلامى ؟ » .

الفصل السادس

٦ : ١ - ١٣

وفى وقت لاحق لتلك المعجزة التى صنعها مخلِّصنا للرجل العليل عند بركة بيت حسدا عند باب الضأن فى أورشليم ، وماترتب عليها من محاكمة له لأنه صنع تلك المعجزة فى يوم سبت ، وقال عن نفسه إنه ابن الله ، مضى إلى الضفة الأخرى من بحر الجليل ، الذى هو فى الواقع بحيرة كانت تُدعى بحيرة طبريَّة ، كما كانت تسمى بحيرة جنيسارت . وقد تبعه جمع عظيم ممن آمنوا به لأنهم كانوا قد رأوا معجزاته التى صنعها للمرضى . فصعد مخلِّصنا إلى الجبل حيث يتسع المكان لذلك الجمع العظيم كى يلقى عليهم عظاته ويزوّدهم بتعاليمه . وجلس هناك مع تلاميذه الذين كانوا ملازمين له فى كل مكان يذهب اليه . وكان عيد الفصح الذى هو أعظم أعياد اليهود قد اقترب موعده (اللاويين ٢٣ : ٥ و٧) ؛ (التثنية ١٦ : ١) ؛ (يوحنا ٢ : ١٣) ؛ (٥ : ١١) . فرفع مخلصنا عينيه ورأى جمعًا عظيمًا مقبلاً إليه . ومن ثَم فإنه « أشفق عليهم إذ كانوا كغنم بغير راع ، فطفق يعلِّمهم فى أمور كثيرة حتى إذا انقضى جزء كبير من النهار ، تقدم إليه تلاميذه قائلين : إن المكان قفر وقد تأخر الوقت ، فاصرفهم ليذهبوا إلى الضياع والقرى القريبة ويشتروا لأنفسهم ما يأكلون » (مرقس ٦ : ٣٤ و ٣٥) . فالتفت مخلِّصنا إلى تلميذه فيلبس وسأله قائلاً : « من أين نشترى خبزًا ليأكل هؤلاء ؟ » وإنما قال له هذا ليمتحن مدى إيمانه به وبقدرته الإلهية التى رأى أمثلة كثيرة لها من قبل ،

ولا سيما أنه كان من أقدم تلاميذه ، وقد حضر معجزاته كلها منذ أن صنع أول معجزة له وهي تحويل الماء إلى خمر فى عرس « قانا الجليل » (يوحنا٢ : ١ - ١١) . وقد كان فادينا يعلم ما كان هو نفسه مزمعًا أن يفعله لإطعام ذلك الجمع العظيم الذى كان مقبلاً إليه . بيد أن فيلبس أخفق فى هذا الامتحان ، إذ غابت عن ذهنه تلك القدرة الإلهية التى لمخلِّصنا والتى يستطيع بها أن يفعل كل شيء ، وظن أنه محتاج فعلاً لأن يشترى طعامًا لكل هذا الجمع ، فأجابه قائلاً « إنَّ خبزًا بمائتى دينار لا يكفى لينال كل واحد منهم قدرًا ضئيلاً » . وبذلك وقع فيما وقع فيه موسى النبى من قبل عندما بكى بنو إسرائيل فى البرِّية « واشتهوا أن يأكلوا لحمًا وقالوا : من يطعمنا لحمًا . قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجانًا والقثّاء والبطيخ والكرّات والبصل والثوم .. فلما رفع موسى الأمر إلى الرب ، وعد الرب موسى والشعب وقال : تقدَّسوا للغد ، فتأكلوا لحمًا .. تأكلون لا يومًا واحدًا ولا يومين ولا خمسة أيام ولا عشرة أيام ولا عشرين يومًا ، بل شهرًا من الزمان حتى يخرج من مناخركم .. فقال موسى للرب : ستمائة ألف ماشٍ هو الشعب الذى أنا فى وسطه . وأنت قد قلت أعطيهم لحمًا ليأكلوا شهرًا من الزمن . أيُذبح لهم غنم وبقر ليكفيهم ، أم يُجمع لهم كل سمك البحر ليكفيهم . فقال الرب لموسى : هل تقصر يد الرب ؟. الآن ترى أيوافيك كلامى أم لا » (العدد ١١ : ١ - ٢٣) - انظر ايضًا (٢ . الملوك ٤ : ٤٣ و ٤٤) ؛ (متى ١٥ : ٣٣) ؛ (مرقس ٨ : ٤) كما أخفق فى هذا الامتحان الذى أخفق فيه فيلبس تلميذ آخر من أقدم تلاميذ مخلِّصنا ، كان هو أيضًا قد رأى من قبل كل معجزاته ، وهو أندراوس أخو سمعان بطرس ، ففكر بنفس الطريقة التى فكر بها فيلبس . وقال « إن هنا غلامًا معه خمس خبزات من الشعير وسمكتان . ولكن ماعسى أن تكون هذه بالنسبة لكل هذا الجمع ؟ » . أى أنه أبدى اليأس من حل هذه المشكلة . أو من حلّ هذه التى بدت له أنها مشكلة . وعندئذ شرع

معلّمنا يفعل ما كان مزمعًا أن يفعل . فقال لتلاميذه « اجعلوا الناس يجلسون » . وكان ثمة عشب كثير فى المكان فجلسوا عليه ، وكان عددهم نحو خمسة آلاف . ومِنْ ثمَّ أخذ مخلِّصنا الخبزات التى كانت مع ذلك الغلام الذى أشار إليه أندراوس ، وشكر وباركها ، ثم قسَّمها على الجالسين . وكذلك السمكتين ، بقدر مارغب كلٌّ منهم . وقد تكاثر الخبز والسمك بطريقة معجزية ، فأكل منه أولئك الخمسة الآلاف حتى شبعوا جميعًا . بل لقد لقد فاض منه قدر كبير . فقال مخلِّصنا لتلاميذه « اجمعوا مافضل مِنَ الِكسَرِ لئلاَّ يضيع شىء منها » ، فجمعوها وملأوا اثنتى عشرة قفة من الكِسَر التى فضلت عن الآكلين من خمسة أرغفة الشعير .

وقد كانت هذه المعجزة من أعظم معجزات ربنا يسوع المسيح له المجد ، لأنها تدلّ على أنه هو الإله الخالق . إذ كانت عملية إيجاد طعام مادىّ من لاشىء هى عملية خلقٍ بكل معنى الكلمة ، فإن الخبز والسمك الذى أكلته الجموع لم يكن شيئًا وهميًّا . وإنما هما خبز حقيقىّ ، وسمك حقيقىّ ، بدليل أنه فضلت منه كمية كبيرة . فأمر مخلِّصنا تلاميذه بأن يجمعوها « لئلا يضيع شىء منها » ، ففعلوا ذلك فملأت اثنتى عشرة قُفَّة . فكان ذلك تحقيقًا للرمز الذى يتمثل فى الأمر الذى أصدره الله إلى موسى النبى بأن يحتفظ بكمية من المنّ الذى كان يرسله الله إلى اليهود حين احتاجوا إلى الطعام وهم فى صحراء سيناء ، فكان خبزًا نازلاً من السماء ، إذ جاء فى سِفْر الُخروج أن اليهود تذمّروا على موسى حين جاعوا « فقال الرب لموسى هأنذا أمطر لكم خبزًا من السماء .. فقال لهم موسى هو الخبز الذى أعطاكم الرب لتأكلوا .. وقال لهم موسى : هذا هو الشىء الذى أمر به الرب : ملء العُمر منه يكون للحفظ فى أجيالكم ، لكى يروا الخبز الذى أطعمتكم به فى البرّية حين أخرجتكم من أرض مصر . وقال موسى لهارون خذ قسطًا واحدًا واجعل فيه مِلْءَ العُمر منًّا وضعه أمام الربِّ للحفظ فى أجيالكم . كما أَمَر موسى

وضعَه هارونُ أمام الشهادة للحفظ » (الخروج ١٦ : ٤ و١٥ و٣٢ و٣٣ و٣٤) . وجاء في سفر المزامير أن الله « أمطر عليهم منًّا للأكل .. أكَل الإنسان خبز الملائكة . أرسل عليهم زادًا للشبع » (المزمور ٧٨ : ٢٤ و٢٥) . وفعلاً ظَلَّ ذلك القسط الذى يحتوى على المنّ محفوظًا فى تابوت العهد الذى كان يحتوى على أقدس تراث لليهود ، ولذلك وضعوه فى قدس الأقداس ، كما ذكر ذلك بولس الرسول إذ يقول : « قُدْس الأقداس فيه مبخرة من ذهب وتابوت العهد مصفَّحا من كُلِّ جهة بالذهب الذى فيه قسط من ذهب فيه المَنُّ وعصا هارون التى أفرخت ولوحا العهد » (العبرانيين ٩ : ٣و٤) .

فلئن كابَرَ المكابرون وأنكر المنكرون لمعجزات فادينا ، ولا سيَّما فى شفائه للمرضى ، زاعمين أن الشفاء كان يرجع إلى تأثير نفسى أدى إلى ذلك الشفاء . فكيف يفسِّرون خلق المسيح لذلك الطعام المادّى الذى أكله خمسة آلاف شخص . وبقيت منه بقيَّة كانت هى البرهان الساطع والقاطع الذى لا يقبل مكابرة ولا إنكارًا . على أنه كان طعامًا حقيقيًّا وليس شيئًا نفسيًّا أو وهميًّا ، كما كانت هى البرهان الساطع الذى لا يقبل كذلك مكابرة ولا إنكارًا على أن سيدنا له المجد هو الله الخالق ، وهو وحده القادر على أن يقول للشىء كُنْ فيكون .

وتظهر عظمة المعجزة وقيمتها فى كثرة الجماهير التى قُدِّرت أعدادها بخمسة آلاف رجل (متى ١٤ : ٢١) ؛ (مرقس ٦ : ٤٤) فيما عدا النساء اللائى لم يكن من السهل أن يندسَّ الرجال بينهم ليحصوا عددهن ، وكذلك الأطفال . وقد أكلوا من الخبز والسمك « بقدر ما رغب كل منهم » . أى أن المسيح لم يبخل عليهم بشىء بحجة كثرة عدد الآكلين وقلة الخبز والسمك . ثم إنهم أكلوا حتى شبعوا . علمًا بأنهم على مايروى الإنجيل للقديس مرقس « أسرعوا سيرًا على الأقدام من كل المدن » (مرقس ٦ : ٣٣) ، وأنهم ظلوا طوال النهار بغير طعام

يستمعون إلى الرب يسوع ، أى أنهم كانوا جائعين جدًا . فلابدَّ أنهم أكلوا كثيرًا ليشبعوا . ثم إنهم لم يشبعوا فقط بعد هذا الجوع لساعات طويلة من المشى على الأقدام والاستماع إلى مواعظ رب المجد . وإنما تبقى من الكِسَر ماملأ إلى الحافَّة اثنتى عشرة قفة . وهنا أمر مثير ومُبهر ، إذ كيف يكون الأصل الذى جاءوا به إلى مخلِّصنا خمسة أرغفة وسمكتين ، مما لا يشغل إلاّ جزءًا من قُفَّة ، يتبقَّى منه بعد أن تأكل الأُلوف الجائعة « بقدر مارغب كُلٌّ منهم » ، اثنتا عشرة قفة مملوءة ، أى أنَّ ماتبقى يزيد على الأصل خمسين ضعفًا على الأقل ؟ . كيف يمكن للعقل أن يفسِّر هذا الأمر تفسيرًا طبيعيًا منطقيًا إلا بأن المسيح أثبت بهذه المعجزة قدرته على الخلق ، وسلطانه المطلق على المادة . فهو سيدها ، ومنها يصنع ما يشاء ومايريد ، وهو يسخِّرها لمقاصده العالية ولخير خليقته .. « إنه يفعل مايشاء » (دانيال ٤ : ٣٥) و « يستطيع كل شىء . ولا يَعْسُر عليه أمر » (أيوب ٤٢ : ١) .

<u>٦ : ١٤ و١٥</u>

فلما رأى الناس الآيات التى صنعها مخلِّصنا ، ولاسيَّما معجزته التى رأوها بأعينهم فى ذلك اليوم ، وهى أنه خلق لهم من العَدَم طعامًا كان من الوفرة بحيث أشبعهم جميعًا وهم خمسة آلاف نفس ، فيما عدا النساء والأطفال ، قالوا : « هذا بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم » ، أى أنه هو النبى الذى أشار الله إليه حين كان اليهود فى صحراء سيناء ، إذ قال لموسى « أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلَّم به باسمى أنا أطالبه » (التثنية ١٨ : ١٨ و١٩) . وإذ كان اليهود يعلمون أن هذا النبى هو نفسه المسيح ابن الله ،

والنبوءة إحدى وظائفه الناسوتية ، فهو من حيث إنسانيته ملك وكاهن ونبى (متى ٢١ : ١١) ؛ (لوقا ٧ : ١٦) ؛ (٢٤ : ١٩) ؛ (يوحنا ١ : ٢١) ؛ (٤ : ١٩) ؛ (٧ : ٤٠) . ومن ثم فقد كان ذلك الذى قالوه عن هذا الذى أطعمهم بمعجزة إلهية ، ينطوى على إيمان منهم بأنه هو المسيح الذى ينتظرونه ، وإذ كانوا يعتقدون أن المسيح حين يأتى سيكون ملكًا لليهود يجلس على عرش مملكتهم ليعيد إليهم مجد مملكة داود التى كانوا يفخرون بها ويتطلعون إلى استعادتها (لوقا ١ : ٣٢و٣٣) ؛ (الأعمال ١ : ٦) ؛ (يوحنا ١ : ٤٩) ، اعتزموا أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكًا . وقد كان هذا فهمًا خاطئًا منهم للرسالة الحقيقية للمسيح ، لأنه جاء لا ليكون ملكًا أرضيًّا ، وإنما هو الملك السماوى . ومملكته ليست من هذا العالم (يوحنا ١٨ : ٣٦و٣٧) . ولذلك فإن مخلِّصنا إذ رأى عندئذ أنهم اعتزموا أن يفعلوا ذلك انصرف إلى الجبل وحده ، ليحول دون ذلك الذى يريد عامَّة اليهود أن يفعلوه ، لأنه وإن كان فى ظنهم تكريمًا وتعظيمًا له ، وتحقيقًا لأمل يراودهم فى التخلُّص من ربقة الرومان الذين كانوا يستعبدونهم ، فإنه فى الحقيقة يدلّ على خطأ منهم فى فهم رسالته وفى معرفة حقيقة شخصيته التى هى أعظم بما لا يقاس من شخصية أى ملك من ملوك الأرض ، لأنه ملك الملوك ورب الأرباب (١ . تيموثيئوس ٦ : ١٥) ؛ (الرؤيا ١٧ : ١٤) ؛ (١٩ : ١٦) . كما أن حركتهم تلك تنطوى على تمرُّد على الرومان ، مما يجعلها حركة سياسية ، لا كما يريدها هو أن تكون بعثًا روحيًّا . وهو لم يأت ليكون زعيمًا سياسيًّا يتزعّم ثورة ضد الرومان أو غير الرومان (لوقا ١٢ : ١٤) . وإنما ليكون فاديًا للبشر جميعًا ، يخلِّصهم بفدائه لهم من الحكم بالهلاك الذى أصدرته العدالة الإلهية عليهم بسبب شرورهم وآثامهم . وإذ كان يخشى له المجد أن يشترك تلاميذه أنفسهم فى تلك الحركة التى تهدف إلى تنصيبه ملكًا أرضيًّا ، مدفوعين إلى ذلك بطموحهم لأن تكون لهم المناصب العليا فى مملكته تلك (مرقس ١٠ :

٣٥ - ٣٧) ، انصرف إلى الجبل وحده (مرقس ٦ : ٤٧) ؛ (متى ١٤ : ٢٣) ، متعمدًا ألا يأخذهم معه كعادته فى اصطحابه لهم إلى كل مكان يذهب إليه .

٦ : ١٦ - ٢١

حتى إذا كان المساء نزل تلاميذ مخلّصنا إلى البحر ، وركبوا سفينة وعبروا بحر الجليل متجهين إلى كفر ناحوم ، إذ كان الظلام قد خيّم ولم يكن مخلّصنا قد جاء بعد من الجبل إليهم . تفاديًا لرغبتهم التى شاركوا فيها الجموع فى أن ينادوا به ملكًا . وكان بحر الجليل هائجًا ، إذ هبت عليه ريح شديدة ، لأن هذا البحر محاط بتلال وجبال يبلغ ارتفاع بعضها أكثر من ألف قدم ، فى حين أن سطحه منخفض جدًا ، يقلّ ارتفاع سطحه عن سطح البحر الأبيض المتوسط نحو سبعمائة قدم . ولذلك فإنه كثيرًا ماتهبّ عليه رياح عاصفة تثير فيه زوابع عاتية عنيفة . فلما كان التلاميذ قد جذّفوا وأوغلوا نحو خمس وعشرين أو ثلاثين غلوة ، أى ما يعادل نحو ثلاثة أو خمسة أميال ، أبصروا مخلّصنا ماشيًا على البحر ، ومقبلاً نحو السفينة . فخافوا معتقدين أنه شبح أو خيال أو روح متجسّدة ، فصرخوا من الخوف (متى ١٤ : ٢٦) ؛ (مرقس ٦ : ٤٨) واضطربوا كلهم (مرقس ٦ : ٤٩) . فقال لهم مخلّصنا « اطمئنوا أنا هو . لا تخافوا » (متى ١٤ : ٢٧) ؛ (مرقس ٦ : ٥٠) . فاطمأنوا ، ورغبوا فى أن يأخذوه معهم فى السفينة . فاتجه نحوهم وركب السفينة ، فسكنت الريح (مرقس ٦ : ٥١) ؛ (متى ١٤ : ٣٢) فذهلوا ذهولاً عظيمًا . وقد استولت الدهشة عليهم (مرقس ٦ : ٥١) ، إذ رأوه يمشى على الماء ، وكأنه يمشى على الأرض الصلبة ، على الرغم من أنهم رأوا من قبل كثيرًا من معجزاته التى تدلّ على قدرته الإلهية . وبالفعل كانت تلك معجزة خارقة للطبيعة ، تدل على أن مخلّصنا بوصفه ابن الله ، وبوصفه الله ذاته

متجسِّدًا . كانت له السيطرة الكاملة على الطبيعة كلها . فهو سيِّد الطبيعة ، ويمكنه أن يُسَخِّر قوانينها كما يشاء بصورة يعجز عنها كل بَشَر . لأنه هو خالقها ، وهو الذى يتصرَّف حسب مشيئته فى كلِّ عنصر من عناصرها . مهما بدا ذلك للعقل البشرى القاصر المحدود غريبًا أو عجيبًا أو غير ممكن أو مستحيلاً . لأن هذا العقل عاجز عن إدراك طبيعة الله أو مَدَى قدرته التى لا تحدها حدود . أو تقيِّدها قيود أو يمنعها مانع أو يحول دونها حائل . وقد كان من أثر هذه القدرة الإلهية التى لمخلِّصنا على توجيه نواميس الطبيعة أنه ماإن ركب السفينة مع تلاميذه حتى هدأت الريح وسكنت العاصفة . فجاء الذين كانوا فى السفينة وسجدوا له قائلين : حقًّا أنت ابن الله (متى ١٤ : ٣٣) . ثم لم تلبث السفينة أن بلغت شاطىء الأرض التى كانوا يقصدونها . ولقد برهن الرب يسوع المسيح بهذه المعجزة - إذ مشى على الماء - على سلطانه على الماء ، أى على المادة فى صورتها السائلة ، كما برهن بمعجزة إشباع الجماهير الكثيرة من خمسة أرغفة وسمكتين على سلطانه على المادّة فى صورتها الجامدة . كما برهن بسلطانه على الريح على سلطانه على المادة فى صورتها الغازية . فهو الذى كان ينتهر الرياح والأمواج ويقول للبحر اصمت ، اسكت . فتسكن الرياح والأمواج ويسود هدوء عظيم (مرقس ٤ : ٣٩) . فكان الناس يتعجبون ويقولون « أى انسان هذا الذى حتى الرياح والبحر تطيعه ؟ » (متى ٨ : ٢٧) ؛ (لوقا ٨ : ٢٥) . حقًّا إنه سيد الطبيعة بغير منازع . ولذلك استولت الدهشة على التلاميذ وعلى جميع الذين كانوا معهم فى السفينة فجاءوا وسجدوا له سجود العبادة قائلين : حقًّا أنت ابن الله . وقد كان هذا الاعتراف الجماعى من جانب التلاميذ سابقًا على اعتراف بطرس الرسول عندما سأل السَّيد المسيحُ له المجد تلاميذه فيما بعد فى قيصرية فيلبس : « وأنتم من تقولون إنى هو ؟ . فأجاب سمعانُ بطرسُ وقال : أنت هو المسيح الله ابن الله الحىّ » (متى ١٦ : ١٥و١٦) ؛ (لوقا ٩ : ٢٠) ؛ (مرقس ٨ : ٢٩) .

وهذا برهان على أن سمعان بطرس لم يكن منفردًا بهذا الاعتراف ، بل بالأحرى كان معبرًا عن إيمان جميع التلاميذ . علمًا بأن برثولماوس أحد الاثنى عشر سبق كُلَّ أولئك ، لأنه منذ الابتداء قال له فى انبهار ويقين « يامعلِّم أنت ابن الله . أنت ملك إسرائيل » (يوحنا ١ : ٤٩) .

٦ : ٢٢ - ٢٧

وفى اليوم التالى راح الجمع يبحثون عن مخلِّصنا ، إذ صنع لهم وأمامهم واحدة من أعظم معجزاته ، وهى أنه أطعمهم وكانوا خمسة آلاف نفس بخمس خبزات من الشعير وسمكتين صغيرتين ، أى خَلَق لهم طعامًا أشبعهم جميعًا وفاض منه قدر كبير . وكانوا لم يروه مع تلاميذه حين ركبوا السفينة التى أقلعت بهم فى بحر الجليل . وذلك الجمع يرقبهم على الضفَّة الأخرى من البحر . ولم يروا سفينة غيرها جاءت بعدها ليركبها مخلِّصنا بعد رحيل تلاميذه . بيد أنَّ سفنا أخرى لم تلبث أن أقبلت من مدينة طبرية إلى قُرب المكان الذى كانوا واقفين فيه ، والذى أكلوا فيه الخبز بعد أن صلَّى ربُّنا عليه صلاة الشكر (يوحنا ٦ : ١١) فلما تبيَّن لهم أنه لا مخلِّصنا كان هناك ولا تلاميذه ، وإذ كانوا يريدون أن يتبعوه حيثما ذَهَب ، ركبوا هُم أيضا تلك السفن التى أقبلت من طبريَّة ، وجاءوا إلى كفرناحوم يبحثون عنه ، لأنهم كانوا يعلمون أنه يقيم فى تلك المدينة مع تلاميذه . وقد وجدوه فعلاً على الضفة الأخرى من البحر . يعلِّم فى المجمع الذى فى كفرناحوم - كما ذكَر لنا القديس يوحنا فى الآيات التالية - فقالوا له : « يامعلِّم متى جئت إلى هنا ؟ » ، لأنهم لم يكونوا قد رأوا سفينة أخرى جاءت إلى الضفة الأخرى التى كانوا واقفين عليها غير تلك التى ركبها تلاميذه ليركبها هو ويتبعهم ، فعجبوا كيف اجتاز البحر إلى كفرناحوم ومتى فعَل هذا . وقد كان بحثهم عنه وتكبدهم تلك المشقَّة كى يجدوه يبدو فى ظاهر الأمر - بعد أن رأوا المعجزة التى

صنعها أمامهم وغيرها من المعجزات التى سبق لهم أن رأوها أو سمعوا بها أرادوا أن يتبعوه -- كدليل على إيمانهم به . ولكن ربنا ومخلّصنا العالِم بكل شىء ، والعارف بخفايا القلوب ، صارحهم قائلا لهم : « الحق الحق أقول لكم إنكم تبحثون عنى ، لا لأنكم رأيتم المعجزات ، وإنما لأنكم أكلتم من الخبز وشبعتم » .

وهكذا نرى مدى ماكان اليهود قد وصلوا إليه من تفاهة فى التفكير والشعور ، وتعلّق بالماديّات وبكل مايجدون فيه منفعة لأشخاصهم ، غير مكترثين بالتفكير فى حقيقة ذلك الذى يقدم المنفعة لهم أو فى الوسيلة التى يقدم بها إليهم تلك المنفعة ، ولوكانت معجزة من المعجزات التى لا يستطيع أن يصنعها إلا الله وحده . فمع أنهم كانوا يتعصبون لشريعتهم تعصبًا أعمى ، ويتظاهرون بإيمانهم بالله الذى أعطاهم تلك الشريعة إيمانًا عظيمًا ، لم يكونوا فى الواقع يفكرون فى الله ولا فى تنفيذ الوصايا الواردة فى شريعتهم ، بقدر ماكانوا يفكرون فى إشباع بطونهم والتكالب على شهواتهم وتحقيق مطامعهم التى لا تهدف إلا إلى اكتناز المال ، وانتهاز كل فرصة تتيح لهم الوصول إلى الجاه ووجاهة هذه الدنيا والمناصب العليا التى تضفى عليهم مايرضى غرورهم ويدفع الآخرين إلى تكريمهم وتعظيمهم . وقد كانت تلك هى الصفات التى يتصفون بها جميعًا ، ولا سيما رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيّين والصّدّوقيين وأمثالهم ممن كانوا يزعمون أنهم أكثر الناس غيرة على عبادة الله وحرصًا على العمل بشريعته . وحتى إذا أظهر بعض اليهود إيمانهم بمخلّصنا حين يرون إحدى معجزاته ، كما فعل أولئك الذين أطعمهم بمعجزة حتى شبعوا ، فإن إيمانهم هذا كان سطحيًّا ووقتيًّا ، فسرعان ماكان يتبدّد ويزول ، بل ينقلب أحيانًا إلى نقيضه ، كما فعلوا مع مخلّصنا اذ آمنوا به بعض الوقت ، ثم لم يلبثوا أن انقلبوا عليه وتنكروا له وأنكروه . وفى آخر الأمر أمسكوه وصلبوه . ومِنْ ثَمَّ قال مخلّصنا لأولئك الذين بحثوا عنه وعبروا البحر

ليجدوه : « اعملوا لا من أجل الطعام الفانى ، وإنما من أجل الطعام الباقى للحياة الأبدية ، الذى يعطيكم ابن الإنسان ، لأنَّ هذا قد أقّره الله الآب بختمه » ، أى أنهم ينبغى ألا يضعوا كل همِّهم واهتمامهم فى العمل من أجل الطعام المادّى الفانى ليشبعوا بطونهم ، ومن أجل كل مايرمز إليه الطعام من مطالب الدنيا وشهواتها الماديَّة ، لأن هذه كلها لا تلبث أن تزول وتفنى ولا يبقى لهم من فائدتها شىء ، بل إنها قد تؤدى إلى هلاكهم الأبدى . وفى ذلك يقول بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس « الأطعمة للجوف ، والجوف للأطعمة ، والله سيبيد هذا وتلك » (١ . كورنثوس ٦ : ١٣) (كولوسى ٢ : ٢٢). وإنما ليعملوا من أجل الطعام الأبدى الباقى للحياة الأبدية ، أى البركات السمائية التى لا تزول ولا تفنى ، والتى ينالها مَن يأخذ من جسده ودمه الأقدسين (يوحنا ٦ : ٥٤) ، لأنها تؤدى بهم إلى الحياة الأبدية فى ملكوت الله (يوحنا ٤ : ١٤) ، تلك البركات التى يمنحهم إياها ابن الإنسان الذى هو مخلِّصنا ابن الله ، الذى شهد الله علانية بأنه ابنه (متى ٣ : ١٧) ؛ (مرقس ١ : ١١) ؛ (لوقا ٣ : ٢٢) ؛ (متى ١٧ : ٥) ؛ (٩ : ٧) ؛ (لوقا ٩ : ٣٥) ؛ (يوحنا ١ : ٣٥) ؛ (٥ : ٣٧) ؛ (٨ : ١٨) ؛ (الأعمال ٢ : ٢٢) ؛ (٢ . بطرس ١ : ١٧) وختم الله الآب تلك الشهادة بختمه الذى يدل على أنها وثيقة رسمية صادرة عنه ، كما اعتاد الناس أن يختموا كل وثيقة يريدون أن يثبتوا أنها حقيقية ، وأنها فعلاً صادرة عنهم ، لا ينكرونها هم ، ولا يستطيع أحد أن ينكرها .

٦ : ٢٨ - ٤٠

فلما قال مخلصنا ذلك لأولئك الذين بحثوا عنه وجاءوا إليه ، ولأولئك الذين كانوا فى المجمع قبل مجيئهم يستمعون إلى تعاليمه ، ثارت بينهم وبينه مناقشة حادة ، كتلك التى ثارت حين شفى الرجل العليل عند بركة بيت حسدا فى يوم

سبت ، وقال عن نفسه إنه ابن الله (يوحنا ٥ : ١٨) . إذ قالوا له فى هذه المرة : « ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله ؟ » . فأجاب مخلّصنا وقال لهم : « هذا هو عمل الله ، أن تؤمنوا بالذى أرسله » . فمع أنهم سألوه عن الأعمال التى تجعلهم صالحين أمام الله ، والتى تجعلهم مستحقين للحياة الأبدية التى وعد بها الصالحين منهم ، أجابهم بأن ثمة عملاً واحدًا يكفيهم أن يعملوه ، لأنه ينطوى فى ذاته على كل الأعمال التى تؤدى بهم إلى الحياة الأبدية ، وذلك العمل هو أن يؤمنوا بالذى ارسله الله (يوحنا ٣ : ١٧) ، وهو مخلّصنا الذى - وإن كان هو ابن الله الآب ، وهو متحد اتحادًا كاملاً به - قد اتفقت مشيئتهما معًا على أن يكون هو الرسول إلى البشر الذى يصالح بينهم وبين الله ليرفع عنهم خطاياهم ، بأن يقدم نفسه فداء عنهم ، وبذلك يخلّصهم من الهلاك الأبدى المحكوم به عليهم .. « لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم ، وإنما ليخلّص به العالم » (يوحنا٣ : ١٧) . فلو آمن البشرُ جميعًا بمخلّصنا ، يكونون بذلك قد آمنوا بالابن وبالآب معا ، وتكون النتيجة أنهم بحكم ذلك الإيمان سيعملون كل الأعمال التى ترضى الله ، فيمنحهم الحياة الأبدية التى وعدهم بها لو آمنوا به .

على أن الإرسال للابن من قبل الآب ليس هو كإرسال الأنبياء . إنما هو كإرسال الشمس لأشعتها . فهو إرسال باتصال لا بانفصال ، لأن الابن مع نزوله إلى العالم هو كائن مع الآب وفى الآب (يوحنا ١٠ : ٣٠) ؛ (يوحنا ١٤ : ١٠ و١١ و٢٠) ؛ (١٠ : ٣٨) ؛ (١٧ : ٢١) .

وربما يرد هنا سؤال وهو : هل عمل الله هو مجّرد الإيمان بالابن الذى نزل من السماء ؟. بيد أن الجواب على ذلك هو أن الإيمان المطلوب ليس هو مجّرد الإيمان اللفظى بالابن ، إنما لأن نزول الابن من السماء هو فضل ورحمة من الله فإن هذا النزول هو للافتقاد ، وللرحمة ، ثم للخلاص . وهذا هو عمل الله مع الإنسان ومن أجل الإنسان . فلم يَعُد الله كما فى المفهوم الوثنى إلهًا يسكن وراء

الجبال ولا يحفل بآلام البشَر . وإنما الله فى المسيحية هو الأب الرحيم والراعى الصالح .. « فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضًا كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذلك الذى له سلطان الموت أى إبليس » (العبرانيّين ٢ : ١٤) فالإيمان هنا هو إيمان بمحبة الله ورحمته «لأنه إلى هذا المدى أحبّ الله العالم حتّى إنه بذل ابنه الوحيد لكى لايهلك كل من يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية»(يوحنا٣ : ١٦)ويتبع الإيمان العمل وحفظ وصايا الله ، فإن «الإيمان بدون أعمال ميّت»(يعقوب٢ : ٢٦) ؛ (يوحنا١٤ : ٢٢ و٢٣) . فَمَن يؤمن بالابن له الحياة الأبدية » (يوحنا ٣ : ٣٦) .

وإذ تضمّن قول مخلصنا التصريح بأنه هو ابن الله ، ومع أنَّ الحاضرين من اليهود سبق أن سمعوا من أقواله ورأوا من أعماله ومعجزاته مايبرهن برهانًا ساطعًا وقاطعًا على أنه هو ابن الله بالفعل ، سألوه قائلين : « أيَّة آية تصنع أنت لنرى ونؤمن بك ؟ أىّ عمل تصنع ؟ » مما يدلّ على أنهم بالفعل كما سبق أن قال عنهم مخلِّصنا : « مبصرون لا يبصرون ، وسامعون لا يسمعون ولا يفهمون » (متى ١٣ : ١٣) . وقد أرادوا أن يقارنوا بين معجزاته ومعجزات موسى التى صنعها مع آبائهم فى صحراء سيناء ، ليثبتوا أن مخلِّصنا أقل شأنًا من أن يكون مساويًا لموسى الذى يفخرون به ، ومن أن يقول بالأحرى عن نفسه إنه هو ابن الله . وليست هذه هى المرة الوحيدة التى سألوا فيها المسيح له المجد أن يأتيهم بآية من السماء (متّى١٢ : ٣٨) ؛ (١٦ : ١) ؛ (مرقس٨ : ١١) ؛ (لوقا١١ : ١٦) ؛ (يوحنا٢ : ١٨) ؛ ومن ثَمّ قالوا له «إنّ آباءنا أكلوا المنّ فى البرِّية وفقًا لما هو مكتوب . أنه أعطاهم خبزًا من السماء ليأكلوا » مشيرين بذلك إلى ما فى سِفْر المزامير إذ يقول : « أمطر عليهم منًا للأكل .. أكَل الإنسان خبز الملائكة» (المزمور ٧٧ : ٢٤و٢٥)–انظر أيضا الخروج(١٦ : ٤ و١٤ و١٥ و٣١و٣٥) ؛ (العدد١١ : ٧) ؛ (نحميا٩ : ١٥و٢٠) ؛ (١ . كورنثوس ١٠ : ٣) . فقال لهم مخلِّصنا «الحقَّ الحقَّ أقول لكم

إنَّ موسى لم يعطكم الخبز من السماء ، وإنما أبى هو الذى يعطيكم الخبز الحقيق من السماء . لأن خبز الله هو الذى ينزل من السماء ، ويَهَبُ الحياة الأبدية للعالَم » . وذلك أن موسى لم يكن هو الذى أعطاهم الخبز من السماء وإنما كان الله هو الذى أعطاهم المنَّ ليأكلوه بدلاً من الخبز لعدم وجود الخبز فى الصحراء (الخروج ١٦ : ٤ و١٥) ؛ (نحميا ٩ : ١٥ و٢٠) ؛ (المزمور ٧٧ : ٢٤) ؛ (التثنية ٨ : ٣) . وكان هذا المَنُّ طعامًا يأمنون به غائلة الجوع ، ولكنه كان مؤقتًا ، يأكلون منه ويشبعون ، ولكنه لا يلبث أن يفسد بعد ساعات قليلة ويرعى فيه الدود (الخروج ١٦ : ٢٠) . وأما الخبز الحقيق ، أى النعمة الحقيقية التى تُغَذِّى الروح لا الجسَد والذى لا يفسد ولا ينتهى الشبع منه أبدًا ، فهو الذى يرسله إليهم الله الآب من السماء ، لأن خبز الله هو المسيح ابن الله الذى نزل وينزل من السماء . وهو ليس كالخبز المادىّ الذى لا يلبث أن يفنى ، والذى مهما أكل منه الإنسان طيلة عمره ، فإن هذا الإنسان لا يلبث أن يموت ، وإنما هو الذى يهَبُ الحياة الأبدية للناس ، فلاتنتهى بالموت الجسدىّ حياتهم ، وإنما يظلون أحياء بالروح إلى الأبد . وإذ كان تفكير اليهود سطحيًّا وتافهًا ومادِّيًّا ، لا يتجاوز احتياجاتهم الجسدية والدنيوية ، ويتطلعون دائمًا لأن يحصلوا على ماهو أكثر فائدة وأكثر وفرة من تلك الاحتياجات . ففعلوا حين قال لهم مخلِّصنا ذلك ، كما فعلت المرأة السَّامرية مِن قبل حين قال لها له المجد « لو كنت تعرفين عطية الله ومن هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب ، لطَلَبت أنتِ منه ، فأعطاكِ ماءً حيًّا .. منَ يشرب من الماء الذى أعطيه إياه أنا ، فلن يعطش إلى الأبد » فأجابته المرأة فى سذاجة دون أن تفهم قصده قائلة « ياسيِّد . أعطنى هذا الماء لكيلا أعطش » (يوحنا ٤ : ١٤ و١٥) . وذلك أن أولئك اليهود حين حدّثهم له المجد عن الخبز الذى يهبهم الحياة الأبدية قالوا له « ياربّ أعطنا هذا الخبر فى كُلِّ حين » ، وقد ظنوّه خبزًا عاديًّا كالذى يأكلونه ، ولكن له ميزة خاصة ، هى

أنهم إذا أكلوه يتمتعون بالحياة الأبدية فلا يموتون . وعندئذ كشف لهم مخلِّصنا عن المعنى الحقيقى الذى لم يفهموه لذلك الخبز الذى حدّثهم عنه ، قائلاً لهم « أنا هو خبز الحياة . مَن يُقبل إلىَّ فلن يجوع . ومَن يؤمن بى فلن يعطش أبدًا . ولكننى قلت لكم إنكم قد رأيتمونى ولم تؤمنوا . كل مايعطينيه الآب يُقْبِلُ إلىَّ ، ومن يُقْبل إلىَّ لا ألقِه به خارجًا . لأنى قد نزلت من السماء ، لا لأعمل بمشيئتى وإنما بمشيئة الآب الذى أرسلنى . وهذه هى مشيئة الآب الذى أرسلنى : أن كلّ الذين أعطانى لا أهلك منهم أحدًا ، بل أُقيمه فى اليوم الأخير . لأن هذه هى مشيئة أبى الذى أرسلنى أنَّ كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير » .

ومخلِّصنا له المجد حين يتكلَّم عن الخبز هنا ، لا يقصد ذلك الخبز الذى نأكله كطعام لأجسادنا ، وإنما هو يقصد أن ذلك الخبز المادى بوصفه أهم عناصر الطعام فى المحافظة على الجسم لكى يستمرّ فى الحياة الأرضية ، فلا يجوع ويؤدى به الجوع إلى الموت ، يعدّ رمزًا لذلك الطعام الروحى الذى لابد أن تتغذّى به الرُوح لكى تستمرّ فى الحياة الروحية هنا فى الأرض ثم بعد ذلك فى السماء ، وبدونه تموت الروح على الرغم من استمرار حياة الجسد فى الأرض ، ثم يكون مصيرها بعد موت الجسد هو الموت الأبدى فى السماء . ولذلك يقول له المجد : « أنا هو خبز الحياة » ، أى الطعام الروحانى الذى تتغذى به الروح فتحيا به فى كل زمان ومكان ، وبدونه تموت فى كل زمان ومكان كذلك . فالذى يؤمن بمخلِّصنا ويَقْـبَلُه ويُقبل اليه لن يجوع ولن يعطش أبدًا ، وبذلك يحيا إلى الأبد . لأنه كما أن الجسد يموت إذا جاع وعطش ، هكذا الروح تموت إذا لم تتزوّد بالطعام الروحانى من عند مخلِّصنا ، وتجعله طعامها وشرابها على الدوام . وقد كرر له المجد هذا التعبير فى نفس المناسبة بقوله « أنا هو خبز الحياة » (يوحنا ٦ : ٤٨ و٥١ و٥٨) .

ولكن اليهود على الرغم من أنهم رأوا مخلِّصنا وأبصروا أعماله وسمعوا أقواله التى تدل دلالة قاطعة وساطعة على أنه هو ابن الله مخلِّص البشَر الذى تنبأ بمجيئه كل أنبيائهم ، لم يؤمنوا به (يوحنا ٦ : ٦٤). ولم يجعلوه طعاماً وشراباً لأرواحهم كى تحيا أرواحهم ولا تموت ، فى حين أن الذين يفتح الله الآب قلوبهم (يوحنا ١٧ : ٢٢ ، ٢٤) ليؤمنوا به بوصفه ابن الله ، سيقبلونه على هذا الوصف ويُقبلون إليه (يوحنا ٦ : ٤٤ و٤٥). ومن يفعل ذلك منهم يمنحه ابن الله الحياة الأبدية ، ولن يُلْقِى به خارجًا إلى ظلمات الموت الأبدى (يوحنا ٣ : ١٥ و١٦) ، لأنه وهو ابن الله قد نزل من السماء ليتمِّم التدبير الإلهى الذى يقضى بأن يقدِّم نفسه ذبيحة عنهم (العبرانيين ٩ : ٢٦) ؛ (العبرانيين ١٠ : ١٢) ، وفاديًا لهم (العبرانيين ٩ : ١٢) ، ويغفر خطاياهم ، وبذلك يصالح بين الله وبينهم (روما ٥ : ١١) . فينقذهم من الهلاك الذى قضت به العدالة الإلهية عليهم (التكوين ٢ : ١٧) ؛ (٣ : ٣) بسبب تلك الخطايا التى ارتكبوها ، إذ خالفوا وصايا الله التى أوصى بها آدم جدهم الأول . ومخلِّصنا إذ نزل من السماء (يوحنا ٣ : ١٣) ، واتخذ جسدًا بشريًا لكى يتمم هذا التدبير الالهى ، لم يكن يعمل بمشيئته هو وحده بوصفه ابن الله (متى ٢٦ : ٣٩ و٤٢) ؛ (مرقس ١٤ : ٣٦) ؛ (لوقا ٢٢ : ٤٢) . وإنما بالاتفاق فى ذلك مع مشيئة أبيه (يوحنا ٤ : ٣٤) ؛ (٥ : ٣٠) الذى هو متحد به اتحادًا كاملاً ، والذى نزل من السماء مرسلاً منه بناء على مشيئتهما معًا . وقد كان من مقتضيات هذه المشيئة أن كل الذين فتح الله الآب قلوبهم ليؤمنوا بالابن لا يُهلك الابن منهم أحدًا (يوحنا ١٠ : ٢٨) ؛ (١٧ : ١٢) ؛ (١٨ : ٩) بل فى اليوم الأخير ، أى فى يوم القيامة ، يمنحهم الحياة الأبدية فلا يهلكون ولا يموتون الموت الأبدى (يوحنا ٣ : ١٥ و١٦) ؛ (٤ : ١٤) ؛ (٦ : ٢٧ و٤٧ و٥٤) .

ومما يثير الانتباه فى حديث السيد لمسيح له المجد فى هذا النص القدسّى :

أولاً : توكيده على أنه نزل من السماء ، إذ يقول له المجد « لأنى قد نزلت من السماء لا لأصنع مشيئتى » (٦ : ٣٨) ويقول مرّة أخرى « أنا هو خبز الحياة .. الخبز النازل من السماء ليأكل منه الإنسان فلا يموت . أنا هو الخبز الحىّ الذى نزل من السماء (٦ : ٤٨ - ٥١) . انظر أيضا (٦ : ٥٨) . ولقد سبق له المجد أن قال كذلك « مامن أحد صعد إلى السماء ، إلا ذلك الذى نزل من السماء ، ابن الإنسان الذى هو فى السماء » (يوحنا ٣ : ١٣) . وليس هذا إنكارًا لتجسُّده من العذراء مريم ، ولكنه بيان لوجوده السابق على التجسُّد . فالمسيح له وجود قبل الزمان ، ووجود فى الزمان . وقبل أن يولد من العذراء مريم كان كائنًا فى السماء . فليس ميلاده إلا تجسُّدًا . إذ يقول أيضًا « فماذا لو رأيتم ابن الإنسان صاعدًا إلى حيث كان قبلاً » (يوحنا ٦ : ٦٢) ، مما يؤكّد حقيقة وجوده السابق فى السماء قبل التجسُّد .

ثانيًا : كشف مخلصنا له المجد عن حقيقة أنه هو بذاته الخبز السماوى ، وأنه الطعام الحقيقى والمحيى ، الذى يهب الحياة لمن يؤمن به ، ولمن يُقْبل إليه ، ولمن يغتذى منه ويعتمد عليه . وأن المَنَّ الذى أكله بنو إسرائيل فى البريّة كان مجرَّد رمز للخبز الحقيقى الذى يهبه المسيح لمن يُقبل إليه بإيمان واستحقاق ، وسوف يقرِّر فى فقرة تالية أن هذا الخبز هو جسده ودمه الأقدسان .

ثالثًا : أنه ذو سلطان على أن يقيم المؤمنين به والمعتمدين عليه ، والأحياء به ، فى اليوم الأخير ، وهو يوم القيامة ولا عَجَب فهو يقرِّر فى موضع آخر أنه هو القيامة والحياة (يوحنا ١١ : ٢٥) .

٦ : ٤١ - ٥٨

وحين كشَفَ مخلِّصنا لليهود عن هذا السِّر الإلهى تذمروا عليه فيما بينهم ، لأنه

قال : « أنا هو الخبز الذى نزل من السماء » . وقالوا : « أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذى نحن نعرف أباه وأمه . فكيف يقول الآن إنى نزلت من السماء ؟ » .
وهكذا تراجع اليهود سريعًا عن إيمانهم بمخلّصنا ، لأنهم كانوا قومًا سطحيين غير ثابتين فى تفكيرهم أو فى شعورهم ، ينقلبون فى لحظة من النقيض إلى النقيض .
فبعد أن بحثوا عن ذلك الذى أطعمهم بمعجزة واجتازوا البحر ليجدوه ويمجدوه ، وبعد أن حاولوا أن يختطفوه ليقيموه ملكًا عليهم ، إذا بهم فى اليوم التالى مباشرة يستهينون به ويهينونه بعبارت السخرية والاستخفاف ، معيّرين إياه بأنه لم يكن -كما سبق لهم أن عرفوه- إلا شخصًا فقيرًا من عائلة فقيرة . فكان أبوه -كما كانوا يظنون (لوقا ٣ : ٢٣)- هو يوسف الذى كان يعمل نجارًا بسيطًا (متى ١٣ : ٥٥) ؛ (مرقس ٦ : ٣) ؛ (لوقا ٤ : ٢٢) . وكان هو يعمل معه فى مهنته تلك المتواضعة . وكانت أمه مريم امرأة فقيرة وبسيطة كذلك . وقد عاش مع أولئك اليهود الذين يستمعون إليه كواحدٍ منهم ، لايميِّزه عنهم مال ولا جاه ولا منصب ولا مكانة مرموقة فى المجتمع . فكيف يقول الآن إنه ابن الله وإنه نزل من السماء . وقد تجاهلوا تمامًا ماسبق أن رأوه يصنعه من المعجزات التى تدل على صدقه فيما يقول ، والتى تجعله جديرًا بالتمجيد والتكريم ، فلم يذكروا عنه إلا حياته السابقة التى لا تستحق فى نظرهم تمجيدًا ولا تكريمًا ، وإنما إهانة واستهانة . ومِنْ ثَمَّ صَدَقَ فيهم قوله : « لانبىّ بلا كرامة إلا فى وطنه وفى بيته » (متى ١٣ : ٥٧) ؛ (مرقس ٦ : ٤) ؛ (لوقا ٤ : ٢٤) ؛ (يوحنا ٤ : ٤٤) بيد أنّه التمس لهم العذر فيما قالوه عنه . لأن الحقائق التى ذكرها لهم كانت أسرارًا إلهية لا يمكن لعقولهم السطحية الساذجة أن تفهمها أو ترتفع الى مستواها ، ولأنهم ليس فى قدرتهم الإيمان بها إلا إذا وهبهم الله نعمة تفتح قلوبهم وعقولهم لقبولها والتسليم بها . فأجابهم له المجد قائلاً : « لا تتذمروا فيما بينكم . مامن أحَد يستطيع أن يُقبل نحوى مالم يجتذبه إلىَّ الآب الذى أرسلنى .

وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . إنه مكتوب فى أسفار الأنبياء أن الجميع سيكونون متعلمين من الله . فكل من استمع إلى أبى وتعلّم منه يُقبل نحوى . لا أحد قد رأى الآب إلا الذى هو من الله . فهذا هو الذى رأى الآب . الحقَّ الحقَّ أقول لكم إن مَن يؤمن بى فله الحياة الأبدية» .

وبذلك أكّد فادينا أن الإيمان به لا يكتسبه إلا أولئك الذين شاءوا فأنار الله بصائرهم وأبصارهم (يوحنا ٣ : ٢٧) ؛ (٦ : ٦٥) ؛ (نشيد الأناشيد ١ : ٤) ، وأخذ بأيديهم فى ظلام الجهل وسواد القلب وتبلُّد الشعور وموت الوجدان ليروا من خلف الستار الجسدى لمخلِّصنا مجده الإلهى ، فينجذبوا إليه ويَقبلوه ، ويُقبلوا نحوه ويؤمنوا به . ومِنْ ثَمَّ يأخذهم مخلِّصنا فى حضنه ويباركهم ويرعاهم ، ثم يقيمهم فى اليوم الأخير (يوحنا ٦ : ٣٩و٤٠و٤٤) ، ليحيوا معه إلى الأبد . وقد قرَّر مخلِّصنا أن الله مع مرور الزمن سينير عقول جميع الناس من كلِّ الأجناس ، سواء أكانوا يهودًا أم غير يهود ، إذا استمعوا إلى كلام الله وتعلموا منه ، بحيث يرون كلهم مجد مخلِّصنا فيقبلون إليه ويؤمنون به . وقد سبق لأنبياء العهد القديم أن تنبأوا بذلك ، ومنهم إرميا الذى تنبأ قائلاً : « يقول الربُّ : أجعل شريعتى فى داخلهم وأكتبها على قلوبهم .. وأكون لهم إلهًا ، وهُم يكونون لى شعبًا .. ولا يعلِّمون بَعْد كُلُّ واحد صاحبه . وكلُّ واحد أخاه قائلين اعرفوا الربَّ ، لأنهم كلَّهم سيعرفوننى من صغيرهم إلى كبيرهم ، يقول الرب ، لأنى أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيئتهم بعدُ» (إرميا ٣١ : ٣٣ و ٣٤) - وانظر أيضا (إشعياء ٥٤ : ١٣) ؛ (ميخا ٤ : ٢) ؛ (١ . تسالونيكى ٤ : ٩) ؛ (العبرانيين ٨ : ١٠ - ١٢) ؛ (١٠ : ١٦و١٧) ؛ (١ . يوحنا ٢ : ٢٧) . فكل من استمع إلى الآب وتعلَّم منه يؤمن بمخلِّصنا ابن الله ويُقبل نحوه (يوحنا ٦ : ٣٧و٤٤و٦٥) ، لا لعلمه بطبيعة الآب ، وإنما بِتَعلُّمِهِ منه . لأنه لا أحد من البَشَر قد رأى الآب ولا عرف طبيعته ، إلا مخلِّصنا

الذى هو من طبيعة الله الآب . ومن جوهره . قال له المجد «أما أنا فأعرفه ، لأنى منه» (يوحنا ٧ : ٢٩) وفى وحدة معه ، إذ هو كائن معه وفيه (يوحنا ١٠ : ٣٠) ؛ (١٤ : ١٠ و٢٠) ؛ (١٧ : ٢١) . فهو وحده الذى قد رأى الآب بحكم تلك الوحدة التى تجمعها ، لأنهما معًا إله واحد (قارن يوحنا ٥ : ٣٧) ، ومِنْ ثَمَّ فإن الذى يؤمن بالله الآب إنما يؤمن بالتالى بالله الابن ، وبذلك الإيمان تكون له الحياة الأبدية (يوحنا ٣ : ١٦ و٣٦) ؛ (٥ : ٢٤) ؛ (٦ : ٤٠) ؛ (١١ : ٣٦) . وقد قال الإنجيل فى نفس المعنى : « الله لم يره أحد قط ، الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه » (يوحنا ١ : ١٨) . وقال ايضًا « ولا أحد يعرف الابن إلا الآب : ولا أحد يعرف الآب إلا الابن » (متى ١١ : ٢٧) ؛ (لوقا ١٠ : ٢٢) وقال مخلِّصنا له المجد « إنَّ أبى يعرفنى وأنا أعرف الآب » (يوحنا ١٠ : ١٥) . وقال فى مناجاته للآب « يا أبتاه الحق . إنَّ العالم لم يعرفك وأما أنا فعرفتك » (يوحنا ١٧ : ٢٥) .

ثم عاد مخلِّصنا فأكد لليهود ماسبق أن قاله لهم وأدَّى إلى تذمُّرهم ، قائلا لهم : « أنا هو خبز الحياة . آباؤكم أكلوا المَنَّ فى البرِّية وماتوا . أما هذا فهو الخبز النازل من السماء ليأكل منه الإنسان فلا يموت . أنا هو الخبز الحىّ الذى نزل من السماء . مَنْ يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد . والخبز الذى سأعطيه أنا هو جسدى الذى سأبذله من أجل حياة العالم » . فإذا كان اليهود قد تفاخروا عليه له المجد بالمعجزة التى جرت لآبائهم فى صحراء سيناء على يد موسى النبى ، وهى أن الله أرسل لهم المَنَّ ليأكلوه فى تلك الصحراء التى لاطعام فيها . فإنّ هذا المَنَّ لم يكن إلا طعامًا وقتيًا لا يغذى إلا جسد الإنسان ، ثم لا يلبث هذا الطعام أن يفسد ولا يلبث ذلك الإنسان أن يموت . وفعلاً فإنَّ كُلَّ آباء اليهود الذين أكلوا من ذلك المَنِّ ماتوا (يوحنا ٦ : ٣١) . أما مخلِّصنا فهو الخبز الحى ، وهو

خبز الحياة ، الذى من يأكله يحيا به إلى الأبد ولا يموت (يوحنا ٦ : ٥١ و٥٨) . وليس للموت الثانى عليه سلطان (الرؤيا ٢٠ : ٦) . ولأن الإنسان الذى يتغذى بهذا الخبز الحيّ الذى نزل من السماء (يوحنا ٣ : ١٣) تكون له الحياة الأبدية .

وهنا يكشف السيد المسيح له المجد عن سرٍّ عظيم وهو سرُّ التناول من جسده ودمه . فالمسيح هو « شجرة الحياة » الحقيقية (التكوين ٢ : ٩) ؛ (٣ : ٢٢ و٢٤) . وهو « الكرمة الحقيقية » (يوحنا ١٥ : ١) والمؤمنون به هم الأغصان . فهو له المجد يقول « فكما أن الغصن لا يمكنه أن يأتى بثمر من ذاته وحده إن لم يثْبت فى الكرمة. هكذا أنتم لا يمكنكم أن تأتوا بثمر إن لم تثبتوا فِيَّ. أنا الكرمة وأنتم الأغصان. فالذى يثْبُت فِيَّ وأنا فيه يأتى بثمر كثير، لأنكم بدونى لا تستطيعون أن تفعلوا شيئًا . وأما الذى لا يثبت فِيَّ فيُطرح خارجًا كالغصن فيجفّ » (يوحنا ١٥ : ١ — ٦) . ولما لم يكن للغصن حياة من غير الكرمة التى منها يأخذ عصارة الحياة فتسرى فيه الحياة ، ومن دون ذلك يجف ويموت. هكذا المؤمنون حياتهم بالمسيح ومن المسيح . منه يستمدون الحياة ، لأن فيه كانت الحياة (يوحنا ١ : ٤) . والسيد المسيح يتكلم هنا بكل الوضوح قائلاً إنه هو الخبز الحقيقى الذى نزل من السماء (يوحنا ٦ : ٣٢) وخبز الحياة (يوحنا ٦ : ٣٥) الذى يهب الحياة للعالم (يوحنا ٦ : ٣٣) وأنه هو جسده ودمه الذى يبذله من أجل حياة العالم (العبرانيين ١٠ : ١٠) . وأن من يأكله يحيا به ، وأن جسده هو الطعام الحق ، وأن دمه هو الشراب الحق . ولذلك فإن من يأكل جسده ويشرب دمه له الحياة الأبدية . أما الذى لا يأكل جسده ولا يشرب دمه فليس له حياة فى نفسه . وكلها كلمات واضحة ، ولا تحتاج إلى مزيد من تفسير فى أن سرّ التناول ذبيحة حقيقية يأكل منها الإنسان أكلاً حقيقيًا لامجازيًا ولا معنويًّا ، وأنه بهذا الأكل الحقيقى والشرب الحقيقى يستمد عصارة الحياة من

الكرمة الحقيقية لكى يحيا ، ومن دون ذلك فلا حياة . فالإنسان – وهو له بداءة – لابُدَّ أن تكون له نهاية . أما الذى يعطيه الحياة إلىَ الأبد فهو تناوله من شجرة الحياة التى هى جسد المسيح ودمه . لأن المسيح « فيه كانت الحياة » (يوحنا ١ : ٤) بل هو « الحياة » ذاتها ، فقد قال« أنا هو القيامة والحياة » (يوحنا١١ : ٢٥) . وإذن فالمسيح ليس حيًّا فقط ، بل هو « الحياة » و « له الحياة فى ذاته » (يوحنا ٥ : ٢٦) . وهو لذلك واهب الحياة ، وأصل الحياة ، ومُبْدِىء الحياة ، وَمِنْهُ الحياة . « كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان » (يوحنا ١ : ٣) . ولأن مخلِّصنا كشف بوضوح عن حقيقة التناول من جسده ودمه الأقدسين ، وضرورة هذا التناول للحياة الأبدية ، لذلك اكتفى الإنجيل للقديس يوحنا بما جاء على فم المسيح له المجد فى حديثه وحواره مع اليهود بعامّة . ومع تلاميذه بخاصّة . ولم يورد ما أوردته الأناجيل الثلاثة الأخرى عن تسليم السيد المسيح لِسر القربان المقدَّس فى ليلة آلامه إذ « أخذ يسوع خبزًا وباركه وقسمه وناول تلاميذه وقال : خذوا كُلُوا فإن هذا هو جسدى الذى يُبذَل عنكم . إصنعوا هذا لذِكْرِى ثم أخذ كأسا وشكَرَ وناولهم قائلاً : اشربوا منها كلكم ، فإنَّ هذا هو دمى للعهد الجديد الذى يُسفَك عنكم وعن كثيرين لمغفرة خطاياهُم » (متى ٢٦ : ٢٦ – ٢٨) ؛ (مرقس ١٤ : ٢٢ – ٢٤) ؛ (لوقا ٢٢ : ١٩و٢٠) . وجاء فى الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس : « لأننى تسلَّمت من الرب ماسلَّمتكُم أيضًا أن الرب يسوع فى الليلة التى أُسْلِم فيها ، أخذ خبزًا وشَكَرَ فكَسَرَ وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم . إصنعوا هذا لِذكْرى . كذلك الكأس أيضًا بعدما تعشُّوا قائلاً : هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى . إصنعوا هذا لذكرى .. إذن فمن أكل هذا الخبز أو شرب كأسَ الربِّ بدون استحقاق يكون مجرمًا إلى جَسَد الربّ وإلى دمه . ولكن ليمتحن الإنسان نفسه ، وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس . لأن الذى يأكل

ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميِّز جسد الربِّ » (١ . كورنثوس ١١ : ٢٣ – ٣٠) .

بَيْدَ أنَّ اليهود فهموا أقوال سيدنا فهمًا سطحيًّا ماديًّا فأخذوا يجادلون بعضهم بعضًا قائلين « كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لنأكله ؟ » ومن ثم قال لهم مخلِّصنا « الحق الحق أقول لكم : مالم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه لا تكون لكم حياة فى أنفسكم . من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . لأنَّ جسدى هو طعام حـقاً ، ودمى هو شراب حـقاً . من يأكل جسدى ويشرب دمى يَثبُت فيَّ وأنا أيضًا أُقيم فيه . كما أن الآب الحى قد أرسلنى ، وأنا كذلك أحيا بالآب هكذا فإن الذى يأكلنى يحيا بى . هذا هو الخبز الذى نزل من السماء . وهو ليس كالمن الذى أكله آباؤكم ثم ماتوا . منَ يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد » .



٦ : ٥٩ – ٧١

وقد كانت هذه الأقوال التى نطق بها مخلِّصنا وهو يُعلِّم اليهود فى مجمعهم بكفر ناحوم ، أقوالاً إلهية عالية المعنى جدًّا على أفهامهم ، ولا سيما أن معظهم

كانوا قومًا جهلاء ، مظلمى العقول ومظلمى القلوب معًا . فحين سمع هذه الأقوال كثيرون من تلاميذه الذين سبق لهم أن آمنوا به وتبعوه حين سمعوا تعاليمه ورأوا معجزاته – وقد كان هؤلاء غير تلاميذه الاثنى عشر الذين كانوا يلازمونه ملازمة دائمة – قالوا فيما بينهم « إن هذا كلام عسير . من يستطيع أن يستمع إليه ؟ » أى أنهم عاجزون عن فهمه . وإذ علم مخلِّصنا فى نفسه بمقتضى علمه الإلهى أن تلاميذه هؤلاء تذمروا من كلامه قال لهم « اهذا يجعلكم ترتابون ؟ فماذا لو رأيتم ابن الإنسان صاعدًا إلى حيث كان من قبل ؟ » . أى أنهم إذا كانوا قد راودهم الشك فى صدق كلامه حين قال لهم إنه نزل من السماء ، فماذا يفعلون إذا رأوه صاعدًا إلى السماء ، كما حدث ذلك بالفعل بعد ذلك ؟. إنهم ينبغى أن يثقوا فى كلامه ثقة كاملة بعد أن أثبت لهم بتعاليمه ومعجزاته أنه قادر على كلِّ شىء . والقادر على كل شىء لابد أن يكون صادقًا فى كلِّ مايقول . وسيكون دليل صدقه حين قال إنه نَزَلَ من السماء ، هو أنه سيصعد إلى السماء . ولكنهم قد أعمى الجهل بصيرتهم . ومِنْ ثَمَّ أعمى أبصارهم . فهم لا يصُدِّقون حتى مايرونه بأعينهم . وإذ رأى له المجد ذلك منهم ، ولمس ذلك الجهل فيهم ، أخذ يعمل على إنارة قلوبهم المظلمة ، وتنوير أذهانهم الجامدة المتبلِّدة ، ليفهموا أقواله الروحية فهمًا روحيًّا لا جَسَدِيًا ، ومعنويًا لا حَرْفِيًّا ، فقال لهم : « إنَّ الرُّوح هو الذى يحيى ، وأما الجسد فلا يُجدى نفعًا . والكلام الذى قلته لكم هو روح وحياة » ، لأنه إنما يوجِّه أقواله الروحيَّة إلى أرواحهم لا إلى أجسادهم ، فإذا فهموه بأرواحهم كان لهم فيه حياة لأرواحهم ، وأما إذا فهموه بأجسادهم ، فإنه لا يجدى نفعًا لا لأرواحهم ولا لأجسادهم ، وإنما سيظلون أمواتًا بالروح وإن كانوا لا يزالون أحياء بالجسد . ولا يُفهم من قوله « إن الروح هو الذى يحيى أما الجسد فلا يجدى نفعًا . الكلام الذى قلته لكم هو روح وحياة » ماادّعاه بعض الذين يريدون أن يتملصوا من الفهم الواضح الصريح لكلمات السيد

المسيح له المجد عن حقيقة سرّ التناول ، وأنه فيه يعطى المسيح جسده للمؤمنين به قوتًا حقيقيًّا لأرواحهم ، وغذاء أبديًّا روحانيًّا لنفوسهم للحياة الأبدية . فمعاذ الله أن يكون المعنى من ذلك أن جسد المسيح لا يجدى نفعًا . بل إنه على العكس يبيِّن صراحة بهذه الكلمات أن التناول من جسده المقدَّس ودمه الكريم هدفه الحقيقى بناء الروح لا الجسد . فهو قُوة للروح وغذاء للنفس ، وهو إكسير الحياة الذى يهب الآخذين منه الحياة الأبدية.والحياة ضّد الموت . وليس معنى الحياة مجرَّد الاستمرار فى الوجود ، لكنه الاستمتاع بقوة الحياة فى عالم الروح بكل أسباب السعادة الباطنية ، والصحة الروحية ، والسلام الداخلى الذى يفوق كُلَّ عقل . إن الأشرار سوف يقومون فى اليوم الأخير للدينونة والعذاب الأبدى لا الحياة الأبدية . أما الأبرار والصدّيقون فسوف يكفل لهم تناولهم من شجرة الحياة الحقيقية وهى جسد المسيح ودمه فى سِرِّ التناول ، ليس مجّرد الاستمرار فى الوجود ، وإنما الوجود الحىّ والسعيد ، والتمتُّع الدائم بالحياة التى فى الله . فلا موت ولا مرض ولا حزن ولا كآبة ولا ألم من أى نوع ، بل فرح وسلام وسعادة وحبور فى الروح والجسد ، لأنهم كالأغصان يأخذون من الكرمة عصارة الحياة التى تكفل للأغصان الخضرة الدائمة ، والنمّو ، والحياة ، وعدم الذبول أو الموت .

وإذ كان مخلِّصنا يعلم بمقتضى علمه الإلهى الذى يكشف مكنونات النفس البشرية وما تنطوى عليه العقول والقلوب ، قال لهم : « ولكن قومًا منكم لا يؤمنون » . فقد كان منذ البدء يعلَم مَن هُم الذين سوف لا يؤمنون به ، ومَنْ هُم الذين سيؤمنون . كما كان يعلَم مَن هو الذى سيخونه من بين تلاميذه الاثنى عشر أنفسهم ويسلِّمه لأعدائه ليقتلوه . وقد كان يعلم كذلك مَدَى غلظة قلوب اليهود وانغماسهم فى الماديات الدنيوية بدرجة تطمس أرواحهم ، وتغلق عقولهم ، وتسدل ستارًا سميكًا من الظلام على أفهامهم بحيث يعجزون عن أن

يدركوا معنى أقواله السماويَّة ومغزى أعماله الإلهية ، فيستحيل عليهم أن يؤمنوا به ويُقبلوا إليه ، إلا مَنْ يمنحه الله منهم موهبة من لَدُنِهِ تتطهرَّ بها روحه ، وينفتح عقله ويستنير فهمه ، فيرى مجدَ مُخَلِّصنا الإلهى من خلال جسده البشَرى ، ويُدرك معنى أقواله على حقيقتها ، وبذلك يؤمن به وبأقواله . ومِن ثَمَّ قال مخلِّصنا لليهود : « لذلك قلت لكم إنه مامن أحد يستطيع أن يقبل إِلَيَّ مالم يوهب من أبى » .

ولذلك نكص على أعقابهم كثيرون ممن كانوا يتبعون مخلِّصنا ويظهرون بمظهر تلاميذه ، فلم يعودوا يمشون معه كما كانوا يفعلون من قبل . فقال مخلِّصنا لتلاميذه الاثنى عشر الذين سبق له أن اختارهم فلازموه ملازمة دائمة : « ألعلَّكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا ؟ » وإنما قال لهم ذلك ليمتحن إيمانهم . فأَجابه سمعان بطرس نيابة عنهم جميعًا : « يارب إلى مَنْ نذهب ؟ إنَّ كلام الحياة الأبدية عندك . ونحن قد آمنَّا وعرفنا بيقين أنك أنت هو قدّوس الله المسيح ابن الله الحى » . وبذلك القول تحقق تلاميذ مخلِّصنا الاثنا عشر أن علمه الإلهى بهم كان صادقًا نافذًا حين اختارهم من بين المئات غيرهم الذين تبعوه ليكونوا هم الصف الأوّل من المؤمنين به ، وأنهم كانوا جديرين حقًّا بالثقة الغالية التى وضعها فيهم ليكونوا هم أوائل الذين يحملون الأمانة التى تركها لهم ووضعها فى أعناقهم ، وهى التبشير به فى كل أنحاء الأرض ، واجتذاب النفوس من كل الأمم إلى حظيرته لتنال بالإيمان به الحياة الأبدية التى وَعَد بها كل الذين يؤمنون به بصفته قدّوس الله المسيح ابن الله الحى . على أنه فى قوله لتلاميذه الأخصَّاء ، وهم الاثنا عشر « ألعلكم أنتم أيضًا تريدون أن تمضوا » يبدو واضحًا إصراره له المجد على أقواله الخاصة بسِرِّ التناول ، وأن جسده هو الطعام الحق ودمه هو الشراب الحق ، وأن من يأكل جسده ويشرب دمه يحيا إلى الأبد ، وأن من لا يأكل جسده ويشرب دمه بالمعنى الحقيقى لا المجازى ليس له حياة فى نفسه . وإلاَّ فلماذا

ترك الربّ يسوع عددًا كبيرًا من أتباعه ينكصون على أعقابهم ولا يعودون يمشون معه بعد أن اعترضوا عليه قائلين : « كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لنأكله » (٦ : ٥٢) . فيجيبهم بإصرارٍ قائلا « الحق الحق أقول لكم : مالم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فلن تكون لكم حياة فى أنفسكم .. لأن جسدى هو طعام حـقاً ودمى هو شراب حـقاً » . لقد كان من الممكن لو أنهم فهموا على غير ماقصد أن يراجع قوله شارحًا بعبارات أخرى يتفادى بها فهمهم الحَرف لمنطوق كلماته . ومع ذلك لم يتراجع ولم يتنازل عن قوله مُصِرًّا عليه كل الإصرار ، وهو الذى جاء ليخلِّص لا لِيُهْلِك ، وليجمع لا ليبدِّد . بل زاد على قوله أن وجَّه إلى تلاميذه الاثنى عشر قوله : « ألعلكم أنتم أيضًا تريدون أن تمضوا ؟ » أى أنه سيبقى عند قوله مصرًّا عليه حتى لو ذهب عنه تلاميذه الأخصَّاء الاثنا عَشَر . وهذا تعبير يبدو فيه واضحًا ثباته على موقفه ، وبالتالى أنَّ كل ماقاله خاصًّا بسرِّ التناول ينبغى لمن يريد أن يكون من أتباعه أن يفهمه على حقيقته فهمًا حرْفيًّا ، لا مجال فيه لمجازٍ أو تورية .

وحين سمع مخلِّصنا إجابة تلاميذه على لسان بطرس قال لهم : « ألم أكن أنا الذى اخترتكم أنتم الاثنى عشر ؟ » مما يدل على أن إيمانهم به كان ناتجًا عن أن الله قد أنار عقولهم وأودع فى قلوبهم هذا الإيمان ، ومِنْ ثَمَّ اختارهم مخلِّصنا ليكونوا تلاميذه وأقربَ الناس إليه وخلفاءه فى التبشير بكلمة الخلاص التى جاء بها له المجد إلى العالم . وقد كان يعلم كُلَّ ما فى قلب كل واحد منهم ، كما كان يعلم منذ الابتداء أن واحدًا منهم سيسيطر عليه إبليس فى نهاية الأمر ، ويدفعه إلى خيانته وتسليمه إلى أعدائه ليقتلوه . ولذلك ختم كلامه إليهم قائلاً « وواحد منكم لإبليس » . وكان يعلم من هو ذلك الواحد بالذات من بين تلاميذه الاثنى عشَر ، وهو يهوذا بن سمعان الأسخريوطى ، لأنه كان هو الذى سيغويه إبليس بأن يسلمه ، فخضع لغوايته بالفعل ، وسلّمه أخيرًا لأعدائه من اليهود .

الفصل السابع

<u>٧ : ١ – ١٣</u>

وأخذ فادينا بعد ذلك يجول فى أنحاء إقليم الجليل (يوحنا ٤ : ٣) ؛ (٦ : ١) . ولم يشأ أن يجول فى إقليم اليهودية الذى عاصمته أورشليم ، لأن زعماء اليهود فى ذلك الإقليم ولا سيمًا رؤساء الكهنة والكَتَبَة والفَريسيين والصَّدوقيين وأمثالهم كانوا يبتغون قتله (يوحنا ٥ : ١٦و١٨) ؛ (٧ : ١٩) ؛ (٨ : ٣٧و٤٠) ؛ (١١ : ٥٣) . ولما كان ثمة موعد محدَّد فى الترتيب الإلهى لموته على الصليب فِداء للبَشَر لمغفرة خطاياهم ، ولم يكن هذا الموعد قد حَلَّ بعد ، فإنه لم يشَأ أن يتعرض للموت قبل حلول ذلك الموعد ، حتى اقترب عيد المظالّ (اللاويين ٢٣ : ٣٤و٤٢و٤٣) ؛ (التثنية ١٦ : ١٣و١٦) ؛ (زكريًا ١٤ : ١٦– ١٩) ، وهو آخر عيد من الأعياد السنوية الكبرى لليهود ، وكانت الشريعة تقضى بأن يذهب فيه كل رَجل منهم للاحتفال به فى هيكل أورشليم . وكانوا يقيمون فى أثناء احتفالهم به فى مَظَالّ يقيمونها فى ساحات المدينة ، وعلى الجبال المجاورة لها ، ليقيموا فيها إحياءً لذكرى إقامة آبائهم فى مظالّ مماثلة ، حين كانوا فى صحراء سيناء . وكان الاحتفال بذلك العيد يستمّر ثمانية أيام . فلما اقترب موعده تكلَّم مع مخلِّصنا إخوته (متى ١٢ : ٤٦) ؛ (مرقس ٣ : ٣١) ؛ (الأعمال ١ : ١٤) وهم فى الحقيقة ليسوا إخوته وإنما أقرباؤه حَسَب الجَسَد ومعارفه ، فلم يكن للمسيح إخوة أشقاء ، لأن أمه كانت عذراء ولم

تتزوج ، وكان اليهود يطلقون على الأقارب والمعارف لقب الإخوة (التكوين ١٣ : ٨) ؛ (٢٩ : ١٥) ؛ (٢ . بطرس ٣ : ١٥) وقد قال هؤلاء له : « ارتحل من هنا وامضِ إلى اليهودية ، حتى يرى تلاميذك أعمالك التى تصنعها . فإنه لا أحد يعمل شيئًا فى الخفية وهو يبتغى أن يكون معروفًا . إن كنت تعمل هذه الأعمال فأظهر نفسك للعالم » ، إذ أن أقرباءه ومعارفه أولئك الذين كان يُقال عنهم إنهم إخوته لم يكونوا هُم أنفسهم يؤمنون به (مرقس ٣ : ٢١) . وذلك غيرة منه وَحَسَدًا له على ما نال من شهرة وتمجيد بين الناس بسبب أقواله وأعماله والمعجزات التى كانت تجرى على يديه ، ومِنْ ثَمَّ كانوا يقصدون فى ما قالوه له أنه إذا كان حقًّا ما يقوله ويعمله ، وإذا كانت المعجزات التى يصنعها حقيقية ، فلا بد أنه يبغى من ورائها الشهرة والمجد لنفسه ، فلا يصح أن يقتصر فى إظهارها – كى يصل إلى هذه الغاية – على أعداد قليلة من الناس فى منطقة الجليل ، وإنما فلينتهز فرصة العيد الذى يتجمع للاحتفال به فى أورشليم أعداد عظيمة من اليهود الآتين من كل أنحاء بلادهم ، فيقول أمامهم ما يقول ويعمل ما يعمل ، حتى يسمع تلاميذه البعيدون من المؤمنين به (يوحنا ٦ : ٦) أقواله ويروا أعماله ، فتزداد شهرته ويتضاعف مجده . وقد كان أقرباؤه غير مخلصين فى ذلك الذى قالوه له ، لأنهم كانوا لا يعنيهم أمره هو ، إذ كانوا يعلمون أن اليهود الذين فى أورشليم يريدون قتله . فلم يكترثوا بهذا الخطر الذى يهدّده ، وإنما كان يعنيهم أمر أنفسهم ، لأنه إذا قتله اليهود يشفى ذلك غليلهم الناشئ عن غيرتهم منه وحقدهم عليه ، وإذا آمن به اليهود فسيجعلونه ملكًا عليهم ، فينال أولئك الأقرباءُ من وراء ذلك منافع لأنفسهم . وقد كان مخلّصنا يعلم بطبيعة الحال خبيئة أنفسهم وما يضمرونه نحوه فى قلوبهم . ومع ذلك أجابهم بكل تسامح ووداعة قائلاً : « إنَّ وقتى لم يأْتِ بعد ، وأما أنتم فوقتكم مهيَّأ فى كل حين . إن العالم لا يمكن أن يبغضكم . أما أنا فيبغضنى لأنى أشهد عليه بأن أعماله شرِّيرة .

فاصعدوا أنتم إلى العيد ، وأما أنا فلن أصعد الآن إلى هذا العيد ، لأن وقتى لم يحن بعد » .

وذلك أنه كان لكل عمل من أعمال مخلِّصنا وقت محدَّد فى التدبير الإلهى ، وينبغى أن يتم فى الوقت المحدَّد له بالدقة . ولم يكن الوقت المحدَّد لذهابه إلى أورشليم قد أتى بعد (يوحنا ٢ : ٤) ؛ (٧ : ٨و٣٠) ؛ (٨ : ٢٠) . وأما هُم فإنهم غير مرتبطين فى أعمالهم بأَىّ وقت محدَّد ، ومن ثم يمكنهم أداءها فى أى وقت يشاءون دون أن يحسبوا حساب شيء . لأنهم إذ كانوا أشرارًا كسائر الناس الذين فى العالم فليس لدى أحد فى العالم أىّ مبرّر لأن يبغضهم من أجله . وأما هو فإن الناس الذين فى العالم يبغضونه (يوحنا ١٥ : ١٨) لأنه يؤنِّبهم علانية على أعمالهم الشّريرة (يوحنا ٣ : ١٩) ، وهم يريدون له الموت . وهو وإن كان لا يخشى الموت لأنه ما جاء إلى العالم إلا ليموت على الصليب إتمامًا لعمل الفداء الذى أخذه على عاتقه (يوحنا ١٢ : ٢٧) إلا أن هذا الموت له وقت محدَّد ينبغى أن يتم فيه ، فهو لا يشاء أن يعطى اليهود فرصةً لأن يقتلوه قبل الوقت المحَّدد لموته . كما أنّ ثَمَّةَ وقتًا محددًا لصعوده إلى أورشليم للاحتفال بعيد المظالّ . فهو لا يشاء أن يصعد إليها قبل ذلك الوقت المحدّد . وأمّا أقرباؤه فليصعدوا الى هُناك فى الوقت الذى يشاءون . وبالفعل قال لهم هذا ومكَث فى الجليل ، حتى إذا حان الوقت المحدَّد لصعوده هو إلى أورشليم ، وكان ذلك بعد أن صعد أقرباؤه . صعد هو أيضًا اليها للاحتفال بالعيد . ولكنه حرص على ألاّ يراه رؤساء اليهود الذين فى أورشليم . فلم يظهر بينهم علانية ، وإنما التزم التّخفِّى ، لئلاَّ يقتلوه قبل الوقت المحدَّد لموته . وأما عامّة اليهود من جموع الشعب الذين كانوا من قبل قد رأوا معجزاته أو سمعوا بها ، فإنهم كانوا يتوقعون مجيئه فى ذلك العيد ويتوقون إلى رؤيته (يوحنا ١١ : ٥٦) . فلما تأخّر ظهوره بينهم أخذوا يبحثون عنه قائلين : « أين هو ؟ » وكان ثمة كثير من التهامس فى شأنه بينهم (يوحنا ٩ :

١٦) ؛ (١٠ : ١٩) . فقد كان بعضهم يقولون « إنه إنسان صالح » (يوحنا ٢١ : ٤٦) ؛ (لوقا ٧ : ١٦) ؛ (يوحنا ٦ : ١٤) ؛ (٧ : ٤٠) ، فى حين كان البعض الآخر يقولون « كلا بل إنه يضلُّ الشعْب » ، على أنه لم يكن أحد يتكلّم علانية عنه خوفًا من رؤساء اليهود الذين كانوا يكرهونه ويحقدون عليه ويضمرون الشّر له (يوحنا ٩ : ٢٢) ؛ (١٢ : ٤٢) ؛ (١٩ : ٣٨) .

٧ : ١٤ – ٣٦

حتى إذا انقضت نصف أيام العيد ، أى أربعة أيام ، صعد مخلّصنا إلى الهيكل ، إذ حان الوقت لأن يُظهر نفسه ، وأخذ يعلّم اليهود ، فكانوا يتعجبون قائلين « كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلّم ؟ » . فقد كان معروفًا لدى اليهود أن مخلّصنا يعمل نجارًا بسيطًا (متى ١٣ : ٥٥) ؛ (مرقس ٦ : ٣) . وأنه لم يتَلقَّ تعليمًا عاليًا كالذى كان يتلقّاه الكتبة والفرِّيسيُّون من علماء الشريعة الذين كانوا يتظاهرون باحتكارهم للعلم بخفايا شريعتهم وأسرارها ، وان كان المؤكّد أنَّ معلّمنا تلقى قدرًا من التعليم يؤهّله لأن يقرأ ويكتب ، فقد التحق بالكُتّاب فى الناصرة على عادة اليهود ، إذ كان الكُتّاب ملحقًا بالمجَمع الذى يتلون فيه صلواتهم فى كل مدينة وقرية ، وذلك بدليل أن مخلّصنا قرأ فصلاً من الشريعة فى مَجْمَع الناصرة ، كما جاء فى الإنجيل للقديس لوقا (لوقا ٤ : ١٦ – ٢١) . وكذلك ورَدَ فى الانجيل للقدّيس يوحنّا أنه كان يعرف الكتابة ، فقدكتب بإصبعه على الأرض (يوحنا ٨ : ٦ – ٨) . كما ورد عنه أنه وهو فى سن الثانية عشرة كان فى الهيكل « جالسا فى حَلقَة العلماء ، يستمع إليهم ويسألهم . وكان كل الذين يسمعونه مشدوهين من علمه وأجوبته » (لوقا ٢ : ٤٦ و٤٧) . وذلك فضلاً عن أنَّ ردوده على أسئلة اليهود ولا سيّما الذين كانوا يريدون أن يأخذوا عليه قولاً يخالف الشريعة ليهلكوه ، كانت تتضمَّن الدليل على معرفته الكاملة بكل

أحكام الشريعة اليهوديَّة بمقتضى علمه الناسوتى وعلمه اللاهوتى معًا وفى وقت واحد ، لأنه هو صاحب تلك الشريعة وواضعها . ومِنْ ثم أجاب معلِّمنا على تساؤل اليهود فى هذا الشأن قائلاً : « إنَّ تعليمى ليس من عندى ، بل من عند الذى أرسلنى . فإن عمل أحد بمشيئة الذى أرسلنى فسيعرف عندئذ إن كان تعليمى من الله ، أم أننى أتكلَّم من عندى وحدى . إنَّ مَن يتكلَّم من عند نفسه وحده ، إنما يبتغى مجد نفسه ، وأما الذى يبتغى مجد الذى أرسله فهو صادق ولا يبتغى ظلمًا » . وذلك أن اليهود على الرغم من كلِّ نبوءات أنبيائهم الذين تنبأوا عن المسيح الآتى بأنه ابن الله ، وأنه متحد بالله اتحادًا تاماً ، وهو كائن فى الآب ، والله الآب كائن فيه ، وأن مايقوله هو مايقوله الله الآب نفسه فى نفس الوقت ، اذ جاء فى سفر التثنية قول الله الآب عن ابنه « أجعل كلامى فى فمه » (التثنية ١٨ : ١٨) ، كانوا لا يعرفون الله إلا بصورة مجرَّدة من كلِّ الحقائق المتعلقة بطبيعته كما وردت فى نبوءات أنبيائهم ، وكما وردت على لسان مخلِّصنا ، ولا يؤمنون إلا بأقوال الله الآب وحده ، ومنْ ثَمَّ أراد مخلصنا أن يساعدهم على فهم هذه الحقيقة ليؤمنوا بحقيقة شخصيته باعتباره ابن الله الذى أرسله لإتمام رسالةٍ دبرتها المحبَّة الإلهية للبشَر من أجل خلاصهم ، وهى أن يفديهم ليحقق لهم هذا الخلاص فقرر لهم أن تعليمه إنما هو تعليم الله الآب المتحد بالله الابن ، والذى أرسل الابن لإنجاز هذه الرسالة . فلئن كان الابن قد قام بالتعليم ، فإن تعليمه كان هو فى نفس الوقت تعليم الله الآب نفسه فى الوقت ذاته ، فإن عمل أحد من اليهود أو غير اليهود بمشيئة الله الآب الذى أرسل الابن (يوحنا٣ : ١١) ؛ (٨ : ٢٨) ؛ (١٢ : ٤٩) ؛ (١٤ : ١ و٢٤) فسيعرف عندئذ أن تعليم الابن هو فى الوقت ذاته تعليم الله الآب نفسه ، وليس تعليم الابن مستقلاً عن تعليم الله الآب . ومن ثم فإنّ الابن لا يشهد لنفسه ، وإنما الذى يشهد له بأنه صادق فيما قال هو أن ماقاله هو فى الوقت ذاته ماقاله الله الآب

الذى هم يؤمنون به . ولكنَّ اليهود لا يؤمنون بذلك لأنهم لا يفهمون شريعتهم التى تلقّوها بواسطة الله الآب من موسى النبى (الخروج ٢٤ : ٣) ؛ (التثنية ٣٣ : ٤) ؛ (يوحنا ١ : ١٧) ؛ (الأعمال ٧ : ٢٨) ، ولا يعملون بمقتضاها ، ولذلك يسعون إلى قتل ذلك الذى تحدَّثت عنه تلك الشريعة بأنه هو ابن الله . ومِنْ ثَمَّ قال لهم مخلِّصنا : « أمَا أعطاكم موسى الشريعة ، ومع ذلك فما من أحد منكم يعمل بالشريعة ؟ لماذا تسعون إلى قتلى ؟ » ومع أنهم كانوا فعلاً يسعون إلى قتله (متى ١٢ : ١٤) ؛ (مرقس ٣ : ٦) ؛ (١١ : ١٨) ؛ (يوحنا ٥ : ١٦-١٨) ؛ (١٠ : ٣١ و ٣٩) ؛ (١١ : ٥٣) ، فقد أنكروا ذلك ، وكانوا فى ردِّهم عليه وقحين كل الوقاحة ، إذ أجابوه قائلين « إنَّ بك شيطانًا . من الذى يسعى إلى قتلك ؟ » فَهُم لم ينكروا أنهم كانوا يسعون إلى قتله فحسب ، وإنما برهنوا بقولهم هذا على جهلهم بحقيقة شخصيته بوصفه المسيح ابن الله الذى ينتظرونه . وتمادوا فى ذلك الإنكار حتى لقد اتهموه بأن معجزاته التى صنعها بينهم ليبرهن لهم بها على أنه هو ابن الله إنما هى ليست من الله ، وإنما من الشيطان (يوحنا ٨ : ٤٨ و٥٢) ؛ (١٠ : ٢٠) ؛ (متى ١١ : ١٨) فأجابهم مخلِّصنا وقال لهم « لقد أتيت عملاً واحدًا فدهشتم كلكم . مِنْ ثَمَّ أعطاكم موسى الختان ، وهو ليس من موسى ، وإنما من الآباء . وأنتم تختنون الإنسان فى السبت ، فإن كان الانسان يُختن فى السبت لئلاَّ تُنقض شريعة موسى ، أفتسخطون علىَّ لأننى شفيت إنسانًا بأكمله فى السبت ؟. لا تحكموا حسب الظاهر ، وإنما احكموا بالحق » . أى أنه صنع معجزة لم يروا هُم غيرها وهى معجزة شفاء العليل عند بركة بيت حسدا ، فدهشوا كلهم لأنه صنع تلك المعجزة فى السبت ، ولاموه على ذلك . بل قدَّموه إلى المحاكمة بدعوى أنه خالفَ أحكام شريعتهم ، فى حين أن لديهم حكم تلك الشريعة نفسها الذى يقضى بختان الطفل فى السبت إن صادف ذلك الموعد اليوم الثامن من مولده

(اللاويين ١٢ : ٣) وتلك هى شريعة الله لم ينزلها على موسى فحسب ، وإنما أنزلها قبله بنحو أربعمائة وثلاثين سنة على الآباء الأولين لليهود (التكوين ١٧ : ١٠) ؛ (غلاطية ٣ : ١٤ و١٧) . فَهُم إذعانًا لتلك الشريعة يختنون الطفل فى اليوم الثامن من مولده ولو صادف ذلك يوم سبت . فإن كانوا يفعلون ذلك فى يوم سبت لئلاَّ ينقضوا شريعة موسى ، أفيسخطون على مخلِّصنا لأنه شَفَى إنسانًا بأكمله فى السبت ؟. إنَّ الختان عمل شرعه الله لليهود ليكون شاهدًا على العهد الذى قطعه مع آبائهم ، وعلى التزامهم بهذا العهد . وهو يحتاج الى عملية جراحية بسيطة لا تلبث أن يتمَّ الشفاء منها فى أيام قليلة ، واليهود يقومون به فى يوم السبت إن اقتضى الأمر ذلك ، على الرغم من وصية الامتناع عن القيام بأى عمل فى يوم السبت . فهل يلومون مخلصنا ساخطين عليه لأنه شَفَى إنسانًا بأكمله ، جسَدًا وروحًا ، فى يوم السبت ؟ (يوحنا ٥ : ٨ و٩ و١٦) . إن هذا مخالف للمنطق والتفكير السليم . ولا يمكن أن يكون ناتجًا إلا عن أن اليهود كانوا يستهينون بالسيد المسيح ويستخِفُّون به ، لبساطة مظهره ، إذ كان نجارًا متواضعًا وديعًا بسيط الثياب ، لا يرتدى ملابس الملوك ولا يضع على رأسه تيجانهم ، فى حين أنهم كانوا يتوقعون – حَسَب فهمهم الخاطىء لشخصية المسيح الذى ينتظرونه – مجىء ملك تحيط به كل المظاهر الفخمة والضخمة للملوك . وذلك فضلاً عن أنهم كانوا يقيمون حتى لمظهر الأشخاص العاديين من غير الملوك وزنًا كبيرًا .ومِنْ ثمَّ كان رؤساؤهم وفقهاؤهم الكتَبَة والفَّريسيُّون يظهرون أمامهم بالثياب الضافية البرّاقة لينالوا احترامهم وتبجيلهم وإجلالهم ، ولو كانوا فى الحقيقة أبعد الناس عن استحقاق الاحترام والتبجيل والإجلال . ومِنْ ثمَّ أوصاهم مُخلِّصنا قائلاً : « لا تحكموا حَسَب الظاهر. وإنما احكموا بالحق » . لأنهم إن حكموا بالحق ، ولم يحاسبوا مخلِّصنا على حَسَبِ مظهره الإنسانى البسيط ، وإنما على مقتضى أعماله الإلهية العظيمة ، لا يعودوا بعد ذلك يستهينون

أو يستخفُّون به أو يسخطون عليه أو يحاكمونه من أجل عمل صالح قام به فى يوم السبت . بل على العكس يكبِرونَه ويعُظِّمونه ويؤمنون بحقيقة شخصيته ، لا كمجرَّد إنسان ، وإنما لأنه يملك القدرة الإلهية التى بها ، وبها وحدها ، يصنع كل معجزاته . (اللاويين ١٩ : ١٥) ؛ (التثنية ١ : ١٦-١٧) ؛ (الأمثال ٢٤ : ٢٣) ؛ (اشعياء ١١ : ٣) ؛ (زكريَّا ٧ : ٩) ؛ (يوحنا ٨ : ١٥) ؛ يعقوب ٢ : ١) .

فلما سمع اليهود تلك العبارات من مخلِّصنا بدأ تفكيرهم يتبلبل من جهته ، ولا سيما أهل أورشليم ، الذين كانوا خاضعين وخانعين لتفكير وتدبير رؤساء الكهنة وغيرهم من أصحاب المناصب العليا فى تلك المدينة ، وخصوصًا أعضاء السنهدريم . ومِنْ ثَمَّ قالوا : « أَلَيْس هذا هو الذى يبتغون قتله ، وهوذا يتكلَّم علانية ، ولا يقولون له شيئًا . فهل أيقن الرؤساء أنَّ هذا هو المسيح ؟ إلا أنّ هذا قد عرفنا من أين هو ، وأما المسيح متى جاء فسوف لا يعرف أحَدَ من أين هو » . وقد برهنوا بذلك على جهلهم حتى بأقوال كتبهم المقدَّسة التى تتضَمَّن نبوءات صريحة بأن المسيح الذى ينتظره اليهود سيولد فى بيت لحم (ميخا ٥ : ٢) ؛ (مرقس ٢ : ٥) من عذراء (إشعياء ٧ : ١٤) ، وسيعيش فى الناصرة لأنه سَيدعى ناصريًّا (متى ٢ : ٢٣) . فكيف يقولون إنه متى جاء فسوف لا يعرف أحد من أين هو؟!

وقد ضاعف من بلبلة فكر يهود أورشليم بشأن مخلِّصنا أن رؤساءهم تركوه يتكلَّم علانية فى هيكل أورشليم ذاته ، فى حين أنهم سبق أن أضمروا قتله وطفقوا يبحثون عنه لتنفيذ ذلك الذى أضمروه له ، ومنْ ثَمَّ راح أولئك اليهود يتساءلون فيما بينهم عَمَّا إذا كان رؤساؤهم أنفسهم قد أيقنوا أن هذا هو المسيح الذى ينتظرونه (يوحنا٣ : ١) ؛(٧ : ٤٨). بيد أنهم كانوا مخطئين فى ذلك الظن أيضًا ، لأن رؤساءهم لم يكونوا قد تركوا مخلِّصنا يتكلَّم علانية لأنهم

اعترفوا بأنه هو المسيح ، وإنما لأنهم خافوا أن يقبضوا عليه ويقتلوه علانية لئلاً يثور عليهم أولئك الذين آمنوا به ويفتكوا بهم (لوقا ٢٠ : ١٩) . ومنْ ثَمَّ فتَدّ مخلّصنا مزاعمهم تلك ولا سيَّما قولهم إنهم قد عرفوا من أين هو في حين أن المسيح متى جاء سوف لا يعرف أحد من أين هو ، إذ رفع صوته في الهيكل وهو يُعلِّم قائلاً : « إنكم تعرفونني ، وتعرفون من أين أتيت ، وأنا لم آتِ من نفسي وحدي ، وإنما أرسلني ذلك الذي هو حق ، وأنتم لا تعرفونه . أما أنا فأعرفه ، لأني منه ، وهو الذي أرسلني » . أي أنهم وإن كانوا يعرفونه بوصفه ذلك النجَّار البسيط ، يعرفون أنه جاء من الناصرة حيث كان يعيش مع أمه التي كانوا يعرفونها هي أيضًا (متى ١٣ : ٥٥) ؛ (مرقس ٦ : ٣) ؛ (لوقا ٤ : ٢٢) ؛ (يوحنا ٨ : ١٤) ؛ (٦ : ٤٢) فإن معرفتهم هذه لاتدلّ إلا على معرفته من حيث ناسوته . وأما مِن حيث لاهوته فإنهم كان ينبغي أن يعرفوا من نبوءات أنبيائهم أنه هو ابن الله الذي أتى من السماء ، وأنه لم يأتِ بمشورته وحده باعتباره أقنوم ابن الله ، وإنما بالمشورة المشتركة التي تمت بينه وبين أبيه الذي هو أقنوم الله الآب المتحد به والذي أرسله (يوحنا ٥ : ٤٣) ؛ (٨ : ٤٢) ، ذلك الآب الذي هو حق (يوحنا ٨ : ٢٦) ؛ (روما ٣ : ٤) ؛ (يوحنا ٥ : ٣٢) ، والذي إن كانوا هم لا يعرفونه على حقيقته (يوحنا ٨ : ١٩و٥٥) ؛ (١٥ : ٢١) ؛ (٣:١٦)،(١٧ : ٢٥) ؛ (متى ١١ : ٢٧) فإنه هو يعرفه (متى ١١ : ٢٧) ؛ (يوحنا ٨ : ٥٥) ؛ (١٠ : ١٥) ؛ (١٧ : ٢٥) لأنه منه (يوحنا ٦ : ٤٦) . ولأنه في اتحاد كامل معه ، فهو يعرفه معرفته لنفسه ، ويعرفه المعرفة العيانية المباشرة ، المعرفة الذاتية ، التي لا يعرفها أحد آخر غيره ، ويعرف أنه هو الذي – بناء على المشورة المتحدة بينهما – أرسله للقيام بعمل الفداء من أجل خلاص البشَر إتمامًا للتدبير الإلهي ، وبمقتضى الرحمة الإلهية التي اقتضتها محبَّة الله لخليقته .

وإذ قال مخلصّنا إنه من الله ، أى فى كينونة واحدة مع الله الآب ، مساويًا بذلك نفسه به ، أراد اليهود عندئذ أن يقبضوا عليه ليقتلوه ، (متّى ٢١ : ٤٦) ، (مرقس ١١ : ١٨) ، (١٢ : ١٢) ، (لوقا ٢٠ : ١٩) ، (١٩ : ٤٧) ، (يوحنا ٧ : ١) ، (٥ : ١٦ ، ١٨) ، (٨ : ٣٧ ، ٤٠) بدعوى أنه جدَّف على الله وأهانه ، ولكن يد الله قد شلّت أيديهم عن أن يفعلوا هذا فى ذلك الحين ، لأن الساعة التى كانت محددة فى التدبير الإلهى لموت مخلِّصنا لم تكن قد جاءت بعد (يوحنا ٧ : ٤٤) ؛ (٨ : ٢٠) ؛ (١٠ : ٣٩) بيد أنه على الرغم مما اضمره له أولئك اليهود الأشرار ، فقد آمن به فى تلك اللحظة كثيرون من الجمع الذين كانوا يحتفلون بالعيد فى أورشليم ، والذين سمعوا هذه الأقوال الإلهية التى صدرت عنه ، قائلين « ألعَل المسيح متى جاء يصنع معجزات أكثر من تلك التى صنعها هذا ؟ » (انظر يوحنا ٢ : ٢٣) ؛ (٨ : ٣٠) ؛ (١٠ : ٤٢) ؛ (١١ : ٤٥) ؛ (١٢ : ١١و٤٢) ونفهم من ذلك أنهم آمنوا بأنه هو المسيح ، متأثرين بالمعجزات التى كان قد صنعها أمامهم (يوحنا ٢ : ١١) ، فضلا عن الأقوال التى سمعوها منه ، والتى سحرتهم وبهرتهم ودخلت إلى صميم قلوبهم . إلا أنَّ الفريسيين المترمتين المتغطرسين الذين كانوا يخشون أن يغطى مجد مخلِّصنا على مكانتهم لدى اليهود ، سمعوا الجمع يتهامسون بذلك فى شأنه ، فاحتدموا غيظًا منه وحقدًا عليه هُمْ وشركاؤهم فى السؤدد والسلطان وهُم رؤساء الكهنة ، وأرسلوا خدمًا ليقبضوا عليه ليقتلوه . فقال مخلِّصنا : « أنا باق معكم زمانًا يسيرًا ثم أمضى إلى الذى أرسلنى . عندئذ ستطلبوننى فلا تجدوننى ، وحيث أكون أنا لن تستطيعوا أنتم أن تأتوا » . أى أنه إن كره الفَريسيّون ورؤساء الكهنة وجوده بينهم ، خوفًا على أنفسهم ، فلينزعوا من نفوسهم كراهيتهم له وخوفهم منه ، لأنه لن يبقى معهم طويلاً ، وإنما أيامًا قليلة يمضى بعدها إلى الآب الذى أرسله (يوحنا ١٢ : ٣٥) ؛ (١٣ : ٣٣) ؛ (١٤ : ١٩) ؛ (١٦ : ١٦ –

١٩) ؛ (يوحنا ١٤ : ١٢) ؛ (١٦ : ٥و١٠و١٧) ؛ (٢٠ : ١٧) . وذلك بعد أن يتمِّم عمل الفداء الذى جاء من أجله إلى العالم . وعندئذ سيظلون فى انتظار المسيح الذى ينتظرونه فلا يجىء إليهم فى أثناء حياتهم على الأرض . لأنه قد جاء إليهم بالفعل فأنكروه . وإذ سيكون هو على عرش لاهوته فى ملكوت السماوات فلن يستطيعوا أن يأتوا إليه بعد موتهم (يوحنا ٨ : ٢١) ؛ (١٣ : ٣٣) ؛ (هوشع ٥ : ٦) . لأنهم أشرار قد رفضوه فرفضهم ، ولم يؤمنوا به فأصبح مصيرهم المحتوم هو الموت الأبدى . وإذ قال مخلصنا ذلك قال اليهود فيما بينهم : « إلى أين يزمع هذا أن يذهب حتى إننا لن نجده ؟ أَلَعلَّه مزمع ان يذهب إلى شتات اليونانيين ، ويعلِّم اليونانيين ؟ ماهذا الكلام الذى يقوله : ستطلبوننى فلا تجدوننى ، وحيث أكون أنا لن تستطيعوا أنتم أن تأتوا ؟ » . وقد برهنوا بذلك على غبائهم أو تغابيهم . إذ تساءلوا فى هزءٍ وسخرية إلى أين هو مزمع أن يذهب ، مع أنه قال لهم فى عبارته نفسها إنه سيذهب إلى الذى أرسله ، ثم تمادوا فى هزئهم وسخريتهم . فتساءلوا عما إذا كان سيترك اليهود الذين كانوا يتفاخرون بأنهم هُمْ وحدهم شعب الله المختار دون سائر الشعوب ويذهب إلى اليونانيين الوثنيين (يعقوب ١ : ١) ؛ (١ . بطرس ١ : ١) الذين هم موضع احتقارهم وازدرائهم كى يعلِّمهم ، معبِّرين بذلك عن جهلهم أيضًا بحقيقة شخصية المسيح الذى ينتظرونه ، لأن نبوءات أنبيائهم كانت تشير صراحة إلى أن المسيح حين يجىء سيكون معلِّمًا لا لليهود وحدهم وإنما لكل شعوب الأرض ، بغير تمييز بين يهودى ووثنى ، لأنه سيجىء من أجل خلاص البشَر جميعًا فى كلِّ زمان ومكان . ثم طفق أولئك العميان البصر والبصيرة يتهكمون على قوله : « ستطلبوننى فلا تجدوننى ، وحيث أكون أنا لن تستطيعوا أنتم أن تأتوا » ، غير مدركين ما فى هذا القول من إشارة إلى المصير الرهيب الذى ينتظرهم ، إذ أنهم بعد موتهم سيتحققون فى عالم الأرواح أنَّ هذ الذى هزءوا به وسخروا منه

وأهانوه إنما هو المسيح الحقيق الذى جاءهم فتنكّروا له وأنكروه ورفضوه . وعندئذ سيسعون فى طلب رؤيته . ولكنهم سيكونون قد نالوا جزاء رفضهم له فاستقرت أرواحهم فى الجحيم وعندئذ يستحيل عليهم أن يأتوا إليه أو يروه وهو جالس على عرشه فى ملكوت السماوات ، حيث لا يستطيع أن يأتى إليه أو يراه إلا الذين آمنوا به فاستحقوا الحياة الأبديَّة فى دار النعيم .

٧ : ٣٧ - ٤٤

وفى اليوم الأخير العظيم وهو اليوم الثامن من ذلك العيد وهو عيد المظالّ (اللاويين ٢٣ : ٣٦) ؛ (العدد ٢٩ : ٣٥) ؛ (نحميا ٨ : ١٨) الذى يحتشد فيه أكبر عدد من اليهود فى هيكل أورشليم كى يقيموا أعظم الاحتفالات المقدّسة لديهم قبل عودتهم إلى بلادهم ، وقف مُخَلِّصنا وصاح بأعلى صوته كى يسمعه الجميع ، مناديًا بدعوة الإنجيل قائلا « إن عطش أحد فليأت إلىَّ ويشرب . مَن آمن بى فكما قال الكتاب ستجرى من باطنه أنهار ماء حىّ » . وكانت عادة اليهود قد جرت على أنهم فى اليوم الأخير من عيد المظال يقيمون احتفالاً عظيمًا يسمونه « سكْب الماء » ، وكانوا يأتون فيه بإناء ذهبى ويملؤونه ماء من بركة سلوام ويجيئون به من تلك البركة فى مهرجان عظيم تعلو فيه أصوات التراتيل وينطلق هتاف البوق حتى إذا بلغوا الهيكل يصعدون إلى المذبح ويسكبه رؤساء الكهنة أمام الربّ فى بهجة عظيمة وترنيم وتسبيح (إشعياء ٤٤ : ٣) ؛ (٥٥ : ١) ؛ (٥٨ : ١١) . ويبدو أن مخَلِّصنا قد صَاح بعبارته تلك فى أثناء ذلك الاحتفال ، كى يوضِّح لليهود أن ذلك الماء الأرضى الذى يسكبونه أمام الربِّ ليس إلا رمزًا للماء السمائى الحى الدائم الجريان والانسكاب على المؤمنين . فإن عطش أحد من البَشر جميعًا إلى الإيمان الحقيقىّ أو كان يعانى أى نوع من الألم الذى يشبه ألم العطشان ، فليأت إلى مخلِّصنا ويؤمن به فيشرب من هذا الماء الذى

فيه الخلاص من كلِّ خطيئة (يوحنا ٦ : ٣٥) ؛ (الرؤيا ٢٢ : ١٧) ، كما أنَّ فيه الخلاص من كُلِّ آلام الحياة وضيقاتها ، لأن من يؤمن به تنطبق عليه أقوال أنبياء العهد القديم من الكتاب المقدَّس ، إذ تجرى من باطنه أنهار ماء حى (الأمثال ١٨ : ٤) ؛ (إشعياء ١٢ : ٣) ؛ (حزقيال ٤٧ : ١-٢) ؛ (زكريّا ١٤ : ٨) ؛ (يوحنا ٤ : ١٠) . ومثال ذلك ماجاء فى نبوءات إشعياء النبى إد يقول إن المؤمن يصير « كنبع مياه لا تنقطع مياهه » (إشعياء ٥٨ : ١١) . وإنه يصير « بئر ماء حيَّة » (إشعياء ٤ : ١٥) وإن الله يجعل « الأرض اليابسة مَفَاجِرَ مياه » (إشعياء ٤١ : ١٨) وإنه يجعل « فى القفر أنهارًا » (إشعياء ٤٣ : ١٩) . ويقول القديس يوحنا كاتب هذه البشارة عندما ذكَر تلك العبارة التى صاح بها معلِّمنا أنه إنما قال هذا عن الروح القدس الذى كان المؤمنون به عتيدين أن ينالوه (إشعياء ٤٤ : ٣) ؛ (يوئيل ٢ : ٢٨) ؛ (يوحنا ١ : ٣٣) ؛ (١٦ : ٧) . لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطى بعد ، إذ لم يكن مخلِّصنا قد تمجَّد بعد ، أى لم يكن قد أظهر مجده بعد بقيامته من بين الأموات ثم صعوده إلى السماء فإنَّ الروح القدس لم ينسكب على المؤمنين إلا بعد ذلك (الأعمال ١ : ٤) ؛ (٢ : ٤و١٧و٣٣و٣٨) ؛ (١٩ : ٢٠) ؛ (يوحنا ٢٠ : ٢٢) . وقد استخدم مخلِّصنا نفسه هذا التعبير حين قال قبل فترة قصيرة من موته على الصليب « قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان » (يوحنا ١٢ : ٢٣و٢٦) . ومِنْ ثَمَّ رمَز مخلِّصنا إلى الروح القدس بالماء الحى الدائم الانسكاب والتدفق على المؤمنين بكل مايحويه من بركات ومواهب ينالونها (يوحنا ١٦ : ٧) ويمتلئون بها فلا تلبث أن تنساب وتتدفق منهم فى صورة أخلاق نبيلة وأعمال صالحة وثمار طيبة تؤهِّلهم للحياة الأبدية فى ملكوت السماوات .

فحين سمع ذلك الكلام قوم من الجمع بهرهم وسحرهم ونَفَذ إلى أعماق قلوبهم فقالوا عن مخلِّصنا : « هذا بالحقيقة هو النبى » . وكانوا يقصدون بذلك

النبي الذى تنبأ موسى لآباء بنى إسرائيل بأنه سيجىء ، إذ قال لهم « يقيم لك الرب إلهك نبيًّا من وسطك مثلى » (التثنية ١٨ : ١٥) ؛ (يوحنا ١ : ٢١) ؛ (٦ : ١٤) . ولقب النبي كان يشير فى الحقيقة إلى المسيح المنتظر ، إذ أن النبوءة هى إحدى وظائفه ، فالمسيح من حيث ناسوته ، أى إنسانيته ، نبىّ وملك وكاهن . والنبىّ هو من ينبئ بإرادة الله ويخبر عنه . وقد قال الإنجيل « الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه » (يوحنا ١ : ١٨) . بيد أن لقب النبىّ أكثر تعميمًا من لقب المسيح المحدَّد كما ذكرته النبوءات . فقد قال آخرون ممن استمعوا إلى أقوال مخلِّصنا عندئذ فى الهيكل « هذا هوالمسيح » ، أى هذا هو بالذات الذى ينتظره اليهود ليخلِّصهم وفق نبوءات أنبيائهم (يوحنا ٤ : ٢٥و٢٦و٤٢) ؛ (٦ : ٦٩) . بيد أن بعض الحاضرين من غير هؤلاء أبدوا ريبتهم فى أن يكون هذا هو المسيح ، قائلين « العلَّ المسيح من الجليل يأتى ؟ ألم يَقُل الكتاب إنه من نسل داود ومن قرية بيت لحم التى منها كان داود يأتى المسيح ؟ » . وقد اعتمد هؤلاء فى ريبتهم تلك على معلومات خاطئة من جانبهم ، وعلى تفسير خاطىء للنبوءات (يوحنا ١ : ٤٦) ؛ (٧ : ٥٢) . كما تلقّوه من الكتبة والفريسيِّين الذين وصفهم معلِّمنا بأنهم عميان قادة عميان ، لأنهم لو كانوا سألوا أحد تلاميذ مخلِّصنا أو سألوا مخلِّصنا نفسه عن نَسَبه حَسَبَ الجَسَد لعلموا فعلاً أنه من نسل داود (المزمور ١٣١ : ١١) ؛ (إرميا ٢٣ : ٥) ؛ (متى ١ : ١) ؛ (لوقا ١ : ٣٢و٦٩) ؛ (الأعمال ١٣ : ٢٣) ؛ (روما ١ : ٣) ؛ (الرؤيا ٢٢ : ١٦) . ولو سألوا أحد تلاميذه عن موضع ولادته لعلموا أن ميلاده كان بالفعل فى بيت لحم ، مدينة داود (١ . صموئيل ١٦ : ١و٤) التى ذكر ميخا النبى أنَّ المسيح الذى ينتظره اليهود سيولد فيها (ميخا ٥ : ٢) ؛ (متى ٢ : ٥) ؛ (لوقا ٢ : ٤) . ولو كانوا هُمْ أو معلِّموهم من الكتَبة والفرِّيسيِّين على علم بكل نبوءات العهد

القديم لعلموا منها أنَّ المسيح الذى ينتظرونه سينشأ فى مدينة من مدن الجليل وهى الناصرة ، كما ذكر ذلك القديس متى إذ يقول فى بشارته إنه « سكَن فى مدينةٍ تُدعى الناصرة ، ليتمَّ ماقيل بالأنبياء إنه سيُدعَى ناصريًّا » (متى ٢ : ٢٣) . وكما سبق أن تنبأ إشعياء النبّى عن ظهور المسيح المنتظر فى أرض الجليل ، إذ يقول عن تلك الأرض التى كانت من نصيب سبْطَى زبولون وتفتالى : « أرض زبولون وأرض نفتالى .. طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم . الشعب السالك فى الظلمة أبصر نورًا عظيمًا . الجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور » (إشعياء ٩ : ١) ؛ (متى ٤ : ١٢ - ١٦) . ومِن ثَمَّ حدث انشقاق بين الجمع المحتشد فى الهيكل فى شأن مخلِّصنا (يوحنا ٦ : ٥٢)؛ (٧ : ١٢) ؛ (٩ : ١٦) ؛ (١٠ : ١٩) . وعلى الرغم من أن قومًا منهم آمنوا بأن هذا هو المسيح الذى ينتظرونه من قديم الزمان . فإنَّ قومًا آخرين منهم عادوه وعاندوه وأرادوا أن يقبضوا عليه ليقتلوه (يوحنا ٧ : ٣٠) . ولكنَّ أحدًا لم يلق عليه يدًا ، لأنّ قوة غير منظورة أخفته عن أعينهم ، إذ أنَّ ساعة موته لم تكن فى التدبير الإلهى قد أتت بعد ، وقد كان ينبغى أن يكون موته فى لحظة محدَّدة تحديدًا دقيقًا بمقتضى المشيئة المشتركة بين الله الآب والله الابن ، بحيث لا يتمّ ذلك الموت قبل تلك اللحظة بلحظة . أو بعدها بلحظة .

٧ : ٤٥ - ٥٣

وكان رؤساء الكهنة والفرِّيسيون قد أرسلوا جندهم (يوحنا ٧ : ٣٢) ليقبضوا على مخلِّصنا ويقتلوه بعيدًا عن أعين جموع الشعب التى التفَّت حوله وآمن عدد كبير منها به ، مما أثار الغيرة والحقد فى قلوب أولئك الذين يعدّون أنفسهم رؤساء اليهود وفقهاءهم ، والذين أحنقهم وأغاظهم أن يمجد الشعب مخلِّصنا بدلاً من أن يمجدهم . فقرروا قتله والخلاص منه ، كى يظلوا محتفظين بما

يتمتعون به لدى الشعب من مجد وسلطان ومناصب ومكاسب . غير أنَّ الجند عادوا إليهم دون أن يقبضوا عليه ، فقال هؤلاء لهم : « لماذا لم تأتوا به ؟ » . فأجاب الجند : « ماتكلَّم إنسان قط بمثل مايتكلَّم به هذا الإنسان» ، مما يدلُّ على أنهم حين ذهبوا إليه وجدوه يعلِّم الجموع ، واستمعوا إلى تعاليمه الإلهية الرائعة ، وإلى عباراته السمائية السامية ، البديعة التركيب العميقة المعنى ، التى كان ينطق بها فى رقّة وفى عظمة معًا ، وفى وداعة وهيبة مجتمعين ، فنفذت فورًا إلى أعماق قلوبهم وبهرتهم وسحرتهم ، لأنهم لم يكونوا قد سمعوا من قبل إنسانًا قط يتكلَّم بمثل هذا السموّ وهذه الروعة ، ومِن ثَمَّ أحبُّوه وهابوه ولم تطاوعهم قلوبهم على أن يتقدموا إليه ويلقوا القبض عليه ، كما أمرهم رؤساؤهم أن يفعلوا . وعلى الرَّغم من علمهم بشراسة أولئك الرؤساء وخوفهم مما ينتظرونه على أيديهم من عقاب صارم وتعنيف عنيف ، عادوا إليهم دون أن يقبضوا عليه . ولقد شهد الإنجيل بالانطباع العامّ لدى الشعب كلِّه بما كان للمسيح له المجد من سلطان ورهبة وروعة فى تعليمه ، فيقول مثلاً « بهُتت الجموع من تعليمه لأنه كان يعلِّمهم بوصفه صاحب سلطان وليس كالكتبة » (متى ٧ : ٢٨ و ٢٩) . وفعلاً أثار ذلك حنق الفريسيين أَعْدى أعداء مخلِّصنا ، فصرخوا فى وجوه الجند قائلين لهم : « ألعلّكم أنتم أيضًا قد ضللتم ؟ هل آمَنَ به أحد من الرؤساء أو من الفرِّيسيين ؟. ولكنّ هذا الشعب الذى لا يعرف الشريعة شعب ملعون » .

ويدلُّ ذلك على مَدَى ما كان لرؤساء الكهنة والفقهاء من سيطرة على عقول عامة اليهود . فَهُم يوجهونهم فى شئون دينهم وشئون دنياهم على السواء الوجهة التى يريدونها لهم ، والتى تهدف إلى استغلال الشعب لمصلحتهم ، كى يغدق عليهم الاحترام والإجلال ، كما يغدق عليهم قبل ذلك وبعد ذلك العطايا والهدايا والأموال ، ويطيعهم طاعة عمياء . ولما كان الجند من أتباع أولئك الرؤساء والفقهاء الذين يتلقّون عنهم أجورهم ويستمدون الهيبة لدى الشعب من هيبتهم ،

فقد كانوا ينتظرون منهم أن يكونوا أول الممتثلين لتعليماتهم وتعاليمهم ، والخاضعين لتوجيهاتهم ووجهات نظرهم . ولما كان رؤساء الكهنة والفرّيسيّون قد أنكروا مخلّصنا وعاندوه وعادوه وأضمروا الاعتداء عليه بزعم أنه يضلّل الشعب بأقواله وأعماله (يوحنا ٧ : ١٢) ؛ (متّى ٢٧ : ٦٣ و ٦٤) ، حتى اعتقد الشعب أنه هو المسيح المنتظر فقد أغاظهم وأحنقهم أن ينضمّ جندهم إلى عامة الشعب في الإيمان به ، والانبهار بتعاليمه ومعجزاته ، وكان ينبغي عليهم- في نظرهم- أن يتمثلوا بهم في كل مايقولونه ويفعلونه . ولما كان رؤساء الكهنة والفرّيسيّون وهم سادتهم وقادتهم لم يؤمنوا به ، كان على الجند مِنْ ثَمَّ أن يتبعوهم ويتابعوهم وينقادوا إليهم انقيادًا أعمى . فيؤمنوا بمن يؤمن به أولئك وينكرواماينكرونه . فكيف جرؤ الجند على أن يخالفوهم في الرأى ، ويؤمنوا بمن أنكروه هم أنفسهم ؟ لقد أثار ذلك نقمة الفرّيسيين ليس فقط على الجند وإنما على الشعب اليهودى كله ، ذلك الشعب الذى كان خاضعًا لهم خضوعًا تامًّا في كلّ مايقولون ، ومتمثلاً بهم في كل مايفعلون ، حتى إذ جاء مخلصنا فاستدار الشعب وأعطاهم ظهره والتفّ حول ذلك الشابّ الفقير المتواضع وآمن بأنه هو المسيح ابن الله الذى تنبأ بمجيئه أنبياؤهم منذ آلاف السنين ، قال الفرّيسيّون في غيظ وحقد « إن هذا الشعب الذى لا يعرف الشريعة شعب ملعون » . فإذا وصموا الشعب بأنه لا يعرف الشريعة ، فإن هذه الصفة لاصقة بهم هم أنفسهم ، وليس بالشعب الذى أثبت بإيمانه بالمسيح أنه أكثر منهم معرفة بالشريعة ، لأنّ الشريعة وكل أسفار العهد القديم تنبأت بكلّ الملابسات التى تحيط بمجىء المسيح وكلّ الصفات التى يتصف بها وكل الأقوال التى سيقولها وكل الأعمال التى سيعملها وكل الحوادث التى ستؤدى إلى تعذيبه وقتله على خشبة الصليب ، وكل مايعقب ذلك من قيامته وصعوده إلى السماء . ولكن الفرّيسيين أعمتهم شهواتهم الدنيوية عن كل ماجاء في كتبهم المقدسة متعلقًا بالمسيح المنتظر ، فنسوها

أو تناسوها ، حتى إذا جاءهم فعلاً ذلك الذى ينتظرونه محُقِّقًا كل التفاصيل التى قالها أنبياؤهم عنه أنكروه وناصبوه العداء وحاربوه ، حتى قاموا عليه أخيرًا وصلبوه مبرهنين بذلك على أنهم هم الجهلاء بالشريعة ، وليس أولئك الذين آمنوا به من الشعب الذى وصموه بالجهل ووصفوه بأنه « شعب ملعون » . فكانوا بذلك هم الذين يستحقون اللعنة فى نار جهنم . وأما الذين آمنوا به فقد فازوا بالنعمة واستحقوا النعيم فى ملكوت السماوات .

بيد أن نيقوديموس الذى كان واحدًا منهم (يوحنا ٣ : ١ و٤ و٩) . إذ كان عضو السنهدريم ، وهو مجلس الشيوخ اليهودى ، وكان نيقوديموس هذا من بين الرؤساء الذين آمنوا بالمسيح (يوحنا ١٢ : ٤٢ و٤٣) . وكان هو الذى جاء من قبل إلى مخلّصنا ليلاً (يوحنا ٣ : ٢) ؛ (١٩ : ٣٩) . واستفسر منه عن حقيقة تعاليمه . ثم بعد استماعه اليه توطّد إيمانه به . وتصدّى لهم قائلاً : « هل تحكم شريعتنا على أحد مالم تسمع منه أولاً وتعرف ماذا فعل ؟ » . وقد كان هذا هو صوت العقل والعدل . لأن هذا هو بالفعل ما تأمر به الشريعة (الخروج ٢٣ : ١) ؛ (التثنية ١ : ١٧) ؛ (١٧ : ٦ - ١٠) ؛ (١٩ : ١٥) ؛ (الأمثال ١٨ : ١٣) ؛ (الأعمال ٢٣ : ٣) . ومِنْ ثَمَّ أفزعهم هذا الصوت وروّعهم . لأنه صادر عن واحد منهم .ولأنه قول الحق الذى يهدم كل مزاعمهم وافتراءاتهم التى جعلوا من غيرتهم على الشريعة ستارًا لها . وخمارًا يسترون به سخائمهم ودناءاتهم . ومن ثَمَّ ثارت ثائرتهم عليه أكثر مما ثارت على الجند ، وقالوا له فى غيظ « لعلك أنت أيضًا من الجليل ؟ ابحث وانظر ، فإنه لا يقوم نبّى من الجليل » . إذ كان يهود الجليل محتقرين من اليهود المتزمتين لأنهم اختلطوا فى مدنهم ومعاملاتهم بالوثنيين من الأمم الأخرى ، ومِنْ ثَم كانوا يعدّون وصف الشخص بأنه جليلى إهانة له . وقد أحنق أعضاء السنهدريم دفاع زميلهم نيقوديمس عنه ، فأرادوا تجريحه بأن يصفوه بهذا الوصف ويصموه بهذه

الوصمة . وفى سبيل ذلك برهنوا على جهلهم حتى بالشريعة التى يزعمون أنهم علماؤها وفقهاؤها والمتبحرون فيها ، إذ قالوا – لتسفيه مسلك زميلهم – إنه «لا يقوم نبىّ من الجليل» ، معتقدين بذلك أنهم قدموا الدليل القاطع والحجة التى لا سبيل إلى نقضها ، مع أنهم يعرفون جيدًا أو لا يعرفون على الإطلاق أن يونان النبّى قد قام من الجليل ، وأن ناحوم النبى قد قام من الجليل . ولكنهم عموا أو تعاموا عن هذه الحقيقة ، وجهلوها أو تجاهلوها ، وقد طمس الغيظ قلوبهم وذهب الحقد بالبقية من عقولهم . وإذ كانوا يعلمون فى قرارة أنفسهم أنهم يغالطون ، لم ينتظروا إجابة من نيقوديموس . وإنما انصرف كل منهم إلى بيته ، فى انتظار فرصة أخرى تتيح له توجيه تهمة قاتلة إلى مخلّصنا ، يتخلص بها منه ، ويزيحه من طريق مطامعه وشهواته ، كى يظل ينعم بما هو فيه مع زملائه من جاه وسلطان ، ومن وجاهة ومال وملذات يظن انها ستدوم له على مدى الزمان .



الفصل الثامن

٨ : ١ - ١١

أما مخلِّصنا له المجد فمضى إلى جبل الزيتون ، ليقضى بقية النهار والليل فى الصلاة كعادته دائمًا ، لأنه لم تكن له كسائر الناس دار يأوى إليها ، فقد كان فقيرًا أشدّ ما يكون الفقر . ولذلك فقد كانت الجبال هى مأواه ، وكان فيها خير مكان يناجى فيه أباه السماوى ، على انفراد وبعيدًا عن فضول الناس وريائهم وضوضائهم . ثم فى الصباح الباكر عاد إلى الهيكل كى يواصل فيه أداء رسالته التعليمية بوصفه بيت الله الآب وبيته هو ابن الله ، ولأن أعدادًا عظيمة من الذين جاءوا من كل البلاد للاحتفال بالعيد كانوا مجتمعين فيه ، فهى فرصة مباركة لينادى فيهم بتعاليمه قبل أن تنتهى فترة وجوده بينهم على الأرض ويرتفع إلى السماء . ولما كان الشعب كله مشتاقًا لأن يستمع إليه ويتمتع بالكلمات العذبة التى تخرج من فمه فتنفذ إلى أعماق قلوبهم ، فما إن رأوه حتى أقبلوا إليه فى لهفة وتعطش ، فجلس يعلِّمهم ، جلوس المعلِّم صاحب السلطان على القلوب والعقول والأرواح . بيد ان التفافهم حوله أحنق وأغاظ رؤساء الكهنة والكتبة والفرّيسيين ، فأقبلوا إليه هم أيضًا . وقد هيئوا له فخًّا مزدوجًا ليوقعوه فيه . ويتمكنوا من الحكم بالموت عليه ، إذ قَدَّموا إليه امرأة ضبطوها تزنى ، وأقاموها فى الوسط كما يقام المتهم فى وسط ساحة القضاء أمام القاضى ، وقالوا له : « يامعلِّم قد ضبطنا هذه المرأة متلبّسة وهى تزنى . وشريعة موسى تقضى برجمها ، فماذا تقول أنت ؟ » .

فعلى الرّغم مما سبق لهم أن وجهوه إليه من شتائم وإهانات ، واستخفاف وتحقير ، تظاهروا – ليحبكوا مكيدتهم – بأنهم يحترمونه ويبجلونه ويرتضون حكمه ، قائلين له «يامُعلِّم» ، وهو لقب كان مقصورًا فى مجتمعهم على العظماء والرؤساء والمعلِّمين المبجَّلين ، ولكنهم ماقالوا هذا إلا ليحرجوه كى يجدوا ما يتهمونه به ، مغلِّفين بأدبهم المصطنع فى مخاطبته كل مايتصفون به من مكر وخبث ودهاء والتواء ، لأن شريعة موسى التى استشهدوا بها كانت تقضى برجم الزانية ، إذ جاء فى سفر اللاويين « إذا زنى رجل مع امرأة .. فإنه يُقتل الزانى والزانية » (اللاويين ٢٠ : ١٠) . وجاء فى سفر التثنية أن المرأة إذا زنت « يرجمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت » (التثنية ٢٢ : ٢١) . فلو أنَّ مخلِّصنا حَكَم بما يناقض ذلك اتهموه بمخالفة شريعة موسى وقضوا بموته. وإن هو حكم برجم المرأة اتهموه بمخالفة شريعة التسامع والغفران التى نادى هو بها وعدّها شريعته ، ومِن ثَمَّ اتهموه بأنه يضلِّل الشعب ، وقضوا أيضًا بموته . وأما مخلِّصنا فانحنى يخط بأصبعه على الأرض معبرًا بذلك لهم عن إدراكه لمكرهم وخبثهم ودهائهم والتوائهم ، وإذ استبطأوا إجابته ظنوا أنه قد ارتبك ولا يدرى ماذا يقول أوكيف ينجو من ذلك الكمين المُحكم الذى نصبوه ليوقعوه فيه ، فألحوا عليه يستعجلون إجابته التى كانوا واثقين أنها ستكون القاضية عليه . ولكنه فاجأهم مفأجاة اربكتهم وأذهلتهم وأوقعتهم فى شر أعمالهم ، إذ رفع رأسه وقال لهم « من كان منكم بلا خطيئة فليبدأ ويرمها بحجَرٍ» ثم انحنى ثانية يخط على الأرض فى انتظار تصرفهم ، وليمنحهم فرصة يراجعون فيها أنفسهم . ولعله كان يكتب على الأرض خطاياهم واحدًا واحدًا فتبينوا أنهم خطاة وزناة ، وقد ارتكب كل منهم من أعمال الشر والفجور مثلما ارتكبت هذه المرأة ، بل ربما ارتكب ماهو أكثر منها شرًّا وفجورًا ، فأدركوا أنَّ مخلِّصنا يعلم خبايا نفوسهم وأنه إنما يوبِّخهم ويقّرر لهم من خلال عبارته تلك أنه لا يجوز لشرّير أن يحاكم

شريرًا ، ولا لفاجر أن يحكم على فاجر . بل فليترك هذا وذاك المحاكمةَ والحكمَ للصالحين الأبرار ، وفى نهاية الأمر لله الحاكم الديّان وحده ، فلما سمعوا هذا منه وفهموا توبيخه لهم ، أخذوا يخرجون متسلّلين فى خزى وخجل واحدًا فواحدًا ، يتقدمهم الشيوخ الذين حفلت حياتهم الطويلة بقدر أكبر من أعمال الشرّ والفجور ، يتبعهم الشباب الذين لا يزالون فى بداية هذا الطريق الشائن المخزى حتى خرجوا جميعًا بعد أن فشلت مكيدتهم ضد مخلّصنا وأطبق الفخ الذى نصبوه له عليهم هم أنفسهم ، وبقى مخلّصنا وحده ، والمرأة قائمة فى الوسط لم تحاول أن تهرب بعد أن ذَهَبَ كل الشهود الذين قبضوا عليها وشهدوا ضدها . وإنما بهَرتها وأسرتها حكمة ذلك المعلّم السماوى وحلمه ورحمته ، فانقشعت غشاوة الشرّ والشهوة عن عينيها ، ورأت طريق الندم والتوبة مفتوحًا على مصراعيه أمامها ، ومِنْ ثَمَّ انتظرت لتسمع حكم قاضيها الرحيم الذى جاءوا بها إليه . ولم يلبث مخلّصنا أن رفع رأسه وقال لها : « يا امرأة أين أولئك الذين حكموا عليك ؟. أما أدانك أحد ؟ » . قالت « لا أرى أحدًا ياسيدى » ، وهكذا خاطبته فى مَذَلة واحترام عميق ، وهى لا تزال تنتظر حكمه عليها ، موقنة أنه الحكم العادل الذى تستحقه مهما كان هذا الحكم قاسيًا . ولكن فادينا الحبيب قال لها فى سماحة مذهلة ، وتسامح لا يقدر عليه إلا الله القادر وحده : « ولا أنا أدينك . فاذهبى ومن الآن لا تعودى تخطئين » . وبذلك رفض إدانتها ، ليفتح لها باب الندم والتوبة ، كىَ تتطهَّر من إثمها ، ولا تعود تخطىء مرة أخرى ، محققًا بذلك رسالته التى جاء من أجلها إلى العالم . اذ يقول « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب ، بل المرضى ، فما جئت لأدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة » (مرقس ٢ : ١٧) ؛ (لوقا ٥ : ٣١ و٣٢) ؛ (متى ٩ : ١٢ و١٣) . ويقول : « لأن ابن الإنسان لم يأتِ ليهلك نفوس الناس ، بل ليحييها » (لوقا ٩ : ٥٦) ؛ (١٩ : ١٠) ؛ (يوحنا ٣ : ١٧) ؛ (١٢ : ٤٧) . وهنا يبدو

أن مخلِّصنا كشف بوضوح أنه فى مجيئه الأول لا يدين أحدًا . إذ هو جاء ليخلِّص لا ليدين ، إذ قال « لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم ، وإنما ليخلّص به العالم » (يوحنا ٣ : ١٧) ، وقال « وأما أنا فلا أدين أحدًا » (يوحنا ٨ : ١٥) كما قال « وإن سمع أحد كلامى ولم يحفظه فأنا لا أدينه . لأننى ماجئت لأدين العالم ، بل لأخلِّص العالم » (يوحنا ١٢ : ٤٧) . هذا فى المجىء الأول . أما فى المجىء الثانى ، فَلَسوف يدين ، لأنه سيكون هو الديان ، اذ قال له المجد « فإن الآب لا يدين أحدًا وإنما سلَّم القضاء كله للابن ليمجّد الجميع الابن كما يمجّدون الآب » (يوحنا ٥ : ٢٢) . « وقد أعطاه السلطان لأن يدين لأنه ابن الإنسان» (يوحنا ٥ : ٢٧) – وانظر أيضًا (الأعمال ١٠ : ٤٢) ؛ (١٧ : ٣١) ؛ (٢ . تيموثيئوس ٤ : ١) ؛ (١ . بطرس ٤ : ٥) .

٨ : ١٢ – ٢٠

ثم خاطب مخلِّصنا اليهود قائلاً : « أنا هو نور العالم . مَنْ يتبعنى لا يسير فى الظلام وإنما يكون له نور الحياة » . وقد سبق لدانيال النبى أن قال فى نبوءته عنه : « هو يكشف العمائق والأسرار ، ويعلم ماهو فى الظُّلمة ، وعنده يسكن النور » (دانيال ٢ : ٢٢) . وقال سمعان الشيخ عندما أبصره فى طفولته حين دخلت به أمه مريم العذراء فى الهيكل : « الآن أطلق ياسيدى عبدك بسلام وفقا لكلمتك ، فإن عينىّ قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته أمام كل الشعوب . نورًا يتجلى للوثنيين ومجدًا لشعبك إسرائيل » (لوقا ٢ : ٢٨ – ٣٢) . وقال عنه الإنجيل للقديس يوحنا« وكان الكلمة هو الله .. فيه كانت الحياة . والحياة كانت نور الناس ، والنور يضىء فى الظلمة ، والظلمة لم تدركه .. كان النور الحقيق الذى ينير كل إنسان آتيا إلى العالم »(يوحنا ١ : ٢و٤و٥و٩و٨) . وقال مخلِّصنا له المجد عن نفسه : « وهذه هى الدينونة ، أن النور جاء إلى العالم ، وأحبَّ

الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة .. فإن كلّ من يفعل الشر يبغض النور ، ولا يُقبل إلى النور لئلاً تفتضح أعماله الشّريرة وتتوبّخ . وأما من يفعل الحق . فإنه يُقبل إلى النور » (يوحنا ٣ : ١٩ — ٢١) . وقال : « مادمت فى العالم فأنا نور العالم » (يوحنا ٩ : ٥) . وقال فى حديثه مع اليهود « إنّ النور باق فى وسطكم زمانًا يسيرًا ، فسيروا فى النور مادام النور لكم لئلاً يدرككم الظلام .. مادام لكم النور فآمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور .. أنا قد جئت للعالم نورًا حتى إن كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلام » (يوحنا ١٢ : ٣٥و٣٦ و ٤٦). نعم إن المسيح هو نور ، وهو « النور الحقيق » (١ . يوحنا ٢ : ٨) . لأنه بطبيعته الإلهية نور ، وهو خالق النور (التكوين ١ : ٣) ، و « ساكن فى نور لا يُدْنى منه » (٢ . تيموثيئوس ١ : ١٦) . ثم هو « النور الحقيق » ، لأن ماعداه من نور (متى ٥ : ١٤و١٦) مأخوذ ونابع منه . وهو « النور » الذى جاء إلى العالم فأناره بتعليمه وإرشاده . ولذلك فإن الكنيسة وهى جسده (أفسس ٥ : ٢٣) تقام لها « منارة » علامة على أنها « حاملة » النور . أما النور الحقيق فهو المسيح نفسه بطبيعته الإلهية ثم بتعليمه . فطبيعته الإلهية نور ، وتعليمه أيضًا نور . فهو « نور العالم » . ومن يتبعه يهتدى بنوره فلا يسير هائمًا فى الظلام ، فيضلّ الطريق ، ويتخبَّط فى دياجير الحياة ، فسرعان مايسقط فى هاوية الهلاك ، وإنما يكون له نور الحياة الذى هو معرفة الله والسير على هُدى تعاليمه ووصاياه ، مما يؤدى بالإنسان إلى النجاة من شرور الدنيا والتمتع بعد ذلك ببركات الحياة الأبدية فى السماء . وقدكان ينبغى أن يكشف مخلّصنا للناس عن حقيقة ذاته وهو فى أواخر الأيام التى كان مقررًا أن يقضيها بينهم على الأرض ، لتثمر فيهم تعاليمه ويؤمنوا به وبرسالته . ولكن الذين سمعوا قوله من الفرّيسيين أحنقهم ذلك ، ولم يسعفهم منطقهم السقيم وحقدهم الأسود على مخلّصنا إلاّ باعتراضٍ تافه وجهوه اليه ، إذ قالوا له « إنك تشهد لنفسك ،

فشهادتك ليست حقًّا » . وقد نسوا أو تناسوا أنّ موسى الذى هو أعظم أنبيائهم وعليه كل رجائهم قد شهد لنفسه ، إذ قرّر لآبائهم أنه مرسل من الله ، وقد فعل ذلك كل الذين تلوه من الأنبياء مقررين أن الله قد أرسلهم وأنه تكلّم بأفواههم . وقد طلب الفريسيون أنفسهم من يوحنا المعمدان أن يشهد لنفسه ليتحققوا من حقيقة شخصيته ، معتمدين فى ذلك على شهادته . إذ قالوا له « منَ أنت لنعطى جوابًا للذين أرسلونا . ماذا تقول عن نفسك ؟ » (يوحنا ١ : ٢٢) . وإذ كان مخلّصنا مهتمًّا بالفعل بأن يكشف لهم عن حقيقة شخصيته ليؤمنوا به فإن ذلك يكون هو الطريق إلى خلاصهم ، قدّم لهم حججًا قوية تثبت بمالا مجال معه للشك أن شهادته عن نفسه صادقة كلَّ الصِّدق ، إذ قال لهم « إنى وإن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق ، لأنى أعلم من أين جئت وإلى أين أذهب . وأما أنتم فلا تعلمون من أين جئت ولا إلى أين أذهب » . أى أنه عالم كل العلم بحقيقة شخصيته الإلهية ، وموقن كل اليقين بتفاصيل الرسالة التى جاء من أجلها إلى العالم ، لأنه عالِم وموقن كل العلم وكل اليقين أنه ابن الله ، وأنه من عند الله الآب جاء (يوحنا ٨ : ٤٢) ؛ (١٣ : ٣) ؛ (١٦ : ٢٧ و٢٨) وإلى الله الآب يذهب (يوحنا ١٣ : ٣) ؛ (١٦ : ٢٨) ، وأنه إنما جاء لمهمَّة محدّدة هى خلاص البشَر من الهلاك الأبدىّ المحكوم به من العدل الإلهى عليهم ، فهو يتكلّم عن أمور يعلمها علم اليقين . وأما هُم فلا يعلمون عنها شيئًا (يوحنا ٧ : ٢٨) ؛ (٩ : ٢٩) . ولا يستطيعون بتركيبهم البشرى المادى أن يعلموا عنها شيئًا . فهو فى نور وهم فى ظلام . ولئن شهد بتلك الأمور إنما شهادة الذى يرى فى النور ، وأما هُمْ فإن الظلام الذى يكتنفهم يجعلهم لا يرون شيئًا . فما يشهد هو به لا يستطيع أحد غيره أن يشهد به لأنه لا يراه ، ولا يمكنه أن يراه ، ومِنْ ثَمَّ فإن واقع الأمر يجعله هو الشاهد الوحيد وإن شهد لنفسه (يوحنا ١٨ : ٣٧) ؛ (الرؤيا ١ : ٥) ؛ (٣ : ١٤). لأنه لا سبيل إلى شهادة غيره عنه

ولا تعارض بين مايقوله هنا « إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق » ، وبين قوله سابقًا « لو كنت أشهد لنفسى لمَا كانت شهادتى حقًّا » (يوحنا ٥ : ٣١) . لأن المعنى من قوله هذا أنه إن كان يشهد لنفسه وحده ولا يؤيده فى هذه الشهادة أحد آخر ، فإن هذه الشهادة تكون غير صحيحة طبقًا للمبدأ المقرّر فى الشريعة وهو أنه « على فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كلُّ كلمة » (٢ . كورنثوس ١٣ : ٥) ؛ (التثنية ١٧ : ٦) ؛ (١٩ : ١٥) ؛ (متى ١٨ : ١٦) . مؤكدًا بهذا أنه لا يشهد لنفسه وحده ، إنما يشهد له الآب الكائن معه ، وقد شهد له أيضًا يوحنا المعمدان . ثم إن اعماله تشهد له . ولذلك يضيف مخلِّصنا قائلاً « وإنما هناك آخر يشهد لى وأنا أعلم أن شهادته التى يشهد لى بها حق . أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد بالحق .. أما أنا فلى شهادة أعظم من شهادة يوحنا ، لأن الأعمال التى أعطانى أبى لأنجزها ، تلك الأعمال التى أنا أعملها هى نفسها التى تشهد لى بأن الآب قد أرسلنى . والآب نفسه الذى أرسلنى قد شهد لى » (يوحنا ٥ : ٣٢ – ٣٧) . ويقول أيضًا فى نفس الفقرة السابقة « فأنا أشهد لنفسى ، ويشهد لى أبى الذى أرسلنى » (يوحنا ٨ : ١٨) .

ثم قال مخلِّصنا لليهود تأييدًا لما قاله لهم : « أنتم حسب الجسد تدينون ، وأما أنا فلا أدين أحدًا ، وإنى وإن دنت فدينونتى حق ، لأننى لست وحدى ، بل أنا والآب الذى أرسلنى . وقد جاء فى شريعتكم أن شهادة رجلين حق ، فأنا أشهد لنفسى . ويشهد لى أبى الذى أرسلنى » . (يوحنا ٨ : ١٥ و١٦)

فقد حكَم الفريسيون على شخصية مخلِّصنا حسب المظاهر الماديَّة الجسدية له (يوحنا ٧ : ٢٤) ، وحسب المقاييس البشرية الجسدية التى يحكمون بها على البشريات والماديات (١ . صموئيل ١٦ : ٧) . ولما كان مخلِّصنا قد جاء إلى العالم فى صورة إنسان فقير وديع بسيط الملبس متواضع المهنة ، فلم يستطيعوا

بمقاييسهم تلك أن يدركوا أن هذا هو المسيح الذى ينتظرونه ، وأن هذا هو ابن الله الآب ، وأنه هو وأبوه فى وحدة كاملة ، فهو رب المجد ذاته . فى حين أنهم كانوا يتصورون أن المسيح الذى ينتظرونه سيأتيهم فى مجد دنيوى عظيم ، كملك جبَّار وقائد مغوار ، يرتدى ملابس الملوك ويسكن فى قصورهم ويجلس على عروشهم ويقود جحافل جيوشهم ، ليغزو بهم العالم ويجعلهم – على مقتضى غرورهم وجشعهم ومطامعهم – سادة كلِّ الشعوب والأمم . ومِن ثَمَّ هزأوا بمخلِّصنا حين جاء إليهم بهذه الصورة البسيطة كإنسان عادى يرتدى أرخص الثياب ولا يملك مسكنًا ولا يجلس ولا ينام إلا على الأرض ، ولا يقود إلا حفنة من الناس البسطاء الودعاء المتواضعى المهنة مثله ، فهُم لا يحاربون ولا يمتطون الخيل أو يمتشقون السيف أو يخوضون معارك القتال ، وإنما يجوبون المدن والقرى والشوارع والطرقات والحقول والسهول والجبال خلف معلِّمهم فى سلام ومسالمة ومحبة للجميع وخدمة للجميع ، صانعين خيرًا لكل الناس مع معلِّمهم ، فكان من الصعب على أولئك الفرِّيسيين المغطرسين المتعالين المتعاظمين أن يدركوا أن هذا هو الإله خالق السماوات والأرض ومالك السماوات والأرض ، والحاكم العزيز الجبّار لكل ما فى السماوات والأرض ، فحكموا عليه حسب مقاييسهم الدنيوية الأرضية الجسدية ، وحسب هذه المقاييس أدانوه بأنه مضلِّل وغير صادق فى شهادته عن نفسه بأنه نور العالم . وأما هو فلا يدين أحدًا (يوحنا ٣ : ١٧) حسب هذه المقاييس فى أثناء وجوده على الأرض ، لأنه ما جاء – فى هذه المرة – ليدين أحدًا وإنما ليخلِّص الهالكين (يوحنا ١٢ : ٤٧) . وحتى إذا أدان أحدًا فى هذه الأثناء ، أى أصدر عليه حكمًا ، فإنه يحكم بالحق (يوحنا ٥ : ٣٠) . لأنه هو الحق (يوحنا ١٤ : ٦) ؛ (١ : ١٤) ؛ (١٨ : ٣٧) . وهو الإله الحق . فضلاً عن أنه هو الحاكم والديَّان للخليقة كلها فى اليوم الأخير (٢ . كورنثوس ٥ : ١٠) . ولما كان هو الإله العادل والحاكم العادل والديَّان العادل ، فإن

دينونته حق ، لأنها دينونة الله الابن . وهي في الوقت ذاته دينونة الله الآب ، « لأن الآب لا يدين أحدًا وإنما سلّم القضاء كلّه للابن » (يوحنا ٥ : ٢٢) فلئن شهد مخلّصنا لنفسه بأنه هو نور العالم (يوحنا ٩ : ٥) ، إن شهادته هي في الوقت ذاته شهادة الآب الذي أرسله ليتمم عمل الفداء بمشورتهما المشتركة والمتحدة منذ الأزل من أجل خلاص البَشَر . وإذ كان مخلّصنا يستشهد دائمًا بأحكام الشريعة اليهودية ليقنع اليهود بما يقول ، استشهد هنا بحكم من أحكام تلك الشريعة يقضي بأنه ينبغي للحكم كي يكون عادلا أن يستند إلى شهادة شاهدين على الأقل . إذ جاء في سفر التثنية أنه « لا يقوم شاهد واحد على إنسان في ذنب ما أو خطيئَة ما من جميع الخطايا التي يخطيء بها . على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهودٍ يقوم الأمر » (التثنية ١٩ : ١٥) . وقياسًا على هذا الحكم ذكر مخلّصنا أنه يشهد لنفسه ، ويشهد له في الوقت نفسه أبوه الذي أرسله (يوحنا ٥ : ٣٧) . وإذا كانت شهادة الإنسان لنفسه لا تصح في الأمور البشريّة (العبرانيين ١٠ : ٢٨) ، فإنه في الأمور الإلهية ، لا يوجد شاهد يمكن أن يشهد عليها إلا الله وحده ، لأنه هو وحده الذي يعلمها ، ومِنْ ثَمَّ فإن شهادة الله الابن لنفسه تكون صحيحة ولاسيما وأنها تقترن بشهادة الآب الكائن مع الابن في وحدانية كاملة . وقد كان واضحًا مما قال مخلّصنا أنه يقصد بأبيه الله الآب نفسه . ولكنَّ الفرّيسيّين إذ أفحمهم مخلّصنا بهذا المنطق الإلهي المقْنع القاطع المانع لكل مغالطة أو مماحكة ، لم يقتنعوا ، وإنما راحوا يغالطون ويتمحكون ، مبتعدين عن جوهر المناقشة التي خرجوا منها مهزومين وتظاهروا بأنهم لا يعلمون مَن هو أبوه الذي يتحدث عنه فقالوا له « أين أبوك ؟ » .

وقد كانوا يعلمون كلَّ العلم أنه إذا قال إن أباه قد أرسله وشهد له ، فإنما يعني أباه السماوي الذي هو الله الآب نفسه . ولكنهم إذ كانوا ينكرون أنه المسيح ابن الله الذي تنبأ بمجيئه كل أنبيائهم ، اصطنعوا الجهل وسألوه في مغالطة

واضحة عمَّن يكون أبوه ، وأين هو ، باعتباره أبًا أرضيًّا مثل آباء سائر الناس . ليستدعوه كي يشهد له حسب قوله . وإذ أدرك هو أنهم يغالطون ، لم يَشأ أن يذكر لهم صراحة مَنْ هو أبوه وأين هو ، وإنما أخذ يوبِّخهم على جهلهم أو تجاهلهم ، فأجاب قائلاً : « إنكم لا تعرفونني أنا ولا تعرفون أبي . لو كنتم تعرفونني لكنتم تعرفون أبي » ، أي أنهم على الرّغم من ادّعائهم أنهم بصفتهم كما يزعمون شعب الله ، لا يعرفون الله في الحقيقة ، لأنهم لو كانوا يعرفونه لعرفوا ابنه أيضًا حسب نبوءات أنبيائهم عنه . وقد قال لتلاميذه في ليلة آلامه عن اليهود إنهم « لم يعرفوا الآب ولا عرفوني » (يوحنا ١٦ : ٣) ؛ (١٥ : ٢١) ؛ (٨ : ٥٥) . ولو كان اليهود يعرفون ابن الله لعرفوا الله أيضًا ، لأن الله الآب كما يقول بولس الرسول في مقدمة رسالته إلى العبرانيين : « بعد ما كلَّم الآباءَ بالأنبياء قديمًا بأنواع وطرق كثيرة ، كلَّمنا في هذه الأيام في ابنه الذي هو بهاء مجده وصورة جوهره وحامل كلِّ الأشياء بكلمة قدرته بعدما صنع بنفسه تطهيرًا لخطايانا جلَسَ في يمين العظَمة في الأعالي » (العبرانيين ١ : ١ – ٣) . ولأن مَن رأى الابن فقد رأى الآب (يوحنا ١٤ : ٩) . ومَن عَرَف الابن قد عرف الآب . إذ يقول الإنجيل للقديس يوحنا إنَّ مخلِّصنا قال لتلاميذه « لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضًا » ، وحين قال له تلميذه فيلبس « يارب أرنا الآب وكفانا » أجابه قائلا « أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفني بعد يافيلبس ؟ الذي رآني فقد رأى الآب » (يوحنا ١٤ : ٧ – ٩) .

قال مخلِّصنا هذه الكلمات للفرِّيسيين وهو يُعلِّم في رواق الخزانة ، وهو أحد أروقة هيكل أورشليم ، وكانت به الخزانة التي كان اليهود يضعون فيها تقدماتهم من النقود (مرقس ١٢ : ٤١) ، والتي كان رؤساء الكهنة والفرّيسيون يجتمعون حولها عادة ، لأن هدفهم الأكبر كان هو الاستيلاء على تلك النقود . وكانت هي إلههم الحقيقي الذي يعبدونه ، والذي كانوا حريصين على أن يكونوا أقرب

مايكونون إليه . وإذ أحنقتهم تلك الكلمات التى قالها مخلِّصنا مقررًا أنه ابن الله وأن الله أبوه . وكان القول بذلك جريمة فى نظرهم تتضمَّن التجديف على الله وتستوجب الحكم بالموت على مخلِّصنا . فإن أحدًا لم يستطع أن يقبض عليه عندئذ (يوحنا ٧ : ٣٠) . لأن قوة إلهية حجبته عن أعينهم . إذ أن الساعة التى كانت مقرَّرة فى التدبير الإلهى لموته لم تكن قد أتت بعد (يوحنا ٧ : ٨) . وقد كان ينبغى أن يكون موته فى ساعة محدَّدة لا تتقدَّم لحظة ولا تتأخر لحظة ، على مقتضى الحكمة الإلهية السامية والمشيئة الإلهية المقرّرة منذ الأزل .

٨ : ٢١ – ٣٠

وقال مخلِّصنا أيضًا لليهود ورؤسائهم : «إننى سأمضى . وستأخذون تبحثون عنى وتموتون فى خطاياكم . فحيث أمضى أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا » . وكان يعنى كما هو واضح أنه سيرتفع بعد أيام قليلة إلى السماء . وقد سبق له أن قال مثل هذا (يوحنا ٧ : ٣٤) ثم عاد فقاله مرة ثالثة لتلاميذه (يوحنا ١٣ : ٣٣) . وعندئذ سيتحقق المنكِرون له من اليهود أنه هو المسيح ابن الله ، وأنهم قتلوه ظلمًا ، فيروحون يبحثون عنه فلا يجدونه ، لأنه سيرتفع إلى أحضان أبيه السماوى ويصعد إلى السماء التى منها نزل ، حيث لا يستطيعون هم أن يرتفعوا ، لأنهم خطاة . ومِنْ ثَمَّ يموتون فى خطاياهم (يوحنا ٨ : ٢٤) بعد أن فوّتوا على أنفسهم فرصة الخلاص ، بعدم إيمانهم بذلك الذى جاء ليمنحهم الخلاص ، وحاربوه وعذبوه وصلبوه . وحتى إذا غلظت قلوبهم ولم يدركوا أن هذا الذى قتلوه هو المسيح ابن الله ، حتى بعد أن رأوا معجزة قيامته من بين الأموات وصعوده إلى السماء ، وظلوا يبحثون عن ذلك الذى يعتقدون أنه المسيح الحقيقى حسب فكرتهم الخاطئة عنه ، فلن يجدوه ، لأنه لن يأتى أبدًا بعد أن أتى المسيح

الحقيق ثم صعد إلى السماء ، ومن ثَمَّ لن ينالوا الخلاص بسبب عدم إيمانهم به ، ويموتون فى خطاياهم . ولكن اليهود ورؤساءهم فهموا هذا القول من مخلِّصنا فهمًا سطحيًّا كما هو شأنهم دائمًا ، وفَسَّروه تفسيرًا تافهًا يتفق مع تفاهة أفكارهم وسفاهة مقاصدهم (يوحنا ٨ : ٤٨) . إذ قالوا : « لعلّه سيقتل نفسه ، إذ يقول حيث أمضى أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا » . وكان هذا القول منهم ينطوى أيضًا على عدم إدراكهم لحقيقة شخصيته (يوحنا ٧ : ٣٥) باعتباره المسيح ابن الله ، وعدم إدراكهم أَنه إذا مضى فإنما يمضى عائدًا إلى أبيه السماوى (يوحنا ١٦ : ١٦) الذى هو بلاهوته كائن معه فى وحدانية كاملة ، والذى هو من الرفعة والعُلُوّ والطهارة التامة والنقاء الإلهى بحيث لا يستطيع أى إنسان خاطىء مهما بلغت خطيئته من الضآلة أن يصل إليه أو يقترب منه . ومن ثَمَّ قال لهم مخلِّصنا « أنتم من أسفل ، وأما أنا فمن فوق ، أنتم من هذا العالم وأما أنا فلست من هذا العالم . لذلك قلت لكم إنكم ستموتون فى خطاياكم . لأنكم إن لم تؤمنوا بأنى أنا هو فستموتون فى خطاياكم » . أى أنهم من أسفل حيث الأرض والأرضيات ، والمادة والماديات (يوحنا ٣ : ٣١) . فهم لا يفكرون إلا تفكيرًا أرضيًّا ماديًّا ، وأما هو فمن فوق ، حيث السماء والسمائيات ، والروح والروحيَّات ، ومايتكلَّم به إنما يفوق عقولهم ومداركهم فلا يمكنهم أن يعوه أو يستوعبوه ، ومنْ ثَمَّ لا يمكنهم أن يفهموه ، لأنهم من هذا العالم (يوحنا ١٥ : ١٩) ؛ (١ . يوحنا ٤ : ٥) الذى هو مسكن الناس ، وأما هو فليس من هذا العالم (يوحنا ١٧ : ١٤و١٦) . وإنما هو ربُّ العالم ، وملك العالم ، ومالك العالم ، الساكن فى السماء . وفى قوله له المجد « أما أنا فمن فوق .. وأما أنا فلست من هذا العالم » على الرّغم من أنه جاء فى الجسد ، وولد من العذراء مريم . بيان لحقيقة لاهوته . وأزليته . وأن له وجودًا قبل الزمان ، وأن وجوده لم يبدأ بميلاده من مريم . وإنما هو « منذ القديم ، منذ أيام الأزل »

(ميخا ٥ : ٢) . وإن ميلاده من مريم هو فى الحقيقة مجرد تجسّد . إذ يقول الإنجيل للقديس يوحنا إن « الكلمة اتخذ جسداً » (يوحنا ١ : ١٤) . لذلك قال لليهود إنهم إن لم يفتحوا عيونهم وعقولهم وقلوبهم ويؤمنوا بأنه هو المسيح ابن الله الذى تنبأ بمجيئه كل أنبيائهم ، فسيموتون فى خطاياهم . (لوقا ٢١ : ٨) ؛ (مرقس ١٣ : ٦) .

بيد أنّ اليهود ورؤساءهم ظلوا مع ذلك مغلق الأعين والعقول والقلوب . فعلى الرغم من وضوح أقوال مخلّصنا ودلالتها على أنه هو المسيح الحقيق الذى ينتظرونه . قالوا له « مَن أنت ؟ » فقال لهم مخلّصنا « أنا ذاك الذى منذ البدء كلمتكم عنه » . أى أنه سبق منذ أن بدأ رسالته التعليمية يقول لليهود سواء فى مجاز وتورية أو فى صراحة ووضوح أنه هو المسيح ابن الله الآتى إلى العالم على مقتضى نبوءات كل أنبيائهم (يوحنا ٤ : ٢٦) ؛ (١٣ : ١٩) ؛ (٨ : ٢٨) . وقد ظل هذا هو تعليمه على الدوام . لم يتراجع عنه أو يناقضه أو ينقضه . وقد ذكَره وكرَّره فى كلِّ قول قاله وكلِّ فعل فعله . فهُم إذ يسألونه الآن « مَن أنت ؟ » إنما ينطوى سؤالهم على استخفاف به ، وتكذيب له ، وتهكُّم عليه . كما ينطوى على ما يملأ قلوبهم من غلظة وفظاظة وشرٍّ ومكر ولؤم والتواء . ولذلك قال لهم مخلِّصنا : « إن عندى الكثير لأقوله وأحكم به فى شأنكم . بيد أن الذى أرسلنى هو حق . وما سمعته منه هو الذى أتكلَّم به فى العالَم » . أى أن فى قدرته أن يوبِّخهم بكلام كثير ويدينهم عن خطايا كثيرة ارتكبوها ، ومنها إنكارهم له وعدم إيمانهم به ، على الرغم من كل ماسمعوه من تعاليمه ورأوه من معجزاته . ولكنه أرجأ ذلك الكلام وتلك الإدانة إلى يوم الدينونة ، إذا هُم تشبثوا بخطاياهم وبعدم إيمانهم ، واكتفى بأن أكّد لهم أن الكلام الذى قاله لهم حق ، لأن أباه السماوى هو واحد معه فى الجوهر ، والذى أرسله هو حق (يوحنا ٣ : ٣٣) ؛ (٧ : ٢٨) وماسمعه منه هو الذى تكلَّم به فى

العالم (يوحنا ٣ : ٣٢) ؛ (٨ : ٤٠) . فإن لم يصدقه العالم لأنه صدر عنه وهو فى صورة ناسوته ، فليصدّقه لأنه صدر عن جوهر لاهوته ، حيث إنه ماتكلّم إلا بما سمعه من الله الآب (يوحنا ١٢ : ٤٩) ؛ ١٥ : ١٥) الذى هو كائن معه وفيه . فما قاله الابن هو فى نفس الوقت ماقاله الآب . وهذا دليل كاف على أن ماقاله هو الحق . ولكنَّ اليهود ورؤساءهم مع ذلك ظل الظلام يغلّف أرواحهم وأفكارهم ومشاعرهم ، فلم يدروا أو يدركوا أنَّ مخلِّصنا إنما يكلمهم عن الآب السماوى الذى هو أبوه ، والذى هو كائن معه وفيه (يوحنا ١٤ : ١٠و١١) وواحد معه فى الجوهر (يوحنا ١٠ : ٣٠) . فاخذ مخلِّصنا يزيدهم شرحًا وإيضاحًا . لأنه إنما كان ينذرهم الإنذار الأخير – قبل أن ينطلق عائدًا إلى السماء – كى يتوبوا ويثوبوا إلى رشدهم ويؤمنوا به . وكان يحذّرهم التحذير الأخير من نتيجة إنكارهم له وهى أن يموتوا فى خطاياهم ، فلا ينعموا بالخلاص الذى جاء إلى العالم كى يُنعم به عليهم ، فيتمتعوا بالنعيم فى ملكوت السماوات . ومِنْ ثَمَّ قال لهم : « حينما ترفعون ابن الإنسان تدركون عندئذ أنى أنا هو ، وأنى لا أعمل شيئا من نفسى وحدى ، وإنما أتكلَّم بما علَّمنى أبى . إن الذى أرسلنى هو معى ولم يتركنى وحدى . لأنى فى كلّ حين أعمل مايرضيه » . أى أنهم لا يعرفون الآن حقيقة شخصية مخلِّصنا بوصفه المسيح ابن الله (روما ١ : ٤) الذى ينتظرون مجيئه ، ولكنهم سيعرفونها حقَّ المعرفة حين يرفعونه على الصليب ليقتلوه (يوحنا ٣ : ١٤) ؛ (١٢ : ٣٤) . ثم إذ يموت على الصليب ويمكث جثمانه فى القبر ثلاثة أيام ، وبعدها يقوم ، وقد عاد إلى الحياة بقوته وحده ، فإن هذه المعجزات سوف توقظ ضمائر الصالحين منهم . وإذ يصارحهم تلميذه بطرس فى يوم الخمسين قائلاً لهم : « فليعلم يقينًا جميع بيت إسرائيل أن الله جَعَل يسوعَ هذا الذى صلبتموه أنتم ربًّا ومسيحًا » سيصرخون قائلين : « ماذا نصنع ؟ » (الأعمال ٢ : ٣٦ و٣٧) ، أى ماذا يفعلون ليبرهنوا على أنهم آمنوا به ، بعد أن

يكونوا قد آمنوا به بالفعل ، وإذ يؤمنون بحقيقة شخصيته بصفته ابن الله فسيعرفون عندئذ الحقيقة المرتبطة بهذه الحقيقة ، وهي أنَّ أباه الذى يتحدث عنه إنما هو الله الآب الذى يعبدونه هم . وإذ أن ابن الله كائن مع أبيه السماوى فى وحدانية كاملة ، فهو لا يعمل مستقلاً عنه بإرادته وحده (يوحنا ٨ : ١٦) ؛ (١٦ : ٣٢) ، وإنما يعمل كل شيء بإرادته هو وإرادة أبيه معه فى نفس الوقت لأن إرادتهما واحدة متّحدة ، ومشيئتهما واحدة . وقد سبق لمخلِّصنا بيان إرادته الواحدة والآب السماوى . فقال « طعامى هو أن أعمل بمشيئة الذى أرسلنى وأنجز عمله » (يوحنا ٤ : ٣٤) . وقال « لأننى لا أبتغى مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى » (يوحنا ٥ : ٣٠) . وقال « لأنى قد نزلت من السماء لا لأعمل بمشيئتى ، وإنما بمشيئة الذى أرسلنى » (يوحنا ٦ : ٣٨) . ولئن تكلَّم الابن بشيء إنما يتكلم بلسانه هو وبلسان أبيه معه فى نفس الوقت ، لأن مايتكلّم به الابن إنما يتكلم به الآب (يوحنا ٣ : ١١) إذ أن الابن هو الله الغير المنظور وقد صار منظورًا ، وهو « الكلمة » (يوحنا ١ : ١) . وعلى الرغم من أن الآب قد أرسل الابن إلى العالم لينجز عمل الفداء الذى قاما معًا بتدبيره لخلاص البشَر من الهلاك الذى استحقوه بسبب خطاياهم ، فإنَّ الابن لم ينفصل عندئذ عن الآب الذى أرسله ، ويصبح وحده ، وإنما هما فى ذات واحدة وكيان إلهى واحد كالشمس وضوئها ، فمنذ كانت الشمس شمسًا كانت مضيئة ، ونورها كائن معها وفيها ولا ينفصل عنها . ومِنْ ثَمَّ ظلَّ الابن يعمل بمشيئة الآب وبما يرضى الآب . لأن مايشاؤه الابن هو فى الوقت نفسه مايشاؤه الآب ، ولأن مايرضى الابن هو فى الوقت نفسه مايُرضى الآب . (يوحنّا ٥ : ١٩و٣٠) .

وإذ قال مخلِّصنا هذا لليهود ليقنعهم بحقيقة شخصيته فى منطق إلهى قوى قويم ، آمن به كثيرون منهم ، وقد لانت له قلوبهم ودانت له عقولهم ، مبرهنين بذلك على أنه وإن كانت الأغلبية فاسدة فاجرة وعنيدة فى التشبث بالمكر والشرِّ ،

فإن ثَمَّة أقلية نقيَّة وتقيَّة ومستعدَّة لأن تنتهج طريق البرّ والخير (انظر يوحنا ٢ : ٢٣) ؛ (٧ : ٣١) ؛ (١٠ : ٤٢) ؛ (١١ : ٤٥) ؛ (١٢ : ١١ و٤٢) . وهكذا كما يقول بولس الرسول « قد حصلت بقيَّة حَسَب اختيار النعمة » (روما [رومية] ١١ : ٥) .

٨ : ٣١ - ٣٧

وعندئذ قال مخلصنا لليهود الذين آمنوا به ، كي يوطِّد إيمانهم ، ويستبعد ذوى الإيمان الضعيف منهم : « إن ظللتم متمسكين بكلامى ، فبالحقيقة تكونون تلاميذى ، وتعرفون الحق ، والحق يحرّركم » . أى أنه لا يكتفى ممَّن آمنوا به ، بأن يكون إيمانهم هذا وقتيًا ، أو ضعيفًا ، أو زائفًا ، أو زائلاً ، وإنما يكون إيمانًا دائمًا ، قويًّا ، حقيقيًّا ، ثابتًا ، بحيث يظلون متمسكين بأقواله وتعاليمه ووصاياه ، متخذينها شريعة لهم ، وطبيعة لاصقة بأنفسهم ، يمارسونها كأنها صفة من صفاتهم ، ولازمة من لوزام حياتهم ، لا يحيدون عنها ، ولا يصطنعون المبررات لمخالفتها أو التهرُّب منها . لأنهم لو فعلوا ذلك يكونون بالحقيقة تلاميذه (يوحنا ٢ : ٢) ، الذين يتخذونه طوال حياتهم معلِّمًا لهم منذ لحظة إيمانهم به حتى لحظة موتهم ، لا ينحرفون ، ولا تملأ الكبرياء قلوبهم ، مهما بلغوا من السنّ أو من المنصب أو من الجاه أو من العلم أو من التجربة ، فيظنون أنهم قد بلغوا الغاية التى ليس بعدها غاية ، وإنما يظلون معتبرين أنفسهم تلاميذ أصاغر بالنسبة لمعلِّمهم الأكبر والأوحد والأمجد . يتخذونه نبراسًا لحياتهم . ويتخذون تعاليمه أساسًا لكلّ تصرفاتهم . لأنهم بذلك ، وبذلك وحده ، يعرفون الحق ، أى يعرفون الله ، ويعرفون كل الحقائق التى تتصل بالله ، أو التى يوحى بها الله أو التى يوصى بها الله ، إذ أن كل ماعدا الحقائق الإلهية باطل ووهم وضلال وظلام فى ظلام . وقد قال مخلصنا لتلاميذه مؤكدًا هذا المعنى : « اثبتوا فىَّ .. فكما أن

الغصن لا يمكنه أن يأتى بثمر من ذاته وحده إن لم يثبت فى الكرمة ، هكذا أنتم لا يمكنكم أن تأتوا بثمر إن لم تثبتوا فىَّ . أنا الكرمة وأنتم الأغصان . فالذى يثبت فِيَّ وأنا فيه يأتى بثمر كثير، لأنكم بدونى لا تستطيعون أن تفعلوا شيئًا . وأما الذى لا يثبت فِيَّ فيطرح خارجًا كالغصن ، فيجف فيجمعونه و يطرحونه فى النار فيحترق . إنْ أنتم ثبتُّم فِيَّ وثبت كلامى فيكم فإنكم تطلبون ماتشاءون فيكون لكم . بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بثمر كثير ، فتكونوا تلاميذى ... فاثبتوا فى محبتى ، إنْ حفظتم وصاياى ثبتُّم فى محبَّتى كما أنى أنا حفظت وصايا أبى وثبتُّ فى محبته » (يوحنا ١٥ : ٤ - ١٠) وانظر أيضا (٢ . يوحنا ٩) فإذا عرف اليهود الحق (يوحنا ١ : ١٤ و١٧) ، فإن الحق يحرّرهم من كل باطل ومن كل وهم ومن كل ضلال . ويخرجهم من الظلام إلى النور ، لأنه يعتقهم من سلطان الشيطان عليهم ، ومن استعباد الشيطان لهم (روما [رومية] ٦ : ١٤ و١٨ و٢٢) . ومن ثم يحررهم من كل مايكبلهم به الشيطان من أغلال الشرور والآثام ، والأضاليل والأوهام ، والجور والفجور والظلم والظلام (غلاطية ٥ : ١ و١٣) ؛ (يعقوب ١ : ٢٥) ؛ (٢ : ١٢) ؛ (١ . بطرس ٢ : ١٦) .

بيد أن اليهود كانوا بطبيعتهم يتصفون بالصلف والكبرياء والغرور والاستعلاء . وبالرغم من أنهم ظلوا طوال تاريخهم مستعبدين لشعوب وأمم أخرى غير شعبهم وأمتهم ، كانوا يعتقدون أنهم شعب الله المختار (اللاويين ٢٥ : ٤٢) ، وأنهم إذ ينتسبون إلى إبراهيم أبى الأنبياء وخليل الله ، يكتسبون بذلك شرفًا يميزهم ويفرزهم عن سائر شعوب الأرض (يوحنا٨ : ٣٧و٣٩) ؛ (متى ٣ : ٩) ، ومن ثَمَّ جَرَح قول مخلّصنا «إن الحق يحررهم» ذلك الشعور بكل تلك الصفات الكامنة فيهم ، والتى تجرى فى عروقهم وتمتزج بدمائهم . فأجابوه قائلين : « إننا ذرِّية إبراهيم ، ولم يستعبدنا أحد قط . فكيف تقول أنت : إنكم تصيرون أحرارًا ؟ » . وإذ قالوا ذلك صحَّح لهم مخلِّصنا فكرتهم الخاطئة عن

الحرية ، وفهمهم الزائف لها . إذ أجابهم قائلاً « الحق الحق أقول لكم إنَّ كل من يقترف الخطيئة هو عبد للخطيئة . والعبد لا يمكث فى البيت إلى الأبد ، وأما الابن فيمكث إلى الأبد ، فإنْ حرّركم الابن فبالحقيقة تصيرون أحرارًا . أنا أعلم أنكم ذرّية إبراهيم ولكنكم تبتغون قتلى ، لأن كلامى لا مقرَّ له فيكم » . وبذلك أوضح لهم أنه حين كلمهم عن الحرية ، لم يكن يعنى حرية الشعب فى أن يحكم نفسه . وقد كان يعلَم أنهم حين يتشدّقون بالحرّية بهذا المعنى إنما يكذبون ويغالطون ، لأنهم لم يتمتعوا بالحرّية بهذا المعنى أبدًا ، وإنما كانوا منذ نشأتهم الأولى مستعبدين لشعوب أخرى من مصريين وآشوريين وبابليين ويونان ورومان وغيرهم من الشعوب الأقل من هذه قوة وسطوة . بل إنهم كانوا حتى فى ذلك الوقت الذى زعموا فيه أمام فادينا أنهم لم يستعبدهم أحد قط ، كان الرومان يستعبدونهم أشنع وأبشع استعباد ، ويدوسون بأقدامهم على رقابهم ، ويسدّدون إلى صدورهم أسنَّة حرابهم ، حتى أصبحوا أكثر عبودية من كل العباد فى الأرض ، وأكثر مذلّة من كُلِّ الأَذلاَّء فيها . ومع ذلك لم يشأ مخلِّصنا فى سماحته وتسامحه ووداعته وتواضعه أن يكذِّبهم فى زعمهم ، أو يضربهم على الجرح الذى يؤلمهم . وإنما اكتفى بأن شرح لهم معنى العبودية الحقيقية ، وهى العبوديَّة للخطيئة ، قائلاً لهم إنَّ كُلَّ من يقترف الخطيئة هو عبد للخطيئة ، ولو كان يتمتع بكل الحرّيات التى تكفلها القوانين الأرضية والشرائع الوضعية للبشَر (روما [رومية] ٦ : ١٦ و١٧ و١٩ و٢٠ و٢١) ؛ (٢ . بطرس ٢ : ١٩) . وكما أن العبد لا يقيم فى بيت سيِّده كالابن إقامة دائمة . ولا يكون له مثل الابن نصيب فى ميراث ذلك السيِّد (التكوين ٢١ : ١٠) ؛ (غلاطية ٤ : ٣٠) ؛ (لوقا ١٥ : ٣١) ، هكذا المستعبد للخطيئة فإنه لا يقيم فى ملكوت الله إلى الأبد . وأما الذى يحرِّره ابن الله من الخطيئة إذا آمن به وعمل بتعاليمه ووصاياه ، فإنه يتمتع بالحرية الحقيقية (روما [رومية] ٨ : ٢) ؛ (٦ : ١٤ و١٨ و٢٢) ؛

(٢ . كورنثوس ٣ : ١٧) ، ويقيم فى ملكوته ويصير بحق بنوّته له وارثًا فى ذلك الملكوت . لقد تفاخر اليهود بأنهم ذرّية إبراهيم ، وهو بالفعل شرف عظيم لم ينكره مخلّصنا عليهم ، لأن إبراهيم كان نبيًّا بل كان أبا الأنبياء جميعًا ، وقد نال أعظم الرضا من الله حتى لقد أعطاه الله عهدًا بأن تتبارك بنسله كل قبائل الأرض (التكوين ١٢ : ٣) ؛ (١٨ : ١٨) ؛ (٢٢ : ١٨) ؛ (٢٦ : ٤) ؛ (٢٨ : ١٤) ؛ (الأعمال ٣ : ٢٥) ؛ (غلاطية ٣ : ٨) . ولكن اليهود لم يعودوا يستحقون هذا الشرف بعد أن نكصوا عن مسلك إبراهيم ، مسلك الخير والبرّ والصلاح ، وانتهجوا على النقيض مسلك الشرّ والجور والفجور . ولا أدلّ على ذلك من أنّ مخلّصنا نفسه جاء كى يهديهم ويفديهم ويبذل نفسه عنهم لينقذهم من الهلاك المحكوم به عليهم . فبدلاً من أن يؤمنوا به ويحبوه ، كفروا به وحاربوه ، وعادوه واعتدوا عليه ، وراحوا آخر الأمر يبتغون قتله (يوحنا ٨ : ٤٠) ؛ (٧ : ١) . ولو أنهم استمعوا إلى كلامه وجعلوا له مكانًا مستقرًّا فى قلوبهم ، لَمَا فكّروا هذا التفكير الشائن ، ولا دبروا هذا التدبير الشرير . أما وقد فعلوا ذلك فإنهم لا يستحقون شرف الانتساب إلى إبراهيم البارّ ، أو التشدُّق بأنهم ذريته أو تربطهم به أى صلة من الصلات أو علاقة من العلاقات . وقد قال القديس يوحنا المعمدان لليهود : « يا أبناء الأفاعى من أشار عليكم بالهرب من الغضب الذى سيحلّ بكم ؟ . الأحَرى بكم إذن أن تثمروا ثمرًا يليق بالتوبة ، ولا يخطر لكم أن تقولوا فى أنفسكم حَسْبنا أن إبراهيم أبونا ، لأننى أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أبناء لإبراهيم . وهاقد وضُعت الفأس على أصول الشَّجر ، فكلُّ شجرة لاتثمر ثمرًا جيدًا تُقطع وتلقَى فى النار » (متى ٣ : ٧ - ١٠) .

وواصَل مخلِّصنا كلامه إلى اليهود الذين عادوه وعاندوه ولاسيَّما رؤساء الكهنة والفرِّيسيين ، قائلاً : « أنا أتكلَّم بما رأيت لَدَى أبى ، وأنتم تعملون بما سمعتم من أبيكم » ، أى أنه إذ يتكلَّم معهم فإن كلامه إنَّما يعبِّر عن الحقائق الإلهية كما يراها هو رأى العين فى السماوات ، ويراها فى نفس الوقت أبوه السماوى الذى هو كائن معه وفيه فى وحدانية كاملة ، إذ أنهما يريانها معًا . ولما كان هو وأبوه جوهر الحق فى ذاته ، فإن مايريانه معًا هو الحقائق الراسخة الأزلية الأبدية التى لا تقبل الرِّيبة أو الشك أو المكابرة أو المهاترة التى يثيرها أعداء مخلِّصنا . وفى أكثر من موضع يلح - له المجد - على نفس الحقيقة . ففى حديثه إلى نيقوديموس يقول له : « الحق الحق أقول لك إننا إنما نتكلَّم بما نعلم ونشهد بما رأينا .. وماراَه (الابن) وماسمعه هو الذى به يشهد » (يوحنا ٣ : ١١ و٣٢) . وفى حديثه إلى تلاميذه ردًّا على سؤال فيلبس يقول له « ألا تؤمن بأنى أنا فى أبى وأنَّ أبى فىَّ ؟ إن الكلام الذى أكلِّمكم به لا أتكلَّم به من نفسى أنا وحدى ، وإنما الآب الكائن فىَّ هو الذى يعمل أعماله . صدِّقونى أنِّى فى أبى ، وأن أبى فىَّ ... إن الكلام الذى تسمعونه ليس كلامى وإنما كلام الآب الذى أرسلنى» (يوحنا ١٤ : ١٠ و٢٤) - انظر أيضًا (يوحنا ٥ : ١٩و٣٠) ؛ (٨ : ٤٢) . وأما اليهود فيعملون بما سمعوا من أبيهم الذى هو الشيطان ، لأنهم أشرار والشيطان هو أبو الأشرار وهُمْ أبناؤه ، فهو الذى يوسوس لهم بما يعملون ، ويحرضهم عليه . وقد كان واضحًا كل الوضوح من قول مخلِّصنا أنَّ أباهُم الذى يعنيه فى ذلك القول هو الشيطان . ولكنهم على مقتضى طبيعتهم الماكرة الخبيثة الملتوية لجأوا إلى المغالطة والمناورة ، قائلين « أبونا هو إبراهيم » . فقال لهم مخلِّصنا : « لو كنتم أبناء إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم . ولكنكم الآن تبتغون قتلى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله ، وهذا مالم يفعله إبراهيم . إنكم تعملون أعمال

أبيكم » . وهكذا هَدَم فادينا – بعبارة واحدة وحجة قويَّة – ادعاءهم الذى يتشدقون به ، ويتفاخرون به ، فى عجرفة وفى صلَف ، متمسحين بإبراهيم النبىّ الصالح البارّ ، قائلين إنه أبوهم ، مما يوحى بأنهم ورثوا عنه صلاحه وبِرَّه . وقد كانوا فى ذلك مغالطين وكاذبين ، لأنهم لو كانوا قد ورثوا عن إبراهيم ذلك الصلاح وذلك البِرّ ، لَمَاثَلوه فى صفاته وخلاله ، وتمثَّلوا به فى أعماله . (أنظر روما [رومية] ٢ : ٢٨) ؛ (٩ : ٧) ؛ (غلاطية ٣ : ٧ و ٢٩) . ولكنهم فى نفس هذه اللحظة التى يزدهون فيها ويباهون بأنه أبوهم وبأنهم أبناؤه يرتكبون جريمة بشعة شنيعة ما كان إبراهيم ليرتكبها ، إذ يسعون إلى قتل إنسان برىء بارّ (يوحنا ٧ : ١) ؛ (٨ : ٢٣ و ٤٠) ، لا لشىء إلا أنه كلَّمهم بالحقّ الذى هو كلام الله الآب نفسه (يوحنا ٨ : ٢٦) . وإذ كان هو بوصفه ابنه الكائن معه فى الجوهر والكائن فيه فى وحدانية كاملة ، فإن مايقوله الابن هو مايقوله الآب . ومايقوله الآب هو مايقوله الابن ، فَهُمَا يقولانه معًا ، ويستمع كل منهما إلى الآخر فى نفس الوقت . فإن كان أولئك اليهود الضالُّون المضلِّلون القاتلون المغتالون يزعمون أنهم أبناء إبراهيم ، فإنه زعم باطل . لأنَّ إبراهيم لم يكن ضالاً ولا مضلِّلاً ، ولم يكن قاتلاً ولا مغتالاً ، وإنما هذه صفات الشيطان وحده ، فلم يكن إبراهيم إذن هو أباهم (متى ٣ : ٩) وإن كانوا من سلالته . وإنما أبوهم هو الشيطان الذى يتبعونه ويطيعونه ، ويعملون حسب تفكيره وتدبيره ومشيئته . ولكن اليهود إذ سمعوا ذلك من مخلِّصنا تمادوا فى تغابيهم ومغالطتهم ومناورتهم على الرغم من وضوح كلامه وقوة حجته ، فتظاهروا بأنهم لا يفهمون أو يعلمون ذلك الذى يعنيه بأنه أبوهم . وإذ سبق أن أَحبط مخلِّصنا ادّعاءهم بأنهم أبناء ابراهيم ، لجأوا – فى دهائهم والتوائهم – إلى ادعاء آخر قائلين « إننا لم نولد من زِنى وإنما لنا أب هو الله وحده » . ولم يدروا أنهم برفضهم المسيح وهو الله الظاهر فى الجسد واتّباعهم الشيطان ونزواتهم قد سقطوا فى خطيئة الزِّنى لأنهم عبدوا إلهًا آخر هو

الشيطان وشهواتهم (التثنية ٣١ : ١٦) ؛ (إشعياء ١ : ٢١) ؛ (هوشع ٢ : ٤) . على أن اليهود إذ قالوا : « لنا أب هو الله وحده » قصدوا أُبوة الله لهم بالمعنى العام لا بمعنى البُنُوَّة الخاصة التى نسبها المسيح له المجد إلى نفسه من حيث هو صورة الله الغير المنظور (كولوسى ١ : ١٥) . أى أنَّ الله هو أصلهم من حيث هو الذى خلقهم وبرأهم ، وأوجدهم . وفى ذلك قال موسى النبى يوبّخ شعب إسرائيل « أبهذا تكافىء الرب أيها الشعب الأحمق الذى لا حكمة له . أليس أنه هو أبوك مالكك الذى فَطَرك وأبدعك » (التثنية ٣٢ : ٦) . وجاء فى سفر إشعياء النبى « فانك أنت أبونا .. والآن يارب أنت أبونا . نحن الطين وأنت جابلنا ونحن جميعًا عمل يديك » (إشعياء ٦٣ : ١٦) ؛ (٦٤ : ٨) ؛ (ملاخى ١ : ٦) .

بيد أن مخلِّصنا بادر عندئذ كذلك إلى إحباط هذا الادّعاء الذى ادَّعاه اليهود بنفس الوضوح ونفس القوة قائلاً لهم « لو كان الله أباكم لأحببتمونى لأننى من الله خرجت وأتيت . فأنا لم آتِ من نفسى وحدى ، وإنما هو الذى أرسلنى . لماذا لا تفهمون كلامى ؟. لأنكم لا تستطيعون أن تستمعوا إلى ما أقول . إنكم أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تبتغون أن تتمموا . ذاك الذى كان منذ البدء قتّالاً للناس . ولم يثبت على الحق أبدًا ، لأنه ليس فيه من الحق شيء . متى تكلم فإنما يتكلَّم مما عنده . لأنه كذّاب وأبو الكذب . وأما أنا فلأنى أقول لكم الحق لا تؤمنون بى . مَنْ منكم يستطيع أن يُثبِت عَلَيَّ خطيئة ؟ فإن كنت أقول لكم الحق ، فلماذا لا تصدقونى . مَنْ كان من الله يسمع كلام الله ، فإن كنتم لا تسمعون ، فلأنكم لستم من الله » .

وقد كان له المجد يعنى فيما قال فى منطقه الإلهى القوىّ القويم أنهم لو كان الله أَباهم حقًّا لفهموا وعلموا بناء على نبوءات أنبيائهم وبناء على مارأوه من تعاليمه ومعجزاته أنه هو ابن الله . وأنه كائن معه فى جوهر الألوهيَّة الواحد . وأنه خرج

من الله خروج النور من الشمس ، معها وفيها منذ أن كانت الشمس شمسًا ولا ينفصل عنها ، ليجيء إلى العالم كي يتمّم عمل الفداء الذى دبّرته العناية والرحمة الإلهية لخلاص البشَر من نتيجة الشرّ الذى ارتكبوه والذى استوجب فى العدل الإلهى هلاكهم .

ويلاحظ هنا أن السيد المسيح له المجد يبين فى قوله « لأننى من الله خرجت وأتيت » أنه قبل أن يولد من مريم كان مع الآب ، وأن وجوده مع الآب كان منذ الأزل ، وأنه قبل أن يظهر فى العالم كان فى السماء ثم نزل منها ، ومن مريم أخذ الجسد الذى ظهر به فى صورة إنسان ، وإن كان هو الله الأزلى ذاته ، وقد اتخذ فى الزمان جسدًا . فهذا هو المعنى الذى يؤكده له المجد فى مواضع متفرقة من الإنجيل . ومن ذلك (يوحنا ٣ : ١٣ و ٣١) ؛ (٦ : ٣٣ و ٣٨ و ٤١ و ٤٢ و ٤٦ و ٥٠ و ٥١ و ٥٨ و ٦٢) ؛ (١٣ : ٣) ؛ (١٦ : ٢٧ و ٢٨ و ٣٠) ؛ (١٧ : ٨ و ٢٥) .

ومن ثم فإن مخلّصنا لم يأت – وهو أقنوم الابن فى الطبيعة الإلهية – من نفسه وحده ، وإنما كانت مشيئته فى ذلك متحدة بمشيئة الله الآب الذى أرسله كى ينجز هذه المشيئة التى يشترك فيها الله الآب مع الله الابن . وهذا هو المعنى المقصود من قوله دائمًا إن « الآب أرسلنى » ، ليؤكد أنه لم ينفرد فى مجيئه بمشيئته وحده دون مشيئة الآب ، وبهذا ينفى انفصاله عن الآب ، فهو معه ، وهو من طبيعته وجوهره . فمشيئة الابن هى مشيئة الآب . لأن الآب والابن هما معًا واحد (يوحنا ١٠ : ٣٠) ، أى أنهما خاصيتان فى ذات إلهية واحدة ، أقنومان فى جوهر واحد . فالله لا ينقسم فى طبيعته ، كما لا ينقسم فى مشيئته (انظر يوحنا ٣ : ١٧ و ٣٤) ؛ (٥ : ٣٦ و ٣٨ و ٤٣) ؛ (٦ : ٢٩ و ٣٨ و ٥٧) ؛ (٧ : ٢٨ و ٢٩) ؛ (١٠ : ٣٦) ؛ (١١ : ٤٢) ؛ (١٧ : ٣ و ٨ و ١٨ و ٢١ و ٢٣ و ٢٥) ؛ (٢٠ : ٢١) .

ولكن اليهود لم يستطيعوا – بعقلهم الجسدىّ المادىّ الجامد المحدود – أن يفهموا كلام فادينا (يوحنا ٧ : ١٧) أو يسمعوا له بالطاعة والإذعان (يوحنا ٥ : ٢٥) . لأنهم لم يكونوا ممتلئين بروح القدس الذى هو روح الله ، والذى لا يمكن لأىّ إنسان بدونه أن يفهم العقيده المسيحية أو يقتنع بها أو يصل لأن يدرك مغزاها ومرماها ، لأنه « لا يستطيع أحد أن يقول : يسوع رب ، إلا بروح القدس » (١ . كورنثوس ١٢ : ٣) وإنما كان اليهود قد امتلأوا بروح الشيطان وهو إبليس الذى كان رئيسًا من رؤساء ملائكة الله (يهوذا : ٦) . ولكنه ملأته الكبرياء حتى تمرَّد على الله واعتقد أنه قادر على أن يفرض سيادته على العالم من دونه . ومِنْ ثَمَّ غضب الله عليه وحرمه من كل ما كان قد منحه إياه من قدرات وسلطات ، وأسقطه من مكانه ومكانته ، وأودعه فى أسفل سافلين ليحاسبه فى يوم الدينونة على تمرده ويحكم عليه بالجزاء الذى يستحقه فى العدل الإلهى ، وهو الهلاك الأبدى (٢ . بطرس ٢ : ٤) الذى يستحقه الجاحدون والمعاندون والمتمردون على الله ، وهو جهنم (متى ٢٥ : ٤١) التى يصطلى بنارها كل الجاحدين والمعاندين له والمتمردون عليه . فكل الذين استولى عليهم إبليس وسيطر على إرادتهم لا يعملون بمشيئة الله الذى هو أبو المؤمنين به والخاضعين له . وإنما يعملون بمشيئة أبيهم الحقيقى الذى هو إبليس (متى ١٣ : ٣٨و٣٩) ، ذلك الذى كان منذ سقوطه (١ . يوحنا ٣ : ٨) وغضب الله عليه قد امتلأ بالغيرة من الناس أبناء الله بالحقد عليهم (الرؤيا ١٢ : ١٠) ، فعمل بكل قواه منذ أن خلقهم الله على اجتذابهم إليه ليقتلهم (٢ . تيموثيئوس ٢ : ٢٦) ، (التكوين ٣ : ٤) و يقضى على كل فضيلة فيهم ، و يسوقهم إلى سبيل الضلال عن طريق الله الذى هو الحق المطلق ، لأنه حاد عن الحق منذ أن تمرَّد على الله فلم يعُد له فى الحق شىء ، وإنما انتهج سبيل الضلال والكذب ، لأنه السبيل الوحيد الذى يستطيع أن ينتهجه منذ أن حَاد عن طريق الله الذى هو طريق الهداية الكامل والصدق

الذى لا تشوبه شائبة من الكذب على الإطلاق (١ . يوحنا ٢ : ٤) . فلئن تكلَّم ذلك الشيطان بالكذب إنه يتكلَّم بما يتَّصف به ، لأنه أصبح بطبيعته بعد أن تمرَّد على الله كذَّابًا لا يستطيع أن يعيش إلا بالكذب . وبالتالى أصبح أبا للكذب ومصدرًا له وأكثر المخلوقات قدرة عليه وأقدرها على أن يوحى به إلى الناس ويغريهم به ويدعوهم إليه . وقد فعل ذلك مع الفاسدين المفسدين من اليهود فأصبح أبًا لهم من دون الله (متى ١٢ : ٣٤) . ومِنْ ثِمَّ لم يَعُد أبوهم هو إبراهيم . ولم يَعد أبوهم هو الله إله إبراهيم ، وإنما أصبح أبوهم هو إبليس ، ذلك الذى يوسوس فى صدور الناس . وقد اعتادوا أن يردّدوا مايوحى إليهم من الأكاذيب والأضاليل والأباطيل . فلم يعودوا قادرين على أن يؤمنوا بالحق (يوحنا ١٨ : ٣٧) الذى جاءهم به مخلِّصنا ابن الله ، مع أنه كان بارًّا بريئًا من كل خطيئة (متى ٢٧ : ٤) ؛ (٢ . كورنثوس ٥ : ٢١) . صادقًا لا تشوب أى قول من أقواله أو أى عمل من أعماله أيَّةُ شائبة من خطأ أو خطيئة أو شهوة من شهوات الناس أو شرٍّ من شرورهم «إنه لم يخطئ» (١ . بطرس ٢ : ٢٢) ؛ (العبرانيين ٤ : ١٥) ؛ (١ . يوحنا ٣ : ٥) وإنما كان طاهرًا بارًّا وقدوسًا (العبرانيين ٧ : ٢٦) . صالحًا صادقًا (متى ٢٢ : ١٦) ؛ (مرقس ١٢ : ١٤) كريمًا حليمًا ، وادعًا وديعًا متوضعًا (متى ١١ : ٢٩) سمحًا متسامحًا . وقد تحدّاهم مخلِّصنا أن يستطيع واحد منهم أن يُثبت عليه خطيئة ارتكبها أو ذنبًا جناه (متى ٢٧ : ١٩ و ٢٣) ؛ (لوقا ٢٣ : ٤١) . لأنه كان يعلم وكانوا كلهم يعلمون أنه وإن كان قد عاش بين الناس كواحد منهم (العبرانيين ٢ : ١٤) ، وأنه شابههم فى كُلِّ شىء يتصف به الناس (العبرانيين ٢ : ١٧) ؛ (فيلبى ٢ : ٧) إلا شيئًا واحدًا هو أنه كان يتصف بالكمال المطلق فى كل أقواله وأعماله وأفكاره ومشاعره ، وانفعلاته وتصُّرفاته . فإن كانت هذه حالة ، وهذه أقواله وأعماله ، وهذا مدى صدقه فيما يقول وإخلاصه فيما يعمل ، فلماذا لا يصدّقونه وهو يردِّد

على مسامعهم كلماته التى هى فى نفس الوقت كلمات الله ذاته ؟ أليس هذا دليلاً على أنهم لا يعرفون الله ، لأنهم لو كانوا يعرفونه لاستمعوا إلى كلامه (يوحنا ١٠ : ٢٦ و ٢٧) فكيف إذن يزعمون أنهم أبناء الله . وهم لا يعرفونه ؟ (١ . يوحنا ٤ : ٦) .

٨ : ٤٨ — ٥٠

وقد كان هذا منطقًا قويًّا دحض به مخلِّصنا مزاعم اليهود (يوحنا ١ : ١٩) ، وهدم الركيزة التى يرتكزون عليها فى غرورهم وعجرفتهم وصلفهم واستخفافهم به وتطاولهم عليه ، ولكنهم مع ذلك تمادوا فى سفاهتهم وتفاهتهم ولم يجدوا غير الشتائم يوجهونها إليه ، شأن كلّ مهزوم ضعيف الحجة ، قائلين له : « ألم نكن على صواب إذ قلنا إنك سامرى وبك شيطان ؟ » . وقد كانت هذه العبارة البذيئة تتضمَّن إهانتين تنطويان على كُلِّ مايملأ قلوب رؤساء الكهنة والكتَبَة والفرِّيسيين من حِقد على مخلِّصنا وكراهية له وتحامل حقير وشرير عليه ، إذكان وصفهم له بأنه سامِرىّ يعدّ شتيمة لدى المتعصبين من اليهود (٢ . الملوك ١٧ : ٢٤ — ٤١) الذين كانوا يحتقرون السامريين (متى ١٠ : ٥) ؛ (لوقا ١٧ : ١٥ ، ١٨)ويزدرونهم ويتهمونهم بأنهم كَفَرة خارجون على الدين اليهودى (لوقا ٩ : ٥٢ — ٥٦) ، وأنهم ملعونون من الله ومصيرهم جهنم وبئس المصير (يوحنا ٤ : ٩) . وأما اتهامهم لمخلِّصنا بأن به شيطانًا فكان ينطوى على إهانة أحقر وأكثر شرًّا ، لأنهم إنما قصدوا بها أن يصِموه بأنه مجنون ذاهب العقل ، أو بأنه قد استولى عليه الشيطان ، فهو لا يصنع كلّ المعجزات التى يصنعها إلا بواسطته وبقدرته الشيطانية ، وليس بما لمخلِّصنا من قدرة ذاتية إلهية تدل على أنه هو ابن الله وأنه هو الله ذاته ، وأنه هو المسيح الذى كان اليهود ينتظرونه بناء على نبوءات أنبيائهم التى تتضمَّن ماسيصنعه المسيح المنتظر حين يجىء من آيات

ومعجزات . ولقد تكرر هذا الاتهام وهذه الشتيمة لمخلِّصنا وفادينا من جانب اليهود عددًا من المرات ، إذ ورد مثلاً فى الإنجيل : « أجاب الجمع وقالوا إنَّ بك شيطانًا . من الذى يسعى إلى قتلك ؟ » (يوحنا ٧ : ٢٠) .. « فقال كثيرون منهم : إن به شيطانًا وقد اختل عقله ، فلماذا تستمعون إليه ؟ » (يوحنا ١٠ : ٢٠) – وانظر ايضا (يوحنا ٨ : ٥٢) . وقال مخلِّصنا له المجد يروى بشاعة هذا الاتهام المؤلم « يكفى التلميذَ أن يكون كمعلِّمه والخادم كسيِّده ، فإن كان ربّ البيت قد لقبوه ببعل زبول . فكيف بالأَحرَى يلقِّبون أهل بيته؟» » (متى ١٠ : ٢٥) . بل إن بعض اليهود اتهموه بأنه ببعل زبول رئيس الشياطين يُخرج الشياطين ، إذ جاء فى الإنجيل « أمَّا الكتبة الذين من أورشليم فقالوا إن معه بعل زبول و إنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين » (مرقس ٣ : ٢٢) ؛ (متى ٩ : ٣٤) ؛ (١٢ : ٢٤) ؛ (لوقا ١١ : ١٥ و ١٨ و ١٩ و ٢٠) . على أن هؤلاء الأشرار قالوا أيضًا عن يوحنا المعمدان نفس ماقالوه عن مخلِّصنا إذ قال مخلِّصنا « بمن أشبّه هذا الجيل ؟ إنه يشبه صبية جالسين فى الأسواق ... فقد جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فقالوا : إنَّ به شيطانًا » (متى ١١ : ١٦ – ١٨) .

وعلى الرغم مما كان يتضمنه قول أولئك الأشرار من شتائم وإهانات لمخلِّصنا فإنه بكماله الإلهى لم يغضب ولم يردّ على شتائمهم بشتائم أو على إهاناتهم بإهانات ، وإنما أجابهم كعادته فى وداعة وسماحة وتسامح قائلاً لهم : « أنا ليس بى شيطان ، ولكنّى أكرّم أبى وأنتم تهينوننى . إننى لا أطلب المجد نفسى . فثمَّة مَن يطلب ويدين » . فكل ماكان يهدف إليه هو أن ينفى الاتهام عن نفسه ويعمل على أن يُقنع بالحقيقة أولئك الضالِّين المضلِّين ، المعادين المعتدين القاتلين . ومِنْ ثَمَّ تجاوز عن شتيمتهم له بأنه سامرىّ ، لأنه كان يعلَم أنهم يعرفون فى قرارة أنفسهم أنه ليس سامريًّا ، وأنهم إذ يصفونه بهذا الوصف ليسوا إلاَّ كاذبين ومغالطين ومفترين . ثُمَّ أكَّد لهم أنه ليس به شيطان يذهب بعقله

أو يصنع المعجزات بواسطته ، وإنما هو بهذه المعجزات إنما يبرهن على قدرة أبيه السماويّ وقدرته هو باعتباره ابنه وكائن معه فى وحدانية الذات الإلهية (انظر متى ١٢ : ٢٥ – ٢٩) ؛ (مرقس ٣ : ٢٣ – ٢٧) ؛ (لوقا ١١ : ١٧ – ٢٢) . فهو بذلك إنما يمجد أباه السماويّ وهو الله الذى يعبدونه ويزعمون فى كبرياء وصلف أنهم أبناؤه . ومع ذلك فإنهم لا يقابلون هذا التمجيد وهذا التكريم منه لله الآب السماوى إلا بأن يشتموه ويهينوه ، مع أنه إذ يمجد الله الآب ويكرمه لا يطلب مجدًا لنفسه لدى الناس ولا تكريمًا منهم (يوحنا ٥ : ٤١) ؛ (٧ : ١٨) ، وإنما كل مايطلبه هو أن يؤمنوا به ويصدِّقوه فى كل مايقول ويعمل ، لا لمصلحته هو ، وإنما لمصلحتهم هم الذين ماجاء إلى العالم إلا ليفديهم كى يغفر الله خطاياهم ويعفيهم من حكم الموت والهلاك الذى أصدرته عدالته الإلهية عليهم بسبب شرورهم وآثامهم . بل إن مخلِّصنا لم يطلب حتى أن يعاقب أولئك الأشرار وينتقم منهم جزاء ماوجَّهوه إليه من شتائم وإهانات ، وما أضمروه له من اعتداءات بلغت حَدَّ التآمر عليه بالقتل . فإنه ماجاء إلى العالم فى هذه المرة ليدين أحدًا (يوحنا ٣ : ١٧) . وإنما أرجأ الدينونة إلى اليوم المحدّد لذلك فى التدبير الإلهى ، عسى أن تستيقظ ضمائر أولئك الخطاة الأَشرار قبل موتهم ، فتؤنِّبهم على ما ارتكبوا من خطايا وشرور ، وتفتح أمامهم باب الندم والتوبة ، فتشملهم رحمة الله التى تتسع لكلٍّ نادم وتائب ، مهما كانت جسامة خطاياه وشروره .

<u>٨ : ٥١ – ٥٩</u>

ثم قال فادينا لليهود « الحقَّ الحقَّ أقول لكم إنْ كان أحد يحفظ كلامى فلن يرى الموت أبدًا » . وقد كان له المجد يعنى بهذا القول أن الذى يؤمن به ويعمل بوصاياه سيتمتع بالحياة الأبدية فى السماء ، فهو – وإن مات فى هذه الدنيا –

لن تفنى روحه الفناء الأبدى الذى هو مصير أرواح الذين لا يؤمنون بمخلِّصنا والذين لا يعملون بوصاياه.

وفضلاً عن ذلك فإن من يسمع كلام ابن الله ويطيعه ويعمل به ، فسوف يحيا بالروح ولن يغلبه الموت ، موت الخطيئة ، بل إن كان ميتًا بالخطيئة فإنه بسماعه كلام ابن الله وبالعمل به يتوب . والتوبة فى حياة الإنسان يقول عنها الإنجيل « هذه هى القيامة الأولى . مبارك ومقدَّس من له نصيب فى القيامة الأولى . هؤلا ليس للموت الثانى سلطان عليهم » (الرؤيا ٢٠ : ٥ و ٦) . والموت الثانى هو الهلاك الأبدى فى جهنم النار الأبدية (الرؤيا ٢٠ : ١٤) يقول سيدنا يسوع المسيح له المجد عن القيامة الأولى ، وهى التوبة من الخطيئة : « الحقَّ الحقَّ أقول لكم إن مَنْ يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى له الحياة الأبدية . ولن يأتى إلى دينونة ، وإنما ينتقل من الموت إلى الحياة . الحقَّ الحقَّ أقول لكم إنَّ ثَمَّة ساعة تأتى ، وقد أتت الآن يسمع فيها الموتى صوت ابن الله ، والذين يسمعون يحيون » (يوحنا ٥ : ٢٤ و ٢٥) . وقال أيضًا لمرثا أخت لعازر « أنا هو القيامة والحياة . من آمَنَ بى وإن مات فسيحيا . وكلّ مَن كان حيًّا وآمَنَ بى فلن يموت إلى الأبد » (يوحنا ١١ : ٢٦) .

ولكن اليهود بغباء عقولهم وعَمَى قلوبهم ، فهموا هذا القول فهمًا سطحيًّا جسديًّا دنيويًّا ، وكانوا عاجزين عن أن يتساموا إلى معناه العميق الروحى السماوى ، فتمادوا فى التطاول على مخلِّصنا وإهانته قائلين له : « قد علمنا الآن أن بك شيطانًا . فقد مات إبراهيم والانبياء ، وأنت تقول إن كان أحد يحفظ كلامى فلن يذوق الموت أبدًا . أَفأنت أعظم من أبينا إبراهيم الذى مات ، والأنبياء الذين ماتوا أيضًا ؟ مَنْ عَساك تجعل نفسك ؟ » . أى أنه بذلك القول الذى قاله لهم قد أعطاهم الدليل على صدق اتهامهم له بأن به شيطانًا ، أى أنه مختلّ العقل يهذى وينطق بما لا يدرى . لأنَّ أى عاقل – فى تفكيرهم – يصدِّق أن إنسانًا

لا يموت ، فى حين أنّ إبراهيم أبا آبائهم وأوّل كلِّ أنبيائهم قد مات . كما مات كل هؤلاء الأنبياء وهم أعظم عظمائهم . فكيف يقول مخلِّصنا أن مَنْ يحفظ كلامه فلن يرى الموت أبدًا ؟. ولقد برهن أولئك اليهود الجهلاء الأغبياء المظلمو العقول والقلوب على أنهم – على الرغم من كل مارأوا من معجزات مخلِّصنا الإلهية وماسمعوا من تعاليمه السماوية – لم يُدْركوا حقيقة شخصيته ، باعتباره المسيح ابن الله الذى كانوا ينتظرونه ، والذى سبق لكلِّ أنبيائهم أن وصفوا بروح النبوَّة كلَّ أقواله وأَعماله ، وأوردوا كلَّ أحداث حياته منذ ولادته من عذراء بحلول روح القدس عليها إلى موته على الصليب ، وقيامته من بين الأموات ، وصعوده إلى السماء . ولذلك عيروه فى استهجان واستخفاف بأنه يزعم أنه أعظم من إبراهيم (يوحنا ٤ : ١٢) ، وأعظم من كل الأنبياء . ولو أدركوا حقيقة شخصيته لعلموا أنه بالفعل أعظم منهم جميعًا (لوقا ١١ : ٣١ و ٣٢) ؛ (متى ١٢ : ٤١ و ٤٢) ، لأنه ربهم وإلههم . ومِنْ ثَمَّ أجابهم مخلِّصنا قائلاً لهم « إن كنت أنا وحدى امجِّد نفسى فليس مجدى شيئاً ، وإنما هنالك أيضاً أبى هو الذى يمجِّدنى ، ذلك الذى تقولون أنتم إنه إلهنا ، وأنتم لا تعرفونه . أما أنا فأعرفه . وإن قلت إننى لا أعرفه أكون مثلكم كاذباً ، ولكننى أعرفه وأحفظ كلامه . لقد تهلَّلَ إبراهيم أبوكم مشتهيًا أن يرى يومى ، وقد رأى وفرح » .

ومن ذلك نرى أن مخلِّصنا لكى يقنع اليهود بمنطقهم الإنسانى الذى لا يقبل شهادة أحد لنفسه ، تنازل هو عن شهادته لنفسه مع أن شهادته حق (يوحنا ٨ : ١٤) ؛ (الرؤيا ١ : ٥) ؛ (٣ : ١٤) ، لأنه الإله الحق . واستند إلى شهادة أبيه السماوى (يوحنا ٥ : ٣٧) ؛ (٨ : ١٨) الذى هو كائن معه وفيه فى وحدانية كاملة ، والذى سبق أن شهد له (يوحنا ١٣ : ٣٢) ؛ (١٢ : ٢٣) ؛ (١٦ : ١٤) ؛ (١٧ : ١) ؛ (الأعمال ٣ : ١٣) . ومجّده بصوت مسموع حين اعتمد من يوحنا المعمدان ، إذ قال : « هذا هو ابنى الحبيب الذى

به سُررت » (متى ٣ : ١٧) ؛ (مرقس ١ : ١١) ؛ (لوقا ٣ : ٢٢) . وحين تجلّى على الجبَل أمام تلاميذه بطرس ويعقوب ويوحنا ، إذ قال ايضًا : « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سُررت . له اسمعوا » (متى ١٧ : ٥) ؛ (مرقس ٩ : ٧) ؛ (لوقا ٩ : ٣٥) .

وقد وبَّخ مخلِّصنا اليهود قائلاً إنهم يزعمون كاذبين أنهم يعرفون الله الذى هو أبوه ، فى حين أنهم لا يعرفونه (يوحنا ٧ : ٢٨) ؛ (١٧ : ٢٥) ؛ (١٥ : ٢١) . لأنهم لو كانوا يعرفونه لعملوا بوصاياه وأطاعوه . فَهُم إذ تنكروا له أنكروه ، وإذ تجاهلوا تعاليمه جهلوه . وأما مخلِّصنا فيعرفه حق المعرفة (يوحنا ٧ : ٢٩) ؛ (١٧ : ٢٥) لأنه أبوه ولأنه منه (يوحنا ٧ : ٢٩) وكائن معه ومع الروح القدس ، لأنهم معًا إله واحد . فهو يعرفه معرفته نفسه . « ولا أحد يعرف الآب إلا الابن » (متى ١١ : ٢٧) ؛ (لوقا ١٠ : ٢٢) ؛ (يوحنا ١٠ : ١٥) . وهذه حقيقة لو أنه أنكرها وقال إنه لا يعرف الله أباه لكان مثل اليهود يقترف رذيلة الكذب فى حين أنه منّزه عن كل رذيلة ، كامل كمالاً مطلقًا . فهو يعرفه ، ويعمل فى حياته الناسوتية على مقتضى تعاليمه ووصاياه . كما أنه فى كيانه اللاهوتى كذلك يعمل على مقتضى تلك التعاليم والوصايا ذاتها ، لأنها كما انها تعاليم ووصايا الله الآب ، هى فى الوقت ذاته تعاليم ووصايا الله الابن ، الذى هو مخلِّصنا له المجد . ولئن كان اليهود يفاخرون بأن إبراهيم هو جدّهم الأَول والأعظم . فإن إبراهيم نفسه قد اشتهى بروح النبوّة أن يرى اليوم الذى يجىء فيه إلى العالَم المسيح ابن الله مخلِّص العالم (متى ١٣ : ١٧) ؛ (لوقا ١٠ : ٢٤) ؛ (العبرانيين ١١ : ١٣) . وقد تحقق له ذلك بالفعل ؛ إذ رأى ذلك اليوم وفرح ، لأنه يوم الخلاص للبشَر جميعا منذ عهد أبيهم الأوّل آدم إلى عهد إبراهيم نفسه وذريته من بعده حتى مجىء مخلِّصنا وتقديم نفسه ذبيحة على الصليب لتحقيق ذلك الخلاص . ولقد كمل الفرح بإتمام الخلاص وعمل

الفداء ، ونزول المسيح إلى الجحيم ، وهو العالم السفلى ، ليبشّر الأرواح المحبوسة فيه (١ . بطرس ٣ : ١٩) . وهذا هو السبب فى أن يوم السبت الكبير السابق على عيد القيامة يسمى فى المصطلح الكنسى « سبت الفَرح » لأن الأرواح فرحت بالخلاص الذى حَقَّقَه المسيح بموته ، وإذ تَمَّ نَزل فبشرهم به ونقلهم إلى الفردوس . ولكن اليهود بجهلهم ايضًا وغباوتهم فهموا ذلك القول من مخلِّصنا فهمًا حرفيًّا سطحيًا كأنما يعنى أنّ إبراهيم قد رأى فى أثناء حياته على الأرض يوم مجىء مخلِّصنا ، وبالتالى أن مخلِّصنا قد رأى إبراهيم ومِنْ ثَمَّ قالوا له فى سخرية واستخفاف وتكذيب : « إنك لم تبلغ الخمسين بعد ، أفرأيت إبراهيم ؟ » . ويدلُّ على مايملأ قلوبهم من حقد وضغينه أنهم لم يتبينوا حتى حقيقة سن مخلِّصنا الذى لم يكن قد تجاوز الثالثة والثلاثين من عمره فى ذلك الحين ، فظنوا أنه فى نحو الخمسين ولعلَّ مرجع ذلك إلى هيبة معلِّمنا التى تجعله يبدو أكبر من السنّ الحقيقية له فى ناسوته ، ومِنْ ثَمَّ قالوا له : « إنك لم تبلغ الخمسين بعد . أفرأيت إبراهيم ؟ » . وحينئذ كَشَفَ لهم النقاب عن حقيقة شخصيته الإلهية . إذ قال لهم : « الحقَّ الحقَّ أقول لكم : قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن » ، أى أنه أزلىّ (يوحنا ١ : ١) ؛ (١٧ : ٥) ، وهذه صفة الله وحده (الخروج ٣ : ١٤) ؛ (إشعياء ٤٣ : ١٠ و ١١ و ١٣) وقد عَدُّوا ذلك تجديفًا على الله يستحق عنه الموت حسب شريعتهم ، فرفعوا حجارة ليرجموه (يوحنا ١٠ : ٣١ - ٣٣) ؛ (١١ : ٨) . وأما هو فإذ كانت الساعة المحدَّدة فى التدبير الإلهى لموته على الصليب لم تأتِ بعد ، توارَى عنهم مختفيًا عن أنظارهم بطريقة معجزيَّة ، وعَبَر مجتازًا فى وسطهم دون أن يروه ، وخرج من الهيكل . وهكذا مضَى دون أن يستطيع أحد أن يمسه بسوء . وفى هذا سلطان لاهوته أن يتوارى عن الناس فلا يرونه . وكثيرًا مافعل ذلك . ومن ذلك مافعله مع تلميذى عمّاوس بعد قيامته المجيدة إذ اختفى عنهما (لوقا ٢٤ : ٣١) . غير أنه حدث منه ذلك كذلك قبل

قيامته ، عندما غضب منه اليهود « وقاموا وراحوا يدفعون به إلى خارج المدينة حتى جاءوا به إلى قمة الجبل الذى كانت مدينتهم مقامة عليه كى يطرحوه من هناك إلى أسفل ، ولكنه مرَّ فى وسطهم ومضى » (لوقا ٤ : ٢٨ – ٣٠) . وفى مرَّة أخرى « أرادوا أن يمسكوه ولكنه خرج من أيديهم » (يوحنا ١٠ : ٣٩) . وانظر كذلك (يوحنا ٧ : ٣٠ و ٣٢ و ٤٢) ؛ (١٢ : ٣٦) .



الفصل التاسع

٩ : ١-٧

بعد ذلك صنع مخلِّصنا واحدة من أَعظم وأَعجب معجزاته ، وهى معجزة إعادة البصر إلى رجل كان أعمى منذ ولادته .

وقد صنع مخلِّصنا كل المعجزات التى صنعها رحمةً بالناس وإشفاقًا عليهم وحنانًا نحوهم وإثباتًا لقدرته الإلهية ، ليؤمنوا بأنه هو المسيح ابن الله الذى تنبأ الأنبياء بأنه سيجىء إلى العالم لخلاص البشَر . ومن ذلك أنه أقام ابن أرملة نايين من الموت رحمة بأمّه البائسة (لوقا ٧ : ١١ – ١٧) . وأقام ابنة رئيس المجمع كذلك من الموت استجابة لضراعة أبيها الحزين (لوقا ٨ : ٤٠ – ٤٢ و ٤٩ – ٥٦) ؛ (متى ٩ : ١٨ – ٢٦) ؛ (مرقس ٥ : ٢٢ – ٤٣) . وشفَى ذا اليد اليابسة والمرأة المنحنية دون أن يطلب إليه أحدهما ذلك ، رحمة بهما (مرقس ٣ : ١ – ٦) ؛ (متى ١٢ : ٩ – ١٤) ؛ (لوقا ٦ : ٦ – ١١) ؛ (لوقا ١٣ : ١١ – ١٧) . وقد حوَّل الماء إلى خمر فى عُرس قانا الجليل استجابة لرغبة أمه وتلبية لشفاعتها وإنقاذًا للعريس من الحرَج ، وإسهامًا مع الحاضرين فى بهجة تلك المناسبة الاجتماعية المباركة السعيدة (يوحنا ٢ : ١ – ١١) ، وأطعم جموع المستمعين إليه رحمةً بهم وإشفاقًا عليهم من أن ينصرفوا جائعين بعد أن لازموه ساعات طويلة . بل أيامًا متوالية (مرقس ٦ : ٣٠ – ٤٤) ؛ (متى ١٤ : ١٣ – ٢١) ؛ (لوقا ٩ : ١٠ – ١٧) ؛ (يوحنا ٦ : ٥ – ١٣) ؛ (مرقس ٨ : ١ – ٩) ؛ (متى ١٥ : ٣٢ – ٣٩) . بيد أن مخلِّصنا كان يرفض فى بعض

الأحيان أن يصنع معجزة لإنسان ، إلا إذا كان ذلك الإنسان مؤمنًا بأنه قادر على أن يصنع له تلك المعجزة ، مبرهنًا بذلك على أن قلبه تربة خصبة صالحة لكى يبذر فيها السيد المسيح بذاره ، ويجنى منها ثماره . أما الإنسان الذى يغلق قلبه ويوصده رافضًا الإيمان غير مستعد لقبوله ، فإنه يبرهن بذلك على أن ذلك القلب المغلق الموصد الذى يحمله بين جنبيه هو أرض صلبة صخرية ، لا جدوى من بذر البذار فيها ، ولا أمل فى جنى الثمار منها . فالأجدر لها أن تظلّ هكذا جرداء خربة مجدبة . ومِنْ ثَمَّ فإن مخلِّصنا كان كثيرًا مايصرّح بأنه إنما صنع المعجزة تشجيعًا لإيمان الطالب لها والمحتاج إليها : فقد قال عن إيمان قائد المائة الرومانى الذى تَوَسَّل إليه أن يشفى غلامه : « إنى لم أجِد لدى أحد فى إسرائيل إيمانًا بهذا القدر » ، ثم قال له : « اذهب وعلى حَسَب إيمانك فليكن لك » ، فَشُفِى غلامه (متى ٨ : ١٠ – ١٣) ؛ (لوقا ٧ : ١ – ١٠) . وقال للمرأة الكنعانية التى توسَّلت إليه أن يشفى ابنتها : « أيتها المرأة عظيم هو إيمانك . فليكن لك ماتريدين » ، فشُفيت ابنتها (متى ١٥ : ٢٨) ؛ (مرقس ٧ : ٢٤ – ٣٠) . وقال للأعمى الذى طَلَب منه الشفاء فى أريحا : « إنَّ إيمانك قد خلّصك » (لوقا ١٨ : ٤٢) ؛ (متى ٢٠ : ٢٩ – ٣٤) ؛ (مرقس ١٠ : ٤٦ – ٥٢) . وقال للأعميين اللذين تبعاه إلى البيت وهما يلحَّان فى طلب الشفاء : « أتؤمنان بأنى قادر أن أفعل هذا ؟ فقالا له : نَعَم يارب » فشفاهما (متى ٩ : ٢٨ و ٢٩) . وحين جاء إليه قوم بالرَّجل المفلوج ، لم يستطيعوا الدخول بسبب الزحام فنقبوا السقف وأنزلوه منه مع فراشه أمام السيد المسيح ، ومن ثم جاء فى الإنجيل للقديس متى : « فلمَّا رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج : اطمئن يابُنَىَّ ، مغفورة لك خطاياك » ، ثم قال له : « قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك » (متى ٩ : ١ – ٦) ؛ (مرقس ٢ : ٣ – ١٢) ؛ (لوقا ٥ : ١٨ – ٢٦) . أما الذين اهتزَّ إيمانهم بسبب هول الفاجعة التى أصابتهم ، فكان مخلِّصنا يأخذ بأيديهم فى رفق

وحنان ليطمئنهم مؤكدًا لهم أنَّ الإيمان بقدرته على إنقاذهم هو الذى يؤدى إلى نجاتهم من فاجعتهم ، فقال لرئيس المجمع الذى سمع بموت ابنته « لاتخَف ، وإنما آمن فقط » ، ثم أعاد إلى ابنته الحياة (مرقس ٥ : ٣٦) ؛ (لوقا ٨ : ٥٠) ؛ (متى ٩ : ١٨ – ٢٦) . وقال لمرثا أخت لعازر حين رآها يائسة من قيامة أخيها بعد أن مكثت جثته فى القبر أربعة أيام : « إن آمنتِ ترين مجد الله » ، ثم أعاد الحياة إلى أخيها (يوحنا ١١ : ٤٠) . وأما الذين اهتزَّ إيمانهم بغير مبرّر فقد وَبَّخَهم السيد المسيح : ومن ذلك أنه حين استولى الذعر على تلاميذه بسبب العاصفة التى هبَّت عليهم وهُم معه فى السفينة قال لهم : « لماذا أنتم خائفون ياقليلى الإيمان ؟ » ، ثم أوقف العاصفة (متى ٨ : ٢٦) ؛ (مرقس ٤ : ٤٠) ؛ (لوقا ٨ : ٢٥) . وحين جاء مخلِّصنا إلى تلاميذه ماشيًا على ماء البحر وطلب إليه بطرس أَن يذهب إليه هو أيضًا ماشيًا على الماء ، لم يلبث أن خاف وكاد أن يغرق ، فقال له مخلِّصنا : « ياقليل الإيمان ، لماذا شككت ؟ » (متى ١٤ : ٣١) . وكان مخلِّصنا يؤكد فى تعاليمه أهمية الإيمان وقوة أثره ، فكان يقول : « إن كنتَ تستطيع أن تؤمن ، فكل شىء مستطاع للمؤمن » (مرقس ٩ : ٢٣) . ويقول : « إنَّ من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر بدون أن يخامره الشك فى قلبه ، بل يؤمن بأنّ مايقوله سيكون ، فإنه يتم له مايقول » (مرقس ١١ : ٢٣) ؛ (متى ٢١ : ٢١) . بل إنه يقول إن « الذى يؤمن بى ، فالأعمال التى أعملها يعملها هو أيضاً بل ويعمل أعظم منها » (يوحنا ١٤ : ١٢) . أما غير المؤمنين فكان مخلِّصنا يندّد بهم ويرفض أن يصنع أىّ معجزة لهم . إذ جاء فى إنجيل متى أنه « حين جاء إلى وطنه كان يعلّمهم فى مجامعهم حتى بهتوا وقالوا من أين له هذه الحكمة وهذه القدرات ؟ أليس هذا هو ابن النجار ؟ . . . فكانوا مرتابين فى أمره . أما يسوع فقال لهم : لا نبىّ بلا كرامة إلا فى وطنه وفى بيته ، ولم يصنع هناك معجزات كثيرة بسبب عدم

إيمانهم » (متى ١٣ : ٥٤ – ٥٨) ؛ (مرقس ٦ : ١ – ٦) . وكذلك : « جاء الفرّيسيون والصدّوقيون وطلبوا إليه كي يجرّبوه أن يريهم آية من السماء فأجاب وقال لهم : إذا كان المساء تقولون سيكون الجو صحوًا لأن السماء محمرَّة ، وفى الصباح تقولون سيكون الجو مطيرًا اليوم لأن السماء محمرَّة ومكفهرّة ، يامراءون أتستطيعون أن تتبينوا وجه السماء ، وأما علامات الأزمنة فلا تستطيعون أن تتبينوها ؟. إنه لجيل شرير وفاسق يطلب آية فلا يُعطى إلا آية يونان النبى ، ثم تركهم ومضى » (متى ١٦ : ١ – ٤) ؛ (مرقس ٨ : ١١ – ١٣) . وقد قَصَد بآية يونان النّبى معجزة قيامته بعد أن يمكث فى القبر ثلاثة أيام ، كما خرج يونان حيًّا من بطن الحوت بعد أن مكث ثلاثة أيام . أى أن قيامة السيِّد المسيح بعد موته هى المعجزة الوحيدة التى يمكن أن يقتنع بها أولئك الذين يصرّون على عدم الإيمان به . وكما أن معجزات مخلِّصنا تتطلّب الإيمان ، فإنها كذلك تؤدى إلى الإيمان . وقد صرَّح السيد المسيح بذلك أحيانًا . إذ أنه – كما سنرى – حين علم بمرض لعازر قال لتلاميذه : « إنّ هذا المرض ليس مرضًا للموت بل لأجل مجد الله ، كى يتمجدّ ابن الله به » . ثم حين عَلِم أنه مات قبل أن يذهب إليه قال لهم : « أنا أفرح من أجلكم – إذ لم أكن هناك لتؤمنوا » (يوحنا ١١ : ٤ و ١٥) ، أى أَنَّ موت لعازر قد أتاح الفرصة لأن يصنع السيد المسيح تلك المعجزة التى تفوق تصوُّر العقل البشرىّ ، إذ يعيد إليه الحياة ويردّ إليه الروح بعد أن ظلَّ جثمانه فى القبر أربعة أيام وأخذ يتحلَّل . ومِنْ ثَمَّ يؤمن التلاميذ بمعلِّمهم إيمانًا عظيمًا . ويكون ذلك مدعاة لفرحه . وإذ كان اليهود يناوئون السيد المسيح ويكذِّبونه منكرين أنه هو المسيح ابن الله الذى ينتظرونه قال لهم : « صدقونى أنى فى أبى وأن أبى فِىَّ ، وإلا فصدقونى من أجل الأعمال نفسها » (يوحنا ١٤ : ١١) ، أى إذا كنتم لا تصدِّقوننى من أجل أقوالى التى أقولها لكم ، فصدقونى من أجل أعمالى ومعجزاتى التى أصنعها أمامكم . ويقول الإنجيل للقديس يوحنا

بعد أن سرد بعض معجزات مخلّصنا : « وقد صنع يسوع أمام تلاميذه آيات اخرى كثيرة لم تكتب فى هذ الكتاب . وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله ، ولتكون لكم إن آمنتم الحياة الأبدية باسمه » (يوحنا ٢٠ : ٣٠ و ٣١) .

حقًّا إنَّ من يتأمل معجزات السيد المسيح لا يسعه إلا أن يؤمن بشخصه الإلهى ، وبأن هذا هو المسيح ابن الله الحيّ وكلمته الذى تنَّبأ الأنبياء بأنه سيجىء لخلاص البشَر ، ومِنْ ثَمَّ يؤمن بتعاليمه ووصاياه ويعمل بها ، فإن هذه المعجزات تتضمَّن فى ذاتها الدليل على أن ما للسيِّد المسيح من سلطان لم يكن فى يوم من الأيام لأحد من البشَر ، ولا يمكن نسبته إلا إلى الله وحده . فقد أثبت السيد المسيح سلطانه على الإنسان جسمًا وروحًا . فإذا مرض الجسم كان هذا المرض هو اختلال أو انحلال يصيب عضوًا من أعضاء الجسم أو وظيفة من وظائفه . ولابد لهذا الاختلال أو الانحلال من عنصر من العناصر أو عمل من الأعمال يزيل أثره ويعيد إلى الجسم نظامه الدقيق وتركيبه الصحيح الذى خلقه الله عليه والذى لا يحيا إلاَّ به ، كدواء يتعاطاه المريض فيزيل علَّته ، أو عملية يجريها فتستأصل الجزء الفاسد منه ، وربما تطلَّب الشفاء فى جميع الحالات عددًا من الشهور أو عددًا من السنين ، أور بما استعصى الأمر على كلٍّ دواء من الأدوية أو عملية من العمليات فامتنع الشفاء وانتهى الأمر بالمريض بعد العذاب إلى الموت . بيد أن السيد المسيح كان يجىء إليه المصابون بأخطر الأمراض المزمنة وأبشعها أثرًا وأشنعها ألمًا وأكثرها استعصاء ، فيشفيها على الفور فى لحظة واحدة بغير دواء ولا أى نوع من أنواع العلاج ، وإنما بكلمة واحدة منه ، أو حتى بمجرد صدور إرادته دون أن يقول شيئًا ، ودون أن يبذل مجهودًا ودون أن يستغرق وقتًا . فسلطانه على الجسم سلطان مطلق ، يأمره فيأتمر على الفور ، ويصدر إليه إرادته فيطيع فى اللحظة ذاتها ، بقوة لا يمكن مقاومتها ، وبقدرة لا يستطيع أمامها

إلا الخضوع والخنوع . بل لقد يحدث أن يموت الجسم بعد أن تفارقه الروح ، وتمضى عليه بضع ساعات فيبدأ يفسد ، أو تمضى عليه بضعة أيام فيبدأ يتحلّل ويتحوّل إلى تراب ، وقد تركه الناس فى القبر ، ونفضوا منه أيديهم بعد أن بكوا عليه ماشاء لهم البكاء وندبوه على قدر ماأحبّوه واستشعروا الحزن عليه والفجيعة فيه . غير أن السيد المسيح عندئذ يجىء فى كل هدوء وطمأنينة وسلام روحى . ويقول للصبيّة التى ماتت منذ بضع لحظات وهى مسجاة على الفراش : «ياصبية قومى» فتقوم (لوقا ٨: ٥٤)؛ (مرقس ٥ : ٤١). ويقول للشاب الذى مات منذ بضع ساعات وهو محمول على النعش : « أيها الشاب لك أقول قم » فيقوم (لوقا ٧ : ١٤) . ويقول للعازر الذى مات منذ بضعة أيام وتعفنت جثته فى القبر : « لعازر هلُمَّ خارجًا » فيقوم ويخرج (يوحنا ١١ : ٤٣) . فليس سلطان السيد المسيح فى هذه الحالات مقصورًا على الجسد وحده ، وإنما هو يشمل الجسد والروح معًا . لأن الجسد بعد أن فسد أعاد إليه بكلمته الإلهية صلاحه ، ولأن الروح بعد أن فارقت الجسد وانفصلت عنه أمرها أن تعود فعادت إلى الجسد فى الحال واتصلت به ، فقام الميت وقد استردَّ الحياة . ولعلَّ فى تلك المعجزات الرائعة مايبسِّر لنا فهم حقيقة القيامة التى يصعب على عقولنا القاصرة أن تفهمها . بل ليصعب عليها أحيانًا أن تصدِّقها . لأنه إذا كان فى الإمكان أن تعود الروح إلى الجسَد بعد أن يتحلَّل تحلُّلا جزئيًّا ، كان فى الإمكان أيضًا أن تعود إليه بعد أن يتحلَّل تحلُّلاً كاملاً ، لأن القادر على أن يعيده صحيحًا ويعيد الروح إليه فى الحالة الأولى ، قادر أيضًا على أن يعيده صحيحًا ويعيد الروح إليه فى الحالة الثانية ، لأنه صاحب السلطان على الجسد والروح كليهما . وبما أنه قادر على كل شىء فإنَّ الجمع بين الجسد والروح فى أى حالة من الحالات وفى أىّ ساعة من الساعات مهما طال الزمن ، إنما يدخل فى سلطانه وفى نطاق قدرته . وقد أثبت السيِّد المسيح بقدرته الإلهية التى تنطوى عليها هذه

المعجزات أنه هو صاحب ذلك السلطان ، بل إنَّ السيد المسيح يظل صاحب السلطان على الإنسان حتى بعد أن يموت وينتقل إلى العالم الآخَر ، إذ أنه يملك سلطان غفران الخطايا (مرقس ٢ : ١٠) ؛ (متى ٩ : ٦) ؛ (لوقا ٥ : ٢٤) . بيد أن سلطانه بهذا الصَّدد أكثر من ذلك شمولاً وأبعد مدى وأعظم خطرًا وأعمق أثرًا ، إذ صَرَّح بأنه هو الذى يملك أيضًا سلطان الدينونة فى اليوم الأخير . فهو الذى يكافىء الأبرار فى ذلك اليوم مانحًا إياهم الحياة الأبدية ، ويعاقب الأشرار حاكمًا عليهم بالهلاك الأبدى (يوحنَّا ٥ : ٢٦ – ٢٩) ؛ (متى ٢٥ : ٣١ – ٤٦) . وقال بطرس الرسول عن السيد المسيح : « هذا هو المعين من الله ديَّانًا للأحياء والأموات » (الأعمال ١٠ : ٤٢) . وقال عنه بولس الرسول إنه هو « العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته » (٢ . تيموثيئوس ٤ : ١) . وقد أثبتت معجزات السيد المسيح أنَّ له السلطان لا على الأرواح الإنسانية فحسب ؛ وإنما على الأرواح الشيطانية كذلك (مرقس ١ : ٢٧) ؛ (لوقا ٤ : ٣٦) . كما دلَّت معجزات السيد المسيح على أن سلطانه ليس مقصورًا عل الكائنات البشرية فقط ، ولا على الكائنات الشيطانية فحسب ، وإنما على الخليقة كلها وعلى الطبيعة كلها بجميع جواهرها ومظاهرها وظواهرها ، وحيوانها ونباتها وجمادها ، ومياهها ورياحها وعواصفها (مرقس ٤ : ٤١) ؛ (متى ٨ : ٢٧) ؛ (لوقا ٨ : ٢٥) ، وله السلطان على كل مانراه أو لا نراه من موجوداتها وصور وجودها .

وقد صنع مخلصنا ضمن ماصنع من تلك المعجزات التى برهن بها على سلطانه الإلهى ، عددًا لا يحصى من معجزات شفاء المرضَى الذين كانت أمراضهم فى الغالب مستعصية الشفاء ، أو فى بعض الأحيان مستحيلة الشفاء ، فلا طبيب يستطيع أن يداويها ، ولا دواء ينفع فيها . ولقد كان العَمَى من أكثر الأمراض استعصاء على الشفاء . ومِنْ ثَمَّ فقد صنع مخلِّصنا كثيرًا من المعجزات

التى أعاد بها البصر إلى الذين فقدوه (لوقا ٧ : ٢١ و ٢٢) ؛ (متى ١١ : ٥) ؛ (مرقس ٨ : ٢٢ - ٢٦) ؛ (١٠ : ٤٦ - ٥٢) ؛ (لوقا ١٨ : ٣٥ - ٤٣) . ولعلَّ من أروع تلك المعجزات تلك التى رواها الإنجيل للقديس يوحنا ، إذ يقول إنه فيما كان مخلِّصنا مجتازًا رأى رجلاً أعمى منذ ولادته . وإذ كان اليهود يعدُّون كل مرض وكلَّ عاهة تصيب الإنسان إنما ترجع إلى خطيئة اقترفها ، فقد تساءل تلاميذ مخلصنا فى دهشة عن العلَّة فى عاهة هذا الذى ولد أعمى ، وهل هى خطيئة اقترفها أبواه وينال هو جزاءها ، أو هى خطيئة اقترفها هو ذاته قبل ولادته فى حياة أخرى عاشها قبل هذه الحياة على مقتضى عقيدة تناسخ الأرواح ، أو الاستجساد ، أى العودة إلى التجسُّد ، التى كانت شائعة فى ذلك العصر فى بلاد الشرق ولا سيما فى مصر وفلسطين والهند ، ومن بيِّنات هذا الاعتقاد قول اليهود للمولود أعمى بعد أن شفاه السيد المسيح له المجد : « فى الخطيئة قد وُلدت أنت بجملتك .. أفأنت تعلِّمنا ؟ » (يوحنا ٩ : ٣٤) . ومِنْ ثَمَّ سأل التلاميذ معلِّمهم قائلين : « يا مُعَلِّم ، من الذى أخطأ أهذا أم أبواه حتى ولد أعمى ؟ » بيد أن مخلِّصنا أجاب قائلاً : « لا هذا أخطأ ولا أبواه ، وإنما لكى تظهر فيه أعمال الله . فإننا ينبغى - مادام النهار - أن نعمل أعمال الذى أرسلنا . لأنه سيجىء الليل ، الذى لا يستطيع أحد أن يأتى فيه عملاً . مادمت فى العالم ، فأنا نور العالم » . اى أن ذلك الرَّجُل الأعمى منذ ولادته لم يخطئ هو أو أبواه ، وإنما شاءت الحكمة الإلهية ذلك « لكى تظهر فيه أعمال الله » . أى أن الله أعدَّه لهذه اللحظة التى يعيد إليه فيها مخلِّصنا بصره بمعجزة حتى يؤمن الناس بقدرة الله التى فى مخلِّصنا . ومِنْ ثَمَّ أن يؤمنوا بأنه هو ابن الله ، وأنه هو الله ذاته ظاهرًا فى الجسد . ولا يستفاد من قول فادينا هنا : « لا هذا أخطأ ولا أبواه » أن المولود أعمى عاش بريئًا من كل خطيئة ، أو أن أبويه لم يقترفا خطيئة فى حياتهما . وإنما المفهوم من سياق السؤال وإجابة مخلِّصنا على هذا

السؤال أنه لا خطيئة هذا الرجل بالذات ، ولا خطيئة أبويه ، هى العلّة الحقيقية فى أنه وُلد أعمىَ . وإنما هى مشيئة الله غير المدركة الذى شاء لهذا الرجل أن يولد أعمى ، فإذا شفاه السيد المسيح له المجد بهذه الصورة التى لم يسبق لها مثيل فى التاريخ ، برز فيها سلطان المسيح وقدرة عظمته ، وظهر مجد لاهوته .

أما فى غير حالة هذا الرجل فقد تكون خطيئة الوالدين أحيانًا سببًا فى عاهة أو نقص خِلْقى يولد به الطفل ؛ كما يظهر هذا فى بعض الأمراض الخبيثة الناتجة عن النجاسة . وقد تنهك الخطيئة القوة الطبيعية فى الرَّجل أو المرأة أو تستهلكها ، فلا يحمل الجنين أو الطفل إلا طاقة منهكة مستهلكة خاملة قد لا تقوى طويلاً على البقاء فى الحياة ، فقد يموت فى البطن وهو جنين أو قد يخرج إلى الحياة ولكن لا يعيش طويلاً ، أو إذا عاش طويلاً أو قصيرًا فغالبًا مايعيش مريضًا بائسًا ، بغير مناعة وبغير قدرة كبيرة على مقاومة الأمراض ، وقد ينشأ متخلفًا عقليًّا أو ذهنيًّا أو معوَّقًا جسمانيًّا ، وهذا كله مما يدخل فى نطاق الوعيد الإلهى : « أنا الرب الهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع من مُبْغضىَّ » (الخروج ٢٠ : ٥) ؛ (٣٤ : ٧) ؛ (التثنية ٥ : ٩) . وهو مايعرف عند العلماء بقانون الوراثة .

وكذلك قول السيد المسيح له المجد : « لا أخطأ هذا .. حتى وُلد أعمى » لابعدّ فى الحقيقة نفيًا قاطعًا صريحًا لإمكانية عودة الروح بعد الموت إلى الحياة مرة أخرى فى جسدٍ آخر . إنما النفى هنا يختصّ بهذا الرجل المولود أعمى ولكنه لا يتُخذ دليلاً على التعميم ليشمل جميع الناس . أما الخطأ الذى وقع فيه العلاَّمة أوريجينوس فى هذا الصَّدد فهو أنه اتخذ من سؤال التلاميذ « من الذى أخطأ أهذا أم أبواه حتى ولد أعمى » تُكأة للاعتقاد بأن الأرواح البشرية كانت تحيا سابقًا فى العالم الآخر ، ثم أخطأت . فعاقبها الله بأن طردها من ذلك العالم

الروحانى إلى عالم المادة وحبسها فى أجساد لتكفّر عن خطاياها فى حياتها السابقة ، وهو الرأى الذى ذهب إليه أفلاطون فى « نظريّة المُثُل » . وقد أدرك أوريجينوس بعد حين أنه كان من الخطأ أن يتخذ من سؤال التلاميذ تُكأة وبرهانًا على صحة مذهب أفلاطون ، فاعتذر صراحة فى بعض كتبه عن هذا الخطأ وعَدَل عنه .

إن السيد المسيح له المجد يقرر أنه بكيانه الإلهى ذو طبيعة نورانية . وأنه هو مصدر النور الذى ينير العالم (يوحنا ١ : ٤ و٥ و٩) ، وأنه طالما هو مقيم بين الناس الذين فى العالم فهو نور العالم (يوحنا٣ : ١٩) ؛ (٨ : ١٢) ؛ (١٢ : ٤٦) . ومِنْ ثَمَّ فإن فترة إقامته فى العالم قبل صعوده إلى السماء هى بمثابة فترة النهار التى تتمتع فيها الأرض بنور الشمس (يوحنا ١٢ : ٣٥و٣٦) حتى إذا غابت الشمس حلَّ ظلام الليل محل نور النهار . فطالما أنّ مخلصنا مقيم فى العالم وينيره بشخصه الإلهى ، لا يتوقف عن القيام بأعمال الرحمة التى تتطلبها مشيئة الله الآب الذى ارسله (يوحنا ٤ : ٣٤) ؛ (٥ : ١٩ و ٣٦) ؛ (١٧ : ٤) . كما تتطلبها فى نفس الوقت مشيئة الله الابن الذى هو كائن مع أبيه السماوى وفيه ، فى وحدانية تامة ، حتى إذا انتهت فترة إقامته – له المجد – فى العالم بصعوده إلى السماء (يوحنا ٧ : ٣٣) ، فلن يعود الناس قادرين على أن يتمتعوا بما كانوا يسمعون من تعاليمه وما كانوا يرون من معجزاته ، لأنه هو النور الذى يضىء عالمهم مادام مقيمًا بينهم (يوحنَّا ١٢ : ٣٥و٣٦) .

على أن هذا المبدأ يسرى أيضًا على الإنسان ، وفى هذه الحالة يكون « النهار » هو فترة حياته على الأرض إلى أن يموت . وأما الليل فهو نهاية النهار ، عندما تنتهى حياة الإنسان بالموت . والمعنى من ذلك أن ماينفع الإنسان فى آخرته هو عمله الذى يعمله فى حياته هنا (يوحنا ١١ : ٩) ؛ (غلاطية ٦ : ١٠) .

فإذا مات شرّيرًا فاسدًا ، فلا توبة له هناك ، وبالتالى فلا غفران .. « ليس فى الموت من يذكرك وهل فى الجحيم من يعترف لك ؟ » (المزمور ٦ : ٥) ؛ (٢٩ : ٩) ؛ (٨٧ : ١٠ - ١٢) ؛ (١١٤ : ١٧) ؛ (الجامعة ٩ : ١٠) ؛ (إشعياء ٣٨ : ١٨) .

وبعد أن قال مخلِّصنا هذا لتلاميذه ردًا على سؤالهم بخصوص الرجل المولود أعمى ، تَفَل على الأرض وصنع من التفل طينًا وطلى بالطين عينى ذلك الرجل ، وقال له : « اذهب فاغسل وجهك فى بركة سلوام » . وقد أوضح الإنجيل للقديس يوحنا سبب تحديد مخلِّصنا له المجد لهذه البِرْكة بالذات كى يغسل فيها وجهه ، فقال إن إسمها معناه « المُرْسَل » ، أى أنها ترمز إلى شخصِهِ الإلهى باعتباره المرسل من الله الآب لخلاص البشَر ، لأنها كانت ترمز فى النبوءات إلى عرش ومملكة بيت داود (إشعياء ٨ : ٦) ؛ (نحميا ٣ : ١٥) ؛ (لوقا ١٣ : ٤) . ولأن النبوءات كانت تقول عن المسيح الآتى إنه « مُرسَل من الله » ، وإنه هو « ملاك العهد » أى « رسول العهد » (ملاخى ٣ : ١) . كما أنَّ مخلِّصنا نفسه قد أشار إلى ذلك بقوله لتلاميذه « فإننا ينبغى - مادام النهار - أنْ نعمل أعمال الذى أرسَلَنا » (يوحنا ٩ : ٤) . وفعلاً فإن المولود أعمى ذهب إلى بركة سلوام وغسل وجهه ، وعاد بصيرًا (يوحنا ٩ : ٧ و ١١) .

ومما يلفت النظر ويستدعى التأمل فى هذه المعجزة أنَّ الربَّ يسوع المسيح تذرَّع لشفاء المولود أعمى بوسيلة فريدة لم يسبق إليها فى كلّ التاريخ . حتى المولود أعمى نفسه قال لقادة اليهود الذين أخذوا يستجوبونه : « ماسمعنا منذ بدء الزمان أن إنسانًا فتح عينى مولود أعمى » (يوحنا ٩ : ٣٢) ، خصوصًا بهذه الكيفية اليتيمة التى لا مثيل لها ، وهى أنه « تفل على الأرض وصنع من التفل طينًا ، وطلى بالطين عينى المولود أعمى » .

حقًّا لقد سبق للسيد المسيح أن شفَى رجلاً أخرس بأن « تفل ولمس لسانه ..

فانحلّت عقدة لسانه وتكلّم بطلاقة » (مرقس ٧ : ٣٣ – ٣٥) . كذلك جاءوا إليه فى بيت صيدا برجل أعمى ، فتفل فى عينيه ووضع يديه عليه .. فتطلّع بقوة وشفى ورأى كل شيء بوضوح (مرقس ٨ : ٢٢ و ٢٣) . أما فى شفاء المولود أعمى فقد تفل مخلّصنا له المجد لا على لسان الرجل ولا « فى عينيه » ، وإنما « تفل على الأرض » أولاً ، ثم خلط التفل بالتراب على الأرض « وصنع من التفل طينًا » ، ثم أخذ الطين وطلى به عينى المولود أعمى ، وهو أمر غريب ، كما أنه حَدَث فريد ليس له نظير من قبل فى تاريخ الإنسان . بل إن السيد المسيح لم يصنع نظير ذلك من قبل بالنسبة لجميع العميان الذين شفاهم له المجد ممن ذكرهم الإنجيل ، مما يدل على أن مخلّصنا قصد بهذا الأسلوب الفريد أن يقدّم به وسيلة إيضاح لحقيقة لاهوتية كبرى ، وهى قدرته على خلق عينين من الطين لهذا المولود أعمى . إذ أن هذه هى الطريقة التى اتبعها الله تعالى فى خلق آدم الإنسان الأول . فقد « جبل الرب الإله آدم ترابًا من الأرض ، ونفخ فى أنفه نسمة حياة » (التكوين ٢ : ٧) ؛ (٣ : ١٩) . ويقول أيوب الصدّيق « أنا أيضًا من الطين تقرّصت » (أيوب ٣٣ : ٦) ؛ (١٠ : ٩) ؛ (اشعياء ٢٩ : ١٦) . وجاء فى سفر إشعياء « ويل لمن يخاصم جابله .. هل يقول الطين لجابله ماذا تصنع ؟ » (إشعياء ٤٥ : ٩) وجاء فيه : « والآن يارب ، أنت أبونا . نحن الطين وأنت جابلنا ونحن جميعًا عمل يديك » (إشعياء ٦٤ : ٨) ؛ (إرميا ١٨ : ٤ و٦) .

ومن هنا نعلم أن المعجزة التى صنعها السيد المسيح مع المولود أعمى لم تكن كغيرها من معجزات الشفاء للعيون المصابة بالجفاف فى العصب البصرى ، بل كانت معجزة خلق لعينين لم يكن لهما وجود فى المقلتين . لهذا فإنه له المجد طلَى أو بالأحرى ملأ بالطين المقلتين الفارغتين فخلق بالطين عينين للأعمى ، وهذا هو السبب الحقيقى فيما أحدثته هذه المعجزة من دويٍّ غير عادى عند الكتَبة

والفريسيين أكثر جدًا مما أحدثته أيّة معجزة أخرى سابقة لشفاء العميان ، فأخذوا يستجوبون الرجل مرات : «كيف انفتحت عيناك ؟... كيف أبضرت ؟ » (يوحنا ٩ : ١٠ و ١٥) .. وأنت ماذا تقول عنه وقد فتح عينيك ؟ (٩ : ١٧) .. ثم عادوا فاستدعوا الرَّجل وقالوا له ماذا صنع بك ؟ كيف فتح عينيك ؟ (٩ : ٢٤ - ٢٦) .. فاستدعوا أبويه وسألوهما قائلين : أهذا هو ابنكما الذى تقولان إنه ولد أعمى ، فكيف إذن يبصر الآن ؟ » (٩ : ١٨ - ٢١) . أضف إلى ذلك ماتركته هذه المعجزة فى نفوس اليهود الآخرين من آثار بعيدة المَدَى عن قدرة المسيح وسلطانه بحيث كانت عندهم أعظم من معجزة إقامة الموتى ، بل أيضًا أعظم من إقامة لعازر من بين الأموات ، بعد أن صار له فى القبر أربعة ايام . لذلك قالوا عندما رأوه : « أما كان هذا الذى فتح عينى الأعمى منذ ولادته قادرًا على أن لايترك هذا أيضًا يموت؟»(يوحنا١١ : ٣٧) . والمعنى واضح أن الذى يقوى على الأصعب يقوى بالأحرى على الأيسر . وإذن كانت معجزة المولود أعمى أصعب وأعسر وأعظم شأنًا من معجزة إقامة لعازر من بين الأموات بعد أن صار له فى القبر أربعة أيام . ذلك لأن الإقامة من الموت هى إعادةالحياة إلى الجسم المتحلل بعد أن خرجت منه الروح ، وهى معجزة على الرغم من عظمتها وروعتها أقل روعة من معجزة خلق عينين من العدم أومن التراب . ولم يكن لها سابقًا وجود .

« وبه خلق الدهور » (العبرانيين ١ : ٢) .

إذن لقد أثبت السيد المسيح له المجد بهذه المعجزة ، معجزة تفتيح عينى المولود أعمى ، أنه الخالق ، وهذا توكيد لما قاله الإنجيل للقديس يوحنا « فى البدء كان الكلمة ... وكان الكلمة هو الله .. كل شىء به كان ، وبغيره لم يكن شىء مما كان .. كان فى العالم وكان العالم به » (يوحنا ١ : ١ - ٣ و ١٠) . وماجاء فى الرسالة الأولى إلى كورنثوس « ورب واحد وهو يسوع المسيح ، الذى

به كان كل شيء ، وبه نحن قائمون » (١ . كورنثوس ٨ : ٦) .. « هو صورة الله الذى لا يرى .. كل شيء خلق به وله » (كولوسى ١ : ١٥و١٦) .. « وبه خلق العالمين » (العبرانيين ١ : ٢) .

٩ : ٨ - ١٢

وقد ذهل اليهود حين رأوا ذلك الذى كان مولودًا أعمى إذ أصبح بصيرًا يراهم كما يرونه . فقال جيرانه والذين كانوا يعرفونه من قبل يستعطى وهو أعمى « أليس هذا هو الذى كان يجلس ليستعطى ؟ » . وقد اختلفوا فى أمره ، فقال بعضهم « إنه هو » ، وقال البعض الآخر « لا بل يشبهه » . أما هو فكان يقول « أنا هو » فقالوا له « كيف انفتحت عيناك ؟ » . أجاب وقال « إن الإنسان الذى يُدعَى اسمه يسوع صنَع طينًا ، وطَلى به عينىَّ وقال لى اذهب فاغسل وجهك فى بركة سلوام ، فذهبت وغسلت وجهى فأبصرت » . فقالوا له « اين هو ذلك الإنسان ؟ » قال « لا أعلم » ، إذ كان مخلّصنا بعد أن طلى بالطين عينيه وأمره أن يذهب ليغسل وجهه فى بركة سلوام قد تركه ومضى .

٩ : ١٣ - ٣٤

وإذ استولت الدهشة على اليهود أمام تلك المعجزة الخارقة للطبيعة ، ولم تستطع عقولهم القاصرة أن تدرك الكيفية التى تمت بها ، ولا أن تعرف مغزاها لأنهم لم يكونوا يعرفون حقيقة الشخصية الإلهية لذلك الذى صنعها . وإذ كانوا يلجأون فى مثل هذه الأمور إلى فقهائهم من الفريسيين (يوحنا ١١ : ٤٦) ، جاءوا إليهم بذلك الذى كان من قبل أعمَى ، ليستفتوهم فى أمره ، ولا سيّما أنه كان سبت حين صنع مخلّصنا الطين وفتح عينيه . وكان القيام بأى عمل فى السبت خطيئة عظمى فى شريعتهم (يوحنا ٥ : ٩ ، ١٠) تستوجب الموت ، فسأله

الفريسيون هم أيضًا «كيف أبصرت؟» فقال لهم «إنه وضع طينًا على عينيَّ ثم اغتسلت فأبصرت» . فقال قوم من الفَريسيِّين «إن هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت» . وهكذا بلغ من غباء أولئك الفَريسيِّين الذين كانوا يدَّعون لأنفسهم العلم أنهم عميت أبصارهم وبصائرهم عن أن يدركوا دلالة هذه المعجزة . فلم يكن ثمة فيها مايسترعى انتباههم إلا أن مخلِّصنا قد صنع طينًا وشفى به الأعمى فى يوم السبت الذى لا يجوز فيه للإنسان أن يصنع شيئًا أو يقوم بأى عمل (متى ١٢ : ٢) . فبرهنوا بذلك على جهلهم الواضح والفاضح لنبوءات أنبيائهم الذين تنبأوا جميعًا بما سيصنع المسيح الذى ينتظرونه حين يجىء من معجزات منها أن يفتح أعين العميان . كما برهنوا على سواد قلوبهم ومدى حقدهم على مخلِّصنا وغيرتهم منه وكراهيتهم له ، حتى لقد أسدل كل ذلك ستارًا كثيفًا يحجب عن عيونهم مجد تلك المعجزة وجلالها السماوى وارتفاعها عن مستوى قدرة البشَر (يوحنا ٢ : ١١) ؛ (٣ : ٢) ؛ (٩ : ٣٣) ، فلا يقدر عليها إلا الله وحده . بيد أن قومًا آخرين كانوا أكثر انصافًا وأقل حقدًا فقالوا : «كيف يستطيع إنسان خاطىء أن يصنع مثل هذه المعجزات ؟» . ومِنْ ثَمَّ وقع بينهم انقسم (انظر يوحنا ٦ : ٥٢) ؛ (٧ : ١٢و٤٣) ؛ (١٠ : ١٩) . وقد أدى بهم ذلك التضارب فى الرأى إلى أن يتناسوا ماهم من علم ومكانة فى المجتمع ، فاحتكموا إلى الرجل الذى كان أعمى والذى كان شحَّاذًا فقيرًا وجاهلاً وفى أحط مراتب ذلك المجتمع ، فقالوا له « وأنت ماذا تقول عنه وقد فتح عينيك ؟ » .

وقد كان الرجل أكثر منهم ذكاء عقل ونقاء قلب ، إذ فهم كل الفهم وأدرك كلَّ الإدراك مغزى ماصنعه به فادينا له المجد فقال « إنه نبّى » (انظر متى ٢١ : ١١) ؛ (يوحنا ٤ : ١٩) ؛ (٦ : ١٤) . غير أن اليهود فى غباوتهم أو تغابيهم ، وفى جهلهم أو تجاهلهم ، وفى عماهم أو تعاميهم لم يصدّقوا أن ذلك الرجل كان أعمى ثم أبصر . لأن استعادته البصر بعد أن كان أعمى منذ ولادته

كان أمرًا يفوق عقولهم ويتفوّق على كل مشاعرهم وأحاسيسهم . ومن ثم استدعوا ابويه ، وسألوهما قائلين « أهذا هو ابنكما الذى تقولان إنه وُلد أعمى ؟ فكيف إذن يبصر الآن ؟ » . وإذ كان أبوا ذلك الرجل المسكين فقيرين ولا حول لها ولا قوة ، فقد خافا وجزعا من أولئك الفرِّيسيِّين الذين يواجهونهما بالصَّلف وبالعداء والتهديد بالاعتداء . ومِنْ ثم أجابا فى خوف ظاهر وتهُّرب يدلّ على مقدار هلعهما من أولئك الأقوياء المفترين ، قائلين : « إننا نعلم أنَّ هذا هو ابننا وأننا ولدناه أعمى . أما كيف يبصر الآن فلا نعلم . أو مَن الذى فتح عينيه فلا نعلم . إنه بالغٌ سنّ الرشد ، اسألوه فيتكلَّم هو عن نفسه » . وكان واضحًا أنَّ أبويه قالا هذا لخوفهما من اليهود ، أو بالأحرى رؤساء اليهود ، لأنهم كانوا قد أصدروا قرارًا بأنه إذا اعترف أحد بأن مخلِّصنا الذى صنع هذه المعجزة وغيرها من المعجزات هو المسيح يُقطع من المجمع ، أى يصير مغضوبًا عليه من الرِّئاسات الدينية لليهود (يوحنا ٧ : ١٣) ، ويصبح شخصًا منبوذًا لا يصحّ لليهود أن يعاملوه ولا يصحّ له هو أن يعامل اليهود ، وهذه أبشع وأشنع عقوبة يمكن أن تصيب يهوديًا ، لأنها بمثابة الحكم عليه بالإعدام . وقد ورد بعد ذلك قول الإنجيل « فقد آمن به كثيرون من الرؤساء أنفسهم ، وإن كانوا بسبب الفرِّيسيين لم يعترفوا به علنًا لئلاَّ يطردوا من المجمع » (يوحنا ١٢ : ٤٢) . ومن ذلك ماقيل عن .. « يوسف الذى من الرّامة وكان تلميذًا ليسوع ، وإن يكن خفية لخوفه من اليهود » (يوحنا ١٩ : ٣٨) – انظر أيضًا (الأعمال ٥ : ١٣) . وقد قال السيد المسيح له المجد لتلاميذه : « فإنهم سيخرجونكم من المجامع » (يوحنا ١٦ : ٢) . وقد أخرجوا المولود أعمى فعلاً فطردوه من جماعة اليهود (يوحنا ٩ : ٣٤) .

وقد واصل اليهود من الفرّيسيّين وغير الفرّيسيّين محاولاتهم المستميتة لكى ينفوا عن مخلِّصنا قدرته الإلهية التى يستطيع بها أن يصنع معجزات يعجز البشر

عن أن يصنعوها . ومِنْ ثَمَّ عادوا فاستدعوا الرجل الذى كان أعمى وأرادوا التأثير عليه بالترهيب والترغيب والوعد بالمكافأة والوعيد بالعقاب ، وقالوا له «مَجِّدِ الله ، فإننا نعلم أن هذا الإنسان خاطىء» (يشوع ٧ : ١٩) ، (١ . صموئيل ٦ : ٥) ، (عزرا ١٠ : ١١) ؛ (الرؤيا ١١ : ١٣) . وفى هذا القول ما فيه من إيماءٍ بما يتّفق مع عقولهم القاصرة ، ونفوسهم المريضة ، وقلوبهم الممتلئة غيرة وحسدًا وحقدًا وضغينة وكراهية لمخلِّصنا له المجد . بيد أن الرجل بنفس صافية صادقة بريئة من أىّ غرض أو مَرَض أو غيرة أو حَسَد أو حقد أو ضغينة أو كراهية تجاه ذلك الإنسان الذى أراه الدنيا بعد أن كان لا يرى بصيصًا منها ، وأبرأه من عِلة كانت ستقضى عليه بأن يعيش العمر كله فى ظلامٍ دامسٍ لا بصيص فيه من النور ، ولا بَصَر فيه ولا بصيرة . وإذ كان الرجل تحت تأثير المعجزة الخارقة للطبيعة التى حدثت له لم يستطع أن ينكرها . وإنما اعترف بما تنطوى عليه من مقدرة فوق طاقة البَشَر . فلم يرهبه إرهاب ولا عقاب ، ولم يستطع أن يغريه إغراء أو يثنيه عن قول الحق ترغيب ولا وعد بالثواب . ومِنْ ثَمَّ أجاب اليهود قائلا « إن كان خاطئًا فلا أعلم . وإنما أعرف شيئًا واحدًا وهو أننى كنت أعمى والآن أبصر » . وإذ أخفقت محاولاتهم معه ارتبكوا ولم يجدوا ما يقولونه له إلا أن يسألوه مرة أُخرى عَمَّا سبق لهم أن سألوه عسى أن يتراجع فيما قرر أو يقول شيئًا مخالفًا لما سبق أن قاله فيضبطوه متلبسًا بتناقض أقواله ويستنتجوا من ذلك كذبه وعدم صحة المعجزة التى صنعها معه مخلِّصنا . وهذا ما كانوا يهدفون إليه من كل محاولاتهم ، إذ قالوا له « ماذا صنع بك ؟ كيف فتح عينيك ؟ » . فضاق ذرعًا بلجاجتهم وسماجتهم وسوء نيتّهم وسواد طويَّتهم ، وأجابهم قائلاً « قد قلت لكم ولم تسمعوا ، فلماذا تريدون أن تسمعوا مرة أخرى ؟ هل ترغبون أنتم أيضًا فى أن تصيروا تلاميذه ؟ » وذلك أنه هو شخصيًّا إذ آمن به صار تلميذًا له ، ولم يستطع أن يفهم من إلحاف اليهود عليه فى السؤال وإلحاحهم فى طلب الإجابة ، إلا أنهم يريدون هم أيضًا

أن يؤمنوا بمخلِّصنا ويصيروا من تلاميذه . بيد أنهم اعتبروا هذا القول منه إهانة لهم ، فشتموه قائلين « أنت تلميذ ذاك ، وأما نحن فإننا تلاميذ موسى . ونحن نعلم أن الله كلَّم موسى ، وأما هذا فلا نعلم من أين هو » . وهكذا عيَّروه بأنه تلميذ مخلِّصنا مغمضين أعينهم عن المعجزة الإلهية العظيمة التى صنعها له والتى لايَسَع أى إنسان – مهما يبلغ شرُّه ومكره وغفلة عقله وغلظة قلبه – إلا أن يخرّ ساجدًا أمام عظمة صانعها ويعترف بقدرته الإلهية ويتبعه إلى أقصى الأرض خادمًا له ومُتتلمِذا عليه (يوحنا ٥ : ٢٥) . وقد أنكر اليهود واستنكروا أن يكونوا من تلاميذ مخلِّصنا ، مفتخرين فى زهو كاذب وصلَف قبيح بأنهم تلاميذ موسى (روما [رومية] ٢ : ١٧) ، لا لأنهم تلاميذه حقًّا ، إذ أنهم خالفوا كل وصاياه (يوحنا ٥ : ٤٥) ، وإنما لمجرّد الاستعلاء والكبرياء . وقد راحوا يقارنون بين موسى ومخلِّصنا ، مزهوّين ومزدهين بمكانة موسى العظيمة إذ كلَّمه الله ، ومزدرين بمخلِّصنا زاعمين أنهم لا يعلمون من أين جاء (يوحنا ٨ : ١٤) ؛ (٧ : ٢٨) . وقد برهنوا بذلك على جهلهم الصارخ بكتبهم المقدَّسة ذاتها ، لأنها تتضمَّن أقوال أنبيائهم الذين تنبأوا جميعًا بما فيهم موسى نفسه بمجىء المسيح ، وذكروا أنه هو ابن الله الذى سيجىء من السماء . كما أنهم كانوا فى هذا الذى قالوه مغالطين حتى أنفسهم ، لأنه إن كان افتخارهم بموسى قائمًا على أساس أن الله كلَّمه ، فهم يعلمون أن الله كلَّم مخلّصنا أيضًا وتكلَّم عنه وهو يعتمد من يوحنا المعمدان ، إذ قال على مسمع من كل اليهود الحاضرين « هذا هو ابنى الحبيب الذى بِهِ سُررت » (متى ٣ : ١٧) ؛ (مرقس ١ : ١١) ؛ (لوقا ٣ : ٢٢) . ومامن شك فى أن أولئك الحاضرين من اليهود – وكان بينهم تلاميذ يوحنا – قد أذاعوا خبر ذلك القول الإلهى فى كلّ البلاد اليهودية . فلم يعُد خافيًا على أحد ولا مجهولاً لإنسان ، ولا سيمّا أن يوحنا كان يردّد على مسامع كل من يجىء إليه مارآه وسمعه حين جاء إليه مخلّصنا ليعتمد منه (يوحنا ١ : ١٩ –

٣٤) . وإذن كان اليهود يعلمون من أين جاء مخلّصنا ، فإذا أنكروا ذلك فقد كانوا كاذبين ومغالطين . وحتى لو كان إنكارهم عن جهل منهم بأقوال أنبيائهم ، وتجاهل لأقوال يوحنا المعمدان الذى كانوا يعدّونه نبيًّا ، فقد كان ينبغى أمام تلك المعجزة الإلهية التى صنعها مخلّصنا إذ فتح عينى ذلك المولود أعمى أن يدركوا دون مكابرة أو كبرياء أن هذا هو ابن الله الذى تنبأ بمجيئه الأنبياء . ولئن حال بينهم وبين أن يدركوا تلك الحقيقة حقدهم على مخلّصنا وحنقهم عليه وغيرتهم منه ، إنّ المولود أعمى وهو ذلك الإنسان البسيط الفقير المسكين المتواضع الذى لا يزعم لنفسه علمًا ولا معرفة ولا زهوًا ولا استعلاء قد أدرك من ذلك الذى صنعه مخلّصنا معه أنه كائن سماوى ، وأنه فوق مستوى البشر العاديين ، وأنه لو لم يكن بارًّا وطاهرًا وقويًّا وقادرًا لما استطاع أن يعيد إليه عينيه المفقودتين ، بل أن يخلق له من العدم عينين جديدتين ، ومِنْ ثَمَّ أجاب وقال لهم « إنَّ فى هذا عَجَبًا أنكم لا تعرفون من أين هو ، وقد فتح عينىَّ . ونحن نعلم أن الله لا يسمع للخطاة . وأما الذى يتقى الله ويعمل بمشيئته فإن الله يسمع له . وماسمعنا منذ بدء الزمان أنَّ إنسانًا فتح عينى مولود أعمى . فلو لم يكن هذا من الله ، ماستطاع أن يصنع شيئًا » (انظر أيوب ٢٧ : ٨و٩) ؛ (٣٥ : ١٢) ؛ (المزمور ١٧ : ٤١) ؛ (٣٣ : ١٥و١٦) ؛ (٦٥ : ١٨) ؛ (١٤٤ : ١٩) ؛ (الأمثال ١ : ٢٨) ؛ (١٥ : ٢٩) ؛ (٢٨ : ٩) ؛ (إشعياء ١ : ١٥) ؛ (إرميا ١١ : ١١) ؛ (١٤ : ١٢) ؛ (حزقيال ٨ : ١٨) ؛ (ميخا ٣ : ٤) ؛ (زكريا ٧ : ١٣) ؛ (يعقوب ٥ : ١٦) ؛ (يوحنا ٣ : ٢) .

وقد أفحم ذلك الإنسان البسيط علماء اليهود بحكمته الفطرية ومنطقه السليم . ومن ثَم حنقوا حنقًا شديدًا عليه وهم المتعالون المتعالمون الزاعمون لأنفسهم الحكمة كلها والمنطق الذى لا منطق بعده . فأجابوا وقالوا له « فى الخطيئة قد ولدتَ أنت بجملتك ، أفأنت تعلّمنا ؟ » . وهكذا لم يجدوا غير

الشتائم يوجهونها إليه ، والافتراءات يفترونها عليه ، لأن الرَّجُل إن كانت أمه قد ولدته أعمَى وفقيرًا معدمًا حتى اضطر أن يستعطى الناس ، فإنه لم يولد فى الخطيئة ، ولم يكن خاطئًا (يوحنا ٩ : ٢و٣) وإذ لم يكن لديهم الدليل على ذلك لكى يتهموه ، اكتفوا بأن شتموه . وإذ انهزموا أمامه وعجزوا عن الردّ عليه لم يجدوا أمامهم إلا العنف – وهو السبيل الوحيد أمام الضعفاء – فطردوه من أمامهم فى غلظة وفظاظة ، وعَدُّوه منبوذًا من المجتمع اليهودى (يوحنا ٩ : ٢٢و٣٥ – ٤١) ؛ (٣ . يوحنا : ١٠) .

وسمع مخلِّصنا بأن رؤساء اليهود طردوا ذلك الرَّجل ، فحين لقيه بعد هذا – وكان ذلك على الأرجح فى هيكل أورشليم – أراد أن يختبر مدى إدراكه لحقيقة شخصيته ، فقال له « أتؤمن بابن الله ؟ » . وقد برهن الرجل على أنه على استعداد لأن يؤمن بابن الله لو أنه عرفه ، إذ قال « مَن هو ياسيِّدى فأومن به ؟ » . وإذ رأى مخلِّصنا ذلك الاستعداد منه قال له « إنك تراه وهو هو الذى يكلمك » (انظر يوحنا ٤ : ٢٦) . وهكذا أعلن مخلِّصنا حقيقة شخصيته لذلك الرَّجل المسكين ، مع أنه قليلاً ما فعل ذلك ، بل إنه – لحكمة لديه – كان فى الغالب يوصى الذين يصنع لهم المعجزات ، كما يوصى تلاميذه الذين يشهدونها بألاَّ يذيعوا أمرها . ولكن مخلِّصنا – بسبب ما أبداه ذلك الرجل من استعداد للإيمان – أراد أن يستجيب له ويوطِّد ذلك الإيمان فيه ، ومِن ثَمَّ كشف له النقاب وهو الفقير البائس عمَّا لم يكشفه لكثيرين من الملوك والرؤساء ، والمتعالين والمتعاظمين .

أليس كلام السيد المسيح مع المولود أعمى دليلاً واضحًا على حرصه له المجد على أن يعرفه أتباعه والمؤمنون به على أنه هو فى حقيقته « ابن الله » على الرغم من أنه هو فى نفس الوقت بحسَب الجسَد « ابن الإنسان » ؟. هذه هى الحقيقة

المسيحية الكبرى ، وهى الصخرة التى أقام المسيح عليها كنيسته .. فهو له المجد يقول « على هذه الصخرة – أنت المسيح الله ابن الله الحى – أبنى كنيستى » (متى ١٦ : ١٦و١٨) . نعم إن السيد المسيح هو ابن الله وهو ابن مريم . هو ابن الله من حيث لاهوته ، إذ هو الله الكلمة الذى نزل من السماء .. « الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه » (يوحنا ١ : ١٨) . حقًّا إنه كان يخفى لاهوته عن الشيطان لئلاً يتعطّل الصليب ، وهو عمل الفداء والخلاص الذى جاء من السماء لينجزه ويتممه (يوحنا ١٢ : ٢٧) .. « لِأَنْ لو عرفوا لمَا صَلبوا ربَّ المجد » (١ . كورنثوس ٢ : ٨) . لكنه كان من وقت إلى آخَر يكشف عن حقيقة لاهوته ، وأنه ابن الله بالحقيقة ، وابن الله الوحيد الذى ليس لبنوَّته نظير ، فهو مَتفرِّد بهذا النوع من البنوَّة لأنه من طبيعة الله الآب ومن جوهره (يوحنا ٧ : ٢٩) . وهو واحدٌ معه فى الجوهر (يوحنا ١٠ : ٣٠)– وانظر (متى ٤ : ٣) ؛ (١٤ : ٣٣) ؛ (٢٦ : ٦٣) ؛ (٢٧ : ٥٤) ؛ (مرقس ١ : ١) ؛ (٣ : ١١) ؛ (لوقا ١ : ٣٥) ؛ (٤ : ٤١) ؛ (٢٢ : ٧٠) ؛ (يوحنا ١ : ٣٤و٤٩) ؛ (٥ : ٢٥) ؛ (١٠ : ٣٦) ؛ (٢٠ : ٣١) ؛ (الأعمال ٩ : ٢٠) ؛ (روما [رومية] ١ : ٤) ؛ (٢ . كورنثوس ١ : ١٩) ؛ (غلاطية ٢ : ٢٠) ؛ (العبرانيين ٤ : ١٤) ؛ (٦ : ٦) ؛ (٧ : ٣) ؛ (١٠ : ٢٩) ؛ (١ . يوحنا ٣ : ٨) ؛ (٥ : ١٠) ؛ (الرؤيا ٢ : ١٨) .

وقد كان الرَّجل الذى كان أعمى عند حسن الظن به ، فسرعان ماأعلن الإيمان بمخلِّصنا قائلاً له « أُومن ياسيدى » . ثم برهن على إدراكه لحقيقة شخصه الإلهى ، إذ سَجد له . والسجود هنا لابُدَّ أن يكون سجود العبادة ، لا مجرَّد سجود الاحترام (انظر متى ١٤ : ٣٣) ؛ (٢٨ : ١٧) ؛ (٢ : ٢و١١) ؛ (لوقا ٢٤ : ٥٢) ؛ (العبرانيين ١ : ٦) . وعندئذ قال مخلِّصنا

تعليقًا على تلك المعجزة التى فتح بها عينى الأعمى « أتيت أنا دينونة للعالم ، حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون » ، أى أنه جاء من السماء إلى العالم امتحانًا للذين فى العالم (انظر يوحنا ٣ : ١٩) . حتى يفتح أعين العميان فيبصروا ويفتح قلوب غير المؤمنين فيؤمنوا . وأما الذين يدَّعون لأنفسهم البصيرة والبصر فإن غلظة قلوبهم تعمى بصائرهم وأبصارهم (متى ١٣ : ١٣ - ١٥) ، حتى إن الحق يتألّق كالشمس امامهم فلا يبصرونه (إرميا ٥ : ٢١) ؛ (اشعياء ٦ : ٩) ، ونور الله يتدفق عليهم ومن حولهم فلا يرونه أو تتبيَّنه أعينهم (حزقيال ١٢ : ٢) ؛ (التثنية ٢٩ : ٤) ، والمسيح الذى ينتظرونه منذ آلاف السنين يأتى إليهم فلا يدركون حقيقة شخصيته ، وإنما يتنكرون له وينكرونه . حتى إذا جاء يوم الدينونة كوفئ المؤمن على إيمانه ، وعوقب المنكر بسبب نكرانه (يوحنا ٥ : ٢٢و٢٧) ؛ (١٢ : ٤٨) .

وقد سمع هذا القول من مخلِّصنا قوم من الفرِّيسيين الذين كانوا عندئذ معه . فقالوا له « ألعلنا نحن أيضًا عميان ؟ » . قال لهم مخلِّصنا « لو كنتم عميانًا لما كانت لكم خطيئة . ولكنكم الآن تقولون إننا نبصر . فخطيئتكم لهذا باقية » . أى أنهم لو كانوا ينكرون أنه المسيح ابن الله عن جهل يشبه جهل الأعمى بما لا يرى ، لَمَا كان فى ذلك خطيئة من جانبهم (متى ١٢ : ٣٢) ؛ (لوقا ١٢ : ١٠) . أما وهم يدَّعون العلم والمعرفة (روما [رومية] ٢ : ١٩) ؛ (الأمثال ٢٦ : ١٢) ، فى حين أنهم ينكرون أنه المسيح ابن الله ، فليس ذلك جهلاً منهم يمكن أن يكون عذرًا لهم ، وإنما هو أدِّعاء للجهل أو تجاهل للحقيقة ينفى كلّ عذر لهم ويجعل خطيئتهم متعمَّدة ، ويجعلهم متمسكين بها مصرّين عليها ، ومِنْ ثَمَّ فإنها تغدو خطيئة مستمرَّة وباقية فى أعناقهم ، لا انقضاء لها ، ولا غفران عنها (متى ١٢ : ٣١و٣٢) ؛ (لوقا ١٢ : ١٠) ، قال السيد المسيح له المجد : « لو لم

أكن قد جئت وكلّمتهم لما كانت لهم خطيئة . وأما الآن فليس لهم عذر فى خطيئتهم .. لو لم أكن قد صنعت بينهم أعمالاً لم يصنعها أحد غيرى لما كانت لهم خطيئة » (يوحنا ١٥ : ٢٢و٢٤) .



الفصل العاشر

١٠ : ١ - ٦

وقد استطرد مخلِّصنا فى مخاطبته لليهود قائلاً لهم : « الحق الحق أقول لكم إنَّ الذى لا يدخل من الباب إلى حظيرة الخراف وإنما يتسلَّق إليها من موضع آخر ، هو سارق ولص . وأما الذى يدخل من الباب فهو راعى الخراف ، وله يفتح البوّاب ، والخراف تسمع صوته ، فيدعو خرافه بأسمائها ويخرجها ؛ ومتى أخرج خرافه التى تَخُصُّه ، سار قدامها وهى تتبعه ، لأنها تعرف صوته . أمّا الغريب فلا تتبعه وإنما تهرب منه لأنها لا تعرف صوت الغريب » .

وقد كان مخلِّصنا يعنى بذلك أنه هو المسيح الحقيقى الذى تنبأت بمجيئه النبوءات ، ولم يكن مسيحًا كاذبًا أو مزيفًا كما يحاول اليهود أن يصوروه . لأن المسيح الحقيقى هو فى الواقع الراعى الحقيقى للبَشَر، الذين هُم بمثابة خرافه . فإن لم يكن هو الراعى الحقيقى لمَا كان قد جاء إلى عالَم البَشَر الذى هو بمثابة الحظيرة للخراف ، بالصورة التى جاء بها مخلِّصنا ، إذ تجسَّد فى بطن السيدة العذراء مريم ، لا من زرع بشر وإنما من روح القدس الذى هو روح الله الآب . وقد تمثَّل فيه كل الكمال الإلهى ، سواء باعتباره ابن الإنسان ، أو باعتباره ابن الله ، فقد كان باعتباره ابن الانسان مطيعًا لله كما ينبغى أن تكون طاعة الإنسان لله . وكان باعتباره ابن الله ممثلاً للطبيعة الإلهية بكل كمالاتها فى الصفات والقدرات . أما لو كان قد جاء عن غير ذلك الطريق من زرع إنسان تجوز الخطيئة عليه ،

أو جاء غير مطيع لله ، أو غير مالك لكمالات الله فى صفاته وقدراته ، ومن تلك القدرات صنع المعجزات التى لا يمكن أن تصدر إلا من الله وحده ، لكان مسيحًا زائفًا يشبه ذلك السارق واللّص الذى لا يجرؤ على أن يدخل حظيرة الخراف من بابها . وإنما يتسلّق إليها من موضع آخر ، لا ليرعى الخراف شأن راعيها ، وإنما ليسرقها (إرميا ٢٣ : ١ – ٤) ؛ (زكريا ١١ : ٤ – ١٧) . ولذلك فإن الخراف إذ لا تعرفه تفزع منه وتهرب من وجهه . وأما الراعى الحقيقى للخراف فإنه يتقدم بخطوات واثقة مطمئنة صلبة إلى باب الحظيرة . ولما كان حارس ذلك الباب يعرفه فإنه يفتح له الباب (الأعمال ١٤ : ٢٧) ؛ (١٦ : ٦و٧) ؛ (١ . كورنثوس ١٦ : ٩) ؛ (٢ . كورنثوس ٢ : ١٢) ؛ (كولوسى ٤ : ٣) ؛ (الرؤيا ٣ : ٨) . ولما كانت الخراف التى فى الحظيرة أيضًا تعرفه فإنها تهرع إليه حين تسمع صوته . ولما كان هو من جانبه يعرف تلك الخراف واحدًا واحدًا لأنها تخصُّه فإنه يناديها كُلاًّ باسمه ويخرجها من حظيرتها ليرعاها ، حتى إذا أَخرج تلك الخراف جميعًا سار قدامها ، وهى إذ تعرفه وتعرف صوته تتبعه ، أما الغريب الذى ليس هو الراعى الحقيقى للخراف ، وإنما هو لص جاء ليسرقها ، فإنها إذ لا تعرف صوته لا يمكن أن تتبعه وإنما تهرب فزعة منه . وقد جاء مخلِّصنا إلى العالم باعتباره الراعى الحقيقى للبشَر ، ولذلك دخل من الباب الذى يدخل منه ذلك الّراعى ، باب الحق والصدق والرحمة والعدل ، ولا يجرؤ على أن يدخل منه السارقون اللصوص الذين هم المسحاء والأنبياء الكذَبة ، باب الخداع والختال والاحتيال والغش . وهو يعرف خاصته من البَشَر . ومنْ ثَمَّ فهو يدعوهم بأسمائهم واحدًا واحدًا ، فيتبعونه على الفور . لأنهم فى أعماق وجدانهم يعرفون صوته ، ولأنهم فى صميم قلوبهم يدركون أن هذا هو راعيهم الحقيقى ، وأن هذا هو إلههم الذى أحبهم وأحبوه ، وآمنوا به وائتمنوه على أنفسهم ، واطمأنوا إليه ، فارتضوا قيادته لهم ، وأسلموه قيادهم .

١٠ : ٧ – ١٨

وإذ رأى مخلِّصنا له المجد أن اليهود لم يفهموا المَثل الذى ضربه لهم (يوحنا ١٦ : ٢٥و٢٩) ؛ (٢ . بطرس ٢ : ٢٢) ، أخذ يشرح لهم مغزى ذلك المَثل قائلا : « الحقَّ الحقَّ أقول لكم إنى أنا باب الخراف . جميع الذين أتوا قبلى هم لصوص وَسُرَّاق ، ولكن الخراف لم تسمع لهم . أنا هو باب الخراف فإن دخل بى أحد يَخْلص ويدخل ويخرج ويجد مَرْعَى » .

وهكذا بدأ مخلِّصنا يطبق المَثل على نفسه ، مقررًا أنه هو الراعى الحقيقى للبشَر الذين هم خرافه ورعيته . . . « كَرَاعٍ يرعى قطيعه . بذراعه يحمل الحملان . وفى حضنه يحملها ويقود المرضعات » (إشعياء ٤٠ : ١١) ؛ (إرميا ٣١ : ١٠) ؛ (حزقيال ٣٤ : ١٢ – ١٤و٢٣) . وهو فى نفس الوقت الباب الذى يدخل منه الذين يؤمنون به من البشَر ويخرجون ويحيون ويخلصون (يوحنا ١٤ : ٦) ؛ (أفسس ٢ : ١٨) ؛ (العدد ٢٧ : ١٦و١٧) ، أى هو الواسطة التى تتحقق بها كل تحرُّكات البشَر وتقوم عليها حياتهم ويتم عن طريقها خلاصهم من الهلاك المحكوم به من العدالة الإلهية عليهم بسبب شرورهم . وأما جميع الذين أتوا قبله ممن قاوموه زاعمين كذبًا أنهم مسحاء أو أنبياء أو فقهاء أو معلِّمون من دونه ، فلم يكونوا رعاة حقيقيين يهدفون إلى خير البشر أو خلاصهم ، وإنما هم لصوص وسرَّاق (يوحنا ٨ : ٤٤) ، يهدفون إلى المجد الدنيوى لأنفسهم (حزقيال ٣٤ : ٢ – ١٠) . ولو كان فى ذلك هلاك البشَر جميعًا (إرميا ٢٣ : ١ – ٤) . ولذلك لم يجدوا أحدًا من البشر يسمع لهم أو يتبعهم فسرعان ماانكشف زيفهم واتضحت حقيقتهم وافتضحت نيتهم وطويّتهم .

فإن عجز أولئك اليهود عن أن يدركوا أنّ مخلِّصنا هو المسيح الحقيقى وأن

يميزوا بينه وبين المسحاء الكذبة ، فذلك لأنهم قد أغلق الحقد آذانهم فلم يسمعوا صوته ، وأعمى الحَسَد أعينهم فلم يبصروا مجده . ولو كانوا من رعيته حقًّا لسمعوا صوته ورأوا مجده ولم ينكروه أو يتنكروا له ، ولم يحاربوه أو يناصبوه العداء . وعندئذ كان يمكنهم أن يدركوا شخصيته ويؤمنوا بأنه المسيح ابن الله الذى ينتظرونه . بيد أن اليهود على الرغم من أن هذا المثل الذى ضربه لهم مخلِّصنا كان واضحًا كل الوضوح لم يفهموا معناه ولا مغزاه ، كما لم يفهموا ، أو لم يريدوا أن يفهموا – فى غباوتهم وغلظة قلوبهم – لماذا قاله لهم . ومِنْ ثَمَّ استمرَّ سيدنا يوضح هذا المعنى وهذا المغزى لليهود قائلاً « إن السارق لا يأتى إلا ليسرق ويذبح ويُهلك ، وأما أنا فأتيت لتكون لهم حياة ، وليكون لهم أفضل . أنا هو الراعى الصالح ، والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف . وأما الذى هو أجير وليس راعيًا . ذلك الذى ليست الخراف له ، فيرى الذئب مقبلاً فيهرب ويترك الخراف ، فيخطفها الذئب ويبدّدها ، لأنه أجير . فهو لا يبالى بالخراف » .

فالسارق الذى ليس راعيًا حقيقيًّا للخراف لا يأتى إليها إلاّ مُتسلِّلاً من االنافذة أو متسلقًا الجدار ليسرقها لأنه لص ، أو ليذبحها ويهلكها لأنه مجرم وشرير .. « لا يفتقد المنقطعين ولا يطلب المطرود ولا يجبر المكسور ولا يربى القائم ، بل يأكل لحم السِّمان ويهشِّم أظلافها .. ويل للراعى الباطل الذى يهمل الغنم . سيكون السيف على ذراعه وعلى عينه اليمنى فتيبس ذراعه يبسًا وتكلّ عينه اليمنى » (زكريا ١١ : ١٦ و١٧) . وهذا ينطبق على المسحاء والأنبياء الكذَبة ، وعلى الفقهاء والمعلِّمين الزائفين الذين – كى يشبعوا شهوات نفوسهم فى المجد الدنيوىّ – يزعمون للناس أنهم مُرسَلون من الله ، أو أنهم ينقلون إلى الناس تعاليم الله ، فى حين أنهم مُرْسَلون من الشيطان ولا ينقلون إلى الناس إلا تعاليمه ليسرقوا الإيمان بالله من قلوبهم ، فيكون فى ذلك موتهم الرّوحى وهلاكهم

الأبدى . وأما مخلِّصنا فقد أتى إلى العالم كى يهب للناس الحياة الروحية فى الدنيا ، والحياة الأبدية فى السماء (يوحنا ٥ : ٤٠) . فتكون الحياة الرُّوحية أفضل لهم من الحياة المادية التى يحيونها فى الدنيا ، وتكون الحياة الأبدية فى السماء ، لو امتلأت قلوبهم بالإيمان والبِرِّ ، أفضل لهم من الهلاك الأبدى ، لو امتلأت قلوبهم بالكفران والشر ، وذلك لأن مخلِّصنا هو الراعى الصالح للبشَر الذين هُم خليقته وخاصته ، فهو أمين عليهم ، حريص على خيرهم . وقد بلغ به حرصه الحدَّ الذى لا يمكن أن يتصوَّر العقل مداه ، إذ أنه وهو ابن الله وهو الله ذاته تنازل ونزل من علياء سمائه إلى الأرض متخذًا صورة الإنسان المخلوق من التراب كى يقدِّم نفسه ذبيحة عن أولئك الذين أحبهم كلّ الحب ، كى يكفِّر بآلامه وموته على الصليب عن خطاياهم التى استحقوا بسببها الهلاك الأبدى (يوحنا ١٥ : ١٣) . وأما ذلك الذى لا تربطه بالبشَر تلك الرابطة القوية ، رابطة الخالق نحو مخلوقاته ، والمالك نحو ممتلكاته ، والأب نحو أبنائه ، والمحبّ نحو أحبَّائه ، وإنما هو مكلّف برعايتهم نظير أجرٍ يتقاضاه ، فهو أجير وليس راعيًا ، وهو حريص على تقاضى أجره ، وعلى مصلحة نفسه ، وسلامة حياته ، أكثر من حرصه على مصلحة رعيته ، أو سلامة حياتها . ومِنْ ثَمَّ فإنه إذا رأى خطرًا يهدّدها لا يتصدَّى للدفاع عنها ، أو التعرض لأى أذى يصيبه فى سبيل المحافظة عليها ، أو توفير الأمانِ لها ، وإنما يهرب ناجيًا بنفسه من ذلك الخطر ، تاركًا رعيته فى غير مبالاة تحت رحمة ذلك الخطر الذى لا يلبث أن ينقضَّ عليها فيهلكها ، لأنه أجير لا تربطه بالرعيَّة تلك الصلة القوية التى تربط بين صاحبها الحقيقى وبينها ، صلة الامتلاك والمحبة والعطف والرحمة والحنان . وهى الصلة التى تربط بين الله والإنسان . وهى ذاتها الصلة التى تربط بين مُخلِّصنا ابن الله وبين بنى الإنسان . وفى ذلك يقول مخلِّصنا شارحًا وموضِّحًا : « أنا هو الراعى الصالح . وأعرف الخراف التى هى لى ، وخرافى التى هى لى تعرفنى . كما أن أبى

يعرفنى وأنا أعرف الآب . وسأبذل نفسى عن خرافى . ولى خراف أخرى ليست من هذه الحظيرة ، ينبغى أن أجىء بها هى أيضًا فتسمع صوتى . ويكون ثَمَّة رعية واحدة وراعٍ واحد . لذلك يحبنى أبى ، إذ أبذل نفسى كى أستردّها . مامن أحد ينتزعها منى ، وإنما أبذلها أنا وحدى من ذاتى ، فلى سلطان أن أبذلها ، ولى سلطان أن أستردّها . هذه هى الوصية التى قبلتها من أبى » .

وقد أكَّد مخلِّصنا بهذه العبارات الدقيقة اللفظ العميقة المعنى أنه هو الرَّاعى الصالح لرعيته من بنى البشر (حزقيال ٣٤ : ٢٣و٣١) ؛ (ميخا ٥ : ٤) . لأنه هو إلههم الذى يرعاهم بما لَهُ من صلاح إلهى لا يمكن أن يضاهيه صلاح أى إنسان مهما تبلغ فضيلته أو قداسته أو حرصه على رعاية رعيَّته . ومما يجعل هذه الرعاية وطيدة الأسباب قوية الدعائم بالغةً حَدَّ الكمال ، أنه يعرف خرافه الذين هم المؤمنون به معرفة تامة ووثيقة .. « يعلم الرب الذين هُمْ له » (٢. تيموثيئوس ٢ : ١٩) . فهو خالقهم وأبوهم ، ومِنْ ثَمَّ فهو عالم بكل خواطر أنفسهم ، وخلجات قلوبهم ، ومايُظهرونه ومايبطنونه من أفكارهم ومشاعرهم وأعمالهم وأقوالهم وآلامهم وآمالهم وأهدافهم ونواياهم . كما أنهم من جانبهم يعرفونه بقدر إيمانهم به ومحبَّتهم له وطاعتهم إياه وثقتهم فيه باعتباره راعيهم وفاديهم ومخلِّصهم وإلههم . فالصلة بينهم وبينه وثيقة وعميقة ، بنفس الدرجة التى تتصف بها الصلة بينه هو وبين أبيه السماوى ، إذ يعرف كل منهما الآخر معرفة الكائن لذاته ، لأنهما كليهما كيان واحد وإله واحد ووحدة واحدة وذات إلهية واحدة ... « ولا أحد يعرف الابن إلا الآب ، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن » (متى ١١ : ٢٧) ؛ (لوقا ١٠ : ٢٢) ؛ (يوحنا ٧ : ٢٩) ؛ (٨ : ٥٥) ؛ (١٧ : ٢٥) . ولما كان هذا هو مدى العلاقة التى تربط بين مخلِّصنا وبين رعيته من بنى البشَر ، الذين هم بمثابة خرافه . وهذا هو مقدار الحب الذى يضمره لهم ، فإنه قد تنازل – وهو الإله العظيم المتعالى – فأتى إليهم ، متخذًا جسدًا كجسدهم المجبول من التراب .

وعاش بينهم كما يعيشون ، وعانى مثلهم ما يعانون ، وقرَّر بحكمته ورحمته الإلهية أن يموت عنهم ويضع نفسه لأجلهم (١ . يوحنا ٣ : ١٦) . كي يفديهم ويكفِّر عن خطاياهم التي استحقوا بسببها لدَى عدالة الله الهلاك والموت الأبدى ، فيمنحهم بذلك الغفران والخلاص والحياة الأبدية . وإن كان شعب الله مقصورًا فى البداية على الأمة اليهودية التى خصها بالرعاية وأعلن لها ذاته وأنزل عليها شريعته وكان أبناؤها هم وحدهم خرافه ورعّيته (إشعياء ٥٦ : ٨) ، فإنه حين أتى إلى العالم كي يقوم بعمل الفداء الذى ارتضى أن ينجزه ، كان يهدف لا إلى خلاص اليهود وحدهم الذين كان يتألف منهم قبل ذلك قطيع حظيرته التى هى كنيسته ، وإنما إلى خلاص البشَر جميعًا بما فيهم غير اليهود من الوثنيين الذين اعتبرهم هُمْ أيضا خرافَهُ (يوحنا ١١ : ٥٢) . ومِنْ ثَمَّ كان ينبغى أن يدعوهم هم أيضًا (الأعمال ١٨ : ١٠) ، فيسمعوا صوته ، ويتبعوه ، فيتألف من كلِّ القاطنين فى الأرض قطيع واحد ورعية واحدة (حزقيال ٣٧ : ٢٢) ؛ (أفسس ٢ : ١٣ – ١٨) . ويكون لهم راعٍ واحد (حزقيال ٣٤ : ٢٣) ؛ (٣٧ : ٢٤) هو مخلِّصنا له المجد ، راعى الخراف العظيم (العبرانيين ١٣ : ٢٠) . وأسقفها (١ . بطرس ٢ : ٢٥) ، ورئيس الرعاة وراعى الرعاة (١ . بطرس ٥ : ٤) الذى أتى إلى العالم ، لا ليبذل نفسه عن اليهود وحدهم ، وإنما عن البشَر جميعًا . وقد كان عمل الفداء هذا بتدبير الإرادة الواحدة التى تجمع بين مخلِّصنا وأبيه السماوى ، والتى تعبر أصدق تعبير عن محبة ابن الله للبشَر ، كما تعبِّر فى نفس الوقت عن محبَّة الآب السماوى لابنه الحبيب . وهنا يقِّرر مخلِّصنا أنه يبذل نفسه عن البشَر بمحض إرادته ومسرَّته هو وحده .. « إنه ضُرب من أجل ذنب شعبى .. إنه جعل نفسه ذبيحة إثم .. إنه سكب للموت نفسه .. وهو حَمل خطايا كثيرين ، وشفع فى المذنبين » (إشعياء ٥٣ : ٧و٨و١٢) .. « أخلى نفسه متخذًا صورة العبد ، صائرًا فى شبه الناس .. وضع نفسه وأطاع حتى

الموت . الموت على الصليب .. » (فيلبي ٢ : ٧ – ٩) ؛ (العبرانيين ٢ : ٩) . فليس في مقدور أحد أن يأخذ من مخلِّصنا نفسه ، لأنه هو مالكها ولا سلطان لأحد غيره عليها ، ولا يمكن لأحد أن ينتزعها منه على الرغم منه كما هو الشأن بالنسبة للبشَر (لوقا ٢٣ : ٤٦) ؛ (متى ٢٦ : ٥٣) ؛ (يوحنا ٢ : ١٩) ؛ (٥ : ٢٦) . فهو يبذلها من ذاته ، كما أن له السلطان أن يستردّها بإرادته وحدها . وقد تَمَّ هذا التدبير الإلهي لعمل الفداء بمشورة الآب ، كما أنه كان في نفس الوقت بقبول من الابن ، لأنه ارتضى أن يبذل نفسه عن البشَر – بدافع من محبته لهم – لخلاصهم ورفع الغضب الإلهي عنهم (انظر يوحنا ٦ : ٣٨) ؛ (١٢ : ٤٩) ؛ (١٥ : ١٠) .

١٠ : ١٩ – ٢١

فلما سمع اليهود هذه الأقوال من مخلِّصنا اختلفوا فيما بينهم كعادتهم (يوحنا ٧ : ٤٣) ؛ (٩ : ١٦) ؛ (٦ : ٥٢) المعروفة عنهم في كل زمان ومكان ، لأنهم أهل شقاق ونفاق وتنافر وتناحر وخصام وانقسام . فقال كثيرون منهم وهم الحاقدون على مخلِّصنا والناكرون له والنافرون منه « إن به شيطانًا وقد اختل عقله ، فلماذا تستمعون إليه ؟ » وهكذا عجزوا بعقولهم المظلمة وقلوبهم المجرمة عن أن يجادلوه أو يحاوروه أو يجاروه فيما قال . فلم يجدوا سبيلاً إلى الرَّد عليه إلا أن يشتموه ويتهموه بأقبح وأقسى ما يمكن توجيهه من اتهام ، إذ وصموه بأنَّ به شيطانًا نجسًا (يوحنا ٧ : ٢٠) ؛ (٨ : ٤٨و٥٢) يجعل منه إنسانًا شريرًا دنسًا ، وبأنه مختل العقل (مرقس ٣ : ٢١) ، مصاب بالجنون ، يهرف بمالا يعرف ، ويهذى بما لا يدرى . فلا جدوى من الاجتماع به أو الاستماع إليه . بيد أن آخرين غير أولئك ممَّن كانوا أكثر عقلاً وعدلاً وأقل حسَدًا وحقدًا ، أجابوهم قائلين « ليس هذا كلام من به شيطان . أفيستطيع شيطان أن يفتح أعين

العميان ؟ » وقد برهن هؤلاء بهذا القول على سلامة فى التكفير ، واستقامة فى المنطق ، إذ استندوا فى تفنيد مزاعم الفريق الأول إلى حجتين دامغتين ، هما أن أقوال مخلِّصنا هى أقوال إلهية سامية وسمائية ، ولا يمكن أن تصدر بحال من الأحوال عن شيطان نجس أو دنسٍ أو محتالٍ أو دجّال .. لأنه لو كان الشيطان هو المتكلِّم لكانت كلماته نجسة كنجاسته ، دنسة كدنسه ، منطوية على كل مايتصف به الشيطان من احتيال ودجَل ومن كُلِّ أسلوب كَذُوبٍ يعمل به جاهدًا على أن يخدع الإنسان ويدفعه إلى الشرِّ ويوقعه فى مهاوى الهلاك . كما أن أعمال مخلِّصنا هى أعمال إلهية سامية وسمائية ، وتنطوى على معجزات فوق طاقة أى مخلوق من مخلوقات الله ، سواء أكان إنسانًا أو شيطانًا ، ولا يقدر عليها إلا الله وحده لأنه « من الذى .. يخلق .. البصير والأعمى ؟ أليس إياى أنا الرب » (الخروج ٤ : ١١) .. هو « الرب يفتح عيون العميان » (المزمور ١٤٥ : ٨) ؛ (٩٣ : ٩) . ومن ذلك تلك المعجزة الباهرة المبهرة التى صنعها مخلِّصنا والتى اقل ماقاله لليهود بمناسبتها ، إذ فتح أعين رجل ولدَ أعمى « أفيستطيع شيطان أن يفتح أعين العميان ؟ » (انظر يوحنا ٩ : ٦و٧و٣٢و٣٣) .

١٠ : ٢٢ - ٣٠

وكان فى ذلك الوقت عيد التجديد بأورشليم . وقد أنشأ يهوذا المكابى هذا العيد فى عام ١٦٥ قبل الميلاد ، تخليدًا لذكرى تجديد الهيكل فى عهده ، إذ كان أنطيوخوس ملك سوريا قد هاجم بلاد اليهود ودخل هيكل أورشليم وأشاع فيه الخراب ، ونهب نفائسه ، وفرض الديانة اليونانية الوثنية على الشعب اليهودى . فاعتنقها كثيرون منهم . وقد تمرَّد متَّاتيا وخرج مع أبنائه إلى الجبال وأعلن الحرب على أنطيوخوس . فلما مات خَلَفه فى زعامة المتمردين أكبر أبنائه يهوذا ، وهو الملَقَّب بالمكابى . وقد ظلَّ هذا يقاتل حتى استطاع الاستيلاء على أورشليم ، وهناك

وَجد الهيكل وقد التهمت النار معظمه ، ونجَّسَه اليونان بوضع معبوداتهم فيه ، وإذ لم يجد يهوذا وسيلة إلى تطهير حجارته من الدنس الذى لحق بها حَسَب الشريعة اليهودية ، هَدَمها وجاء بحجارة جديدة ، وأعاد بناء الهيكل من جديد ، وصنع له آنية جديدة . ثم فى اليوم الخامس والعشرين من الشهر التاسع من السنة العبرية وهو شهر كسلو ، دَشَّنَ الهيكل ، وظل يقيم فيه الطقوس ويقدِّم الذبائح ثمانية أيام منذ ذلك اليوم . وقرَّر أن يكون هذا عيدًا دائمًا لليهود . يحتفلون به مدة ثمانية أيام تبدأ فى اليوم الخامس والعشرين من شهر كسلو من كُلِّ عام . وقد أصبح اليهود يعدّون هذا العيد من أهم وأعظم أعيادهم . وكانوا يجعلون له من أسباب البهجة ما كانوا يجعلون لعيدَى الفصح والمظال ، فكانوا فى أثنائه يزينون مدخل الهيكل بتيجان من الذهب ويضيئون كل الأنوار التى فى الهيكل وفى أورشليم . ولذلك كانوا يسمونه أيضًا عيد الأنوار .

ولم يكن يتحتم الاحتفال بعيد التجديد فى أورشليم كسائر الأعياد المقدسة لدى اليهود ، وإنما كان كل واحد يحتفل به فى المكان الذى يقيم فيه ، بيد أن مخلِّصنا اشترك فى احتفالات هذا العيد يومذاك فى أورشليم للتبشير والتعليم خلال الأيام الثمانية المحدَّدة له . وكان ذلك فى فصل الشتاء . وقد حدث أنه كان يمشى فى الرواق المسمَّى رواق سليمان فى هيكل أورشليم (الأعمال ٣ : ١١)؛(٥ : ١٢) . وقد أُطلق عليه ذلك الاسم لأنه كان مبنيًا فى نفس المكان من الهيكل الجديد الذى كان يقوم فيه رواق سليمان فى الهيكل الأول . وقد انتهز اليهود هذه الفرصة ، إذ كانت أفكارهم مبلبلة بشأن حقيقة شخصية مخلِّصنا ، فأحاطوا به وقالوا له « إلى متى تتركنا فى حيرة ؟ إن كنت أنت المسيح فقل لنا ذلك صراحة » . ويدلّ قولهم هذا على أنهم كانوا – على الرغم من حقدهم عليه ومعاداتهم له – يترجح فى قرارة أنفسهم احتمال أن يكون هذا هو المسيح ابن الله الذى تنبأ كل أنبيائهم عن مجيئه ، والذى كانوا بالفعل ينتظرونه . ولقد كرر شيوخ

اليهود فى مجمع السنهدريم هذا السؤال على مخلِّصنا فى أثناء محاكمتهم له ، فجاء فى الإنجيل : « ثم قالوا له : أأنت المسيح ؟ قُلْ لنا . فقال لهم : إن قلت لكم فلن تصدِّقوا .. إن ابن الإنسان منذ الآن سيكون جالسًا عن يمين قدرة الله . فقالوا جميعًا : أفأنت إذن ابن الله ؟ قال : نعم ، أنا هو كقولكم » (لوقا ٢٢ : ٦٦ - ٧٠) وجاء فى الإنجيل : « فأجاب رئيس الكهنة وقال له : أستحلفك بالله الحيّ أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله ؟. فقال له يسوع : نعم أنا هو كقولك» (متى ٢٦ : ٦٣و٦٤) ؛ (مرقس ١٤ : ٦١و٦٢). وقد أجابهم مخلِّصنا فى هذه المرة أيضا قائلاً : « قد قلت لكم فلم تؤمنوا . إنَّ الأعمال التى أعملها باسم أبى هى تشهد لى . ولكنكم لا تؤمنون لأنكم لستم من خرافى كما قلت لكم . إنَّ خرافى أنا تسمع صوتى وأنا أعرفها فهى تتبعنى وأنا أيضًا أعطيها الحياة الأبدية ، فلا تهلك إلى الأبد ، ولا يقدر أحد أن يخطفها من يدى . إنَّ أبى الذى أعطانيها هو أعظم من الجميع .. فلا يقدر أحد أن يختطفها من يد أبى . أنا وأبى نحن معًا واحد ». ويدلّ هذا القول من مخلِّصنا على أن أولئك اليهود الذين سألوه- على الرغم من أنهم كانوا يفكرون فى احتمال أن يكون هذا هو المسيح- كان إنكارهم له أرجح فى نفوسهم من الإيمان به ، بسبب ازدرائهم له ، لبساطة مظهره ، وبسبب غيرتهم منه ، لأن كثيرين من الشعب التفّوا حوله وأعطوه كرامة أكثر مما كانوا يعطونه لرؤساء كهنتهم وفقهائهم من الكتبة والفريسيين . وعلى الرغم من أنه قال لهم صراحة فى الفترة الأخيرة تلميحًا وتصريحًا إنه هو المسيح ابن الله الذى ينتظرونه ، فإنهم لم يؤمنوا به وإنما أهانوه وعادوه وحاولوا مرات كثيرة أن يعتدوا عليه ، مع أنهم لم يكونوا فى حاجة لأن يعلن لهم لا تلميحًا ولا تصريحًا حقيقة شخصيته (انظر يوحنا ٥ : ١٩) ؛ (٨ : ٣٦و٥٦و٥٨) . لأن أعماله التى تنطوى على معجزات لا يمكن أن تصدر إلا عن القدرة الإلهية وحدها (يوحنا ٢ : ٢٣) ؛ (٣ : ٢) ؛ (٩ : ١٦و٢٣) .

وقد صنعها فعلاً باسم أبيه السماوى الذى هو الله الآب (يوحنا ٥ : ٣٦) كما أنه صنعها بقدرته الذاتية باعتباره هو الله الابن (يوحنا ١٤ : ١٠) ؛ (١٥ : ٢٤) ؛ (١٠ : ٣٨) . وكان ينبغى أن يكون فيها أصدق الشهادة وأقوى الإقناع لهم بأنه هو المسيح . ولكنهم قد عميت عقولهم وغلظت قلوبهم . فلم يؤمنوا به لأنهم ليسوا من خرافه كما سبق أن قال لهم (يوحنا ٨ : ٤٧) ؛ (١ . يوحنا ٤ : ٦) ، أى ليسوا ممن انفتحت عيونهم ولانت قلوبهم فعرفوا بذلك حقيقة شخصيته ، وعرفوا أن هذا هو راعيهم الصالح بمجرَّد أن سمعوا صوته كما تعرف الخراف راعيها حين تسمع صوته (يوحنا ١٠ : ٣و٤و١٤و١٦) . وهو - بعلمه الإلهى - يعرفهم كما يعرف الراعى الصالح خرافه ، فَهم يتبعونه على الفور ، وهو - إذ يؤمنون به وتمتلئ قلوبهم بكلمته المحيية التى فيها خلاصهم - يمنحهم الحياة الأبدية التى يستحقها المؤمنون الصادقون والأتقياء الأطهار والأنقياء الضمائر والسرائر والأفكار ، فلا يهلكون إلى الأبد (يوحنا ٦ : ٣٧و٣٩) ؛ (١٧ : ١١و١٢) ؛ (١٨ : ٩) ، كما يهلك الكافرون والمنكرون والآثمون والأشرار ، ولا يقدر الشيطان ولا أتباع الشيطان من بنى الإنسان أن يختطفوهم من يده ، لأن أباه السماوى جعلهم رعيته (يوحنا ٦ : ٣٧و٣٩) . فهو يرعاهم ويحافظ عليهم ، وقد عهد بهم إلى ابنه الحبيب ليرعاهم كذلك ويحافظ عليهم (يوحنا ١٧ : ٢و٤و٦و٧و٩و١١و١٢و٢٤) . لأن رعاية الابن هى رعاية الآب ، ومحافظة الابن على رعاياه هى نفسها محافظة الآب على رعاياه . وكما أن الآب أعظم من جميع القُوى التى فى الكون بحيث لا يمكن لأىٍّ من تلك القوى أن تغلبه ، فإن الابن كذلك أعظم من جميع تلك القوى فلا يمكن لأى منها أن يغلبه ، لأن الآب والابن إله واحد وكيان واحد وذات واحدة .

وهنا يعلن السيد المسيح له المجد فى قوله « أنا وأبى نحن معًا واحد » الحقيقة

العظمى أنه وإن كان ابن الله ، لكن هذه البُنُوَّة أزلية غير زمنية . فليس الابن متأخرًا عن الآب فى الزمان ، لأنه « معه » دائمًا منذ الأزل ولم تمرّ لحظة فى الزمان كان فيها الآب ولم يكن الابن « معه » . ثم إنها بنُوَّة حقيقية وطبيعية وليست نسبية . إذ أن الابن من طبيعة الآب ومن جوهره (يوحنا ٧ : ٢٩) ؛ (٦ : ٤٦) . وهى أيضًا بنُوَّة متصلة غير منفصلة ، فالابن لم ينفصل عن الآب لحظة واحدة ، إذ هو كائن معه وفيه دائمًا (يوحنا ١٤ : ٦و١٠و١١و٢٠) ؛ (١٠ : ٢٨) . ومن هنا جاء قول الآباء فى قانون الإيمان « واحد مع الآب فى الجوهر » . أى أن الابن والآب معًا هُما جوهر واحد ، وذات إلهية واحدة (انظر يوحنا ١٧ : ١١و٢٢) . ὁμοούσιος τῷ πατρί

۱۰ : ٣١ - ٤٢

وإذ صَرَّح مخلِّصنا لليهود بأنه هو والله الآب واحد ، عدُّوا ذلك تجديفًا منه على الله ، لأنهم – على الرغم من كلّ ماقاله لهم إثباتًا لهذه الحقيقة – لم يؤمنوا بأنه هو المسيح ابن الله الذى ينتظرونه . فالتقطوا حجارة مرة أخرى ليرجموه (اللاويين ٢٤ : ١٠ – ١٦) . ولم تكن هذه هى المرة الوحيدة التى التقط فيها أشرار اليهود حجارة ليرجموا الرب يسوع . فعندما أعلن لهم وجوده الأزلى قبل إبراهيم رفعوا حجارة ليرجموه . إذ قال الإنجيل « قال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن . فرفعوا حجارة ليرجموه » (يوحنا ٨ : ٥٨و٥٩) انظر أيضا (يوحنا ١١ : ٨) . ومن ثَم أجابهم مخلِّصنا قائلاً : «إنَّ أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من لدن أبى ، فبسبب أى عمل منها ترجموننى ؟ » ، أى أن أعماله كلها كانت أعمال رحمة لهم وعطف عليهم وإحسان يسديه إليهم ، إذ شَفَى مرضاهم ، وأقام من بين الأموات موتاهم ، وأخرج الشياطين والأرواح النجسة من المتسلطة عليهم ، وقام بتعزية مَن كان حزينًا ، وتقوية مَن كان

ضعيفًا ، وهداية من كان ضالاً منهم ، وكانت حياته التعليمية كلها وصايا وإرشادات لهم تهدف إلى خيرهم وتؤلف بين قلوبهم ، وتغرس فيهم المحبة بعضهم لبعض . والرحمة بعضهم على بعض ، والإحسان من غنيهم على فقيرهم ، والإنصاف من كبيرهم على صغيرهم . ولم يحدث فى يوم من الأيام أو فى لحظة من اللحظات أن أساء إلى أحد منهم أو ارتكب فى حقه خطأ أو خطيئة . بل لقد غفر للمخطئين والخاطئين ، وتسامح مع الحاقدين والحاسدين ، ولم يستكبر حتى على الآثمين والأشرار منهم ، وإنما خالطهم وأكل وشرب معهم ليعينهم على أن يثوبوا إلى رشدهم ، ويتوبوا عن آثامهم وشرورهم ، ويأوبوا إلى طريق البرِّ والخير فيرثوا الحياة الأبدية التى أعدَّها للأبرار والأخيار . فلماذا بعد كلِّ هذا يريدون أن يرجموه ، وبسبب أيٍّ من هذه الأعمال الكريمة الرحيمة المليئة بالمحبة والسلام يريدون أن يقضوا عليه ؟. وإذ لم يكن فى استطاعتهم أن ينسبوا إليه أىَّ عمل شرير يبرر محاولتهم قتله ، أجابوه قائلين « إننا نرجمك لا بسبب عمل حسن ، وإنما بسبب التجديف . لأنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا » . مما يدلّ على أنهم على الرغم من كُلِّ معجزاته الإلهية التى صنعها لهم ، وكل كلمات الحكمة السماوية التى فاه بها على مسامعهم ، وكل الحجج القويمة القوية الساطعة القاطعة التى ساقها إليهم ليثبت لهم أنه هو المسيح ابن الله ، ظلوا كافرين به ، منكرين له ، مُصِرِّين على عدم إيمانهم بأنه هو ابن الله الذى تنبأ بمجيئه كل أنبيائهم ، متهمين إياه بالضلال والتضليل ، وزاعمين أنه مجّرد إنسان ، وأنه إذ يجعل نفسه إلهًا إنما يهرف ويجدِّف على الله ويستحق من أجل ذلك الموت على مقتضى شريعتهم التى تقضى بالموت على كلّ المجدّفين . قال الإنجيل فى مرة سابقة «فاشتدت رغبة اليهود فى قتله ، لأنه لم ينقض السبت فحسب ، وإنما قال أيضًا : الله أبى ، مساويًا نفسه بالله » (يوحنا ٥ : ١٨ – انظر فيلبى ٢ : ٦) .

ومن ثم أجابهم مخلِّصنا قائلاً : « أليس مكتوبًا فى شريعتكم : أنا قلت إنكم

آلهة ؟ ، فإن كان يدعو أولئك الذين كانت إليهم كلمة الله آلهة ، والكتاب لا يمكن نقضه ، أفتقولون أنتم للذى قَدَّسه الآب وأرسله إلى العالم إنك تجدّف لأنى قلت إننى أنا ابن الله ؟ » .

وهكذاساق إليهم مخلِّصنا – لتفنيد ذلك الاتهام الذى وجهوه إليه – حجة مأخوذة من الكتاب المقدس نفسه ، الذى لا يمكن لهم إنكاره أو المماراة فيه أو نقض مارود به ، (انظر يوحنا ١٢ : ٣٤) ؛ (١٥ : ٢٥) ؛ (روما [رومية] ٣ : ١٩) ؛ (١٣ : ١٠) ؛ (١ . كورنثوس ١٤ : ٢١) إذ جاء فى سفر المزامير قول الله لبنى البشر « أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلىِّ كلكم » (المزمور ٨١ : ٦) . فإن كان الله يصف بنى الإنسان جميعًا بأنهم آلهة ، فهل يتهم اليهود مخلِّصنا بالتجديف لأنه قال عن نفسه إنه ابن الله وهو الذى قدَّسه الآب السماوى (لوقا ١ : ٣٥) أى كرّسه وعيّنه (روما [رومية] ١ : ٤) ؛ (الأعمال ١٠ : ٤٢) ، وخصَّصه لخلاص العالم ، فصار هو المعيَّن لخلاص العالم (الأعمال ٥ : ٣١) . إذ ليس بأحد غيره الخلاص (الأعمال ٤ : ١٢) ، ومِنْ ثَمَّ صار هو « رئيس خلاصنا » (العبرانيين ٢ : ١٠) الآتى من السماء من أجل خلاص العالم (يوحنا ٣ : ١٧) ؛ (٤ : ٤٢) ؛ (١١ : ٢٧) .

على أنه ما أعظم الفرق بين معنى « إله » فى قول المزمور « أنا قلت إنكم آلهة » وبين أن « المسيح إله » . فكلمة « إله » إذا قيلت عن بَشَر ، فهى بمعنى سيّد أو قاضٍ أو رئيس أو صاحب سلطان وسيادة على مَن هُمْ دونه . وبهذا المعنى قال الرب الإله لموسى عن هرون أخيه « وهو (أى هارون) يكون لك فمًا ، وأنت تكون له إلهًا » (الخروج ٤ : ١٦) . وبهذا المعنى قال الربّ لموسى عن فرعون ملك مصر ، « انظر قد جعلتك إلهًا لفرعون ، وهارون أخوك يكون نبيًّا » (الخروج ٧ : ١) . فموسى جعله الربّ إلها بالنسبة لهارون ، وجعله إلهًا

بالنسبة لفرعون ، وإذن فموسى ليس إلهًا على الإطلاق ، وبالتالى ليس هو الله إنما هو إله بالنسبة لشخص جعله الرب تحت أمره وتحت سلطانه . وبهذا المعنى المحدود لكلمة « إله » قال إكليمنضس الإسكندرى إنَّ الله خلق الإنسان ليكون إلهًا ، أى جعله إلهًا صغيرًا ، له السيادة على ماهو دونه من كائناتٍ حية وجامدة . ولعل أكلمينضس بهذا يفسِّر السلطان الذى منحه الله للإنسان ليحكم به الكائنات التى جعلها الله فى حيازته ، وقال الله « لنصنع الإنسان على صورتنا كشبهنا ، وليتسلَّط على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبّابات التى تدبّ على الأرض ... فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خَلَقه . ذكرًا وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم : انموا واكثروا .. واملأوا الأرض وأخضعوها ، وتسلَّطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كلّ حيوان يدبّ على الأرض » (التكوين ١ : ٢٦و٢٧) .

أما السيد المسيح فليس مجرّد إله بهذا المعنى . إنما هو الإله الأزلى الأبدى . الألِف والياء . البداءة والنهاية . الكائن الذى كان . الدائم إلى الأبد . والقادر على كل شىء (الرؤيا ١ : ٨) ؛ (٢١ : ٦) ؛ (٢٢ : ١٣) والذى قال « أنا وأبى نحن معًا واحد » (يوحنا ١٠ : ٣٠). ولولا أنَّ اليهود قد فهموا أن المسيح نَسَب إلى ذاته أنه من جوهر الآب ومن طبيعته ، وأنه منه (يوحنا ٧ : ٢٩) وأنه كائن معه وفيه (يوحنا ١٤ : ١٠و١١و٢٠) ؛ (١٧ : ٢١) لما التقطوا حجارة أكثر من مرَّة ليرجموه (يوحنا ١٠ : ٣١) ؛ (٨ : ٥٩) . ولمّا سألهم لماذا يرجمونه ، أجابه اليهود قائلين « إننا نرجمك لا بسبب عملٍ حسن ، وإنما بسبب التجديف . لأنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا » (يوحنا ١٠ : ٣٣) . إذن لقد فهموا معنى الألوهيَّة هنا لا بالمعنى الذى قيل عن موسى بالنسبة إلى هارون أو بالنسبة إلى فرعون . كذلك قال الإنجيل فى موضع آخر : « فاشتدت رغبة اليهود فى قتله ، لأنه لم ينقض السبت فحسب ، وإنما قال أيضًا : الله

أبي ، مساويًا نفسه بالله » (يوحنا ٥ : ١٨) . أى أن اليهود فهموا أن السيد المسيح له المجد لا ينسب إلى ذاته الألوهية بالمعنى المحدود والنِّسبى الذى قيل فى موسى وغيره (المزمور ٨١ : ١و٦) ، وإنما بالمعنى المطلق الذى لا ينسب إلا إلى الله الواحد وحده ، وإلاّ لَمَا كانوا يتهمونه بالتجديف ، ومِنْ ثَمَّ يبتغون رَجْمه وقتله .

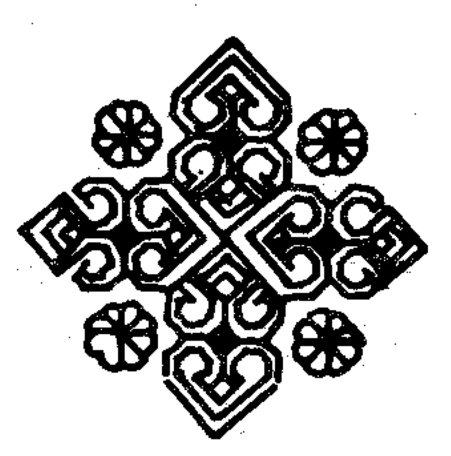
وماقلناه عن معنى « إله وآلهة » ينسحب على كلمة « ابن » فى قول السيد المسيح له المجد عن نفسه «إننى أنا ابن الله». فهذه البُنُّوة ليست من طراز تلك البنَّوة التى قيلت فى المزمور « إنكم آلهة وبنو العلِّى كلكم » ، فهذه البُنَّوة الأخيرة هى بُنُّوة نسبَّية كما قيل فى أولاد شيث بن آدم إنهم « بنوالله » (التكوين ٦ : ١) . وقيل عن الملائكة إنهم « بنو الله » (أيوب ٢ : ١) . بمعنى أن هؤلاء منسوبون إلى الله بوصفه خالقهم من جهة ، وبوصفهم عبيده المخلصين فى عبادتهم له . وكذلك هناك نوع من البُنُّوة من قبيل الإنعام كما قيل فى (يوحنا ١ : ١٢) . أما بنَّوة المسيح لله فهى أولاً بُنَّوة طبيعية ، أى أن المسيح هوابن الله بالطبيعة (لوقا ١ : ٣٥) . بالطبع لا بالوضع (يوحنا ٩ : ٣٥و٣٧) ، لأنه من ذات جوهره (يوحنا ٧ : ٢٩) وكائن فى حضنه ، أى فى عمقه وفى ذاته (يوحنا ١ : ١٨) . ولذلك فهو الابن الوحيد الذى ليس له نظير فى هذا النوع من البُنَّوة (يوحنا ١ : ١٨) ؛ (٣ : ١٦و١٨) ؛ (١ . يوحنا ٤ : ٩) . وقد فهم اليهود هذه البُنَّوة بهذا المعنى الخاص حتى إنهم قالوا لبيلاطس مطالبين بموته « إنه على مقتضى شريعتنا يستحق الموت ، لأنه جعل نفسه ابن الله » (يوحنا ١٩ : ٧) . والمسيح ابن الله لأنه « صورة الله الغير المنظور » (كولوسى ١ : ١٥) ولذلك فَمَن رآه فقد رأى الآب (يوحناً ١ : ١٨) ؛ (١٤ : ٧و٩) ؛ (٦ : ٤٦) .

ثم ساق مخلِّصنا إلى اليهود حجة أخرى تفنِّد اتهامهم له ، قائلاً لهم « إن لم

أكن أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى . ولكن إن كُنت أعمل أعماله فإن لم تؤمنوا بى ، آمنوا بالأعمال ، لتعلموا وتعرفوا أنّى أنا فى أبى ، وأنَّ أبى فيَّ » ، أى أن المعجزات التى يصنعها يعجز عن أن يصنع مثلها أى إنسان فى أى مكان أو زمان ، ولا يقدر عليها إلا الله وحده . وهذا ماقرره له المجد بنفسه إذ قال « لو لم أكن قد صنعت بينهم أعمالاً لم يصنعها أحد غيرى لَمَا كانت لهم خطيئة » (يوحنا ١٥ : ٢٤) . فهى أعمال تبرهن بذاتها وفى ذاتها بما لا يدع مجالاً للشك على أنها أعمال إلهية ، وأن مخلِّصنا الذى يصنعها هو ابن الله . فكما أن الله الآب هو وحده القادر عليها ، فإن الله الابن هو وحده القادر عليها كذلك ، لأن الآب والابن كيان واحد وطبيعة واحدة . فإن كان اليهود لا يقتنعون ولا يؤمنون بأنَّ مخلِّصنا هوابن الله بسبب بساطة مظهره ، وتواضع مهنته ، وعدم امتلاكه ما يمتلك الملوك والقادة والرؤساء والأغنياء من أموال طائلة ومن أسباب الوجاهة والجاه ، فليقتنعوا وليؤمنوا بالمعجزات التى يصنعها ، والتى يعجز عن أن يصنع واحدة منها كل ملوك الأرض وقادتها ورؤسائها وأغنيائها ، لأنهم عندئذ يقتنعون ويؤمنون بأن مخلِّصنا الذى هو صانع تلك المعجزات هو ابن الله وهو الله ذاته ، لأن العلاقة بين ابن الله وبين الله أبيه هى علاقة الذات بذاتها . فالابن بكل كيانه فى الآب ، والآب بكل كيانه فى الابن (يوحنا ١٤ : ١٠و١١و٢٠) ؛ (١٧ : ٢١و٢٣) ، على مقتضى طبيعة الله الفريدة الفذَّة الفائقة التى تتسامى أعظم التسامى وأعمق التسامى عن أن يدرك حقيقتها العقل البشرىّ المحدود إلى أبعد الحدود ، والذى يرسف بطبيعته المادية الأرضية فى سلسلة لا انتهاء لها من الأغلال والقيود . قال السيد المسيح له المجد : « أما أنا فلى شهادة أعظم من شهادة يوحنا ، لأن الأعمال التى أعطانى أبى لأنجزها ، تلك الأعمال التى أنا أعملها هى نفسها التى تشهد لى » (يوحنا ٥ : ٣٦) .

ولكن اليهود على الرغم من تلك الحجج الرائعة المقنعة التى ساقها إليهم

مخلِّصنا ليؤمنوا بأنه هو المسيح ابن الله الذى ينتظرونه ، عجزوا – بغبائهم وسواد قلوبهم وعمى أبصارهم وبصائرهم (يوحنا ٩ : ٣٩و٤٠و٤١) وسيطرة الحقد والحسد على أفكارهم ومشاعرهم (متى ٢٧ : ١٨) – عن أن يدركوا تلك الحقيقة السمائية السامية التى أعلنها لهم ، وأرادوا مرة أخرى أن يمسكوه ليقتلوه (انظر يوحنا ٧ : ٣٠و٤٤) ؛ (٨ : ٥٩) ، بدعوى تجديفه على الله ، إذ قرر أنه هو ابن الله ، ولكنه خرج من أيديهم ، إذ اختفى بطريقة معجزية عن أبصارهم ، أو لعلَّ هيبته الإلهية حالت بينهم وبين أن يلقوا أيديهم عليه وهم يرونه ينصرف عنهم . ثم عاد إلى الضفة الأخرى لنهر الأردن ، حيث كان يوحنّا يعمد من قبل (يوحنا ١ : ٢٨) ، ومكث هناك . وإذ كان الذين شهدوا معجزاته ، ولا سيما الذين سبق لهم أن سمعوا شهادة يوحنا عنه (يوحنا ٣ : ٢٦ – ٣٠) ؛ (١ : ٢٧و٢٩و٣٠ – ٣٤) . لا يفتأون يبحثون عنه ويتبعونه حيث يمضى ، أتى كثيرون منهم إلى الموضع الذى ذهب إليه وهم يقولون فيما بينهم : « إن يوحنّا لم يصنع أى معجزة ، ولكن كل ماقاله عن هذا كان حقًّا » . ومِنْ ثَمَّ آمن به كثيرون هناك ، مبرهنين بذلك على أنهم كانوا أكثر من أولئك الذين أنكروه ذكاء عقلٍ وصفاء نفسٍ ونقاء سريرة ، وتجرُّدًا من كل حقد وحسد وغيرة ، وابتعادًا عن كلِّ ما يفسد الشعور والتفكير . وفى أكثر من موضع نجد أن كثيرين من اليهود بل من الرؤساء أيضًا كانوا يؤمنون به (انظر يوحنا ٧ : ٣١) ؛ (٨ : ٣٠) ؛ (١١ : ٤٥) .





الفصل الحادى عشر

١١ : ١ - ١٦

وكان ثَمَّة بالقرب من أورشليم قرية اسمها بيت عنيا (متى ٢١ : ١٧) ؛ (٢٦ : ٦) ؛ (مرقس ١١ : ١و١١و١٢) ؛ (١٤ : ٣) ؛ (لوقا ١٩ : ٢٩) ؛ (٢٤ : ٥٠) ؛ (يوحنا ١٢ : ١) ، تقيم بها أسرة كان افرادها يؤمنون بمخلِّصنا له المجد ، فكان هو يحبّهم ويأتمنهم ويستريح فى دارهم حين يكون قاصدًا أورشليم أو عائدًا منها ، ولا يفتأ كلما مَرَّ بهم يغرس فيهم تعاليمه ليكونوا من صفوة تلاميذه . وكانت تلك الأسرة مكونة من رجل اسمه لعازر ، ومن أختيه اللَّتين كان اسمها مريم ومرثا (انظر لوقا ١٠ : ٣٨و٣٩) . وقد بلغ من إيمان مريم بمخلِّصنا أنها فى إحدى المرات الأخيرة ، كانوا قد أقاموا له فى بيت سمعان الأبرص هناك فى بيت عنيا وليمة عشاء ، فأخذت قارورة سعتها مائة درهم من طيب الناردين الغالى الثمن ثم سكبته على رأسه وهو جالس إلى مائدة الطعام ، ثم دهنت قدميه ومسحتها بشعر رأسها . ولعلها أرادت بذلك أن تعبِّر عن امتنانها

وشكرها للرب يسوع المسيح الذى أقام أخاها لعازر من بين الأموات (انظر متى ٢٦ : ٦ - ١٣) ؛ (مرقس ١٤ : ١ - ٩) ؛ (يوحنا ١٢ : ٣ - ٨) .

وقد حدث أن لعازر مرض مرضًا شديدًا فأرسلت أختاه مرثا ومريم إلى مخلِّصنا قائلتين « يارب هوذا الذى تحبه مريض » . فلما سمع مخلِّصنا ذلك النبأ قال « إن هذا المرض ليس مرضًا للموت ، بل لأجل مجد الله، كى يتمجَّد ابن الله به » . وقد كانت الأختان تهدفان من رسالتهما تلك إلى مخلِّصنا - بسبب إيمانهم بقدرته الإلهية - إلى أن يجىء ليشفيه . ولكن مخلِّصنا كان يهدف إلى غاية أخرى ، إذ كان يعلم أن هذا المرض الذى أصاب لعازر لم يكن المقصود منه فى حكمة الله وتدبيره أن ينتهى إلى الموت ، كأىِّ مرض يصيب الإنسان تمهيدًا لموته ، وإنما قد رتبت العناية الإلهية هذا المرض كوسيلة للإعلان عن قدرة الله ومجده على يد مخلِّصنا ابن الله ، وإعلانًا فى الوقت نفسه عن قدرة مخلِّصنا ليؤمن بنو البشر أنه هو ابن الله ، فيتمجد مخلِّصنا ابن الله بهذه القدرة التى لا تتأتى إلا لله الواحد وحده . وقد قال له المجد مثل ذلك عن المولود أعمى إنه ولد كذلك « لكى تظهر فيه أعمال الله » (يوحنا ٩ : ٣) . ومن ثم فإن مخلِّصنا - على الرغم من أنه كان يحب مرثا ومريم اختها ولعازر أخاها - حين سمع أن لعازر مريض لبث فى الموضع الذى كان فيه يومين ، لا تهاونًا منه نحو ذلك الذى كان يحبه ، ولا تباطؤًا فى تلبية نداء أختيه اللتين كانتا تلميذتين له ، وإنما تمهيدًا للتدبير الإلهى كى يصنع واحدة من أعظم معجزاته إن لم تكن أعظمها جميعًا ، ليبرهن على قدرة لاهوته ، ويظهر مجده بوصفه ابن الله . « صورة الله الغير المنظور » (كولوسى ١ : ١٥) ، « لكى يتمجد الآب فى الابن » (يوحنا ١٤ : ١٣) . ومجد الابن هو مجد الله الآب لأنه منه (يوحنا ٧ : ٢٩) ، إذ قال له المجد « جميع ما هو للآب فهو لى » (يوحنا ١٦ : ١٥) ؛ (١٧ : ١٠) .

وهنا نلاحظ قول الإنجيل « وكان يسوع يحب مرثا ومريم أختها ولعازر » ، وعندما أرسلت الأختان إلى الرب يسوع ليأتى كى يشفى لعازر قالت له عبارة مقتضبة « هوذا الذى تحبه مريض » . إن هذا التعبير عن محبة المسيح له المجد لهذه الأسرة ، هذه المحبة الخاصة التى استحقت أن يُنوِّه عنها الإنجيل لابدّ أن يكون أساسها أن المسيح له المجد قد وجد فى أعضاء هذه الأسرة صفات استحقت شرف محبته . أما مرثا فكانت فتاة تتفانى فى خدمته له المجد (يوحنا ١٢ : ٢) ، وتبذل جهدها ونفسها بذلاً فى سبيل الترحيب به (لوقا ١٠ : ٣٨) ، وإعداد الطعام والمائدة التى يجلس إليها مع الناس الذين يحدّثهم عن ملكوت الله . وكانت هى نفسها تتمتع بالاستماع له فى أثناء الإعداد للطعام ومابعده ، ولقد ظهر منها مايدلّ على استفادتها من تعليمه فيما يتعلق بالقيامة العامة ، بدليل قولها عن أخيها لعازر « أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة فى اليوم الأخير » (يوحنا ١١ : ٢٤) ، وقولها « إننى أومن بأنك أنت المسيح ابن الله الآتى إلى العالم » (١١ : ٢٧) . وأما مريم فهى التى كانت تجلس عند قدميه تستمع إلى كلامه . وقد أثنى الرب يسوع عليها ووصفها بأنها « قد اختارت مريم النصيب الصالح الذى لن يُنزع منها » (لوقا ١٠ : ٣٩و٤٢) . وأما لعازر فلابُدّ أنه كان لا يستمع فقط (يوحنا ١٢ : ٢) ، وإنما كان نموذجًا للشاب والرجل العامل بما يسمع ، ولذلك استحق أن « يحبه » المسيح كما قالت الأختان ، وهو تعبير نادر ، ولا يمكن أن يوصف به إلاّ إنسان يتميّز بصفات وفضائل يراها فيه المسيح فيحبه من أجلها . وقد قال عنه بفمه « إن لعازر حبيبنا قد نام » (١١ : ١١) .

ثم قال مخلِّصنا لتلاميذه بعد ذلك « لِنعُد إلى اليهودية » حيث كانت مدينة بيت عنيا على جبل الزيتون بالقرب من أورشليم ، فقال له تلاميذه « يامعلِّم إن اليهود كانوا يبتغون أن يرجموك ، أفتذهب الآن إلى هناك ؟ » . وكان لقب

المعلِّم – وبالعبرانية رابى – يُكنَى به عن أعلى مراتب العلم والأستاذية ، لأنه كان يعنى العالِم أو العلاَّمة ، وهو يقابل فى المصطلح الجامعى الحديث لقب الأستاذ أو الدكتور . فأجاب مخلِّصنا قائلا « أليس فى النهار اثنتا عشرة ساعة ؟ فإن مشى أحد فى النهار لا يعثر لأنه يرى نور هذا العالم ، وأما إن مَشَى فى الليل فإنه يعثر لأنه ليس فيه النور » . وقد برهن التلاميذ بما قالوه لمعلِّمهم على حبهم له ، وخوفهم عليه من أن يقتله أعداؤه من اليهود (انظر يوحنا ١٠ : ٣١) فى إقليم اليهوديَّة الذى كانت عاصمته أورشليم . وكانت بيت عنيا التى كان لعازر يقيم فيها مع أختيه إحدى ضواحى أورشليم . ولكنّ مخلّصنا أجاب عن تساؤل تلاميذه بما يعنى أنه ينبغى أن يعمل الأعمال التى جاء لينجزها فى هذا العالم قبل أن يرتفع عنه إلى السماء (لوقا ١٣ : ٣٣) . لأنه طَالما هو فى العالم فهو نور العالم (يوحنا ٩ : ٥) ؛ (١٢ : ٣٥ و٤٦) الذى هو بمثابة نور النهار بالنسبة لبنى البَشَر الذين ينجزون أعمالهم فى أثناء النهار ، وخلال مدَّته التى تمتدّ اثنتى عشرة ساعة ، يمشون وينتقلون من مكانٍ إلى آخَرَ فى أمان واطمئنان إلى أنهم لن يعثروا . أمّا بعد أن يرتفع مخلِّصنا إلى السماء فلا تعود ثمة فرصة لبنى البشَر كى يروا أعمال قدرته ، وكى يسيروا فى حياتهم على هُدى نوره . فيكونوا كمن يمشى فى ظلام الليل ، فلا يلبث أن يتعثَّر ويسقط لأن الظلام يكتنفه من حواليه وفى داخله ، ولأنه بسبب هذا الظلام يغدو أعمى البصر والبصيرة ، فهو عاجز عن أن يتجنّب الخطأ فى خطواته ، كما أنه عاجز عن أن يتجنب الخطيئة فى أفعاله وتصرفاته .

قال مخلِّصنا هذا لتلاميذه ، ثم بعد ذلك قال لهم : « إنَّ لعازر حبيبنا قد نام ، ولكننى سأذهب لأوقظه » . ولم يكن مخلِّصنا يعنى بالنوم هنا نوم الرقاد وإنما كان يعنى نوم الموت . لأنه كان يعلم أن لعازَر قد مات بالفعل . ويدلّ ذلك على أن الموت ليس إلا صورة من صور النوم يستيقظ بعده الإنسان فى العالم

الآخر . كما يدلّ على أن النوم ليس إلا صورة من صور الموت الذى تَفتُرُ فى أثنائه الإحساسات الجسدية للإنسان وتستريح روحه من عناء المطالب الأرضية حتى يستيقظ مرة أخرى ، ثم يتكرّر هذا على الأرض حتى النوم الأخير الذى هو الموت . وليست هذه هى المرة الوحيدة التى يصف فيها المسيح له المجد الموت بأنه نوم . فقد قال عن ابنة يايروس ، وكانت قد ماتت وكان الجميع يبكون عليها ويندبونها « لا تبكوا ، فإنَّ الصبية لم تمت ولكنها نائمة » (لوقا ٨ : ٥٢) ؛ (متى ٩ : ٢٤) ؛ (مرقس ٥ : ٣٩) — انظر أيضا (التثنية ٣١ : ١٦) ؛ (دانيال ١٢ : ٢) ؛ (متى ٢٧ : ٥٢) ؛ (الأعمال ٧ : ٦٠) ؛ (١٣ : ٣٦) ؛ (١ . كورنثوس ١٥ : ٦و١٨و٥١) ؛ (١ . تسالونيكى ٤ : ١٦) .

ومِنْ ثَمَّ فإن مخلِّصنا قرر أن يذهب إلى لعازر كى يوقظه من نوم الموت ويعيده إلى الحياة . ولكن التلاميذ اعتقدوا أنه يحدّثهم عن نوم الرُّقاد . وأن لعازر لم يَمت وإنما نام فقط كما ينام الناس للراحة والاستجمام ، ومِنْ ثَمَّ قالوا له « إن كان قد نام فإنه يقوم » . فقال لهم مخلِّصنا صراحة « إنَّ لعازر قد مات . وأنا أفرح من أجلكم— إذ لم أكن هناك— لتؤمنوا. ولكن هلمّوا نذهب إليه». وهكذا أعلن مخلِّصنا الحكمة التى توخّاها من إبطائه فى الاستجابة لمريم ومرثا حين اخبرتاه أن لعازر مريض ، وتضرَّعتا إليه أن يذهب ليشفيه . فقد تعمَّد له المجد ألاَّ يذهب حينذاك لكى يموت لعازر ويظل دفين القبر أربعة أيام حتى تتحلَّل جثته كى يذهب عندئذ ويصنع معجزته الإلهية العظيمة فيقيمه من بين الأموات . وكان هذا مايعنيه له المجد حين قال لتلاميذه « إنَّ هذا المَرَضَ ليس مرضًا للموت ، بل لأجل مجد الله . كى يتمَّجد ابن الله به » . أى ليرى تلاميذه وسائر الناس هذه المعجزة فيؤمنوا بقدرة الله الآب وسلطانه ، وبأن مخلِّصنا هو ابن الله الذى له نفس قدرة الآب وسلطانه . فيتمجّد الآب فى الابن (يوحنا ١٤ : ١٣)،

ويتمجد الابن بالآب (يوحنا ١٢ : ٢٨) . وقد فرح مخلّصنا من أجل تلاميذه ، لأنهم سيرون هذه المعجزة فيتوطّد إيمانهم به ، فى حين أنه لو كان قد ذَهَب إلى لعازر وهو فى حالة مرضه فحسب ، ما كانت قد أتيحت هذه الفرصة للتلاميذ كى يروا تلك المعجزة . وإذ قال لهم مخلّصنا « هلمّوا نذهب إليه » قال تلميذه توما (متى ١٠ : ٣) ؛ (مرقس ٣ : ١٨) ؛ (لوقا ٦ : ١٥) ؛ (يوحنا ١٤ : ٥) ؛ (الأعمال ١ : ١٣) ، الملقب ديديموس (يوحنا ٢٠ : ٢٤ ؛ ٢١ : ٢) للتلاميذ رفاقه « لنذهب نحن أيضًا كى نموت معه » ، فأوضح بهذا القول مدى محبته ومحبّة سائر التلاميذ لمعلّمهم ، حتى إنهم كانوا على استعداد لأن يتعرضوا لأى خطر يتعرّض هو له حين يذهب إلى إقليم اليهوديّة ، ولو كان هذا الخطر هو الموت .

١١ : ١٧ – ٢٧

فلما جاء مخلّصنا إلى بيت عنيا كان لعازر قد مات وظلّ جثمانه فى القبر أربعة أيام . وكانت بيت عنيا قريبة من أورشليم على بعد نحو خمس عشرة غلوة منها ، وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا إلى مرثا ومريم ليعزّوهما عن أخيهما ، فما سمعت مرثا أنّ معلّمنا قادم حتى خرجت تستقبله (انظر لوقا ١٠ : ٣٨) . وأما مريم فلبثت قاعدة فى البيت . وقالت مرثا لمعلّمنا « ياربّ لو كنت هَنا ما كان أخى قد مات . ولكنّنى مازلت أعلم أنّ كل ماتطلب من الله يعطيك الله إياه » . وقد برهنت مرثا بقولها هذا على مَدَى معرفتها لحقيقة شخصية مخلّصنا وقوة إيمانها بقدرته الإلهية ، وبأنه قادر على أن يقيم أخاها من موته حتى بعد أن مات ، ويعيد الحياة إليه . وبالفعل قال لها مخلّصنا « سيقوم أخوكِ » . بيد أن مرثا أرادت أن تسمع منه كلمة توطّد إيمانها بقدرته على أن يصنع هذه المعجزة التى تفوق كلّ عقل وتتجاوز كُلّ خيال ، فقالت له « أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة فى اليوم

الأخير » ، مبرهنة بهذا على أنها قد استفادت حقًّا من تعليم السيد المسيح له المجد فيما يتعلق بحقيقة القيامة العامة لجميع الناس فى نهاية هذا الدهر ، وأن هذا التعليم صار عندها عقيدة ثابتة لا ينالها الشك من بين يديها ولا من خلفها . فقد قال السيد المسيح له المجد « تأتى ساعة يسمع فيها كل الذين فى القبور صوته . فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » (يوحنا ٥ : ٢٨ و٢٩) وانظر أيضًا (لوقا ١٤ : ١٤) ؛ (الأعمال ٢٣ : ٦) ؛ (٢٤ : ١٥) ؛ (٢٦ : ٨) ؛ (دانيال ١٢ : ٢) .

فقال لها مخلِّصنا « أنا هو القيامة والحياة . من آمن بى وإن مات فسيحيا . وكل من كان حيًّا وآمن بى فلن يموت إلى الأبد » . أى أن مخلِّصنا هو مصدر القيامة من الموت وصانعها بموته عن البشر وقيامته هو نفسه بقدرته الذاتية من بين الأموات . فهو أقام ذاته بسلطان لاهوته . ولم يقف أحد على قبره ليقيمه من بين الأموات ، بل قام والقبر مغلق ليبرهن على أنه ليس للموت سلطان عليه أن يمسكه . وعلى أنه هو أيضًا صاحب السلطان على أن يقيم الموتى ويحييهم فى الحياة الحاضرة وفى اليوم الأخير . وذلك فيما يُعرف بالقيامة العامة . قال له المجد : « لأنه كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم ، هكذا الابن يحيى من يشاء » (يوحنا ٥ : ٢١) ؛ (لوقا ٧ : ١٤) ؛ (٨ : ٥٤) وقال أيضًا : « من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير » (يوحنا ٦ : ٥٤) – وانظر أيضًا (يوحنا ٥ : ٢٦) ؛ (٦ : ٣٩و٤٠و٤٤) .

كما أن مخلِّصنا هو الحياة ذاتها (يوحنا ١٤: ٦) ؛ (كولوسى ٣ : ٤) ؛ (١ . يوحنا ٥ : ٢٠) ، ومصدر الحياة ، ومنشىء الحياة ، وصانع الحياة ، ومُبدئ الحياة ، فهو الخالق للحياة فى البدء . لأن « كل شىء به كان ، وبغيره لم يكن شىء مما كان » (يوحنا ١ : ٣) وهو « خبز الحياة » (يوحنا ٦ :

٣٥و٤٨و٥١) . وهو المعيد إلى الحياة كل الأموات فى اليوم الأخير (يوحنا ٦ : ٣٩و٤٠و٤٤و٥٤) . فبواسطته كانت الحياة . و « فيه كانت الحياة » كما يقول الإنجيل (يوحنا ١ : ٤).وهنا نتساءل : هل يجرؤ نبىّ أو رسول أن يقول عن نفسه « أنا هو القيامة والحياة » ؟ لو لم يكن المسيح هو الله لكان مجِّدفًا على الله . فَمن آمن بمخلِّصنا وإن مات فسيحيا . إذ أن مخلِّصنا بموته على الصليب قد أحيانا (١ . يوحنا ٤ : ٩) نحن الموتى بالخطيئة ، لأنه كفّر بموته عن خطايانا . فبعد أن كنا أمواتا بالخطيئة أصبحنا أحياء بالصليب وبالإيمان بذلك الذى مات عنا على الصليب (روما [رومية] ٦ : ٨) . ولئن رقدنا رقاد الموت إننا أحياء به وفيه (العبرانيين ١٢ : ٩) . فلا يلحق الموت إلا بأجسادنا ، وأما أرواحنا فتحيا فى ملكوت السماوات (٢ . كورنثوس ١٣ : ٤) (٢ . تيموثيئوس ٢ : ١١) . بل إن أجسادنا ذاتها التى لحق بها الموت فى الأرض سيقيمها مخلِّصنا فى يوم القيامة فتحيا فى السماء . وكل مَن كان حيًّا وآمن بمخلِّصنا وإن مات موت الجسد ، فإنه لن تموت روحه أبدًا . وإنما سيحيا روحًا وجسدًا إلى الأبد . فقد قال له المجد : « الحقَّ الحقَّ أقول لكم إنَّ منَ يؤمن بى فله الحياة الأبدية » (يوحنا ٦ : ٤٧) ؛ (٣ : ١٥و١٦و٣٦) ؛ (٦ : ٤٠) ؛ (روما [رومية] ٨ : ١٣) ؛ (١ . يوحنا ٥ : ١٢) .

وقد قال مخلِّصنا ذلك لمرثا ثم سألها قائلاً « أتؤمنين بهذا ؟ » قالت له « نعم يارب إننى أومن بأنك أنت المسيح ابن الله الآتى إلى العالم » . وقد صادقت بهذا على هذه الحقيقة اللاهوتية العظمى ، وهى « الصخرة » التى بُنيت عليها كنيسة المسيح (متى ١٦ : ١٦) ؛ (١٤ : ٣٣) ؛ (٤ : ٣) ؛ (مرقس ١ : ١) ؛ (٦ : ٦٩) ؛ (٩ : ٣٥ – ٣٨) ، وقد كانت مرثا تعنى بقولها هذا أنها مادامت قد آمنت بأن مخلِّصنا هو المسيح ابن الله الذى تنبأ الأنبياء بأنه سيأتى إلى

العالم . فإن هذا يتضمن فى ذاته أنه هو القيامة والحياة . وأنه قادر على أن يقيم الموتى ويعيد إليهم الحياة . وبالتالى أنه قادر على أن يقيم أخاها لعازر بعد أن مات منذ أربعة أيام . وأن يعيد إليه الحياة . مهما بدا ذلك للعقل البشرى مستحيلاً وبعيدًا كلّ البعد عن التصديق .

١١ : ٢٨ - ٤٤

وبعد هذا ذهبت مرثا ودعت مريم أختها سرًّا وقالت لها : « قد حضر المعلِّم وهو يدعوك »(انظر متى ٢٦ : ٨) ؛ (مرقس ١٤ : ١٤) ؛ (لوقا ٢٢ : ١١) ؛ (يوحنا ١٣ : ١٣) . وقد حرصت على إن تكتم هذا السرّ عن الموجودين مع أختها ، إما خوفا من إحراج المعزّين لو أنها أنبأتها بالأمر بصوت مرتفع ، مما قد يضطرهم إلى الخروج من البيت ، أو لأنها كانت تعلم أن رؤساء اليهود يضمرون الشّر لمعلّمنا . ولو أنهم علموا بحضوره إلى إقليم اليهودية لعملوا على قتله . فما إن سمعت مريم قول أختها حتى نهضت مسرعة وجاءت إليه . ولم يكن قد بلغ القرية بعد . وإنما كان لا يزال فى الموضع الذى لاقته فيه مرثا . فلما رأى اليهود الذين كانوا مع مريم فى البيت يعزّونها أنها نهضت مسرعة وخرجت ، تبعوها معتقدين أنها ذاهبة إلى القبر لتبكى هناك . وأما مريم فحين جاءت إلى حيث كان مخلّصنا ورأته خرّت عند رجليه قائلة له « ياربُّ لو كنت هنا ما كان أخى قد مات » ، مما يدلّ على أنها هى الأخرى كانت تؤمن إيمانًا قويًّا وصادقًا بأن هذا هو المسيح ابن الله ، وأنه كان قادرًا على أن يشفى أخاها لو أنه جاء قبل موته . فلما رآها مخلّصنا تبكى ، ورأى اليهود الذين جاءوا معها أيضًا يبكون مشاركة لها ولشقيقتها فى حزنها ، تألم بالروح واضطرب ، وقال لهم « أين وضعتموه ؟ » . قالوا له « يارب تعال وانظر » . وعندئذ بكى مخلّصنا . فقال اليهود « انظروا كم كان

يحبه ؟ » . وهنا نلمس ذلك التوازن العجيب بين شخصية السيد المسيح الإنسانية وشخصيته الإلهية . فعلى الرغم من أنه كان عالمًا بأنه سيقيم لعازر من الموت ، وإن كان قد ظلَّ فى القبر أربعة أيام ، وعلى الرغم من أنه كان على ثقة لا ريب فيها من قدرته الإلهية على ذلك ، نجده يبدى أرفع وأرقّ المشاعر التى يمكن أن تصدر عن إنسان أمام فاجعة موت حبيب له ، وأمام تفجُّع ذويه عليه . فبعد أن قال لتلاميذه « إن لعازر حبيبنا قد نام ، ولكننى سأذهب لأوقظه » ، لم يلبث حين ذهب وجاءت إليه مريم أخت لعازر مرتاعة هالعة باكية أَنْ « تألم بالروح واضطرب » ، ثم « بَكَى » . والتألّم بالروح والاضطراب ، حدث مثله أكثر من مرة (انظر يوحنا ١٢ : ٢٧) ؛ (١٣ : ٢١) ؛ ثم الانفعال بالبكاء ومثله بكاؤه على أورشليم (لوقا ١٩ : ٤١) . هو برهان على حقيقة انسانيته التى اتخذها وهو الإله . فلم تكن إنسانيته مجرّد جسد بلا روح إنسانية كما زعم أبوليناريوس ، وإنما كانت إنسانية كاملة من روح وجسد . ولم تكن إنسانيته أو ناسوته مجرَّد شكل خارجى بمثابة سكن للاهوته على مازعم نسطور . إنما كانت إنسانيته إنسانية حقيقية بينها وبين لاهوته اتحاد حقيقى كامل وتام ، اتحاد فى أقنوم واحد وطبيعة واحدة لا تقبل الافتراق أو الانقسام أو التجزئة ، مثلها مثل اتحاد الروح بالجسد فى الإنسان من حيث هو اتحاد كامل وتام ، وليس مجرّد جمع أو ضمّ بين جوهرين من طبيعتين مختلفتين ، بحيث إن ماتنفعل به الروح ينفعل به الجسد حالاً وعلى الفور وفى نفس الوقت ، بطبيعة الاتحاد الكائن بينهما . ومثله مثل الكتلة من الحديد المتوهج بالنار لمدة طويلة بحيث تصبح الرابطة بينهما ليست مجرّد جمع أو ضم بين شيئين مختلفين ، وإنما اتحاد حقيقى كامل ، بحيث لا يمكن أن يفصل بين النار والحديد بآلة قاطعة حادّة ، فقد اتَّحد الحديد بالنار والنار بالحديد اتحادًا بموجبه صارت الكتلة المتوهجة بالنار تتصف بخصائص الحديد من حيث الكتلة والوزن والحجم ، وخصائص النار من حيث التوهج والإضاءة

والإحراق ، ولكن من غير اختلاط أو امتزاج أو تغيير ، فلم يفقد الحديد طبيعته ولا فقدت النار طبيعتها . وإنما صار الحديد مع النار طبيعة واحدة من طبيعتين . هكذا اللاهوت اتحد بالناسوت فى طبيعة واحدة لها خصائص اللاهوت والناسوت معًا .

أما سؤاله « أين وضعتموه ؟ » فلم يكن سؤالاً على بسيط الحال . إنما كان تنبيهًا إلى أنه ليس هناك تواطؤ بينه وبين أسرة لعازر ، وأنه لم يكن حاضرًا بالجسد موت لعازر ولم يشهد جنازته ، ولا رأى دفنه أو مكان دفنه ، وهو توكيد لما سبق أن قاله لتلاميذه ، وهو فى عبر الأردن على مسيرة يومين من بيت عنيا : « وأنا أفرح من أجلكم ، إذ لم أكن هناك ، لتؤمنوا » (١١ : ١٥) . فقد كان لابدّ لإظهار روعة المعجزة ، وبالتالى إعلان مجد لاهوته ، أن يبقى بعيدًا عن بيت عنيا إلى أن مات لعازر ، وصار له فى القبر أربعة أيام ، حتى لقد شهدت أخته قائلة « إنه قد أنتن » . فسؤاله « أين وضعتموه ؟ » تثبيت فى أذهان اليهود الذين شهدوا المعجزة الرائعة أنه كان بعيدًا بالجسد عن الموقع كله وعن واقعة الموت وماقبل الموت وما بعد الموت ، حتى إذا أقام لعازر من الموت بسلطان لاهوته تبيَّن اليهود شهود المعجزة أن المعجزة كانت حقيقية وكاملة وفوق كلِّ شبهة شك ، وأنها بعيدة تمامًا عن كل تدبير بَشَرىّ .

ولا نستطيع أن نقرأ قول الإنجيل « بكى يسوع » دون أن نتوقف لنتساءل هل كان بكاؤه لمجرد إبراز إنسانيته ، أوكان حزنًا وأسى على خليقته التى دخل إليها الموت بكل متاعبه ومضايقاته ، وذلك نتيجة للخطيئة (التكوين ٢ : ١٧) ؛ (١ . كورنثوس ١٥ : ٥٦) ؛ (روما [رومية] ٥ : ١٢) . فأفسد صورتها الجميلة ، وأطفأ نورها (يعقوب ١ : ١٥) . أوكان بكاؤه أيضًا إذكاءً لفضيلة المشاركة الوجدانية بين الناس المبلوّين والمجرَّبين والمتألمين ، « بكاء مع الباكين »

(روما [رومية] ١٢ : ١٥) ، أو لهذه الأسباب جميعها مجتمعة معًا ؟ إنه تعليم لنا أن نشارك الناس آلامهم ، وهذا هو قمة الإنسانية ، متمثلة فى المسيح بصفته آدم الثانى ، آدم النموذج الأعلى للإنسانية ، « تاركًا لنا مثالاً لكى تتَّبعوا خطواته » (١ . بطرس ٢ : ٢١) .

وقد كان لهذه القدرة الإلهية الجليلة ، ولهذه المشاعر الإنسانية النبيلة أعظم الأثر فى اليهود ، حتى لقد قال بعض منهم « أما كان هذا الذى فتح عينى الأعمى منذ ولادته قادرًا على أن لا يترك هذا أيضًا يموت ؟ » . وكان هذا القول منهم أوضح وأفصح دليل على أنهم آمنوا بحقيقة شخصيته ، كما آمنوا بمدى قدرته ، حتى لقد أدهشهم بكاؤه على حبيبه الذى مات ، مع أنه كان قادرًا على أن يشفيه قبل أن يموت . كما أنه قادر على أن يقيمه بعد أن مات . ولقد برهن قولهم هذا على انبهارهم بمعجزة المولود أعمى ، وأنها لم تكن مجرّد شفاء كغيرها من معجزات شفاء العميان الآخرين . وإنما كانت معجزة « خلق » لعينين من الطين لرجل لم تكن له عينان فى موضع العينين ، وهو ما لا يستطيعه نبیٌّ أو رسول ، ولا يستطيعه إلا الله الخالق وحده .

وإذ رأى مخلِّصنا هذه العواطف الحزينة الجيَّاشة التى أبدتها الأختان لموت أخيهما الحبيب ، تحنَّن فى نفسه وجاء إلى القبر ، وكان مغارة قد وضع على بابها حجر (انظر متى ٢٧ : ٦٠) ؛ (مرقس ١٥ : ٤٦) ؛ (لوقا ٢٤ : ٢) ؛ (يوحنا ٢٠ : ١) فقال مخلِّصنا للواقفين هناك « ارفعوا هذا الحجر » . وعندئذ فزعت مرثا ونسيت إيمانها بقدرة مخلِّصنا ، ذلك الإيمان الذى اعترفت به منذ لحظة قصيرة ، وقالت « يارب ، إنه قد أنتن لأن هذا هو يومه الرابع » ، وكان الذى أفزعها أنها تخيَّلت جثمان شقيقها وقد تحلَّل وراح الدود يرعَى فيه كما يحدث لكلِّ ميِّت فى يومه الرابع . فقال لها مخلِّصنا « ألم أقُل لَكِ أنَّكِ إن آمنت ترين مجد

الله ؟. ثم رفعوا الحجر عن باب القبر ورفع مُخَلِّصنا عينيه إلى فوق وقال « يا أبتاه أشكرك لأنك قد سمعت لى ، وأنا عالم أنك تسمع لى فى كل حين . وإنما قلت ذلك من أجل هذا الجمع الواقف حولى ، ليؤمنوا بأنك أنت الذى أرسلتنى » . وهنا نرى دليلاً على أنّ الهدف الأول الذى كان يهدف إليه مخلِّصنا من المعجزات التى كان يصنعها هو أن يعطى اليهود دليلاً محسوسًا وملموسًا على أنه هو المسيح ابن الله الذى تنّبأ بمجيئه الأنبياء ، فيتبينوا حقيقة شخصيته ويؤمنوا به على هذا الوصف . ولعلَّ مما يؤيد ذلك أنه صنع كل المعجزات بسلطانه هو ، لأنه هو باعتباره ابن الله ، له كل مالله الآب من القدرات ومن كلِّ الصفات الإلهية ، إذ يقول هو نفسه « جميع ماهو للآب فهو لى » (يوحنا ١٦ : ١٥) ؛ (١٧ : ١٠) ، إذ أنه كائن معه فى وحدانية كاملة . ولكنه لكى يثبت لليهود هذه الحقيقة خاطب أباه السماوىّ على مشهد ومسمع منهم ، بما يفيد أن كل مايصنعه إنما يصنعه بالاتفاق مع أبيه ، لأنّ إرادتهما واحدة ومشيئتهما واحدة ، وتدبيرهما واحد . وليس هناك خصومة بينهما ، فهو لم يأتِ ليعلن عن نفسه إلهًا ثانيًا ، أو إلهًا آخَر ، لأن الله واحد . فلئن كان الله الآب قد أرسل الله الابن لينجز عمل الفداء لغفران خطايا البشَر ، إن الإرسال هنا لا يفيد الانفصال ، إذ أنهما ظَلاَّ مع ذلك فى اتحاد كامل ووحدة كاملة . وهذا سِرٌّ من أسرار اللاهوت والطبيعة الإلهية لا يمكن للعقل البشَرى المحدود أن يسمو إلى كنهه غير المحدود . لهذا حرص الرب يسوع المسيح على أن يعلن دائمًا عن ذاته أنه مُرْسَل من الآب وأن الآب أرسله توكيدًا وضمانًا لحقيقة الوحدانية الإلهية ، وأن الله واحد . على أن الإرسال الذى ينسبه السيد المسيح إلى ذاته بالنسبة للآب ليس إرسالاً من خارج الذات الإلهية على نحو إرسال الله للأنبياء . لكنه إرسال من داخل ومن باطن كإرسال الشمس لأشعتها والضوء أو النور النابع منها . فهو منها منذ كانت الشمس شمسًا وهو لا ينفصل عنها بل هو منها وفيها وبها ومعها دائمًا بغير افتراق .

مرة أخرى نؤكد أن السيد المسيح له المجد إذ صلّى على قبر لعازر ، لم يصلِّ صلاة الطلب ، لكى يسأل الآب أن يهبه سلطانًا ليس له كما يفعل الأنبياء ، وإنما كانت صلاته مناجاة بينه وبين الآب على مرأى ومسمع من الناس ومن تلاميذه ليتبيّن الجميع علاقته الوطيدة بالآب وكيانه فيه (يوحنا ١٢ : ٣٠) . على أنه عندما أقام لعازر من الموت أقامه بسلطانه الإلهى . إذ قال « لعازر هَلُمَّ خارجًا » ، فلم يطلب ذلك من الآب ، وكذلك بالنسبة لجميع معجزاته لم يصلِّ ليطلب قوة خارجة عن ذاته ، بل كانت القوة تخرج منه (لوقا ٦ : ١٩) ؛ (٨ : ٤٦) ؛ (٥ : ١٧) ؛ (مرقس ٥ : ٣٠) .

وبعد أن قال مخلصنا هذا صَرَخ بصوتٍ عظيم : « لعازر هَلُمَّ خارجًا » ، فخرج الميّت مربوطة يداه ورجلاه بأكفان وملفوفًا وجهه بمنديل ، فقال لهم مخلِّصنا : « حلّوه ودعوه يمضى » . وهكذا صَدَرَ الأمر الإلهى من مخلِّصنا مباشرة باعتباره أمره هو إلى ذلك الذى مات منذ أربعة أيام ، وتحلَّل جسده ، أن يعود إلى الحياة ، فعاد جسده إلى حالته الأولى قبل أن يفسد ، واستردّ الروحَ التى كانت قد انتقلت إلى العالم الآخر . فكان هذا أسطع واروع دليل على أن مخلِّصنا هو الله المحيى (يوحنا ٥ : ٢١) ، وأنه هو الحياة (يوحنا ١٤ : ٦) ، وبه كانت الحياة (يوحنا ١ : ٣و١٠) ، ومنه كانت الحياة (الأعمال ٣ : ١٥) ، وفيه كانت الحياة (يوحنا ١ : ٤) .

وإلا فكيف يفسِّر المنكرون لألوهية مخلِّصنا هذه المعجزة ، وكيف يعلِّلونها أو يحلِّلونها أو يؤولونها إن لم يكن صانعها هو الله الخالق نفسه ، الذى يقول للشىء كن فيكون ، وبأمره تأتمر الأجساد فتتكوَّن بعد انحلال وفساد ، وتأتمر الأرواح فتعود إلى الأجساد بعد أن كانت قد انتقلت إلى عالم الأرواح ؟

ومِنْ ثَمَّ فإن كثيرين من اليهود الذين كانوا قد جاءوا إلى مريم إذ رأوا مافعل مخلِّصنا آمنوا به (يوحنا ٢ : ٢٣) ؛ (١٠ : ٤٢) ؛ (١٢ : ١١ و١٨) . وقد كان هذا هو الذى يهدف إليه - له المجد - منذ أن اتجهت إرادته لأن يصنع هذه المعجزة الفذّة الفائقة المجد . غير أن بعض أولئك اليهود ذهبوا إلى الفرِّيسيّين أعداء مخلِّصنا وأخبروهم بما فعل فهالهم الأمر ، وتملَّكهم الذعر ، وسيطر على قلوبهم الحقد والحسد والخوف من ازدياد شهرة مخلِّصنا ، وامتداد سلطانه على نفوس اليهود ، واشتداد تزاحمهم عليه والتفافهم حوله ، مما يهدّد سلطان أولئك الرؤساء والفقهاء ويزعزع مكانتهم فى المجتمع اليهودى ، فراحوا يقولون فيما بينهم : « ماذا نعمل فإن هذا الإنسان يصنع معجزات كثيرة ، فإن تركناه هكذا آمن الجميع به ، فيأتى الرومان ويستولون على موضعنا وأمتنا » (انظر يوحنا ١٢ : ١٩) . وقد كانوا فى قولهم هذا مرائين ومغالطين حتى أنفسهم ، إذ تظاهروا بخوفهم من الرومان أن يستولوا على بلادهم ويستعبدوا أمتهم ، إذ يرون أنَّ زعيمًا لهم قد ظهر بينهم . فى حين أن الرومان كانوا يسيطرون على بلادهم وعلى أمتهم ، ولم يكن أولئك الرؤساء يبدون هذه الحماسة من قَبْل ضد الرومان ، بل لقد كانوا على العكس ينافقونهم ويتملقونهم ويتحالفون معهم ضد شعبهم اليهودى نفسه . وإنما كان خوفهم الحقيقى على أنفسهم لا على بلادهم وأمتهم ، وعلى مالهم على الشعب اليهودى من سلطان يجنون من ورائه مكاسب عظيمة لهم فى المال والجاه والمكانة والنفوذ (انظر الأعمال ٤ : ١٦) . ولم يكن خوفهم الحقيقى من الرومان ، وإنما من مخلِّصنا نفسه الذى رأوا أنه سيسلبهم هذا السلطان . وقد كان ثمة واحد منهم يفوقهم جميعًا فى نفاقه وتملقه للرومان ، كما يفوقهم جميعًا فى خوفه من مخلِّصنا وممّا أصبح له من نفوذ على الشعب ، وذلك هو قيافا (لوقا

٣ : ٢) ؛ (الأعمال ٤ : ٦) الذى كان رئيسًا للكهنة فى تلك السنة ، وكان بالتالى هو رئيس السنهدريم ، الذى هو مجلس الشيوخ اليهودى ، والذى كان له السلطان الأعلى على اليهود فى كلِّ أمور دينهم ودنياهم . وإذ كان قيافا هو أكثر الرؤساء خوفًا من تزايد مكانة مخلِّصنا لدى الشعب اليهودى ، قال لهم « إنكم لا تعرفون شيئًا ، ولا تدركون أنه خير لكم أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمَّة كلُّها » . وقد كان يعنى بقوله هذا تحريض رؤساء الكهنة والفرّيسيين على قتل مُخَلِّصنا ، لا خوفًا من أن تهلك الأمة كلها بسببه كما يزعم ، وإنما ليتخلص هو منه فيحتفظ بماله من منصب ومكسب وسلطان . بيد أن الإنجيل للقديس يوحنا نظر إلى هذا القول الذى نطق به قيافا من زاوية أخرى ، إذ يقول إنه « لم يقل ذلك من نفسه وإنما إذ كان هو رئيس الكهنة فى تلك السنة تنبأ بأن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة ، وليس عن الأمة فقط ، وإنما ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى وحدة واحدة » . وذلك أن الرياسة العليا للكهنوت فى هيكل أورشليم كانت – بتدبير من الدولة الرومانية فى ذلك الحين – تُسنَد كُلَّ عام إلى واحد من رؤساء الكهنة . وكان من وظائف هذا الرئيس الأعلى بصفته الدينية هذه فى مدة رياسته أن ينطق بالنبوءات (الخروج ٢٨ : ٣) ؛ (العدد ٢٧ : ٢١) ؛ (١ . صموئيل ٢٣ : ٩) ؛ (٢٨ : ٦) ؛ (٣٠ : ٧) ؛ (عزرا ٢ : ٦٣) . وإذ كان قيافا هو ذلك الرئيس فى تلك السنة التى صنع فيها مخلِّصنا معجزة إقامة لعازر ، كان ماقاله ، وإن كان فى ظاهره يعبِّر عن رغبته الشخصية فى قتل مخلِّصنا للخلاص منه (يوحنا ١٨ : ١٤) ، إلا أن هذا القول كان ينطوى فى حقيقته على نبوءة بأن مخلِّصنا سيموت فِداءً عن الأمة اليهودية تكفيرًا عن خطاياها ، وليس عن الأمة اليهودية وحدها ، وإنما عن جميع أمم الأرض (إشعياء ٤٩ : ٦) ؛ (١ . يوحنا ٢ : ٢) ، ليجمع بين البَشَر الذين هم أبناء الله المتفرقون فى كل مكان ، كى يجعل منهم – بعد أن ينالوا به الخلاص –

أمة واحدة ورعية واحدة ، (أفسس ٢ : ١٤ - ١٧) ، يكون هو راعيها الأوحد ، كما قرر هو نفسه له المجد إذ يقول « ولى خراف أخرى ليست من هذه الحظيرة ينبغى أن أجيء بها هى أيضًا فتسمع صوتى ويكون ثمة رعية واحدة وراع واحد » (يوحنا ١٠ : ١٦) . وفى هذا المعنى تنبأ حزقيال النبى قائلاً « هكذا قال السيد الربّ لهم : هأنذا أحكم بين الشاة السمينة والشاة المهزولة .. فأُخلِّص غنمى ، فلا تكون من بعد غنيمة ، وأحكم بين شاة وشاة وأقيم عليها راعيًا واحدًا فيرعاها » (حزقيال ٣٤ : ٢٠ - ٢٣) . كما تنبأ حزقيال قائلاً « ويكون لجميعهم راع واحد ، فيسلكون فى أحكامى ويحفظون فرائضى ويعملون بها » (حزقيال ٣٧ : ٢٤) .

وقد اقتنع أعضاء المجمَع من رؤساء الكهنة والفرّيسيين بما قاله قيافا ، فأخذوا منذ ذلك الحين يتآمرون على قتل مخلِّصنا ، ومِنْ ثَمَّ لم يَعُد مخلِّصنا يمشى بين اليهود علانية (يوحنا ٤ : ١و٣) ؛ (٧ : ١) ، لئلاً يعطيهم الفرصة كى يقبضوا عليه ويقتلوه قبل الموعد المحدّد فى التدبير الإلهى لموته على الصليب . وإنما مضى إلى بقعة بالقرب من البرية المتاخمة لأورشليم حيث كانت مدينة تُسَمَّى أفرايم (٢ . صموئيل ١٣ : ٢٣) تقع فى الشمال الشرقى لأورشليم وتبعد عنها نحو ٢٤ كيلومترًا ، ومكث هناك مع تلاميذه .

١١ : ٥٥ - ٥٧

فلما اقترب عيد الفصح أعظم أعياد اليهود (يوحنا ٢ : ١٣) ؛ (٥ : ١) ؛ (٦ : ٤) صعد كثيرون من المناطق الرّيفية فى كل أنحاء فلسطين إلى أورشليم قبل حلول موعد ذلك العيد ليتطهروا على عادتهم استعدادًا للاحتفال به (العدد ٩ : ١٠) ؛ (٢ . أخبار الأيام ٣٠ : ١٧) ؛ (يوحنا ١٨ : ٢٨) .

وإذ كانت شهرة مُخَلِّصنا قد ذاعت بينهم ولا سيمّا بعد أن سمعوا عن معجزته العظيمة الأخيرة حين أقام لعازر من الموت بعد أن ظل جثمانه فى القبر أربعة أيام ، أخذوا يبحثون عنه فى تطلُّع ولهفة قائلين بعضهم لبعض وهم قيام فى الهيكل « ماذا تظنون ، ألَعلّه لن يأتى إلى العيد ؟ » . وقد كانوا فى ريبة من أن يأتى ، إذ كان رؤساء الكهنة والفرّيسيّون قد أصدروا أمرًا – بناء على القرار الذى اتخذوه بقتل مُخلِّصنا – بأنّ على مَن يعرف أين هو أن يرشدهم إليه ليمسكوه ويقتلوه .

الفصل الثانى عشر

١٢ : ١ - ١١

وقبل عيد الفصح بستة أيام ، جاء فادينا إلى بيت عنيا ، وهى قرية تقع إلى الجنوب الشرقىّ من جبل الزيتون ، على مسافة نحو ميلين من أورشليم ، وهى التى تُدعَى الآن العازريَّة ، وكان يقيم فيها لعازر الذى كان قد مات ثم أقامه فادينا من بين الأموات . وكانت تقيم معه هناك أختاه مريم ومرثا اللتان كانتا تلميذتين لمخلِّصنا ، وكانتا من المؤمنات أعمق الإيمان به ، وبأنه هو المسيح ابن الله الذى تنبأ بمجيئه أنبياء اليهود منذ موسى حتى يوحنا المعمدان ، فأقام سمعان الأبرص (متى ٢٦ : ٦) ؛ (مرقس ١٤ : ٣) لمخلِّصنا هناك وليمة عشاءٍ تكريمًا له . وكانت مرثا تقوم بالخدمة كى تعدّ العشاء للمعلِّم وتلاميذه (أنظر لوقا ١٠ : ٣٨) وتعمل على راحتهم . وكان لعازر من بين الجالسين إلى المائدة معه . وأما مريم فأخذت قارورة سعتها مائة درهم من طيب الناردين الخالص الغالى الثمن ، وسكبته أولاً على رأس مخلِّصنا (متى ٢٦ : ٧) ؛ (مرقس ١٤ : ٣) ، ثم دهنت قدميه ومسحتهما بشعر رأسها . فامتلأ البيت من شذا الطِّيب . وقد كان مافعلته مريم دليلاً ساطعًا ورائعًا على مقدار تبجيلها وإجلالها ومحبتها وإعزازها لسيّدنا ربّ المجد ، وخضوعها وخشوعها إلى حدّ العبادة أمام عظمته الإلهية ، ولعلّها لم تكن فى حاجة إلى مزيد من الإيمان بربوبيته التى تستحق كُلَّ عبادة بعد أن رأته بعينيها يقيم أخاها من بين الأموات ، فخرج أمامها من قبره بعد أن مكثت جثته فيه أربعة أيام وتحلّلت حتى كادت أن تغدو ترابًا يختلط بتراب الأرض .

غير أن أحد تلاميذ مخلِّصنا وهو يهوذا بن سمعان الأسخريوطى الذى كان مزمعًا أن يخونه ويسلمه إلى أعدائه ، وقد سلَّمه إليهم بعد ذلك بالفعل ، اعترض على مافعلته مريم فى حنق وحقد قائلاً « أَمَا كان الأحرَى أن يباع هذا الطِّيب بثلثمائة دينار وتُعْطى للفقراء ؟ » . وقد قال هذا – كما يقرر الإنجيل للقديس يوحنا نفسه – لا لأنه كان يهتم بالفقراء ، وإنما لأنه كان سارقًا ، وقد كان كيس النقود معه (يوحنا ١٣ : ٢٩) ، فكان يستولى على مافيه . وهكذا نرى للدهشة العظيمة أنه حتى تلاميذ مخلِّصنا رب المجد الذين لا يتجاوز عددهم الاثنى عشر تبينَّ أنَّ من بينهم واحدًا خائنًا وشريرًا وحاقدًا وحاسدًا وسارقًا وفاسد الذمة ، على الرغم من أنّ معلِّمه وسيّده اصطفاه كسائر زملائه ليكون من أقرب المقرّبين إليه ، وعامله معاملة الأب الحنون لأبنائه ، والراعى الصالح لخرافه ، وأراه كلّ معجزاته ، وأسمعه كل تعاليمه ، وأطلعه على كل أسرار السماء ، فرفعه بذلك إلى أعلى مكانٍ بين البَشَر الذين فى كل الأرض . ولكنه مع ذلك ملأ الحقد قلبه على معلِّمه نفسه وأكلته الغيرة منه ، حتى أصبح يعاديه كواحد من أبشع وأشنع أعدائه ، واستكثر على تلك المرأة أن تُقدِّم إليه ما ينبئ باحترامها واكرامها إياه ، فأخفى ضغينته عليه وكراهيته له تحت ستار التظاهر بعطفه على الفقراء ، والزعم بأنهم أحق بالمال الذى اشترت به المرأة الفاضلة قارورة الطِّيب وسكبتها على قَدَمى ربِّها وموضع إجلالها وعبادتها وحبِّها ، فى حين أنه كان يطمع فى ذلك المال لنفسه ، لأنه كما يقول الإنجيل «كان سارقا ، وقد كان كيس النقود معه ، فكان يستولى على ما فيه » ، ممّا يدلّ على أنَّ خيانته لم تكن طارئة ولا بنت ساعتها ، وإنما كانت طبيعة فيه طالما انتهج سبيلها من قبل فى كلِّ مرة استولى لنفسه على بعض ما فى كيس النقود الذى ائتمنه سيده عليه ، ليصرف مما فيه من مبالغ زهيدة على احتياجات معلِّمه الصالح وتلاميذه الفقراء الذين كانوا قد تفرّغوا من كل اهتمامات الدنيا واحتياجاتها ليتبعوا ذلك الذى آمنوا بأنه هو المسيح

ابن الله مخلِّص العالم الذى كانوا ينتظرونه من آلاف السنين ، ليعفيهم من حكم الهلاك الذى أصدرته العدالة الإلهية على البَشَر بسبب خطاياهم . وإذ سمع مخلِّصنا ماقاله هذا الخائن الشريّر الماكر عن تلك المرأة الفاضلة ، قال وكأنه يخاطب تلاميذه كلهم من فرط سماحته ووداعته « دعوها ، فقد حفظت هذا ليوم دفنى . لأن الفقراء عندكم فى كل حين ، وأما أنا فلست عندكم فى كل حين»(متى٢٦ : ١٠و١١) ؛ (مرقس١٤ : ٦و٧) ، أى أنه لعلمه بأن اليهود سيقتلونه فى هذا الأسبوع نفسه ، اعتبر ما فعلته مريم إذ ضمَّخت بالطِّيب جسده قد فعلت ذلك بدافع من إحساسها بأنه سيموت وأن أحدًا – بسبب الخوف من رؤساء اليهود – لن يجرؤ على أن يضمّخ جسده بالطِّيب كما هو الشأن بالنسبة لكلّ الذين يموتون (انظر يوحنا ١٩ : ٤٠) . فبادرت هى إلى أن تضمخ بالطِّيب جسده مقَّدمًا حتى قبل أن يموت (متى٢٦ : ١٢) ؛ (مرقس ١٤ : ٨) ، لكى لا يكون ثمة تقصير فى اتمام هذا الطقس الواجب نحو كلّ الذين يموتون . وأما ذلك الزَّعم الذى زعمه يهوذا بأنه غيور على مصلحة الفقراء ، فقد فنّده مخلِّصنا بأن الفقراء موجودون فى كل زمان ومكان ، ويمكن أن يساعدهم من يريد مساعدتهم فى كل حين وفى كل موضع ، دون أن يمنع ذلك مانع أو يحول دونه حائل . وأما وجود السيد المسيح ابن الله بين البَشر فهو مؤقت ولن يستمر فى كلِّ حين ، لأنه لن يلبث أن يصعد إلى السماء بعد أن ينجز مهمة الفداء التى جاء من أجلها إلى العالم (يوحنا ٧ : ٣٣) ؛ (٨ : ٢١ و ٢٨) . ومِنْ ثَمَّ فإنه لن تتاح أية فرصة لتكريمه إلا فى الفترة التى يقضيها بين الناس قبل أن يرتفع إلى حيث كان فى ملكوت السماوات (يوحنا ٦ : ٦٢) . وهكذا أشاد مخلِّصنا بما فعلته مريم فأضفى عليها بذلك شرفًا عظيمًا خلَّد ذكرها بين نساء العالمين (متى ٢٦ : ١٣) ؛ (مرقس ١٤ : ٩) . كما أنه بدفاعه عما فعلته المرأة أبرأها مما اتهمها به يهوذا من إفراط وتفريط وإتلاف للمال يصرف فى غير موضعه على مقتضى تفكير

ذلك الخائن . إذ أنفقت هذا المال فى تكريم سيّدها وصاحب الفضل عليها ، وسيّد يهوذا نفسه وصاحب الفضل عليه ، وسيّد البشر جميعًا وصاحب الفضل عليهم . إذ فداهم ونجّاهم من الهلاك الذى استحقوه بسبب شرورهم وخطاياهم .

وقد عَلم جمع كثير من اليهود أن مُخلّصنا قد أتى إلى بيت لعازر وأخته مريم ومرثا ، فجاءوا لا ليروا مخلّصنا فحسب فى هذه المرّة ، وإنما ليروا أيضًا لعازر الذى أقامه من بين الأموات بعد أن مكثت جثته فى القبر أربعة ايام . وإذ علم رؤساء الكهنة ذلك بدأوا يتآمرون ليقتلوا لعازر أيضًا . لأن كثيرين من اليهود كانوا بسببه يذهبون فيؤمنون بمخلّصنا ، بعد تلك المعجزة الإلهية التى صنعها له . فبرهن أولئك الرؤساء بذلك على غبائهم وظلام عقولهم وقلوبهم معًا ، إذ ظنوا أن قضاءهم على لعازر يقضى على المعجزة التى تَمّت بالفعل . والتى لم يَعد من الممكن أن يمحوها من أذهان الناس اختفاء لعازر بالموت أو بغير الموت . كما لم يَعُد من الممكن الحيلولة دون أن يؤمن الناس بالقدرة الإلهية التى لمخلّصنا ، والتى رأوها رؤية العين ، أو سمعوها ممن رأوها رؤية العين ، فأصبحت خالدة إلى الأبد فى عقول الناس وقلوبهم وضمائرهم ومشاعرهم وكلّ جارحة فيهم .

١٢ : ١٢ - ١٩

وفى الغد -الذى كان يوافق صباح الأحد ١٠ من نيسان- سمع الجمع العظيم الذى جاء للعيد أن فادينا قادم إلى أورشليم . وإذ كانوا يؤمنون به ويتمنون رؤيته ، وقد عقدوا العزم على استقباله استقبال الملوك المنتصرين والزعماء الظافرين على الرغم مما يدبّر له أعداؤه من رؤساء الكهنة والفرّيسيّين ، أخذوا سعف النخل الذى هو رمز التكريم والتعظيم والإجلال والتبجيل والبهجة والفرح ، وخرجوا لاستقباله ، وهم يهتفون قائلين « هو شعنا . مبارك الآتى باسم

الـرب مـلك إسرائـيـل » (انـظر أيضـا متى ٢١ : ٩) ؛ (مـرقس ١١ : ٩) ؛ (لـوقا ١٩ : ٣٨) ، و « هوشعنا » لفظ آرامى معناه « خلِّصنا » أو « المجد لمخلِّصنا » (المزمور ١١٧ : ٢٥) . ويدلّ هتافهم هذا على أنهم قد آمنوا بأن فادينا هو المسيح ابن الله الذى تنبأ كل أنبيائهم بأنه سيأتى لخلاص العالم ، والذى كانوا يعتقدون أنه حين يأتى سيجلس على عرش داود (لوقا ١ : ٣٢) . وسيكون ملكًا لبنى إسرائيل ، كى يستعيد لهم مملكة داود التى فقدوها . بل يستعيد لهم مملكة أعظم منها ، ليحكم بواسطتها العالم كله ، ويجعل اليهود سادة كل الشعوب على مقتضى غرورهم وشعورهم الذى لا يفتأ يراودهم بأنهم هم وحدهم شعب الله المختار . وأنهم سيكونون هم المسيطرين على الأرض كلها ، وأصحاب السلطة والهيلمان على البشر فى كل زمان ومكان . بيد أن مخلِّصنا – للمفارقة العجيبة – لم يدخل أورشليم بعربة حربية تجرها عشرات الخيول ، كما يفعل الملوك والقواد الذين يصفهم التاريخ بالعظمة والمجد . وإنما أراد بحكمته الإلهية أن يوضح للناس أن هذه العظمة كما يتصوَّرونها إنما هى أحلام أطفال ، وأن هذا المجد كما يفهمونه إنما هو سراب كاذب ووهم خلاَّب . ومِنْ ثَمَّ قَصَد ربُّنا وإلهنا ومخلِّصنا وفادينا أن يلقّن أولئك المخادعين المخدوعين المغرورين السادرين فى غيِّهم وجهلهم وضلالهم درسًا لا ينسونه . وهو أنه اختار فى موكب النصر الذى دخل به أورشليم – وهو ملك الملوك ورب الأرباب (الرؤيا ١٩ : ١٦) – لا العربات الفارهة ، ولا الخيول المطهمة . وإنما وجد جحشًا مما يستعمله أفقر الفقراء وأبأس البؤساء وأتعس التعساء من المساكين والكادحين والرازحين تحت أثقل أَثقال الحياة ، المطحونين المسحوقين المحرومين حتّى من لقمة العيش ، فركب ذلك الجحش ليدخل به فى موكب نصره إلى أورشليم عاصمة اليهود المتعالين المتعالمين الصَّلفين المتعجرفين المتكبرين المتنمِّرين ، كى يوبِّخ تعاليهم وتعالمهم بتواضعه وهو ملكهم ومعلّمهم ، ويندِّد بصلفهم وعجرفتهم وهو القوى القهار وإن اتخذ جسد مخلوق

من دم ولحم مثلهم وهو خالقهم وموجدهم ، ويخجلهم ويرذلهم على تكبُّرهم وتنمُّرهم مع أنهم بالنسبة إليه أضعف الضعفاء وأتفه التافهين وهو الإله العظيم الجبّار الذى فى مقدوره بنفخة من فيه أن يقضى عليهم فى لحظة بالفناء ، ويحيلهم إلى هباء فى هباء .

ويقول الإنجيل للقديس يوحنا إن مخلِّصنا ركب ذلك الجحش وفقًا لما هو مكتوب فى النبوءات عن دخول المسيح ابن الله ملك إسرائيل وملك الملوك الآتى إلى العالم قائلاً « لا تخافى يا ابنة صهيون . هوذا ملكك يأتى إليك راكبًا على جحش ابن أتان » . ويشير الإنجيل بذلك إلى زكريا النبى الذى تنبأ قائلاً « ابتهجى جدًا يا ابنة صهيون . اهتفى يابنت أورشليم . هوذا ملكك يأتى إليك . هو عادل ومنصور . وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان » (زكريا ٩ : ٩) . والمقصود هنا بابنة صهيون وبابنة أورشليم هو الأمة اليهودية التى كانت تنتظر فى لهفة عظيمة مجىء المسيح الذى كانت النبوءات تقرر أنه سيكون ملك اليهود (إشعياء ٩ : ٦ و٧) ؛ (إرميا ٢٣ : ٥و٦) ؛ (٣٠ : ٩) ؛ (ميخا ٥ : ٢) ؛ (متى ٢ : ٢) ، الذى كانوا يعتقدون أنه سيحرِّرهم من عبوديَّة الرومان ، وينصرهم على جميع أعدائهم ويعيد إليهم مجد مملكة داود ، ويغزو بهم العالم ليجعلهم سادة كل الأمم . غير أن اليهود كانوا واهمين فى اعتقادهم هذا ، غير مدركين ولا فاهمين ماتنطوى عليه تلك النبوءة ذاتها من معان تنفى عن المسيح المنتظر أن تكون مملكته أرضية تحفّ بها أمجاد ممالك الأرض ، لأنها على الرغم من أنها تقرر أن المسيح المنتظر سيكون ملكًا وأنه سيأتى إلى أورشليم ويدخلها منتصرًا ، فإنها تقرر فى الوقت نفسه أنه لن يكون ملكًا صلفًا متعجرفًا متعاليًا مغاليًا فى إحاطة نفسه بكل مظاهر الفخامة والضخامة والسلطان والهيلمان متربعًا على عربة ذهبية مطعمة بالجواهر الكريمة تجرّها كوكبة من خيول مطهمة

مكسوة بأفخر الأغطية الحريرية ومزخرفة بأندر الحليّ اللؤلؤية ، وتجرى أمامه الآلاف المؤلفة من الفرسان ، وتتبعه الآلاف المؤلفة من الأسرى والسّبايا راسفين فى السلاسل والأغلال ، مجلّلين بالمذلّة والهوان . وإنما سيأتيهم المسيح وهو الملك الحقيق ، بل ملك الملوك ورب الأرباب وديعًا متواضعًا يركب أكثر مايركبه الناس تواضعًا وهو الحمار ، ليثبت للناس أن مملكته ليست من هذا العالم (يوحنا ١٨ : ٣٦) حتى يحيط نفسه بأمجاد هذا العالم ، وإنما مملكته فى السماء ، قاصدا أن يوجّه أنظارهم ويحوّل اهتماماتهم من الأرض إلى السماء وينزع من نفوسهم شهواتهم الدنيوية فى أن يقتنوا مناصب الأرض ومكاسب الأرض التى تزول وتفنى ، ليدفع بهم إلى التطلّع نحو بركات السماء وامتيازات السماء التى لا تزول ولا تفنى .

ولم يكن سائر اليهود وحدهم الذين أخطأوا فى فهم مغزى ذلك الذى فعله مخلّصنا . وإنما اشترك تلاميذه أنفسهم فى هذا الخطأ فى مبدأ الأمر . إذ كانوا هم أيضًا يتوقعون فى ذلك الحين أن يكون معلّمهم ملكًا أرضيًّا يحقق لليهود جميعًا (الأعمال ١ : ٦) ويحقق لهم هم أنفسهم تطلعاتهم الدنيوية (متى ٢٠ : ٢١ - ٢٨) ؛ (مرقس ١٠ : ٣٥ - ٤٥) . لأنهم حتى ذلك الحين لم يكونوا قد أدركوا إدراكًا كاملاً حقيقة الرسالة التى جاء من أجلها إلى العالم (مرقس ٩ : ٣٢) ؛ (لوقا ١٨ : ٣٤) . ولكنهم لمّا تمجّد معلّمهم بموته على الصليب ثم قيامته من بين الأموات وصعوده أمامهم إلى السماء (يوحنا ٧ : ٣٩) ؛ (١٧ : ٥) ثم حلول الروح القدس عليهم ، تذكروا أن ماحدث كان مكتوبًا عنه فى النبوءات (يوحنا ٢ : ٢٢) ؛ (١٤ : ٢٦) ولا سيما تلك النبوءة التى نطق بها زكريا النبى . كما تذكروا أن مافعلوه هم أنفسهم حين شاركوا سائر اليهود فى الاحتفال بدخوله أورشليم رافعين سعف النخل وهاتفين له فى فرح وبهجة بعبارات التكريم والتعظيم ، إنما كان تحقيقًا لتلك النبوءات المكتوبة عنه .

وقد شهد له الجمع الذين كانوا معه حين دعا لعازر إلى خارج القبر وأقامه من بين الأموات (يوحنا ١١ : ٤٥) . فكان سماعهم بأنه صنع هذه المعجزة مما زاد فى حماستهم له وحرارتهم فى تمجيده ومبادرتهم إلى استقباله ذلك الاستقبال الرائع الذى لا تستقبل به الشعوب إلا ملوكها المنتصرين وزعماءها المحبوبين الظافرين (متى ٢١ : ١٠ و١١) ؛ (لوقا ١٩ : ٣٧) . بيد أن أعداءه من الفرّيسيين لم تلبث أن أكلت الغيرة قلوبهم وأشعلت فيها نار الحقد والحسد فقالوا بعضهم لبعض فى غيظ وحنق « أترون كيف أنكم لا تفيدون شيئًا ؟ هوذا العالم قد ذهب وراءه » . وهكذا بلغ بهم حقدهم وحسدهم وغيظهم وحنقهم أنهم انهالوا باللوم حتى على أنفسهم ، معترفين بهزيمتهم أمام عدّوهم الذى انتصر عليهم ، وبعجزهم عن أن يفعلوا شيئًا يصدّون به ذلك التيار الجارف من حب جموع الشعب له والتفافهم حوله وتمجيدهم إياه ، مما جعل أولئك الفريسيين موضع الإهمال من الشعب بعد اهتمامه بهم ، وانفضاضه من حولهم ، بعد أن كانوا مقبلين عليهم خاضعين لهم ، واستهانته بهم بعد أن كانوا موضع إجلالهم وتبجيلهم فى كل مكان يحلّون به بينهم (يوحنا ١١ : ٤٧ و٤٨) ، ومن ثم ازدادت فى قلوب الفريسيين الرغبة فى قتل مخلّصنا ومخلّصهم هم أيضًا ، كى يتخلصوا منه إلى الأبد ، فلا يعود ثمة سلطان على الشعب إلا لهم وحدهم . فلم يفتأوا منذ ذلك الحين يتلصّصون عليه ويتربصون به كى يمسكوه فى خفية من الشعب الذى يحبّه ، ويقتلوه.

<u>١٢ : ٢٠ - ٤٣</u>

وكان ثمة قوم من اليونانيين صعدوا ليسجدوا فى العيد ، لأنهم - وإن كانوا من اليونانيين - قد اعتنقوا الديانة اليهودية (انظر الأعمال ١٧ : ٤) ؛ (يوحنا ٧ : ٣٥) ، ووجب عليهم أن يأتوا فى العيد كما يفعل سائر اليهود ليحتفلوا به فى

هيكل أورشليم طبقًا للشريعة اليهودية (انظر ١ . الملوك ٨ : ٤١ و٤٢) ؛ (الأعمال ٨ : ٢٧) . وإذ كانوا قد سمعوا كثيرًا عن مخلِّصنا وتعاليمه ومعجزاته ، لا سيما معجزته الأخيرة العظيمة حين أقام لعازر من بين الأموات بعد أن ظل جثمانه فى القبر أربعة أيام . كما سمعوا بما لقيه مخلِّصنا من تكريم وتعظيم حين جاء فى ذلك الأسبوع نفسه إلى أورشليم ، تاقت أنفسهم لأن يتحدثوا إلى ذلك المعلِّم العظيم ليؤمنوا به كما آمن به كثيرون من اليهود ، أو ليزدادوا به إيمانًا إن كانوا قد آمنوا بما سمعوه عنه ، ويتأكدوا من حقيقة شخصيته وحقيقة تعليمه ورسالته . وإذ كانوا فى نظر سائر اليهود الأصليين يهودًا دخلاء لا يجوز لهم دخول الهيكل ، كانوا يقضون أيام العيد فى دار الهيكل الخارجية التى كانوا يسمونها « دار الأمم » (١ . مل ٨ : ٤١ – ٤٣) . ومن ثم تقدموا إلى أحد تلاميذ مخلِّصنا وهو فيلبس الذى من بيت صيدا بالجليل (يوحنا ١ : ٤٤) ، وناشدوه أن يتوسط لهم كى يحقق رغبتهم فى دخول الهيكل حيث كان مخلّصنا عندئذ ، قائلين لفيلبس « ياسيّد نريد أن نرى يسوع » . وإذ تهيَّب فيلبس من أن ينقل هذه الرغبة إلى سيده بمفرده جاء وقال ذلك لتلميذ آخر من تلاميذ مخلِّصنا وهو أندراوس (متَّى ١١ : ٢١) ؛ (يوحنا ١ : ٤٤) ، فذهب هذا معه إلى مخلّصنا ، وأفضيا إليه معاً برغبة أولئك اليونانيين . بيد أن مخلِّصنا حين سمع أن أولئك اليونانيين يرغبون فى مقابلته كانت تلك فرصة اتخذها ليتحدث مباشرة وبصفة عامة عن لبّ الموضوع بجملته وهو اقتراب الساعة (يوحنا ١٣ : ١) ؛ (١٧ : ١) التى سيفتح فيها بموته وقيامته باب الخلاص ، لا لليهود وحدهم ، وإنما لغيرهم من اليونانيين ومن سائر أمم الأرض ، ولا سيما أن حديثه هذا كان فى يوم خميس العهد السابق مباشرة على يوم صلبه وموته على الصليب . ومن ثم أجاب قائلاً « قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان » ، أى اقترب الوقت ليموت ثم يقوم فى اليوم الثالث من بين الأموات ثم يصعد إلى السماء ، حيث يتمجد (يوحنا ١٣ : ٣٢) على

عرش ألوهيته . وإذ كان موته – وهو الإله – أمرًا يفوق مستوى العقل البشرى المحدود ، شرح له المجد فلسفة الموت قائلاً : « الحق الحق أقول لكم إن حبة الحنطة مالم تقع فى الأرض وتموت ، تظل وحدها . وأما إن ماتت فهى تأتى بثمر وفير » . أى أن حبة الحنطة مالم يدفنها الزارع فى الأرض تظل منفردة كما هى ، فتجفّ ويأكلها السوس وتنحلّ وتفنى . وأما إذا غرسها الزارع ودفنها فى الأرض فإنها وإن اتخذت صورة الميت الدفين فى القبر – سرعان ماتلين وتدبّ فيها الحياة وتنبت وتزدهر وتنمو حتى تصبح شجرة خضراء يانعة ناضرة مليئة بالحيوية ، ثم لا تلبث أن تثمر وتتوّجها سنابل القمح الذهبية المليئة بالثمر الوفير الذى هو مصدر النعمة والبركة (١ . كورنثوس ١٥ : ٣٦) . هكذا الإنسان فإن الموت بالنسبة إليه هو باب الحياة ، لأنه حين يتوارى جسده عند الموت مدفونًا فى تراب الأرض لا يكون معنى ذلك أنه أصابه الفناء الأبدى كما يزعم بعض الجهلاء ، ممن يدَّعون العلم ، ويصفون أنفسهم فى زهوِ أحمق بالماديّين أو بالطبيعيين أو بالوجوديين ، وإنما تبدأ بموت جسده الأرضى حياته الروحية فيتمتع بالحياة الأبدية فى السماء ، وهى الحياة الحقيقية المليئة بثمار النعمة والبركة السمائية التى ليست كل ثمار الأرض المادية بالنسبة إليها إلا هباء وهراء .

ثم يرتّب مخلصنا على هذه الحقيقة المبدئية التى هى أساس فلسفة الموت فى العقيدة المسيحية ، نتيجتها الحتمية والمنطقية فيقول : « منَ أحبّ نفسه يهلكها ، ومن أبغض نفسه فى هذا العالم يحفظها للحياة الأبدية » . وذلك لأنه إن كان الهدف الأسمىَ للإنسان على هذا الأساس ليس هو الحياة المادية الفانية على الأرض ، وإنما هو الحياة الروحية الأبدية فى السماء ، فإن كل من تعلقت نفسه بالجسديات وبالماديَّات وبالأرضيات وبكل مايتصل بتلك الموجودات الزائفة الزائلة من مطالب ومطامع واهتمامات وشهوات ، بحيث يستأصل بذلك من

نفسه كل اهتمام بما هو روحى وسمائى وأبدى ، إنما يهلك بذلك نفسه إذ يحرمها من ثمار النعمة والبركة فى السماء ، التى هى مصدر الحياة الأبدية وجوهرها . وأما كل من يوجِّه نفسه لأن تبغض الجسديات والماديات والأرضيات التى لا تلبث أن تزول ويتجه بها نحو الاهتمام بالروحيات والأبديات التى لا تزول أبدًا ، فإنه يضمن لها بذلك الحياة الحقيقية التى هى الحياة الأبدية فى السماء . وقد ألح السيد المسيح له المجد على هذا المعنى فى أكثر من مناسبة ، إذ قال « من ربح حياته خسرها ، ومن خسر حياته من أجلى ربحها » (متى ١٠ : ٣٩) . وقال « لأن من أراد أن يخلِّص حياته فليهلكها ، ومن أهلك حياته من أجلى ومن أجل الإنجيل يخلِّصها » (مرقس ٨ : ٣٥) ؛ (لوقا ٩ : ٢٤) ؛ (١٧ : ٣٣) ؛ (متى ١٦ : ٢٥) . والحياة المقصودة هنا هى حياة الإنسان على الأرض ومايتوافر لها من أسباب المتعة الأرضية الجسدية المادية . هذه الحياة المادية إذا خسرها الإنسان فى سبيل المسيح ومبادىء الإنجيل يربح بذلك لنفسه حياة أبدية . فما يبدو أنه خسارة فى الدنيا يصبح ربحًا فى الآخرة . كذلك المقصود بأن يبغض الإنسان نفسه ، أى أن يحرم الإنسان نفسه من متعة ولذة وراحة أرضية ، إرضاء لله وخضوعًا للشريعة وتنفيذًا لمبادىء الإنجيل ، فهذا خير له وأبقَى . لأنه بهذه البغضاء يخلِّص نفسه من الهلاك الأبدى ، ويحقق لذاته النعيم الدائم والحياة الأبدية .

وقد كان حديث معلِّمنا عن فلسفة الموت هذه عامًّا يشمل الناس جميعًا وينطبق عليهم كلهم فى كل زمان ومكان . بيد أنه كان يشير بها – فى تلك اللحظة التى صارح فيها السامعين باقتراب ساعة موته هو – إلى أن موته على الصليب أمر قد تقرَّر فعلاً وسيتم حتماً بمقتضى التدبير الإلهى ، ليكون موته هو باب الحياة للبشر جميعًا ، وليكون صليبه هو رمز الحياة للبشَر جميعًا (روما [رومية] ١٤ : ٩) . فلا حياة للبشَر إلا بموت المسيح على الصليب فداء

عنهم ، للتكفير عن خطاياهم التى استحقوا عنها لدى العدالة الإلهية الموتَ والهلاك .

وإذ أشار مخلّصنا إلى موته على الصليب ، أوضح السبيل لكلّ مَن يريد أن يؤمن به ، ويكون خادمًا له فى دعوته ، ومبشّرا بعقيدته ، ومنتهجًا فى حياته ذات سيرته ، ومتّجها إلى ذات غايته ، إذ قال « من يخدمنى فليتبعنى ، وحيث أكون أنا فهناك يكون خادمى ، ومن يخدمنى يكرمه أبى » . ولم يكن يقصد هنا أن الذى يريد أن يخدمه فليتبعه كما تبعه تلاميذه ليتعلموا منه فحسب ، لأن وجوده على الأرض كان قد انتهى ولم يَعد باقيًا منه إلا ساعات قليلة ، وإنما كان يقصد أن يتبعه فى طريق الآلام ليرتفع معه على الصليب الذى كان اليهود سيرفعونه عليه فى اليوم التالى . ويتضح ذلك مما قاله قبل ذلك مرارًا ، إذ جاء فى الإنجيل للقدّيس متى أنه قال « مَن لا يحمل صليبه ويتبعنى فلا يستحقُّنى . مَن ربح حياته خسرها . ومن خسر حياته من أجلى ربحها » (متى ١٠ : ٣٨و٣٩) . وجاء فيه أنه قال « من أراد أن يتبعنى ، فلينكر ذاته ويحمل صليبه ويتبعنى ، لأن من أراد أن يخلِّص حياته يهلكها ، ومَن أهلك حياته من أجلى يجدها . لأنه ماذا يستفيد الإنسان لو أنه ربح العالم كله وخسر نفسه ، أو ماذا يعطى الإنسان عِوضًا عن نفسه ؟ » (متى ١٦ : ٢٤ و ٢٥ و ٢٦) . وجاء فى الإنجيل للقديس مرقس أنه قال « مَن أراد أن يتبعنى فلينكر ذاته ويحمل صليبه ويتبعنى . لأن من أراد أن يخلِّص حياته فليهلكها ، ومن أهلك حياته من أجلى ومن أجل الإنجيل يخلِّصها » (مرقس ٨ : ٣٤ و ٣٥) . وجاء فى الانجيل للقديس لوقا أنه قال « من لا يحمل صليبه ويتبعنى لا يستطيع أن يكون لى تلميذًا » (لوقا ١٤ : ٢٧) .

وذلك أن المؤمن بالمسيح لا يكون إيمانه به صادقًا وعميقًا إن لم يتبعه فى كل خطواته منذ بدايتها حتى الصليب . فينبغى أن يتحمَّل فى سبيل الإيمان به كل

أنواع الجهاد الروحى . ويتحمّل كل ماتحمّله هو من الآلام والأوجاع والصفع والجَلد والإهانة والهوان والعار . ثم يحمل صليبه كما حمل هو صليبه . ويرتضى أخيرًا أن يُصلب كما صُلِبَ هو . لأن الصليب هو رمز الحياة . وطريق الحياة . وباب الحياة . ومجد الحياة . لا تلك الحياة الفانية على الأرض . وإنما الحياة الأبدية فى السماء . لأنه بذلك . وبذلك وحده . يستحق خادم المسيح أن يتبعه إلى حيث يمضى هو . ليشاركه فى مجده السماوى . الذى هو المجد الإلهى . إذ أنه كما شاركه فى هوانه على الأرض يستحق بذلك كذلك أن يشاركه فى مجده فى السماء . وفى هذا المعنى قال السيد المسيح له المجد لتلاميذه القديسين « ولئن ذهبت وأعددت لكم مكانًا سأجىء ثانية وآخذكم إلىّ . حتى تكونوا أنتم معى حيث أكون أنا » (يوحنا ١٤ : ٣) . وقال فى مناجاته لأبيه السماوى عن تلاميذه « ياأبتاه أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنيهم يكونون معى حيث أكون أنا ليعاينوا مجدى الذى أعطيتنى » (يوحنا ١٧ : ٢٤) — انظر أيضا (٢ . كورنثوس ٥ : ٨) ؛ (فيلبى ١ : ٢٣) ؛ (١ . تسالونيكى ٤ : ١٧) .

وهذا الخادم الذى يتبع المسيح حاملاً صليبه . ثم مصلوبًا عليه . ويخدمه بأمانة وتقوى وصبر واحتمال . سينال كرامة من الله الآب . لأنه قال له المجد « من قَبلنى فقد قبل الذى أرسلنى » (متى ١٠ : ٤٠) ؛ (مرقس ٩ : ٣٧) ؛ (يوحنا ١٣ : ٢٠) .. « ومن لا يمجد الابن لا يمجد الآب الذى أرسله » (يوحنا ٥ : ٢٣) . ولقد حرص مخلصنا له المجد على بيان التوافق بينه وبين الآب . وبين مشيئته ومشيئة الآب توكيدًا لمبدأ وحدة الذات الإلهية . ووحدة الجوهر . أى أنه مع الآب جوهر واحد وذات إلهية واحدة . بحيث إن الذى يكرمه الابن يكرمه الآب فى الوقت نفسه . ويالها من كرامة عظيمة . ويالة من شرف لايدانيه شرف لذلك الخادم الذى يسبغ عليه ملك الملوك ورب الأرباب . لا مجرد رضاه فحسب . وإنما تكريمه أيضًا . ذلك التكريم الذى يرفعه من أن

يكون مجرّد خادم لسيِّده إلى مرتبة أعلى وأسمى . إذ يصبح بمثابة الابن لذلك السيّد . تربطه به رابطة الاتحاد التى تربط الابن بأبيه ، كما صَرَّح بذلك مخلِّصنا نفسه حين قال فى مساء ذلك اليوم ذاته مخاطبًا أباه السماوىّ : « ياأبتاه القدّوس . احفظهم فى اسمك هؤلاء الذين أعطيتنيهم ، ليكونوا فى وحدة كما نحن .. ولست أطلب من أجل هؤلاء فقط ، وإنما أيضاً من أجل أولئك الذين يؤمنون بى بكلامهم . ليكونوا جميعهم فى وحدة . كما أنك أنت أيها الآب فىَّ وأنا أيضًا فيك ، ليكونوا هُم أيضا فى وحدة فينا .. قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا فى وحدة كما أننا نحن أيضًا فى وحدة . أنا فيهم وأنت فِىَّ . ليكونوا هم أيضًا فى وحدة كاملة .. ياأبتاه أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنيهم يكونون معى حيث أكون أنا ، ليعاينوا مجدى الذى أعطيتنى .. ياأبتاه الحق ، إنّ العالم لم يعرفك ، وأما أنا فعرفتك . وهؤلاء أيضًا عرفوا أنك أنت الذى أرسلتنى . وقد أخبرتهم باسمك وسأظل أخبرهم ، لتكون فيهم المحبة التى بها أحببتنى ، وأكون أنا أيضًا فيهم » (يوحنا ١٧ : ١١ - ٢٦) .

إن الله ليس بظالم حتى يهمل مكافأة الذين يخدمونه ويكرمونه . ولقد وعد ، ووعده صادق ، إذ قال « إنى أكرم الذين يكرموننى » .. (١ . صموئيل ٢ : ٣٠) - انظر أيضا (المزمور ٤٩ : ٢٣) ؛ (المزمور ٩٠ : ١٥) ؛ (لوقا ١٢ : ٣٧) .

ثم اتجه مخلّصنا بعد ذلك إلى أبيه السماوى بصلاة رائعة . هى فى حقيقتها مناجاة لا طلَب . تتجسَّم فيها وحدة ناسوته الكامل بلاهوته الكامل اتحادًا فريدًا فى بابه . فذًّا فى مفهومه الدقيق العميق الذى يتسامَى على أفهام البشَر . فيقفون أمامه مبهوتين مبهورين ، إذ وضحت فيه الضعفات البشرية المنهارة أمام الآلام الجسدية التى فوق طاقة البشَر . كما اتضحت فيه بنفس القوة وفى نفس الوقت

القدرات الإلهية الجبّارة ، المنزّهة عن كل ضعف والموجّهة نحو إتمام المشيئة الربّانية بكل حسم وحزم وبغير تضعضع أو تراجع . إذ أن مخلّصنا فى تلك اللحظة التى يعلم أنه سيواجه فيها بعد لحظاتٍ قليلة ابشع وأشنع ألوان العذاب والإرهاب والإهانة والاستهانة والعداء والاعتداء والشتيمة والسخيمة وخيانة الخائنين وشماتة الأعداء ، ثم القتل مذبوحًا على خشبة الصليب كالمجرمين الآثمين واللصوص الأشقياء وسافكى الدماء ، اتجه إلى أبيه القدوس فى السماء يناجيه قائلاً « نفسى الآن قد اضطربت . فماذا أقول؟ يأبتاه نَجِّنى من هذه الساعة. ولكننى من أجل هذا أتيت إلى هذه الساعة » . وهكذا نرى المسيح الإنسان يضطرب أمام الموت والهوان اضطراب كل إنسان ، ويفزع إلى أبيه القادر ضارعًا إليه كما يفعل كل امرىء فى شدته ومحنته لينجِّيه من ذلك الخطر الفظيع الشنيع الذى يهدّده .
وليست هذه هى المرة الوحيدة التى ينسب فيها السيد المسيح إلى ذاته أنه « اضطرب بالروح » ، أو أن « نفسه اضطربت » بالحزن أو الألم . فقد عبَّر عن ذلك أكثر من مَرَّة ، فقال عن نفسه وهو فى شدَّة آلامه النفسية فى بستان جثسيمانى ليلة صلبه « إن نفسى حزينة حتى الموت » . وقال عنه الإنجيل إنه « بدأ يحزن ويرتاع ويكتئب » (متى ٢٦ : ٣٧و٣٨) ؛ (مرقس ١٤ : ٣٣و٣٤) و« كان يكابد آلامًا عنيفة » (لوقا ٢٢ : ٤٤) . وقال « ولى معمودية لأصطبغ بها . وما أشدّ ما أعانى حتى تتم » (لوقا ١٢ : ٥٠) . وقال عنه الإنجيل إنه لما رأى مريم أخت لعازر تبكى ، ورأى اليهود الذين جاءوا معها يبكون « تألم بالروح واضطرب » (يوحنا ١١ : ٣٣) . وقال عنه الإنجيل أيضاً إنه بعد أن غسل أرجل تلاميذه أخذ يحدثهم عن الذى سيخونه « ولما قال يسوع هذا اضطرب بالروح ، وصرح قائلاً : الحقَّ الحقَّ أقول لكم إن واحدًا منكم سيسلمنى » (يوحنا ١٣ : ٢١) . وجاء عنه فى رسلة القديس بولس إلى العبرانيين أنه « فى أيام جسده قدّم بصراخ شديد ودموع طِلبات وتضرعات للقادر أن يخلّصه من

الموت » (العبرانيين ٥ : ٧) . وهذا كله دليل على أن يسوع المسيح كانت إنسانيته إنسانية حقيقية كاملة ، وأنه قد عانى فى إنسانيته الآلام التى يعانيها من له إنسانية كاملة ، فلم يكن الجسد الذى اتخذه الله الكلمة جسدًا خياليًا كما زعم أوطاخى وبعض الهراطقة ، وإنما كان جسده جسدًا حقيقيًا قابلاً للآلام . كذلك اتخذ الله الكلمة روحًا إنسانية وليس مجرد جسد كما زعم أبوليناريوس ، وفى هذه الروح الانسانية اضطرب وتألم وصرخ وبكى وحزن حتى الموت .

ولكن السيد المسيح باعتباره الإله ابن الإله ، لا يلبث على الفور أن يتدارك – فى مناجاته لأبيه السماوى – هذا الموقف الإنسانى الضعيف ، مقررًا أن هذا الذى قاله إنما يتعارض مع التدبير الإلهى الحكيم الرحيم الذى اشترك فيه مع أبيه السماوىّ لخلاص البشَر ، بأن يُقدم نفسه ذبيحة عنهم . وقد كان هذا هو الهدف الأسمَى والأوحد من مجيئه إلى العالم . وقد كان مصممًا على أن يتمم ويحقق هذا الهدف . ومن ثم فإنه ما إن نطق بتلك العبارة التى صدرت عن مشاعره كإنسان ، حتى أردف على الفور قائلاً بشفتيه الإلهيتين « ولكننى من أجل هذا أتيت إلى هذه الساعة » . فهو لن يتضعضع أو يتراجع أمام الضعف البشرى ، وسيتقدم بخطوات ثابتة نحو الصليب بإرادته الإلهية ليتمم التدبير الإلهى . ومع ذلك فإنه بالمشاعر البشرية مرة أخرى تطلّع إلى التأييد من أبيه السماوى لإتمام ذلك التدبير الذى كان من المحتمّ أن يتمّ ، فقال « ياأبتاه مجِّد ابنك » ، لأن هذا التمجيد يتضمَّن التأييد الذى من شأنه أن يمحو من نفسه نهائيًا ذلك التردُّد الذى سبق أن ساوره . وبالفعل جاء صوت من السماء يقول « قد مَجَّدْت وسأظل أُمجِّد » ، أى أن الله الآب إذ يمجد ابنه ، إنما يمجده منذ الأزل وسيظل يمجّده إلى الأبد . ويدلّ على ذلك قول فادينا لأبيه القدّوس فى عشّية ذلك اليوم نفسه : « ياأبتاه قد أتت الساعة . مجِّد أبنك ليمجدك ابنك .. أنا قد

مجّدتك على الأرض ، والعمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته . فالآن مجّدنى ياأبتاه عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك من قبل كَوْن العالم » (يوحنا ١٧ : ١ و٤ و٥) .

فلما سمع الجمع الذين كانوا واقفين هذا الصوت الذى جاء من السماء ، قالوا « إنه رَعْد قد أرْعَد » ، اذ كان هذا الصوت مُدَوِّيا طَرَقَ آذانهم طَرْقاً قويًّا ، ولكنهم كان فى آذانهم وَقْر من أثر حياتهم الجسدية الدنيوية الغارقة فى المادّيات ، فلم يكن فى مقدورهم أن يميِّزوا صوت الله الروح الأعظم حين يتكلَّم ، ومِنَ ثَمَّ انطبق عليهم قول حزقيال النبى إذ يقول : « وكان إلىَّ كلام الربِّ قائلاً : ياابن آدم أنت ساكن فى وسط بيت متمرِّد ، الذين لهم أعين لينظروا ولا ينظرون . لهم آذان ليسمعوا ولا يسمعون ، لأنهم بيت متمرِّد » (حزقيال ١٢ : ٢) . كما انطبق عليهم قول إرميا النبى إذ يقول « اخبروا بهذا فى بيت يعقوب وأسمعوا به فى يهوذا قائلين : اسمع هذا أيها الشعب الجاهل والعديم الفهم ، الذين لهم أعين ولا يبصرون . لهم آذان ولا يسمعون » (إرميا ٥ : ٢٠و٢١) . وكذلك جاء فى الإنجيل للقديس متَّى قول مخلِّصنا « أكلّمهم بأمثالٍ . لأنهم مبصرون ولا يبصرون . وسامعون ولا يسمعون .ولاهم يفهمون . ففيهم قد تمت نبوءة إشعياء القائلة : بالسمع تسمعون ولا تفهمون . وبالبصر تبصرون ولا ترون . لأن قلب هذا الشعب قد غَلُظَ . وآذانهم قد ثقل سمعها . وعيونهم قد أغمضوها لئلاَّ يبصروا بعيونهم أو يسمعوا بآذانهم . أو يفهموا بقلوبهم. أو يرجعوا إلىَّ فأشفيهم » (متى ١٣ : ١٣- ١٥) .

وقال آخرون من اليهود حين سمعوا هذا الصوت « إنَّ ملاكًا هو الذى كلَّمه » . ويدلُّ ذلك على جهلهم الواضح والفاضح حتى بشريعتهم اليهودية ذاتها وبتاريخهم كلّه ، لأنهم سمعوا مخلصنا وهو يخاطب أباه قائلاً « ياأبتاه مَجِّد

ابنك » ، فكان المعقول والمنطق أن يجيئه الجواب من الله الآب نفسه . ولكنهم بسبب ذلك الجهل الذى طمس عقولهم وقلوبهم لم يتصوروا أن الله قادر على أن يتكلّم مباشرة بصوته هو ، مع أن كتبهم المقدسة ممتلئة بالحالات التى تكلَّم الله فيها إلى قدّيسيه ، فقد كلَّم اباهم الأول إبراهيم ، وكلَّم بعد ذلك إسحق ويعقوب . ثم طالما كلَّم أعظم أنبيائهم موسى طوال الأربعين سنة التى أقام اليهود فى أثنائها فى صحراء سيناء ، حتى لقد أصبح معروفًا بأنه « كليم الله » . ثم كلَّم الله كل أنبياء اليهود الذين جاءوا بعد موسى ، كما يتضح من نصوص نبوءاتهم ذاتها ، بل إنَّ اليهود فى ذات العصر الذى عاش مخلّصنا معهم فيه تكلّم الله بصوت مسموع حين قام يوحنا المعمدان بتعميد مخلّصنا ، وقد سمع صوته كل الذى كانوا حاضرين فى ذلك الحين ، إذ جاء فى الإنجيل للقديس متى قوله : « حتى إذا اعتمد يسوع صعد توًّا من الماء ، وإذا السماوات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة ومقبلاً عليه . وإذا صوت يجىء من السماء ، قائلاً : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » (متى ٣ : ١٦و١٧) وقد ذكر ذلك كذلك الإنجيل للقديس مرقس (مرقس ١ : ١١) . والانجيل للقديس لوقا (لوقا ٣ : ٢١و٢٢) . على أن هذه المناجاة بين الابن والآب على مسمع من التلاميذ ومن جميع الناس كانت برهانًا وبيِّنة على المحبة بين الابن والآب ، والاتفاق فى المشيئة بينهما ، وأنه ليس هناك تعارض أو تنافر أو انقسام بينهما فى التدبير والمشيئة . وكان هذا أمرًا نافعًا ومفيدًا ومريحًا لليهود ولجميع الناس . فقد كانوا فى حيرة فى شأن المسيح وعلاقته بالآب السماوى ، وكانوا فى حاجة إلى أن يتبينوا علاقة التوافق والتواؤم بينهما ، وان يسوع المسيح لم يأتِ ليعلن عن نفسه إلهًا آخر ثانيًا . وإنما الابن والآب معًا إله واحد ، والمناجاة تجرى فيما بينهما برهان على التوافق بينهما ، من حيث إن الابن مع الآب وفى الآب اقنومان وخاصيتان فى ذات واحدة وجوهر واحد .

وإذ رأى مخلّصنا ما أبداه بعض اليهود من إنكار لسماعهم صوت الله على الإطلاق ، زاعمين أنه صوت رعد أرعد ، وماأبداه بعضهم الآخر من إنكار لأن يكون هذا هو صوت الله نفسه ، زاعمين أنه لم يكن إلا صوت ملاك ، مما يدلّ على استكثارهم لأن يتكلّم الله نفسه مع مخلّصنا ، لأن اعترافهم بذلك إنما يتضمّن اعترافًا بأن مخلّصنا هو ابن الله ، فى حين أنهم ينكرون عليه ذلك ، قرر مخلّصنا لهم مايفيد أن هذا هو بالفعل صوت أبيه السماوى ، قائلاً « ليس من أجلى كان هذا الصوت ولكن من أجلكم أنتم » . أى أنه إن مجّده الله الآب تمجيدًا يتضمن الشهادة بأنه هو بالفعل ابنه ، فإن مخلّصنا ليس فى حاجة هو شخصيًا لهذه الشهادة لأنه يعلم أنه ابن الله ، فشهادته له تقرير أمر مقرّر وتحصيل حاصل . وإنما كانت هذه الشهادة من الله الآب لابنه موجهة إلى اليهود الحاضرين حينذاك ليؤمنوا بأنّ يسوع هذا الذى يستهينون به ويهينونه لبساطة مظهره واتخاذه جسد إنسان مثلهم ، إنما هو ابنه حقًّا وصدقًا ليؤمنوا بذلك ويفتحوا أعينهم على حقيقته الإلهية (انظر يوحنا ١١ : ٤٢) فيرجعوا عما هم غارقين فيه من غباءٍ والتواءٍ وجهالة وضلال .

ثم قال مخلّصنا « الآن قد وقعت الدينونة على هذا العالم . الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجًا » ، أى أن هذا العالم الذى سيطر عليه الشر بواسطة الشرير ، وهو الشيطان الذى جعل من العالم مملكته حتى أصبحت له الرئاسة عليه ، سيكون صليب المسيح الذى سيصلب عليه بعد ساعات قليلة رمزًا وبرهانًا على ذلك الشّر الذى غرق العالم فيه ، فكان هو دليل إدانته على كل الخطايا التى ارتكبها البشر منذ سقوط آدم حتى تلك الساعة التى قررت الرحمة الإلهية أن ترحم فيها البَشَر من الهلاك الذى قضى به العدل الإلهى عليهم بواسطة ذلك الفادى الإلهى الذى جاء ليقدّم نفسه ذبيحة عنهم تكفيرًا عن خطاياهم . وقد كانت آخر

هذه الخطايا التى ارتكبها العالم واستحق عنها الدينونة ، هو أنه لفرط ما تمكّن الشرُّ منه ، بدلاً من أن يستقبل ذلك الفادى الذى جاء لخلاصه استقبال المنقذ النبيل ، ويفرح به ، ويقدِّم إليه ماهو جدير به من الشكر والامتنان والتكريم والتبجيل والحب الجزيل ، قام عليه فقتله معلّقًا إياه على الصليب الذى كان يرمز للهوان أشنع الهوان والعار أبشع العار . وفى ذلك قال مخلِّصنا له المجد « وهذه هى الدينونة أن النور جاء إلى العالم ، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة » (يوحنا ٣ : ١٩) – انظر أيضًا (يوحنا ٩ : ٣٩) ؛ (١٦ : ١١) . ومن ثم فإن تلك الدينونة التى استحقها العالم بتعليق مخلِّصه على الصليب كانت صليبًا للعالم نفسه علّق نفسه عليه عن استحقاق حقيقى للهوان والعار ، فى حين أصبح الصليب بالنسبة لمخلّصنا رمزًا للمجد والفخار (١ . كورنثوس ١ : ١٨) . وبعد أن كان بالنسبة للعالم أداة للموت أصبح بموت مُخَلِّصنا عليه مصدرًا للحياة (غلاطية ٦ : ١٤) . إذ بواسطته قهر مخلّصنا مصدر الشّر والهلاك الذى كان مسيطرًا على العالم ، وهو الشيطان الذى كان بسيطرته على العالم هو « رئيس هذا العالم (يوحنا ١٤ : ٣٠) ؛ (١٦ : ١١) . لأن مخلّصنا اذ قدَّم نفسه فداء عن البشَر فغفر بذلك خطاياهم وأعادهم إلى حظيرة الله وطاعته وعبادته ، قد سلب الشيطان كل سيطرة له عليهم (متى ١٢ : ٢٩) ، وجرّده من كُلِّ نفوذ له كان يستذلّهم به ويجعلهم تحت طاعته ، وعبيداً وعبادًا له (كولوسى ٢ : ١٤و١٥) . ومن ثمَّ خلعه عن عرشه وطرحه خارج العالم ليكون مجّرد مخلوق شرير حقير متمرّد على الله ينتظر فى سجنه ساعة الدينونة (٢ . بطرس ٢ : ٤) التى هو واثق أن الحكم سيصدر عليه فيها بالهلاك (متى ٢٥ : ٤١) . وقد عبَّر بعض أَتباع هذا الشيطان من الشياطين أنفسهم عن يقينهم من ذلك الهلاك الذى ينتظرهم ، إذ قالوا لمخلّصنا حين أمرهم أن يخرجوا من إنسان احتلّوا جسده « مالَكَ ولنا يايسوع الناصرى ؟ أجئت لتهلكنا ؟ إننا نعرف من

أنت. أنت قدوس الله» (مرقس ١ : ٢٤) ؛ (لوقا ٤ : ٣٤) ؛ (متى ٨ : ٢٩). ولعلّ رب المجد يسوع المسيح بقوله « الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجًا » فيما يشير إلى الطرح النهائى للشيطان فى جهنم ، يبشّر تلاميذه والمؤمنين به بأن هذا الطرح قد بدأ بنزول المسيح إلى العالم ، ثم بعمل الفداء والخلاص الذى يتم بصلب المسيح الفادى وموته . وبذلك يخرج الشيطان من حياة المؤمنين بالمسيح الذين ينالون المعمودية باسمه ، فيطرح الشيطان خارجًا عنهم . فإذا حاربهم فلا يحاربهم من داخل أجسادهم ، إذ قد خرج منهم فى المعمودية ، وإنما يحاربهم من خارج . قال مخلّصنا « إن القوىّ الذى يتسلّح ليحرس داره تكون أمتعته فى أمان ، ولكنه متى جاء عليه ذلك الذى هو أقوى منه ، تغلّب عليه ونزع منه كل أسلحته التى كان يعتمد عليها ويوزع غنائمه » (لوقا ١١ : ٢١و٢٢) ؛ (مرقس ٣ : ٢٧) ؛ (متى ١٢ : ٢٩) .

وبعد ذلك قال مخلّصنا « وأنا أيضًا متى ارتفعت عن الأرض سأجذب إلىّ الجميع » . وتتضمّن تلك العبارة مرحلتين من مراحل ارتفاع مخلّصنا عن الأرض . فكانت المرحلة الأولى هى ارتفاعه على خشبة الصليب . إذ يقول القديس يوحنا إنه « قال هذا مشيرًا إلى الكيفية التى سيموت بها » . وقد قال الإنجيل « وكما رفع موسى الحية فى البرّية هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الإنسان لكى لا يهلك كل من يؤمن به وإنما ينال الحياة الأبدية » (يوحنا ٣ : ١٤) . وقال فادينا لليهود « حينما ترفعون ابن الإنسان تدركون عندئذ أنى أنا هو » (يوحنا ٨ : ٢٨)-أنظر (متى ٢٠ : ١٩) ؛ (يوحنا ١٨ : ٣٢). ويقرر مخلّصنا عن ذلك أنه متى ارتفع على الصليب الذى يعدّه باب الحياة ، سيجذب جميع البشَر معه (يوحنا ٦ : ٤٤) إلى الحياة الأبدية التى ماارتضى موته على الصليب إلا ليفتح باب تلك الحياة الأبدية لهم (روما [رومية] ٥ : ١٨و١٩) . وأما المرحلة

الثانية فهى ارتفاعه عن الأرض بصعوده إلى السماء (مرقس ١٦ : ١٩) ؛ (لوقا ٩ : ٥١) ؛ (الأعمال ١ : ١١) ؛ (١ . تيموثيئوس ٣ : ١٦) ، حيث أعَدَّ لجميع الذين منحهم الخلاص مكانًا هناك ليكونوا معه إلى الأبد ، إذ قال مخاطبًا أباه السَّماوى « يا أبتاه أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنيهم يكونون معى حيث أكون أنا ، ليعاينوا مجدى الذى أعطيتنى » (يوحنا ١٧ : ٢٤) . وقال لتلاميذه فى وصاياه الأخيرة لهم حين أوشك أن يفارقهم « لا تضطرب قلوبكم .. إنَّ فى بيت أبى منازل كثيرة .. أنا ذاهب لأعِدَّ لكم مكانًا . ولئن ذهبت وأعددت لكم مكانًا ، سأجيء ثانية وآخذكم إلىَّ ، حتى تكونوا أنتم معى حيث أكون أنا » (يوحنا ١٤ : ١ – ٣) . ولم يكن هذا الوعد بطبيعة الحال مقصورًا على تلاميذه الاثنى عشر وحدهم ، وإنما كان لكل المؤمنين به فى كل زمان ومكان . وهكذا فإن مخلِّصنا بارتفاعه على الصليب رمز الحياة ، سيجذب جميع المؤمنين به إلى الحياة الأبدية . كما أنه بارتفاعه بعد ذلك إلى السماء سيجذب معه جميع المؤمنين به إلى ملكوته السماوى ليكونوا معه فى ذلك الملكوت إلى الأبد .

وإذ فهم اليهود الحاضرون من قول مخلِّصنا أنه سيرتفع عن الأرض ، أجابوه قائلين « قد سمعنا من الشريعة أن المسيح يدوم إلى الأبد ، فكيف تقول أنت إن ابن الإنسان ينبغى أن يُرفع ؟ مَن هو ابن الإنسان هذا ؟ » . وقد أخذ اليهود فكرتهم هذه عن أن مملكة المسيح تدوم على الأرض إلى الأبد من أقوال انبيائهم . إذ يقول إشعياء النبى « لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابنًا وتكون الرياسة على كتفه ويُدعَى اسمه عجيبًا مشيرًا إلهًا قديرًا أبا الأبد رئيس السلام . لنمّو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسّى داود وعلى مملكته ليثّبتها ويعضدها بالحق والبِرِّ من الآن إلى الأبد » (إشعياء ٩ : ٦و٧) . ويقول دانيال النّبى « كنت أرى فى رؤى الليل ، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام

فقرّبوه قدّامه . فأعطِى سلطاناً ومجدًا وملكوتًا لتتعبّد له كلّ الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدىّ مالن يزول وملكوته مالا ينقرض » (دانيال ٧ : ١٣و١٤) – انظر أيضًا (المزامير ٨٨ : ٣٦) ؛ (١٠٩ : ٤) ؛ (إشعياء ٥٣ : ٨) ؛ (حزقيال ٣٧ : ٢٥) ؛ (دانيال ٢ : ٤٤) ؛ (٧ : ١٤و٢٧) ؛ (ميخا ٤ : ٧) . وعندما بشّر الملاك العذراء مريم بميلاد المسيح منها قال لها « فيملك على بيت يعقوب إلى الأبد ، ولن يكون لملكه انقضاء » (لوقا ١ : ٣٣) .

وقد كان خطأ اليهود دائمًا فى أنهم يفسّرون آيات كتابهم المقدّس تفسيرًا حرفيًّا سطحيًّا ، لضحالة تفكيرهم ، وضآلة عقولهم ، وعجزهم عن أن يغوصوا إلى أعماق المعانى التى تتضمّنها تلك الآيات السامية السماوية التى وَرَدَت فى نبوءات الله على فم أنبيائهم . فلم يكن المقصود فيما قال أولئك الأنبياء عن ملكوت المسيح أنه سيكون ملكًا أرضيًّا تدوم مملكته على الأرض إلى الأبد ، لأن هذا مستحيل عقلاً وبداهة ، لأن الأرض ستفنى (متى ٢٤ : ٣٥) ؛ (١٣ : ٣١) ولن تدوم إلى الأبد . وإنما المقصود أن عقيدته التى سيغرسها فى الناس وشريعته التى سيضعها لهم ويحكم العالم كله بها ، هى التى ستدوم فى الأرض إلى أن تفنى ، وفى السماء التى لن تفنى أبدًا . وإنما ستبقى إلى الأبد . غير أن اليهود إذ لم يروا فى المسيح إلا أنه مجرّد إنسان ، ولم يدركوا أنه هو الله فى نفس الوقت ، ظنوا أنه سيظلّ ملكًا كسائر ملوك الأرض ، وسيظل سلطانه وهو فى الأرض دائمًا إلى نهاية الزمان ، على مقتضى التفسير الحرفى لقول النبى إن « سلطانه سلطان أبدىّ مالن يزول ، وملكوته مالا ينقرض » ، ولعلّ الدليل على نظرتهم إليه كمجرّد إنسان أنهم قالوا له « فكيف تقول أنت إن ابن الإنسان ينبغى أن يُرْفع ؟ » ، مع أنه لم يقل عن نفسه وهو يكلّمهم فى تلك اللحظة أنه ابن الإنسان . ولعلّهم قالوا هذا لأنهم طالما سمعوه قبل ذلك يلقّب نفسه بابن

الإنسان ، أو لعلّهم كانوا يعنون ماقاله دانيال النبى عن المسيح المنتظر أنه رآه فى رؤى الليل « مِثل ابن إنسان » (دانيال ٧ : ١٣) ، ومِنْ ثَمَّ تبلبلت أفكارهم من نحوه ، وثارت شكوكهم فى أن يكون هذا هو حقًّا المسيح الذى ينتظرونه مادام يقول إنه سيرتفع عن الأرض ولا يبقى إلى الأبد مَلِكًا أرضيًّا يجلس على عرش داود إلى نهاية الزمان ، على مقتضى فهمهم الخاطىء لنبوءات الأنبياء .

فأجابهم مخلّصنا إجابة بليغة يصحح بها خطأهم فى فَهْم حقيقة شخصية المسيح ، ويوضح لهم جوهر رسالته التى جاء من أجلها إلى العالَم ليقضى فى إنجازها زمنًا محدودًا ثم يرتفع إلى السماء . إذ قال لهم « إنّ النور باقٍ فى وسطكم زمانًا يسيرًا ، فسيروا فى النور مادام النور لكم ، لئلاّ يدرككم الظلام . لأن الذى يمشى فى الظلام لا يدرى إلى أين يذهب . فآمنوا بالنور مادام لكم النور لتصيروا أبناء النور » . فهو يقول لهم بذلك إنه ليس مجرّد إنسان ذى جسد كما يظنون ، وإنما هو الله الذى هو نور من نور ، ونور فى نور . وهذا ماقرره مخلّصنا من قبل فى صراحة ووضوح ، إذ قال « أنا هو نور العالم . مَن يتبعنى لا يسير فى الظلام ، وإنما يكون له نور الحياة » (يوحنا ٨ : ١٢) . وقال « مادمت فى العالم فأنا نور العالم » (يوحنا ٩ : ٥) . وقال « أنا قد جئت للعالم نورًا حتى إن كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلام » (يوحنا ١٢ : ٤٦) . وقال الإنجيل عن يوحنا المعمدان الذى شهد لمخلّصنا « كان رجل قد أرسل من الله اسمه يوحنا . جاء هذا كى يشهد للنور ليؤمن الكلّ على يده . لم يكن هو النور وإنما أُرسِل ليشهد للنور . كان النور الحقيقى الذى ينير كلّ إنسان آتيًا إلى العالم . كان فى العالم .. والعالم لم يعرفه » (يوحنا ١ : ٦ — ١٠) . وقال « إن النور جاء إلى العالم وأحبَّ الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة » (يوحنا ٣ : ١٩) . وواضح أن المقصود بالنور بهذا المعنى هو الله ذاته ، كما تدلّ على ذلك كل

نبوءات العهد القديم . إذ جاء مثلاً فى سفر أيوب « أين الطريق إلى حيث يسكن النور » (أيوب ٣٨ : ١٩) . وجاء فى سفر دانيال النبىّ أنّ الله « عنده يسكن النور » (دانيال ٢ : ٢٢) . وجاء فى سفر المزامير عن الله أنه « اللابس النور كثوب » (المزمور ١٠٣ : ٢) . وجاء فيه على لسان داود النبى « الرب نورى وخلاصى » (المزمور ٢٦ : ١) وجاء فيه على لسان داود أيضًا « بنورك نَرَى نورًا » (المزمور ٣٥ : ٩) . كما وصف تلاميذ مخلّصنا اللهّ بأنه نور ، إذ يقول القديس يوحنا « إن الله نور وليس فيه ظلمة البتة » (١ . يوحنا ١ : ٥) . ويقول القديس بولس عن الله إنه « المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب الذى وحده له عدم الموت . ساكنًا فى نور لايُدنَى منه » (١ . تيموثيئوس ٦ : ١٥و١٦) .

وهكذا قرر مخلّصنا لليهود إذ وصف نفسه بأنه النور ، أنه هو ابن الله ، وأنه هو الله ذاته . وأخبرهم بأنه – على عكس فهمهم الخاطىء – لن يبقى معهم فى الأرض إلى الأبد كما يظنون ، وإنما سيغادرهم بعد زمن يسير لا يتجاوز ساعات قليلة ، يصلبه رؤساء اليهود بعدها ليرتفع أوّلاً على الصليب ليموت عليه ، ثم يرتفع بعد ثلاثة أيام عن القبر فى قيامته من بين الأموات . ثم أخيرًا يرتفع بعد أربعين يومًا صاعدًا إلى السماء . وهو فى ذلك الزمان اليسير الذى يبقى خلاله فى وسطهم سيكون هو نورهم الذى يستنيرون به فى حياتهم . فلينتهزوا هذه الفرصة التى سرعان ماستعبر ليسيروا على هدى نوره لئلاً يدركهم الظلام الذى سيحلّ عليهم بعد ارتفاعه عنهم ، فيروحون يتخبطون فى ذلك الظلام كالعميان الذين فقدوا نور أعينهم . فهم يمشون على غير هُدى . ولا يدرون فى أىّ طريق تسوقهم أقدامهم . ولا يدرون إلى أين يذهبون (يوحنا ١١ : ١٠) ؛ (١ . يوحنا ٢ : ١١) . فلا يلبثون أن يضلّوا السبيل (ارميا ١٣ : ١٦) . ومِنْ ثَمَّ يتعَّرضون

لكلّ أنواع المخاطر والمهالك التي يتعرض لها كل الذين يمشون في الظلام ، ولاسيَّما ظلام العقل والقلب والروح (أفسس ٥ : ٨) . فلا نجاة لهم إلا بأن ينتهزوا فرصة وجود النور الإلهي المتمثل في مخلّصنا في أثناء الفترة القصيرة التي بقيت ليرتفع عنهم كي يؤمنوا به ، لأنهم إن آمنوا بالنور المتمثل فيه يصيروا أبناء النور (لوقا ١٦ : ٨) ؛ (أفسس ٥ : ٨) ؛ (١ . تسالونيكي ٥ : ٥) ؛ (١ . يوحنا ٢ : ٩) ، أي أبناءه هو ، فيستنيروا بنوره ، ويسيروا في حياتهم على هداه ، وينالوا شرف الانتساب إليه انتساب الأبناء إلى أبيهم ، والتلاميذ إلى معلّمهم . ومِنْ ثَمَّ ينعكس نوره عليهم . ولما كان هو نورالعالم يصبحون هم أيضًا كما قال لتلاميذه نورًا للعالم ، إذ قال لهم « أنتم نور العالم » (متى ٥ : ١٤) .

قال مخلِّصنا لليهود هذا ثم مضى واختفى عنهم بقوة لاهوته (انظر أيضًا يوحنا ٨ : ٥٩) ؛ (١١ : ٥٤) ، إيذانًا باختفاء نوره الإلهي الذي حدثهم عنه من بينهم ، وأنذرهم وحذّرهم من أن يستمروا في إنكاره والتنكّر له لئلاَّ يكتنفهم الظلام بعد ارتفاعه عنهم فيسقطوا في هوة الهلاك . بيد أنهم على الرغم من كل ماسمعوه منه بالتلميح تارة وبالتصريح تارة أخرى ليثبت لهم حقيقة شخصيته الإلهية ، وعلى الرغم من أنه صنع معجزات كثيرة أمامهم لا يمكن أن تصدر إلا عن الله القدير نفسه ، لم يؤمنوا به ، وصمُّوا آذانهم عن أن تسمع كل ماقاله . وأغلقوا أعينهم عن أن ترى كل ماصنع من المعجزات أمامهم ، لعناد قلوبهم وعقولهم ، وعمى بصائرهم وأبصارهم ، واستعباد الشر والشرير لهم ، ليتم فيهم قول إشعياء النبي « يارب مَن آمن بما سمع منا ؟ ولمن تجلّت ذراع الربّ ؟ » (إشعياء ٥٣ : ١) — انظر أيضا (روما [رومية] ١٠ : ١٦) . لهذا لم يستطيعوا أن يؤمنوا ، لأن إشعياء قال أيضًا « قد طمس على عيونهم وأغلق على قلوبهم ، لئلاَّ يبصروا بعيونهم أو يفقهوا بقلوبهم ، ويرجعوا إليَّ فأشفيهم »

(إشعياء ٦ : ٩و١٠) – انظر (متى ١٣ : ١٤) . وقد قال إشعياء هذا عن اليهود حين رأى بروح النبوّة مجد مخلِّصنا متنبئًا عنه قبل مجيئه بمئات السنين (إشعياء ٦ : ١) . وهكذا شهد بمكر اليهود وشرّهم وعنادهم وغلظة أكبادهم نبيّ من أنبيائهم هم أنفسهم ، فكانوا هم الشهود على أنفسهم بأنفسهم .

ومع ذلك قد آمن بمخلِّصنا كثيرون من الرؤساء أنفسهم الذين كانت لهم أكبر المناصب فى المجتمع اليهودى . إذ كانوا أعضاء فى مجلس السنهدريم الذى هو مجلس الشيوخ اليهودى أعلى سلطة فى بلادهم . بيد أن أولئك الرؤساء الذين آمنوا بمخلِّصنا كانوا ذوى عقول أكثر تفتحًا وقلوب أكثر نقاء ، ونفوس أكثر صفاء ، فلم تمنعهم عن الإيمان بالمسيح له المجد كبرياء ولا استعلاء ، ولا جهل ولا غباء ، ولا حقد ولا حسد ، ولا ضمير أحمق ولا تفكير أخرق ، كما كان هو الشأن بالنسبة لسائر اليهود . ومع ذلك حرص أولئك الرؤساء على أن يظل إيمانهم بمخلّصنا فى الخفاء ، خوفًا من الفرّيسيين أعداء الرب يسوع الذين كانوا يتربصون به الدوائر لقتله ، ولا سيّما أنهم مع رؤساء الكهنة من أعضاء مجلس السندريم كانوا كما يقرر الإنجيل « قد أصدروا أمرًا بأن على من يعرف أين هو أن يرشدهم إليه ليمسكوه » (يوحنا ١١ : ٥٧) ، ومن ثم لم يجرؤ أولئك الرؤساء الذين آمنوا بمخلّصنا على أن يعترفوا به علانية لئلاً يثير ذلك عليهم رؤساء الكهنة والفريسيين فيطردوهم من مجلس السنهدريم الذى كانوا يسمونه المجمع فيفقدوا بذلك مكانتهم العظيمة فى المجتمع اليهودى (انظر يوحنا ٧ : ١٣) ؛ (٩ : ٢٢) . وقد كان ذلك موطن الضعف فيهم ، لأنهم كما يقرر الإنجيل « أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله » . وقد ذكر لنا الإنجيل اسم اثنين من أولئك الرؤساء الذين آمنوا بمخلِّصنا سرًّا . وهما نيقوديموس ويوسف الرامى . إذ يقول لنا الإنجيل إنه « كان رجل من الفرّيسيين اسمه نيقوديموس من رؤساء اليهود ، جاء إلى يسوع ليلاً وقال

له يامعلّم نحن نعلم أنك جئت من الله معلّمًا ، لأنه ما من أحد يقدر أن يصنع هذه الآيات التى أنت تصنع مالم يكن الله معه » (يوحنا ٣ : ١و٢) . وأما يوسف الرامى فيقول لنا الإنجيل إنه « رجل غنىّ من الرامة .. وكان هو أيضًا قد تتلمذ ليسوع » (متى ٢٧ : ٥٧) ، وأنه «كان عضوًا بمجلس السنهدريم ، وكان رجلاً صالحًا بارًّا . ولم يكن راضيًا عن رأيهم أو عملهم . وهو من الرامة إحدى مدن اليهودية ، وكان هو أيضًا ينتظر ملكوت الله» (لوقا ٢٣ : ٥٠و٥١) . ثم يقرر الإنجيل أنه «كان تلميذًا ليسوع ، وإن يكن خفية لخوفه من اليهود » (يوحنا ١٩ : ٣٨) . بيد أن هذين الرجلين على الرغم مما أبديا فى مبدأ الأمر من حرص على عدم إذاعة إيمانهما بمخلصنا خوفًا على مكانتهما ، وحذرًا على سلامتهما ، لم يلبثا حين رأيا الخطر الذى يهدّد معلمها أن أبديا أعظم الشجاعة وأكرم الشهامة فجاهرا بإيمانهما به على رؤوس الأشهاد وفَعَلا مالم يجرؤ على أن يفعله أقرب أقربائه واحب تلاميذه إليه ، غير مبالين باى خطر يهدّدهم ولو كان هذا الخطر هو الموت . إذ يقول الإنجيل إن أعضاء مجلس السنهدريم حين قرروا القبض على مخلِّصنا وقتله « قال لهم نيقوديموس الذى كان قد جاء إلى يسوع ليلاً ، وكان واحدًا منهم : هل تحكم شريعتنا على أحد مالم تسمع منه أولاً . وتعرف ماذا فعل ؟ » (يوحنا ٧ : ٥٠و٥١) . ويقول الإنجيل عما فعله يوسف الرامى حين قبض رؤساء اليهود على مخلّصنا وقتلوه على خشبة الصليب .. « واذا برجل اسمه يوسف ، كان عضوًا بمجلس السنهدريم ، وكان رجلاً صالحًا بارًّا . ولم يكن راضيًا عن رأيهم أو عملهم .. وقد تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع . ثم انزله ولفّه بكتّان وسجّاه فى قبر كان قد نحته فى الصخر ، ولم يكن قد دُفن فيه أحد من قبل » (لوقا ٢٣ : ٥٠ - ٥٣) . ثم يقرر الإنجيل أن نيقوديموس اشترك مع يوسف الرامى فى إنزال جسد مخلِّصنا عن الصليب وتكفينه ودفنه ، إذ يقول « وجاء أيضًا نيقوديوس الذى كان قد اتى من قبل إلى يسوع

ليلاً ، وكان يحمل حنوطًا من المر والصبر ، يزن نحو مائة رطل . وأخذا جسد يسوع وكفناه بلفائف من الكتان مع الأطياب على عادة اليهود فى التكفين . وكان فى الموضع الذى صلبوه فيه بستان ، وفى البستان قبر جديد لم يوضع فيه من قبل أحد قط . فوضعوا يسوع فيه » (يوحنا ١٩ : ٣٩ – ٤٢) . وهكذا فإن هذين الرجلين البارّين الفاضلين بعد أن كانا يحبّان مجد الناس أكثر من مجد الله كما يقول الإنجيل (يوحنا ٥ : ٤٤) ، انتهى بهما إيمانهما بمخلّصنا ومخلّص العالم كله إلى أنهما أحبّا مجد الله أكثر من مجد الناس . ولا بد أنهما فى سبيل إيمانهما بالرب ومجاهرتهما الفائقة الشجاعة بهذا الإيمان ، لقيا بعد ذلك من رؤساء اليهود كل ألوان العنف والعسف والبطش والتنكيل ، شأن كلّ مؤمن شجاع ، وشهم نبيل .

١٢ : ٤٤ – ٥٠

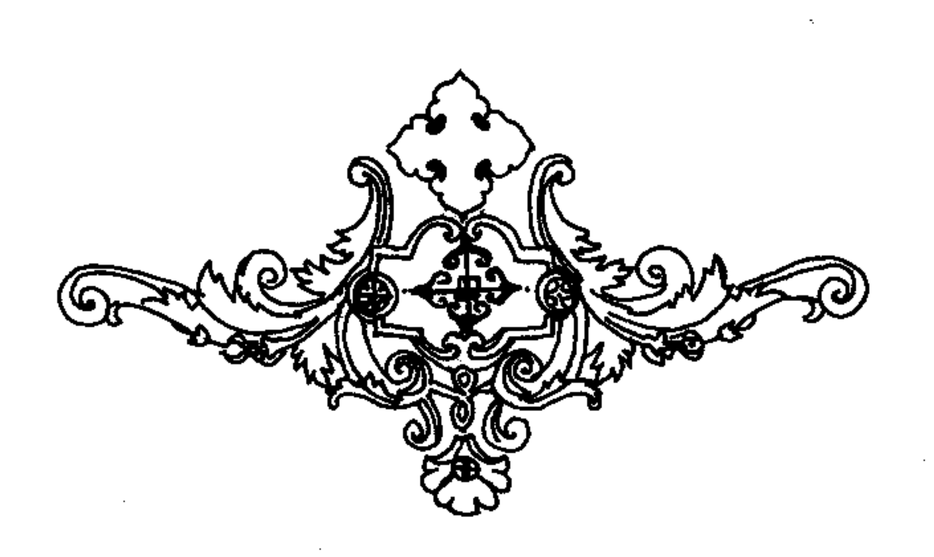
وقد علّق مخلّصنا على إيمان أولئك الرؤساء الذين آمنوا به قائلاً « إن الذى يؤمن بى ، ليس بى يؤمن ، وإنما آمن بالذى أرسلنى . والذى يرانى فقد رأى الذى أرسلنى . أنا قد جئت للعالم نورًا ، حتى إنَّ كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلام » . وهنا يؤكد مخلّصنا مرة أخرى أنه متحد بأبيه السماوى اتحادًا كاملاً . فهما معًا إله واحد (يوحنا ١٠ : ٣٠) ، وإن كان الله الآب الذى هو متحد به قد أرسله إلى العالم (مرقس ٩ : ٣٧) ؛ (يوحنا ٣ : ١٧) متخذًا جسد إنسان ليتمم التدبير الإلهى لغفران خطايا البشر بتقديم نفسه فداء عنهم لخلاصهم من حكم الهلاك الصادر من العدالة الإلهية عليهم ، فإنه على الرغم من الجسد البشرىّ الذى اتخذه لم يزل فى نفس الوقت متحدًا بألوهيته مع الله الآب ، لم ينفصل عنه لحظة واحدة أبدًا ، بحيث إن الذى يراه إنما يرى فيه الله الآب الذى هو متّحد به . وقد أكد له المجد على هذا المعنى إذ قال أيضًا « من رآنى فقد رأى

الآب » (يوحنا ١٤ : ٩) – انظر (كولوسى ١ : ١٥) ؛ (العبرانيين ١ : ٣) . ومن ثَمَّ فإن الذى يؤمن به وهو فى جسد ناسوته إنما يؤمن فى نفس الوقت بالله أبيه الذى أرسله ليفدى البشَر (يوحنا ٣ : ١٧) من فرط حبه لهم (يوحنا ١٥ : ١٣) ورحمته بهم ورغبته فى أن يتصالحوا معه (٢ . كورنثوس ٥ : ١٨و١٩و٢٠) ، ويعودوا كما خلقهم فى الأصل أبناء أطهارًا أنقياء أبرياء من الخطيئة التى سقطوا بسببها واستحقوا العقاب عنها ، كالابن الضال (لوقا ١٥ : ١١ – ٣٢) الذى عاد أخيرًا إلى أبيه نادمًا تائبًا فاستحق من جديد حبه له وحنانه عليه ورعايته إياه ، حبَّ الأب لأبنائه ، وحنانه عليهم ، ورعايته لهم . وبناء على ذلك الترتيب الإلهى جاء مخلِّصنا إلى العالم وإن يكن متخذًا جسد إنسان (فيلبى ٢ : ٦و٧و٨) ، فإنه مازال وهو فى ذلك الجسد الإنسانى هو الله نفسهَ الذى هو بطبيعته نور فى نور . ومِنْ ثَمَّ فإنه يقول إنه جاء نورًا للعالم (انظر أيضًا يوحنا ٨ : ١٢) ؛ (٩ : ٥و٣٩) حتى إنّ كل من يؤمن به على هذا الاعتبار لا يمكث فيما كان غارقًا فيه قبل ذلك من ظلام العقل والقلب والنفس والروح والضمير والوجدان ، كأنه ليس من جنس البشَر وإنما من جنس أحط أنواع الحيوان ، وإنما يغمره النور الإلهى الذى ينبعث من مخلِّصنا بحكم طبيعته الإلهية ، فينقشع عنه الظلام الذى كان يغمر عقله وقلبه ونفسه وروحه وضميره ووجدانه وكل جارحة فيه ، ومن ثَم يسير فى تصرّفاته وكل شئون حياته على هدى نور مخلِّصنا ويسترد الطبيعة الأولى لأبيه الأول آدم حين خلقه الله فى البدء على صورته ومثاله (التكوين ١ : ٢٦و٢٧) طبيعة الخير والبر والفضيلة والطهارة والنقاء والصفاء وكل صفات الكمال التى يتصف بها الله ذاته . أما ذلك الذى لا يؤمن بمخلِّصنا باعتباره ابن الله وباعتباره متحدا بالله كل الاتحاد ، وإنما يكفر به وينكره ويتنكر له ويتمرد عليه فله شأن آخر إذ يقول مخلِّصنا له المجد « الذى يؤمن به لايدان . وأما الذى لا يؤمن به فقد أدين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله

الوحيد . وهذه هى الدينونة ، أن النور جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريرة » (يوحنا ٣ : ١٨و١٩) . ويقول « إن سمع أحد كلامى ولم يحفظه فأنا لا أدينه . لأننى ماجئت لأدين العالم بل لأخلّص العالم . إنَّ من ينكرنى ولايقبل كلامى فله مَن يدينه . الكلام الذى تكلمت به هو الذى يدينه فى اليوم الأخير ، لأننى لم أتكلّم من نفسى وحدى . وإنما الآب الذى أرسلنى هو الذى أوصانى بما أقول وبما أتكلّم . وأنا أعلم أن وصيته هى حياة أبدية . فما أقول هو ماقاله لى الآب . وبه أتكلّم » .

وذلك أن مخلِّصنا خلال كل حياته التعليمية ، قد كلَّم الناس بكلام الله الذى هو فى نفس الوقت كلامه هو باعتباره ابن الله المتحد به . فكل من سمع كلامه ولم يحفظه ولم يعمل به إنما يستوجب الدينونة ، لا من مخلّصنا . لأنه ماجاء هذه المرَّة فى مجيئة الأول ليدين العالم (يوحنا ١٢ : ٤٧) . فلم تكن هذه هى مهمته فى تلك المرَّة . وإنما انحصرت مهمته فى هذا المجىء الأول فى أن يبذل نفسه لخلاص العالم . ومِنْ ثَمَّ فإن الإنسان الذى ينكره ولا يقبل كلامه الذى تكلَّم به ليعمل بمقتضاه باعتبار ذلك الكلام هو وصايا الله للإنسان التى يهدف بها إلى مصلحته وإصلاح أمره واستحقاقه للغفران الذى يهيئه للحياة الأبدية ، إنما يبرهن ذلك الإنسان بعدم قبوله هذا الكلام وعدم عمله بمقتضاه على أنه غير مستحق للغفران ولا للحياة الأبدية . ومن ثَمَّ فإن مخلِّصنا عند مجيئه الثانى فى اليوم الأخير المخصص للدينونة سيدينه باعتباره الدَّيَّان فى هذه المَّرة ويحكم باستحقاقه – بمقتضى العدل الإلهى – للهلاك الأبدى . لأن مخلِّصنا إذ كلَّم الناس فى مجيئه الأول لم يكن الكلام الذى نطق به كلامه وحده ، وإنما كان فى نفس الوقت هو كلام الله الآب الذى هو كائن معه فى وحدانية الذات . وكانت وصايا مخلِّصنا للناس هى فى نفس الوقت وصايا الله الآب الذى أرسل مخلِّصنا

إلى العالم منخذًا جسد إنسان لخلاص الإنسان . وكان على اتفاق كامل معه فى توجيه تلك الوصايا للناس ، لأن كيانهما واحد . وجوهرهما واحد . وارادتهما واحدة . لأنهما كليهما إله واحد . ومخلِّصنا الذى هو الله الابن يعلم كما يعلم الله الآب فى نفس الوقت أن هذه الوصايا إنما تهدف إلى توجيه الناس إلى الحياة الأبدية . لأنها هى فى ذاتها حياة أبدية . وخلاصة ذلك أن ماقاله ويقوله مخلِّصنا الذى هو الله الابن هو ذاته ماقاله ويقوله الله الآب ، وأن ماتكلَّم به ويتكلّم به مخلِّصنا الذى هوالله الابن هو ذاته ماتكلَّم به الله الآب . وقد هَدَف مخلِّصنا من كل هذا الشرح والتوضيح أن يثبت لليهود أنه هو الله فى الجسد ، ليؤمنوا به على هذا الوصف ، ومِنْ ثَمَّ يعملوا بوصاياه باعتبارها هى وصايا الله ذاته .



الفصل الثالث عشر

١٣ : ١ و ٢

وقد احتفل مخلِّصنا مع تلاميذه بعيد الفصح اليهودى فى مساء اليوم الرابع عشر من شهر نيسان ، وكان يوافق مساء يوم الخميس ، السادس من أبريل ، وهو الذى نسميه اليوم « خميس العهد » ، إذ رأى مخلِّصنا أن ساعته المحدَّدة فى التدبير الإلهى قد جاءت لينتقل من العالم ويمضى إلى الآب السماوىّ ، وقد أحبَّ خاصته الذين فى العالم ، وهم المؤمنون به وفى مقدمتهم تلاميذه الاثنا عشر ، أَحبَّهم إلى نهاية المدَى ، حبًّا عظيمًا ، وَحُبًّا مستديمًا لا ينقطع ، ولا يزول إلى الأبد . ومِنْ ثَمَّ أراد أن يودّعهم الوداع الأخير قبل موته على الصليب فى اليوم التالى . فاجتمع بهم ليأكل معهم الفصح اليهودى ، وليزوّدهم بوصاياه ويكشف لهم مالم يكن قد كشفه حتى ذلك الحين من أسرار ألوهيته ، ويعطيهم العهد الجديد الذى أسَّسه لتقوم عليه كنيسته المسيحية الروحية الإلهية المجاهدة على الأرض والمنتصرة فى السماء .

وكان أعداء مخلِّصنا من رؤساء الكهنة والفريسيين يواصلون فى ذلك الحين اجتماعاتهم ويدبّرون مؤامراتهم ضدَّه ليمسكوه بخدعة ويقتلوه ، « ولكنهم قالوا : ليس فى العيد لئلاَّ يحدث شغب بين الشعب » (متى ٢٦ : ٥) . وذلك أنَّ مخلِّصنا له المجد لم يكن يظهر فى مكان أو يذهب من مكانٍ إلى مكانٍ ، حتى تندفع الجموع الزاخرة إليه وتتجمهر حوله وتتبعه أينما سار فى محبة وإعجاب

وإجلال وإكبار ، لتستمع إلى تعاليمه السمائية السامية ، وتستمتع برؤية طلعته البهية الساحرة ، ومعجزاته الإلهية الباهرة . ومِنْ ثَمَّ لم يكن فى استطاعة أعدائه أن ينتزعوه من بين تلك الجموع جهارًا ليقتلوه أو يتعَّرضوا له بأى سوء ، لأنهم كما جاء فى الإنجيل للقديس لوقا «كانوا خائفين من الشعب» (لوقا ٢٢ : ٢) . ومِنْ ثَمَّ راحوا يتآمرون سِرًّا فيما بينهم ، فى غضب مكظوم وغيظ مكتوم وحقد محموم ، عسى أن يهديهم تفكيرهم الماكر الغادر اللئيم الأثيم إلى وسيلة يمسكونه بها تحت جنح الظلام بعيدًا عن الشعب . وقد أطلقوا الجواسيس خلفه ليترصَّدوا تحرُّكاته ويتصيَّدوا فرصة يكون فيها وحده ليمسكوه ، بيد أن الشيطان لم يلبث أن وفّر عليهم هذا العناء ، وأعفاهم من كل هذا الجهد الذى يبذلونه فى الخفاء ، لأنَّ فادينا الحبيب كان خصمه اللدّود الذى ماجاء إلى العالم إلا لدحره والقضاء على سلطانه على البشَر . ومِنْ ثَمَّ أراد أن يبرهن على مَدَى ماوَصَلَ إليه نفوذه على أولئك البشَر وسطوته وسيطرته عليهم ، فَسَاقَ إلى أعداء مخلِّصنا واحدًا من تلاميذه الاثنى عشر أنفسهم ، الذين اختارهم من بين البشَر جميعًا – وهم القوم البسطاء الفقراء القرويون – ليكونوا معلِّمى البشرية كلها من بعده . ولذلك أكرمهم وعلَّمهم وأدّبهم وهذّبهم ودرّبهم ولقَّنهم تعاليم السماء ، ورفعهم إلى مصافّ الرُّسل والأنبياء . وقد ائتمنهم ووضع فيهم ثقته وغمرهم بحبِّه وحدبه وحنانه وحمايته ، ومنحهم سلطانًا ليكونوا خلفاءه على الأرض . لكنّ الشَّر المتغلغل فى أعماق نفوس البشَر بتحريض الشيطان لم يلبث أن أطَلَّ كما تُطلُّ الأفعى برأسها بين أفراد تلك الأسرة المقدَّسة المؤسَّسة على المحَّبة والوفاء ، ومبادئ ملكوت السماء ، فظهر من بينهم خائن خسيس استبدَّ به الشَّر واستعبده الشيطان . فكان رمزًا لكل خائن خسيس فى كل زمان ومكان . وكان ذلك هو يهوذا سمعان الإسخريوطى ، الذى ألقى الشيطان فى قلبه أن يخون معلِّمه ويسلِّمه لأعدائه ، والذى يبدو مما قيل عنه فى البشائر أن خيانته لمعلِّمه والشرّ الشائن الذى

ينطوى عليه ما فعله فى حقّه ، لم يكن أمرًا طارئًا ولا فكرًا عارضًا ولا حادثًا عابرًا ابن ساعته . وإنما كان تصرُّفًا ناجمًا عن حقد مستعر كانت تنطوى عليه نفسه ، وغيرة مسعورة كانت تعتلج بين جوانحه ، وتتأجج بنار كبرياء مكبوتة كانت تأكل قلبه ، وتسلب لبّه ، وتسبيه وتُعميه عن كُلِّ ماهو فيه من نعمة أسبغها عليه معلّمه . ويتبيّن ذلك كله من سياق تلك الحادثة التى سبق أن جرت فى « بيت عنيا » قبل ستة أيام من ذلك الحين . عندما كان مخلّصنا يتناول العشاء مع تلاميذه فى بيت سمعان الأبرص (متى ٢٦ : ٦) . فأخذت مريم أخت لعازر الذى أقامه من بين الأموات ، قارورة من طيب غالى الثمن ودهنت به قدمى مخلِّصنا ومسحتهما بشعر رأسها . إذ قال يهوذا عندئذ « أما كان الأحرى أن يُباع هذا الطِّيب بِثلاثمائَةِ دينار وتعطى للفقراء ؟ » (يوحنا ١٢ : ٥) ، ويبدو من هذا كيف أن يهوذا قد أكَلَت قلبه الغيرة المفعمة بالحقد ، مختلطة بشهوة محبة المال ، حين رأى التكريم الذى قدَّمته تلك المرأة لمخلّصنا ، مع أن هذا التكريم لم يكن أمرًا مستغربًا ولا مستكثرًا من امرأة أعاد مخلِّصنا أخاها إلى الحياة وأقامه من القبر بعد أن مكثت جثته فيه أربعة أيام . ولما كان الشرُّ يبذر فى الإنسان إذا تسلَّل إلى نفسه كل ألوان الرذائل ، لم يقتصر أثره فى يهوذا على أن يجعله حَسُودًا حقودًا خائنًا فحسب . وإنما جعله كذلك لصًا وسارقًا يختلس المال القليل الذى كانت تحتفظ به جماعة مخلِّصنا فى كيسها الذى كانت تسدُّ منه حاجاتها الضرورية ، والذى ائتمنه معلِّمه على أن يكون فى عهدته . وفى ذلك يقول القديس يوحنّا إنه « كان سارقًا . وقد كان كيس النقود معه . فكان يستولى على مافيه » (يوحنا ١٢ : ٦) . فلم يكن عجيبًا منه ولا غريبًا – وقد بلغ به الانحطاط هذا المدى – أنه تسلَّل خفية كما جاء فى الإنجيل للقديس متى إلى أعداء معلِّمه وهم مجتمعون يتآمرون فيما بينهم ليقبضوا عليه غدرًا ويقتلوه . « وقال لهم : ماذا تعطونى وأنا أسلّمه إليكم ؟ فاتفقوا معه على أن يعطوه ثلاثين قطعة من الفضة . ومنذ ذلك



العشاء الأخير (يوحنا ١٧ : ١ و٢)

الحين أخذ يترقّب فرصة ليسلّمه إليهم » (متى ٢٦ : ١٤ – ١٦) . وقد جاء فى الإنجيل للقديس لوقا أن يهوذا « تحدَّث مع رؤساء الكهنة وقواد الجند بشأن الوسيلة التى بها يسلّمه اليهم . ففرحوا واتفقوا معه على أن يعطوه فضة فواعدهم ، وأخذ يترقّب فرصة ليسلّمه إليهم بعيدًا عن أعين الشعب » (لوقا ٢٢ : ٤ – ٦) . وهكذا باع ذلك الدنىء سيِّده ومعلّمه ومربيه وصاحب الفضل عليه نظير ثلاثين قطعة من الفضة ، وهى التى كان اليهود يسمونها « الشاقل » ، وهى تساوى نحو عشرين قرشًا ، أى أن المبلغ كله كان لا يتعدَّى ستة جنيهات . وهو الثمن الذى كان مقررًا فى الشريعة اليهودية لشراء عبد (الخروج ٢١ : ٣٢) . وهذا دليل آخر على أن الدافع إلى خيانة يهوذا لم يكن ذلك القدر الضئيل من المال وحده ، مع أنه كان يشتهى المال ويسرقه ، وإنما كان قبل كل شىء هو ذلك القدر الكبير من الحقد الذى كان يضمره فى قرارة نفسه لسيِّده ، بسبب ما كان يراه من تمجيد الناس له ، ذلك التمجيد الذى يبدو أنه – بسبب كبريائه الشيطانية – كان يشتهيه لنفسه . ولذلك أسعده أن ينزل بسيِّده من مرتبة الألوهية التى أعلنها للناس عن نفسه فآمنوا به ، إلى مرتبة العبيد التى أرادها له هو بالثمن الذى ارتضى أن يبيعه به ، حَسَدًا له ، وحقدًا عليه ، وتشفيًا منه . فكان بذلك أشنع وأبشع وأحقر وأحطّ مثال للخائن الخسيس الجاحد الجبان فى كل العصور إلى آخر الزمان .

١٣ : ٣ – ١١

وعلى الرغم من أن مخلِّصنا يعلم كل العلم مكانته العظيمة إلى غير حد أو نهاية بوصفه ابن الله ، وبوصفه الله ذاته ، ويعلم أن أباه السماوى قد دفع كل شىء إلى يديه (متى ٢٨ : ١٨) ، فهو بذلك يملك كل السلطان الذى للآب (يوحنا ١٧ : ١٠) ، لأنه ملك الملوك ورب الأرباب (الرؤيا ١٩ : ١٦) ، ويعلم أنه

من لَدُن الله الآب خرج خروج النور من الشمس ، لأن طبيعته هى من ذات طبيعة الآب ، ولأنه فى وحدانية كاملة معه ، وانه إلى الله الآب يمضى بعد أن يتمم عمل الفداء الذى من أجله جاء إلى العالم . وعلى الرغم من مجيئه إلى العالم متخذًا جسد إنسان ، فإنه لم ينفصل بصفته الإلهية لحظة واحدة عن الله الآب الذى هو متحد به اتحادًا أزليًا وأبديًا لا ينقطع ولا ينفصم ، لأنه وهو فى العالم بجسده بين الناس ، ظل مع ذلك بلاهوته فى السماء متحدًا بالله الآب ومعه ، اتحادًا كليًّا كاملاً شاملاً عميقًا وثيقًا . بيد أنه مع علمه بمكانته العظيمة تلك التى لا تدانيها عظمة كائن آخر فى الكون الذى هو خالقه وسيده وملكه ومالكه ، فإنه قام بعد تناوله عشاء الفصح مع تلاميذه بعمل مذهل من أعمال التواضع . ينبهر أمامه العقل ولا يكاد يصدِّق إنسان أنه يصدر عن رب المجد . إذ أنه قام عن العشاء وخلع رداءه الخارجى الذى كان من عادة الناس فى ذلك العصر أن يلتفّوا به فوق مايرتدون من ثياب ، وأخذ منشفة وعقدها حول خصره مؤتزرًا بها كما يفعل الخَدَم . ثم صبَّ ماء فى وعاء كانوا يستخدمونه للاغتسال بقصد التطهير ، وكانوا لذلك يسمونه المطهرة ، وأخذ ينحنى على أرجل تلاميذه واحدًا بعد واحد ويغسلها بالماء ثم يمسحها بالمنشفة التى كان مؤتزرًا بها . وكان غسل الأرجل بهذه الطريقة من أعمال الخدم والعبيد التى يؤدونها لسادتهم ، ولا سيّما بعد عودة أولئك السادة من السوق أو من أىّ مكانٍ آخر لتطهير أرجلهم مما علقَ بها من تراب الطريق وأوحاله ، وخاصّة أن الناس فى تلك الأيام كانوا يلبسون فى أرجلهم نعالاً مكشوفة كثيرة الفتحات بغير جوارب ، فكانت أرجلهم تتسخ اتساخًا شديدًا . فكان مافعله مخلِّصنا إذ تنازل وغسل أرجل تلاميذه كأنه خادمهم ، بدلاً من أن يغسلوا هُم رجليْه وهو سيّدهم ومعلّمهم ، بل هو ربهم وإلههم ، أمرًا هالهم جدًا ، وأذهلهم أشدّ الذهول ، وأدهشهم أعظم الدهشة . ولولا أنهم يهابونه جدًّا ، ويطيعونه طاعة كاملة ، ولا يخالفون له أمرًا ، لا عترضوا عليه

وامتنعوا عن أن يتركوه يقوم بهذا العمل الغريب العجيب ، الذى لم يحدث أنهم رأوا سيّدًا يقوم به نحو أحدٍ ممن هُم أقل منه شأنًا وأدنى منزلة . وفعلاً فإن سمعان بطرس الذى كان أكثرهم جرأة وأسرعهم إلى التعبير عن شعوره وانفعاله ، حين جاء الدور عليه ليغسل معلّمُه رجليه قال له بطرس فى عجب ودهشة واحتجاج يكاد يبلغ حدّ الاستنكار : « أأنت يارب تغسل رجليَّ ؟! » وإذ كانت لمخلّصنا حكمة يضمرها فيما فعله أجاب وقال له : « إن الذى أفعله أنا لا تدركه أنت الآن ولكنك ستدركه فيما بعد » . ومع ذلك أصَرَّ بطرس على امتناعه قائلاً فى انفعال شديد : « لن تغسلَ رجلَيَّ أبدًا » . فأجاب مخلّصنا قائلاً : « إن لم أغسل رجليك فليس لك معى نصيب » . ولما كان هذا تهديدًا رهيبًا يؤدى تنفيذه إلى حرمان سمعان بطرس من كلِّ امتيازات إيمانه بمعلّمه الإلهى ويحرمه الحياة الأبدية التى طالما وَعَدَ بها تلاميذه ، اندفع يقول فى حماسة شديدة : « يارب ليس رجلَيَّ فقط ، بل يَدَيَّ ورأسى أيضًا » . فقال له مخلّصنا : « إن الذى استحمَّ لا يحتاج إلا لأن يغسل قدميه ، فإنه طاهر كله . وأنتم أيضًا أطهار » . وكان له المجد يعنى بقوله هذا أن المعموديَّة التى سبق أن اعتمد بها تلاميذه جعلتهم أطهارًا طهارة شاملة ، فلم يعودوا بحاجة إلا لغسل أقدامهم لتحقيق الغاية الأخرى التى قَصَد إليها مما فعله فى تلك الساعة لهم ، والتى سيعود فيصارحهم بها بعد قليل . بيد أنه لم يلبث أن استدرك قائلاً « ولكنكم لستم كلكم أطهارًا » . فقد كان يعلم – كما يقرر ذلك الإنجيل للقديس يوحنَّا نفسه – أنَّ واحدًا منهم وهو يهوذا الأسخريوطىّ مزمع أن يخونه ويسلّمه لأعدائه فى تلك الليلة ذاتها . وإذ كان الشيطان قد دخل قلبه وملأه بالشَّر لم يَعُدْ طاهرًا ، وإنما نجَّسه انقياده للشيطان ودنَسه ، ولذلك قال مخلّصنا : « إنكم لستم كلكم أطهارًا » .

وعلى قِلَّة ماأورده رسل السيد المسيح فيما كتبوه فى بشائرهم من تعاليمه وأعماله التعليمية بالنسبة لمجموع تلك التعاليم والأعمال طوال مدة خدمته التبشيرية منذ أن أعلن ذاته للناس حتى صعد إلى السماء ، فإن هذا القليل الذى وصل إلينا يتضمَّن كُلَّ مايخطر على فكر إنسانٍ من الوسائل الكفيلة بتعليم الناس فى أسرع وأروع صورة ، والوصول فى هذا السبيل إلى أعظم وأعمق نتيجة يمكن أن يصل إليها مُعَلِّم بالنسبة لتلاميذه ، لا بالنسبة لأولئك الذين تتلمذوا على السيد المسيح فى حياته على الأرض فحسب ، وإنما بالنسبة لكل أجيال البشَر على مَدَى التاريخ منذ مجيء السيد المسيح إلى نهايةالزمان ، أولئك الذين ما إن يقرأون تعاليمه حتى يتخذوه معلِّمًا لهم ، ويعدّوا أنفسهم تلاميذ له ، يستمعون إليه ويطيعونه فيما يقول ، ويتمثلون به فيما يعمل ، وقد استشعروا مافى أقواله من قوة خفية تستحوذ فورًا على القلوب ، وما فى أعماله من قدرة إلهية لا يملك الإنسان أمامها إلا الخضوع والخشوع والطاعة والولاء . وقد كان لبلاغة السيد المسيح أثر عظيم فى تعليم تلاميذه الذين كانوا يستمعون إليه ، إذ كان يبهرهم ويسحرهم بعباراته الحلوة اللفظ العميقة المعنى ، وينفذ إلى عقولهم بأمثاله البديعة ، وتشبيهاته الرائعة وأقواله المأثورة التى كان لا يفتأ يستخدمها لتقريب معانيه السامية إلى مداركهم القاصرة . وكان سرعان ما يقنعهم ويفحم المعاندين منهم بقوة حجته وحضور بديهته ومواجهته لهم بأحكام شريعتهم وأقوال أنبيائهم . وكان يضاعف من أثر هذا كله فى نفوسهم ماكانوا يستشعرونه من هيبته وعظمته ، وماكانوا يرونه من نبل هيئته وجمال صورته وجلال شخصيته . فكان هذا كله من عوامل تأثيره فيهم كمعلِّم ، ومن وسائل تهيئة نفوسهم لتكون تربة صالحة يغرس فيها تعاليمه فتستقر وتنمو وتثمر. كما كان من هذه العوامل والوسائل معجزاته

ونبوءاته ، فقد كان يصنع المعجزات أمام الناس ليؤمنوا بأنه ليس مجرَّد إنسان ، وأن تعاليمه إنما هي تعاليم الله . فكانت معجزاته هي الدليل على صدق تعاليمه . ومِنْ ثَمَّ هي السبيل إلى ثقة الناس في تلك التعاليم واحترامهم لها وسلوكهم على مقتضاها . وكان السيد المسيح كذلك ينطق بالنبوءات ، حتى إذا تحققت علم الذين سمعوها أنَّ قائلها صادق فيما كان يقول وفيما كان يفعل ، فآمنوا به ، وعملوا بتعاليمه ، وأثمرت تلك التعاليم فيهم الثمر الذى أراده وقَصَد بحكمته إليه .

وقد كان من وسائل السيد المسيح التعليمية – فضلاً عما تقدَّم – الوصية والنصيحة ، والأمر والنهى والتحذير ، والسؤال والاختبار ، والشرح والتوضيح وتصحيح الفهم ، والقياس والمقارنة والاستنتاج وتقرير الحقائق ، واستخدام الأمثلة العملية والحقائق الملموسة وعناصر البيئة فى تقريب التعاليم إلى الأفهام . كما كان من وسائله التعليمية العطف على الناس والعناية بهم وإشباع حاجاتهم . وكان منها الاستحسان والتشجيع والترغيب والمكافأة . وكذلك العقاب والتوبيخ والتخجيل ، والانتهار والتأديب والوعد والوعيد . بيد أن أعظم الوسائل على الإطلاق هى أنه كان يجعل نفسه قدوة للناس ، فكان يفعل ما يقول ، ويطبق على نفسه ما يطالب الناس به . وقد كانت حياته كلها فى أدق تفاصيلها مثلاً أعلى للناس ، لو احتذوه لأغناهم ذلك عن كل تعليم ، وعن كل تربية وتقويم . ومِنْ ثَمَّ كانت حياة السيد المسيح فى ذاتها هى الدعامة الأولى لكل تعاليمه ، وهى أبلغ وأبعد أثرًا من كُلِّ ماتعلَّمه الإنسان منذ أن خلقه الله إلى نهاية الزمان .

وقد كانت عملية غسل السيد المسيح لأرجل تلاميذه درسًا عمليًا لهم ، أراد أن يعلّمهم به فضيلة التواضع . وقد كان ذلك عقب حادثة لمس فيها ميل بعض تلاميذه إلى العظمة العالمية وتطلعهم إليها قبل أن تتفح عيونهم على حقيقة شخصيته الإلهية ، ويدركوا كل الإدراك جوهر تعاليمه السماوية ، فوبخهم على

ذلك وأفهمهم معنى العظمة الحقيقية . إذ كانوا يظنون أنه سيجلس على عرش المملكة الأرضية لليهود على مقتضى الاعتقاد الذى كان سائدًا بأن المسيح سيعيد للأمة اليهودية مجد مملكة داود . ومن ثم حدث كما جاء فى الإنجيل للقديس متى أن تقدمت إليه أم تلميذيه يعقوب ويوحنا قائلة له « اسمح بأن يجلس ابناىَ هذان أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك فى مملكتك . أما يسوع فأجاب وقال : إنكما لا تدريان ماهو الذى تطلبان . أفتستطيعان أن تشربا الكأس التى سأشربها أنا ، وأن تصطبغا بالصبغة التى سأصطبغ أنا بها ؟. قالا له : نستطيع . فقال لهما : أما كأسى فتشربانها ، وبالصبغة التى أصطبغ بها تصطبغان . وأما أن تجلسا عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلا للذين أُعِدَّ لهم من أبى الذى فى السماوات . فلما سمع التلاميذ العشرة الآخرون ذلك حنقوا على الأخوين . أما يسوع فدعاهم وقال لهم : أنتم تعلمون أن رؤساء الوثنيين يعدّون أنفسهم سادة لهم . وأن عظماءهم يتسلّطون عليهم . أما أنتم فلا ينبغى أن يكون هذا فيما بينكم . وإنما من أراد أن يكون سيدًا فيكم فليكن للجميع عبدًا . ومن أراد أن يكون عظيمًا بينكم فليكن لكم خادمًا » (متى ٢٠ : ٢٠ – ٢٧) . وجاء فى الإنجيل للقديس لوقا أن تلاميذ السيد المسيح « حدث بينهم نزاع فيمن ينبغى أن يُعَدَّ الأعظم فيهم ، فقال لهم : إن ملوك الوثنيين يسودونهم ، والمتسلطين عليهم يحسبون ذوى الفضل فيهم . أما أنتم فلا ينبغى أن يكون هكذا فيما بينكم ، وإنما الأعظم فيكم فليكن كالأصغر ، والرئيس كالذى يخدُم . لأنه من هو الأعظم : أهو الذى يجلس إلى المائدة أم الذى يَخْدم ؟ أليس الذى يجلس إلى المائدة ؟ ولكننى بينكم كالذى يَخْدُم » (لوقا ٢٢ : ٢٤ – ٢٧) . كما جاء فى الإنجيل للقديس لوقا أن تلاميذ السيد المسيح « خامرهم الفكر فيمن عسى أن يكون هو الأعظم بينهم . فعلم يسوع فكر قلوبهم . ومِنْ ثَمَّ أخذ طفلاً ، وأقامه بين يديه ، وقال لهم : إنَّ منَ يَقبل هذا الطفل باسمى فقد قَبلنى ، ومِنَ قَبلنى فقد

قَبِل الذى أرسلنى ، لأن الأصغر بينكم جميعًا سيكون هو الأعظم فيكم » (لوقا ٩ : ٤٦ - ٤٨) .

وهكذا كان السيد المسيح يطلب إلى الناس أن يسلكوا سبيل التواضع فيما بينهم ويتجنبوا مظاهر العظمة الكاذبة . وكان هو نفسه أعظم المتواضعين . ليكون قدوة ومثالا لهم . وقد طلب إليهم أن يتشبهوا به فى تواضعه فقال لهم « تعلَّموا منى أنا الوديع المتواضع القلب ، تجدوا راحة لنفوسكم » (متى ١١ : ٢٩) . وقال إنَّ « ابن الإنسان نفسه لم يأتِ ليُخدَمَ بل ليَخْدم » (متى ٢٠ : ٢٨) . وهكذا جعل من نفسه خادمًا للناس وهو ربُّهم وسيِّدهم . ولَعلَّ أروع مثلٍ لتواضعه هو ذلك المَثَل العمليّ الذى ضربه لتلاميذه حين غسل أرجلهم كما رأينا . وقد أوضح بنفسه حكمة هذا الذى صنعه معهم ، إذ أنه بعد أن غَسَل أرجلهم وأخذ رداءه ، عاد فجلس إلى المائدة وقال لهم « أتفهمون ماقد صنعت بكم ؟. إنكم تدعوننى المعلِّم والرَّبَّ ، وحَسَنًا تقولون لأننى أنا كذلك . فإن كنت وأنا ربكم ومعلِّمكم قد غسلت أرجلكم ، فأنتم أيضًا ينبغى لكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض ، لأننى أعطيتكم مثالاً ، حتى كما صنعتُ أنا بكم تصنعون أنتم أيضًا بعضكم ببعض . الحقَّ الحقَّ أقول لكم إنه مامن خادم أعظم من سيِّده ، ومامن رسول أعظم ممن أرسله ، إن عرفتم هذا فمباركون أنتم إن عملتم » به . ولعل مما يستلفت النظر فى تلك العبارة البليغة البالغة السموّ التى قالها مخلِّصنا لتلاميذه أنه على الرغم مما يدلّ عليه غسله لأرجل تلاميذه من تواضع يفوق تصوُّر البشر ويتجاوز حدود خيالهم ، لم يمنعه ذلك من أن يقرّر الحقيقة التى لا يمكن أن يحجبها تواضعه مهما يبلغ مدى هذا التواضع ، وهى أنه هو المعلِّم وهو الرَّبُّ . وهو يقرّر ذلك لا عن تعاظمّ أو عن تفاخر أو زهو أوكبرياء أو استعلاء . وإنما عن معرفة كاملة لحقيقة شخصيته الإلهية وإيضاحِ لأمر واقع وإفصاح عن حقيقة

مقرَّرة . كى يبيِّن لتلاميذه مدى تواضعه ، إذ تنازل وهو المعلِّم والرَّبُّ كى يقوم بدور الخادم لمن هُم عبيده وعباده ، حتى يدفع بهم دفعًا قويًا ، وبطريقة عملية محسوسة وملموسة لأن يتمثلوا به فيما فَعَل ويتخذوه مثالاً لهم فى فضيلة التواضع ، مع أنهم مهما تواضعوا إذا غسل بعضهم أرجل بعض فلن يبلغ تواضعهم ماهو بمثابة قطرة واحدة من الماء بالنسبة لبحر زاخر تملأ مياهه الكون كله ، لأنهم حين يتواضعون بعضهم نحو بعض فَهُم على أىّ حالٍ فى مرتبة واحدة كَبَشَر من طينة واحدة ، ومِنْ ثَمَّ لا يكاد تواضعهم فى هذه الحالة يُعد تواضعًا . فى حين أن معلِّمهم إذ يتواضع معهم إلى الحدِّ الذى يغسل فيه أرجلهم إنما يكون بذلك قد تنازَلَ تنازُل الله العظيم القدير الجبّار الخالق لكلّ شخص ولكل شىء نحو الذين هم خليقته وعبيده وعباده . والذين هُم بالنسبة إليه أصغر الأصاغر وأضعف الضعفاء وأقلّ فى كيانهم منه بما لا يقاس ، حتى يكادوا أن يكونوا بالنسبة إليه ذرات ضئيلة لا وزن لها على الإطلاق . فتلاميذ مخلِّصنا هُم بالنسبة إليه لايعدُون أن يكونوا خدَّامًا بالنسبة لسيِّدهم ، ومامن خادم أعظم من سيِّده . ولا يَعْدُون أن يكونوا رسلاً بالنسبة للربِّ الذى أرسلهم ، ومامن رسولٍ أعظم ممَّن أرسله . فلو أنَّهم عرفوا أن سيِّدهم وربَّهم قد تواضع حتى ارتضى أن يغسل أرجلهم ، هُمْ خدامه ورسله ، كى يحذوا حذوه ، ويتعلّموا أن يتواضعوا تواضعه ، استحقوا بذلك رضاءه عنهم وبَرَكته لهم ، واستحقوا أن يكونوا تلاميذه وخلفاءه على الأرض فى الدعوة لملكوت السماوات .

١٣ : ١٨ - ٢٠

قال مخلِّصنا هذا لتلاميذه ، ثم استدرك قائلاً : « لست أقول هذا عنكم جميعًا ، فأنا أعرف الذين اخترتهم ، وإنما ليتم المكتوب أن الذى أكل معى

خبزى قد رفع علَّى عقبه . أقول لكم هذا منذ الآن قبل أن يحدث ، حتى إذا ماحدث تؤمنون أنى أنا هو » ، إذ أنه بعد أن قال لهم « إن عرفتم هذا فمباركون أنتم إن عملتم به » ، لم يلبث أن استثنى واحدًا منهم اعتبره غير مبارك ، وهو يهوذا الخائن الذى كان مخلِّصنا قد وصفه مِن قَبْل بأنه شيطان ، إذ جاء فى الإنجيل للقديس يوحنا أنه له المجد قال لتلاميذه « ألم أكن أنا الذى اخترتكم أنْتم الاثنى عشر وواحد منكم لإبليس . قال هذا عن يهوذا بن سمعان الإسخريوطى أحد الاثنى عشر . لأنه كان هو الذى اعتزم أن يسلِّمه » (يوحنا ٦ : ٧٠و٧١) . وقد كان مخلِّصنا عندئذ يعلم أن يهوذا قد تآمر مع رؤساء اليهود على أن يسلِّمه إليهم ليقتلوه ، بعد أن كان مخلِّصنا قد اختاره ضمن أقرب تلاميذه إليه ، واصطحبه فى كل مكان ارتاده معهم ، وأسمعه كلَّ تعاليمه السامية ووصاياه السماوية ، وأكل معه وشرب معه . وغمره بحبِّه وحدبه وحنانه إلى آخر لحظة ، حتى إنه حين غسل أرجل تلاميذه منذ لحظة قصيرة غسل رجليه هو أيضًا باعتباره لا يزال واحدًا منهم ، بل إنه أشركه معهم قبل ذلك فى تناول عشاء الفصح . ولكن يهوذا مع كل ذلك قد ذَهَب عقله ومات ضميره أوكاد ، وانحطّ شعوره فبلغ أسفل وأسفه درجة يمكن أن يبلغها إنسان ، حتى لقد خان سيِّده ومعلِّمه ومربّيه ومهذّبه وصاحب الفضل عليه ، فباعه لأعدائه نظير بضعة دريهمات كانت هى الثمن المقدَّر لشراء عبد . فتحققت بذلك الصفة التى وصفه بها مخلّصنا نفسه ، إذ قال إنه شيطان . كما تحققت بذلك – كقول مخلّصنا – النبوءة المكتوبة عنه فى سفر المزامير التى تقول إن « رَجُل سلامتى الذى وثقت به ، آكِل خبزى رفَع علىَّ عَقِبَه » (المزمور ٤٠ : ٩) . وقد قرّر مخلّصنا أنه تنبأ لتلاميذه بما سيفعله ذلك الخائن ، حتى إذا تحقق ذلك بالفعل وثَبتَ صِدقُ نبوءته ، آمنوا بأنه هو المسيح ابن الله الذى ينتظرونه ، والذى بقدرته الإلهية يعلم الغيب فى الماضى والحاضر والمستقبل ، لأن علمه كامل شامل أزلّى أبدىّ لا يحدّه زمان ولا مكان .

ثم قال مخلِّصنا لتلاميذه « الحق الحق أقول لكم إنَّ مَنْ يَقْبل الذى أرسله يقبلنى ، ومَن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى » . فبعد أن استبعد ذلك التلميذ الذى خانه من قائمة رسله الأمناء . وبعد أن قرَّر أنه « مامن رسول أعظم ممَّن أرسله » فيما يتعلَّق بفضيلة التواضع التى يجب على الرسول أن يتَّصف بها بعد أن رأى أن سيِّده نفسه الذى هو مُرْسله ، والذى هو بهذا الاعتبار أعظم منه متَّصف بها ، وقد مارسها بالفعل فى أروع صورها ، عاد مخلّصنا فأعطى كرامة لتلاميذه الذين هم رسله ، حتى كاد أن يساويهم بنفسه فيماله من كرامة ذاتية ، لأنهم ماداموا رسلاً له ، إنما يعتبرون بهذه الصفة ممثلين له ، ومستمّدين كرامتهم من كرامته . فأولئك الذين يقبلونهم ويقابلونهم بالإكرام والاحترام والتقدير والتقديس ، إنما يكرمونه هو نفسه بذلك ويحترمونه ويقدّرونه ويقدّسونه . ولما كان هو نفسه مرسلاً من الله أبيه السماوىّ الذى هو متحد به ، فإن أولئك إذ يكرمونه ويحترمونه ويقدرونه ويقدسونه فى شخص رسله ، إنما يكرمون الله الآب نفسه ويحترمونه ويقدّرونه ويقدّسونه . وهكذا رفع مخلّصنا بهذه العبارة تلاميذه الأمناء الأوفياء الذين هم رسله إلى أعلى منزلة بين البشَر . فألزم بذلك سائر البشر الذين يرسلهم اليهم أن يرفعوهم إلى تلك المنزلة ذاتها التى رفعهم هو إليها ، وأن يعاملوهم على هذا الاعتبار بكل إجلال وإكبار وتبجيل ووقار ، ويطيعوهم فيما يوصونهم به باعتبار وصاياهم هى وصاياه هو نفسه ، الجديرة بكل طاعة وخضوع وخشوع .

١٣ : ٢١ – ٣٠

وعلى الرغم من ان مخلِّصنا ذكر لتلاميذه وكرَّر فى إشارات عابرة أن واحدًا منهم سيخونه ، فإنهم لم ينتبهوا إلى هذه الحقيقة انتباها كافيًا ، لأنهم – ماعدا الخائن نفسه – لم يكن ليخطر لهم هذا الأمر على بال . بل لم يكونوا يتصوَّرونه ولو فى الخيال . ومِنْ ثَمَّ رأى مخلّصنا بحكمته السامية أن يصارحهم بهذه الحقيقة

الخطيرة المريرة على نفسه ، إذ لم يلبث أن اضطرب بالروح فى ألم عظيم ونفس حزينة ، وصرّح قائلاً « الحقَّ الحقَّ أقول لكم إن واحدًا منكم سيسلّمنى » . فوقع عليهم ذلك القول وقوع الصاعقة العنيفة العاتية المفاجئة ، وأخذوا ينظرون بعضهم إلى بعض . مذهولين مبهوتين حائرين لا يدرون من الذى يعنيه بقوله هذا ، وقد تملكتهم الدهشة والرهبة ، فلم يجسر واحد منهم على أن يسأله عمَّن يكون هذا الخائن من بينهم . الذى بلغت به الخسَّة والدناءة والوضاعة أن يسلّمه لأعدائه كى يقتلوه . وحتى بطرس الذى كان أكثرهم جرأة واندفاعًا وإسراعًا فى التعبير عن مشاعره ، لم يجرؤ فى هذه المَّرة على مخاطبة معلّمه بتلك الصراحة المعهودة فيه والمعروفة عنه . وكان متكئًا فى حضن مخلِّصنا واحد من تلاميذه ، لم يشأ القديس يوحنا أن يذكر اسمه مكتفيًا بأن قال عنه إنه « هو الذى كان يسوع يحبه » ، وكان ذلك تواضعًا منه وإخفاء لشخصه ، لأن ذلك التلميذ هو القديس يوحنا نفسه ، وإن كان قوله هذا ينطوى فى الوقت نفسه على فخر وفرح بمحبة مخلّصنا له . لأنه كان أقرب تلاميذه إليه وأكثرهم تعلقًا به . فأومأ إليه سمعان بطرس بإشارة خفية ليسأله عمَّن يعنى بقوله . فانحنى ذلك التلميذ وهو يوحنا على صدر مخلِّصنا ، وقال له بصوتٍ هامسٍ « ربِّى ، مَنْ هو؟ » . فأجاب مخلِّصنا قائلاً « إنه هو الذى سأعطيه اللقمة التى أغمسها » . ثم غمس اللقمة وأعطاها ليهوذا بن سمعان الإسخريوطى . وهكذا تحققت بحذافيرها النبوءة القائلة « آكِلُ خبزى رفع علىَّ عَقبه » (المزمور ٤٠ : ٩) . فبعد أن أخذ يهوذا اللقمة دخله الشيطان . أو بالأحرى أطبق الشيطان قبضته عليه إطباقًا كاملاً ، فملأ قلبه وعقله وروحه امتلاءً كاملاً شاملاً ، بحيث أصبح يهوذا عبدًا فى يده ، بعد أن كان مجرَّد تابع مطيع له ، يستحل لنفسه – بناء على توجيهاته – السرقة من كيس النقود الذى ائتمنه معلِّمه عليه ، وجعله فى حوزته ، كما يستحلّ الغيرة من معلِّمه والحقد عليه إذ يرى تمجيد الناس له ، فى حين أنه يطمع هو نفسه فى

هذا التمجيد لنفسه ، كما يبدو ذلك واضحًا وفاضحًا فى تنديده بما فعلته مريم أخت لعازر حين عبَّرت عن تمجيدها لمخلِّصنا بأن غسلت بالطِّيب الغالى الثمن قدميه ومسحتهما بشعر رأسها وإذكان مخلَّصنا يعلم أن يهوذا قد سقط سقوطًا نهائيًّا فى يد الشيطان بعد أن غمس اللقمة وأعطاه إياها ، وأصبح من المؤكد أنه سيستمر فى تنفيذ مؤامرته التى حاكها مع رؤساء اليهود ، ولم يَعد ثمة سبيل بعد ذلك لأن يثوب إلى رشده ويتوب عن شرِّه ، ولما كان مخلَّصنا قد اعتزم إتمام عمل الخلاص واتجه لهذه الغاية نحو الصليب ليقدّم نفسه ذبيحة عليه فى اليوم التالى الذى يوافق عيد الفصح ، باعتباره هو حَمَل الفصح الحقيقّى ، نظر إلى يهوذا وقال له « ماأنت فاعله فافعله سريعًا » ، طالبًا منه بذلك أن يذهب فورًا ليتمّم تنفيذ مؤامرته مع رؤساء اليهود بأن يسلّمه إليهم فى تلك الليلة ليقتلوه فى اليوم التالى ، أى فى الوقت المحّدد بالدقة لموته على الصليب فداء عن البشَر . كما أنه قَصَد بطلبه هذا من يهوذا أن ينفرد بعد خروجه ببقية تلاميذه الأمناء المخلصين كى يودّعهم ويزوّدهم بوصاياه الأخيرة لهم . بيد أن الأمر الذى لا يسع العقل البشرىّ إلا أن يقف مشدوها أمامه هو المدى الذى وصل إليه حلم مخلِّصنا ورقّته وتسامحه وسماحته ، إذ أنه على الرغم مما كابده من ألم ومرارة إزاء تلك الخيانة الخسيسة من أحد تلاميذه حتى ليقول الإنجيل نفسه أنه « اضطرب بالروح » ، لم يشأ أن يفضح ذلك التلميذَ علانية أمام زملائه ، فلم يذكر لهم أَنه هو الذى سيخونه على الرغم من أنهم كانوا فى أشدّ اللهفة ليعرفوا شخصيّة ذلك الخائن من بينهم . وإنما همس بذلك همسًا للجالس منهم بجواره ، بل إنه حتى فى العبارة التى وجهها إلى يهوذا نفسه إذ قال له « ماأنت فاعله فافعله سريعًا » ، لم يوضّح ماهو ذلك الذى يفعله يهوذا ، حتى إنَّ أحدًا من التلاميذ الجالسين إلى المائدة لم يعرف لماذا قال له هذا ، فظن بعضهم ، إذ كان كيس النقود مع يهوذا ، أنَّ مخلِّصنا قال له « اشتر ما نحتاج إليه فى العيد » ، أو أمره بأن يعطى الفقراء شيئا كما

اعتاد مخلِّصنا أن يفعل . أما يهوذا فبعد أن أخذ اللقمة خرج على الفور لتنفيذ مؤامرته ضدّ معلِّمه ، مما يدلّ على أن يهوذا على الرغم من أنه أدرك عندئذ أنَّ معلِّمه يعلم بتلك المؤامرة التي يحيكها سرًّا مع أعدائه ليسلِّمه إليهم كي يقتلوه . لم يستيقظ ضميره الجاحد . أو يرقّ قلبه الجامد . ولم يتراجع عن جريمته الشنيعة البشعة . إذ كان قد عقد العزم عليها بصفة نهائية لا رجعة فيها ولا نكوص عنها . وكان الوقت حين خرج ليلاً . وهو الوقت الذى رآه مناسبًا لتنفيذ مؤامرته وتسليم سيِّده لقاتليه تحت جنح الظلام . بعيدًا عن أعين الشعب الذى يحبُّه ويؤمن به ويعمل على الثورة ضدّ أعدائه لو أنهم حاولوا أن يلحقوا به أىّ سوء .

١٣ : ٣١ – ٣٣

فلما خرج يهوذا الخائن قال مخلّصنا « الآن قد تمجَّد ابن الإنسان . وتمجَّد الله فيه . وإن كان الله قد تمجَّد فيه فإن الله سيمجّده فى ذاته ، وسيمجّده سريعًا » . أى أن نجاح يهوذا فى مؤامرته مع رؤساء اليهود للقبض على مخلِّصنا وتعليقه على خشبة الصليب ، قد فتح الباب لآخر حلقة من حلقات المهمَّة التى جاء مخلّصنا إلى العالم لإنجازها ، وهى أن يموت فداء عن البشَر لخلاصهم من الهلاك الأبدىّ الذى كان محكومًا به عليهم بسبب خطاياهم ، وفقًا للتدبير الإلهى . وبإنجاز مخلِّصنا لهذه المهمة التى اقتضت أن يتخذ وهو ابن الله جسد ابن الإنسان ليموت فيه على خشبة الصليب فداء عن البشَر ، قد نجح فى تحقيق هدف الله الآب وهدفه هو . وكان نجاحه يتضمن انتصاره . وكان انتصاره يتضمّن تمجيده . فيالها من مفارقة عجيبة أن خشبة الصليب التى كانت رمزًا للهوان والعار واللعنة فى الشريعة اليهودية إذ تقول إن « المعلّق على خشبة ملعون » (التثنية ٢١ : ٢٣) ، أصبحت بموت مخلِّصنا عليها رمزًا للمجد والفخر والبركة ، بل أصبحت وهى وسيلة الموت على الأرض ، هى وسيلة الحياة الأبدية فى السماء . وإذ تمجَّد

ابن الإنسان الذى هو فى نفس الوقت ابن الله بموته على الصليب ، تمجَّد الله فيه بهذا التدبير الذى أعطى به أسطع دليل وأروع برهانٍ على محبته للبشرَ .. « لأنه هكذا أحبَّ الله العالم حتى إنه بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية » (يوحنا ٣ : ١٦) . وإن كان الله الآب قد تمجَّد فى ابنه الذى اقتضى تدبير رحمته للبشر أن يقدِّمه فداء عنهم ليكون واسطة الصلح بينه وبينهم ، لأن « الله كان فى المسيح مصالحًا العالم لنفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم » (٢ . كورنثوس ٥ : ١٩) . فإن الله الآب سيمجِّد ابنه فى ذاته ، لأنه متّحد به اتحادًا كاملاً ، ومِن ثَمَّ فإنَّ مجد الآب هو مجد الابن ، ومجد الابن هو مجد الآب فى الوقت نفسه . وقد ردّد مخلّصنا هذا المعنى فى موضع آخر ، إذ يقول لأبيه السماوىّ « ياأبتاه قد أتت الساعة . مجِّد ابنك ليمجدك ابنك .. أنا قد مجّدتك على الأرض ، والعمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته . فالآن مجدنى ياأبتاه عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك من قبل كَوْنِ العالم » (يوحنا ١٧ : ١ و٤ و٥) . أما قول مخلِّصنا بعد ذلك إن الله الآب « سيمجده سريعًا » ، فإنما يعنى أن موته على الصليب الذى هو من آيات مجده سيتم بعد ساعات قليلة ، لأنه قال هذا فى مساء يوم خميس العهد ، ثم مات على الصليب فى الساعة التاسعة من نهار اليوم التالى وهو يوم الجمعة الحزينة . وهكذا برهن مخلّصنا له المجد بقوله هذا على أنه كان على علم إلهى كامل بكل الأحداث التى ستأتى عليه ساعة بساعة ، بل لحظة بلحظة ، وفق توقيت دقيق لا يقدر عليه إلا الله وحده .

وبعد أن قال مخلِّصنا هذا التفت إلى تلاميذه قائلاً لهم : « ياأبنائى أنا باقٍ معكم زمانًا يسيرًا بعد ، وستطلبوننى ، وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا . أقول لكم أنتم أيضًا الآن » . وقد كانت لهجة حديث مخلِّصنا إلى تلاميذه حين قال لهم هذا تنمّ عن حبٍّ عظيم لهم وإشفاقٍ عظيم

عليهم ، إذ خاطبهم قائلاً « ياأبنائى » شأن الأب الحنون العطوف على أبنائه وهو يودّعهم ، مصارحًا إياهم بأنه قد أوشك أن يرحل عنهم بعد لحظات معدودة حين يقبض أعداؤه عليه ويأخذونه ليقتلوه . ولسوف يكون هذا أمرًا شديد القسوة عليهم . بعد أن لازمهم ولازموه ملازمة كاملة ودائمة سنوات كثيرة . كان هو فى أثنائها أباهم وحبيبهم ومعلّمهم وحاميهم ومحاميهم ومصدر قوّتهم وعزّتهم وأمنهم وطمأنينتهم ، فلم يكونوا يقعون فى ضيق ، إلا بادر فأزال أسباب ضيقهم ، ولم يكونوا يتعرّضون لخطر إلا سارع فأبعد الخطر عنهم . أما وقد أوشك أن يذهب عنهم . فإنهم سيجدون أنفسهم كاليتامى الذين لا حول لهم ولا قوّة أمام الضيقات والمخاطر التى يعلم أنها تنتظرهم ، وأنها ستحيط بهم من كلّ جانب فى مواجهة أعدائه وأعدائهم الذين سيضطهدونهم ويعاملونهم فى قسوة ووحشية أكثر ضراوة من قسوة الوحوش نفسها ووحشيتها . وعندئذ سيلتفتون حولهم ويطلبونه ليستنجدوا به فلا يجدونه كما كانوا يجدونه فى أثناء حياته على الأرض معهم ، وإن كان سيظلّ معهم بقوة لاهوته بعد ارتفاعه عنهم إلى السماء ، وقد وعدهم بذلك بعد قيامته ، إذ قال لهم « وهأنذا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهور » (متى ٢٨ : ٢٠) . وأما إذا طلبوه وهو فى الجَسَد كما كان من قبل بينهم وبحثوا عنه وأرادوا أن يأتوا إليه بعد صعوده ، لن يستطيعوا أن يأتوا إلى حيث يذهب هو ، أى إلى السماء ، فلن يستطيعوا ذلك ، كما سبق أن قرّر لليهود إذ قال لهم : « أنا باقٍ معكم زمانًا يسيرًا بعد ثم أمضى إلى الذى أرسلنى . عندئذ ستطلبوننى فلا تجدوننى ، وحيث أكون أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا » (يوحنا ٧ : ٣٣و٣٤) . كما قال لهم « إننى سأمضى وستأخذون تبحثون عنى ، وتموتون فى خطاياكم . فحيث أمضى أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا » (يوحنا ٨ : ٢١) . بيد أنّ ثمة فارقًا كبيرًا بين ما تعنيه عبارته التى قالها لتلاميذه ، وماتعنيه عبارته التى قالها للمنكرين له من اليهود . إذ أنه كان يعنى بالنسبة لتلاميذه المحبّين

له المؤمنين به أنه بارتفاعه عنهم إلى السماء سيفارقهم بالجسد ، وسيظل مع ذلك مؤيدًا ومساندًا لهم بروحه القدوس إلى الأبد ، وأنهم إن كانوا لن يستطيعوا أن يذهبوا الآن فى أثناء حياتهم على الأرض إلى حيث يذهب إلى السماء ، فإنهم سيذهبون فيما بعد إلى حيث هو فى السماء ، إذ وعدهم بعد ذلك قائلاً « أنا ذاهب لأعدَّ لكم مكانًا ، ولئن ذهبت وأعددت لكم مكانًا سأجيء ثانية وآخذكم إليَّ حتى تكونوا أنتم معى حيث أكون أنا » (يوحنا ١٤ : ٢و٣) . أما بالنسبة لليهود الذين عادوه واعتدوا عليه وأصروا على إنكارهم له بوصفه المسيح ابن الله ، ثم آخر الأمر قتلوه بأبشع وأشنع وسيلة ، فإنهم بعد ارتفاعه إلى السماء لن يستطيعوا مهما حاولوا ذلك أن يأتوا الى حيث يذهب ، إذ حلَّ غضبه عليهم إلى الأبد واستحقوا بذلك الموت الأبدى ، بدليل قوله لهم « اننى سأمضى ، وستأخوذن تبحثون عنى وتموتون فى خطايكم » (يوحنا ٨ : ٢١)

١٣ : ٣٤و٣٥

وإذ كان مخلِّصنا يودّع تلاميذه الوداع الأخير قبل موته ، أعطاهم وصية هى فى الواقع أعظم وصاياه ، بل هى محور وجوهر كل وصاياه ، حتى لتدور حولها كل الروح المسيحية التى غرسها فى تلاميذه وفى كل المؤمنين به إلى آخر الدهر ، إذ قال لهم : « وصية جديدة أنا أعطيكم : أن تحبّوا بعضكم بعضًا . كما أحببتكم أنا فلتحبوا أنتم أيضًا بعضكم بعضًا . بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى إذا أحببتم بعضكم بعضًا » . وياله من حب ليس أعظم منه حب ذلك الذى أوصاهم أن يحبوا به بعضهم بعضًا ، لأنه طالبهم بأن يكون حبهم هذا مساويًا ومماثلاً لحبه هو نفسه لهم وللبشر جميعًا ، إذ بلغ هذا الحب أروع صورة يمكن أن يتصوّرها العقل أو يصل إليها مدى الخيال ، لأنه بلغ حدًّا ليس ثمة حد بعده يمكن أن يخطر بالبال ، إذ ارتضى وهو ابن الله ، وهوالله ذاته ، فى صورة ابن

مريم ، بسبب هذا الحب الذى يضمره للبشَر أن يبذل نفسه فيموت فداء عنهم لينقذهم من الهلاك الذى كان محكومًا به عليهم . وقد قرّر هو نفسه ذلك حين كرّر تلك الوصية بعد ذلك لتلاميذه قائلاً : « هذه هى وصيتى أن تحبوا بعضكم بعضًا كما أحببتكم أنا . مامن حب أعظم من أن يبذل أحد نفسه عن أحبابه » (يوحنا ١٥ : ١٢و١٣) . فبهذا القدر العظيم العميق من الحبّ الذى أحبّ مخلّصنا به تلاميذه والمؤمنين به ، ينبغى أن يحبوا هُم بعضهم بعضًا ، لأنهم بهذا وحده يثبتون أنهم تلاميذه حقًّا وصدقًا ، مادامو يتخذونه مثالاً يحتذونه ويسيرون فى حياتهم على منواله . وإلا فإنهم لا يستحقون أن يكونوا تلاميذ حقيقيين له .

١٣ : ٣٦ - ٣٨

وإذ قال مخلّصنا لتلاميذه إنه لن يبقى معهم إلا زمانًا يسيرًا بعد ، وإنه حيث يذهب هو لا يستطيعون هُم أن يأتوا سأله سمعان بطرس الذى اعتاد أن يتحدث نيابة عن زملائه التلاميذ ، قائلاً « إلى أين تذهب يارب ؟ » . ويدلّ هذا السؤال على أن التلاميذ لم يكونوا إلى ذلك الحين يعلمون شيئًا عن الأحداث الخطيرة التى كانت ستقع لمعلّمهم ، مع أن هذه الأحداث كانت ستبدأ بعد لحظات قليلة . ومِنْ ثَمَّ لم تكن لديهم إلى ذلك الحين فكرة واضحة عن مهمّة الفداء التى جاء معلّمنا لينجزها مع أنه طالما حدثهم عنها منذ ابتدأ يعلّمهم حتى هذه الساعة ، إذ تنبأ لهم وحدهم ، أو تنبأ للجموع على مسامعهم بأن اليهود سيمسكونه ويذيقونه كل صنوف الألم والعذاب ، ثم يقتلونه بعد أن يسلّموه للحاكم الوثنى الرومانى ، وأنه سيظلّ فى القبر ثلاثة أيام ثم يقوم بعد ذلك عائدًا إلى الحياة . وقد كان يقول ذلك عن طريق الرمز تارة ، وعن طريق التشبيه تارة أخرى كما كان يقوله تلمحيًا غامضًا موجزًا أحيانًا ، وصريحًا واضحًا بكل تفاصيله أحيانًا أخرى . إذ حدث أن « أجابه قوم من الكتبة والفريسيين قائلين : يامعلّم نريد ان نرى منك آية .

فأجاب وقال لهم : إنَّ جيلاً شريرًا وفاسقًا إذ يطلب آية لاتعطى له سوى آية يونان النبي ، لأنه كما مكث يونان ثلاثة أيام وثلاث ليال فى جوف الحوت ، كذلك يمكث ابن الإنسان ثلاثة أيام وثلاث ليال فى جوف الأرض » (متى ١٢ : ٣٨ – ٤٠) . وقد جاء فى العهد القديم من الكتاب المقدَّس أن اليهود حين كانوا فى صحراء سيناء بعد خروجهم من مصر قتلت الحيَّات المحرِقةُ عددًا كبيرًا منهم « فقال الرب لموسى اصنع لك حيةً محرقة وضعها على راية ، فكل من لُدِغَ ونظر إليها يحيا . فصنع موسى حيَّة من نحاس ووضعها على الراية فكَانَ مَتَى لدغت حَيَّة إنسانًا ونظر إلى حيِة النحاس يحيا » (العدد ٢١ : ٦ – ٩) . ومِنْ ثَمَّ جعل مخلِّصنا هذه الحية المرفوعة رمزًا لرفعه هو على خشبة الصليب قائلاً إنه «كما رفع موسى الحَيَّةَ فى البَرِّيَّة ، هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الإنسان ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، وإنما ينال الحياة الأبدية » (يوحنا ٣ : ١٤و١٥) . وقال لتلاميذه إنَّ « لى معمودية لأصطبغ بها ، وماأشد ماأعانى حتى تتم » (لوقا ١٢ : ٥٠) . وقد قصد بالمعمودية هنا الآلام التى ستغمره كأنها معمودية دم ، والتى سيظل يعانيها حتىٰ ينجز الرسالة التى جاء من أجلها إلى العالم . وقال لتلميذيه يعقوب ويوحنا أمام باقى التلاميذ : « أفتستطيعان أن تشربا الكأس التى سأشربها أنا ، وأن تصطبغا بالصبغة التى سأصطبغ أنا بها ؟ » (مرقس ١٠ : ٣٨) . وكان يعنى كأس الموت التى يعرف أنه سيشربها ، وصبغة الآلام التى يعرف أنه سيعانيها . وحين جاءت مريم أُخت لعازر بقارورة طيب غالى الثمن ودهنت به قدمى مخلِّصنا ومسحتها بشعر رأسها ، تذمَّر يهوذا الإسخريوطى زاعمًا أن فى ذلك إسرافًا وإتلافًا . أما هو فقال « دعوها فقد حفظت هذا ليوم دفنى » (يوحنا ١٢ : ٧) . حتى إذا حان الوقت الذى شاءت حكمة مخلِّصنا أن يصارح فيه تلاميذه بكل ماسيحدث له على أيدى اليهود ، بدأ يفعل ذلك ، وإن يكن بالتدريج ، لكى لا يصدمهم أو يثبط

هممهم . فراح يفضى اليهم بالحقيقة شيئًا فشيئًا ، ويكشفها لهم درجة درجة ، ومرحلة بعد مرحلة . فقال لهم « إن ابن الإنسان سوف يسلَّم إلى أيدى الناس » (لوقا ٩ : ٤٤) . ثم قال لهم إنه « ينبغى أوّلاً أن يعانى آلامًا كثيرة وأن يرفضه هذا الجيل » (لوقا ١٧ : ٢٥) . ثم قال لهم « إنَّ ابن الانسان سوف يُسَلَّم إلى أيدى الناس فيقتلونه . وفى اليوم الثالث يقوم » (مرقس ٩ : ٣٠) . ثم قال لهم بتفصيل أكثر « إن ابن الإنسان ينبغى أن يتألم كثيرًا ويمتهن من الشيوخ ومن رؤساء الكهنة والكتبة ويقُتل وبعد ثلاثة أيام يقوم » (مرقس ٨ : ٣١) . ثم حدَّد المكان الذى سيقتله اليهود فيه ، فقال لهم « إنه ينبغى أن يمضى إلى أورشليم ويعانى آلامًا كثيرة من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتَبة ويقُتل ثم فى اليوم الثالث يقوم » (متى ١٦ : ٢١ - ٢٨) . ثم أوضح إجراءات محاكمته وزاد من تفصيلات ماسيعانى من صنوف الألم والهوان ، فقال لهم « هانحن أولاء صاعدون إلى أورشليم ولسوف يُسلم ابن الإنسان إلى رؤساء الكهنة وإلى الكتبة فيحكمون عليه بالموت ، ويسلمونه إلى الوثنيين ليهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه ، وفى اليوم الثالث يقوم » (متى ٢٠ : ١٨و١٩) . ثم أضاف مزيدًا من مظاهر العار الذى سيتعرَّض له فقال لهم إنه « سيتم كلّ ماهو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان ، فإنهم سيسلمونه إلى الوثنيين ، ويهزءون به ويهينونه ، ويبصقون عليه . وبعد أن يجلدوه يقتلونه ، وفى اليوم الثالث يقوم » (لوقا ١٨ : ٣١ - ٣٣) . وبذلك أعطاهم صورة كاملة شاملة لأدق التفاصيل عمّا سيفعله به اليهود منذ أن يمسكوه غدرًا إلى أن يقتلوه ظلمًا وبغيًا على خشبة الصليب . حتى إذا جاء موعد بدء هذه الآلام التى سيعانيها وهذا الموت الذى سيشرب كأسه صارحهم كمارأينا قائلاً « الحقَّ الحقَّ أقول لكم إنَّ واحدًا منكم سيسلمنى » (يوحنا ١٣ : ٢١) . ثم قال لهم أخيرًا : « ياأبنائى أنا باقٍ معكم زمانًا يسيرًا بعد ، وستطلبوننى ، وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا » (يوحنا ١٣ : ٣٣) .

ومع ذلك فإنهم على قدر مامَهَّد أذهانهم لمعرفة ماسيحدث له وظل يفعل ذلك إلى آخر لحظة لم يفهموا مايرمى إليه وسألوه على لسان سمعان بطرس « إلى أين تذهب يارب ؟ » . فأجاب مخلّصنا قائلاً « حيث أذهب أنا لا تستطيع أنت الآن أن تتبعنى . ولكنك ستتبعنى أخيرًا » . أى أن الآلام التى سيعانيها مخلِّصنا بعد ساعات قليلة لن يستطيع بطرس الآن أن يعانيها ، والموت الذى سيتجرع كأسه مخلِّصنا على خشبة الصليب لن يستطيع بطرس الآن أن يتجرّعه . ولكنه فيما بعد سيتبع معلِّمه فى طريق آلامه وموته ، حين يشهد له ويستشهد فى سبيله . فقال بطرس فى حماسته المعهودة وإحساسه المتدفق : « يارب لماذا لا أستطيع أن أتبعك الآن ؟ إننى أفديك بحياتى » . وعندئذ أجابه مخلِّصنا إجابة رهيبة مذهلة لاشك أنها فاجأت بطرس مفاجأة تكاد أن تكوْن قاتلة ، إذ قال له فى ألم ومرارة « أتفدينى بحياتك ؟ الحقَّ الحقَّ أقول لك إنه لن يصيح الديك حتّى تكون قد أنكرتنى ثلاث مرات » .



الفصل الرابع عشر

١٤ : ١ - ٣

ثم واصل فادينا الحبيب كلماته الوداعية لتلاميذه ووعوده المعزية لهم ووصاياه الأخيرة إليهم ، قائلاً « لاتضطرب قلوبكم . إن كنتم تؤمنون بالله فآمنوا بى . إنّ فى بيت أبى منازل كثيرة . فإن لم يكن كذلك لقلت لكم . أنا ذاهب لأُعِدَّ لكم مكانًا ، ولئن ذهبتُ وأعددت لكم مكانًا سأجىء ثانية وآخذكم إلىَّ . حتى تكونوا أنتم معى حيث أكون أنا » . فقد لمس مخلّصنا ما انتاب تلاميذه من اضطراب حين علموا أنه سيتركهم بعد لحظات قليلة . وحين علموا فى نفس الوقت أَنَّ واحدًا منهم سيخونه ويسلّمه لأعدائه كى يقتلوه ، وأنَّ آخَر منهم أيضا - وهو من أكثرهم التصاقًا به وحماسًا له - سينكره ويتبرأ من علاقته به أو معرفته له على الإطلاق . بل علموا كذلك أنهم جميعًا سيستولى عليهم الشك من نحوه فى هذه الليلة ذاتها حين يقبض أعداؤه عليه ويفّرون هاربين وفقًا للنبوءة القائلة « إنى سأضرب الراعى فتتبدد خراف الرعيَّة » (متى ٢٦ : ٣١) ؛ (مرقس ١٤ : ٢٧) . ومن ثَمَّ أراد مخلِّصنا العطوف الحنون الرقيق النفس المرهف الحسّ أن يخفف من اضطراب قلوبهم ، ويعيد السكينة والطمأنينة إلى أرواحهم التى أهاجتها وأزعجتها تلك الأنباء العنيفة المخيفة التى أنبأهم بها . فصارحهم كى يسرِّى عنهم ويعزيهم بحقيقة رائعة تملأُ القلوب الحزينة أفراحًا ، وتفعم النفوس القلقة المضطربة طمأنينة وارتياحًا ، طالبًا إليهم - قبل أن يفضى اليهم بتلك

الحقيقة – أن يصدّقوه فيما سيقوله لهم ، وذلك بأن يتوطّد إيمانهم به بوصفه المسيح ابن الله . لأنهم إن كانوا يؤمنون بالله فليؤمنوا به هو ابنه الكائن معه فى جوهر الألوهيّة دائمًا ، وليؤمنوا مِنْ ثَمَّ بأنَّ ما سيقوله لهم هو حق وصدق ، لأن الله لا يَصدرُ عنه إلاّ الحق والصِّدق . ثم أفصح لهم بعد ذلك عن تلك الحقيقة التى لا يعلمها إلا هو وحده ، وهى أنه إن تركهم الآن ، فإنه لن يتركهم إلى الأبد ، وإنما سيهيئ لهم السبيل كى يتبعوه إلى حيث يذهب ، ليقيموا معه إقامة أبدية دائمة ، لأن فى بيت أبيه السماوىّ منازل كثيرة مخصصة للمؤمنين به وبابنه الإلهى ، سيقيمون فيها إقامة أبدية دائمة فى الوقت المخصص لذلك فى التدبير الإلهى . وقد أكَّد مخلِّصنا لتلاميذه أن هذه حقيقة ثابتة لا ينبغى أن يرتابوا فيها ، وإلا لَمَا قالها لهم ، لأنه صادق فى كلّ مايقول ، ولا يمكن – وهو الإله الكامل الصفات – أن يقول إلا الصِّدق . وفى قوله له المجد « منازل كثيرة » ما يطمئن تلاميذه وسائر المؤمنين به إلى أن فى ملكوت الله مكانًا متسعًا لكل من يستحق الدخول إليه ، وأنه لن يضيق الملكوت بمن هو أهل له ، ولن يُقال لأحد من القديسين ليس لك مكان فى الملكوت ، طالما أنه مستحق . بل إن « المنازل الكثيرة » تعنى أيضًا المراتب المتباينة لأهل بيت الله من القدّيسين . ولما كان الله عادلاً وكان جزاؤه للناس وفقًا لأعمالهم ، فلابد أن يكون الجزاء متفاوتًا ، وهذا يطابقه قول المسيح له المجد « هأنذا آتى سريعًا ، ومعى الجزاء الذى أجزى به كل واحد حسب عمله » (الرؤيا ٢٢ : ١٢) وقوله « لأنّ ابن الإنسان سيأتى فى مجد أبيه مع ملائكته ، وعندئذ سيجازى كل إنسان على حسب أعماله » (متى ١٦ : ٢٧) . ويقول الكتاب المقدّس أيضًا « كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه » (١ . كورنثوس ٣ : ٨) . ثم أنبأ مخلِّصنا تلاميذه بأنه وإن كان سيفارقهم الآن فإنه ذاهب ليُعِدّ لهم مكانًا فى تلك المنازل التى فى بيت أبيه . ولئن ذَهَب وأَعَدَّ لهم مكانًا ، إنه سيجيء ثانية ويأخذهم إليه ، حتى يكونوا هُمْ معه حيث يكون

هو . بيد أن هذا المجيء الثانى الذى وعدهم به ليأخذهم إليه سيكون على مراحل متتالية ، وبكيفيات متفاوتة ، فإنه سيجيء إليهم أوّلاً عند قيامته من بين الأموات بعد أن يموت على الصليب ويمكث فى القبر ثلاثة أيام ، وعندئذ سيظلّ معهم أربعين يومًا وهو فى جسد مجده ، يخاطبهم ويخاطبونه كما كان يفعل فى أثناء وجوده معهم قبل موته ، حتى يصعد أمامهم إلى السماء . ثم إنه سيجيء إليهم ثانيًا فى يوم الخمسين حين يرسل عليهم نعمة الروح القدس الكائن أيضًا معه ومع الآب منذ الأزل ، إذ يقول الوحى الإلهى إنَّ « الذين يشهدون فى السماء هُم ثلاثة : الآب والكلمة والروّح القدس . والثلاثة هُمْ واحد » (١ . يوحنا ٥ : ٧) . وقد أوضح مخلِّصنا ذلك لتلاميذه . إذ قال لهم بعد ذلك « لأننى ماضٍ إلى أبى .. وسأطلب إلى الآب فيعطيكم مَعزِّيًا آخر ليقيم معكم إلى الأبد .. يقيم معكم ويكون فيكم . لن أترككم يَتَامَى ، وإنما سأجيء إليكم . بعد قليل لن يرانى العالَم بعد ، وأما أنتم فسوف تروننى . لأننى أنا حىٌّ فأنتم ستحيون أيضًا » (يوحنا ١٤ : ١٢ – ١٩) .

فبحلول موهبة الروح القدس على التلاميذ وملازمته لهم طوال حياتهم على الأرض ، يكون السيد المسيح قد حَلَّ بينهم ولازمهم ملازمة كاملة ، يؤازرهم فى أداء الرسالة التى كلفهم بأدائها من بعده ، ويشجعهم على احتمال المتاعب والمصاعب والمصائب والأوجاع التى سيكابدونها فى سبيل أداء هذه الرسالة ، ويعزّيهم ويقوّيهم على احتمال الموت نفسه الذى يعلم أنهم سيتجرّعون كأسه جميعًا ، إذ يؤدى بهم الجهاد فى نهاية الأمر إلى الاستشهاد . ثم يجيء اليهم أخيرًا فى يوم الدينونة كى يَفِى بوعده لهم حين قال لهم « الحقَّ أقول لكم إنكم أنتم يامَنْ تبعتمونى ، متى جلَس ابن الإنسان على عرش مجده عند تجديد كل شيء ، ستجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيًّا ، وتدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر »

(متى ١٩ : ٢٨) . كما قال : « ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وكل الملائكة القّديسين معه ، يجلس عندئذ على عرش مجده ، وتجتمع أمامه كلّ الشعوب.. حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه : تعالوا أيها المباركون من أبى لترثوا الملكوت المُعَد لكم منذ إنشاء العالم » (متى ٢٥ : ٣١ - ٣٤) . وقال « حينئذ يضىء الأبرار مثل الشمس فى ملكوت أبيهم » (متى ١٣ : ٤٣) ، وقال « لا تَخَف أيها القطيع الصغير ، فإنه قد حَسُن لَدَى أبيكم أن يعطيكم الملكوت » (لوقا ١٢ : ٣٢) .

وفى قول مخلصنا لتلاميذه : « ولئن ذهبت وأعددت لكم مكانا سأجىء ثانية وآخذكم إلىّ » وعد منه له المجد بمجيئه الثانى مرة أخرى فى نهاية هذا الدهر الحاضر ، وتوكيد لوعوده السابقة بهذا المجىء الذى سيدين فيه الأحياء والأموات . وفى ذلك يقول أيضًا :« لأن ابن الإنسان سيأتى فى مجد أبيه مع ملائكته ، وعندئذ سيجازى كل إنسان على حسب أعماله » (متى ١٦ : ٢٧) ويقول : « ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وكل الملائكة القديسين معه ، يجلس عندئذ على عرش مجده ، وتجتمع أمامه كل الشعوب فيفرز بعضهم من بعض » (متى ٢٥ : ٣١) ويقول أيضا : « من خَزِى منى ومن كلامى ، سيخزى منه ابن الإنسان متى جاء فى مجده ، ومجد أبيه وملائكته القديسين » (لوقا ٩ : ٢٦) ؛ (مرقس ٨ : ٣٧) - انظر أيضا (متى ٢٤ : ٣و٣٠و٣٧و٣٩) ؛ (٢٦ : ٦٤) ؛ (مرقس ٨ : ٣٨) ؛ (لوقا ٢٣ : ٤٢) ؛ (يوحنا ٢١ : ٢٢) ؛ (الأعمال ١ : ١١) ؛ (١ . كورنثوس ١١ : ٢٦) ؛ (١٥ : ٢٣) ؛ (١ . تسالونيكى ٢ : ١٩) ؛ (٥ : ٢) ؛ (٢ . تسالونيكى ٢ : ١ و٨) ؛ (٢ . بطرس ٣ : ٤و١٢) ؛ (١ . يوحنا ٢ : ٢٨) ؛ (الرؤيا ٣ : ١١) ؛ (٢٢ : ٧و١٢و٢٠)

١٤ : ٤ - ٦

ثم قال مخلّصنا لتلاميذه وهو يودّعهم : « أنتم تعرفون الطريق إلى حيث أنا ذاهب » . فقال له تلميذه توما : « يارب إننا لا نعرف إلى أين أنت ذاهب ، فكيف نعرف الطريق ؟ » . قال له مخلّصنا : « أنا هو الطريق والحق والحياة . لا يأتى أحد إلى الآب إلا بى » .

وقد كان مخلّصنا يعلم أن تلاميذه مازالوا كسائر اليهود يفكرون فى مملكته تفكيرًا ماديًا ، معتقدين أن المسيح سيكون ملكًا أرضيًا يقيم فى الأرض مملكة أرضية . بيد أنه طالما صرّح لهم وصارحهم كما سبق أن رأينا بأنه ماجاء إلى العالم إلا ليقدّم نفسه ذبيحة عن البشَر ليفديهم ، مكفّرًا بذلك عن خطاياهم ، كى ينقذهم ويعفيهم من حكم الهلاك الصادر من العدالة الإلهية عليهم بسبب هذه الخطايا . وقد كان هذا هو هدفه الأول والأعظم . فلم يكن إذن يهدف لأن يقيم مملكة أرضية ، وإنما يعتزم بعد إنجاز مهمّة الفداء التى جاء إلى العالم من أجلها أن يذهب إلى مملكته الحقيقية التى هى المملكة السّمائية ، وهى المملكة الإلهية الجديرة بشخصه الإلهى . ومِن ثَمَّ فإنه حين قال لهم : « أنتم تعرفون الطريق إلى حيث أنا ذاهب » ، كان بذلك يستدرجهم ليفهموا تلك الحقيقة فهما صريحًا وصحيحًا . وبالفعل قال له توما كما كان يتوقع : « يارب إننا لا نعرف إلى أين أنت ذاهب ، فكيف نعرف الطريق ؟ » . وعندئذ أماط لهم اللثام عن تلك الحقيقة الجوهرية التى تتمثل فى شخصيته الإلهية ، وهى حقيقة تنطوى فى ذاتها على ثلاث حقائق جوهرية هى أيضًا ، وتؤدى كل منها إلى الأخرى ، فتتكوّن منها كلُّها حقيقة واحدة شاملة ، إذ قال له : « أنا هو الطريق والحق والحياة » .

فمخلّصنا ابن الله وكلمته هو « الطريق » الأوحد الذى يؤدى بالإنسان إلى

الخلاص ، وإلى معرفة الله الآب والاتصال به وعبادته وطاعته والعمل بأحكامه ووصاياه بحيث ينال رحمته ورضاه ، ويتمتع بنعمته ويحيا على هُدَى نوره وضياه . فخلِّصنا بهذا المعنى هو الوسيط الأوحد بين الله الآب والناس . ولا يمكن أن يأتى أَحَد إلى الآب إلا به . وفى هذا المعنى يقول بولس الرسول فى رسالته إلى أهل روما « فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح الذى به أيضًا قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون . ونفتخر على رجاء مجد الله » (روما ٥ : ١ و٢) . وتنبأ إشعياء النبى عن مخلّصنا قائلاً : « وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدّسة . ولايَعْبر فيها نجس ، بل هى لَهم . من سلَكَ فى الطريق حتى الجهَّال لا يضلّ » (إشعياء ٣٥ : ٨) .

ومخلِّصنا هو « الحق » ، لأنه هو كلمة الله الذى هو وحده الحق الكامل الذى تتضمنه كلّ صفات الكمال التى يتصف بها الله . فهو الحقيقة الوحيدة فى الكون كله التى لا تشوبها ذرّة واحدة من الباطل أو من البطلان ، ولا تتطرَّق إليها خَطْرة واحدة من الريبة أو الشك . وتأييدًا لذلك قال مخلِّصنا لليهود : « إن ظللتم متمسكين بكلامى ، فبالحقيقة تكونون تلاميذى وتعرفون الحقَّ ، والحق يحرّركم » (يوحنا ٨ : ٣١و٣٢) . وفى هذ المعنى يقول القدّيس يوحنّا فى مقدمة بشارته إنَّ الكلمة الذى هو مخلِّصنا يسوع المسيح « اتخذ جسدًا وحَلَّ بيننا ، وقد أبصرنا مجده ، مجد الابن الوحيد لأبيه ، الممتلىء من النعمة والحق » (يوحنا ١ : ١٤) . ويقول : « إنَّ الشريعة بموسى أعطيت ، وأما النعمة والحق فبيسوع المسيح كانا » (يوحنا ١ : ١٧) . كما يقول فى رسالته الأولى : « إن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق ، ونحن فى الحق فى ابنه يسوع المسيح . هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية » (١ . يوحنا ٥ : ٢٠) .

ومخلّصنا هو « الحياة » . لأنه فدانا ومات عنا ثم قام حيًّا فأحيانا بموته وأقامنا بقيامته من الموت الذى كان محكومًا به علينا . وقد صرَّح مخلِّصنا نفسه بذلك فى موضع آخر إذ قال : « أنا هو القيامة والحياة » (يوحنا ١١ : ٢٥) . وقال لليهود « الحق الحق أقول لكم مالم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه لا تكون لكم حياة فى أنفسكم . من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير .. كما أنّ الآب الحىّ قد أرسلنى ، وأنا كذلك أحيا بالآب . هكذا فإن الذى يأكلنى يحيا بى . هذا هو الخبز الذى نزل من السماء . وهو ليس كالمنّ الذى أكله آباؤكم ثم ماتوا . مَن يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد » (يوحنا ٦ : ٥٣ – ٥٨) . وقال : « أما أنا فأتيت لتكون لهم حياة ويكون لهم أفضل » (يوحنا ١٠ : ١٠) . وقال عنه القديس يوحنا فى بشارته إن « فيه كانت الحياة » « يوحنا ١ : ٤) . كما قال فى رسالته الثانية : « إن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق .. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية » (١ . يوحنا ٥ : ٢٠) . وقال المسيح له المجد فى الرؤيا للقديس يوحنا اللاهوتى « مَنْ يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله » (الرؤيا ٢ : ٧) .

وهكذا تتدرج هذه الحقائق الثلاث فى تسلسلها ، لتصبح حقيقة واحدة خالدة ، فإن مخلِّصنا هو « الطريق » الوحيد ، طريق الخلاص ، المؤدى بالبشَر إلى الله ، وهو « الحق » الوطيد الأزلىّ الأبدى ، لأنه هو نفسه الله ، وهو « الحياة » فى جوهرها ومصدرها ، لأنه بكيانه الإلهى حىّ منذ الأزل وإلى الأبد ، ولأنه بالنسبة لكلّ الكائنات به كانت الحياة . و « فيه كانت الحياة » .

١٤ : ٧ – ١١

ثم قال مخلِّصنا لتلاميذه : « لو كنتم قد عرفتمونى ، لعرفتم أبى أيضًا . ومنذ

الآن تعرفونه وقد رأيتموه » . فقال له فيلبس : « يارب أَرِنَا الآب وكفانا » . قال له مخلصنا « أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفني بعد يافيلبس ؟ من رآني فقد رأى الآب . فكيف تقول أنت أرنا الآب ؟ ألا تؤمن بأني أنا في أبي وأنَّ أبي فيَّ ؟ إن الكلام الذي أُكلِّمكُم به لا أتكلَّم به من نفسي أنا وحدي ، وإنما الآب الكائن فيَّ هو الذي يعمل أعماله . صدِّقوني أنِّي في أبي وأن أبي فيَّ . والا فصدّقوني من أجل الأعمال نفسها » .

ويدل كلام فادينا لتلاميذه على أنهم حتى ذلك الحين – وهو يودِّعهم الوداع الأخير ، بعد أن قضى معهم سنوات كثيرة يعلّمهم ويصنع المعجزات أمامهم ويفعل كل مامن شأنه أن يفتح أعينهم على حقيقة شخصيته الإلهية – ظلوا مع ذلك لا يعرفونه كما هو في حقيقته باعتباره ابن الله لأنه كان مستترًا في الجسد ، وقد اتخذ الجسد له حجابًا وإذ لم يعرفوه هو ، برهنوا بذلك على أنهم لا يعرفون الله الآب نفسه . لأن الابن والآب كيان واحد ، وطبيعة واحدة وإله واحد ولأن الابن هو صورة الآب الغير المنظور (كولوسي ١ : ١٥) وإنما ظلَّ التلاميذ حتى آخر لحظة يعتقدون حقًّا أن هذا هو المسيح الذي ينتظرونه ، ولكنهم كانوا كسائر اليهود يعتقدون أن المسيح مجرَّد ملك من نسل داود يجيء ليجلس على عرش مملكة داود ليعيد إليها مجدها ، بل ليجعلها سيّدة الممالك وليجعل اليهود سادة الأرض كلها . ولكن مخلِّصنا لم يلبث أن أنبأهم بأنهم منذ تلك اللحظة التي يحدِّثهم فيها سيعرفونه حقًّا ، وسيعرفونه على حقيقته بعد أن يمسكه اليهود أمامهم ، ويقتلونه على خشبة الصليب لينجز بذلك عمل الفداء الذي ماجاء إلى العالم إلا لينجزه . ثم إذ يراه تلاميذه بعد ذلك وقد أقام نفسه من بين الأموات بسلطانه هو وحده بعد ثلاثة أيام مكثها في القبر ، ثم يرونه بعد ذلك صاعدًا أمام أعينهم إلى السماء بذات جسده الإنساني الذي اتخذه وعاش به بينهم ، فإنهم

عندئذ سيعرفونه ، لا باعتباره ملكًا أرضيًّا كما كانوا يتوهمون ، وإنما باعتباره الملك السماوىّ للكون كله ، ولا باعتباره مجرد يسوع الإنسان ابن الإنسان الذى عاش بينهم كواحد منهم ، وإنما باعتباره فى نفس الوقت المسيح ابن الله ، الذى هو كائن مع الآب منذ الأزل وإلى الأبد ، ومِنْ ثَمَّ إذ يعرفونه يعرفون أباه أيضًا ، لأنهما كليهما ذات واحدة وكيان واحد . وإذ قد رأوه هو هو ابن الله ، فقد رأوا فيه وفى ذات الوقت الله الآب نفسه الكائن معه فى الجوهر الإلهى .

بيد أن التلاميذ ظلوا مع ذلك غير مدركين تمامًا حقيقة شخصيَّة معلِّمهم ، ولا حقيقة علاقته بالآب السماوى ، على الرغم من كل ماسبق أن قاله لهم وصنعه أمامهم . ومِنْ ثَمَّ قال له أحد أولئك التلاميذ ، وهو فيلبس « يارب أَرِنَا الآب وكفانا » . ولكن مخلِّصنا لم يغضب مع ذلك أو يستاء مما برهن عليه تلاميذه من بطءٍ فى الفهم وقصور فى الإدراك ، إذ كان يعلم أنهم قوم ريفيون بسطاء محدودو التفكير ، قليلوالحظ – فى ذلك الحين – من المعرفة أو الثقافة . فى حين أن الأمور التى يحدِّثهم عنها ويطلب منهم إدراكها أمور سامية سماوية تفوق مدارك أعظم الفلاسفة وأعلم العلماء وأفْقَه الفقهاء ، لأنها تتعلق بطبيعة الله التى لا يمكن للعقل البشرى مهما كان ذكيًّا أو عبقريًّا أن يرتفع درجة واحدة إلى مستواها الذى لا حدَّ لرفعته ، أو يغوص درجة واحدة إلى عمقه الذى لا حدَّ لنهايته . فمن المحال بأى حالٍ من الأحوال أن يعرف شيئًا من أمرها ، أو يكشف شيئًا من سرِّها إلا بواسطة إلهام من الله ذاته على فم واحدٍ من أنبيائه ، أو بالأحرَى على فم ابنه وكلمته ، الذى وهو كائن معه فى الذات الإلهية ، اتخذ لنفسه جسدًا كأجساد الناس وكلَّم الناسَ بواسطته ، وكشف لهم بعض الأسرار عن ماهِّية كيانه وكُنْه طبيعته . ومِنْ ثَمَّ أجاب مخلِّصنا تلميذه فى سماحة ووداعة وعتاب رقيق قائلاً « أنا معكم كلَّ هذا الزمان ولم تعرفنى بعد يافيلبس ؟ من رآنى

فقد رأى الآب ، فكيف تقول أنت أرنا الآب ؟ ألا تؤمن بأنى أنا فى أبى وأنَّ أبى فىَّ ؟ » .

فقد كان ينبغى على التلاميذ وقد رأوا خلال السنوات الطويلة التى قضوها مع معلِّمهم تلك المعجزات التى صنعها بكلمة منه وبسلطانه وحده ، والتى لا يمكن أن يصنعها إلا الله وحده ، أن يتبينوا ويعرفوا أن هذا فضلاً عن أنه هو ابن الله وكلمته ، هو فى نفس الوقت الله نفسه . لأن الله واحد . ولا يمكن أن يكون ابن الله إلاّ الله نفسه ، كما لا يمكن أن يكون كلمة الله إلا الله نفسه كذلك . وقد كان حتى اليهود الذين أنكروا أن سيّدنا يسوع هو المسيح الذى ينتظرونه يفهمون هذا الفهم ، إذ أنهم حين قال لهم مخلّصنا « إنَّ أبى حتى الآن يعمل ، وأنا أيضًا أعمل » ، صمموا على قتله « لأنه قال أيضًا : الله أبى مساويًا نفسه بالله » (يوحنا ٥ : ١٧ و١٨) . ولذلك قرَّر مخلِّصنا لتلاميذه صراحة أنَّ مَن رآه فقد رأى الآب . ولامَهم على أنهم لا يزالون حتى هذه اللحظة التى يودّعهم فيها لا يدركون هذه الحقيقة ، مما دفع بواحد منهم أن يطلب إليه أن يريهم الآب ، مبرهنًا بذلك على أنه مع بقية زملائه من التلاميذ لم يكونوا يؤمنون حتى هذه اللحظة أن معلِّمهم ابن الله فى طبيعة واحدة مع الله الآب ، وأن الله الآب فى طبيعة واحدة مع ابنه ، لأنهما كليهما واحد ، بحيث إن الكلام الذى يكلمهم به لا يتكلَّم به من نفسه هو وحده ، وإنما الآب الكائن فيه هو الذى يقول أقواله ، وهو الذى يعمل أعماله . فأقوال الابن هى فى نفس الوقت أقوال الآب . وأعمال الآب هى فى نفس الوقت أعمال الابن . وقد طالما قرّر مخلِّصنا وكرّر هذه الحقيقة من قبل . ومثال ذلك أنه قال « وأنا لم آتِ من نفسى وحدى ، وإنما أرسلنى ذلك الذى هو حق .. أما أنا فأعرفه لأنّى منه » (يوحنا ٧ : ٢٨ و٢٩) . وقال : « وإن لم أكن أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى . ولكن

إن كنت أعمل أعماله فإن لم تؤمنوا بى آمنوا بالأعمال ، لتعلموا وتعرفوا أنى أنا فى أبى ، وأنَّ أبى فىَّ » (يوحنا ١٠ : ٣٧و٣٨) . وقال « إن الذى يؤمن بى ليس بى يؤمن . وإنما آمن بالذى أرسلنى . والذى يرانى فقد رأى الذى أرسلنى » (يوحنا ١٢ : ٤٤و٤٥) .

وإذ كان مخلِّصنا يعلَم أنَّ هذا السِّرَّ السماوى الذى يتعلَّق بطبيعة الله أعظم وأعمق وأعقد من أن يفهمه تلاميذه بعقولهم الريفية البسيطة ، بل أن يفهمه أعظم المفكرين وأعلم العلماء ، مالم يفتحوا للإيمان به عقولهم وقلوبهم ، ويتقبّلوه بأرواحهم وكل جوارحهم ، لأن الإيمان به وقبوله يتطلّب الإيمان أوّلاً بالسيد المسيح إلهًا وربًّا ، وقبوله فاديًا ومخلِّصا،والثقة فيه وفى كل ما قال وكل ما فعل ثقة كاملة لا يشوبها ظل من الشك مهما كان طفيفًا ، أو يخامرها أثر من الريبة مهما كان خفيفًا ، لم يستخدم مخلّصنا فى إقناع تلاميذه بهذا السِّرِّ أىّ نظرية من النظريات العلمية ، أوأىّ برهان من البراهين الفلسفية ، وإنما إذكان يعلم أن تلاميذه يثقون كل الثقة فى صدقه فى كل مايقول ، بعد سنوات طويلة من ملازمتهم له والتصاقهم به ومعرفتهم إياه معرفة الأبناء لأبيهم ، والتلاميذ لمعلِّمهم ، قال لهم كى يقنعهم بذلك السِّرِّ الإلهى العميق العويص الذى أفضى به إليهم « صدقونى أنى فى أبى وأن أبى فىَّ » . ثم دعاهم إلى استخدام عقولهم ، مهما تكن ريفيّة وبسيطة ، فى اللجوء إلى شىء من الاستنتاج والاستنباط ، فاستطرد قائلاً « وإلا فصدّقونى من أجل الأعمال نفسها » ، أى أنهم إذا كان من العسير عليهم أن يصدّقوا أنه هو الله نفسه وهم يرونه إنسانًا بينهم ، فليستنتجوا وليستنبطوا من المعجزات التى صنعها أمامهم ، والتى لا يمكن أن يصنعها إلا الله وحده أنه هو الله ، وإن يكن ظاهرًا فى جَسَد إنسان ولا سيّما أنّ نبوءات أنبيائهم عن المسيح الذى تنبأوا جميعًا بأنه سيأتى إلى العالم يمكن أن

تعينهم على استيعاب هذه الحقيقة مهما تكن عسيرة على فهمهم أو مستعصية على تفكيرهم . فمع كون أولئك الأنبياء يصفون المسيح الذى كانوا ينتظرونه بأنه إنسان ، فإنهم يصفونه فى الوقت نفسه بأنه ابن الله ، وبأنه كلمة الله ، وبأنه فى الوقت نفسه أيضًا هو الله ذاته ، وينسبون إليه كل الصفات والقدرات الإلهية . ولولا أنّ نبوءاتهم كانت وحيًا يتلقونه من الله وينطقون به كما يتلقونه دون أىّ تدخل من تفكيرهم الخاص ، ماكان من الممكن أن يجمعوا فى شخص المسيح بين هذه الصفات البشرية والصفات الإلهية ، بتلك الصورة التى تفوق مدارك البشَر وتتجاوز مدى تفكيرهم الإنسانى ، لقصور تلك المدارك ، وعجز ذلك التفكير عن أن يصل إلى معرفة ماهية الله أو فهم طبيعته ، أو مدى قدرته ، أو سرّ تدبيره ومغزى حكمته فيما يفعل أو يقول . ولذلك قال الله فى نبواءت إشعياء النبى موضحًا هذه الحقيقة : « لأن أفكارى ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقى ، يقول الرب ، لأنه كما علت السماوات عن الأرض هكذ علت طرقى على طرقكم وأفكارى عن أفكاركم » (إشعياء ٥٥ : ٨و٩) .

ومن ثمَّ فإن المزامير – التى نطق بها داود النبى وغيره من الأنبياء – تزخر بالنبوءات التى تصف المسيح بأنه ابن الله ، إذ جاء فيها بلسان المسيح : « إنى أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك .. فالآن أيها الملوك تعقلوا .. قبِّلوا الابن لئلاً يغضب فتبيدوا من الطريق .. طوبى لجميع المتكلين عليه » (المزمور ٢ : ٧ – ١٢) . وجاء فيها قول الله الآب عن المسيح : « هو يدعونى أبى أنت .. أنا أيضًا أجعله بكرًا أعلى من ملوك الأرض .. وكرسيه مثل أيام السماوات .. يَثبُت إلى الدهر» (المزمور ٨٨ : ٢٦– ٣٧) . كما جاء فيها : «اللهّم أعطِ أحكامك للملك ، وبِرك لابن الملك ، يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق .. يقضى لمساكين الشعب .. يسجد له كل الملوك . كل الأمم

تتعبَّد له .. يكون اسمه إلى الدهر .. ويتباركون به . كل أمم الأرض يطوِّبونه » (المزمور ٧١ : ١ - ٤ و١١ - ١٧) . وجاء فى نبوءات إشعياء النبى : « لأنه يُولد لنا ولد ونُعطى ابنًا ، وتكون الرئاسة على كتفه ويُدعى اسمه عجيبًا مشيرًا إلهًا قديرًا ، أبا الأبد ، رئيس السلام » (إشعياء ٩ : ٦) .

وجاء فى نبوءات إشعياء النبى أن المسيح هو كلمة الله ، وأن الله سيرسله لخلاص البشَر ، إذ يقول «كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك ، بل يرويان الأرض ويجعلانها تَلِد وتنبت وتعطى زرعًا للزارع وخبزًا للآكل . هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى ، لا ترجع إلىَّ فارغة . بل تعمل ماسُررت به وتنجح فيما أرسلتها له » (إشعياء ٥٥ : ١٠ - ١٢) .

وقد أسندت النبوءات إلى المسيح كلّ الصفات الإلهية . إذ تنبأ إشعياء النبى قائلا إنه سيكون « إلهًا قديرًا » (إشعياء ٩ : ٦) . وتنبأ إرميا النبى قائلاً « هذا هو اسمه الذى يدعونه به : الربّ برّنا » (إرميا ٢٣ : ٦) . وقال داود النبى فى المزامير مشيرًا إلى المسيح : « قال الربّ لربّى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك تحت قدميك » (المزمور ١٠٩ : ١) . وجاء فى المزامير عن المسيح أن «كل الأمم تتعبّد له .. كلّ الأمم يطوِّبونه .. ومبارك اسم مجده إلى الدهر » (المزمور ٧١ : ١١ و١٧ و١٩) . وتنبأ دانيال النبى عنه قائلاً : «كنت أرى فى رؤى الليل ، وإذا مع سحاب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقرّبوه قدّامه . فأعطى سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبّد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدىّ مالن يزول ، وملكوته مالا ينقرض » (دانيال ٧ : ١٣ و١٤) .

وذكرت النبوءات أنه أزلى أبدى ، وأنه هو الخالق ، إذ تنبأ إشعياء النبى قائلاً بلسان المسيح « أنا هو . أنا الأوّل وأنا الآخر ، ويدى أسست الأرض

ويمينى نشرت السماوات .. السيد الرب أرسلنى وروحه » (إشعياء ٤٨ : ١٢ و١٣ و١٦) . وجاء فى سفر الأمثال بلسان المسيح أيضًا : « الرب قنانى أول طريقه . من قبل أعماله منذ القِدم . منذ الأزل مُسحت . منذ البدء .. كنت عنده صانعًا » (الأمثال ٨ : ٢٢ و٢٣ و٣٠) . وقال عنه ميخا النبى فى نبوءاته إنّ « مخارجه منذ القديم ، منذ أيام الأزَل »(ميخا ٥ : ٢) . وقال عنه دانيال النبى إن « سلطانه سلطان أبدى مالن يزول ، وملكوته مالا ينقرض » (دانيال ٧ : ١٤) . وذكرت النبوءات أنه ينبغى الاتكال على المسيح ، لأن ذلك بمثابة الاتكال على الله ، إذ جاء فى المزامير : « قبِّلوا الابن لئلاً يغضب فتبيدوا من الطريق .. طوبى لجميع المتكلين عليه » (المزمور ٢ : ١٢) . كما ذكرت النبوءات أن هيكل الله هو هيكل المسيح بصفته الإلهية ، إذ تنبأ ملاخى النبى قائلاً : « يأتى بغتةً إلى هيكله السيد الذى تطلبونه .. الذى تُسرُّون به » (ملاخى ٣ : ١) .

ومن ذلك نرى أن إجابة السيد المسيح له المجد عن سؤال تلميذه فيلبس عن حقيقة شخصية المسيح ، حين قال له فيلبس « أرنا الآب وكفانا » فأجابه قائلاً « أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى بعد يافيلبس ؟. من رآنى فقد رأى الآب ، فكيف تقول أنت : أرنا الآب ؟ ألا تؤمن بأنى أنا فى أبى وأن أبى فىَّ » ، إن هذا التصريح القدسى من فم الرب يسوع ، يكشف حقيقة يسوع المسيح ، ويبرهن على أنه هو بعينه الله ذاته ظاهرًا فى الجسد ، أوهو بعينه الله الغير المنظور وقد صار منظورًا . ومما يؤكد هذا المعنى المقصود قوله له المجد « لوكنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضًا . ومنذ الآن تعرفونه . وقد رأيتموه » . ومن هذا القول يتضح أن السيد المسيح له المجد يكشف لتلاميذه أنهم لم يعرفوه على حقيقته مَن هو ، وذلك لأنه مستتر فى الجسد ، وقد اتخذ الجسد له حجابًا . ولوكانوا قد عرفوه على حقيقته ،

وعرفوا مَن هو ، لعرفوا الآب ، لأنه هو صورة الآب الغير المنظور ، ولأنه بلاهوته كائن فى الآب ، والآب كائن فيه ، من غير افتراق أو انفصال . إذ يقول « ألا تؤمن بأنى أنا فى أبى وأنّ أبى فىَّ ؟.. » ، ويقول إن « الآب الكائن فىَّ هو الذى يعمل أعماله » . ويقول « صدقونى أنى فى أبى وأن أبى فىَّ » ، ثم يضيف قائلاً لتلاميذه « ومنذ الآن تعرفونه ، وقد رأيتموه » . ومعنى هذا أن التلاميذ قد رأوا الآب فكيف رأوا الآب فعلا ، مع أن الآب غير منظور ، إذ قال عنه الإنجيل « الله لم يره أحد قط » (يوحنا ١ : ١٨) . وقال عنه الكتاب المقدس « وملك الدهور الذى لا يفنى ولا يُرى ، الإله الحكيم وحده » (١ . تيموثيئوس ١ : ١٧) . وقال السيد المسيح له المجد « لا أحد قد رأى الآب إلا الذى هو من الله . فهذا هو الذى قد رأى الآب » (يوحنا ٦ : ٤٦) ؟. والجواب واضح : أن التلاميذ قد رأوا الآب وهو الغير المنظور ، فى المسيح لأنه « هو صورة الله الغير المنظور » (كولوسى ١ : ١٥) . ولذلك أيضا قال « إن كنتم تؤمنون بالله ، فآمنوا بى » (يوحنا ١٤ : ١) . وقال « والذى يرانى فقد رأى الذى أرسلنى » (يوحنا ١٢ : ٤٥) .

١٤ : ١٢ - ١٤

ثم قال مخلّصنا لتلاميذه « الحقَّ الحقَّ أقول لكم إن الذى يؤمن بى . فالأعمال التى أعملها يعملها هو أيضًا . بل يعمل أعظم منها . لأننى ماضٍ إلى أبى ، فكل ما تطلبون باسمى أنا أفعله لكم ، لكى يتمجّد الآب فى الابن ، فإن طلبتم شيئًا باسمى أفعله » .

فقد طلب مخلّصنا من تلاميذه فى العبارات السابقة أن يؤمنوا به ، لأن الإيمان به أصلاً هو طريق الخلاص والحياة الأبدية . بيد أنه بالنسبة للتلاميذ

يتضمَّن امتيازًا آخر . فقد أنبأهم بأنه بعد قليل يفترق عنهم حين يصعد ويمضى إلى أبيه السماوىّ . ولما كانوا هم تلاميذه الذين أراهم كلّ مجده بما صنع أمامهم من معجزاته الإلهية وأعطاهم كلَّ تعاليمه ووصاياه ، بما أسمعهم من كلماته السماوية ، فقد أعدّهم بذلك الإعداد الوافى والكافى ليواصلوا عمله بعد مفارقته الأرضية لهم ويمضى إلى الآب ، قاصدًا أن يكونوا بعد ذلك هُم رسله إلى العالم أجمع والمبشرين به كل الشعوب ، وعلى مَدَى كلِّ الأزمان . ولما كانت قدرته الإلهية غير المحدودة على صنع المعجزات التى يعجز عن أن يصنع مثلها أىّ بَشَر ، هى من أعظم وأعمق دعائم إقناع الناس بألوهيته ، وَعَد تلاميذه بأنهم إن آمنوا به الإيمان الكامل ، وأيقنوا بأنه هو ابن الله ، وأنه هو الله ذاته ، فسيمنحهم من فيض قدراته السمائية اللانهائية القدرة على أن يصنعوا باسمه وبسلطانه . المعجزات التى كان يصنعها هو نفسه ، لينجحوا فى أداء الرسالة الجليلة النبيلة التى عهد بها إليهم بعد ارتفاعه عنهم ، بل وعدهم بأن يعطيهم القدرة على أن يصنعوا من المعجزات أعظم مما صنع هو ، ليؤمن الناس بأنهم – بما يبدون من القدرات التى يستمّدونها منه – هُمْ رسله حقًّا ووكلاؤه وخلفاؤه على الأرض ، فيؤمنوا بهم . وبالتالى يؤمنوا بالذى أرسلهم . وهذا هو جوهر ومحور تلك الرسالة التى عهد بها اليهم . وهم إذ يصنعون تلك المعجـزات ، لا يصنعونها بقدرتهم الشخصية ، وإنما بقدرته هو . ويقتضى ذلك منهم حين يشرعون فى صنع تلك المعجزات أن يبتهلوا إليه ويطلبوا منه أن يمنحهم تلك القدرة التى هى قدرته هو ، واعدًا إياهم بأن كل ما يطلبون باسمه – كى يكونوا قادرين على صنع المعجزات – سيفعله ، أى سيعطيهم القدرة على تحقيقه ، فيكون ذلك دافعًا ومشجعًا للناس على الإيمان بابن الله وتمجيده بواسطتهم . وبذلك يتمجد الآب بالابن ، كما يتمجد الابن فى الآب ، لأنهما معًا جوهر واحد ، وإله واحد . وقد كرّر ذلك الوعد لهم لتأكيده وتوطيده فى نفوسهم . وبالفعل فإنهم بعد قيامته من بين الأموات وصعوده إلى

السماء حققوا طلبه منهم ، إذ آمنوا به عندئذ أصدق الإيمان وأعمق الإيمان وكلّ الايمان . كما حقّق هو وعده لهم بأن منحهم القدرة على أن يصنعوا – باسمه هو وبقدرته هو – من المعجزات مثل ما كان يصنعه وهو بينهم على الأرض ، بل أن يصنعوا – باسمه هو وبقدرته هو كذلك – أعظم من المعجزات التى صنعها هو من قبل ، وذلك هو ماسوف يصنعونه فى خلاص النفوس من خطاياها بالتوبة ، فذلك عند المسيح أعظم من إقامةلعازر من بين الأموات ، بقدر ماتعظُم قيامة الروح من موت الخطيئة على قيامة الجسد من موت القبر . إذ يذكر لنا الإنجيل فى سفر أعمال الرسل أن تلميذه بطرس استطاع أن يجذب إلى الإيمان بمخلّصنا ثلاثة آلاف نفس فى يوم واحد ، وهو يوم الخمسين الذى حلّ فيه الروح القدس على التلاميذ . وكان ذلك بالكلمة التى ألقاها بطرس عليهم فى ذلك اليوم ، مبشرا إياهم بالسيد المسيح (الأعمال ٢ : ٤١) . فكانت هذه معجزة بالغة الروعة ، إذ أدّت فى لحظة واحدة إلى خلاص كلّ تلك الآلاف من النفوس الهالكة ، مما يتضمن شفاءها من أمراضها الروحية ، التى هى أشنع وأبشع من الأمراض الجسدية ، بل يتضمن إقامتها من الموت المحكوم به من العدالة الإلهية عليها .

وذلك فضلاً عن المعجزات الأخرى التى صنعها تلاميذ مخلّصنا باسم يسوع المسيح وبقدرته . وقد جاء عن ذلك فى سفر أعمال الرسل أنه « جرى على أيدى الرسل بين الشعب كثير من الآيات والعجائب . وكانوا يجتمعون بنفس واحدة فى رواق سليمان . وأما الآخرون فلم يكن أحد منهم يجسر أن يلتصق بهم . لكن كان الشعب يعظّمهم . وأخذ عدد المؤمنين بالرب يزداد : جماهير من رجال ونساء . حتى إنهم كانوا يحملون المرضى خارجًا فى الشوارع ويضعونهم على الفُرش والأسرَّة ، حتى إذا جاء بطرس ووقع ظِلُّه على أحد منهم يبرأ . واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى أورشليم حاملين المرضى والمعذَّبين من الأرواح النجَّسة ، وكانوا

يبرأون جميعهم » (الأعمال ٥ : ١٢ – ١٦) .

وحدث أن « صعد بطرس ويوحنا إلى الهيكل .. وكان رجل أعرج من بطن أمه .. كانوا يضعونه كل يوم عند باب الهيكل المعروف بالباب الجميل ليسأل صَدَقةً .. فتفرَّس فيه بطرس ومعه يوحنا . وقال : انظر إلينا فتطلّع إليهما منتظرًا أن يأخذ منهما شيئًا . فقال بطرس : لا فضة عندى ولا ذهب ، ولكنى اعطيك ماعندى : باسم يسوع المسيح الناصرى قُمْ وامش ، وأمسكه بيده اليمنى وأنهضه . ففى الحال تشدّدت رجلاه وكعباه ، فوثَبَ ووقف وصار يمشى . ودخل الهيكل معهما وهو يمشى ويطفر ويسبّح الله ... وأبصره جميع الشعب .. فامتلأوا دهشة وحيرة مما جَرَى له » .. وعندئذ أخذ بطرس يبشّر الشعب بربنا يسوع المسيح .. « وكثيرون من الذين سمعوا الكلمة آمنوا ، وصار عدد الرجال (المؤمنين) نحو خمسة آلاف » (الأعمال ١ : ١ – ١٠) ؛ (٤ : ٤) . و « جالوا مبشّرين بالكلمة . فانحدر فيلبس إلى مدينة فى السامرة ، وكان يكرز لهم بالمسيح . وكان الجميع يصغون بنفْس واحدة إلى مايقوله فيلبس عند استماعهم ونظرهم الآيات التى صنعها ، لأنَّ كثيرين من الذين بهم أرواح نجسة كانت تخرج صارخة بصوت عظيم ، وكثيرين من المفلوجين والمقعدين شفوا ، فكان فرح عظيم فى تلك المدنية » (الأعمال ٨ : ٤ – ٨) .

« وحدث أن بطرس وهو يجتاز بالجميع نزل أيضًا إلى القدّيسين الساكنين فى لِدَّة (وهى مدينة كانت تقع فى الطريق المؤدى من أورشليم إلى يافا) . فوجد هناك إنسانًا اسمه إينياس مضطجعًا على سرير منذ ثمانى سنين ، وكان مفلوجًا ، فقال له بطرس : ياإينياس يشفيك يسُوع المسيح . قم وافرش لنفسك . فقام للوقت وراَه جميع الساكنين فى لِدَّة وسارون (وهى سهل كان يمتد شمالى يافا) الذين رجعوا إلى الرب . وكان فى يافا تلميذة اسمها طابيثا – أى غزالة – هذه

كانت ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات كانت تعملها . وحدث فى تلك الأيام أنها مرضت وماتت ، فغسَّلوها ووضعوها فى قاعة علوية . وإذ كانت لِدَّة قريبة من يافا ، وسمع التلاميذ أن بطرس فيها ، أرسلوا رجلين يطلبان إليه ألاّ يتوانى عن أن يجتاز إليهم . فقام بطرس وجاء معهما . فلما وصل صعدوا به إلى القاعة العلويّة . فوقفت لديه جميع الأرامل يبكين .. فأخرج بطرس الجميع خارجًا وجثا على ركبتيه وصلَّى ثم التفت إلى الجسد وقال : ياطابيثا قومى ، ففتحت عينيها . ولما أبصرت بطرس جلست فناولها يده وأقامها . ثم نادَى القدّيسين والأرامل وأحضرها حيَّة . فصار ذلك معلومًا فى يافا كلها . فآمن كثيرون بالربّ » (الأعمال ٩ : ٣٣ - ٤٢) .

وحدث فى لسترة ، وهى مقاطعة كانت تقع جنوبى غلاطية فى آسيا الصغرى ، أن « كان يجلس فى لسترة رجل عاجز الرِّجلين مُقعد من بطن أمه ولم يمش قط . هذا كان يسمع بولس يتكلَّم ، فَشَخَص اليه ، وإذ رأى أنه له إيمان ليشفى ، قال بصوت عظيم : قُم على رجليك منتصبًا . فوثب وصار يمشى » (الأعمال ١٤ : ٨ - ١٠) - « وكان الله يصنع على يدى بولس قوات غير المعتادة . حتى كان يُؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضَى فتزول عنهم الأمراض ، وتخرج الأرواح الشِّريرة منهم .. وكان اسم الربّ يسوع يتعظَّم . وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرِّين ومخبِرين بأفعالهم .. هكذا كانت كلمة الربّ تنمو وتقوى بشدَّة » (الأعمال ١٩ : ١٧ - ٢٠) وفى ترواس ، وهى ميناء مدينة ميسَّية فى شمال غربى آسيا الصغرى . حدث « إذ كان التلاميذ مجتمعين ، خاطبهم بولس .. وأطال الكلام إلى نصف الليل .. وكان شاب اسمه أفتيخوس جالسًا فى الطاقة مثقلاً بنوم عميق .. فسقط من الطبقة الثالثة إلى أسفل وَحُمِلَ مَيِّتًا . فنزل بولس ووقع عليه واعتنقه قائلاً : « لا تضطربوا .. ثم صعد .. وأَتَوا

بالفتى حيًّا » (الأعمال ٢٠ : ٧ – ١٢) .

فبهذه المعجزات وأمثالها تحقَّق وعد مخلِّصنا لتلاميذه بأنهم – بعد أن يمضى إلى أبيه السماوىّ – إذا آمنوا ، به ، فالأعمال التى يعملها هو يعملونها هُمْ أيضًا ، بل يعملون أعظم منها ، بقوته هو وبسلطانه هو ، لأنه – وإن ارتفع إلى السماء – سيظل معهم كل الأيام إلى انقضاء الدهور (متى ٢٨ : ٢٠) . ولسوف يؤثرون فى الناس ويهدونهم بمواعظهم ، ويقيمون الخطاة من موت الخطيئة .

١٤ : ١٥

وبعد أن أوصى مخلِّصنا تلاميذه بأن يؤمنوا به ليمنحهم السلطان الذى وعدهم به ، أوصاهم كذلك بأنهم إن كانوا يحبونه أعمق الحب وأصدق الحب ، فليحفظوا وصاياه التى سبق أن أوصاهم بها ، والتى يوصيهم بها الآن ، إذ قال لهم « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى » . وهو إذ يطلب منهم أن يحبّوه ، فذلك لأنه يحبهم حبًّا لا مثيل له ولا يمكن أن يكون هناك حب أعظم منه ، حتى لقد بلغ حدَّ تضحيته بذاته من أجلهم ومن أجل البشَر جميعًا . وقد طالما صارحهم بذلك إذ قال لهم : « مامن حب أعظم من أن يبذل أحد نفسه عن أحبَّائه » (يوحنّا ١٥ : ١٣) وقد لقّبهم بأحبَّائه إذ قال لهم « بيد أننى أقول لكم ياأحبَّائى لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، ثم لا يستطيعون بعد ذلك شيئًا أكثر من هذا » (لوقا ١٢ : ٤) .

وقد كان مخلِّصنا يعلم أن تلاميذه يحبّونه فعلاً ، ولكنه طلب إليهم مزيدًا من الحب ليكون حبهم له كاملاً وشاملاً وعميقًا وصادقًا . ولن يتحقق ذلك إلا بأن يطيعوه فى كُلِّ ماأوصاهم به . وقد كرَّر طلبه هذا إليهم مرارًا ليؤكده ويوطّده فى

أذهانهم وفى وجدانهم . إذ قال لهم « إنَّ الذى لديه وصاياى ويحفظها هو الذى يحبنى . والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أيضًا أحبّه وأظهر له ذاتى » (يوحنا ١٤ : ٢١) . وقال « منَ يحبنى يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نقيم » (يوحنا ١٤ : ٢٣) . وقال « إن حفظتم وصاياى تَثبُتُّم فى محبتى » (يوحنا ١٥ : ١٠) . وقال « أنتم تكونون أحبائى إن عملتمّ بما أوصيكم به » (يوحنا ١٥ : ١٤) .

ولعلَّ مما يدلّ على أن تلاميذ مخلِّصنا قد أطاعوه وتابعوه فيما أوصاهم به ، ماذكره القديس يوحنا فى رسالته الأولى إذ يقول « إنْ أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار ، وهو كفّارة لخطايانا .. بهذا نعرف أننا قد عرفناه إن حفظنا وصاياه . مَن قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب وليس الحقُّ فيه . وأما مَن حفظ كلمته فحقًّا فى هذا تكمّلت محبة الله ، بهذا نعرف أننا فيه » (١ . يوحنا ٢ : ١ — ٥) . ويقول « كل مَن يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد وُلِد من الله . وكل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضًا . بهذا نعرف أننا نحب أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصاياه . فإن هذه هى محبة الله أن نحفظ وصاياه » (١ . يوحنا ٥ : ١ — ٣) .

١٤ : ١٦ — ٢٠

لقد أنبأ مخلِّصنا تلاميذه فيما سبق من حديثه إليهم بأنه قد حان الوقت كى يمضى إلى الآب ، وأنهم إن آمنوا به الإيمان الكامل فإنه سيعطيهم السلطان بعد ارتفاعه عنهم ليصنعوا باسمه وبقدرته المعجزات التى كان يصنعها هو ، بل أعظم منها . ثم وعدهم بأن كل ما يطلبونه باسمه سيستجيب لهم فيه إذا هُم حفظوا وصاياه بدافع من إيمانهم به وحبهم إياه ، ثم شرح لهم بعد هذا كيف سيتحقق ذلك ، إذ قال : « وسأطلب إلى الآب فيعطيكم معَزيًا آخر ليقيم معكم إلى

الأبد ، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه . وأما أنتم فتعرفونه لأنه يقيم معكم ويكون فيكم . لن أترككم يتامَى ، وإنما سأجىء إليكم . بعد قليل لن يرانى العالم بعد ، وأما أنتم فسوف ترونني ، لأنني أنا حيٌّ فأنتم ستحيون أيضًا . وفى ذلك اليوم ستعلمون أنى فى أبى . وأنكم أنتم فِيَّ وأنا فيكم » .

أما قوله إنه سيطلب إلى الآب أن يعطيهم معزيا آخر ليقيم معهم إلى الأبد ، فمعناه أنه لما كان مخلِّصنا ابن الله متحدًا اتحادًا كاملاً بأبيه السماوى ، وواحدًا معه فى جوهره ، فإن أحدهما لا ينفرد بالإرادة والتدبير دون الآخر ، لأن إرادتهما واحدة وتدبيرهما واحد وألوهتهما واحدة . ومِنْ ثَمَّ فإن الابن سيعمل على أن يشترك مع الآب فى أن يعطى التلاميذ ذلك المُعَزِّى الآخَر الذى وعدهم بإرساله إليهم . فالعطيَّة إذَن من الآب والابن معًا ، وان كان الروح القدس ينبثق من الآب . والإرسال من الآب والابن معًا ، بدليل قول مخلِّصنا بعد ذلك « ومتى جاء المعزّى الذى سأرسله أنا إليكم من عند أبى .. فهو يشهد لى » (يوحنا ١٥ : ٢٦) .

وأما كلمة « المعزّى » فهى فى اللغة اليونانية التى كتب بها القدّيس يوحنا بشارته « باراكليتوس » ، وهى تعنى « المحامى » أو « المُعين » أو الشفيع الذى يقف إلى جوار الضعيف ليدافع عنه ويسانده ، ومِنْ ثَمَّ يكون فى دفاعه عنه ومساندته إياه عزاء له يتضمَّن الاطمئنان والإحساس بالأمن والأمان . ومخلّصنا إذ يعد تلاميذه بأن يرسل إليهم من لدُن الآب هذا المحامى أو المعين أو المعّزى ، إنما يعنى به نعمة الروح القدس الذى هو متّحد به مع الآب اتحادًا كاملاً ، وكائن معه فى الجوهر .

ومخلّصنا يصف الروح القدس بأنه روح الحق ، أى روح الله نفسه لأن الله

هو «الحق»، وهو جوهر الحق، ومصدر الحق، والمرشد إلى الحق. ولذلك يتحدث مخلِّصنا عن الروح القدس المعزّى فيقول فى موضع آخر: « فمتى جاء ذلك الذى هو روح الحق، فهو يرشدكم إلى الحق كله، لأنه لا يتكلم من عنده. وإنما يتكلّم بما يسمعه وسيخبركم بأمور آتية. إنه يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم. كل ماهو للآب فهو لى. لذلك قلت لكم إنه يأخذ مما لى ويخبركم» (يوحنا ١٦ : ١٣ - ١٥). فالروح القدس هو متحد اتحادًا كاملاً بالآب والابن. وواحد معهما فى الجوهر، يتكلَّم بالحق الذى ليس من عنده وحده، وإنما هو من عند الثالوث القدّوس الذى يتّحد هو فيه مع الآب والابن. ويشير القديس يوحنا فى رسالته الأولى إلى هذا المعنى فيقول « نحن من الله. فمن يعرف الله يسمع لنا، ومن ليس من الله لا يسمع لنا. من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال» (١. يوحنا ٤ : ٦) ويقول إن « الروح هو الذى يشهد لأن الروح هو الحق. فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هُم واحد» (١. يوحنا ٥ : ٦و٧). كما يقول « إننا نحن من الله.. ونعلم أنَّ ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق. ونحن فى الحق فى ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق» (١. يوحنا ٥ : ١٩و٢٠).

ويقول مخلِّصنا لتلاميذه عن الروح القدس المعزّى الذى وعدهم بمجيئه إليهم إنه هو « روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأما أنتم فتعرفونه لأنه يقيم معكم ويكون فيكم»، وذلك لأن العالم قد عاش بعد سقوط الإنسان فى الخطيئة خاضعًا للشيطان خضوع المرؤوس للرئيس، والعبد للسيّد، بل خضوع العابد للمعبود، حتى لقد قال مخلِّصنا عن الشيطان بسبب ماله من السلطان على العالم إنه « رئيس هذا العالم» (يوحنا

١٢ : ٣١) ؛ (١٤ : ٣٠) ؛ (١٦ : ١١). وقال عنه القديس بولس إنه « إله هذا الدهر » (١ . كورنثوس ٤ : ٤) . كما قال إن « مصارعتنا ليست مع دم ولحم (أى مع إنسان) ، بل مع الرؤساء ، مع السلاطين ، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشّر الروحّية فى السماويات » (أفسس ٦ : ١٢) . وقال القديس يوحنا فى رسالته الأولى « إننا نحن من الله . والعالم كله قد وُضع فى الشرير » (١ . يوحنا ٥ : ١٩) . ولما كان العالم قد خضع خضوعًا تامًّا للشيطان الذى هو الشّر والمغرى بالشّر ، والذى هو الباطل والمحّرض على الباطل ، فإن العالم لا يستطيع – وقد امتلأ بالشّر وبالباطل – أن يقبل الرّوح القدس الذى هو الخير والدّاعى إلى الخير ، والذى هو الحقّ والمبشّر بالحق . ولأن الشيطان قد فتح أعين هذا العالم على كل ماهو مادى وجسدىّ ، وأعماه عن كلّ ما هو سماوىّ وروحىّ ، فإن العالم – وقد عميت بصيرته كما عَمِى بصره ، لا يمكنه أن يرى الروح القدس ، لأنه روح الله ، ومِنْ ثَمَّ فإنه لا يقبله ، لأنه لا يراه ، ومِنْ ثَمَّ لا يعرفه . ولأنه وقد ملأه الشيطان وسيطر عليه لا يرى إلاّ الماديّات والجسديات ، فهو لا يعرف إلا الماديات والجسديات . وفى ذلك يقول القّديس بولس فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس : « إن كان إنجيلنا مكتومًا ، فإنما هو مكتوم فى الهالكين ، الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضىء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذى هو صورة الله » (٢ . كورنثوس ٤ : ٣ و ٤) . ويقول فى رسالته إلى أهل أفسس « أنتم إذ كنتم أمواتًا بالذنوب والخطايا ، التى سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم ، حسب رئيس سلطان الهواء ، الروح الذى يعمل الآن فى أبناء المعصية ، الذين نحن أيضًا جميعًا تصرّفنا قبلا بينهم فى شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار . وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضًا . الله الذى هو غنىّ فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها ، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح » (أفسس

٢ : ١ - ٥) . ويقول القديس يوحنا فى رسالته الأولى « إننا نحن من الله ، والعالم كله قد وُضع فى الشّرير ، ونعلم ان ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق » (١ . يوحنا ٥ : ١٩ و٢٠) .

ولئن كان العالم الشّرير ، أو الأشرار الذين فى العالم ، أولئك الذين استعبدهم الشيطان واستبدّ بهم ، لا يعرفون الروح القدس ، لأنهم ماديون جسديون ، فى حين أن الروح القدس روح إلهى سماوى فلا يمكنهم بأجسادهم المادية وأفكارهم الأرضية أن يروه أو يعرفوه ، إن تلاميذ مخلّصنا فسيعرفونه لأنه معلّمهم الذى سيقيم فيهم إلى الأبد حين يحلّ عليهم بعد ارتفاعه ، فيكون فيهم ويكون ابن الله فى نفس الوقت بعد ارتفاعه بالجسد عنهم ، قائمًا بقوته وقدرته إلى الأبد فيهم ومعهم ، إذ وعدهم قائلاً « لن أترككم يتامى ، وإنما سأجىء إليكم » . لأنهم إذ يفارقهم بالجسد سيحزنون حزن الأبناء لفراق أبيهم ، إذ يُحِسُّون بأنهم أصبحوا من بعده يتامى ليس لهم عائل ولا سنَد ، ولا قلب حنون يعطف عليهم عطف الأب على أبنائه . ولكن مخلّصنا لن يتركهم يحزنون هذا الحزن ، أو يعانون هذا الإحساس ، وإنما سيجىء أولاً إليهم لا بجسده ، وإنما بقوّته وبقدرته ، فيمكث - وإن كانوا لا يرونه - بينهم ، يقوّيهم بقوّته ، ويساندهم بقدرته ، حتى نهاية حياتهم ، ثم فى اليوم الأخير سيجىء مجيئه الثانى بالجسد إليهم ، فيفى بوعده الذى سبق له أن وعدهم به ، إذ قال لهم « الحق الحق أقول لكم إنكم أنتم يا من تبعتمونى ، متى جلس ابن الإنسان على عرش مجده عند تجديد كل شىء ، ستجلسون أنتم أيضًا على اثنى عشر كرسيًا ، وتدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر » (متى ١٩ : ٢٨) .

ويتضح من كل ذلك أن المعزّى الذى وعد السيد المسيح له المجد تلاميذه بأنه سيرسله من قبل الآب هو « عطية الروح القدس » التى انسكبت على التلاميذ فى

يوم الخمسين . فامتلأوا بها روحانية ومحبة وفرحًا وسلامًا وعزاء وشجاعة ، وبها استطاعوا أن يتكلموا بلغات أخرى غير لغتهم الأصلية (الأعمال ٢ : ١ - ١١) . فليس المقصود بالمعّزى الذى وعد مخلّصنا بإرساله إنسانًا ما ، وإنما المقصود هو عطية الروح القدس (١) لأنه مَن هو الإنسان الذى يقيم مع الكنيسة إلى الأبد ؟ (٢) ومن هو الإنسان الذى يوصف بأنه « روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله » ؟ إن كان نبيًا فما الذى يميّزه فى هذا الصدد عن غيره من الأنبياء السابقين حتى يوصف بأنه روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله ؟ ثم كيف يوصف شخص مابأنه روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله ، ونحن نعلم أن كل من دُعى نبيًّا وجد من الناس فى العالم من قبلوه وتبعوه ؟ (٣) ولوكان المقصود بالمعزى إنسانا معلوما ، فكيف يصفه المسيح بأن « العالم لا يراه ولا يعرفه » ؟ (٤) ثم يضف السيد المسيح له المجد بقوله لتلاميذه « وأما أنتم فتعرفونه ، لأنه يقيم معكم ويكون فيكم » ؟ فكيف ينطبق على إنسان ما أنه يقيم معهم وأنه يكون فيهم ، لو لم يكن المقصود فعلاً موهبة الروح القدس التى حلَّت على تلاميذ المسيح فى الخمسين ؟ .

وقد أكّد مخلِّصنا بعد ذلك وعده لتلاميذه بأن يجىء إليهم بعد ارتفاعه عنهم ، فيرونه مرة أخرى ، إذ قال لهم « بعد قليل لن يرانى العالم بعد وأما أنتم فسوف ترونني ، لأننى أناحى فأنتم ستحيون أيضًا » أى أنه بعد وقت قصير لن يتجاوز بضع ساعات سيقتله اليهود ويوضع جثمانه فى القبر فلا يعود أهل العالم يرونه . وأما التلاميذ فسوف يرونه لأنه سيقوم فى اليوم الثالث من بين الأموات مستردًّا حياته ، ويظهر لهم ويظل معهم بالجسد أربعين يومًا ، ثم يصعد أمامهم إلى السماء ، فلا ينقطعون مع ذلك عن رؤيته ، لأنهم سيرونه بعد ذلك لا بعيون أجسادهم ، وإنما بأرواحهم ، فيحيا معهم ويحيون هم أيضا معه وبه وفيه ، لأنه

هو الله الحى منذ الأزل وإلى الأبد ، والذين يؤمنون به ويطيعون وصاياه يعطيهم الحياة الأبدية . وقد قرر هو ذلك المعنى مرارًا إذ قال « الحقَّ الحقَّ أقول لكم إنَّ مَن يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى ، له الحياة الأبدية ، ولن يأتى إلى دينونة . وإنما ينتقل من الموت إلى الحياة . الحقَّ الحقَّ أقول لكم إنَّ ثمة ساعة تأتى ، وقد أتت الآن ، يسمع فيها الموتى صوت ابن الله ، والذين يسمعون يحيون . لأنه كما أن الآب له الحياة فى ذاته ، هكذا أعطى الابن أن تكون له الحياة فى ذاته » (يوحنا ٥ : ٢٤ – ٢٦) . وقال : « أنا هو خبز الحياة .. أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء . مَن يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد .. مَن يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير .. كما أن الآب الحى قد أرسلنى وأنا كذلك أحيا بالآب ، هكذا فإن الذى يأكلنى يحيا بى » (يوحنا ٦ : ٤٨و٥١و٥٤و٥٧) . وقال : « أما أنا فأتيت لتكون لهم حياة » (يوحنا ١٠ : ١٠) . وقال : « أنا هو القيامة والحياة » (يوحنا ١١ : ٢٥) . وقد عرف هذه الحقيقة تلميذه بطرس فقال له : « أنت هو المسيح ابن الله الحى » (متى ١٦ : ١٦) . وقال بطرس لليهود : « أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل : ومُبدِئ الحياة قتلتموه ، الذى أقامه الله من بين الأموات ونحن شهود لذلك » (الأعمال ٣ : ١٤و١٥) . وقال بولس الرسول لأهل أثينا « الإله الذى خَلَق العالم .. به نحيا ونتحرك ونوجد » (الأعمال ١٧ : ٢٤و٢٨) . وقال لأهل روما : « فإن كنا قد متنا مع المسيح ، نؤمن أننا سنحيا أيضًا معه ، عالمين أن المسيح بعدما أقيم من بين الأموات لا يموت أيضًا . لا يسود عليه الموت بعد . لأن الموت الذى ماته قد ماته للخطيَّة مرة واحدة ، والحياة التى يحياها فيحياها الله. كذلك أنتم أيضًا احسبوا أنفسكم أمواتًا عن الخطيئة ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا » (روما ٦ : ٨ – ١١) . وقال فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس : « كما فى آدم يموت الجميع ، هكذا فى المسيح سيُحيا

الجميع » (١ . كورنثوس ١٥ : ٢٢) . وقال فى رسالته إلى أهل فيلبى : « لى الحياة هى المسيح » (فيلبى ١ : ٢١) . وقال فى رسالته الثانية إلى تيموثيئوس : « صادقة هى الكلمة أنه إن كنا قد متنا معه (أى مع المسيح) فسنحيا أيضًا معه » (٢ . تيموثيئوس ٢ : ١١) . وقال فى رسالته إلى أهل غلاطية : « مع المسيح صُلِبت ، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ » (غلاطية ٢ : ٢٠) . وقال القدّيس يوحنا فى رسالته الأولى : « بهذا أُظهِرت محبة الله فينا ، أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكى نحيا به » (١ . يوحنا ٤ : ٩) . وقال : « إنّ الله أعطانا حياة أبديَّة ، وهذه الحياة هى فى ابنه . من له الابن فله الحياة . ومن ليس له ابن الله فليست له حياة .. إن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق . ونحن فى الحق فى ابنه يسوع المسيح . هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية » (١ . يوحنا ٥ : ١١ و١٢ و٢٠) .وحين قام السيد المسيح من بين الأموات وجاءت النسوة إلى القبر فى صباح اليوم الثالث ولم يجدن جسده ، استولى الجزع عليهن ، فظهر لهن ملاكان وقالا لهن : « لماذا تطلبن الحىّ بين الأموات ؟ إنه ليس هنا ، وإنما قد قام » (لوقا ٢٤ : ١ — ٦) . وجاء فى سِفْر الرؤيا على لسان السيد المسيح « أنا هو الأول والآخِر والحّى وقد مُتُّ وهأنذا حىّ إلى أبد الآبدين » (الرؤيا ١ : ١٧ و١٨) . وجاء فيه عن السيد المسيح : « شكرًا للجالس على العرش الحىّ إلى أبد الآبدين » (الرؤيا ٤ : ٩) . وجاء فيه قول كاتبه القدّيس يوحنا إن « الملاك الذى رأيته .. رفع يده إلى السماء وأقسم بالحىّ إلى أبد الآبدين ، الذى خَلَق السماء وما فيها ، والأرض وما فيها » (الرؤيا ١٠ : ٥ و٦) .

وقد وَرَدَ وصف الله الآب المتحد بالمسيح ابن الله ، بأنه حىّ إلى الأبد فى كل أسفار العهد القديم . ومن ذلك ماجاء فى سفر التثنية ، إذ قال الله : « أنا أنا هو وليس إله معى .. حىٌّ أنا إلى الأبد » (التثنية ٣٢ : ٤٠) . وقد تردّد فى كل

أسفار النبوءات قول الله وهو يقسم بذاته . ومن ذلك ماجاء فى سفر نبوءة إرميا « حيٌّ أنا يقول الرب » (إرميا ٢٢ : ٢٤) – وانظر كذلك (حزقيال ١٤ : ١٦ و١٨ و٢٠) ؛ (١٦ : ٤٨) ؛ (١٧ : ١٦) ؛ (١٨ : ٣) ؛ (٢٠ : ٣) ؛ (٣٣ : ١١) ؛ (٣٤ : ٨) ؛ (٣٥ : ٦) . وجاء فى سفر نبوءة دانيال « أنا نبوخذ نصّر رفعتُ عينى إلى السماء .. وباركتُ العلىّ .. وحمدت الحىّ إلى الأبد ، الذى سلطانه سلطان أبدى » (دانيال ٤ : ٣٤) .

ثم قال مخلِّصنا لتلاميذه : « وفى ذلك اليوم ستعلمون أنِّى فى أبى ، وأنكم أنتم فىَّ وأنا فيكم » ، أى أنه فى اليوم الذى يرونه فيه بعد قيامته من بين الأموات وقد استردّ الحياةَ ، ثم يرون قوّته وقدرته حية فيهم بعد صعوده إلى السماء حيًّا إلى الأبد ، كما هو حىّ منذ الأزل ، سيعلمون عندئذ ويؤمنون إيمانًا كاملاً وعميقًا بأن معلّمهم هذا الذى كان قائمًا بينهم بالجسد هو المسيح ابن الله الذى كانوا ينتظرونه مع سائر اليهود ، وأنه متحد بأبيه السماوى فى كيانه وقوّته وقدرته وسائر كمالاته الإلهية التى لمسوها فى شخصيته السامية وفى تعاليمه السماوية ، ومعجزاته التى صنعها أمامهم ، والتى لا يمكن أن يصنعها إلا الله وحده ، وسيعلمون ويؤمنون كذلك بأنه مادام قد ظل بعد ارتفاعه عنهم قائمًا بقوته وقدرته بينهم وحيًّا فيهم ، فإنهم هم ايضا أحياء به وفيه .

١٤ : ٢١ – ٢٦

وبعد ذلك عاد مخلِّصنا يكرّر وصيته العظمى لتلاميذه ، تلك الوصية التى هى روح العقيدة المسيحية وأقوى أساس تقوم عليه ، وهى أن يحبه تلاميذه وكل المؤمنين به . وذلك بأن يعرفوا وصاياه ويحافظوا عليها ويعملوا بها ، إذ قال لهم :

« إن الذى لديه وصاياى ويحفظها هو الذى يحبنى . والذى يحبنى يحبه أبى ، وأنا أيضًا أحبّه وأظهر له ذاتى » ، وإذ كان مخلِّصنا دائم الترديد لهذه الوصية على مسامع تلاميذه لم يَسْتَرْعِ انتباههم منها فى هذه المرة إلا قوله إنه لا يُظهر ذاته لتلاميذه إلا إذا أحبّوه فعملوا بوصاياه ، واسترعى ذلك القول بالأخص انتباه أحد تلاميذه وهو يهوذا ، أخو يعقوب الذى كان أحد الذين يسميهم الإنجيل « إخوة الرب » (متى ١٣ : ٥٥) والذى كان يُدعى كذلك لَبَّاوس وتدَّاوس (متى ١٠ : ٣) ؛(مرقص٣ : ١٨) ، وهو كاتب رسالة القديس يهوذا الواردة فى نهاية رسائل الرسل فى العهد الجديد من الكتاب المقدَّس ، ولتمييزه عن يهوذا الإسخريوطى الخائن قالوا عنه « يهوذا ليس الإسخريوطى » (يوحنا ١٤ : ٢٢) . ومِنْ ثَمَّ قال لمخلِّصنا : « يارب ، ماذا حدث حتى إنك مزمع ان تظهر ذاتك لنا نحن . وليس للعالم ؟ » . ويدلّ هذا السؤال على أن تلاميذ مخلِّصنا ، ومنهم هذا التلميذ ، كانوا لا يزالون يعتقدون أن المسيح سيقيم مملكة أرضية يملك بها العالَم كلّه فى الأرض وليس فى السَّماء . ولذلك تساءل هذا التلميذ عمَّا إذا كان قد حدث أمر جعل مخلِّصنا يغيِّر تلك الخطة الوهمية التى كانوا يعتقدونها ويعقدون الآمال عليها ، فلايُظهر ذاته إلا لتلاميذه وحدهم وليس للعالم الذى توهموا أن مملكته الأرضية ستشمله كله ، وتشمل كُلَّ من فيه من البشَر ، وسيكون تلاميذه هم أمراء تلك المملكة ووزراءها والكبراء فيها . ويبدو أنَّ مخلّصنا قد ساءه هذا السؤال الذى يدلّ على أن تلاميذه مازالوا حتى هذه اللحظة التى يودّعهم فيها ليرتفع إلى السماء متشبثين بأفكارهم الخاطئة عن حقيقة شخصيته وحقيقة رسالته ، على الرغم من كل ما قرّره لهم وكرّره مرارًا عن حقيقة شخصيته وحقيقة رسالته ومِنْ ثَمَّ لم يَرُدّ ردًّا مباشرًا عن هذا السؤال ، وإنما واصل الكلام عن الوصية التى كان يردّدها على مسامع تلاميذه ، وإن كان شرْح هذه الوصية وتوضيحها يتضمَّن فى ذاته الردّ على هذا السؤال . إذ أجاب

قائلاً : «مَن يحبنى يحفظ كلامى ، ويحبه أبى ، وإليه نأتى ، وعنده نقيم. ومن لا يحبنى لا يحفظ كلامى » ، وبذلك تجاهل مخلِّصنا أوهام تلاميذه وسائر اليهود عن مملكته الأرضية ، واستطرد فى الكلام عن شروط رضاه ، وهو فى ملكوته السماوى عن تلاميذه ، وهى أن يحفظوا كلامه ويعملوا بوصاياه . وبذلك يبرهنون على حبّهم له . وعندئذ يرضى عنهم ، ويحبهم هو ، ويحبهم أبوه السماوى الذى هو متحد به اتحادًا كاملاً ، ويأتى مع أبيه السماوىّ إليهم بروحه القدّوس ويقيم فيهم إقامة دائمة ، فيحيا هو فيهم ، ويحيون هُمْ فيه وبه حياة مقدّسة ممتلئة بالنعمة والبركة والصلاح والبرّ والسعادة الرّوحيّة السامية ، والسلام الداخلّى العميق ، فلا يفتأون يرونه بأرواحهم ظاهرًا لهم لأنه يقيم فيهم ومعهم . . وأما الذين لا يحفظون كلامه أو لا يعملون بوصاياه ، فإنهم يبرهنون بذلك على أنهم لا يحبّونه ، فلا يرضى هو عنهم ولا يحبّهم ولا يأتيهم ولا يقيم فيهم . ومن ثَمَّ لا يرونه ظاهرًا لهم ، لأنهم بعيدون عنه فهو بعيد عنهم ، وبالتالى فإنهم بعيدون عن الله الآب ، فهو بعيد عنهم ، لأن الكلام الذى يسمعونه من مخلّصنا ليس كلامه هو وحده ، وإنما هو فى نفس الوقت كلام الآب السماوى الذى أرسله ، والذى هو متحد اتحادًا كاملاً به .

وإذ كان هذا الكلام الذى قاله مخلِّصنا لتلاميذه كلامًا روحيًّا سماويًّا أعلى وأعمق من أن يستطيعوا فهمه بعقولهم المحدودة البسيطة التىمازالت لا تفهم إلا الجسديات والأرضيات ، وَعَدَهم مخلّصنا بأنهم لن يلبثوا بعد صعوده عنهم أن يمنحهم الفهم الكامل لذلك الكلام الغامض اليوم عليهم ، إذ قال لهم : « وقد قلت لكم هذا وأنا مقيم بينكم ، حتى إذا جاء المعزّى ، وهو الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى سيعلّمكم كلَّ شىء ويذكّركم بكل ما قلته لكم » ، أى أنه أودع لديهم وصاياه وهو لا يزال بالجسد بينهم ، لكى يحفظوها

ويحتفظوا بها وإن لم يفهموها . ثم بعد أن يرتفع عنهم إلى السماء سيرسل إليهم روح القدس ليحلّ عليهم ويملؤهم بالمواهب الإلهية التى سيتمكنون بها من أن يتذكّروا كلّ كلامه الذى قاله لهم فى أثناء وجوده على الأرض معهم ، وأن يفهموا الفهم الكامل كلّ مالم يكونوا يستطيعون فهمه من ذلك الكلام السماوىّ السامى على أفهام البشّر.

۱٤ : ۲۷

وبعد أن أوصى مخلِّصنا تلاميذه بأن يحفظوا وصاياه ويحافظوا عليها ويعملوا بها ، ليبرهنوا بذلك على حبّهم له ، ووَعدَهم بالمكافأة التى يستحقونها لذلك ، وهى أنه عندئذ سيحبّهم كما يحبّونه ، وبالتالى يحبهم أبوه السماوّى أيضًا ، أعطاهم وعدًا آخر لا يقلّ عن ذلك الوعد جمالاً ولا جلالاً ، ولا مجالاً للبهجة والفرح والمجد والفخار ، إذ قال لهم : « سلامى أترك لكم . سلامى أنا أعطيكم . ليس كما يُعطى العالم أعطيكم أنا . لا تضطرب قلوبكم ولاتجزع » ، فهو إذ يحبهم ويكون فيهم ، ويملأ بالنعمة الإلهية قلوبهم ، سيملأ قلوبهم بشعور آخر سيكونون أحوج مايكونون إليه فيما سيلاقون – بعد مفارقته لهم بالجسد – من المتاعب والمصاعب والمصائب والضيقات والاضطهادات ، وهو شعور السلام الذى سيمحو من قلوبهم كل اضطراب وكل جزع ، وهو أعظم وأعمق وأنقى وأبقى من السلام الدنيوى الذى يعطيه العالم لأبنائه بما يمنحهم من امتيازات جسديّة ماديّة تنحصر فى المال والمنصب والجاه وكل المباهج الزائفة الزائلة التى كانوا هم يتطلعون إليها بما يعقدون عليه من آمال فى مملكته التى يتوهمون أنه سيقيمها على الأرض ، لأن السلام الذى يتركه لهم هو ويعطيهم إياه فى أثناء حياتهم الأرضية سلام روحى سماوى هو نفس السلام الذى تنعم به الأرواح فى السماء ، وهو يفوق بغير حدود كل مايمكن أن يتصوّره إنسان أو يتخيَّله أو يشتهيه أو يأمل فيه

على الأرض . فَهُم بذلك السلام الروّحى السماوىّ ، حين تلاقيهم المتاعب يشعرون بالرّاحة . وحين تصادفهم المصاعب يشعرون بالأمان . وحين تصيبهم المصائب يشعرون بالاطمئنان ، وحين تحيط بهم الضيقات يشعرون بالرجاء ، وحين تشتدّ عليهم وطأة الاضطهادات يشعرون بالعزاء ، وحتى حين يسوقهم أعداؤهم إلى الموت بسبب إيمانهم يشعرون بالبهجة والفرح والاستبشار والفخار ، لأنهم عندئذ يدركون أنهم بما بذلوا من الجهد والجهاد قد استحقوا إكليل الاستشهاد وكل أمجاد السماء . فياله من سلام سماوىّ ذلك الذى أعطاه إياهم معلّمهم لا يمكن أن ينال نعمته أو يستحق عطيته من أبناء الدنيا إلا الأبرار والأطهار والقديسون والشهداء .

١٤ : ٢٨ و ٢٩

ثم عاد مخلّصنا بعد ذلك يشرح ويوضح لتلاميذه تلك الحقيقة التى سبق له أن قرّرها لهم فأزعجتهم وأربكتهم وحيّرتهم ، وهى أنه بعد ساعات قليلة سيذهب عنهم ويتركهم ، وإن كان قد وعدهم بأنه سيعود فيجىء بعد ذلك ثانية إليهم ، فقال لهم كى يعزيهم ويطمئنهم : « قد سمعتم قولى إننى سأذهب ثم أجىء ثانية إليكم ، فلو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بأنى سأذهب إلى أبى . لأن أبى أعظم منى ، وقد قلت لكم ذلك الآن قبل أن يكون ، حتى تؤمنوا متى كان » . وهو بهذا القول إنما يقرّر ويكرّر لهم ماسبق أن صارحهم به مرارًا وتكرارًا عن حقيقة طبيعته الإلهية التى ظلوا حتى هذه اللحظة لا يفهمونها كل الفهم ولا تستطيع أن ترتفع إليها عقولهم القاصرة القصيرة المدَى . لأنه إذ قال إنه سيذهب عنهم ، كان يعنى بذلك أنه سيغادرهم بالجسد فقط بعد أن يتمّ رسالة الفداء التى جاء من أجلها إلى العالم ، ثم ينطلق بعد ذلك إلى أبيه السماوى ، فيختفى عنهم بجسد ناسوته ، ولكنه سيعود إليهم بقوة لاهوته . فلو كانوا يحبّونه

حقًّا ويدركون هذه الحقيقة العميقة المعنى التى ظل يلقنهم إياها طوال فترة وجوده معهم وتعليمه إياهم ، لكانوا يفرحون لأنه سيحقق بذهابه إلى الآب ذلك التعليم الذى لقّنه إياهم ، فيؤمنون بأَنه هو حقًّا ابن الله الآب . وأنه إن كان سيذهب عنهم فإنما ليذهب إلى أبيه ، لأن مجد لاهوت الآب الذى هو متحد به ومشارك له فى مجد لاهوته ، أعظم من تواضع جسد ناسوته الذى ظهر مخلِّصنا به لهم وللعالم كلّه . ليكفّر فى هذا الجسد عن خطاياهم .

وإذ قال مخلِّصنا لتلاميذه فى عبارته السابقة « لأن أبى أعظم منى » إستغل أريوس هذه العبارة ، كما يستغلها أتباع مذهب « شهود يهوه » ، الذى يُطلق عليه مذهب « الأريوسية الجديدة » ، فى الزعم بأن المسيح ، وهو الابن ، أقلّ من الله الآب ، وبالتالى فهو فى زعمهم مخلوق . مع أنه من الواضح أن المسيح له المجد – وقد كان فى مجال التهدئة والتعزية لتلاميذه عن مفارقته لهم بالصعود إلى السماء – أراد أن يبين لهم أن مفارقته لهم خير له ، لأنه بمجيئه إلى العالم قد أخلى ذاته من صورة الرب ، وأخذ شكل العبد (فيلبى ٢ : ٦ و ٧) . فهو بصعوده إلى السماء يستردّ المجد الذى كان له قبل كون العالم (يوحنا ١٧ : ٥) . والذى أخلى ذاته منه عندما تجسَّدَ ولبس صورة الهوان . لذلك يجب أن يفرحوا بعودته إلى السماء لا أن يحزنوا ، إن كانوا حقًّا يحبونه . والدليل على أن هذا هو المعنى المقصود ، هو قوله « لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بأنى سأذهب إلى أبى . لأن أبى أعظم منى » ، وإذن فالمقصود هو بيان أن « حالة » الآب فى المجد « أعظم » من « حالة » الابن وهو على الأرض ، لأن الابن لبس صورة الهوان بتجسده وصلبه ومالحقه على الأرض من إهانات وشتائم وصفع وضرب وصلب . فالآب « أعظم » من الابن لا فى الجوهر ، وإنما فى حالة « الهوان » التى قبلها بتجسّده . ومثل هذا التعبير مألوف فى لغة البشَر حين يشار إلى المفارقة بين

شخص وآخر فى منصبه أو عمله . فإذا قيل مثلاً إن فلانًا « أعظم » من فلان ، فليس بمعنى أنه يفوقه فى طبيعته الإنسانية ، إذ هو « إنسان » مثله فى كل ما للإنسان من صفات ، ولكنه أعظم منه « حالةً » . هكذا الأمر بالنسبة لله « الآب » إذ هو أعظم من الله الابن ، لا فى جوهر الألوهية ، وإنما فى الحالة التى صار إليها المسيح بتجسده .

وقد قال مخلِّصنا ذلك الذى قاله لتلاميذه مقدَّما قبل أن يحدث بالفعل . حتى إذا حدث تحققوا أنه كان صادقًا فى كل ماأنبأهم وتنبأ به لهم ، فيرسخ إيمانهم بأنه هو حقًا ابن الله ، وانه هو نفسه الله الظاهر فى الجسد . وهذا هو ماحدث بالفعل . فكان إيمانهم الراسخ بمعلّمهم هو النور الذى ساروا على هداه فى كلِّ سيرتهم وفى كل جهد وجهاد بذلوه حين انطلقوا بعد قيامة معلّمهم وصعوده إلى السماء ليبشروا به العالم كلّه عملاً بوصيته الأخيرة حين قال لهم « فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلّموهم أن يحفظوا ماأوصيتكم به » (متى ٢٨ : ٢٠) .

١٤ : ٣٠ و٣١

وأخيرًا قال مخلِّصنا لتلاميذه : « لا أقول لكم بعدُ كلامًا كثيرًا ، لأن رئيس هذا العالم يأتى ولا يملك شيئًا فىَّ . لكن لكى يعرف العالم أنى أُحِبُّ أبى ، وأنى أعمل ما أوصانى به أبى . قوموا ننطلق من هنا » . فقد أعطى مخلّصنا تلاميذه كلّ الوصايا التى يريدهم ان يحفظوها ويحافظوا عليها . ولم يعد ثمة مجال لكلام أكثر يقوله لهم ، لأنه لم يعد ثمة مجال للكلام . وإنما حانت ساعة العمل الذى جاء إلى الأرض لينجزه ، وهى أن يموت على الصليب تكفيرًا عن خطايا البشَر ليفديهم ويحقق خلاصهم ، فيصالحهم مع الله الذى سبق لهم أن خالفوه وتمردوا على وصاياه فاستحقوا الموت بمقتضى العدل الإلهى . ولكنه إذ يموت على الصليب

لا يكون موته بسلطان من الشيطان الذى إذ سيطر بشروره على العالم أصبح رئيس هذا العالم ، وهو ذاته « إبليس » الذى وصف بأنه التنين ، أو الحيَّة القديمة (الرؤيا ٢٠ : ٢) ، والذى أُسقط من السماء ، فى حرب بينه وبين ميخائيل رئيس الملائكة ، عندما تمرّد ذلك الشيطان على الله الذى خلقه ، فغضب عليه (الرؤيا ١٢ : ٧ – ١٢) ، فصار الشيطان بعد أن نزل إلى الأرض « رئيس هذا العالم » . ولقد كرر المسيح له المجد تلقيب الشيطان برئيس العالم فى مواضع أخرى (انظر يوحنا ١٢ :٣١) ؛ (يوحنا ١٦ : ١١) . لن يكون موت مخلِّصنا بسلطان الشيطان وإن كان رئيس هذا العالم ، وإنما سيكون موت مخلِّصنا بسلطانه هو ، وبإرادته هو ، وبرضائه هو . لأن الشيطان لا يسيطر إلا على الخطاة ، ومِنْ ثَمَّ يؤدى بهم إلى الموت . وأما مخلِّصنا – وإن كان وهو ابن الله قد تأنسَ واتخذ جسد إنسان – فإنه لم يرتكب خطيئة أبدًا تجعل الشيطان يملك عليه أو يملك فيه شيئًا . وقد سبق أن قرّر هو نفسه ذلك إذ قال لليهود « مَنْ يستطيع أن يُثبت علىَّ خطيئة ؟ » (يوحنا ٨ : ٤٦) . ففضلاً عن أنه كان هو الإله الكامل ، كان فى نفس الوقت هو الإنسان الكامل . وكان كماله بناسوته يتضمَّن القداسة والطهارة والعفة والخير والبِرّ وكل الصفات التى تنفى عنه أىّ صورة من صور الخطيئة ، أو أى ظل لها مهما يكن ضئيلاً . كان كالصفحة البيضاء الناصعة البياض نصاعة كاملة ، أو كان كالثياب التى رآه تلاميذه متجليًا بها على جبل التجلِّى ، والتى يصفها الإنجيل فيقول إنها « متألقة ناصعة البياض كالثلج ، حتى ليعجز أى قصَّار على الأرض عن أن يجعلها فى مثل بياضها » (مرقس ٩ : ٢) . فهو إذن لن يموت على الصليب خضوعًا لإرادة الشيطان الذى يخضع له العالم كله ، وإنما يموت بإرادته هو تنفيذًا لمشيئة أبيه بدافع من حبه له ومن اتحاده به ومشاركته إياه فى مشيئته التى اتجهت إلى خلاص البشَر بتلك الوسيلة التى لم يكن هذا الخلاص ممكنًا إلاَّ بها . فهو بلاهوته ارتضى أن

يموت بهذه الوسيلة بمشيئة أبيه التى هى فى نفس الوقت مشيئته هو. كما أنه بناسوته ارتضى أن يموت بهذه الوسيلة ، لأنَّ تلك هى وصية أبيه السماوىّ له ، ولأنه يعمل دائمًا بما يوصيه به فكان ذلك برهانًا على اتحاد مشيئة اللاهوت والناسوت فى مخلِّصنا اتحادًا كاملاً .

وإذ كان فى تلك اللحظة قد حان الوقت المحدّد فى الترتيب الإلهى ليبدأ مخلِّصنا السير فى طريقه نحو الصليب ، قال لتلاميذه : « قوموا ننطلق من هنا » ، لأنه إذ كان يعلم أنَّ أعداءه من رؤساء اليهود فى طريقهم عندئذ إليه ليمسكوه ويصلبوه فيموت على الصليب ، لم ينتظر الموت ليأتى إليه ، وإنما سار هو نحوه بقدميه فى شجاعة وشهامة ، وبمحض إرادته ومشيئته ، بل بمقتضى رضاه ومسرّته ، ومسرّة أبيه السماوى الذى هو متّحد به . وقد سبق أن أعلن أبوه السماوىّ سروره به لأنه يفعل ذلك ، إذ يقول الإنجيل إنه بعد أن اعتمد مخلِّصنا من يوحنا المعمدان .. « إذا صوت يجيء من السماء قائلاً : هذا هو ابنى حبيبى الذى به سُررت » (متى ٣ : ١٧) . (مرقس ١ : ١١) . (لوقا ٣ : ٢٢) . كما يقول إنه فى وقت تجلّيه على الجبل أمام تلاميذه بطرس ويعقوب ويوحنا .. « إذا سحابة من نور غمرتهم . وإذا صوت من السحابة يقول : هذا هو ابنى حبيبى الذى به سُررت . فله اسمعوا » (متى ١٧ : ٥) .



الفصل الخامس عشر

١٥ : ١ - ١١

وبعد ذلك خرج مخلِّصنا مع تلاميذه من القاعة العليا التى كانت فى بيت مرقس الرسول ، والتى أكَلَ فيها مخلِّصنا معهم الفصح ، ثم ناولهم العشاء الربانى ،وساروا تحت جنح الظلام فى شوارع أورشليم متجهين إلى بستان جثسيمانى الذى اعتاد - له المجد - أن يعتزل معهم فيه ، وهو يقع شرقى أورشليم فيما وراء وادى قدرون بالقرب من سفح جبل الزيتون . وفيما هم سائرون واصل مخلِّصنا كلماته الوداعية ، ووصاياه الأخيرة لتلاميذه ، فقال لهم « أنا هو الكرمة الحقيقية وأبى هو الكرّام . كلّ غصن فيَّ لا يأتى بثمر ينزعه ، وكل غصن مثمر ينقيه ليأتى بثمر أكثر . أنتم الآن أنقياء بتأثير الكلام الذى كلمتكم به . اثبتوا فيَّ كما أنا أيضًا فيكم . فكما أن الغصن لا يمكنه أن يأتى بثمر من ذاته وحده إن لم يَثْبُت فى الكرمة ، هكذا أنتم لا يمكنكم أن تأتوا بثمر إن لم تثبتوا فيَّ . أنا الكرمة وأنتم الأغصان . فالذى يثبُت فيَّ وأنا فيه يأتى بثمر كثير . لأنكم بدونى لا تستطيعون أن تفعلوا شيئًا . وأما الذى لا يَثبُت فِيَّ فيُطرح خارجًا كالغصن فيجفّ . فيجمعونه ويطرحونه فى النار فيحترق . إن أنتم ثَبَتُّم فِيَّ وثبت كلامى فيكم . تطلبوا ماتشاءون فيكون لكم . بهذا يتمجّد أبى أن تأتوا بثمر كثير . فتكونوا تلاميذى . كما أحبنى أبى هكذا أحببتكم أنا فاثبتوا فى محبتى . إن حفظتم وصاياى ثبتُّم فى محبتى . كما أنا حفظت وصايا أبى وثبتُّ فى محبته . قد كلمتكم بهذا ليكون فَرحى فيكم وليكتمل فرحكم » .

وقد وصف مخلّصنا نفسه بأنه هو الكرمة الحقيقية ، لأن الكرمة هى رمز لكل مايعطى ثمارًا وفيرة ونافعة لبنى البشر. وهى رمز لكل نعمة ولكلّ بَركة يمنحها الله إياهم . بيد أن الكرمة هى نبات أرضىّ ومادىّ ، فهى لا تعطى إلا ثمارًا نافعة للجسد الأرضىّ المادىّ للإنسان ، ونعمتها وبركتها مقصورة على حياته الأرضية المادية المؤقتة . وأما مخلّصنا فهو الكرمة الحقيقية التى ليست الكرمة النباتية إلا رمزًا لها ، لأنه هو الذى يمنح الثمار والأنعم والبركات السمائية الروحيَّة التى بها يحيا الإنسان حياة سمائية روحيَّة أبدية وخالدة ، لا تموت بموت الجَسَد ، وإنما يحيا الإنسان بها إلى الأبد . كما أنّ الذى يغرس الكرمة الأرضية المادية ويرعاها هو الإنسان بجسده الأرضى الفانى . وأما المصدر والراعى للكرمة الروحية التى تمنح كلَّ ثمرة وكل نعمة وكل بركة سمائية روحيّة فهو الله الآب الأزلى الأبدى نفسه . وكل غصن فى الكرمة الحقيقية التى هى المسيح ابن الله لا يأتى بثمر ينتزعه الله الآب شأن كلّ كرّام أمين يرعى كرمه . إذ ينتزع كل غصن فى الكرمة لا يأتى بثمر ، لأنه لا خير فيه ولا جدوى منه ، فى حين أنه يأخذ من عصارة الكرمة ما هو أحرى بأن تتغذّى به الأغصان الأخرى المثمرة . والمقصود بالأغصان غير المثمرة هنا هُم بنو الإنسان الذين يعتبرهم مخلّصنا أعضاء فى جسده ، كما أن الأغصان هى أعضاء فى جسد الكرمة . فالإنسان الذى يبرهن بسلوكه فى الحياة – بالرغم من أنه متصل بالمسيح – على أنه لا يستفيد بهذا الاتصال كى يثمر أعمالاً صالحة هى بمثابة الثمار الجيّدة فى أغصان الكرمة ، ينتزعه الله الآب من جسد المسيح ويلقى به بعيدًا باعتباره غصنًا عقيمًا لا خير فيه ولا جدوى منه . والأحرَى أن يفسح مكانه لغيره من الناس ذوى الثمار الجيّدة والأعمال الصالحة كى يزدادوا جودة وصلاحًا . وكما أنّ الكرّام إذا وَجد فى كرمته غصنًا مثمرًا ينقّيه ممّا به من شوائب من شأنها أن تنتقص من ثماره ، أو تنتقص من جودة هذه الثمار ، هكذا يفعل الله الآب بكل إنسان ذى ثمار جيدة وأعمالٍ

صالحة . فإنه لا يفتأ يهذِّبه ويؤدِّبه ويجرِّبه لينزع مابه مما عساه أن ينتقص من ثماره الجيدة وأعماله الصالحة ، أو ينتقص من جودة تلك الثمار أو صلاح تلك الأعمال ، لأن الله الآب فى حكمة تدبيره للكائنات قد شاءت إرادته أن يطهّرها من كُلّ شرٍّ وكلّ ضعف وكلّ عقم ، وأن يدفع بها على الدوام فى سبيل الخير والطهر والقوة والنماء والازدهار حتى يصل بها آخر الأمر إلى الكمال المطلق الذى هو خليق بماله هو ذاته من كمالٍ مطلق .

وقد قّرر مخلِّصنا لتلاميذه أنهم أصبحوا فى غير حاجة لأن ينقّيهم الله الآب ، لأنهم بفعل كلامه الذى كلمهم به وتعليمه لهم وتقويمه لسلوكهم وأفعالهم وأفكارهم – على مدى ثلاث سنوات وستة أشهر – أصبحوا أنقياء ، كما ينبغى أن يكون النقاء . بيد أن عليهم كى يستمرّوا فى نقائهم أن يثبُتوا فيه ويوثّقوا اتصالهم به ، بالقدر الذى وثّق هو اتصاله بهم . لأنه كما أن الغصن لا يمكن أن يأتى بثمر من ذاته وحده إن لم يَثْبت فى الكرمة ليستمد منها غذاءه وحياته ليمكنه بذلك أن يثمر ، هكذا هُم لا يمكنهم أن يأتوا بثمر جيد وأن يعملوا أعمالاً صالحة تليق بتلاميذ معلّمهم الذى هو مصدر كلّ صلاح ، إن لم يثبتوا فيه بأن يؤمنوا به إيمانًا عميقًا صادقًا ويفنوا ذواتهم فيه بحيث يحيون له وبه وفيه ، عاملين بتعاليمه ووصاياه ، وغير متراجعين أو متضعضعين أو ضعفاء فى وجه كل عناء أو إغراء ، ومهما كابدوا فى سبيل ذلك من عنت أو عسف أو عداء أو اعتداء . لأنه – له المجد – هو الكرمة الحقيقية مصدر كل خير وكل ثمر وكل نعمة وكل قدرة وكل سلطان . وتلاميذه والمؤمنون به جميعًا هم الأعضاء التى تستمد من الكرمة كل حياتها . لأنهم منه يستمدون الخير والثمر والنعمة والبركة والقدرة والسلطان . فإن ثبتوا فيه ووثقوا اتصالهم به كما وثّق هو اتصاله بهم ، فإن شأنهم يكون شأن الأغصان التى تثبت فى الكرمة وتتشبث بها فتأتى بثمر كثير ، لأنهم بذلك يثمرون

كل عملٍ صالح وينالون كل تلك العطايا وتكون لهم كل تلك القدرات . وأما بدونه فلا ينالون شيئًا ولا يستطيعون شيئًا . وأما الذى لا يثبُت فى السيد المسيح ولا يوثِّق اتصاله به ، وإنما يبتعد عنه ويترك نفسه فى مهب رياح الأخطاء والخطايا والشهوات والنزوات والشرور والآثام ، فإن الله ينزعه بعيدًا ويطرحه خارجًا كالغصن غير المثمر . فتجفّ فيه الحياة كما تجفّ الأغصان المنزوعة من الكرمة . وكما يحدث للأغصان الجافة إذ يطرحها الكّرام خارج الكرم لتكون وقودًا للنار ، هكذا يطرحه ملائكة الله فى النار ، فيكون مصيره الهلاك الأبدىّ خارج ملكوت الله الذى أعدّه للصدّيقين والأطهار والأبرار .

وقد أعطى مخلِّصنا تلاميذه وكل المؤمنين به وعدًا بأنهم إن ثبتوا فيه وآمنوا به وحفظوا كلامه واحتفظوا بوصاياه وحافظوا عليها وعملوا بمقتضاها بحيث تكون أساسًا لحياتهم ونبراسًا لهم فى كلِّ أعمالهم وأقوالهم ، فإنه يستجيب لهم فى كل ما يطلبون ، ولو طلبوا المعجزات ، لأنه يمنحهم من سلطانه الإلّهى سلطانًا ، ومن قدرته السمائية قدرة ، ومن نعمته اللانهائية زادًا لا يفنى ولا ينضب إلى الأبد . وهم إذ يثبتون فى ابن الله ويوثِّقون اتصالهم به ويحيون فيه وله وبواسطته ، وإذ يأتون نتيجة لذلك بثمر كثير يتمثل فى أعمالهم الصالحة لخير أنفسهم ولخير البشرية كلها ، فإنما يظهرون بالمظهر الذى يرضى عنه الله الآب ، ويرضى عنه الناس فيمجدون بسببه الله الآب ، أبا ربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح . وهُم بذلك يبرهنون على أنهم حقًّا تلاميذ مخلِّصنا . كما أنهم بذلك يستحقون أن يكونوا بالحق تلاميذه .

وقد رسم له المجد لتلاميذه ولكل المؤمنين به الطريق لأن يكونوا حقًا تلاميذه ، وهو أن يحبّوه وأن يثبتوا فى محبته بحيث يحيون فيه كما يحيا هو فيهم ، لأنه كما أحبه أبوه السماوىّ حبًّا يفوق خيال البشَر ، إذ هو حب الجوهر الإلهى

لذات جوهره، الكائن فيه والمتّحد به اتحادًا يتوحد فيه المحب بالمحبوب، فيكونان ذاتًا واحدة وكيانًا واحدًا، هكذا وإلى هذا المَدى أَحبَّ الفادى تلاميذه حبًّا بلغ من قوته وعمقه أنه جعلهم معه فى اتحاد كامل، يحيا هو فيهم ويحيون هُمْ فيه ومعه وبه وله. فليظلوا إذن كى يستحقوا أن يكونوا تلاميذه ثابتين فى محبته. وذلك بأن يحفظوا وصاياه ويعملوا بها، مثلما حفظ هو وصايا أبيه السماوىّ فثبت فى محبته. وقد قرّر له المجد أنه إنما كلّمهم بهذا كى يكون فيهم الفرح الذى فيه هو، ذلك الفرح الروحى السماوى الذى لا يمكن أن تصل إلى مداه أو إلى ذرّة منه كل الأفراح الجسدية التى يعرفها أبناء الأرض. لأن ذلك الفَرح الروُّحى هو الفرح الكامل الذى لن تكتمل أفراح التلاميذ والمؤمنين جميعًا إلا به، إذ أنه هو الفرح الحقيقى الأبدى الذى لا يُعدُّ الفرح الأرضى بالنسبة إليه إلا فرحًا زائفًا زائلاً سرعان مايتلاشى ويختفى كأنه السحاب أو السّراب.

١٥ : ١٢ - ١٧

وواصل مخلّصنا وصاياه لتلاميذه قائلاً: « هذه هى وصيتى أن تحبّوا بعضكم بعضًا كما أُحببتكم أنا. مامن حُبٌّ أعظم من أن يبذل أحد نفسه عن أحبّائه، وأنتم تكونون أحبّائى إن عملتم بما أوصيكم به. لا أدعوكم عبيدًا بعد، لأنَّ العبد لا يعلم بما يعمل سيّده وأما أنتم فقد دعوتكم أحبّاء لأننى عرّفتكم بكل ماسمعته من أبى. لستم أنتم الذين اخترتمونى. وإنما أنا الذى اخترتكم وعينتكم لتنطلقوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم، كى يعطيكم الآب كلّ ماتطلبونه باسمى. بهذا أوصيكم: أن تحبّوا بعضكم بعضًا »

فقد عَدَّ مخلّصنا أنّ أوّل وأهم وأعظم وصية يتركها لتلاميذه قبل أن يغادرهم منطلقًا إلى السماء هى وصية المحبّة. تلك الوصية التى هى جوهر الديانة المسيحية

كلّها ، بل إنها هى الأساس الذى تقوم عليه الخليقة كلّها وتسعد وتأمن من كلّ شرٍّ وكل فساد ، وبدونها تنهار تلك الخليقة وتشقى وتقع فى براثن الشرور والآثام ، وتغدو فريسة الهلاك والانحلال والعدم . ومِن ثَمَّ أوصاهم بأن يحبوا بعضهم بعضا ، وأوصى البشَر جميعًا من خلالهم ومن بعدهم إلى آخر الزمان أن يحبوا بعضُهم بعضًا ، كما أحبّهم هو ذلك الحب الكامل الذى ليس لكماله حدود وليس لمداه نهاية وليس بعده غاية ، وليس لعظمته شبيه ولا مثيل يمكن أن يخطر بالبال أو يصل إليه أى تفكير أو شعور أو خيال ، لأنه الحب الذى يصل إلى الحدّ الذى يضحِّى من أجله المحبُّ نفسه فى سبيل محبوبه ، ويموت فداء عنه . كما تنبأ هو بأنه سيفعل . وكما فَعَل بالفعل بعد ساعات قليلة ، إذ بذَل نفسه على الصليب فداء عن البشَر وتكفيرًا عن خطاياهم لينالوا به الخلاصَ من الهلاك المحكوم به من العدالة الإلهية عليهم بسبب شرورهم وآثامهم . فإنْ عَمِلَ تلاميذه وكل المؤمنين به بوصيته تلك وأحبوا بعضهم بعضًا كما أحبّهم هو ، برهنوا بذلك على أنهم أحبَّاؤه ، إذ يبادلونه حبًّا بِحُبّ ، وبذلاً ببذل ، وتضحية بتضحية . وقد دعاهم أحبَّاءه وهم البشَر المتواضعون الضعفاء وهو الإله العظيم القوى الذى لا نهاية لعظمته وقوته ، والذى يملأ بعظمته وقوته الكون كله والخليقة كلها . فلم يعودوا كما كانوا مِن قبل عبيدًا يستعبدهم الشيطان ومن ثم يستعبدهم الشر الذى يتَّصف به الشيطان ، بل لم يعودوا عبيدًا لله نفسه الذى كانوا من قبل يعتقدون أنه إله قاسٍ عليهم ، فكانوا لا يعبدونه إلا اتّقاءً لقسوته وإنما أصبحوا بالفداء الذى صنعه المسيح لهم أبناء له وأحباء له ، يتجهون إليه إذ يعبدونه اتجاه الأبناء إلى أبيهم ، ويحبّونه حب الأحبّاء لحبيبهم . وياله من فارق عظيم وشاسع بين العبد لسيّده ، وبين الابن لأبيه والمحبّ لحبيبه . فالعبد لا يعلم بما يعمله سيده ، لأن سيّده يخفى عنه تفكيره وتدبيره ويطلب منه أن يأتمر بأمره فى طاعة عمياء دون فهم أو استفهام ، كما تأتمر الدابة بأمر قائدها فى سكون ومسكنة واستسلام . وأما

الابن الحبيب إلى أبيه فإن أباه لا يأمره بأمر أوينهاه عن أمرٍ إلا وهو يصارحه ويوضح له الحكمة فيما يأمره به أو ينهاه عنه ، بدافع من محبته له ، ورغبته فى كل مافيه مصلحته وخيره وسلامه وسلامته . وقد فَعَل مخلّصنا له المجد ذلك مع تلاميذه . فلم يَعد يدعوهم عبيدًا وإنما دعاهُم أحبّاء لأنه صارحهم وأوضح لهم كلّ التدابير التى سمعها من أبيه السماوىّ ، والتى هى فى نفس الوقت تدابيره هو ، لأنه هو ابن الآب ، ولأنه قائم فى حضنه منذ الأزل وإلى الأبد ، وهو فى وحدة كاملة معه . فتدابير الله الآب هى فى نفس الوقت تدابيره هو ، وتدابيره هو هى فى نفس الوقت تدابير الله الآب . وقد أفضى بتلك التدابير الإلهية إلى تلاميذه وإلى كلّ الذين آمنوا به ، كما أفضى بها عن طريقهم إلى كل الذين سيؤمنون به حتى آخر الزمان ، باعتبارهم أبناءه وأحباءه . ومخلّصنا له المجد هو الذى اختار تلاميذه من بين كلّ اليهود ، لأنه وجد فيهم الأرض الطيبة التى يغرس فيها بذور تعاليمه فتنمو وتأتى بثمر . ولم يكونوا هم الذين اختاروه ، لأنهم لم يكونوا يعرفون حقيقة شخصيته قبل أن يعلنها لهم . كما أنه هو الذى يختار كل الذين يعلم أنهم أرض طيبة لغراسه فى كل مكان وزمان ، ليؤمنوا به وينضموا إلى صفوف تلاميذه ، لأنهم بدون اختياره لهم وإضاءته لقلوبهم ، وإزالته للغشاوة الماديّة الأرضية التى تنسدل على أبصارهم وبصائرهم ، لا يمكنهم أن يتساموا إلى إدراك عظمة مجد لاهوته التى يحجبها عن عيونهم وعقولهم تواضع جَسَد ناسوته . وهو إذ اختار تلاميذه ، وإذ يختار من بعدهم كل الذين يؤمنون به من البشَر فى كل أقطار الأرض وعلى مدَى الدهور ، قد حدّد لهم رسالة يؤدونها ، وهى أن ينطلقوا ليفتحوا باب الإيمان لكلّ الذين لم تبلغهم بعد دعوة الإيمان ، وليأخذوا بيد كل الذين بلغتهم دعوة الإيمان فلم يفهموها كى يفهموها ، وكل الذين لم يقبلوها كى يقبلوها ، وكل الناكرين والمكابرين وذوى العقول المظلمة والقلوب الغليظة ، كى يكفّوا عن نكرانهم ، ويتوقفوا عن مكابرتهم ، ويفتحوا على النور

عقولهم ، ويغمروا بفيض الإيمان قلوبهم . وبذلك يسقى تلاميذُ المسيح والمؤمنون به شجرة البشرية المجدبة غير ذات الثمر فتثمر ويتكاثر ثمرها ، كما تثمر تلك الشجرة ويتكاثر ثمرها بأعمالهم الصالحة التى هى فى ذاتها ثمرة التعاليم والوصايا التى تلقّوها من معلّمهم الصالح وفاديهم الحبيب ، ولا سيما تلك الوصية العظمى التى يوصيهم بها الآن ، وهى أن يحبّوا بعضهم بعضًا ، حتى إذا أتوا بتلك الثمار وتكاثرت ودام تكاثرها فلم تجفّ أوتتناقص أوتنضب يرضَى عنهم الله الآب ،كما يرضى عنهم الابن الذى هو فى كيانٍ واحد مع الآب . فكلّ مايطلبونه من الآب باسم الابن ، ينالونه مكافأة لهم واعترافًا ببنوَّتهم له وحبّهم إياه ، وبأبوَّته لهم وحبِّه إياهم . وإذ كانت وصيَّة مخلِّصنا لتلاميذه ولكلّ المؤمنين به بأن يحبوا بعضهم بعضًا هى الوصية الأعظم والأهمّ بين كلِّ الوصايا ، وهى التى ينطوى تحتها كل ماعداها من الوصايا الأخرى ، قد كررّها مخلِّصنا ، مؤكدًا لها ، مشدّدًا عليها ، مردّدًا ماتنطوى عليه من عظمة وأهمِّية ، إذ قال لهم : « بهذا أوصيكم : أن تحبوا بعضكم بعضًا » . لان أصدق وأعمق وصف لله هو القائل إن « الله محبة »

١٥ : ١٨ - ٢٧

وإذ كان مخلِّصنا سيغادر تلاميذه بعد لحظات قليلة ، إذ يقبض اليهود عليه ويقتلونه ، شاءت رحمته أن يشجع تلاميذه كى يتحملوا ماسيتعرضون له من شدائد وضيقات فقال لهم « إن كان العالم يبغضكم ، فاعلموا أنه أبغضنى قبل أن يبغضكم . لو كنتم من العالم ، لكان العالم يحبّ الذين منه ، ولكن لأنكم لستم من العالَم ، وإنما أنا اخترتكم من العالم ، فلذلك يبغضكم العالم . تذكَّروا الكلام الذى كلمتكمْ به ، إذ قلت لكم إنه ليس خادم أعظم من سيّده . فإن

كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم أنتم أيضًا . وإن كانوا قد حفظوا كلامى فسيحفظون كلامكم . ولكنهم سيفعلون بكم هذا كله بسبب اسمى ، لأنهم لا يعرفون الذى أرسلنى . لو لم أكن قد جئت وكلّمتهم ، لما كانت لهم خطيئة ، وأما الآن فليس لهم عذر فى خطيئتهم . إنَّ الذى يبغضنى يبغض أبى أيضًا . لو لم أكن قد صنعت بينهم أعمالاً لم يصنعها أحد غيرى ، لما كانت لهم خطيئة . وأما الآن فقد رأونى وأبغضونى أنا وأبى . ولكن هذا قد كان ليتمَّ المكتوب فى شريعتهم أنهم أبغضونى بلا سبب . ومتى جاء المعزّى الذى سأرسله أنا إليكم من عند أبى ، روح الحق المنبثق من الآب . فهو يشهد لى . وأنتم أيضًا ستشهدون لى ، لأنكم معى منذ الابتداء » .

فادينا رأفة ورحمة بتلاميذه أراد أن يخفف عنهم هول ما سيعانونه ويكابدونه من اليهود ، فقرر لهم أنَّ هذا الذى سيعانونه ويكابدونه لن يكون مقصورًا عليهم وحدهم ، وإنما سيعانيه ويكابده هو نفسه قبلهم . لأن اليهود الذين هُم من أبناء العالم الذى استولى عليه الشيطان وفرض عليه سيطرته وملأه بشروره ، قد أبغضوا مخلِّصنا قبل أن يبغضوا تلاميذه وما أبغضوا تلاميذه إلا لأنهم أبغضوه هو . وإذ كان هو باختياره لهم وتعليمه إياهم قد أخرجهم من زمرة الأشرار الذين فى العالم ، ورفعهم ليكونوا من أبناء السماء ، فقد أبغضهم أولئك الأشرار الذين فى العالم ، لأن الأشرار لا يحبون إلا الأشرار الذين من جنسهم . أما وقد أصبح تلاميذ المسيح والمؤمنون به – بفعل تعاليمه – غرباء عن هذا العالم الشرير ، ولم يعودوا من أهله ، وإن كان المسيح قد اختارهم من العالم ، فقد أصبح العالم يبغضهم لأنهم بصلاحهم انفصلوا عن شرّه وأشراره . والشر دائمًا يفزع من الخير . والأشرار دائمًا يبتعدون عن الأخيار ويتجنبونهم ويحقدون عليهم ويعملون على هلاكهم والتخلُّص منهم ، لأنهم بما هُمْ عليه من

الخير والصلاح يفضحونهم أمام غيرهم وأمام أنفسهم ، كما يفضح النور خفافيش الظلام . فالخفافيش لا تفتأ تبغض النور وتهرب فزعة منه ومبتعدة عنه .

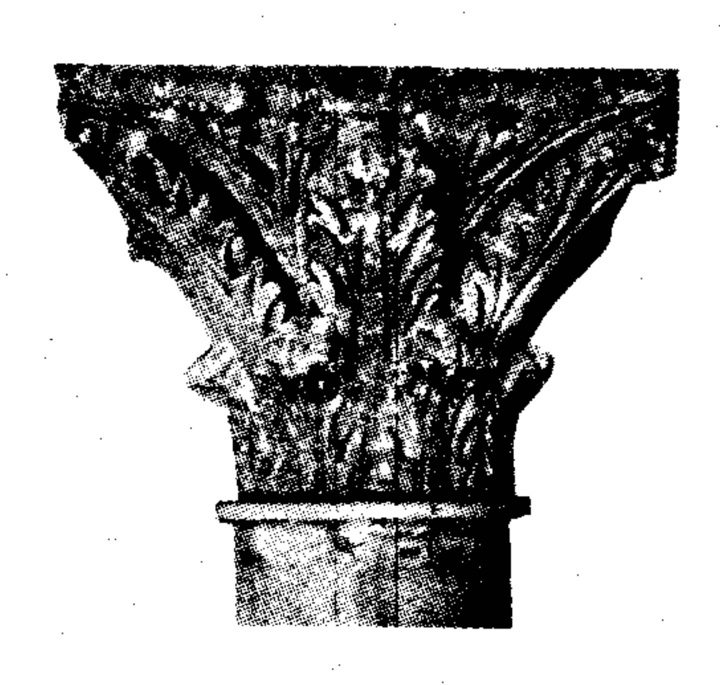
ثم ساق مخلّصنا حجة أخرى يخفف بها عن تلاميذه وقع الآلام التى سيتعرضون لها بعد رحيله بالجسد عنهم ، إذ ذكّرهم بالكلام الذى سبق له أن كلّمهم به حين قال لهم « إنه ليس خادم أعظم من سيّده » . وقد كان يعنى بذلك أنه باعتباره إلههم هو سيّدهم ، وأنهم خُدَّامه الذين يخدمون شخصه الإلهى ويخدمون رسالته السماوية هُم وكلّ الذين يتسلّمون منهم هذه الرسالة على مَدَى الأجيال إلى انتهاء العالم . فإن كان اليهود الذين فى العالم قد اضطهدوه وهو سيّدهم ، فكم بالأحرى سيضطهدونهم هم خُدَّامه . وإن كانوا لم يحفظوا كلامه وهو إلههم ، فكم بالأحرى لن يحفظوا كلامهم . فليكن فى هذا عزاء لتلاميذه ولكلّ المؤمنين به ، لأنهم لئن لم يحفظوا كلامهم ، إنهم لم يحفظوا كلام إلههم قبلهم . ولئن أبغضوهم قد أبغضوا سيّدهم قبلهم . ولئن طردوهم واضطهدوهم وساقوهم إلى المحاكم والسجون ، وساموهم كلّ ألوان التنكيل والتعذيب والقتل بأبشع الوسائل وأشنع الأساليب ، فليكن عزاؤهم أن هذا كله سيحدث لهم بسبب اسم معلّمهم وربّهم وإلههم وحبيبهم يسوع المسيح الذى سيحملون اسمه فيلقبون بالمسيحيين . واليهود إذ يفعلون بهم هذا كله ، إنما يفعلونه لأنهم لا يعلمون حقيقة شخصية المسيح ابن الله ، ولا يعرفون أباه السماوىّ الذى أرسله . وهُم لا يعرفون أباه على الرغم من أنه صارحهم بأنه هو المسيح . فلو لم يكن صارحهم بهذا لكان لهم العذر فى جهلهم ، ولما كانت لهم خطيئة يُحاسبون عليها . أما وقد فعل ذلك فلا عذر لهم فى خطيئتهم ، لأنهم أبغضوه على الرغم من مصارحته لهم بأنه هو ابن الله ، ومِنْ ثَمَّ أبغضوا أباه أيضًا الذى يزعمون أنه إلههم ، لأن الذى يبغض الابن يبغض الآب أيضًا . ولم تكن مصارحته لهم بأنه

ابن الله بغير دليل حتى يكون لهم العذر فى إنكارهم له ، وإنما صنع بينهم –كى يثبت لهم هذه الحقيقة – أعمالاً لم يصنعها أحد غيره قط من البشَر . لأنها أعمال لا يستطيع أن يصنعها إلا الله الواحد وحده . فلو لم يقدّم لهم هذا الدليل ، ولو لم يصنع بينهم هذه الأعمال لما كانت لهم خطيئة ، ولكنهم رأوا بأعينهم كلّ أعماله تلك ومع ذلك أنكروه وأبغضوه وأبغضوا أباه أيضًا بغير سبب ولا جريمة أتاها ولا جريرة ارتكبها . ومنْ ثَمَّ علَّق مخلِّصنا على ذلك قائلاً « ولكن هذا قد كان ليتم المكتوب فى شريعتهم أنهم أبغضونى بلا سبب » ، مشيرًا بذلك إلى ماجاء فى سفر المزامير أحد أسفار الكتاب المقدّس الذى يحتوى على شريعة اليهود ، إذ يقول بروح النبوءة على لسان السيّد المسيح « يبغضوننى بلا سبب » (المزمور ٣٤ : ١٩) ؛ (٦٨ : ٤) .

بيد أن مخلِّصنا يعزّى تلاميذه بعد ذلك ويقوّى إيمانهم به ، مقرّرًا لهم أنه مهما أبغضه اليهود ومهما أنكروا حقيقة شخصيته بوصفه المسيح ابن الله مخلِّص العالم ، فلا ينبغى أن يضعفوا هُمْ أو يتزعزعوا ، لأنه متى جاء المعّزى – وهو الروح القدس الذى سيرسله هو إلى التلاميذ من عند أبيه السماوىّ ، روح الحق المنبثق من الآب انبثاق الحرارة من النور ، وهو فى وحدة كاملة وجوهر واحد مع الآب والابن – فهو يشهد له على رؤوس الأشهاد بأنه هو ابن الله الأزلّى الأبدىّ الذى تجسَّد وتأنّس ومات عن البشَر ، تكفيرًا عن خطاياهم لينالوا به الخلاص والحياة الأبدية . كما قرّر مخلّصنا لتلاميذه أنهم هُم انفسهم سيشهدون هذه الشهادة نفسها له ، لأنهم كانوا معه منذ الابتداء ، وعرفوا منه هذه الحقيقة وآمنوا بها وبه ، ولسوف يسمع العالم شهادتهم تلك فيؤمن بابن الله ، ولا يستطيع أحد أن ينزع ذلك الإيمان منه على مدى الدهور وإلى اليوم الأخير .

وبينما وصف الكتاب المقدس السيد المسيح بأنه « ابن الله » . قال السيد

المسيح عن الروح القدس إنه « روح الحق المنبثق من الآب » . وتعبير « الانبثاق » تعبير فريد لم يُنسب فى الكتب المقدسة إلا إلى الروح القدس . والفرق بين الانبثاق والولادة يُحَسّ ولا يُدرَك . ولعلَّ أنسب تشبيه يمكن أن يقرّب معنى الانبثاق والولادة ، والفارق الدقيق بينهما هو الشمس التى « يتولّد » منها النور ، و « تنبثق » منها الحرارة . فالشمس هى الأصل ومنها تتولّد أشعة النور أو الضوء ، ومنها أيضًا تنبثق أو تنبعث الحرارة أو الدّفء . على أن الولادة أو الانبثاق لا يترتّب على أىّ منهما افتراق أو اختلاف أو تخلّف فى الزمن ، فليس نور الشمس متخلّفًا فى الزمن عن الشمس مع أنها مصدر النور ، لأنه منذ أن كانت الشمس شمسًا ، يصدر منها النور ، ولم تأت لحظة فى الزمن كانت الشمس ولم يكن لها ضوء يصدر عنها . فالنور كائن معها منذ وجودها . وكذلك الحرارة مع الشمس منذ وجودها ، فلم تأتِ لحظة فى الزمن كانت الشمس ولم تكن لها حرارة . فالحرارة كائنة معها منذ وجودها .



الفصل السادس عشر

١٦ : ١ - ١١

واستطرد مخلِّصنا يتنبأ لتلاميذه بما سيعانونه من آلام وضيقات بعد رحيله بالجسد عنهم ، ويشجعهم على احتمال كلّ مايأتى عليهم بسبب إيمانهم به ، فقال لهم : « قد كلمتكم بهذا لئلاً تصطدموا بما يعثركم ، فإنهم سيخرجونكم من المجامع . بل ستأتى ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنّه يقدّم ذبيحة لله . وهم سيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عَرَفونى . وما قلت لكم هذا إلاّ لتتذكّروا متى جاءت الساعة أننى قلته لكم . ولم أقله لكم منذ الابتداء لأننى كنت معكم . أما الآن فإننى ماضٍ إلى الذى أَرسلنى ، ولا يسألنى أحد منكم إلى أين تمضى ؟. ولكنكم إذ قلت لكم هذا ملأ الحزن قلوبكم . إلا أننى أقول لكم الحقَّ إنه خير لكم أن أنطلق . لأننى إنْ لم أنطلق لا يأتيكم المعزّى . أما إذا مضيت فإنى أرسله إليكم . ومتى جاء هذا فسيوبخ العالم على الخطيئة وعلى البِرّ وعلى الدّينونة . أما على الخطيئة فلأنهم لا يؤمنون بى . وأما على البِرّ فلأننى منطلق إلى أبى فلا تروننى بعد . وأما على الدينونة ، فلأن رئيس هذا العالم قد أُدين » .

وفى هذه العبارات الرقيقة المعزّية صارح مخلِّصنا تلاميذه بأنه قد أنبأهم بما سيتعرَّض له هو من إهانة وتعذيب وتنكيل يصل إلى حدّ القتل ، وبما سيتعرضون له هُمْ أيضًا من هذه الأوجاع كلّها ، لئلا تفاجئهم تلك الأحداث القاسية العنيفة فتصدمهم وتبعث اليأس فى قلوبهم فيكون فى ذلك إعثار لهم يقضى على

إيمانهم به وبكل تعاليمه ووصاياه . وقد صارحهم بأن اليهود سيخرجونهم من المجامع ، أى يعتبرونهم منبوذين من المجتمع كله ومحرومين من أداء الصلاة فى بيوت الله ، وكانت تلك هى أقسى عقوبة يتعرض لها اليهودىّ . كما صارحهم بأنه ستأتى ساعة يعتبرهم اليهود فيها كافرين بالله ومجدّفين عليه حتى إن كل من يقتلهم يظن أنه يقدِّم بذلك ذبيحة لله ، كوسيلة لنيل رضاه بالانتقام من أعدائه الكافرين به والمجدّفين عليه . وهم يفعلون ذلك لأنهم قد عميت أبصارهم وبصائرهم فلم يعرفوا الله الآب ولم يعرفوا الله الابن . فلو أنهم عرفوا أنَّ مخلِّصنا هو المسيح ابن الله الذى ينتظرونه لكانوا قد آمنوا به ولم يفعلوا مافعلوه معه . وإذ لم يعرفوا ابن الله فهذا دليل على أنّ قلوبهم قد طمست فلم يعودوا يعرفون الله الآب نفسه الذى يتظاهرون بعبادته ويعتبرون أنفسهم شعبه المختار .

وقد قرّر مخلِّصنا لتلاميذه أنه ماقال لهم هذا إلا ليتذكروا حين تقع الأحداث التى تنبأ لهم بها فى الساعة المحدّدة لوقوعها أنه قال لهم ذلك قبل أن يحدث فلا يرتاعوا أو يرتعبوا لأن ذلك كله إنما هو مقرر فى التدبير الإلهى . فليتلقَّوا كل مايأتى عليه هو أو عليهم هم أنفسهم فى صبرٍ وإيمان بأن هذه هى مشيئة الله الذى لا يشاء إلا كلّ خير وكلّ بِرٌ وكلّ صلاحٍ للبشر . كما قرَّر أنه لم يقل لهم ذلك منذ الابتداء لأنه كان معهم ، وكان هو الذى يشجعهم حين يخافون ، ويقوّيهم حين يضعفون ، ويخفّف عنهم كلّ ضيق حين يتضايقون. وأما الآن وقد أزفت ساعة رحيله بالجسد عنهم وارتفاعه إلى أبيه السماوىّ الذى أرسله إلى العالم لإتمام هذا الفداء المجيد ، فلا ينبغى أن يشعروا أنهم يتامَى بدونه وأنهم لم يعد لهم من يشجعهم أو يقوّيهم أو يخفف الضيقات عنهم ، لأنه سبق فصارحهم بما سيأتى عليهم وعمل مقدّمًا على انتزاع الخوف والضعف والضيق من قلوبهم ، بدافع من حبّه لهم ورحمته بهم وإشفاقه عليهم وحرصه على تثبيت إيمانهم . فلا يفزعوا



«أنا هو الراعى الصالح» (يوحنا ١٠ : ١١)

أو يتضعضعوا أو يتراجعوا عن ذلك الإيمان الذى غرسه فيهم وأَسَّسه فى أعماقِ كيانهم ووجدانهم . أما حين كان معهم منذ الابتداء ، فلم يكن ثمة حاجة لأن يقول ما قاله لهم الآن ، لأنه كان بحضوره معهم هو حاميهم من كُلِّ سوء ومقويهم فى كلّ ضعف ومشجعهم على احتمال كل ضيق ومنقذهم حين يدهمهم أىّ خطر . فكان فى حضوره بالجسد معهم مايشعرهم بالأمن والأمان والاطمئنان ، وما يملأ قلوبهم بالثقة واليقين والإيمان . ولكنه كان فى تلك الساعة يوشك أن يمضى إلى أبيه السماوىّ الذى أرسله لإتمام عمل الفداء الذى دبّرته الرحمة الإلهية لخلاص البشَر . وهنا طلب مخلِّصنا إلى تلاميذه ألاَّ يسأله أحد منهم إلى أين يمضى ، لأنهم لم يكونوا حتى تلك الساعة يستطيعون أن يفهموا ذلك السِّرّ الإلهى الذى ينطوى على عودته إلى أبيه السماوىّ ، مع أنه وهو فى الجسد كان معه وظل معه وسيظل معه فى كيان واحد وكينونة واحدة منذ الأزل وإلى الأبد . وإن كان تلاميذه سيفهمون فيما بعد هذا السّرّ كلّ الفهم حين يحلّ الروح القدس عليهم ويفتح عقولهم وقلوبهم ليدركوا كلَّ أمرٍ كان مجهولاً لهم أو غامضًا عليهم أو عسير الفهم بالنسبة إليهم . بيد أنّ مخلِّصنا حين قال لهم إنه سيمضى عنهم ملأ الحزن قلوبهم ، ومِن ثَمَّ طفق يخفف وطأة هذا الحزن عليهم ، إذ قرر لهم أنه خير لهم أن ينطلق ، لأنه إن لم ينطلق لا يأتيهم ذلك الروح القدس المعّزى الذى سبق أن وعدهم بأنه سيرسله إليهم بعد رحيله بالجسد عنهم ليقويهم ويدافع عنهم ويقف إلى جوارهم فى كلّ محنة يتعرضون لها ويذكّرهم بكلّ ما قاله مخلِّصنا من قَبل لهم ، ليتخذوا من أقواله زادًا لهم ودستورًا يسيرون على هداه فى كل أقوالهم وأعمالهم وفى أداء الرسالة التى كلفهم بأن يؤدوها لتبشير العالم به وجذب النفوس إلى حظيرة الإيمان بشخصه الإلهى وتعاليمه السماوية ، لأنه إن لم ينطلق ماضيًا بالجسد عنهم لا يأتيهم ذلك المعّزى . أما إذا مضى فإنه يرسله إليهم . ومتى جاء هذا فسيوبِّخ العالم على الخطيئة وعلى البِرّ وعلى الدينونة . أما على الخطيئة

فلأن أهل هذا العالم لم يؤمنوا بالمسيح الذى ما جاء متخذًا جسد إنسان مثلهم إلا ليبذل نفسه فداء عنهم كى يخلّصهم من حكم الهلاك الأبدىّ الذى أصدرته العدالة الإلهية عليهم بسبب شرورهم . بل إنهم لم يكتفوا بعدم الإيمان به ، وإنما قتلوه معلّقين إياه على خشبة العار ، كأنه مجرم أثيم ، بل أشنع الناس إجرامًا وأبشعهم إثمًا ، على الرغم من كلّ ما أدّى إليهم من خير وأسدى إليهم من فضل ، وتجلّى به بينهم من فضيلة . وأما أن الروح القدس المعّزى سيوبّخ العالم على البِرّ ، وهو العدل وإعطاء كلّ ذى حق حقه ، فلأن مخلّصنا قبل أن ينطلق إلى أبيه السماوى ويختفى عن أبصار أهل هذا العالم ظل طوال وجوده بينهم يوصيهم بالبِرّ والعدل وإسداء الحقوق إلى أهلها ، ولكنهم مع ذلك ظلوا أشرارًا ظالمين ، يأكلون أموال الفقراء والأرامل واليتامى بالباطل دون وازع من عقيدة أو رادع من ضمير . وأما أن الروح سيوبخ العالم على الدينونة فلأن رئيس هذا العالم وهو الشيطان الذى كان مسيطرًا على نفوس كل الذين فى العالم حاكمًا لها متحكّمًا فيها قد أدين وسقط وفقد بانتصار المسيح عليه كل ما كان له من رياسة وسيطرة وسلطان . وقد سبق لمخلّصنا أن قال لتلاميذه « إنى رأيت الشيطان ساقطًا من السماء كالبرق » (لوقا ١٠ : ١٨) . كما سبق أن قال لهم « الآن قد وقعت الدينونة على هذا العالم . الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجًا » (يوحنا ١٢ : ٣١) . ومع ذلك ظل أهل العالم على شرّهم ومكرهم وظلمهم وظلام عقولهم وسواد قلوبهم وإثم تفكيرهم وموت ضميرهم . مع أنهم وقد جاءهم المسيح الذى عمل على اقتلاع كل ذلك الذى غرسه الشيطان فيهم ، لم يَعُد لهم عذر ولا مبّرر للاستمرار فى مفاسدهم ومعاصيهم .

١٦ : ١٢ - ١٥

ثم قال مخلّصنا لتلاميذه « لا يزال عندى كلام كثير لأقوله لكم . ولكنكم

لا تطيقون احتماله الآن . فمتى جاء ذاك الذى هو روح الحق ، فهو يرشدكم إلى الحق كله ، لأنه لا يتكلّم من عنده ، وإنما يتكلّم بما يسمعه . وسيخبركم بأمور آتية . إنه يمجِّدنى لأنه يأخذ ممّالى ويخبركم . جميع ماهو للآب فهو لى . لذلك قلت لكم إنه يأخذ ممالى ويخبركم » . أى أن مخلِّصنا لا يزال عنده كلام كثير ليقوله لهم ، يتضمن أسرارًا تتعلّق بطبيعته الإلهية ، كما يتضمّن نبوءات عما سيصادفهم بعد رحيله عنهم من متاعب ومصاعب وأوجاع وآلام وقتل وتعذيب ، ولكنه لم يشأ أن يقول لهم ذلك الكلام لأنه كان يعلم أنهم لا يزالون عاجزين عن فهم تلك الأسرار التى كانت فى ذلك الحين تعلو على مداركهم ولا يمكن أن تصل إلى فهمها عقولهم القاصرة ، لأنها تتعلق بالطبيعة الإلهية ذاتها . كما أنه أشفق عليهم من أن يصارحهم بتلك التجارب القاسية المريرة التى كانوا سيتعرضون لها ، ومِنْ ثَمَّ حجب كلّ ذلك عنهم ، مقرِّرًا لهم أنه متى جاء ذلك المعزّى الذى حدّثهم عنه ، والذى هو روح الحق ، أى روح القدس ، وهو روح الله الآب نفسه ، الذى سيحلّ عليهم وفيهم بعد ارتفاع مخلِّصنا عنهم إلى السماء ، فسيرشدهم إلى الحق كله فيما يتعلّق بتلك الأسرار الإلهية السامية ، فيفهمونها عندئذ بوحى وبعونٍ من ذلك الروح الذى سيمتلئون به . كما أنه سيمهّد قلوبهم لأن تتحمل تلك التجارب القاسية المريرة التى سيتعّرضون لها ، ويقف فى أثنائها إلى جانبهم معزِّيًا ومقويًا ومدافعًا ومحاميًا يعاضدهم ويساندهم ويلهمهم بما يقولون ومايفعلون ، لأن روح القدس لا يتكلّم من عنده هو وحده ، وإنما يتكلّم بما يسمعه من الآب والابن ، لأنه متحد بهما فى جوهر واحد وكيان واحد وكينونة واحدة ، إذ أن ثلاثة الأقانيم الإلهية إله واحد ، هو الله الأزلى الأبدى الذى لا إله إلا هو ، لا شريك له ولا ثانى ولا ثالث له . ومِن ثَمَّ قال مخلِّصنا لتلاميذه إن روح القدس بصفته هذه سينبئهم بالأمور التى ستأتى عليهم ، وإذ يملؤهم بمواهبه وتعزياته وتشجيعاته سيحتملون أن يسمعوا منه

مالا يحتملون الآن سماعه من مخلِّصنا قبل أن يتمجّد ويرتفع أمامهم إلى السماء ، فيتوطّد إيمانهم به ويتأكد ذلك الإيمان بصفة نهائية قاطعة لا رجعة فيها ولا نكوص عنها . كما أن روح القدس سيمجّد مخلِّصنا لأنه ينقل إليهم فكره ويخبرهم بمشيئته بعد أن يكون مخلِّصنا قد اختفى عنهم بالجسد . وعندئذ يعلمون مما ينبئهم به روح القدس أن جميع ما هو لله الآب من صفات وقدرات هو فى نفس الوقت صفات الابن وقدراته . ولذلك قال مخلِّصنا لتلاميذه إنه يأخذ مما له ويخبرهم ، أى أن ما يقوله روح القدس لهم هو نفسه ما يقوله مخلِّصنا لهم ، وكلّ مايعطيهم روح القدس من مواهب وقدرات وتعزيات هى نفسها مايعطيهم مخلِّصنا من مواهب وقدرات وتعزيات ، لأنهما مع الله الآب جوهر واحد ، وكيان واحد ، وإله واحد .

١٦ : ١٦ – ٢٢

ثم قال مخلِّصنا لتلاميذه : « بعد قليل لا ترونني . ثم بعد قليل أيضًا ترونني ، لأنني منطلق إلى أبي » . وقد كان يعنى أنه بعد لحظات قليلة فى تلك الليلة نفسها سيقبض اليهود عليه فلا يعود التلاميذ يرونه . ثم يقتله اليهود على خشبة الصليب . وبعد أيام قليلة لا تتجاوز ثلاثة أيام يقوم من بين الأموات ، فيرونه مرة أخرى فى جسد قيامته ، ثم بعد أيام قليلة بعدها لا تتجاوز الأربعين يومًا يغادرهم منطلقًا إلى أبيه السماويّ ، فلا يعودون يرونه بالجسد ، وإن كان سيظل معهم بقوته وقدرته ، إذ قال لهم قبل صعوده « وهأنذا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهور » (متى ٢٨ : ٢٠) . بيد أن تلاميذه لم يفهموا ماقاله لهم . لأنه كان إلى ذلك الحين فوق مداركهم ، فقال بعضهم لبعض فيما بينهم : « ماهذا الذى يقوله لنا : بعد قليل لا ترونني ، ثم بعد قليل أيضًا ترونني . ولأنني منطلق إلى أبي ؟ » . ثم قالوا : « ماهو هذا القليل الذى يتكلّم عنه ؟ إننا لا ندرى ماذا يقول » .

ولكنهم لم يجسروا على أن يسألوه ماالذى يعنيه بكلامه لهيبته العظيمة ، واحترامهم العظيم له . إلا أن مخلّصنا بعلمه الإلهى عَلِم أنهم يريدون أن يسألوه ، وإذ كان كل اهتمامه متجهًا إلى تقويتهم وتعزيتهم وتشجيعهم ومواساتهم فى تلك اللحظة التى كان يودّعهم فيها ، قال لهم « أَعَن هذا تتساءلون فيما بينكم ، إذ قلت لكم بعد قليل لا تروننى ثم بعد قليل أيضًا تروننى ؟. الحقَّ الحقَّ أقول لكم إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح . أنتم ستحزنون ولكن حزنكم سيتحوَّل إلى فَرَح . فالمرأة وهى تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت . ولكنها متى ولدت الطفل لا تعود تذكر ما كانت فيه من شدّة ، لفرحها بأنها ولَدَت إنسانًا فى العالم . هكذا أنتم الآن محزونون ، ولكننى سأعود فأراكم فتفرح قلوبكم ولن ينزع أحد فرحكم منكم » . وهكذا مهَّد عقولهم وقلوبهم للحدَث المفجع الذى سيصيبهم بموته بعد ساعات قليلة والذى لن يملكوا إزاءه إلا أن يبكوا وينوحوا ، فى حين أن العالم الشرّير الذى يستبدّ به الشيطان ويستعبده يبدى الفرح والبهجة بموته ، مشاركة للشيطان فى فرحه وبهجته لذلك الموت الذى يتوهّم أنّ فيه نصرًا له وقهرًا لعدوّه اللدود الذى أعلن الحرب ضدّه وقرر القضاء عليه القضاء الأخير . بيد أن التلاميذ - وإن كانوا سيحزنون - لن يلبث حزنهم أن يتحوَّل إلى فَرَح ، فيكون شأنهم فى ذلك شأن المرأة الحامل التى تحس أن ساعة ولادتها التى تعانى فيها أشدّ الآلام والأوجاع قد جاءت فتحزن عندئذ وتكتئب وترتعب . ولكنها ما إن تتمّ عملية ولادتها وترى وليدها حتى تنسى كلّ ما كانت فيه من شدّة وآلام وأوجاع . ويزول عنها كلّ ما كانت تشعر به من حزن واكتئاب وارتعاب ، وينقلب هذا الشعور على الفور إلى فرح وبهجَة واستبشار وفخار ، لأنها أنجبت للعالَم من جوف أحشائها ولحمها وعظمها إنسانًا يزداد به العالم حياة وحيوية وعمرانًا . هكذا التلاميذ فإنهم - وإن كانوا سيعتصر الحزن قلوبهم إذ يغيب عنهم معلّمهم وحاميهم وأبوهم وربّهم - لن يلبث أن يعود إليهم فيراهم ويرونه فتفرح عندئذ

قلوبهم ولن يستطيع أحد أن ينزع فرحهم منهم ، لأنه فرح روحيّ سماويّ أَبَديّ سيغطّي على كل ماسيعانونه من أحزان وأوجاع جسدية أرضية مؤقتة لن تلبث أن تزول تاركة لهم الفَرَحَ كاملاً غير منقوص ، ونقيًّا لا تشوبه شائبة ، وأبديًّا لا انتهاء له ولا انقضاء ولا زوال إلى الأبد .

١٦ : ٢٣ - ٢٨

وقد وعد مخلِّصنا تلاميذه بالمكافأة التى سيكافئهم بها عن الآلام والأوجاع والأهوال التى سيتعرضون لها بسبب إيمانهم به وفى سبيل أداء الرسالة التى كلفهم بأدائها إذ قال لهم : « ويومئذ سوف لا تسألوننى عن شىء . الحق الحق أقول لكم إن كل ماتطلبونه من الآب باسمى يعطيكم . إنكم حتى الآن لم تطلبوا شيئًا باسمى . اطلبوا تنالوا ، ليكون فرحكم كاملاً . قد كلمتكم عن هذا بأمثال ، ولكن تأتى ساعة حين لا أكلمكم بعدُ بأمثال ، وإنما أكلمكم عن الآب صراحة . وفى ذلك اليوم ستطلبون باسمى . ولا أقول لكم إننى سأطلب إلى الآب من أجلكم ، فإن الآب نفسه يحبكم . لأنكم أحببتمونى وآمنتم بأننى من الله الآب خرجت . خرجت من الآب وجئت إلى العالم . ثم أترك العالم وأنطلق إلى الآب » .

أى أن تلاميذ مخلِّصنا بعد أن يتمجد بقيامته من بين الأموات وصعوده إلى السماء سيلهمهم الروح القدس الإجابة عن كل سؤال يجول بخاطرهم ، فلا يعودون بحاجة إلى أى سؤال ، وإنما يكونون عالمين بكل حقيقة ذكرها مخلِّصنا لهم ، وفاهمين لها ، ومؤمنين بها. وعندئذ– وقد توطّد علمهم وفهمهم وإيمانهم– لايطلبون إلى الله الآب باسم الرب يسوع المسيح شيئًا ألاَّ أعطاهم الآب كل مايطبونه باسم ابنه القدوّس. ولئن كانوا حتى تلك اللحظة لم يطلبوا

شيئًا باسمه ، إنهم منذ تلك اللحظة إذا طلبوا شيئًا ينالونه . وبذلك يكتمل فرحهم ، إذ يجنون ثمرة إيمانهم وجهادهم فى سبيل ذلك الإيمان . وقد قرّر لهم مخلِّصنا أنه كلّمهم حتى ذلك الحين بأمثال ورموز عن الحقائق الإلهية التى شاء له المجد أن يذكرها لهم ، لأن تلك الحقائق لسموِّها عن أفهام البشَر سموّ السماء عن الأرض كانت ترتفع كل الارتفاع عن مداركهم البشرية ، فلو أنه ذكرها لهم بعبارات صريحة واضحة فلن يفهموها ، أو قد يسيئون فهمها ، فينقلب الغرض منها إلى نقيض ماهدَفَ إليه من مصارحتهم بها ، ولكن تأتى ساعة — بعد أن يرتفع عنهم ويرسل إليهم الروح القدس ليمتلئوا بمواهبه — لا تعود ثمة حاجة لأن يكلمهم بعدُ بأمثال أو رموز ، وإنما يكلّمهم عندئذ عن الآب صراحة ، لأنهم سيكونون قد أدركوا كلّ الإدراك طبيعته الإلهية بوصفه ابن الله الآب المتحد به فى جوهر واحد وكيان واحد وكينونة واحدة ، ويكونون قد أدركوا بالتالى مكانة الابن من الآب ، والصلة التى تربطهما ، صلة المحبة الكاملة الناجمة عن الوحدة الكاملة والاتحاد الكامل بينهما ، ونتيجة لذلك سيطلبون فى ذلك اليوم مايشاؤون من الآب باسم الابن ، وعندئذ لا تكون ثمة حاجة بالابن إلىأن يطلب من الآب أن يعطيهم ما يطلبون ، لأن الآب نفسه يحبهم لأنهم أحبوا الابن وآمنوا بأنه من الآب خرج ، لا خروجًا يتضمّن الانفصال ، وإنما خروجًا يتضمن الاتصال الأزلّى الأبدىّ الذى يجمع بين الآب والابن فى كيان واحد لايقبل الانفصال أو الانفصام . وبهذا المعنى خرج الابن من الآب ، وجاء إلى العالم متخذًا جسدًا بشريًّا لينجز عمل الفداء الذى دبرته الرحمة الإلهية بمشيئة الآب والابن معًا لفداء البشَر تكفيرًا عن خطاياهم وإنقاذًا لهم من حكم الهلاك الصادر من العدالة الإلهية عليهم بسبب شرورهم ، حتى إذا أنجز هذا التدبير ترك العالم بالجسد وانطلق إلى الآب الذى هو منه وفيه ولم ينفصل عنه لحظة واحدة أو طرفة عين منذ الأزل وإلى الأبد . وذلك سرّ من أسرار الطبيعة الإلهية يفوق مدارك البشَر القاصرة ،

وسيظل يفوق مداركهم على مَدَى الأزمان ، فلا يصل الإنسان إلى كنهه إلا بالبصيرة الروحية النافذة والإيمان العميق النابع من أعمق أعماق الوجدان الصالح الصادق الطاهر المتفتح المستنير بفعل مواهب الروح القدس ، الذى هو روح الله نفسه الحكيم الرحيم القدير.

١٦ : ٢٩ - ٣٣

وقد كان لهذه الأقوال التى تحدّث بها مخلِّصنا إلى تلاميذه أثرها الفعّال والمباشر والمثمر فى تلاميذه ، فقالوا له « هاأنت ذا تتكلم الآن صراحة ، ولا تقول أىّ مَثَل . ونحن الآن نعرف أنك عالم بكل شىء . ولا تحتاج لأن يسألك أحد . لهذا نؤمن بأنك من الله خرجت » . فقد أذهلهم أن يعرف أفكارهم دون أن يفصح بذلك لهم ، وإن كان قد فعل ذلك من قبل كثيرًا معهم . ولكن عقولهم البشرية كانت كما هو الشأن مع كلّ العقول البشرية ، أو على الأقل أغلبها ، قاصرة عن أن تفهم المقاصد الإلهية أو أن تدرك الطبيعة الإلهية السمائية بعقول البشَر القاصرة المحدودة التى لا يتعدَّى أثرها أو الغرض منها فهم الحقائق الجسدية الأرضية ، التى لا تعين الإنسان إلا على أن يعيش فوق القشرة الأرضية الضيئلة غاية الضآلة التافهة غاية التفاهة بالنسبة للكون الأعظم الذى لا حدود له ولا ابتداء ولا انتهاء له ، والذى يملؤه الله بكل جزئياته وكليّاته بكيانه ، ويديره بقّوته ويدبره بحكمته . وقد أبهج مخلِّصنا تلاميذَه - وقد أزفت ساعة رحيله بالجسد عنهم - بأنه بدأ يكلمهم بوضوح وبصراحة ليفهموا كلامه فهمًا واضحًا صريحًا بعد أن كان يكتفى بالتلميح والرمز والتشبيه وضرب الأمثال لهم ، إذ كانوا لايزالون أطفالاً فى المعرفة لا يجدى فى تعليمهم إلا وسائل الإيضاح الملموسة المحسوسة التى تتفق مع عقول الأطفال التى لا تزال تخطو خطواتها الأولى فى

المعرفة والفهم والإدراك . وأما الآن فقد رأى معلّمهم أنهم نضجوا ولم يعودوا فى حاجة فى تعليمهم إلى أساليب تعليم الصغار والمبتدئين ، ولا سيمّا أنهم الآن قد اكتمل إيمانهم ومعرفتهم بأنه عالم بكل شى ، علمًا لا يتّصف به إلا الله الواحد وحده . فهو لا يحتاج إلى أَن يسأله أحد أو يستفهم منه أحد عن أى قول يقوله ، لأنه يعلم بما فى النفوس وماتخفيه الصدور ، وماتعتلج به الأفئدة . ولهذا آمنوا بأنه من الله خرج ، خروج النور من الشمس ، أى أنه متصل بالله الآب اتصال الذات بذاتها ، والجوهر بجوهره ، فهو يعلم العلم الإلهى الذى لا يتصف به إلا الله الواحد وحده .

بيد أنّ مخلِّصنا على الرغم مما أبدى تلاميذه من حماسة فى الإيمان به وبحقيقته الإلهية ، أنبأهم بما سيكون منهم مما لا يتفق مع هذه الحماسة فى الإيمان ، إذ أجابهم قائلاً : « أتؤمنون الآن؟ هوذا تأتى ساعة ، وقد أتت الآن ، تتفرقون فيها كل منكم إلى حيث كان ، وتتركوننى وحدى . غير أننى لست وحدى ، لأن أبى معى . قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فِىَّ سلام . سيكون لكم فى العالم ضيق . ولكن اطمئنوا . فقد غلبت أنا العالم » ، أى أنهم – على الرغم مما أبدوا من الإيمان به فى تلك اللحظة – لن يلبثوا فى اللحظة التالية مباشرة – حين يأتى اليهود ويقبضون عليه – أن يهربوا جميعًا ، ويذهب كل منهم فيختبئ فى المكان الذى جاء منه ، ويتركوه وحده ، مما يتنافَى مع كلّ ما أبدوه من إيمان به كان يقتضيهم أن يلتفّوا فى لحظة الضيق حوله ويدافعوا عنه ويفتدوه إذا اقتضى الأمر بأرواحهم ، على قدر حبّهم له وتعلّقهم به وإخلاصهم لشخصه الإلهى . وقد كان هذا عتابًا مسبقًا ورقيقًا من مخلِّصنا يدلّ على مَدَى محبّته وسماحته وتسامحه ورحمته بضعف البشَر . ومع ذلك أكد لهم أنه – وإن تركوه جميعًا – لن يكون وحده أمام طغيان اليهود وحقدهم وكراهيتهم وعداوتهم واعتدائهم ، لأنّ أباه

السماويّ معه ، بصفة كونه فى كيان واحد معه ، فلن يتخلّى الآب عن الابن ، ولن يتخلى الابن عن الآب ، إذ أنهما كليهما واحد فى اتحاد كامل ، هو الله الواحد . وقد قرَّر مخلِّصنا لتلاميذه أنه كلَّمهم بهذا لكى لا يجزعوا أو يتضعضعوا حين يحدث هذا كله ، وإنما تمتلئ قلوبهم به وفيه وبواسطته بالسلام الكامل والطمأنينة الروّحية التى هى أسمَى درجات السلام الأبدىّ . وقد أنبأهم بأنهم سيكون لهم فى العالم – بعد مغادرته لهم بالجسد – ضيق وكرب وحرب واضطراب وعذاب يبلغ بهم حدّ القتل بأبشع الوسائل وأشنعها ، ولكنه طَلَب إليهم ان يطمئنوا مهما حدث لهم ومهما عانوا أوكابدوا أو استشهدوا ، لأنه بموته وقيامته من بين الأموات قد غلَب العالَم ، أى غَلَب رئيس هذا العالم الذى هو الشيطان ، أصل كلّ شرٍّ ، وعدوّ كل خير ، ومِنْ ثَمَّ فإنه إذا غَلَب هو شرور العالم ، فسيغلبونها هُم أيضًا ويتغلبون عليها ويقهرونها وينالون المجد الأبدىّ والحياة الأبدية .



الفصل السابع عشر

١٧ : ١ - ٥

تكلَّم مخلِّصنا بهذا لتلاميذه ، ثم رفع عينيه نحو السماء مناجيًا أباه السماوىّ فى صلاة ربَّانية رائعة ، تتضّح فيها كلّ الوضوح علاقته بالله الآب ، علاقة الابن بأبيه ، ولكنها ليست علاقة الابن البشرىّ بأبيه البشَرىّ ، مهما كانت هذه العلاقة وثيقة وعميقة وتنطوى على الحبّ كلِّه والإجلال كلِّه والوفاء كلِّه ، ولكنها علاقة الابن الإلهى بأبيه الإلهى الذى هو ذات جوهره ، وجوهر ذاته ، لأنهما معًا جوهر واحد متحد فى كيان واحد وكينونة واحدة تتسامى جدًّا على فهم البشَر وتتجاوز عقلهم المحدود إلى أقصى الحدود بالنسبة لله الذى لا حدود له ، والذى يملأ الكون كلّه بكلّ كليّاته وجزئياته ، ويديره ويدبّره بحكمته التى لاحَدَّ لعظمتها ، وبقدرته التى لا نهاية لقوّتها وفعاليتها ، فلا يمكن إدراك ماهيته والتعالِى إلى كنه طبيعته إلا بإلهام منه هو ذاته ، ذلك الإلهام الذى لايخصّ به إلاّ الأنقياء والأتقياء والأطهار والأبرار والقدّيسين الذين يؤمنون به أصدق الإيمان وأعمق الإيمان ، فيفتح بصرهم وينير بصيرتهم ليروه بعين الروح لا بعين الجسد ، وبشفافية الوجدان لابأى حسّ من الأحاسيس المادية للإنسان .

رفع مخلِّصنا عينيه نحو السماء وقال : « يأبتاه ، قد أتت الساعة ، مجّد ابنك ليمجدك ابنك . كما أنك قد أعطيته سلطانًا على كل جسد كى يعطى الحياة الأبدية لكل الذين أعطيتهم له . وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحق الواحد وحده ، مع يسوع المسيح الذى أرسلته . أنا قد مجّدتك على

الأرض ، والعمل الذى أعطيتنى لأعمل قد اكملته . فالآن مجّدنى ياأبتاه عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك من قبل كون العالم » . فالآن وقد علم مخلّصنا أنه قد أتت الساعة المحدّدة فى التدبيرالإلهى ليقدّم الفادى نفسه ذبيحة للعفو عن البشَر وخلاصهم من الهلاك الأبدى المحكوم به من العدالة الإلهية عليهم بسبب شرورهم ، طلب – له المجد – من أبيه السماوى أن يساند ناسوته فى تلك المحنة الرهيبة ليجتازها ويخرج منها منتصرًا كى يتمجد بذلك لدى الناس لاهوته باعتباره ابن الله ، ومن ثم يتمجد الله الآب لدى الناس فى نفس الوقت بالمجد الذى لابنه ، وبذلك يتمجّد الآب بالابن ، كما تمجد الابن بالآب . فقد أعطى الآب للابن – حين عهد إليه بإنجاز عمل الفداء عن البشَر – سلطانًا على كلّ إنسانٍ ذى جسد كى يعطى الابن بانجاز ذلك العمل الحياة الأبدية لكل الذين أعطاهم له من بنى الإنسان ، بدلاً من الهلاك الأبدى الذى كان محكومًا به عليهم . وتتمثل هذه الحياة الأبدية فى أن بنى الإنسان – إذ يعرفون ماللابن يسوع المسيح من المجد الإلهى بعد أن يموت عنهم ، ثم يقوم بإرادته وسلطان لاهوته من بين الأموات ويصعد إلى السماء – يعرفون بالتالى أنّ أباه الذى أرسله لهذه الغاية هو الإله الحق الواحد وحده ، لا إله غيره فى الأرض أو فى السماء أو فى أىّ مكان من الأمكنة أو أى زمان من الأزمنة أو بأى اسم آخر من الأسماء . فالحياة الأبدية إذن هى جزاء كل إنسان يؤمن بالله الآب وبالله الابن ، بل إنّ هذا الإيمان بالآب والابن هو فى ذاته الحياة الأبدية التى هى حتماً نتيجة هذا الايمان . أما وقد مجّد الابن أباه على الأرض إذ أكمل العمل الذى أعطاه إياه ليعمله بأن يموت على الصليب فداء عن البشَر تكفيرًا عن خطاياهم وتمهيدًا لمنحهم الحياة الأبدية ، فقد خاطب الابن أباه مناجيًا إياه بأنه قد آن الأوان ليعود إلى أحضانه عودة الذات إلى ذاتها بكل المجد الإلهى الذى كان له عنده ومعه من قبل كون العالم ، ذلك المجد الذى كان ويكون ويظلّ لكليهما

باعتبارهما جوهرًا واحدًا وذاتًا واحدة منذ الأزل وإلى الأبد .

١٧ : ٦ - ١٩

وواصل فادينا مناجاته لأبيه السماوىّ قائلاً : « قد أظهرتُ اسمك للذين أعطيتنيهم من العالَم . هُمْ كانوا لك . وقد أعطيتنى إياهم فحفظوا كلامك . وقد علموا الآن أن كل ما أعطيتنى هو من لَدنك ، لأننى أَعطيتهم الكلام الذى اعطيتنى وقد قبلوه ، وأيقنوا أننى منك خرجت ، وآمنوا بأنك أنت الذى أرسلتنى . من أجلهم أنا أطلب . لست أطلب من أجل العالم ، وإنما من أجل هؤلاء الذين أعطيتنيهم ، لأنهم لك . وجميع ماهو لى فهو لك . وجميع ماهو لك فهو لى . وأنا قد تمجّدت فيهم . أنا لست فى العالم بعد . وأما هؤلاء فَهُم فى العالم ، وأنا آتى إليك . يا أبتاه القدّوس ، احفظهم فى اسمك ، هؤلاء الذين أعطيتنيهم ، ليكونوا فى وحدة كما نحن واحد . حين كنت أنا معهم فى العالم كنت أحفظهم فى اسمك . هؤلاء الذين أعطيتنيهم حفظتهم فلم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ، ليتم قول الكتاب . وأما الآن فإننى آتى إليك . وأنا أتكلّم بهذا فى العالم ، ليكون مابى من فرح كاملاً فيهم . قد اعطيتهم كلامك . فأبغضهم العالم ، لأنهم ليسوا من العالم ، كما أننى أنا لست من العالم . إننى لا أُطلب أن تأخذهم من العالم ، وإنما أن تحفظهم من الشرير . هُمْ ليسوا من العالم كما أننى أنا لست من العالم . قدِّسهم فى الحق . والحق هو كلامك . كما أرسلتنى إلى العالم ، أرسلتهم أنا أيضًا إلى العالم . ومن أجلهم أقدّس أنا ذاتى ، ليكونوا هُم أيضًا مقدَّسين فى الحق » .

فبعد مناجاة مخلِّصنا مع أبيه السماوى التى تحدَّث فيها عن علاقته هو ابن الله بالله الآب ، وما أنجزه من مهمَّة شاءت إرادته هو مع أبيه أن ينجزها فى العالم ، بعد أن أنجزها بالفعل ، انتقل إلى مناجاته بشأن أولئك الذين اختارهم مع أَبيه

من بين أَبناءِ العالَم ليكونوا تلاميذه الذين سيبشرون به العالم وينشرون بين أبنائه تعاليمه ، قائلاً إنه أظهر اسمه لهم وأفهمهم طبيعته ولقّنهم شريعته ، مقرّرًا أنه مااختارهم إلا لأنهم كانوا أرضاً طيّبة ليغرس فيهم تعاليمه عن أبيه السماوى . لأنهم كانوا من أبناء الله الصالحين ، ومِنْ ثَمَّ فإنهم سرعان مافهموا كلام الله الذى لقّنه لهم وحفظوه وحافظوا عليه وعملوا به . وإذ آمنوا بأن معلّمهم هو ابن الله أدركوا أن كل مانطق به من تعاليم وكل ماصنعه من آيات ومعجزات ، وكل ما أعطاهم من تلك التعليمات ، وكل ماوهبهم أن يصنعوه هُمْ أنفسهم من الآيات والمعجزات ، إنما هى عطايا وهبات ومقدرات الله الآب نفسه ، وأنها كلها من لدنه ، لأنه ماكلمهم إلا بكلام الله الآب نفسه ، فقبلوه وآمنوا بصدقه ، لأنهم أيقنوا أنَّ معلِّمهم هو ابن الله وأنه منه خرج باعتباره من ذات طبيعته وجوهره ، وآمنوا بأنه هو الذى أرسله كما ترسل الشمس أشعتها التى هى من صميم كيانها لتنير وتبث الحرارة والحياة . ولذلك فهو يطلب من أجلهم المكافأة من أبيه السَّماوىّ ، مبرهنًا بذلك على أنه هو نفسه قد وجدهم أهلاً للمكافأة ، لأنه هو وأبوه السماوى كيان واحد وذات واحدة . وهو يطلب لهم المكافأة ويجدهم هو نفسه فى الوقت نفسه أهلا للمكافأة ، لأنهم آمنوا به وبأبيه ، من بين أناس العالم كلِّه الذين لم يطلب شيئًا أو يقرّر شيئًا بشأنهم حتى هذه اللحظة ، لأن تلاميذه الذين أعطاهم اللهُ الآب له ، قد آمنوا بالله الآب فأصبحوا من رعيته . ولأن رعية الآب هم فى نفس الوقت رعية الابن ، ورعية الابن فى نفس الوقت هُم رعية الآب ، وكل ماللآب فهو للابن ، وكل ماللابن فهو للآب ، إذ أن الآب والابن إله واحد وكيان واحد وذات واحدة . وإذ آمن التلاميذ بالابن فقد تمجَّد بذاته الإلهية فيهم ، لا لأنه – له المجد – ازداد مجدًا بهم ، وإنما لأن إيمانهم به أبرز مجده الإلهى للعالم وأظهره لكل الذين فى العالم ، فكان هذا فضلاً لهم يستحقون من أجله المكافأة التى قرر فى مناجاته مع أبيه

السماوى أنهم أهل لها وأنهم يستحقونها لديه ولدى أبيه فى نفس الوقت . ولما كان مخلِّصنا قد أنجز المهمّة التى جاء متجسدًا ومتأنسًا من أجلها إلى العالم وسيصعد بعد قليل إلى أبيه تاركًا هذا العالم . ولما كان تلاميذه لا يزالون فى هذا العالم ومن أناس هذا العالم ، فقد طلب إلى أبيه السماوىّ القدّوس من أجل أولئك التلاميذ الذين أعطاهم إياه وشاركه فى اختيارهم أن يحفظهم فى اسمه ، مؤمنين به ، خادمين له ، لا يرتاعون أو يتزعزعون أو يتراجعون عن ذلك الإيمان أو تلك الخدمة مهما لاقوا فى سبيل ذلك من متاعب ومن مصاعب ومن مصائب ومن آلام ومن أسقام ومن أوجاع ، ليكونوا جميعًا صفًّا واحدًا ، وإرادة واحدة ، ووحدة كاملة ياحبّذا لو كانت تشبه فى تماسكها وصلابتها وقوّتها واندماجها الاندماج الذى لا انفصال فيه ولا انفصام ، كأنهم يد واحدة ورجل واحد ، كما أن الآب والابن معًا إله واحد ، فإنّ مخلِّصنا حين كان مع تلاميذه فى العالم كان حريصًا كلّ الحرص على أن يحافظ على توحيد كيانهم وتوطيد إيمانهم وحفظهم فى اسم الله الآب وباسمه ومن أجل اسمه . وبذلك حفظ أولئك الذين أعطاه الله الآب إياهم وحافظ عليهم ، فلم يهلك منهم بفضله أحد إلا ابن الهلاك الذى استحق الهلاك بسبب ضعف إيمانه وتسلُّط الشّر على وجدانه واستسلامه لغواية الشيطان له ، والذى كان مقرّرًا فى العلم الإلهى أنه بسبب هذا كله سيكون مصيره السقوط والهلاك على الرغم من أن الله وهبه الحرّية الكاملة فى تصرفاته فسلك طريق الشّر والضلال ، مع أنّ مخلِّصنا فتح له طريق الخير والخلاص على مصراعيه . وكان مخلِّصنا يعنى بابن الهلاك هذا تلميذه يهوذا سمعان الإسخريوطى الذى كان يعلم أنه سيخونه وسيسلّمه إلى أعدائه ليقتلوه والذى تنبأ عنه أنبياء العهد القديم ، إذ ألهمهم الله بأنه سيفعل ذلك ، إذ يقول داود النبى فى المزامير على لسان السيد المسيح « رَجُل سلامتى الذى وثقت به . آكِل خبزى رفَع علىَّ عَقبهَ » (المزمور ٤٠ : ٩) . كما قال عنه « ليقف شيطان عن يمينه .. لم يذكر أن

يصنع رحمة بل طرد إنسانًا مسكينًا وفقيرًا والمنسحق القلب ليميته . وأَحَب اللعنة فأتته ، ولم يُسَرّ بالبركة فتباعَدت عنه . ولبِس اللعنة مثل ثوبه فدخلت كمياه فى أحشائه » (المزمور ١٠٨ : ٦و١٧و١٨) . وإذكانت هذه هى نبوءات الأنبياء عنه قال مخلِّصنا فى ذلك الحديث الوداعى إلى تلاميذه إنه سيهلك « ليتم قول الكتاب » .

ومضى مخلِّصنا بعد ذلك فى مناجاته لأبيه السماوىّ بشأن تلاميذه قائلاً إنه وقد أزفت الساعة ليأتى منطلقًا اليه ، يتكلّم معه على مسمع منهم وهو مايزال فى العالم ليكون مابه من فرح – إذ أنجز عمل الرحمة الذى من أجله قَدم نفسه ذبيحة عن البشَر تكفيرًا عن خطاياهم – دافعًا لتلاميذه لأن يفرحوا هُم أيضًا ، إذ يرون معلّمهم وقد امتلأ فرحًا ، وأن يكون فرحهم هذا كاملاً ، بقدر مايرون أنَّ فرحه هو كامل .

وقد أوضح مخلّصنا فى مناجاته أنه أعطى تلاميذه كلام أبيه السماوىّ ، أى تعاليمه ووصاياه ، التى هى فى نفس الوقت تعاليم مخلِّصنا نفسه ووصاياه ، لأنه مع أبيه فى كيان واحد ووحدة واحدة . ولكنَّ العالم أبغض التلاميذ لأنهم إذ تحرّروا بتعاليم السيد المسيح من سلطان الشيطان رئيس هذا العالم أصبحوا غرباء عن هذا العالم ، وليسوا من هذا العالم ، كما أَن معلِّمهم ربنا يسوع المسيح ليس من هذا العالم ، لأنه – وإن كان هو الرئيس الحقيقى لهذا العالم – لا يمكن أن ينسب نفسه إلى أى مكان فى الوجود يسود فيه الشرّ ويتحكّم فيه الشّرير . فهو إذ كان يملأ الكون بوجوده الإلهى فإنه ينفر من كل شر وينبذ كل شرِّير ويطرده عنه بعيدًا حتى يوم الدينونة الذى يحكم فيه بالهلاك الأبدى على جميع صور الشرّ وكلّ فئات الأشرار . ومخلِّصنا إذ يقرر أنَّ تلاميذه ليسوا من العالم لا يهدف بذلك

إلى أن يأخذهم من العالم كى ينقذهم من شروره ، وإنما أن يعمل على أن يحفظهم من الشّرير الذى هو الشيطان رئيس هذا العالم والمسيطر عليه . فكما أن مخلِّصنا ليس من العالم وليس للشيطان عليه سلطان ، هكذا يريد لتلاميذه الذين هُمْ أيضًا ليسوا من العالم أن يتحرروا وهم لا يزالون فى العالم من سلطان الشيطان الذى يسيطر به على بنى الإنسان . وذلك بأن يتقدسوا فى الحق ، أى أن يؤمنوا بالحق فيصبحوا بذلك قديسين . والحق هو الله ، وهو كلام الله ووصاياه التى لو عملوا بها لامتلأوا بالقداسة التى بها يهزمون الشيطان وكلّ قوّاته ومؤامراته ، وينجون من كلّ أحابيله وضلالاته ، ويصبحون جديرين بأن يكونوا رسلاً لمخلِّصنا . لأنه كما أن الله الآب قد أرسل ابنه القّدوس إلى العالم كى ينجز المهمَّة التى دبّرتها الرحمة الإلهية لخلاص أهل العالم ، هكذا أرسل ابنُ الله أيضًا تلاميذه إلى أهل العالم كى يبشروهم بمجىء المخلِّص الذى وهبهم هذا الخلاص بدمه الزكىّ الذى سفكه على الصليب تكفيرًا عن خطاياهم ، والذى سفكه عنهم باذلاً ذاته من أجلهم وقد قدّسهم به ، ليكونوا هُم أيضًا مقدَّسين بالله الحق وفى الله الحق الذى شاء بدافع من محبته لهم ورحمته إياهم أن يمنحهم هذا الخلاص من حكم الهلاك الذى كان محكومًا به من العدالة الإلهية عليهم بسبب شرورهم .

١٧ : ٢٠ - ٢٣

ولما كان مخلِّصنا هو مخلِّص جميع البشر وأباهم وربَّهم ، لم يقصر مناجاته مع أبيه السماوى على إسباغ نعمته على تلاميذه وحدهم وإنما قال : «ولست أطلب من أجل هؤلاء فقط ، وإنما أيضًا من أجل أولئك الذين يؤمنون بى بكلامهم ، ليكونوا جميعهم فى وحدة . كما أنك أنت أيها الآب فىَّ وأنا أيضًا فيك ، ليكونوا هم أيضًا فى وحدة فينا ، كى يؤمن العالم بأنك أنت الذى أرسلتنى . قد أعطيتهم

المجد الذى أعطيتنى ليكونوا فى وحدة كما أننا نحن أيضًا فى وحدة . أنا فيهم وأنت فىَّ ، ليكونوا هُمْ أيضًا فى وحدة كاملة . وليعلم العالم بأنك أنت الذى أرسلتنى ، وأننى أحببتهم كما أحببتنى » ، أى أن كل ماأراده – له المجد – لتلاميذه من نعمة وتقديس وحماية ينطبق أيضًا على كل البشر فى كل زمان ومكان الذين يؤمنون به ، ويجاهدون بهذا الإيمان علنًا وصراحة ، لتجمعهم جميعًا جامعة واحدة هى الجامعة المسيحية من كل أمة ومن كل شعب ومن كل جنس . فكما أن مخلِّصنا ابن الله تجمعه بالله الآب وحدة كاملة وكيان واحد ، يريد – له المجد – أن يكون جميع المؤمنين به فى وحدة كاملة ذات إيمان واحد يجعلها فى اتصال تام بالله الآب وبابنه الذى أرسله إلى العالم لتحقيق هذه الوحدة بين كل أممه وشعوبه وأجناسه ، ذلك الإيمان الذى يقوم على المعرفة الحقيقية لله الآب والاقتناع الكامل بأنه هو الذى أرسل ابنه الحبيب لخلاص العالم ، إذ أسبغ بمجيئه إلى بنى البشَر الذين فى العالم مجده الذى هو فى نفس الوقت مجد الله الآب ليكونوا جميعًا بالإيمان فى وحدة واحدة ، كما أن الابن فى وحدة واحدة مع الآب تجمع بينهما فى كيان واحد وجوهر واحد ، لأنهم إذ أنهم بإيمانهم بالابن أصبحوا يحيون فيه كما يحيا الابن فى الآب ، وبذلك يحيون هم أيضًا فى وحدة كاملة تشبه الوحدة التى بين الابن والآب . وبذلك يعلم البشَر الذين فى العالم ويؤمنون بأن الآب هو الذى أرسل اليهم الابن ، كما يعلمون – إذ قدَّم نفسه ذبيحة عنهم – أنه أحبّهم كما أحَبَّ الآب ابنه . وهذه أعلَى وأسمَى وأنبل وأكمل درجة من درجات الحب يمكن أن يتصورها العقل أو يصل إليها الخيال .

١٧ : ٢٤ – ٢٦

ثم ختم مخلِّصنا مناجاته لأبيه السماوىّ قائلاً « ياأبتاه أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنيهم يكونون معى حيث أكون أنا ليعاينوا مجدى الذى أعطيتنى ، لأنك

أحببتنى قبل إنشاء العالم . ياأبتاه الحق ، إنّ العالم لم يعرفك ، وأما أنا فعرفتك ، وهؤلاء أيضًا عرفوا أنك أنت الذى أرسلتنى . وقد أخبرتهم باسمك وسأظل أخبرهم ، لتكون فيهم المحبة التى بها أحببتنى ، وأكون أنا أيضًا فيهم » .

وتدلّ تلك التعبيرات الجميلة الجليلة على مَدَى الحبّ الذى أسبغه مخلّصنا على تلاميذه وكل المؤمنين به فى كل زمان ومكان الذين أعطاهم له الآب فأصبحوا من رعيته ورعية الآب الذى هو متحد به ، إذ شاءت إرادته أن يكونوا معه حيث يكون هو ، أى فى الملكوت ليروا بأعينهم مجده الإلهى الذى هو مجد الله الآب فى الوقت نفسه ، بعد أن كانوا يرونه إنسانًا بينهم يتصف بوداعة الطبع وبساطة المظهر وتواضع المهنة . لأنه إذ أحبَّه الآب قبل إنشاء العالم ، أى منذ الأزل ، حبّ الذات لذاتها والجوهر لجوهره ، فإن له المجد الإلهى الذى لله الآب منذ الأزل وإلى الأبد ، وهو يريد لتلاميذه والمؤمنين به بعد رؤيتهم له كإنسان أن يروا مجده بصفته ابن الله وبصفته الله ذاته ، لأنهم بذلك يكتمل إيمانهم وتكتمل السعادة التى يريدها لهم بعد أن ذاقوا العذاب الذى تحمّلوه من أجله ومن أجل الشهادة له ومن أجل الاستشهاد الذى شربوا كأسه فى سبيل تمجيد اسمه والتبشير بوصاياه وتعاليمه . فإن العالم لم يعرف الله الآب ، بل إن اليهود أنفسهم الذين أعلن ذاته لهم دون سائر الشعوب ، وكانوا لا يفتأون يتشدّقون بأنهم شعبه ، قاوموه وعاندوه وعادوه واعتدوا على شريعته . ثم قتلوا بعد ذلك ابنه الذى أرسله لخلاصهم . وأما ابنه فإنه عرفه منذ الأزل معرفة الذات لذاتها ، لأنه منه وفيه وفى وحدة كاملة معه . وقد هَدَى تلاميذه إلى معرفته فآمنوا بأنه ابنه وانه هو الذى أرسله . وقد أخبرهم باسمه ، أى بكنه طبيعته وحقيقة جوهره ، وسيظل يخبرهم بذلك طالما هو قائم بينهم بجسده على الأرض أو وهو قائم معهم بقوته بعد صعوده عنهم إلى السماء ، كى يتعاظم حبهم له إلى المَدَى الذى

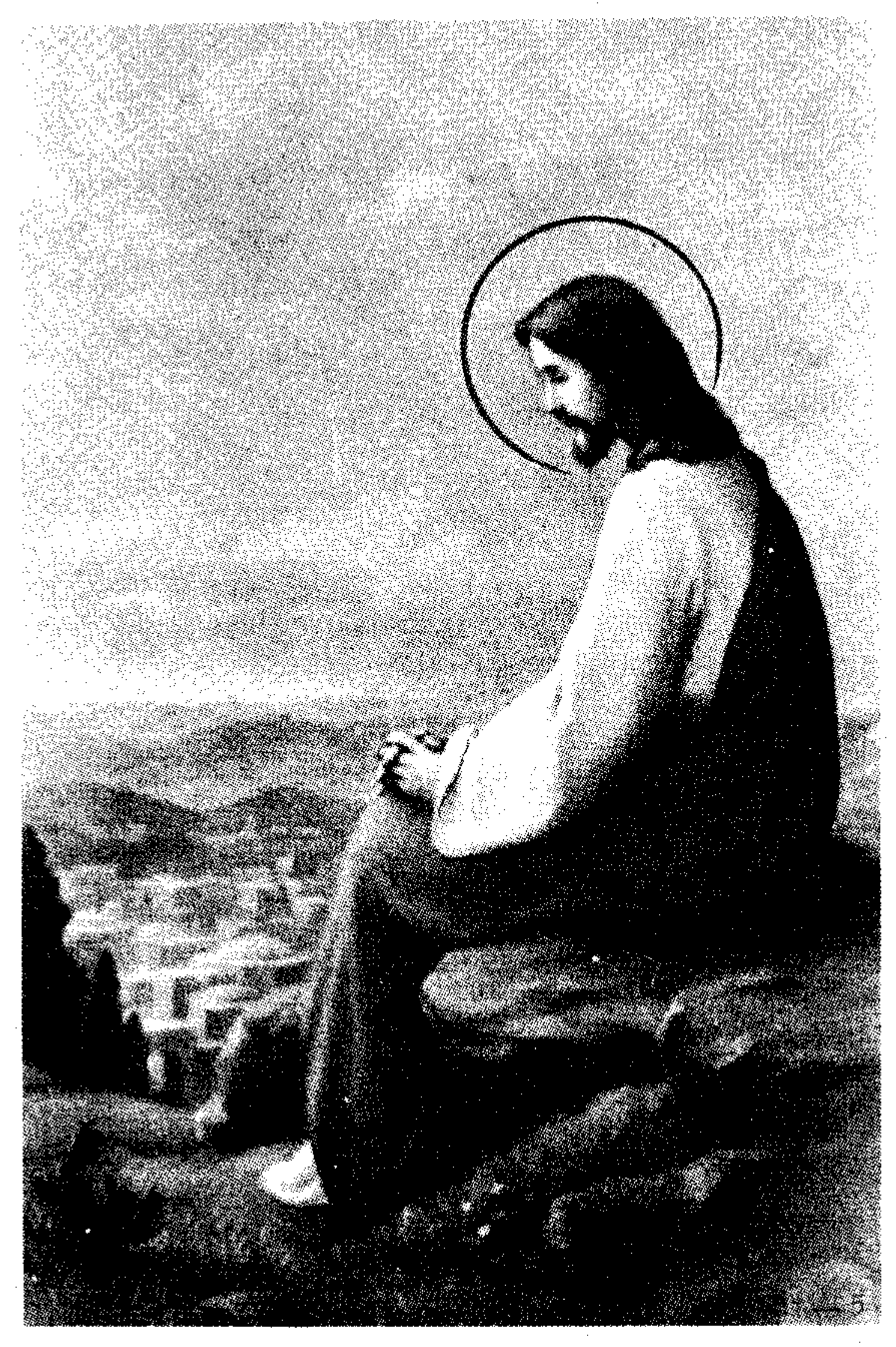
يضاهى حبّ أبيه السماوىّ له ، وعندئذ لا يحيا بينهم فحسب ، وإنما يحيا فيهم ، أى فى صميم كيانهم ووجدانهم ، فيحيون هُم فيه وبه وله ، حياة أبدية لا نهاية لها ولا انقضاء ولا فناء .



الفصل الثامن عشر

١٨ : ١ - ٩

ألقَى مخلِّصنا ذلك الخطاب الرّوحىّ الرائع المؤثر الذى ودّع به تلاميذه وزوّدهم بآخر تعاليمه ووصاياه . ثم ختمه بمناجاة أبيه السماوىّ فى كلمات إلهية بديعة الأسلوب رقيقة اللفظ ، دقيقة الصياغة ، عميقه المعنى ، لا يمكن أن يضاهيها فى بداعتها وروعتها ورقتها ودقتها وعمقها أى كلمات يقولها بشَر مهما بلغ من علمه وحكمته وبلاغته وعبقريته فى أىّ مكان من الأمكنة أو زمان من الأزمنة ، لأنها هى كلمات الله ذاته خالق البشَر . والمهيمن على كلّ مكان وزمان . وقد خرج مع تلاميذه من القاعة التى أكل فيها الفصح معهم ثم ناولهم العشاء الربّانى ، وهى القاعة التى كانت - كما قرّر الآباء الأوائل - تعلو منزل مرقس الرسول كاروز الديار المصرية ، ونزل معهم إلى وادى قدرون الذى يمتد بين الجبل الذى كان يقوم عليه هيكل أورشليم وجبل الزيتون . حيث كان ثمة فى سفح ذلك الجبل بستان ، هو المسمَّى - كما ورد فى البشائر الأخرى - بستان جثسيمانى ، فدخله مخلِّصنا هو وتلاميذه ، وكان يهوذا الإسخريوطى تلميذه الخائن الذى تآمر مع رؤساء اليهود على تسليمه اليهم يعرف ذلك المكان ، لأن مخلِّصنا كان يجتمع فيه كثيرًا مع تلاميذه حين يكون فى أورشليم . ومن ثَمَّ أخذ يهوذا عُصبة من الجند والخدّام من عند رؤساء الكهنة والفريسيين . وجاء بهم إلى هناك ، وإذ كان الوقت مساء وقد اشتدّ الظلام ، أقبلوا ومعهم المشاعل والمصابيح والأسلحة ، كأنهم يبحثون عن مجرم عريق فى الإجرام يتزعّم عصابة



السيد المسيح فى بستان جثسيمانى (يوحنا ١٨ : ١ — ٥)

من قاطعى الطريق يختبئون تحت جنح الظلام ، مدججين بالسلاح للسرقة والنهب والقتل ومقاومة من يهاجمهم أو يحاول القبض عليهم . بيد أنّ مخلّصنا خرج إليهم وتقدَّم نحوهم قبل أن يصلوا إليه أو يكتشفوا مكانه على الرغم من أنه كان عالمًا بكل ماسيأتى عليه بواسطتهم من كل ألوان التنكيل والتعذيب والاعتداء والإهانة والسخرية والاستهزاء . بل كان عالمًا أنهم بعد هذا كله سيقتلونه بأبشع الأساليب تنكيلاً وأشنعها إذلالاً ، وهى أنّهم يعلِّقونه على خشبة الصليب ، رمز المهانة والعار . ومع ذلك خاطبهم بكل وداعة وهدوء ووقار قائلا لهم « مَن تطلبون ؟ » أجابوه قائلين « يسوع الناصرىّ » . فقال لهم على الفور « أنا هو » . وكان يهوذا الخائن الذى وعدهم بأن يدلُّهم عليه ويسلمه اليهم ، واقفًا . فلما قال لهم مخلِّصنا إنى أنا هو أذهلتهم المفاجأة فارتـدُّوا إلى الوراء من جلال هيبته وقوة عظمته وسطوة سلطانه على النفوس ، وسقطوا على الأرض . بيد أنه على الرغم من أنهم كانوا من أعدى أعدائه ، وأن مهمتهم كانت هى القبض عليه لسفك دمه ، لم تفارقه رقته وسماحته وتسامحه حتى بالنسبة إليهم ، إذ أراد أن يخفف من روعهم ويلطف من وقع المفاجأة عليهم ، فسألهم ثانية « من تطلبون ؟ » . قالوا « يسوع الناصرىّ » فأجابهم قائلاً « قد قلت لكم إنى أنا هو ، فإن كنتم تطلبوننى ، فاتركوا هؤلاء يذهبون » . فلم ينكر نفسه أمام أولئك الذين جاءوا معتزمين قتله ، ولم يشفق على نفسه من ذلك الشّر الشنيع الذى يريدونه له ، وإنما أشفق على تلاميذه من أى شرٍّ يصيبهم بسببه . ولا عجب فى ذلك فإنه ماجاء إلى العالم وبذل نفسه ذبيحة على الصليب إلا شفقة منه على البشَر جميعًا من مصير الهلاك المحكوم به عليهم بسبب شرورهم . وقد كانوا جميعًا لا يعرفون الله ولا يؤمنون به . وحتى اليهود الذين أعلن الله لهم نفسه ، تنكروا له وأنكروه وتمردوا على تعاليمه ووصاياه ، فكم بالأحْرَى يشفق مخلِّصنا على تلاميذه الذين أحبّوه وتركوا كل مالديهم فى العالم وتبعوه ، واتخذوه لهم معلِّما وهاديًا

وسيدا وأبًا . بل اتخذوه حين آمنوا بربوبيته ربًّا . ومِنْ ثَمَّ فإنه كافأهم بأنه لم يشأ أن يعرضهم للآلام التي كان يعرف أنه سيتعرض هو لها . تلك الآلام التي إن كان هو قد احتملها لأنها هي جوهر رسالته ، ولأنها مهما بلغت من الشناعة والبشاعة لا يمكن أن تؤدى به إلى الهلاك كما كان رؤساء الكهنة يريدون له ، لأنه ابن الله الحى الذى لا يمكن أن يجوز عليه الهلاك بأى صورة من الصور ، فإنها قد تؤدى إلى هلاك تلاميذه الذين هُمْ بشر يتصفون بما للبشَر من مواطن الضعف التي قد تؤدى بهم فعلاً تحت ضغط التنكيل والتعذيب إلى الهلاك . ولذلك علّق الإنجيل للقديس يوحنا على ذلك قائلاً : « وذلك لتتم الكلمة التي قالها (السيد المسيح) إن الذين أعطيتنيهم لم أهلك منهم أحدًا » . وبينما يدلّ ارتداد الجند ومن معهم إلى الوراء وسقوطهم على الأرض حين كشف لهم مخلِّصنا عن شخصيته ، وهم كثرة كثيرة مسلحة فى حين أنه هو بمفرده وأعزل من كل سلاح ، على هيبته الإلهية التي سقطت عليهم فتراجعوا وسقطوا لا مّرة بل مرتين . تدل الواقعة نفسها على أنه لو كان ينتوى الهرب كان فى سقوطهم فرصته الملائمة ، خصوصًا أنه قد أثبت فى مواقف سابقة أنه كان فى قدرته أن يتوارى عن الناس كلما أراد ذلك ، ويفلت من بين أيديهم مجتازًا بينهم فلا يرونه فى حين يكونون قاصدين أن يمسكوه أو يلقوا أيديهم عليه ويرجموه (يوحنا ٨ : ٥٩) ؛ (١٢ : ٣٦) . وهنا البرهان على أنه أسلم ذاته لأيديهم بإرادته . بل إنه هو الذى خرج إليهم ، ولم يدَعهم يتعبون فى البحث عنه (يوحنا ١٨ : ٤) . وهذا توكيد لقوله السابق « مامن أحد ينتزعها منى ، وإنما أبذلها أنا وحدى من ذاتى . فلى سلطان أن أبذلها ولى سلطان أن استردها » (يوحنا ١٠ : ١٧ و١٨) . وقوله أيضا « نفسى الآن قد اضطربت . فماذا أقول ؟ أيها الآب نجّنى من هذه الساعة . ولكننى من أجل هذا أتيت إلى هذه الساعة » (يوحنا ١٢ : ٢٧) .

١٨ : ١٠ و١١

وعلى الرغم مما أبداه مخلّصنا من وداعة وسماحة وهدوء تجاه أولئك الذين جاءوا ليقبضوا عليه كي يقتلوه . تصرّف تلميذه سمعان بطرس على عادته في حماسة وتسرّع واندفاع بلغ حدّ الاعتداء دفاعًا عن معلّمه ، إذ كان معه سيف فاستلّه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى . وكان اسم ذلك العبد ملخس . وقد نسي بطرس في تلك اللحظة المثيرة كلّ التعاليم التي تلقّاها طوال بضع سنوات من مخلّصنا . والتي تدعو إلى المحبة والسلام والمسالمة وعدم العداء أو الاعتداء حتى على الأعداء . ومِنْ ثَمَّ قال له مخلّصنا في لهجة تدلّ على الاستياء « ضع السيف في غمده » . وقد جاء في الإنجيل للقديس متى أنه قال له بعد أن أمره أن يرد سيفه إلى مكانه « لأن كل من يأخذ بالسيف ، بالسيف يهلك . أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدّم لي في الحال أكثر من اثني عشر جيشًا من الملائكة » (متى ٢٦ : ٥٢ و ٥٣) . وفي هذا القول الدلالة القاطعة على أنَّ مخلّصنا كان يستنكر أن يعتدي أي مؤمن به أيّ اعتداء حتى على الأعداء ، لأن رسالته رسالة سلام ، وديانته ديانة سلام . فكيف يستقيم ذلك مع العداء والاعتداء ؟ كما أنّ في هذا القول الدلالة القاطعة على أن مخلّصنا له السلطان الإلهي الذي يستطيع به ، لو أراد ، أن يدافع عن نفسه ويدفع عنه قوى الأرض كلّها لو أنها هاجمته . ولكنه لم يكن يريد ذلك لأنه ما جاء إلى العالم إلا من أجل هذه اللحظة (يوحنا ١٢ : ٢٧) . ليقدّم نفسه ذبيحة عن البشَر تكفيرًا عن خطاياهم وخلاصًا لهم من الهلاك الأبديّ ، تنفيذًا للتدبير الإلهي الذي سبق أن تمّ بالاتفاق بينه وبين أبيه السماويّ الذي هو متحد به اتحادًا كاملاً . وقد سبق له قبول هذا التدبير طواعية واختيارًا . فهو إذ مات على الصليب كان ذلك بكامل إرادته هو ، لا بإرادة اليهود أو غير اليهود من بني البشَر كما قد يبدو في الظاهر ،

وإن كان هذا لا يعفى اليهود من مسئولية قتله بغير ذنب جناه أو جُرم ارتكبه . لأنهم إذ قتلوه كانوا مختارين لذلك غير مجبرين عليه . وقد قرروا هم أنفسهم ذلك . اذ قالوا للوالى الرومانى بيلاطس البنطى بعد أن تبرأ من دمه . إن « دمه علينا وعلى أبنائنا » (متى ٢٧ : ٢٥) . والإنسان مسئول أمام العدالة الإلهية عمّا يرتكبه من شر وبمحض إرادته هو وتصميمه بمحض اختياره على تنفيذ تلك الإرادة . وهكذا قدَّم مخلِّصنا نفسه مختارًا ليتجرّع كأس الموت وهو البرىء البار تنفيذًا للتدبير الإلهى الذى ارتضاه لخلاص البشَر . ولذلك قال لبطرس « الكأس التى أعطانيها أبى ، ألا أشربها ؟ » فبرهن بذلك على أنه جاء لا ليعادى البشَر أو يعتدى عليهم حتى لو عادوه واعتدوا عليه وقتلوه ظلمًا وعدوانًا ، وإنما جاء ليخلّصهم وليمنحهم الحياة الأبدية والسلام الأبدى . ومِن ثَمَّ فإنه حتى فى هذه اللحظة التى بَلغ فيها حقد تلك الطغمة الباغية من البشَر عليه ذروته وحقارته . وكان يحقّ له أن يستنكر خسته ويستشعر مرارته . تصرَّف على العكس من ذلك تمامًا . إذ أنه بعد أن وبَّخ تلميذه بطرس حين ضرب عبد رئيس الكهنة بسيفه فقطع أذنه ، يذكر لنا الإنجيل للقديس لوقا أنه « لمس أذن العبد فأبرأها » (لوقا ٢٢ : ٥١) . فهل فوق هذا الكمال كمال ؟ وهل فوق هذا الجلال جلال ؟ وهل فوق ذلك المَثَل الرائع النبيل الجميل الذى ضربه له المجد مَثَل أروع وأنبل وأجمل فى السماحة أو التسامح أو الغفران ؟ ذلك هو ما اتصف به المسيح من كمال وجلال وروعة ونبل وجمال وسماحة وتسامح وغفران ، وتلك هى الصفات التى أرادها للمسيحيين الحقيقيين من بنى الإنسان فى كل زمان وكل مكان .

١٨ : ١٢ - ١٤

ولكن قلوب اليهود الذين جاءوا ليقبضوا على مخلِّصنا لم تلبث أن استردّت غلظتها وفظاظتها ، وتناسوا ارتياعهم أمام هيبته بعد أن رأوا مارأوا من وداعته

وسماحته ، وتجاهلوا المعجزة التى صنعها أمامهم ، إذ أعاد إلى عبد رئيس الكهنة أذنه التى قطعها بطرس إلى مكانها وشفاه وأبرأ جرحه ، فأمسك الجنود والقائد والخُدَّام اليهود مخلِّصنا وأوثقوه . وقد كان من عادتهم أن يسوقوا المجرمين موثقى الأيدى من الخلف بحبل يلفونه أيضًا حول أعناقهم ، ومِنْ ثَمَّ فعلوا ذلك بمخلِّصنا ، كأنه من أخطر المجرمين إجرامًا . ثم ساقوه أولاً إلى حنَّان ، لأنه كان حما قيافا الذى كان رئيس الكهنة فى تلك السنة . وقد كان قيافا هذا هو الذى أشار على اليهود قائلاً « إنه خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب » (يوحنا ١١ : ٥٠) . وكان رؤساء اليهود من أعضاء المجمع المسمَّى بالسنهدريم ساهرين عندئذ فى قلق ولهفة ، منتظرين عودة العصبة التى أرسلوها للقبض على مخلِّصنا تحت جنح الظلام ، لكى يسارعوا – بعيدًا عن أعين الشعب الذى يؤمن به – إلى الحكم عليه بالموت بأى تهمة يلفقونها ضده . وقد صمموا على أن يتخلصوا منه فى تلك الليلة بأى وسيلة وبأى حيلة ، ولو كانت مخالفة كل المخالفة لشريعتهم ، أو لأى قاعدة أو قانون . ومِنْ ثَمَّ فإن الجند والقائد وخدّام اليهود مضوا به بعد أن أوثقوه بالحبال إلى حنَّان أولاً . وكان حنَّان هذا هو الذى كان هيردوس الكبير قد جاء به من الاسكندرية ليكون عونًا له فى حكمه الظالم الغاشم الوحشى ، والذى ظلَّ خمسين عامًا يتمتع برياسة الكهنوت هو وأبناؤه الخمسة . وكان رجلاً متغطرسًا شرسًا ماكرًا داعرًا متكالبًا على كل ملذات الدنيا وشهواتها . وعلى الرغم من وجود رئيس كهنة رسمى وهو قيافا ، ووجود رؤساء كهنة عديدين غيره فى ذلك الحين ، كان حنّان هو صاحب السلطان الفعلى على الكهنوت ، وصاحب النفوذ الأكبر بين السلطات الحاكمة ، وفى مجلس السنهدريم . وقد كان المقصود بتقديم مخلِّصنا إليه أوّلاً هو أن حكمه عليه بالموت سيكون ملزِمًا لأى سلطة تحاكم مخلّصنا بعد ذلك ، على الرغم من أنه لم يكن هو رئيس الكهنة الرسمى عند ذاك . ومن ثم كانت محاكمته لمخلِّصنا غير شرعية ولا قانونية . كما

كانت إجراءات هذه المحاكمة غير شرعية ولا قانونية من نواحٍ كثيرة أخرى ، ولا سيما من حيث المكان الذى تَمَّت فيه ، لأنه لم يكن جائزًا المحاكمة فى منزل أحد ، وإنما فى دار القضاء ، ومن حيث الساعة التى تمت فيها ، لأنه لم يكن جائزًا محاكمة متهم أو الحكم عليه فى أثناء الليل ، وإنما ينبغى أن تكون المحاكمة نهارًا .

١٨ : ١٥ - ١٨

وفى هذه الأثناء كانت تجرى خارج الدار مأساة أليمة مريرة تنطوى على أقسى وأقبح صور التخاذل والضعف البشرىّ . إذ أن سمعان بطرس - الذى كان أجرأ تلاميذ مخلّصنا ، والذى قال له منذ لحظات « إننى ولو اضطررت أن أموت معك لن أنكرك » (متى ٢٦ : ٣٥) ، والذى بالفعل حين جاء اليهود للقبض على معّلمنا « استلّ سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة ، فقطع أذنه » - كان قد تبع مخلِّصنا من بعيد وهم يسوقونه إلى دار رئيس الكهنة ، كما تبعه تلميذ آخر هو القدّيس يوحنّا كاتب هذه البشارة . وإن كان تواضعه قد منعه أن يصرّح بذلك ، وكان هذا التلميذ الآخر معروفًا لدى رئيس الكهنة فأمكنه أن يدخل مع مخلِّصنا إلى دار رئيس الكهنة . وأما بطرس فظل واقفًا فى الخارج عند الباب . فخرج التلميذ الآخر الذى كان معروفًا لدى رئيس الكهنة وهو القدّيس يوحنَّا وكلَّم حارسة الباب وأدخل بطرس ، فقالت الجارية حارسة الباب لبطرس « ألست أنت أيضًا من تلاميذ هذا الرَّجُل ؟ » . وعندئذ انهارت شجاعة ذلك الرجل الذى كان معروفًا بين زملائه التلاميذ بشجاعته ، فقال « لا ، لست منهم » ، ثم تسلَّل إلى فناء الدار ووقف بين العبيد والخدام ، وكانوا فى تلك الساعة المتأخرة من الليل قد أشعلوا جمرًا لأنه كان برد وأخذوا يستدفئون ، فوقف هو أيضًا متظاهرًا بأنه يستدفىء معهم .

حتى إذا جيء بمخلِّصنا أمام حنَّان رئيس الكهنة ، استخدم هذا الرجل كل الخبث والمكر اللذين هما من أبرز صفاته ، فتظاهر بأنه لا يعرف شيئًا عن مخلّصنا ، أو تلاميذه أو عن تعاليمه ، وكأنه قاضٍ محايد يستجوب متهمًا ماثلاً أمامه ، فى حين أنه كان يقصد أن يقتنص منه كلمة يدينه بسببها . وقد أدرك مخلِّصنا مقصده فأجابه قائلا « إننى كلمت العالم علانية ، وقد علّمت كل حين فى المجامع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود كلهم ، ولم أقل أىَّ كلمة فى الخفاء ، فلماذا تسألنى أنا ؟ سَل الذين سمعوا ماقلت لهم ، فإن هؤلاء يعرفون ماقلته » . وقد كانت هذه إجابة منطقية مفحمة وملجِمة لرئيس الكنهة ، تردّ سهمه إلى نحره ، وتفضح مكنون شرِّه ومكره ، وتكشف عن سوء نيته وسواد طويّته ، وتتلف خطته التى انتهجها ليتصيّد كلمة من مخلّصنا يدينه بها ويحكم عليه بالموت بسببها . وذلك مما دفع أَحَدَ خُدّام رئيس الكهنة الواقفين لأن يستشيط غيظًا وغضبًا وتظاهرًا بالغيرة على كرامة سيده ، فلطم مُخَلِّصنَا قائلاً له : « أهكذا تجيب رئيس الكهنة ؟ » . بيد أنّ مخلّصنا لم تفارقه - حتى إزاء هذه الإهانة الشائنة والاعتداء الوقح - وداعته وسماحته ، وإنما أجاب ذلك الخادم فى عتاب رقيق وإن كانت تشوبه مسحة من الأسَى والمرارة قائلاً له : « إن كنت قد غلطت فى كلامى فَقُل لى فيما غلطت . فإن كنت قد تكلمت بالصواب فلماذا تضربنى ؟ » . ولكن خادم رئيس الكهنة لم يجد مايقوله . لأن مخلِّصنا كشَفَ له أنه كان فيما فَعَل ظالمًا ومعتديًا دون موجب للاعتداء . وإنما كان ماصدر عنه مجرّد نفاقٍ وتملُّق لرئيس الكهنة . كما أن رئيس الكهنة نفسه وهو حنّان لم يجد فيما قاله له مخلِّصنا أى تهمة يستطيع أن يدينه بها فأرسله موثقًا إلى قيافا رئيس الكهنة الرسمى فى تلك السنة عسَى أن يستطيع إلصاق تهمة بمخلّصنا تؤدى إلى الحكم عليه بالموت . وكان مجرّد إرساله إليه موثقًا دليلاً فى ذاته على أنه حكم بإدانته .

١٨ : ٢٥ - ٢٧

وفيما كانوا يسوقون مخلِّصنا إلى خارج الدار مقيدا بالحبال ، كان تلميذه سمعان بطرس واقفًا يستدفئ مع الخُدَّام ، فقال له أولئك الخُدَّام « ألست أنت أيضًا من تلاميذه ؟ » فأنكر للمرة الثانية - ذلك الذى كان معروفًا بشجاعته وجرأته - وقال « لستُ منهم » . وقد جاء فى الإنجيل للقّديس متى أنه أقسم قائلاً « إنّى لا أعرف هذا الرجل » (متى ٢٦ : ٧٤) . ثم قال واحد من عبيد رئيس الكهنة كانت تربطه صلة بذلك الذى قطع بطرس أذنه « أما رأيتك أنا معه فى البستان ؟ » فأنكر بطرس للمرة الثالثة . وقد جاء فى الإنجيل للقدّيس متى أنه « عندئذ بدأ يلعن ويحلف قائلاً : إنّى لا أعرف هذا الرجل » (متى ٢٦ : ٧٤) . وفى تلك اللحظة صاح الديك . وإذ لم يستطع رئيس الكهنة حنّان -كما رأينا - أن يصطاد من مخلِّصنا كلمة يدينه بها ، وكان يعرف أنه ليس صاحب السلطان الشّرعى فى محاكمته أرسله موثقًا إلى قيافا رئيس الكهنة الرسمى . وفيما كانوا خارجين به من دار حنّان إلى دار قيافا يقول الإنجيل للقديس لوقا إن مخلِّصنا « نَظَر إلى بطرس . فتذكّر بطرس كلمة الربّ إذ قال له : لن يصيح الديك اليوم حتى تكون قد أنكرتنى ثلاث مرات . فمضى بطرس إلى الخارج وبكى بكاء مرًّا . (لوقا ٢٢ : ٦١ و٦٢) فكانت دموع بطرس التى ذرفها وهو يبكى ذلك البكاء المُرّ هى الدليل على ندمه وتوبته الصادقة ، وهى التى طهرته وأبرأته من خطئه وخطيئته فى حق سيّده مما أدى - كما سنرى - إلى عفو سيده عنه وغفرانه زلّته التى ارتكبها تحت وطأة ضعفه البشَرىّ ، لا عن تراجع فى إيمانه ، وإنما عن تضعضع فى عزيمته . والندم والتوبة الصادقة هما السبيل إلى العفو والغفران ، وإلى الرحمة الإلهية التى لا حدود لها ولا قيود عليها . لأنّ الله كما هو عادل عدالة مطلقة ، فإنه رحيم كذلك رحمة مطلقة .

ولم يذكر الإنجيل للقديس يوحنا تفصيلات محاكمة مخلّصنا أمام قيافا . ولكننا نعلم من الإنجيل للقديس متى أن رؤساء اليهود مضوا بمخلّصنا إلى دار قيافا الذى كان رئيسًا للكهنة فى تلك السنة . وقد انتقل أعضاء مجلس السنهدريم إلى هناك فى الهزيع الأخير من الليل كى يواصلوا المحاكمة بطريقة شرعية ، ويصدروا الحكم الذى كانوا يتلهفون عليه ، والذى ظلوا الليل كله ساهرين للتوصّل إليه . بيد أن مافعلوه ظل مع ذلك غيرشرعى ، لأنه لم يكن جائزًا المحاكمة فى منزل ، ولا فى أثناء الليل . وفى دار قيافا كما يقول ذلك الإنجيل «كان الكتبة والشيوخ مجتمعين .. وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يبغون شهادة زور ضد يسوع ليقتلوه . ولكنهم لم يجدوا ، مع أن شهود زور كثيرين قد جاءوا من أجل ذلك . وأخيرًا تقدَّم شاهدا زور ، وقالا : إن هذا قد قال إنى أَستطيع أن أهدم هيكل الله ثم فى ثلاثة أيام أبنيه . فنهض رئيس الكهنة وقال له : أمَا تجيب بشىء على مايشهد به أولئك عليك ؟. أما يسوع فظلّ صامتًا . فأجاب رئيس الكنهة وقال له : أستحلفك بالله الحىّ أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله ؟. فقال له يسوع : نعم أنا هو كقولك . وإنى لأقول لكم كذلك إنكم منذ الآن سترون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القدرة وآتيًا على سحب السماء . وعندئذ مزّق رئيس الكهنة ثيابه قائلاً : لقد جدّف . فما حاجتنا بعد إلى شهود ؟ ها أنتم أولاء قد سمعتم الآن تجديفه . فماذا ترون ؟. فأجابوا وقالوا : إنه يستحق الموت . وعندئذ راحوا يبصقون فى وجهه ويلكمونه . وراح آخرون يلطمونه قائلين : تنبأ لنا أيها المسيح مَن الذى ضربك ؟ » (متى ٢٦ : ٥٧ – ٦٨) . وقد انطلقوا يبحثون عن شهود زور يشهدون ضدّ مخلّصنا ، لأنهم – وإن كانوا قد بيتوا النِّية على الحكم عليه بالموت غيلة ولغير سبب شرعى أو غير شرعى – أَرادوا أن يضفوا مظهر الشرعية على المحاكمة ليوهموا الناس بأن ثمة أسبابًا تجعله يستحق الموت . وإذكان

اختصاصهم فى نظر الجرائم الجنائية لا يتعدَّى جريمتى التجديف على الله والتعليم المخالف للدين ، أطلقوا منادين فى كلّ أنحاء المدينة ينادون بأن كل من لديه شهادة ضد يسوع الناصرى فليتقدم بها . ولكن أحدًا لم يتقدم ، فجاءوا من عندهم بشهود يشهدون ضّده زورًا . بيد أن شهاداتهم كانت متناقضة واضحة الكذب والتلفيق . حتى تقدّم اثنان منهم وقالا : « إن هذا قد قال إنى أستطيع أن أهدم هيكل الله ثم فى ثلاثة أيام أبنيه » . وكان ذلك يعنى أنه عدّو للهيكل وأنه يريد هدمه . وهذا أمر يثير أشد السخط لدى اليهود الذين كان الهيكل هو رمز أمتهم وموضع فخارهم . كما كان ذلك يعنى أنه يمارس أعمال السحر التى لا يمكن بغيرها أن يبنُى ذلك الهيكل الضخم الذى استغرق بناؤه ستة وأربعين عامًا . فهو إذن يجدِّف على الله إذ يعتدى على هيكله . وهذه جريمة تستوجب الموت . كما أنه يمارس أعمال السحر ، وهذه جريمة تستوجب الموت كذلك . وقد كان مخلّصنا بالفعل قد سبق له أن قال عبارة قريبة من هذه ، ولكن الشاهدين تعمَّدا تحريفها من حيث المعنى ومن حيث اللفظ . إذ كان اليهود قد طلبوا من مخلِّصنا آية يثبت لهم بها أنه هو المسيح الذى ينتظرونه . وإذ كان قد سبق أمامهم من الآيات ما يكفى لإثبات هذه الحقيقة . ولكنهم لم يقتنعوا ، أراد أن يقرر لهم أنهم لن يقتنعوا إلا بعد أن يروا موته ثم قيامته . فقال لهم : « انقضوا هذا الهيكل وأنا فى ثلاثة أيام أقيمه » (يوحنا ٢ : ١٩) . مشيرًا بذلك إلى أنهم سيقتلونه وينقضُون هيكل جسده ، ولكنه بعد ثلاثة أيام سيقيم هذا الجسَد حيًّا .

ويبدو هذا المعنى واضحًا فى الإنجيل للقديس يوحنا حين ذكر هذه العبارة إذ يقول « فأجاب اليهود وقالوا له : أيّة آية ترينا حتى تفعل هذا ؟ أجاب يسوع وقال لهم : انقضوا هذا الهيكل وأنا فى ثلاثة أيام أقيمه . فقال له اليهود : فى ست وأربعين سنة بُنى هذا الهيكل ، أفتقيمه أنت فى ثلاثة ايام ؟. ولكنه كان يتكلّم عن هيكل جسده . فلما قام من بين الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا »

(يوحنا ٢ : ١٨ – ٢٢) . ولكن الشاهدين حرّفا المعنى الذى كان يقصد إليه السيد المسيح بقوله ، وشهدا زورًا بأنه كان يقصد لا هيكل جسده ، وإنما هيكل أورشليم . كما أنهم – لتدعيم هذا التحريف فى المعنى – حرَّفا بعض الألفاظ فى عبارته ، إذ قال هو « انقضوا هذا الهيكل » ، أى أنكم « إذا نقضتم هيكل جسدى » . وأما هما فقالا إنه قال « إنى أستطيع أن أهدم هيكل الله » . وقد قال هو « وأنا فى ثلاثة أيام أقيمه » . وواضح أنَّ الإقامة تعنى إقامة الجسد إلى الحياة بعد الموت . وأما هما فقالا إنه قال « وأنا فى ثلاثة أيام أبنيه » ، لكى ينصرف المعنى بذلك إلى بناء الهيكل الحجرى ، لا إلى إقامة الهيكل الجسدى . ولعلّ أوضح دليل على ما ارتكباه من تحريف فى عبارته ، أنه لو كان قد قالها بالصورة التى زعماها ، لكان اليهود قد حاكموه وقتلوه منذ زمانٍ طويل ، ولكنهما كانا شاهدى زور ، وكانت شهادتهما كاذبة ، وقد تحققت فيهما النبوءة القائلة بلسان السيّد المسيح « قام علىَّ شهود زور » (المزمور ٢٦ : ١٢) ، والنبوءة القائلة أيضًا بلسانه « أنا أفديهم وهم يتكلّمون علىَّ بكذب » (هوشع ٧ : ١٣) . وإذ كان مخلِّصنا عالمًا أنه لا جدوى من مناقشة أولئك الذين يحاكمونه ، لأنهم أشرار ظالمون مفترون قاتلون ، لا ضمير لهم ولا رحمة فى قلوبهم ، فقد صمت ، ولم يفتح فاه بكلمة واحدة ، وبذلك تحققت نبوءة إشعياء التى تقول عن المسيح إنه « ظُلِم . أما هو فتذلَّل ولم يفتح فاه . كَشَاةٍ تساق إلى الذبح ، وكنعجة صامتة أمام جازّيها فلم يفتح فاه » (إشعياء ٥٣ : ٧) . بيد أن صمته النبيل الجليل أغاظ أولئك الحاقدين الموتورين المتعجرفين . فنهض رئيس الكهنة وقال له : « أمَا تجيب بشىء على مايشهد به أولئك عليك ؟ » . وقد أراد بذلك أن يثيره ليتصيّد منه كلمة يدينه بها ، لكنه ظل صامتًا لا يعطيهم هذه الفرصة التى يتحرّقون تحرُّقًا لاقتناصها . وعندئذ لجأ رئيس الكهنة الخبيث الماكر إلى السؤال الذى كان واثقًا من أنّ السيد المسيح لا يمكن أن يمتنع عن الإجابة عنه ، إذ قال

له : « أستحلفك بالله الحيّ أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله ؟ » وقد حَدَّدت نبوءات كل أنبياء اليهود أوصاف السيد المسيح تحديدًا كاملاً دقيقًا ، وبيَّنت زمان مجيئه إلى العالم ومكان ميلاده وظروف حياته ، وأوضحت ماسينادى به من التعاليم وماسيصنعه من المعجزات ، وصرحت بكلّ ماسيحدث له فى أثناء وجوده على الأرض . فلو أن اليهود – ولا سيمّا رؤساؤهم وفقهاؤهم – فكّروا قليلاً فى تطبيق هذه النبوءات التى وردَت فى كتبهم المقدّسة على ذلك الذى يحاكمونه ويصمّمون على قتله ، لتبينوا أنه هو المسيح الذى ينتظرونه . لكنهم أطارت الكبرياء عقولهم ، وأعمت الغيرة أبصارهم وبصائرهم ، وأَمات الحقد مشاعرهم وضمائرهم ، وقد أصابهم الذعر على مناصبهم ومكاسبهم ، فاندفعوا فى جنون للقضاء على مسيحهم . بل لقد كان تصريحه بأنه هو المسيح هو التهمة التى كانوا يتسقطونها من فمه ليدينوه بها ويقتلوه بسببها . وبالفعل أجاب السيد المسيح عن سؤال رئيس الكهنة عما إذا كان هو المسيح ابن الله قائلاً « نعم أنا هو » . وقد كان طوال مدة تعليمه لا يقول صراحة إنه هو المسيح ابن الله إلا نادرًا . فقد كان يريد أن تكون تعاليمه ومعجزاته هى الدليل على هذه الحقيقة . لكنه إذ أصبح الموقف لا يحتمل السكوت الذى قد يحمل فى هذه الحالة معنى الإنكار ، جاهر بهذه الحقيقة ، وهو عالم أن مجاهرته بها ستكون هى السبب فى موته ، لكى يكون هذا إعلانًا للعالم كله بأنه هو المسيح ابن الله ، ولكى لا يعود لليهود عذر بعد ذلك يتذرعون به لتبرئة أنفسهم من دمه . وقد أراد أن يوبِّخهم على كبريائهم وغبائهم ، ويصحح خطأهم فى فهم نبوءات أنبيائهم ، إذ ازدروا تواضعه وهو على الأرض ، فوصف لهم مجده وهو فى السماء ، قائلاً « وإنى لأقول لكم كذلك إنكم منذ الآن سترون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القدرة ، وآتيًا على سحب السماء » . أى أنه على الرغم من أنه هو ابن الله الذى تواضع واتخذ صورة الإنسان ، قد ظل محتفظًا بمجده الإلهى . ولن يلبثوا أن يروه جالسًا عن يمين

القدرة الإلهية ، وهو متخذ تلك الطبيعة التى ازدروه بسببها وهو ماثل امامهم وهو كونه ابن الإنسان ، على مقتضى النبوءة التى يقول فيها الله الآب للمسيح « اجلس عن يمينى » (المزمور ١٠٩ : ١) . فمع أنهم يرونه الآن إنسانًا وديعًا متواضعًا بسيط المظهر لا حول له ولا قوة ، أمام سطوتهم وجبروتهم ، لن يلبثوا أن يروه ملكًا يجلس على عرشه فى مجد وجلال وسلطان ، كما أنهم سيرونه « آتيًا على سحب السماء » وفقًا لنبوءة دانيال النبى عن المسيح التى يقول فيها : « وإذا مع سحب السماء مِثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام (وهو الله الآب) ، فقرَّبوه فأُعطى سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدىّ ، مالن يزول ، وملكوته مالا ينقرض» (دانيال ٧ : ١٣ و ١٤) . وبهذا السلطان سيأتى المسيح إلى اليهود قريبًا فيدينهم على شرورهم ويحكم بهلاكهم ، كما أنه سيأتى إلى العالم كله فى يوم الدينونة ليحكم بهلاك الأشرار جميعًا ، فكان هذا إنذارًا أخيرًا من السيّد المسيح إلى أولئك الذين تنكروا له ، وأصّروا على إنكاره ، وتآمروا على قتله . ولكن هذا الإنذار – ككل ماسبق أن وجهه اليهم من إنذارات – لم يكن ليفتح أعينهم ، وإنما ازدادوا عمى على عماهم ، ولم يكن ليضىء بنور الحقيقة قلوبهم ، بل ازدادت هذه القلوب ظلامًا على ظلامها . ولم يكن ليجعلوا منه هاديًا يهديهم ويأخذ بأيديهم فى طريق الخلاص ، وإنما جعلوا منه دليل اتهام ضد مخلّصهم ، وسلاحًا يقتلونه به ، إذ مزق رئيس الكهنة ثيابه قائلاً : « لقد جدّف ، فما حاجتنا بعد إلى شهود ؟ هاأنتم أولاء قد سمعتم الآن تجديفه » . وكان تمزيق الثياب عادة قد جرت عند اليهود إذا ماسمعوا أو رأوا شيئًا يتضمّن إهانة لله (إشعياء ٣٦ : ٢٢) ؛ (٣٧ : ١) . ولذلك تظاهر رئيس الكهنة بالغيرة الشديدة على مجد الله والغضب الشديد على مازعم من إهانة لحقته ، إمعانًا فى إثبات تهمة التجديف التى ألصقها بالسيد المسيح ، مستخلصًا إياها من ذات كلامه . وقد وَجد فيها المنقذ

من ورطة إخفاقهم فى العثور على شهود تكفى شهادتهم للحكم عليه بالموت ، ومِنْ ثَمَّ أَدار بصره فى أعضاء المجلس ، وقال لهم فى لهفة وتسرُّع : « فماذا ترون ؟ » وكأنه بذلك يسألهم عن رأيهم باعتبارهم أعضاء المحكمة المختصة بإصدار الحكم . لكنه إنما كان سؤالاً شكليًّا ، لأنه وهو رئيس المجلس ، قد سبق وأصدر الحكم فعلاً على المخلِّص بالموت ، إذ اتهمه بالتجديف ، ولأنه بحكم رياسته للمجلس يدرك أن الأعضاءَ المرؤوسين له سيوافقونه لا محالة على الحكم الذى أصدره بموته ، ولا سيما أنهم كانوا كلهم مثله متلهفين على إصدار هذا الحكم ، وقد سهروا طوال الليل كى يصلوا إلى إصداره . وهذا ماحدث بالفعل ، إذ أجابوه قائلين : « إنه يستحق الموت » ، أى أن الشريعة تقضى بموته ، ومع أنهم لم تكن لهم سلطة إصدار الحكم بالموت فى ذلك الحين . وإنما كان ذلك من سلطة الوالى الرومانى فإنهم بهذا الحكم الذى أصدروه ، جعلوا موته محققًا ، لأن الوالى الرومانى كان قليلاً مايتعرَّض لهم فى شئون دينهم ، وكان يوافقهم غالبًا فى الأحكام التى يبنونها على أسباب دينية . وبمجرّد أن أصدر مجلس السنهدريم حكمه على السيد المسيح بالموت ، بدأ أعضاء ذلك المجلس من رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة يهينونه ويعتدون عليه ويهزأون به ، إذ راحوا يبصقون فى وجهه ويلكمونه ، كما خرجوا على وقارهم الذى يليق بمكانتهم وشيخوختهم فراحوا يلطمونه وهم يقولون ساخرين : « تنبأ لنا أيها المسيح منَ الذى ضربك ؟ » وهكذا تحققت نبوءة إشعياء النبى القائل بلسان المسيح : « وجهى لم أستر عن العار والبصق » (إشعياء ٥٠ : ٦) . والقائل « بذلت خَدِّى للناتفين » (إشعياء ٥٠ : ٦) . كما تحققت نبوءة إرميا النبى القائل « يعطى خده لضاربيه . يشبع عارًا » (مراثى إرميا ٣ : ٣٠) . وتحققت نبوءة ميخا النبىّ القائل : « يضربون قاضى إسرائيل بقضيب على خَدِّه » (ميخا ٥ : ١) .

كما لم يذكر الإنجيل للقديس يوحنا محاكمة مخلَصنا للمرَّة الثالثة أمام مجلس

السنهدريم . بيد أننا نعلم من الأناجيل الأخرى أنه على الرغم مما بذله رئيسا الكهنة حنّان وقيافا وأعضاء مجلس السنهدريم من جهد عنيف محموم طوال الليل فى الوصول إلى حكم بالموت على السيّد المسيح ، وعلى الرغم من أنهم قرروا بالفعل فى محاكمتهم الصورية له أنه يستحق الموت ، لم يجرءوا على إعلان هذا الحكم أو إذاعته بين الشعب ، لأنهم كانوا يدركون أن كل الإجراءات التى اتخذوها كانت غير شرعية ولا قانونية ، اذ لم يكن شرعيًّا ولا قانونيًّا محاكمة متهم أو الحكم عليه فى أثناء الليل أَو فى مكان غير ساحة القضاء ، ومن ثَمَّ أرادوا أن يتداركوا ذلك الخطأ الذى ارتكبوه فى الإجراءات والذى دفعهم إليه تسرُّعهم ولهفتهم على قتل السيد المسيح ، وأرادوا أن يضفوا طابع الشرعية المفتعلة على المحاكمة ، ويتظاهروا بالتزام أحكام القوانين والمبادىء المعمول بها فى هذا الشأن . فألقوا بالسيّد المسيح فى السجن حتى بزغ أول خيط من نور النهار ، وعندئذ جاءوا به موثق اليدين من الخلف إلى قاعة فى الهيكل كانت مخصَّصة للمحاكمة ، وكانوا يسمّونها « ليسكات هجازيت » أى « القاعة المبلّطة » ، حيث كان قد اجتمع مجلس السنهدريم بكامل هيئته فى تلك الساعة المبكرة من فجر يوم الجمعة الرابع عشر من نيسان (إبريل) . وكان المجلس يضم كل أعداء السيد المسيح من الكهنة والكتبة والصدّوقيين والفرّيسيين وغيرهم من الشيوخ ذوى النفوذ فى البلاد . وكانوا كلهم تقريبًا قد عقدوا العزم مقدّمًا على الحكم بالموت على السيد المسيح ، ماعدا أفرادًا قلائل منهم كانوا يؤمنون بالسيّد المسيح فى قرارة أنفسهم ، دون أن يعلنوا ذلك . وقد ذكرت البشائر من هؤلاء اثنين هما نيقوديموس (يوحنا ٣ : ١ و ٤ و ٩) ؛ (٧ : ٥٠) ويوسف الرامى (متى ٢٧ : ٥٧ و ٥٩) ؛ (مرقس ١٥ : ٤٣ و ٤٥) ؛ (لوقا ٢٣ : ٥٠) . وكانت التهمة التى اعتزموا توجيهها إليه ليتمكنوا من قتله هى التجديف على الله ، التى لم يستطيعوا فى أثناء المحاكمتين السابقتين غير الشرعيتين أن ينسبوا إليه غيرها ، وإن كانوا قد ألصقوها به زورًا وبهتانًا . فقد

أخفقوا فى الحصول على شهود يشهدون ضده . وحتى شهود الزور الذين سخّروهم لهذه الغاية كانت شهاداتهم متناقضة وظاهرة التلفيق ، بحيث لا تصلح أساسًا لإدانته . وقد طالما اتهموه بأنه يخالف وصية حفظ السبت ، وهى تهمة عقوبتها فى الشريعة الرّجم . ولكنهم أحجموا عن توجيهها إليه لأنها كانت ترتبط دائمًا بمعجزات الشفاء التى صنعها فى ذلك اليوم ، والتى كانت تبهر الشعب وتدفعه إلى الإيمان به . كما أنهم طالما اتهموه بأنه يرفض التقاليد والوصايا الشفوية التى ابتدعها زعماء الفرّيسيين . ولكنهم أحجموا كذلك عن توجيه هذه التهمة إليه ، لأن الصدّوقيين كانوا يوافقونه فى ذلك ويرفضون تلك التقاليد والوصايا .. وقد كان يمكن أن يتهموه بأنه دخل الهيكل وادّعى لنفسه السلطان عليه والحق فى أن يطرد منه الذين كانوا يملأونه من الصيارفة وباعة الثيران والحمام ، ولكنهم جبنوا عن توجيه هذه التهمة إليه . لأن هذا الذى فعله فى الهيكل وإن كان قد أسخط الكهنة ، كان موضع الرِّضا والتأييد من الشعب ، ولم يكونوا يستطيعون أن يتهموه بأن له تعاليم خفية تخالف الشريعة أو تناهض الرومان ، لأن تعاليمه كلها كانت علنية ، وكان ينادى بها فى الشوارع والميادين والمجامع وفى الهيكل نفسه ، على مسمع من الجميع دون استثناء وبغير خفاء. وهكذا لم يجدوا فى جعبتهم غير تلك التهمة التى اصطنعوها اصطناعًا ولفقوها تلفيقًا ، إذ بنوها على ماأعلنه فى محاكمته السابقة من أنه هو المسيح ابن الله . وقد كانت هذه حقيقة يستوجب من أجلها التبجيل والإجلال ، لكنهم اعتبروها جريمة يستحق عليها الإهانة والموت . ومِنْ ثَمَّ ركَّزوا كل جهدهم فى أن يدفعوه دفعًا لأن يذكرها مرة أخرى علانية ، وكأنها اعتراف من المتهم بجريمة ارتكبها . ولما كان الاعتراف سيّد الأدلة ، كان فى ذلك مايكفيهم ليصدروا عليه الحكم الذى يعتبرونه شرعيًّا وقانونيًّا ، والذى يثقون أن أحدًا لن يستطيع أن يعارض فيه أو يعترض عليه . لأنه يتفق مع شريعة اليهود ، إذ أن عقوبة التجديف فى تلك الشريعة هى

على الصليب حتى يموت . وفى ذلك تنبأ مخلّصنا لتلاميذه حين كانوا صاعدين إلى أورشليم فى المرة الأخيرة قائلاً لهم : « هانحن أولاء صاعدون إلى أورشليم ، ولسوف يسلّم ابن الإنسان إلى رؤساء الكهنة وإلى الكتبة فيحكمون عليه بالموت ، ويسلّمونه إلى الوثنيين ليهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه » (متى ٢٠ : ١٨ و١٩) .

وقد جاء فى الإنجيل للقديس لوقا أن رؤساء اليهود إذ رأوا ما كان عليه الوالى الرومانى من غيظ وغضب ، وضيق وضجر ، أحجموا عن ان يوجهوا إلى السيد المسيح أمامه تهمة التجديف التى سبق لهم أن جعلوها أساسًا للحكم عليه بالموت ، خشية أن يرفض المصادقة على الحكم ، فتجاوزوا عن تلك التهمة الدينية التى لا يأبه لها ذلك الحاكم الرومانى ، وراحوا يكيلون للسيد المسيح اتهامات سياسية ، يظهرونه فيها بمظهر المتمرّد على قيصر الرومان ، قائلين له « إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ، ويقول بالامتناع عن أداء الجزية لقيصر ، مدعيًا أنه هو المسيح الملك » (لوقا ٢٣ : ١ و٢) .

وقد صاغوا هذه الاتهامات بكل ما اشتهروا به من الخبث والمكر والدهاء والشّر . فقد كانوا يهدفون من ورائها لا إلى إحراج بيلاطس وقسره قسرًا على الاستماع إليهم والرضوخ إلى مشيئتهم فحسب ، وإنما كانوا يهدفون كذلك إلى إشراك الرومان فى مسئولية قتل السيد المسيح ليتخلصوا هم منها . كما كانوا يهدفون إلى أمر آخر كان أكثر أهمية لديهم ، وكانوا يتلهفون عليه ويتحرقون تحرُّقًا لتحقيقه ، فيشفوا غليلهم من السيد المسيح ويتشفوا أبشع وأفظع مايكون التشفّى ، وهو أن يقتله الرومان لا بطريقة الرجم أو الخنق اليهودية ، وإنما بالطريقة الرومانية ، وهى التعليق على خشبة الصليب ، لأن المعلّق على خشبة يعتبر فى الشريعة اليهودية ملعونًا من الله (التثنية ٢١ : ٢٢ و٢٣) ولأن هذه الوسيلة من وسائل القتل تتضمّن أقسى ألوان التنكيل والتعذيب ، وأقبح صور الهوان والمذلّة والعار .

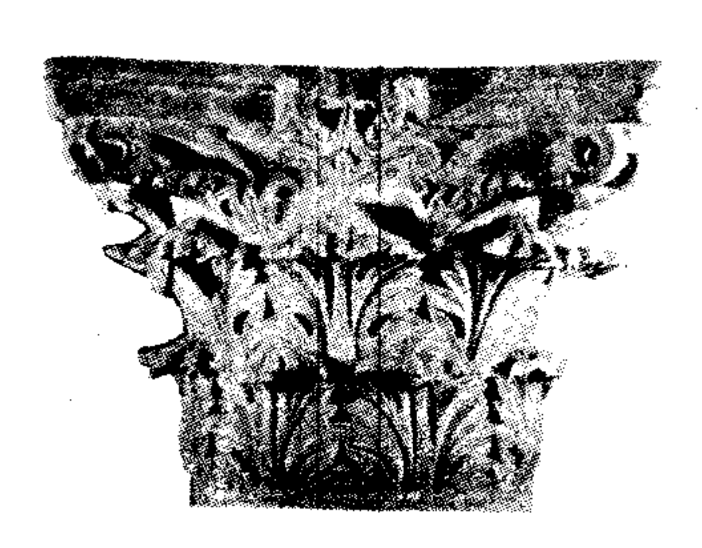
وقد كانوا يعتقدون أن بيلاطس البنطى سيأخذ هذه الاتهامات التى ساقوها إليه قضية مسلَّمة ، فيصدر حكمه بالموت على السيد المسيح دون محاكمةأو تحقيق . بيد أن بيلاطس رأى مايطلّ من أعينهم من حقد متّقد وضغينة مضطرمة وقسوة مفترسة ورغبة مجنونة فى الفتك بذلك الشاب الوسيم الوديع الهادىء الذى كان يقف أمامه فى نبل الملوك وسموّ الملائكة ، فأيقن أنه برىء من تلك الاتهامات التى يوجهها اليه أولئك الأشرار المتوحشون الهائجون المائجون ، دون أن يقدّموا عليها أىّ دليل ، أو يؤيدوها بأى حجة من وثيقة مكتوبة أو شهادة شاهد واحد ، فقرر أن يتولى التحقيق بنفسه . ومِنْ ثَمَّ عاد فدخل دار الولاية ودعا إليه مخلِّصنا وقال له : « أأنت ملك اليهود ؟ » ، وقد كان هذا هو جوهر الاتهامات الثلاث التى وجهها رؤساء اليهود إليه ، لأنه إذا اعترف بأنه ملك اليهود كان هذا دليلاً على أنه يتزعمهم ، ويحرضهم على الثورة ضد قيصر الرومان ويحضهم على الامتناع عن دفع الجزية إليه والخلاص من حكمه وسيطرته ، فيفسد بذلك الأمة على حدّ قولهم الذى أرادوا به أن يتملقوا قيصر ويتظاهروا بالولاء له وبالغضب على من يثور عليه . وقد كانت هذه التهمة ظاهرة البطلان ، لأن السيد المسيح لم يتعرّض للأمور السياسية قط ، وقد سبق أن قال لليهود منذ أيام قليلة فى هيكلهم نفسه حين أرادوا أن يقحموه فى هذه الأمور « أعطوا مالقيصر لقيصر » . إلا أنه حين سأله بيلاطس عمَّا إذا كان هو ملك اليهود أجابه قائلاً « أَمِنْ نفسك تقول هذا ، أم قال لك آخرون ذلك عنى ؟ » . فقال بيلاطس « أَلَعلِّى أنا يهودى ؟ إنَّ أمتك ورؤساء الكهنة هم الذين أسلموك إلىّ ، فماذا فعلت ؟ » . فأجاب مخلِّصنا قائلاً : « إنّ مملكتى ليست من هذا العالم . ولو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خُدَّامى يقاتلون عنى كى لا أُسَلَّم إلى اليهود . والآن فإنَّ مملكتى ليست من هذا العالم » . فقال له بيلاطس :

« أفانت إذن ملك ؟ » . أجاب مخلّصنا قائلا : « نعم أنا ملك كقولك . ولأجل هذا وُلِدت أنا ، ولأجل هذا جئت إلى العالم كى أَشهد للحق ، فكل من هو من الحق يسمع صوتى » ، فقال له بيلاطس : « وماهو الحق ؟ » . لكنه لم ينتظر إجابة السيد المسيح عن هذا السؤال ، إذ تحقق من كلامه بما فيه الكفاية أنه برىء مما يتهمونه به . ومِنْ ثَمَّ خرج ثانية إلى اليهود وقال لهم : « إننى لا أجد فى هذا الرجل خطيئة . ولما كانت قد جرَت العادة عندكم على أن أطلق لكم فى الفصح سراح واحد ، فهل تريدون أن أطلق لكم سراح ملك اليهود ؟ » وقد كان هذا حكمًا واضحًا صريحًا من الوالى الرومانى ببراءة السيد المسيح . فلما سمع اليهود هذا الحكم ثار ثائرهم وهاجوا هياجًا هستيريًّا ، وعادوا جميعًا يصرخون فى غِلٍّ وغضب قائلين « لاتطلق سراح هذا ، بل باراباس » . وكان باراباس هذا لصًّا .

وقد ذكر الإنجيل للقديس لوقا بعض تفصيلات لتلك المحاكمة لم يوردها الإنجيل للقديس يوحنا . وهى أن اليهود راحوا يلوّحون بقبضات أيديهم فى تهديد ووعيد للوالى نفسه ، قائلين « إنه يهيجّ الشعب ويعلِّم فى كل اليهودية ابتداء من الجليل إلى هنا » (لوقا ٢٣ : ٥) . وإذ كان بيلاطس يحتقر أولئك اليهود معتبرًا إياهم طغمة دنيئة منحطة ، وكان يزدرى خلافاتهم الدينية التى لا تنتهى ، معتبرًا إياها خزعبلات قوم جهلة حمقَى مخرِّفين ، ضاق ذرعًا بهم ، وضاق ذرعًا بهذه القضية التى يعرضونها عليه ، فما إن سمعهم يذكرون الجليل حتى وجد فى ذلك فرصة للتخلُّص منهم ومن قضيتهم . ومِنْ ثَمَّ « سأل عما إذا كان الرَّجُلُ جليليًّا . فما إن علم أنه تابع لولاية هيرودس حتى أرسله إلى هيردوس الذى كان هو أيضًا فى أورشليم فى تلك الأيام » (لوقا ٢٣ : ٥ — ٧) . وذلك على الرغم من أنه كان يمقت هيردوس ، وكانت بينهما عداوة سافرة .

كما لم يتكلَّم الإنجيل للقدّيس يوحنا عن تفصيلات محاكمة مخلّصنا أمام هيرودس، وكانت تلك هى المحاكمة الخامسة التى تعرض لها فى ذلك اليوم. ولكن الإنجيل للقديس لوقا شرح تفصيلات هذه المحاكمة، ومنه نعلم أن بيلاطس البنطى حين طلب من اليهود أن يأخذوا مخلِّصنا إلى هيرودس ملك الجليل ليتولى محاكمة مخلّصنا باعتباره جليليا خرجت مظاهراتهم الضخمة الصاخبة من دار الوالى الرومانى لتبدأ رحلة جديدة من الهوان للسيد المسيح. وقد ساقوه مكبّل اليدين مغلول العنق بالحبال، عبر شوارع أورشليم وعلى مرأى من أهاليها، إلى القصر الضخم الذى كان يقيم فيه هيرودس ملك الجليل حين يجىء إلى أورشليم فى الأعياد، وكان هيرودس مخلوقًا فظيع الطباع، فاجرًا داعرًا، سافكًا للدماء. وقد اغتصب من أخيه فيلبس زوجته هيروديًّا واتخذها لنفسه، فلما وبَّخه يوحنا المعمدان على ذلك سَجَنَه ثم قطع رأسه (متى ١٤ : ٣ - ١١). حتى إذا ترامت إلى هيرودس أخبار معجزات السيد المسيح كان يتنازعه شعوران: أحدهما هو الرغبة فى أن يراه وهو يصنع إحدى معجزاته، والآخر هو خوفه منه، إذ اعتقد أنه هو يوحنا المعمدان قد قام من الموت لينتقم منه (متى ١٤ : ١و٢)، وخوفه فى الوقت نفسه - إذ عَلِم بحب الشعب للسيد المسيح والتفافه حوله - من أن ينادى بنفسه ملكًا بدلاً منه، ولذلك كان يسعى إلى قتله (لوقا ١٣ : ٣١). وقد وصفه السيد المسيح نفسه بأنه «ثعلب»، مما يدلّ على مكره ودهائه ووحشيته (لوقا ١٣ : ٣٢). وقد جاء فى الإنجيل للقديس لوقا: «ولما رأى هيرودس يسوع، ابتهج ابتهاجًا عظيمًا، لأنه كان يتوق لأن يراه منذ زمن بعيد، بسبب ما كان يسمعه عنه. وكان يودّ أن يَرىَ إحدى العجائب التى تجرى على يديه. وقد سأله بكلام كثير، ولكنه لم يجبه بشىء. وكان رؤساء الكهنة والكتَبة واقفين، وقد أخذوا يتهمونه بعنف. فهزأً به هيرودس مع جنوده وسخر منه، وألبسه ثوبًا برَّاقًا، ثم أعاده إلى بيلاطس. فأصبح بيلاطس

وهيرودس صديقين فى ذلك اليوم ، وقد كانت بينهما من قبل عداوة » (لوقا ٢٣ : ٨ - ١٢) . ويبدو من ذلك أن رؤساء اليهود راحوا يرددون أمام هيرودس الاتهامات التى سبق أن وجهوها إلى السيد المسيح أمام بيلاطس ، ولا سيما أنه يقول عن نفسه إنه ملك . وإذ كان هيرودس يخشى بالفعل فيما مضى من أن يطيح السيد المسيح به وينادى بنفسه ملكًا فى مكانه ، ثم إذ رآه الآن مقبوضًا عليه مقيدًا بالحبال مُهانًا ، استخفّه الطَرَب وراح يسأله أسئلة بذيئة يهزأ بها منه ومن دعواه بأنه ملك . وقد جاء له - إمعانًا منه فى إهانته والسخرية به - بثوب لامع من ثياب الملوك وألبسه إياه . ولم يفتأ هو وأعوانه يشتمونه ويعتدون عليه . ولكن السيد المسيح ظلَّ صامتًا فى جلال ، لا يجيب عن أسئلة هيرودس ، صابرًا فى عزة ، لا يشكو ولا يتذمَّر مما ألحقه به مع زمرته من استهزاء واعتداء . وإذ عجز ذلك الطاغية عن أن يستخلص منه كلمة واحدة يدينه بها ، ولم يجد دليلاً واحدًا على صدق الاتهامات التى كان يكيلها له أولئك الذين كانوا يزأرون من حوله كالوحوش المفترسة ، أعاده إلى بيلاطس ليتولى محاكمته . فكان ذلك بمثابة الحكم مرة ثانية ببراءة السيد المسيح من جانب ذلك الملك اليهودى ، بعد أن صدر الحكم الأول ببراءته من جانب الحاكم الرّومانى .



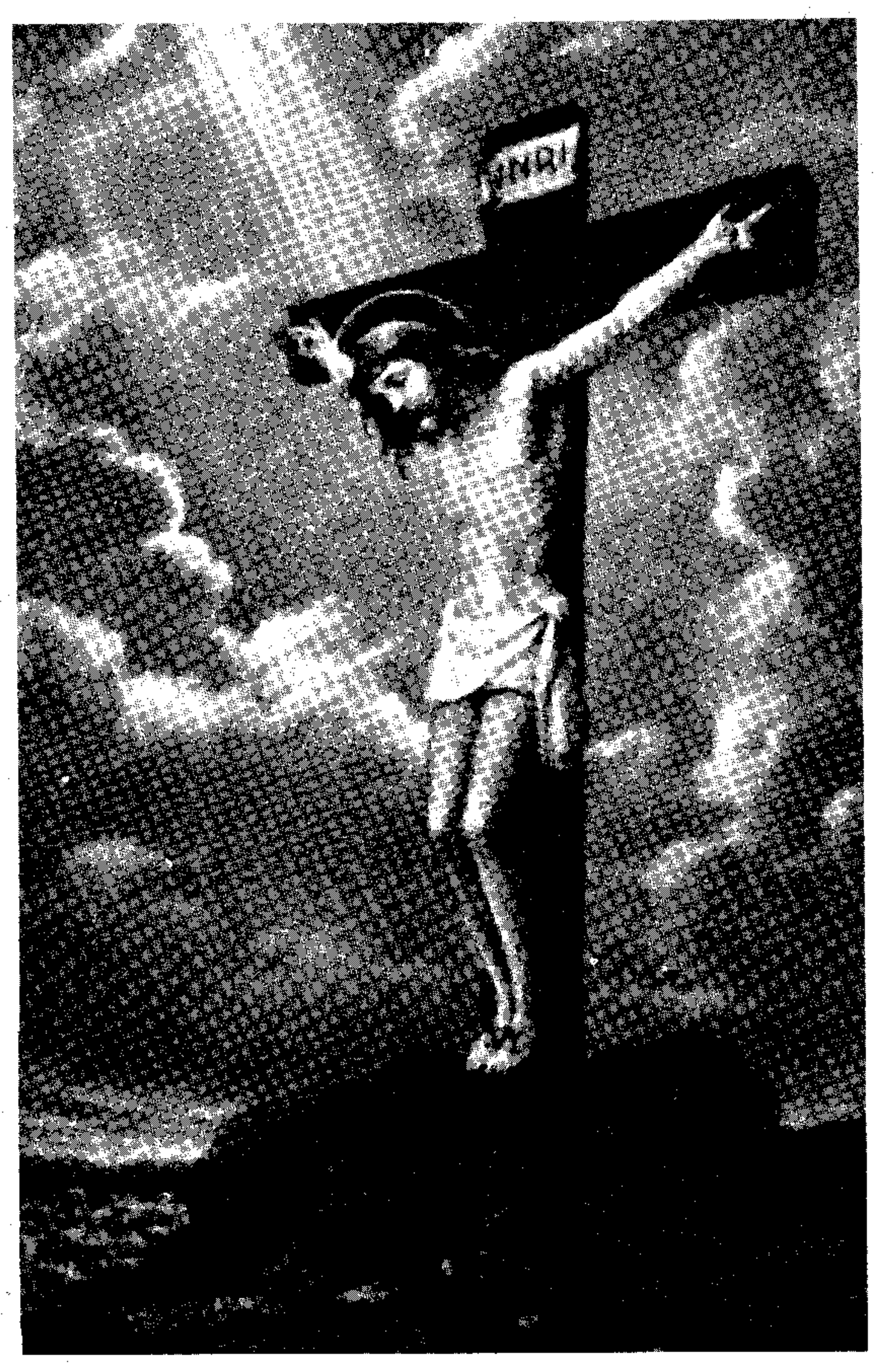
الفصل التاسع عشر

١٩ : ١ – ١٢

وعاد رؤساء اليهود وأذيالهم من الغوغاء بمخلِّصنا فى رحلة هوان ثالثة عبر شوارع أورشليم إلى دار الوالى الرومانى بيلاطس البنطى . فكانت هذه هى المحاكمة السادسة له فى ليلة واحدة . وقد جاء فى الإنجيل للقديس لوقا تفصيل لما حدث عندئذ . إذ « دعا بيلاطس إليه رؤساء الكهنة والعظماء والشعب ، وقال لهم : لقد جئتمونى بهذا الرجل كمفسد للشعب . وهاأنذا قد استجوبته أمامكم فلم يثبت لى أى شر مما تتهمون به هذا الرجل . ولا ثبت هذا لهيردوس أيضًا ، إذ أعاده إلينا . فها أنتم أولاء ترون أنه مامن شىء يستوجب الموت قد صَدَر عنه » (لوقا ٢٣ : ١٣ – ١٥) فهاج هائجهم ، وراحوا مرة أخرى كما جاء فى الانجيل للقديس متى « يوجهون الاتهامات إليه فلا يجيب بشىء ، فقال له بيلاطس : أما تسمع كل هذا الذى يشهدون به عليك ؟. فلم يجبه بكلمة حتى لقد دهش الوالى جدًا » (متى ٢٧ : ١٢ – ١٤) . ولم يكن صمت مخلِّصنا عندئذ ، أو عندما كان يحاكمه حنَّان أو قيافا أو هيرودس من قبل ، ناجمًا بطبيعة الحال عن أنه كان عاجزًا عن الكلام ، أو عن أنه لم تكن لديه الحجج الكافية لكى يثبت براءته ، لأنه كان أبلغ البلغاء وأعظم كل من عرفتهم البشرية قوة حجة ، وأقدرهم على الإقناع والدفاع عن نفسه وإثبات براءته إذا شاء . ولكنه كان يعلم أنه لا فائدة من ذلك كله إزاء قوم هم أنفسهم موقنون ببراءته . ولكنهم مع

ذلك – لحقدهم عليه وغيرتهم منه وخشيتهم على أنفسهم مما كان له من مكانة لدى الشعب – يريدون أن يقتلوه سواء أكان بريئًا أم غير برىء . وقد حكموا عليه قبل أن يحاكموه ، وقرّروا استحقاقه للموت قبل أن يحققوا معه . ومِنْ ثَمَّ كان الأحكم والأكرم والأفضل والأنبل أن يلزم الصمت فلا يفتح فاه بكلمة واحدة لا نفع فيها ولا جدوى من ورائها . فتحققت بذلك نبوءة إشعياء النبى التى تقول عنه إنه « ظُلِم . أمّا هو فتذلّل ولم يفتح فاه ، كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازّيها ، فلم يفتح فاه » (إشعياء ٥٣ : ٧) .

وعلى الرغم من أن بيلاطس كان متعجرفًا متعاليًا محتقرًا لليهود مزدريًا إياهم ، فقد كان يخاف من ثوراتهم التى كانوا لا يفتأون يضرمونها ضده ، ومن مؤامراتهم التى كانوا لا يفتأون يحيكونها للإطاحة به . وقد أدرك منذ البداءة من قولهم إن المتهم الماثل أمامه « يقول بالامتناع عن أداء الجزية لقيصر ، مدّعيًا أنه هو المسيح الملك » أنهم يهدّدونه من طرف خفىّ بأنه إن أطلق سراحه سيتهمونه هو نفسه بخيانة قيصر ، لأنه أطلق سراح رجل متمرّد على قيصر . وقد كان قيصر الرومان فى ذلك الوقت هو طيباريوس الذى كان من أقسى أباطرة الرومان وأشرسهم وأكثرهم حماقة وجنونًا وتعطشًا إلى سفك الدماء وقتل الأبرياء ولو كانوا من أقرب الأقربين إليه . ومِن ثَمَّ كان بيلاطس يخشى أى وشاية تبلغه عنه ، لأنها كفيلة بأن تطيح بمنصبه ، بل أن تطيح برأسه . ولذلك فإنه – على الرغم من اقتناعه الكامل ببراءة السيد المسيح – جَبُن عن أن يحكم ببراءته . وقد كان هذا الحكم من حقه ومن صميم اختصاصه وسلطته . بيد أنّ ضميره مع ذلك كان لا يطاوعه على الحكم بالموت على رجل برىء ، نزولاً على رغبة قوم أدنياء مجرمين ظالمين ، ولا سيمّا أنه كما جاء فى الإنجيل للقديس متى « إذ كان جالسًا على منصة الحكم ، أرسلت إليه زوجته قائلة : إياك وذاك البار ، فإنى توجعت الليلة كثيرًا فى الحلم من أجله » (متى ٢٧ : ١٩) . ولذلك عرض بيلاطس على اليهود



السيد المسيح على الصليب (يوحنا ١٩ : ١٨)

حلاً وسطًا حاول به أن يشفى غليلهم من السيد المسيح ، وفى نفس الوقت يطلق سراحه . وقد جاء فى الإنجيل للقديس متى أنه «كان من عادة الوالى أن يُطلق لجماهير الشعب فى كل عيد سراح أى سجين يريدونه . وإذ كان لديهم حينذاك سجين معروف يدعى باراباس . قال بيلاطس للمتجمهرين : مَن تريدون أن أطلق لكم سراحه ، أباراباس أم يسوع الذى يُدعى المسيح ؟. إذ كان يعلم أنهم سلّموه حَسَدًا .. ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرَّضوا الجمع على أن يطلبوا إطلاق باراباس وإهلاك يسوع » (متى ٢٧ : ١٥ — ٢٠) - « وكان مَن يُدعى باراباس مسجونًا مع رفاق له من المشاغبين كانوا فى أثناء الشغب قد ارتكبوا جرائم قتل » (مرقس ١٥ : ٧) . « فأَجاب الوالى وقال لهم : أى الاثنين تريدون أن أطلق لكم سراحه ؟. فقالوا : باراباس . قال لهم بيلاطس : فماذا أفعل إذن بيسوع الذى يدعى المسيح ؟. فقالوا له جميعًا : فليُصلب . قال الوالى : لماذا ؟ أىّ شرٍّ فَعَل ؟ فازدادوا صياحًا قائلين : اصلبه » (متى ٢٧ : ٢١ – ٢٣) .

بيد أن بيلاطس لم يفقد الأمل فى إنقاذ السيد المسيح مما يريدونه له . وإذ اعتقد أنه لو جَلَده وأهانه وعرضه عليهم دامى الجسد مُجَلَّلاً بالهوان ، سيكتفون بذلك ويوافقون على إطلاق سراحه ، ومِنْ ثَمَّ جاء فى الانجيل للقديس يوحنّا أنه « حينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجَلَده ، وضَفَر الجند إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه ، وألبسوه ثوبًا من أرجوان ، وأخذوا يتقدمون منه ويقولون له « السلام ياملك اليهود » (يوحنا ١٩ : ١ – ٣) . وقد جاء فى الإنجيل للقدّيس متى فى تفصيل ذلك قوله : « فأخذ عندئذ جند الوالى يسوعَ إلى دار الولاية . وجمعوا عليه الكتيبة كلها ، ثم نزعوا عنه ثيابه وألبسوه رداء قرمزيًّا ، وضفروا تاجًا من الشوك ووضعوه على رأسه ، ووضعوا قصبة فى يمينه ، ثم راحوا يجثون على ركبهم أمامه ويهزأون به قائلين : السلام ياملك اليهود . ثم راحوا يبصقون فى وجهه

وأخذوا القصبة وراحوا يضربونه على رأسه . حتى إذا أوسعوه سخرية نزعوا عنه الرِّداء وألبسوه ثيابه» (متى ٢٧ : ٢٧ - ٣١) . وكان الجَلْد يتم بطريقة وحشية لا رحمة فيها ، وفى مظهر من العار والهوان لا يماثله أىّ مظهر من مظاهر قسوة الإنسان على الإنسان. إذ كان الجلادون يبدأون تنفيذ هذه العقوبة بخلع ملابس المحكوم عليه حتى يغدو عاريا ، مجرِّدينه بذلك من كرامته ، بل من آدميته ، على مشهد من الحاضرين جميعًا . ثم يربطون يديه بحبل أو سلسلة إلى أحد الأعمدة فى وضع يكون فيه منكفئًا إلى الأمام ، ثم يجيئون بسوط من الجلد الغليظ ، ذى اطراف عديدة معقودة على شظايا خشنة مسننة من الحديد ، وينهالون به على جسمه العارى كله بضربات ساحقة متلاحقة ، كل ضربة منها تشقّ الجِلد واللحم وتنفذ حتى العظام ، فتمزق شرايين الدم الذى لا يلبث أن يتفجّر منبثقًا متطايرًا متناثرًا فى كل اتجاه وهم مع ذلك يوالون الضربات فى همجية ضارية على الجلد الممزقّ واللحم المتهرِّئ والدم المنهمر ، غير مبالين أين تقع ضرباتهم ، ولو شجَّت الرأس ، أو شرَخَت الوجه أو فقأت العينين ، وغير عابئين بما يصيب المسكين فى أثناء ذلك من آلام لا توصف ولا يمكن احتمالها . وقد كان كثيرون بالفعل لا يحتملونها ، فيموتون والسوط لا يزال يهوى على أجسادهم . وكان هذا مافعلوه بالسيد المسيح عندئذ ، بعد أن « جمعوا عليه الكتيبة كلها » . وكانت الكتيبة تتألف من نحو خمسمائة جندى . وقد انضم إليهم عدد كبير من رعاع اليهود وأوباشهم ، بل من رؤسائهم وكبرائهم أيضًا ، ليشهدوا هوان عدوهم وعذابه . حتى إذا أوسعوه ضربًا لم يكتفوا بذلك ، ولم يراعوا ماهو عليه وقد صار ممزّق الجسد مغطى من رأسه إلى قدميه بالدّماء ، خائر القوى إلى درجة تكاد تؤدى به إلى الموت . ولكنهم - إذ كانت تهمته أنه قال عن نفسه إنه ملك - اتخذوا منه موضوعًا لتسليتهم ولهوهم ، وموضعًا لسخريتهم واستهزائهم - كما فعل هيرودس من قبل - إذ راحوا بطريقة هزلية يضفون عليه مظاهر الملوك . وإذ كان الملوك

يلبسون أردية قرمزية ، ويضعون التيجان على رؤوسهم ، ويمسكون بالصولجان أو قَصَبة المُلْك فى أيديهم ، ويتقبَّلون خضوع أتباعهم ورعاياهم ، أخذوا هم رداءً قرمزيًّا قديمًا وألبسوه إياه . وبدلاً من تاج الملوك المصنوع من الذهب ، ضَفَروا هُمْ تاجًا من الشوك ووضعوه على رأسه . وبدلاً من الصولجان جاءوا بقصبة حقيرة من الغاب ووضعوها فى يمينه . ثم راحوا شأن الأتباع والرعايا يجثون على ركبهم فى مجون وسخرية أمامه ، قائلين فى استهزاء « السلام ياملك اليهود » . ثم لم يكتفوا بذلك أيضًا ، وإنما – وقد سئموا الاستمرار فى تلك التمثيليَّة الهزلية – استأنفوا – فى حقد ووحشيَّة وفظاظة وبذاءة – العدوان عليه ، فراحوا يبصقون فى وجهه ، وأخذوا القصبة التى كانوا قد وضعوها فى يمينه وأخذوا يضربونه بها على رأسه الذى كان يعلوه إكليل الشوك ، فكان الشوك ينغرس فى جبينه ، فتسيل منه قطرات الدم على وجهه ، وهو صامت لا يتكلم ، صابر لايئن ولا يتوجع . حتى إذا شبعوا منه سخرية وعدوانًا ، نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه وعادوا به إلى بيلاطس . ومع أن الحكم بالجلد كان فى العادة مجرّد تمهيد للصلب ، فقد أراد بيلاطس أن يجعله عقوبة قائمة بذاتها يوهم بها اليهود أنه رضخ لرغبتهم وعاقبه ، على أن يطلق سراحه بعد ذلك ، لا على أساس أنه حَكم ببراءته ، وإنما على أساس أنه عفا عنه بعد أن أدانه . ومِنْ ثَمَّ خرج إليهم ثانية وقال لهم « هاأنذا سأخرجه إليكم لتعلموا أنى لا أجد فيه خطيئة » . وأوقفه أمامهم لابسًا إكليل الشوك وثوب الأرجوان ، مهانًا موثقًا بالحبال ، مثخنًا بالجراح ، مغطى بالدماء ، كالشاة المذبوحة ، عسى أن يكفيهم هذا ويطفئ نار حقدهم عليه ، وشفاء غليلهم منه ورغبتهم فى التنكيل به وإذلاله ، وإبطال دعواه بأنه المسيح ابن الله وأنه ملك اليهود ، لأن دعواه هذه لا يمكن أن تصحّ فى تصوُّرهم وَسط كلِّ هذا العار الذى غطاه وغطّى على دعواه . وقال لهم بيلاطس : « هاهوذا الرَّجل » . فلمَّا رآه رؤساء الكهنة والخُدَّام صاحوا قائلين « اصلبه .

اصلبه » . وعندئذ ضاق صدر بيلاطس وقال لهم : « خذوه أنتم واصلبوه ، فإننى لا أجد فيه خطيئة يُدان عليها » . فأجابه اليهود قائلين : « إنّ لنا شريعة ، وإنه على مقتضى شريعتنا يستحق الموت ، لأنه جعل نفسه ابن الله » . فلما سمع بيلاطس هذا الكلام ازداد خوفًا ، ودخل مرَّة أخرَى إلى دار الولاية وقال لمخلِّصنا : « مِن أين أنت ؟ » . ولكن مخلِّصنا لم يُجِبْه ، فقال له بيلاطس : « لماذا لا تكلّمنى ؟ أما تعلَم أنَّ لى سلطانا أن أصلبك وسلطانًا أن أُطلق سراحك ؟ أجاب مخلِّصنا قائلاً : « ليس لك علىَّ سلطان البتة ، مالم تكن قد أُعطيت من فوق . ولذلك فإن الذى أسلمنى إليك خطيئته أعظم » . وبسبب هذا كان بيلاطس يبتغى أن يطلق سراحه ، ولكن اليهود أَخذوا يصيحون قائلين : « إن أنت اطلقت سراحه فَلَسْت مُحبًّا لقيصر . لأن كلّ من يجعل نفسه ملكًا إنما يقاوم قيصر »

١٩ : ١٣ - ١٨

فلما سمع بيلاطس هذا الكلام ، أخرج مخلِّصنا ، ثمّ جَلَس على كرسى القضاء فى مكان يسمى البلاط ، وبالعبرانية « جَبَّاثا » . وكان يومئذ يوم الاستعداد للفصح ، وهو الجمعة . أى اليوم السابق لأوّل أيام عيد الفصح . وكانت الساعة عندئذ نحو السادسة بالتقويم اليهودى ، أى نحو الساعة الثانية عشرة ظهرًا فى تقويمنا الحالى ، فقال بيلاطس لليهود « ها هوذا مِلككم » . أما هُم فصاحوا قائلين « ارفعه ، ارفعه . اصلبه » . قال لهم بيلاطس « أأصلب ملككم ؟ » . فَصَاح رؤساء الكهنة قائلين « ليس لنا ملك إلا قيصر » . وهكذا قذفوا فى وجه بيلاطس صراحة بالتهديد الذى كانوا فى البداءة يخفونه فى كلامهم ملمِّحين إليه تلميحًا . وبذلك أخفقت كلّ محاولاته فى إنقاذ ذلك الإنسان الوديع الماثل أمامه وهو فى حقيقته رب الأرباب – الذى على الرغم من صَلف

بيلاطس وعجرفته ، مَسَّت وداعته شغاف قلبه . وعندئذ يقول الإنجيل للقدّيس متى : « فلما رأى بيلاطس أنه لا جدوى ، وإنما بالأحرى يزداد الضجيج أخذ ماء وغسل يديه أمام الجمع قائلاً : إنّى برئ من دم هذا البار . أنتم وشأنكم . فأجاب عندئذ كل الشعب وقالوا : « دمه علينا وعلى أبنائنا » (متى ٢٧ : ٢٤ و ٢٥) . وبهذه العبارة وقعت مسئولية الحكم على السيد المسيح بالموت على الشعب اليهودى كله وعلى أبنائه إلى الأبد .

ولعلّ مما يثير الدهشة أن أولئك اليهود الذين كانوا يهرعون إلى السيد المسيح بعشرات الألوف ليستمعوا إلى تعاليمه السماوية ليشفيهم من أمراضهم بمعجزاته الإلهية ، والذين طالما بهرتهم تلك التعاليم ، وأدهشتهم تلك المعجزات ، فكانوا يؤمنون بأنه هو المسيح ابن الله الذى ينتظرونه ، ولا يفتأون لذلك يلقبونه بابن داود ، والذين أحبّوه وصاحبوه فى كل مكان ذهب إليه ، مقبلين إليه من كل مدنهم البعيدة وقراهم النائية ، سائرين على أقدامهم مئات الأميال ، وقد أرادوا أن يختطفوه ليجعلوه ملكاً عليهم ، والذين استقبلوه حين دخل أورشليم آخر مرة استقبال الملوك الفاتحين والقادة المنتصرين ، باسطين ثيابهم تحت أقدامه ، ملوّحين له بأغصان الأشجار وهم يهتفون قائلين : « المجد لمخلّصنا ابن داود . مبارك الآتى باسم الرب . المجد لمخلّصنا فى الأعالى » (متى ٢١ : ٩) ، والذين طالما قيل إن رؤساءهم كانوا يخافون أن يقبضوا عليه خشية أن يثوروا ضدهم ويهلكوهم من أجله ، وقد استمر ذلك حتى اليوم السابق على محاكمته ، فجاء فى الإنجيل للقدّيس متى أن أولئك الرؤساء ، إذ « همّوا بأن يقبضوا عليه . خافوا من الجمع لأنهم كانوا يعدّونه نبيًّا » (متى ٢١ : ٤٦) . وجاء فى الإنجيل للقديس مرقس أنهم كانوا « يبحثون كيف يمسكونه بخدعة ويقتلونه ، ولكنهم قالوا : لا نفعل ذلك فى العيد لئلا يحدث اضطراب بين الشعب » (مرقس ١٤ : ١و٢) . وجاء فى الإنجيل للقدّيس لوقا أنهم كانوا « يبتغون أن يهلكوه ،

ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا ، لأن الشعب كله كان متعلقًا به ، وبالاستماع إليه » (لوقا ١٩ : ٤٧ و٤٨) ، إذا بأولئك اليهود أنفسهم ينقلبون بين يوم وليلة من محبين له إلى أعداء ، ومن مؤمنين به يريدون أن يجعلوه ملكًا عليهم ، إلى كافرين به ، منكرين له ، متخذين من القول بأنه ملك تهمة ضدّه يطلبون بسببها قتله . فلا تعليل لذلك إلا أنهم منذ نشأتهم شعب متقلّب مذبذب ، ماكر ناكر للجميل ، غادِر يقابل الحبّ بالكراهية ، والحسنة بالسيئة ، والخير بالشر . فهو يخون الصديق ، ويتملّق العدوّ ، ويمتهن الذى يكرمه ويخدمه ، ويداهن الذى يذلّه ويستعبده . وقد كان اليهود – بطبيعتهم الشّريرة الشرهة الطاغية الطامحة إلى السطوة والسيطرة والثراء والمجد الدنيوى – يعتقدون أن المسيح سيتزعمهم ويقودهم إلى الحرب ضد الرومان ليعيد إليهم مملكة داود التى كانوا يحلمون بعودتها ، ثم يغزو بهم العالم كله ليجعلهم سادته والمتسلطين عليه ، حتّى إذا صارحهم السيد المسيح بأنه لن يفعل ذلك لأن مملكته ليست من هذا العالم ، ثم رأوه مقبوضًا عليه ، موثق اليدين ، مغلول العنق ، مضروبًا ، مبصوقًا على وجهه ، مهانًا ، يكتنفه العار ، تخلّوا عنه على الفور ، واشتركوا مع رؤسائهم فى إهانته وتعييره والسخرية به والاعتداء عليه والمطالبة بصلبه ، فأثبتوا بذلك أنهم على الرغم من كل ماقاله لهم السيد المسيح وفعله بينهم ليصرف أنظارهم عن مطامعهم الأرضية وشهواتهم البهيمية ، ويفتح أعينهم على أمجاد ملكوته السماوى ، ظلوا عميانًا يقودهم عميان ، ورفضوا مسيحهم الذى ظلوا مئات السنين ينتظرونه ، طالبين الخلاص من ذلك الذى جاء لخلاصهم ، مرتضين باعترافهم أن تكون مسئولية دمه البرىء عليهم وعلى أبنائهم .

أما بيلاطس فقد تغلّب فى النهاية خوفه على عدالته ، وجبنه على رحمته . ومِنْ ثَمَّ أذعن لليهود وسلّم السيد المسيح إليهم ليصلبوه ، فأخذوه ومضوا به . وما إن نطق بيلاطس – مضطرًا مغلوبًا على أمره بالحكم بصلب

السيد المسيح ، حتى أسرع اليهود فى لهفة مجنونة إلى تنفيذ الحكم فورًا ، على الرغم من أنَّ مجلس الشيوخ الرومانى كان قد أصدر فى عهد الإمبراطور الرومانى طيباريوس قرارًا بأن يؤجل تنفيذ حكم الإعدام مدة لا تقلّ عن عشرة أيام بعد صدور ذلك الحكم ، عسى أن يظهر فى تلك المدة دليل جديد على البراءة . ولكن اليهود خشوا أن يتراجع بيلاطس فى حكمه على السيد المسح ، بعد أن رأوا من إصراره على تبرئته وإطلاق سراحه . كما أنهم كانوا متعطشين فى وحشية إلى القضاء على السيد المسيح ، وإلى تلطيخه بكل ألوان العار والهوان ، ليزيلوا بذلك الأثر الجميل النبيل الباهر الساحر الذى كان قد تركه فى نفوس اليهود ، بتعاليمه السماوية وقدرته الإلهية ، ويظهروه أمامهم فى صورة أخرى تدعوهم إلى الاستهانة به ، واحتقاره واستشعار خيبة أملهم فيه ، إذ يرونه مخذولاً مذلولاً مسالمًا مستسلمًا ، بعد أن كانوا يطمعون فى أن يكون هو الملك الجبار والقائد المغوار الذى يثأر لهم من أعدائهم الذين يستعبدونهم ، ويحقق لهم السطوة والتسلُّط على كل الشعوب ، ليكونوا هم السادة لا العبيد ، على مقتضى فكرتهم عن المسيح ابن داود الذى كانوا ينتظرون مجيئه . ومِنْ ثَمَّ فإنهم لم يتركوه حتى ليلتقط أنفاسه بعد المحاكمات الظالمة الغاشمة البذيئة التى استمرت طوال الليل أمام حنّان وقيافا . ثم استمرت منذ الفجر الباكر حتى نحو الساعة السادسة (وهى التاسعة بتوقيتنا الحاضر) أمام مجلس السنهدريم ، ثم أمام بيلاطس ، ثم أمام هيرودس ، ثم أمام بيلاطس مرة أخرى ، وبعد ما تجرعه فى أثناء ذلك الوقت كله من صنوف الإهانة والهزء والسخرية والتقييد بالحبال والتعذيب الوحشى تحت ضربات الجلاد الذى لم يترك موضعًا فى جسده إلا مزّقه وأدماه بأطراف سوطه الذى يشقّ لحم الجسد كما يشقّ نصل المحراث أديم الأرض ، حتى صدقت فيه النبوءة التى قالت بلسانه « على ظهرى حرث الحرّاث » (المزمور ١٢٨ : ٣) ، وحتى لم يَعُد فى كيانه البشرىّ ما يمكن أن يطيق احتماله . ويبدو أنهم فى

لهفتهم على تنفيذ ما دبروه له . كانوا قد أعدّوا له بالفعل الصليب الذى سيعلقونه عليه ، حتى لا تضيع منهم دقيقة واحدة . فما إن سلّمه إليهم بيلاطس حتى شرعوا على الفور يحققون مآربهم الإجرامى ، فأخذوا مخلّصنا « ومضوا به ، وخرجوا به وهو حامل صليبه » (يوحنا ١٩ : ١٦ و١٧) . وكانوا قد ألبسوه ملابسه بعد أن نزعوا عنه الثوب الأرجوانى الذى كانوا قد وضعوه على جسده العارى المغطّى بالدماء ، وهم يؤدون تمثيليّتهم البذيئة الماجنة ، استهزاء به وسخرية منه ، ولكنهم تركوا إكليل الشوك على رأسه .

وإمعانًا فى تعذيب السيد المسيح وإهانته وإذلاله وتجليله بالعار أمام اليهود جميعًا ، ألزموه بأن يحمل صليبه من دار الولاية إلى موضع الصَّلب . وقد سلكوا به أطول طريق ممكن فى شوارع أورشليم ليراه وهو على هذا الحال أكبر عدد ممكن من اليهود ، « وتبعه جمع عظيم من الشعب » (لوقا ٢٣ : ٢٧) . وقد كان يتقدَّمهم بطبيعة الحال أعداؤه من رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين والصدّوقيين وسائر أعضاء مجلس السنهدريم الذين بذلوا أقصى وأقسى جهد ليتوصلوا إلى تلك النتيجة التى أَثلجت صدورهم ، وشَفت غليلهم ، وأطفأت نار حقدهم . وقد أبوا إلا أن يتمتعوا حتى النهاية بتلك المشاعر التى كانوا يجدون فيها لذّة وحشيَّة وسعادة شيطانية لا تَقنَع ولا تشبَع ولا ترتوى ولا تقف عند حد . وقد شاطرهم فى ذلك عدد كبير من أتباعهم وأشياعهم وخدمهم وعبيدهم ، والخاضعين خضوعًا أعمَى لنفوذهم ، والواقعين من الجهلاء والأغبياء فى حبائل تأثيرهم ، باعتبارهم معلِّمى الدين وعلماء الشريعة وعظماء الشعب . كما شاطرهم عدد كبير من الغوغاء والدهماء والأوباش والأدنياء الذين لا عقل لهم ولا عقيدة ولا ضمير . فهم يجدون – بطبيعتهم الحيوانية المنحطّة وغريزتهم الفطرية الشرّيرة – متعة فى أن يشاهدوا آلام الآخرين ، ولو بلغت حدّ التعذيب والتنكيل والقتل . بيد أنه ما من شك فى أنه كان ضمن ذلك الموكب الحزين

المفجع ممن كانوا قد سبق لهم أن آمنوا بالسيد المسيح ، أو ممَّن فى قلوبهم رحمة . ومِن ثَمَّ كانوا مشفقين عليه ، متوجعين بينهم وبين أنفسهم ممّا يرونه يعانيه من عذاب وهوان وعار ، ولا سيّما النسوة اللاتى يقول الإنجيل للقديس لوقا إنهن «كُنَّ يندبن وينُحْنَ عليه» (لوقا ٢٣ : ٢٧) . بيد أن السيد المسيح وقد آلمه المصير الرهيب الذى كان يعلم أنه ينتظر أولئك النسوة الرقيقات القلوب اللاتى كنّ يندبنَ وينُحْنَ عليه ، والنهاية التعسة التى كانت تنتظر أبناءهن بسبب شرور الشعب اليهودى ، التفت إليهن وقال : «يابنات أورشليم لا تبكين علىّ ، بل ابكين على أنفسكن وعلى أبنائكن . لأنه هى ذى أيام تأتى سيقولون فيها ماأسعد العواقر والبطون التى لم تلِد والثُّدىّ التى لم تُرضِع . عند ذاك يبتدئون يقولون للجبال اسقطى علينا وللآكام غطينا ، لأنهم إن كانوا يفعلون هذا بالعود الرطب ، فكم بالأحرى يفعلون باليابس» (لوقا ٢٣ : ٢٨ - ٣١) . أى أنه إذا كان هذا ماحَدَث للطاهر البارّ الوديع الحىّ المحيى ، الذى يشبه العود الرطب الممتلئ ثمرًا وبركة ، فكم بالأحرى سيحدث لليهود ، الأشرار الفُجَّار القساةِ القلوب ، الأموات الضمائر ، السافكين الدّماء ، الذين يشبهون عود الحطب اليابس الذى لا ثمر له ولا خير فيه ولا نفع منه ولا يستحق إلا أن يكون وقودًا للنار .

وقد مضَى السيّد المسيح حاملاً صليبه فى طريق الآلام . بَيْد أنّ الصليب كان ثقيلاً . وكان هو من أثر كلّ مامرَّ به مرهق الجسد لا يقوى على حمله . فكان كل آونة وأخرى يتوقف به ، أو يسقط تحته . فى حين كان أعداؤه يتعجلون موته على الصليب . وربما كانوا يخافون أن يموت قبل أن يصلبوه . وقد كان صلبه هو الأمر الذى يهدفون إليه ويشتهونه ويتحرَّقون رغبة فيه ، لأنهم كانوا يريدون له العار ، وكان التعليق على خشبة الصليب معتبرًا أبشع مظاهر العار ، إذ كانت شريعتهم تعتبر المعلَّق عليه ملعونًا من الله (التثنية ٢١ : ٢٣) . ومِنْ ثَمَّ جاء فى الإنجيل

للقّديس مرقس أنه «كان بين المارّة رجل قادم من الحقل يدُعَى سمعان القيرواني .. فسخَّروه ليحمل صليبه» (مرقس ١٥ : ٢١) . وقد أذعن الرجل لهم على الرغم من أنّ حَمْلَ الصليب فى ذاته كان عارًا . وقد كان إذعانه لهم ناشئًا عن خوفه منهم ، أو ربما كان ناشئًا عن إيمانه بالسيد المسيح ورغبته فى تخفيف بعض آلامه ، ولو أدّى ذلك إلى مشاركته فى العار الذى لَحِق به ظلمًا وعدوانًا . بيد أنه على أىّ حالٍ أصبح بعد ذلك من المسيحيين المعروفين مع زوجته وابنين له ، إذ جاء فى عبارة الإنجيل للقديس مرقس نفسها أنه « هو أبو الإسكندر وروفوس » (مرقس ١٥ : ٢١) . ولعل روفوس هذا هو الذى جاء ذكره مع أمه بكل توقير فى رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل روما . إذ قال « سلّموا على روفوس المختار فى الرب وعلى أمه أمى » (روما [رومية] ١٦ : ١٣) .

وأخيرًا بلغوا إلى الموضع المسمى الجمجمة ، وبالعبرانية جَلْجَلْثا . وبالآرامية الجلجثة ، كما ورد فى الإنجيل للقديس متى (متى ٢٧ : ٣٣) ، وهو تل مرتفع يقع خارج أورشليم بالقرب من أسوارها ، ويمكن رؤيته من داخلها ، ويمتدّ بجواره طريق عام يؤدى من أورشليم إلى « جبعة » التى كانت على بعد نحو أربعة أميال شماليّها .. ويبدو أن هذا الموضع كان مخصَّصًا لقتل المحكوم عليهم بالموت ، سواء بطريقة الرجم اليهوديَّة ، أو بطريقة الصلب الرومانية ، وربما كانت توجد بعض جماجم أولئك القتلى ، ولذلك كانوا يُسَمُّونه كما ذكرنا بالعبرانية « جَلْجَلْثا » ، وبالآرامية « الجلجثة » أى الجمجمة . ويذهب البعض إلى أن جمجمة آدم مدفونة هناك . ولعلَّ هذا هو السبب الذى حَدَا ببعض الفنانين أن يرسموا صليب المسيح قائمًا على جمجمة رأس آدم .

وكانت العادة قد جَرَت فى ذلك الحين على أن تجىء بعض نساء أورشليم

الرحمات عند تنفيذ عقوبة الرَّجم أو الصلب فى المحكوم عليه فيعطينه قبل الشروع فى قتله جرعة من الخمر ممزوجة بالطِّيب ليخَدِّرنه ويخففن من آلامه . عملاً بقول سليمان الحكيم فى سِفر الأمثال « أعطوا مسكرًا لهالك ، وخمرًا لمُرِّى النفس » (الأمثال ٣١ : ٦) . أما أعداء السيد المسيح فقد قلبوا الآية . فجعلوا من تلك الوسيلة التى تنطوى على الرأفة والرحمة ، وسيلة للنكاية ومضاعفة الألم والإمعان فى التشفّى والقسوة ، إذ أنهم كما جاء فى الإنجيل للقدّيس متى « أعطوه خمرًا ممزوجة بمرارة ليشرب . فلما ذاقها أبى أن يشربها » (متى ٢٧ : ٣٤) . وبذلك أخذ ما فى الكأس من مرارة . وأما الخمر فرفض أن يشرب منها ، لأنه لا يريد مخدّرًا يخفف من آلامه تخفيفًا مصطنعًا ، كما سبق أن قال لتلاميذه فى الليلة السابقة : « إنى منذ الآن لن أشرب من نتاج الكرمة هذا حتى اليوم الذى فيه أشربه جديدًا معكم فى ملكوت أبى » (متى ٢٦ : ٢٩) .

وبعد ذلك طرحوا الصليب على الأرض ، وأرقدوا السيد المسيح عليه بعد أن خلعوا ثيابه . ثم راحوا يدقّون مسمارين طويلين سميكين بمطرقة ضخمة فى مِعْصَمَىْ يديه على طرفى العارضتين الأفقيتين للصليب ، حتى نفذ المسماران من معصم اليدين إلى الخشب فأصبحا غائرين وثابتين فيه . وهكذا فعلوا فى مفصلى قدميه فى أسفل العارضة الرأسية للصليب (كولوسى ٢ : ١٤) ، إحدى القدمين على الصليب . والأخرى فوقها .

ثم أَقاموا الصليب وغرسوه فى حفرة فى الأرض . وقد جاء فى الإنجيل للقديس مرقس أنه «كانت الساعة الثالثة حين صلبوه » (مرقس ١٥ : ٢٥) . والساعة الثالثة فى التقويم الذى كان اليهود يستخدمونه تقابل الساعة التاسعة صباحًا فى التوقيت الحديث . ولكن يبدو أن الحكم بالصلب كان فى نحو الساعة التاسعة بالتوقيت الحديث . وأما الصلب بالفعل فكان قبيل السادسة أو نحو السادسة وهى تقابل فى التوقيت الحديث الثانية عشرة ظهرًا .

وإمعانًا فى النكاية بالسيد المسيح والتشهير به ومضاعفة العار الذى أرادوه له ، وإظهاره بمظهر المجرم الخطير . « صلبوا معه لصين كل منهما على جانب منه ويسوع فى الوسط » (يوحنا ١٩ : ١٨) . وقد جعلوه فى الوسط لكى يوحوا للذين يرونه بأنه أشد الثلاثة إجرامًا وبذلك تمَّت النبوءة التى تنبأ بها إشعياء النبى عن السيد المسيح قائلاً إنه « سكَب للموت نفسه ، وأُحْصِى مع أَثَمَة » (إشعياء ٥٣ : ١٢) .

١٩ : ١٩ - ٢٢

وإذ كانت العادة قد جرت على أن يكتبوا تهمة المصلوب على لافتة ويعلقوها فوق رأسه ، تشهيرًا به وتحذيرًا وردعًا لغيره . أراد بيلاطس أن يسخر من اليهود لأنهم أدانوا إنسانًا بريئًا لغير تهمة إلا أنه قال عن نفسه إنه ملك . وإن كان قد جاهر بأن مملكته ليست من هذا العالم . فكانت تلك هى تهمته التى قتلوه بسببها . ومنْ ثَمَّ وضع بيلاطس لافتةً على الصليب كتب فيها « **يسوع الناصرى ملك اليهود** » . فقرأ هذه اللافتة كثيرون من اليهود وغير اليهود لأن الموضع الذى صلبوا فيه مخلِّصنا كان قريبًا من المدينة ، ولأنها كانت مكتوبة بالعبرانية واليونانية واللاتينية التى هى لغة الرومان ، ليفهمها كل الناس من كل الأجناس . وقد أغاظ ذلك رؤساء الكهنة لأنه يتضمن إقرارًا واعترافًا بأن هذا المصلوب على خشبة العار هو ملكهم . فقال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس « لا تكتب أنه ملك اليهود ، بل إنه هو قال أنا ملك اليهود » . فأجاب بيلاطس قائلاً فى ضيق وضَجَر « ما كتبت قد كتبت » .

١٩ : ٢٣ و ٢٤

وعلى الرغم من أن السيد المسيح أصبح الآن موثقًا على الصليب لا بالحبال

وإنما بالمسامير التى دقوها دقًّا فى لحمه وعظامه حتى نفذت إلى الخشب واتخذت فيه وضعًا ثابتًا لا فكاك منه ، فإن أعداءه على الرغم من كثرتهم وتجمهرهم حوله وإحاطتهم به فى حلقة ضخمة ، ظلوا مع ذلك خائفين أن يأتى تلاميذه والمؤمنون به فينتزعونه من الصليب ، فأقاموا عليه أربعة حرّاس أشدّاء من الجنود الرومان المدججين بالسلاح ، فضلاً عن الفرقة العسكرية الكاملة التى كانت تضرب نطاقًا حول موضع الصلب ، وعلى رأسها ضابط رومانى كبير برتبة قائد مائة . وإذ كان الحرّاس الأربعة يعلمون بخبرتهم أن المصلوب لا يموت إلا بعد وقت طويل . وكانت العادة قد جرت على أن تكون ملابس المصلوبين من نصيب حرّاسهم ، اتخذ أولئك الحرّاس من اقتسام ثياب السيد المسيح تسلية لهم يقطعون بها الوقت ويمنعون عن أنفسهم الملل . ومِنْ ثَمَّ أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام ، لكل جندى منها نصيب ، وأخذوا القميص أيضًا ، وإذ كان بغير خياطة ، منسوجًا كله من أعلاه إلى نهايته ، قالوا بعضهم لبعض « لا نشقّه بل فلنقترع عليه لمن منا يكون » . وبذلك تحققت نبوءة المزامير التى تقول بِلسان السيدّ المسيح « لأنه قد أحاطت بى كلاب . جماعة من الأشرار اكتنفتنى . ثقبوا يدىّ ورجلىّ .. وهُم ينظرون ويتفرسون فىَّ .. اقتسموا ثيابى بينهم ، وعلى قميصى اقترعوا » (المزمور ٢١ : ١٦ — ١٨) . وقد كان هذا مافعله الجند .

<u>١٩ : ٢٥ — ٢٧</u>

وقد ذكَرَ الإنجيل للقديس متّى بعض تفصيلات ماحدث فى هذه الأثناء . فقد كان أعداء السيّد المسيح من رؤساء الكهنة والكتبة والفرّيسيين والصّدوقيين وغيرهم قد سارعوا إلى العمل على أن يذيعوا فى أورشليم كلها تفصيل المحاكمات التى أجروها للسيد المسيح ، وماوجهوه إليه فى أثنائها من اتهامات دنيئة ، ليظهروه أمام الشعب بمظهر المخالف للشريعة اليهودية والمعتدى على الهيكل

والمجدّف على الله ، ولا سيّما قول الشهود إنهم سمعوه يقول إنه قادر على أن يهدم الهيكل ، ثم فى ثلاثة أيام يبنيه ، وقوله هو إنه ملك اليهود ، وإنه ابن الله . وقد نجح أعداء السيد المسيح بالفعل بمالهم من سلطان فى إثارة اليهود عليه والقضاء على إيمان الذين آمنوا منهم به ، وهَمُ الشعب المتقلّب الطبيعة ، المذبذب العقيدة ، الذى سرعان ماينتقل فى تفكيره وشعوره وديانته نفسها من النقيض إلى النقيض ، حسبما يجد فيه مصلحته ومنفعته . وإذ كان المكان الذى صلبوا فيه السيد المسيح مجاورًا لطريق عام يكثر فيه الرائحون والغادون من اليهود «كان المارّة يسبُّونه وهم يهزّون رؤوسهم قائلين : ياهادم الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلِّص نفسك . إن كنت أنت ابن الله فانزل عن الصليب» (متى ٢٧ : ٣٩و٤٠) . ونرى من ذلك إلى أىّ حدٍّ تبلغ أحيانًا قسوة البشَر وغلظة قلوبهم . فإن الذى يمّر فى طريقه بمتألم مهما كان سبب هذا الألم أو المتسبّب فيه من شأنه أن يشفق عليه ويتوجع من أجله ، سواء أكان يعرفه أم لا يعرفه . بيد أنّ أولئك المارّين فى طريق ذلك المصلوب البرىء البارّ الممزق الجسَد بالسياط ، المحطم العظم بالمسامير ، وهم يرونه يقاسى أشنع وأبشع ما يمكن أن يقاسيه إنسان من صنوف العذاب الذى هو فوق طاقة البَشَر ، بَدَلاً من أن يقولوا له كلمة رثاء أو عطف أو تشجيع ، أو على الأقلّ يصمتون ولا يقولون شيئًا ، راحوا يكيلون له أبذأ كلمات الشماتة والتشفّى ، مردّدين مفتريات أعدائه عنه ، ساخرين منه ، هازئين به . لأنه – كما زعم أعداؤه – قال إنَّ فى مقدوره أن يهدم الهيكل وفى ثلاثة أيام يبنيه ، وهاهوذا يبدو عاجزًا عن أن يفعل ماهو أهون من ذلك ، وهو أن ينقذ نفسه من يد قاتليه ، ولأنه قال عن نفسه إنه ابن الله القدير ، مبرهنًا على ذلك بما كان يصنع من المعجزات ، وهاهوذا غير قادر على أن يصنع تلك المعجزة البسيطة للقدرة الإلهية ، فينزل عن الصليب . فبرهنوا – فضلاً عن قسوتهم وبذاءتهم وانعدام الرحمة من قلوبهم – على أنهم وهم اليهود لا يعرفون شيئًا مما ورد فى

كتب ديانتهم وشريعتهم اليهودية ، مما قاله أنبياؤهم عن حقيقة رسالة المسيح من أنه سيجيء إلى العالم ليكون هو ذبيحة الفصح الحقيقية ، حتى يكفّر بدمه عن خطاياهم وينقذهم من الهلاك المحكوم به من العدالة الإلهية عليهم . بيد أنهم إن فعلوا ذلك وهُم عامة اليهود ودهماؤهم ، فقد برهن رؤساء كهنتهم وفقاؤهم ومعلموهم وعلماؤهم الدينيون على أنهم لا يقلّون عنهم جهلاً بدينهم وشريعتهم ونبوءات أنبيائهم عن المسيح ، لأن « رؤساء الكهنة كانوا يهزأون به مع الكتبة والشيوخ قائلين : خلَّص آخرين ولا يستطيع أن يخلِّص نفسه . إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به . لقد اتكل على الله فلينقذه الآن إن كان راضيًا عنه ، لأنه قال أنا ابن الله » (متى ٢٧ : ٤١ — ٤٣) . وهكذا فإن أولئك الذين كانوا يّدعون لأنفسهم التفقّه فى الدين والتعمُّق فى أسراره وخفاياه فأقاموا أنفسهم معلّمين للدين ورؤساء للكهنة الدينيين ، راحوا يردّدون نفس العبارات التى كان يردّدها الدَّهماء والجهلاء من شعبهم ، معترفين بأن السيد المسيح صنع معجزات خَلَّص بها آخرين من المرض أو من الموت ، ومع ذلك هاهوذا لا يستطيع أن يصنع معجزة يخلِّص بها نفسه ، قاصدين بذلك أن يقولوا إن كل المعجزات التى صنعها إنما كانت بقوة الشيطان لا بقوة الله ، ولا بقّوته هو . وقد تحدّوه إن كان هو ابن الله كما كان يقول ، فلينزل عن الصليب فيؤمنوا عندئذ به . وقد كان قولهم هذا أكبر برهان على جهلهم لديانتهم ونبوءات أنبيائهم . لأن السيد المسيح لو نزل عن الصليب لَهَدَم بذلك الهدف الرئيسى الذى جاء من أجله إلى العالم ، والذى تشير إليه نبوءات كل الأنبياء ، وهو أن يفدى البشَر بموته ، مكفِّرًا عن خطاياهم بدمه لخلاصهم . وقد كان مما جاء فى بعض تلك النبوءات أن المسيح « أُرْسِل فداء لشعبه » (المزمور ١١٠ : ٩) . وأن « أحزاننا حَمَلَها وأوجاعنا تحمّلها .. وهو مجروح لأجل معاصينا . مسحوق لأجل آثامنا .. كلنا كغنم ضللنا .. والرب وضع عليه إثم جميعنا .. جعل نفسه

ذبيحة إثم .. سَكَبَ للموت نفسه .. وهو حَمَل خطيئة كثيرين » (إشعياء ٥٣ : ٤ - ١٢) . وقد كان لابُدّ للتكفير عن خطايا البشَر أن يبذل دمه عنهم ، إذ تقضى الشريعة بأن « الدم يكفّر عن النفس .. لأن نفس كل جسد دمه هو بنفسه » (اللاويين ١٧ : ١١ و ١٤) . فبدون تكفير بالدم لا يكون خلاص . وقد جاء فى النبوءات « قولوا لخائفى القلوب تشدّدوا . لا تخافوا .. هو يأتى ويخلِّصكم » (إشعياء ٣٥ : ٤) . فلو لم يظل السيد المسيح على الصليب ، باذلاً دمه حتى يموت كما تموت الذبيحة ، ما كان ثمة فداء ولا مغفرة ولا خلاص . وقد عيَّروه بأنه غير قادر على أن يصنع معجزة ينقذ بها نفسه من الموت . بيد أنه كان يدّخر لهم معجزة أعظم وأعجب من تلك التى تحدّوه أن يصنعها . وهى أنه بعد أن يموت على الصليب ويظلّ جثمانه فى القبر ثلاثة أيام سيقوم وقد عاد إلى الحياة هازمًا الموت الذى لم يستطع إنسان أن يهزمه قط . ولكنهم كانوا كعادتهم كاذبين مرائين ، لأنهم زعموا أنه إذا نزل عن الصليب فسيؤمنون به . ولكنهم كانت قلوبهم من السواد والعناد والشرّ والفساد حتى إنهم بعد أن رأوا قيامته لم يؤمنوا به ، وإنما ظلّوا على مغالطتهم وضلالهم وعَمىَ أبصارهم وبصائرهم ، ثم إنهم قدموا برهانًا أوضح وأفدح عن جهلهم بكتبهم الدينية ونبوءات أنبيائهم ، إذ نطقوا وهم يعيّرونه بعبارة وَرَدَ فى النبوءات أن أعداء السيد المسيح سيقولونها عنه وهو على الصليب . وقد نطقوها كما وردت بحذافيرها كلمة بكلمة تقريبًا ، إذ قالوا « اتكل على الله فلينقذه الآن إن كان راضيًا عنه » ، فى حين قالت النبواءت « كل الذين يروننى يستهزئون بى .. قائلين اتكل على الربّ فلينجه . لينقذه لأنه سُرَّ به » (المزمور ٢١ : ٧ و ٨) . ولعل مما يدلّ على مَدَى ما كان يملأ قلوب رؤساء الكهنة من شر وشراسة وضغينة وحقد ورغبة وحشية فى النكاية بالسيد المسيح وشفاء غليلهم منه ، أنهم وقفوا ليثلجوا صدورهم برؤيته مصلوبًا مجَلَّلاً بالعار ، منتهزين هذه الفرصة ليهزأوا به ويسخروا منه ، ناسين ومهملين فى سبيل

ذلك واجباتهم الدينية التى كانت تحتّم عليهم ملازمة الهيكل فى ذلك اليوم بالذات الذى كان أول أيام عيد الفصح ، وكانت الشريعة تقضى بأن يقام فيه محفل مقدّس يؤدى فيه الكهنة ورؤساؤهم الطقوس التى قررتها الشريعة لذلك على مقتضى ماجاء فى سفر اللاويين (اللاويين ٢٣ : ٧ الخ)

ولئن لم يكن ثمة عذر لليهود ولا لرؤسائهم الدينيين فيما كانوا يقولونه للسيد المسيح وهو على الصليب كما رأينا ، إنه يمكن التماس العذر للجنود الرومان الوثنيين الذين كانوا حاضرين ، إذ انجرفوا فى نفس التيّار . وقد قيل لهم إن المصلوب قال عن نفسه إنه ملك اليهود ، وكانت هذه هى تهمته المكتوبة فى اللافتة المعلقة على رأسه بثلاث لغات يفهمونها ومنها لغتهم اللاتينية أو الرومانية . ومِنْ ثَمَّ فإنهم هُمْ أيضًا « كانوا يسخرون منه ... قائلين له : إن كنت أنت ملك اليهود فَخَلِّص نفسك » (لوقا ٢٣ : ٣٦و٣٧) . لأنهم لم يكونوا يعلمون ما جاء عن السيد المسيح فى الأسفار الدينية لليهود ، وفى نبوءات أنبيائهم . ولكنهم مع ذلك أضافوا إلى كأس آلامه قطرة حتى امتلأت هذه الكأس إلى حافتها . بيد أَنَّ قطرة أخرى مريرة أضيفت بعد ذلك إليها ، لأن المشتركين فى معاناة نفس الآلام يعطف عادة بعضهم على بعض . ولكن اللصين اللذين كانا مصلوبين معه إذ سمعا تعييرات كل الحاضرين له ، اشتركا هما أيضًا معهم ، إذ جاء فى الانجيل للقّديس متى أنه « بذلك أيضًا كان يعيِّره اللصّان اللذان صُلبَا معه » (متى ٢٧ : ٤٤) .

أما السيد المسيح فإنه فى وسط كل تلك الآلام التى كان يعانيها ، وتلك الإهانات التى كان يوجهها إليه أولئك اليهود الظالمون القاتلون ، رفع عينيه نحو السماء – كما جاء فى الإنجيل للقّديس لوقا – وقال : « ياأبتاه اغفر لهم لأنهم لا يدرون ماهم فاعلون » (لوقا ٢٣ : ٣٤) ، لأنه كان دائمًا يوصى الناس بأن

يغفر بعضهم لبعض ، وكان هو القدوة والمثل الأعلَى للناس فى كل ماأوصاهم به ، ومِن ثَمَّ فإنه – وهو فى أشدّ محنة يمكن أن يقاسيها إنسان ، وإزاء أشّد جريمة يمكن أن يرتكبها إنسان ضد إنسان – غفر لأعدائه جريمتهم ، فبلغ بذلك الغاية التى ليس بعدها غاية ، وارتفع بالسلوك البشرى إلى أَسمى مرتبة من الكمال يمكن أن يصل إليها معنى الكمال .

وهنا نرى لمحة من لمحات النور حين يدخل القلب المظلم ، فى لحظة من لحظات الإشراق الرّوحى ، حتى بالنسبة لأكثر الناس شرًّا وأفدحهم خطيئة وإثمًا ، إذ استمرّ أحد اللصين اللذين كانا مصلوبين مع السيد المسيح – كما جاء فى الإنجيل للقديس لوقا – « يجدّف عليه قائلاً : أَلست أَنت المسيح ؟ إذن خلِّص نفسك وخلّصنا . فأجاب الآخَرَ وانتهره قائلاً : أما تخاف الله ، وأنت نفسك تحت هذا القصاص بعينه ؟. نحن بعدلٍ جوزينا ، لأننا ننال جزاء أعمالنا . أما هذا فلم يفعل سوءًا . ثم قال ليسوع : اذكرنى يارب مَتَى جئتَ فى ملكوتك . فقال له يسوع : الحقَّ أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس » (لوقا ٢٣ : ٣٩ – ٤٣) .

وفى مقابل ذلك اللص الذى آمن بالسيد المسيح وهو على الصليب ، واعترف بأنه رَبّ فى وَسَط مظاهر كل ذلك الهوان ، مجاهرًا بذلك علنًا ، كان ثمة ظاهرة مؤلمة ، مامن شك فى أنها زادت آلام السيد المسيح ألمًا وأَضافت إلى عذابه ، وإن كان قد توقعها من قبل وتنبأ بها صراحة منذ ساعات قليلة ، إذ اختفى واختبأ كل تلاميذه وأحبائه ، متخلّين عنه فى ساعة رزيئته ومحنته ، بعد أن لازموه طوال أيام سلامه وسلامته . وقد سبق لأكثرهم جرأة وشجاعة أن تنكَّر له وأنكره ، وهاهم أولاء الباقون جبنوا حتى عن أن يصاحبوه وهو يسير مثخنًا بالجراح فى طريق آلامه ، أو يقفوا بجانبه ليواسوه بكلمة عطف أو عزاء وهو معلَّق

كالذبيحة على صليبه . فَصَدقَت فيهم النبوءات القائلة : « إخوتك أنفسهم .. قدغادروك هُم أيضًا » (ارميا ١٢ : ٦) . والقائلة بِلسان المسيح « عند كلِّ أعدائى صرتُ عارًا .. ورعبًا لمعارفى . الذين رأونى خارجًا هربوا عنى . نُسيت من القلب مثل الميّت » (المزمور ٣٠ : ١١و١٢) .. « قد دست المعصرة وحدى .. لم يكن معى أحد .. فَنَظرتُ ولم يكُن معين ، وتحيَّرتُ إذ لم يكُن عاضِد » (إشعياء ٦٣ : ٣ — ٥) .. « انتظرت رقة فلم تكُن ، ومَعَزِّين فلم أجد » (المزمور ٦٨ : ٢٠) .

بَيْدَ أنَّ النسوة اللاتى تتلمذن على السيد المسيح وتوطَّد إيمانهنَّ به ، كُنَّ أكثر شجاعة من الرجال ، إذ لازمنه إلى آخر لحظة . وإنْ كُنَّ لم يجرؤن على الاقتراب من صليبه فوقفن بعيدًا ، إذ جاء فى الإنجيل للقديس مرقس أنه «كانت هناك أيضًا نسوة ينظرن من بعيد ، من بينهن مريم المجدلية ، ومريم أم يعقوب الصغير ويوسى ، وسالومى . وَهُنَّ اللاتى كُنَّ يتبعنه ويخدمنه حين كان فى الجليل ، فضلاً عن نسوة أخريات كثيرات كن قد صعدن معه إلى أورشليم » (مرقس ١٥ : ٤٠ و ٤١) . وبذلك أيضًا تحققت النبوءة القائلة بلسان السيد المسيح « اقاربى وقفوا بعيدًا » (المزمور ٣٧ : ١١) .

أما السيدة العذراء مريم فإنها لم يطاوعها قلبها الذى كان يتمزَّق عندئذ لوعة على ابنها فلم تستطع أن تظلَّ بعيدًا ، وإنما اقتربت حتى وقفت تحت صليبه ، تصاحبها أختها مريم زوجة كلوبا ، ومريم المجدلية . وهناك تعلَّقن بقدميه الداميتين باكيات متفجعات . كما اقترب أحد تلاميذه وهو يوحنا التلميذ الذى كان السيد المسيح يحبه (يوحنا ١٣ : ٢٣) ؛ (١٩ : ٢٦) ، والذى يبدو أنه اجترأ دون بقية زملائه على الظهور فى ذلك المشهد الرهيب لأنه كان معروفًا عند رئيس الكهنة ، وقد سبق له فى الليلة الماضية أن دخل بغير خوف داره مع السيد المسيح بعد أن

قبض عليه ، إذ جاء فى الإنجيل للقديس يوحنا أنه «كان هذا التلميذ معروفًا لدى رئيس الكهنة » (يوحنا ١٨ : ١٥) . ومِن ثَمَّ جاء فى هذا الإنجيل أنه «كانت واقفات عند صليب يسوع أُمُّه ، وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ، ومريم المجدلية . فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذى كان يحبه واقفًا ، قال لأمه : أيتها السيدة هُوذا ابنك . ثم قال للتلميذ : هى ذى أمك . ومنذ تلك الساعة أخذها التلميذ إلى بيته » (يوحنا ١٩ : ٢٥ — ٢٧) . وندرك من ذلك أنّ السيد المسيح كان عندئذ هو العائل الوحيد لأمه السيدّة العذراء مريم . ومِنْ ثَمَّ فإنه وهو عالم أنه سيرتفع عن الأرض عهد بها إلى رعاية ذلك التلميذ الذى كان يحبه . وفى هذا ردّ على الذين زعموا أنه كان للعذراء مريم أولاد آخرون هم يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا بحجة أن الإنجيل دعاهم إخوة المسيح يسوع (متى ١٢ : ٤٦و٤٧) ؛ (١٣ : ٥٥) ؛ (مرقس ٣ : ٣١و٣٢) ؛ (٦ : ٣) ؛ (لوقا ٨ : ١٩و٢٠) ؛ (يوحنا ٢ : ١٢) ؛ (٧ : ٣و٥) ؛ (الأعمال ١ : ١٤) .

وقد تغافلوا عن عادة الشرقيين فى تلقيب الأقارب بأنهم إخوة ، ولا سيما أولاد العمومة والخؤولة . ومن ذلك أن إبراهيم لقّب لوطًا بأخيه ، مع أنه فى الواقع هو ابن أخيه (التكوين ١٢ : ٤) ، ولقّب لابان ابن اخته يعقوب بأخيه (التكوين ٢٩ : ١٥) . وقال الكتاب المقدّس عن أولاد لابان أنهم إخوة يعقوب (التكوين ٣١ : ٤٦) . والواقع أَنَّ الإنجيل للقدّيس يوحنا ينص على أنه كان للعذراء مريم أختٌ شقيقة تسمَّى مريم (يوحنا ١٩ : ٢٥) . ويروى التاريخ أيضا أن هذه الأخت الشقيقة قد أنجبها يواقيم أبو العذراء مريم من حنَّة أمها بعد العذراء مريم . ولما كانت العذراء مريم قد نَذرها أبوها وأمها للربّ . فلما رزقها الربّ بتلك الابنة الأخرى ، قالا إن الابنة الأولى من نصيب الرب ، وأما الثانية فمن نصيبنا » . ومِنْ ثَمَّ أطلقا على الابنة الصغرى أيضا اسم مريم ، وهى هذه التى تزوجها فيما بعد حلفى وذلك هو اسمه الأرامى ، وقد كان له اسم آخر

يونانى وهو كلوبا ، وقد أنجب منها أولادًا هُم يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا (انظر كتاب تاريخ الكنيسة ليوسابيوس الجزء ٣ فقرة ٣٢ : ٣ - ٨) كما أنجب منها أيضًا بنات . لذلك سُميت مريم شقيقة العذراء مريم فى الإنجيل « مريم أم يعقوب الصغير ويوسى » (مرقس ١٥ : ٤٠) ؛ (متى ٢٧ : ٥٦) و « مريم أم يعقوب » (مرقس ١٦ : ١) ؛ (لوقا ٢٤ : ١٠) و « مريم أم يوسى » (مرقس ١٥ : ٤٧) و « مريم زوجة كلوبا » (يوحنا ١٩ : ٢٥) . ويروى المؤرخ يوسابيوس القيصرى أن كلوبا أو حلفى كان أخًا ليوسف النجار . وعلى ذلك يكون يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا أقرباء المسيح من جهة الأم فإنهم أولاد خالته ، ومن جهة يوسف النجار لأنهم أولاد أخيه كلوبا . ويروى القديس أبيفانيوس أسقف سلامينا فى جزيرة قبرص عن القديس هيجسيبوس HEGESIPPUS وهو من آباء القرن الثانى عن تقليد يهودى قديم أن كلوبا هوأخ شقيق ليوسف « خطيب العذراء مريم » (كتاب الردّ على الهرطقات ٧٨ : ٧) . ولذلك فإن يوسابيوس كثيرًا مايذكر أن يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا أولاد كلوبا ، ومريم زوجة كلوبا ، هم أقرباء يسوع المسيح . (يوسابيوس فى كتابه « تاريخ الكنيسة » . الجزء الثالث : فقرة١١ ؛ فقرة ٣٢ : ١ - ٨ ؛ الجزء الرابع : فقرة ٢٢ : ٤ و ٥) وجاء أيضًا فى السنكسار تحت اليوم التاسع من شهر أبيب القبطى أن كلوبا هذا هو أخ شقيق ليوسف البار خطيب مريم العذراء .

١٩ : ٢٨ - ٣٧

وقد ظل السيد المسيح يعانى الآلام المبرحة التى لا يمكن أن توصف منذ الساعة الثالثة إلى الساعة السادسة بالتوقيت اليهودى ، أى منذ الساعة التاسعة صباحًا حتى الساعة الثانية عشرة ظهرًا بالتوقيت الحديث . وقد جاء فى الإنجيل للقديس متى أنه « منذ الساعة السادسة صارت ظلمة على الأرض كلها إلى

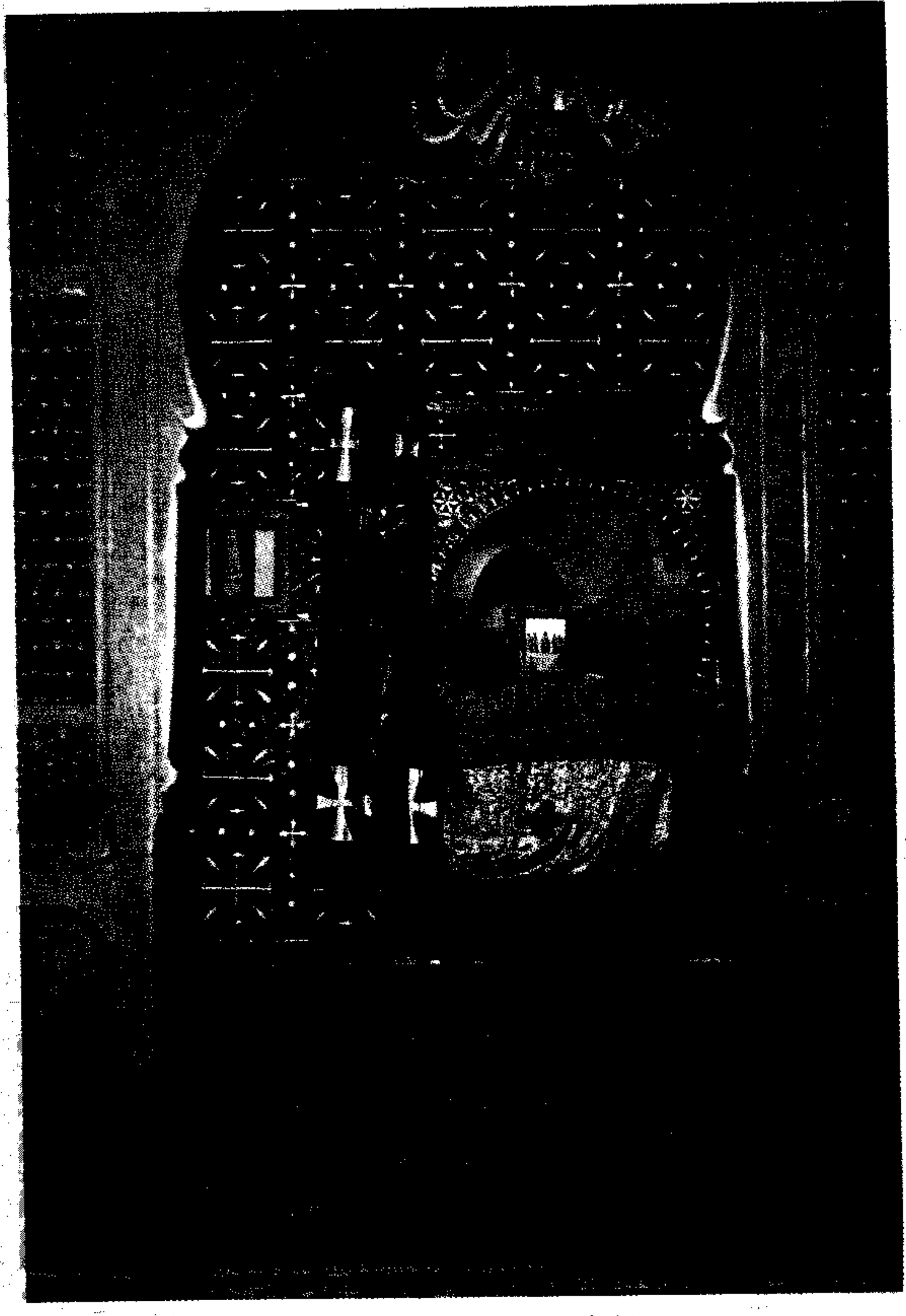


العذراء الحزينة (يوحنا ١٩ : ٢٥ – ٢٧)

الساعة التاسعة » (متى ٢٧ : ٤٥) . وقد كانت هذه معجزة من المعجزات التى صاحبت آلام السيد المسيح ، كما سبق أن صاحبت ميلاده معجزات كثيرة ، منها النجم الذى ظهر للمجوس فساروا على هداه من بلادهم إلى حيث وُلِدَ فى بيت لحم (متى ٢ : ٢ - ٩) . فكما أضاءت السماء بذلك النجم فى وقت ميلاده ، هكذا أظلمت الأرض فى وقت آلامه ، مما يدلّ على شخصيته الإلهية . وبهذا الظلام الذى غمر الأرض فى وقت الظهيرة فى أثناء آلام السيد المسيح تحققت النبوءة القائلة « يكون فى ذلك اليوم أنّى أغيِّب الشمس فى الظُّهر وأقتّم الأرض فى يوم نور » (عاموس ٨ : ٩) . كما تحققت النبوءة القائلة « غربت شمسها إذ بعدُ نهار » (ارميا ١٥ : ٩) . وقد ساد الظلام ثلاث ساعات ، استولت فيها على كلّ الحاضرين دهشة ورهبة ورعدة . وقد جاء فى الإنجيل للقديس متى أنه « فى نحو الساعة التاسعة صَرَخ يسوع بصوتٍ عظيم قائلاً : إيلى . إيلى . لَمَا شَبَقْتَنى ، أى إلهى إلهى لماذا تخليت عنى » (متى ٢٧ : ٤٦) . وقد كانت هذه العبارة التى قالها السيد المسيح باللغة الآرامية بعد أن انقشع الظلام فى نحو الساعة الثالثة بعد الظهر بالتوقيت الحديث هى الجملة الأولى من المزمور الحادى والعشرين منْ سِفْر المزامير . وهو - له المجد - لم يكن يعنى بهذه العبارة أن الله قد تركه ، لأنه هو والله الآب جوهر واحد كما سبق أن قرّر مرارًا . وإنما كان يعنى أن المزمور الذى وردت هذه العبارة فى بداءته ينطبق عليه فى تلك اللحظة وقد كان هذا المزمور نبوءة مفصَّلة ودقيقة عن الآلام التى يعانيها على الصليب . إذ جاء به « إلهى إلهى لماذا تخلّيت عنى ؟.. كل الذين يروننى يستهزئون بى .. قائلين اتكل على الربّ فلينجّه . لينقذه لأنه سرَّ به .. أحاطت بى ثيران كثيرة .. فغروا أفواههم كأسد مفترس مزمجر . كالماء انسكبْت . انفصَلَت كلّ عظامى . صار قلبى كالشمع ، قد ذاب فى وسط أمعائى . يبست مثل شقفةٍ قوّتى ولصق لسانى بحنكى .. أحاطت بى كلاب . جماعة من الأشرار اكتنفتنى . ثقبوا يَدىَّ



السيد المسيح على الصليب



باب الهيكل فى كنيسة بمصر القديمة

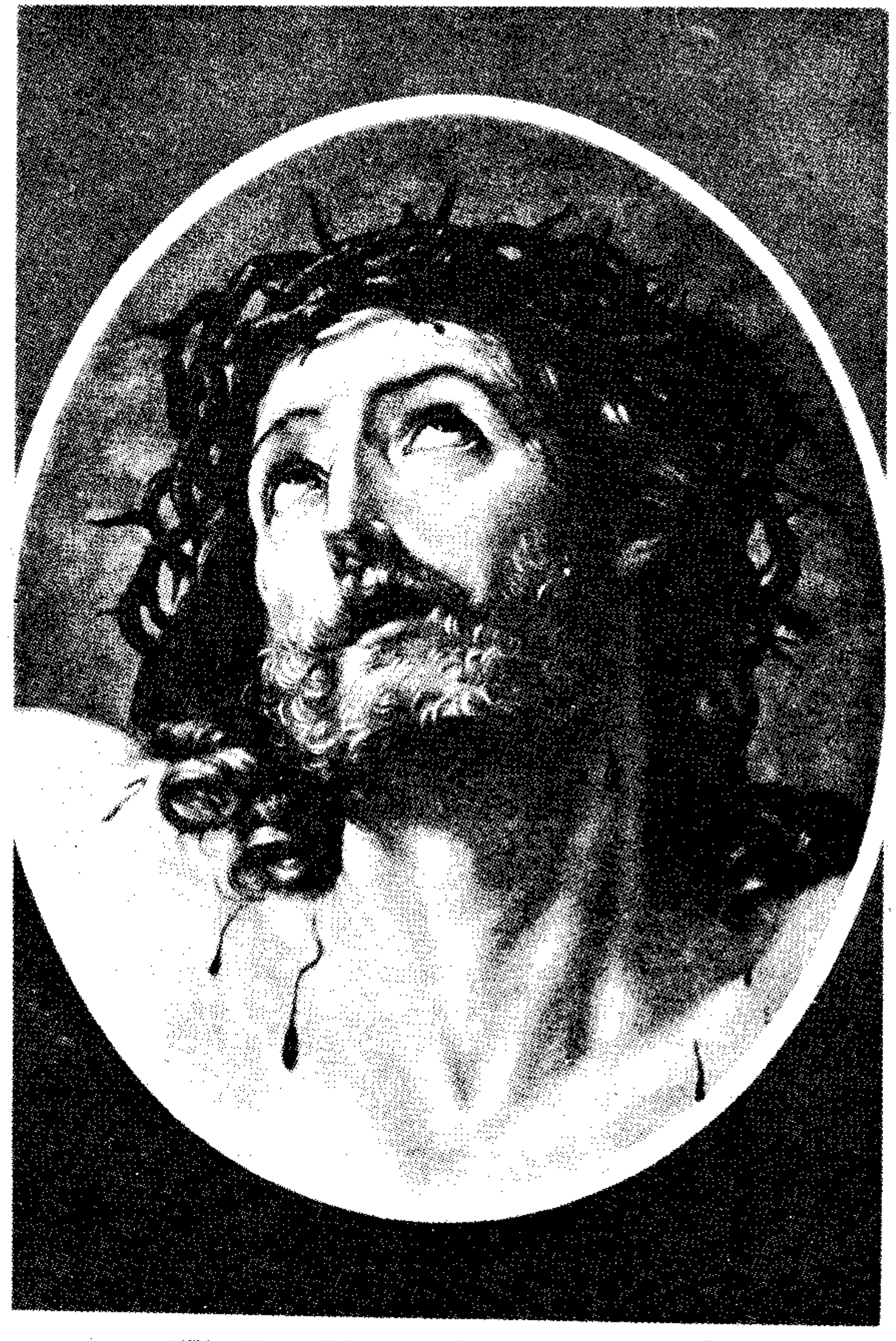
ورجليّ . أُحْصِى كل عظامى وهم ينظرون ويتفرسون فِيَّ . يقتسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون (المزمور ٢١ : ١ – ١٧) . وكان السيد المسيح عندما صَرَخ بهذه العبارة فى قمة ألمه بصفته الإله المتأنِّس الذى يتمم عمل الفداء . بَيْد أنّ هذا ليس معناه أن لا هوته ، قد فارق ناسوته ، وإنما معناه أن اللاهوت لم يتدخّل ليخففَ من آلام الناسوت حتّى يحتمل السيد المسيح فى جسده تلك الآلام كاملة ، ليتمَّ بذلك التكفير الكامل عن خطايا البشَر ، لأنه من أجل ذلك كان الفداء ، الذى دَّبرته الرحمة الإلهية لخلاص البشر.

وإذ قال السيد المسيح فى ضراعته باللغة الآرامية « إيلى إيلى » ، أى « إلهى إلهى » ظن بعض الواقفين أنه يقول « إيليًّا . إيليًّا » لتقارب اللفظين . وقد كان إيليًّا من أشهر أنبياء اليهود . ومن ثم « قالوا : إنه ينادى إيليا .. فقال الباقون .. لننظر هل يأتى إيليًّا ليخلّصه ؟ » (متى ٢٧ : ٤٧ – ٤٩) . وكان الظلام حين خيَّم ثلاث ساعات كاملة قد أفزعهم وألجَمَ ألسنتهم . ولكنهم حين انقشع ذلك الظلام وسمعوا السيد المسيح يصرخ هكذا متوجعًا متضرّعًا استعادوا ما كانوا قد فقدوه من شجاعتهم . وعادوا إلى ما كانوا قد توقفوا عنه من بذاءتهم ، فراحوا يهزأون به من جديد .

ولم يلبث السيد المسيح بعد ست ساعات من المعاناة الرهيبة أن جف ريقه ولصق لسانه بحنكه كما تقول النبوءة (المزمور ٢١ : ١٥) . ومِنْ ثَمَّ جاء فى الإنجيل للقديس يوحنا أنه « بعد ذلك رأى يسوع أن كلّ شيء قد اكتمل ، فلكى يتم قول الكتاب ، قال : أنا عطشان . وكان ثمة إناء موضوع ممتلىء خلاًّ ، فملأوا إسفنجة بالخل ورفعوها على قصبة من الزوفاء وأدنوها من فمه . فلما ذاق يسوع الخل قال : قد تم كل شيء » (يوحنا ١٩ : ٢٨ – ٣٠) . وهكذا

تحققت النبوءة التي تقول على لسانه « يجعلون في طعامي علقمًا وفي عطشي يسقونني خلاً » (المزمور ٦٨ : ٢١) . وبذلك تمَّ العمل الذي جاء من أجله إلى العالم ، وتحققت كلّ النبوءات التي قالها الأنبياء عن آلامه ، ولذلك قال « قد تمَّ كل شيء » .

وعندئذ ، وكانت الساعة قد بلغت التاسعة بالتوقيت اليهودي ، أي الثالثة بعد الظهر بالتوقيت الحديث ، جاء في الإنجيل للقديس يوحنا أن السيد المسيح « أمال رأسه وأسلم الروح » (يوحنا ١٩ : ٣٠) . وجاء في الإنجيل للقدّيس لوقا أنه عندئذ « صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : ياأبتاه في يديك أستودع روحي . وإذ قال هذا أسلم الروح » (لوقا ٢٣ : ٤٦) . ويدلّ الصوت العظيم الذي نادَى به السيد المسيح على أنه – على الرغم من ضعف الجسد بسبب كل ماقاساه من الآلام طوال ست ساعات رهيبة – كان قويا باللاهوت المتحدّ به ، كما يدلّ ذلك على أن روحه لم تغتصب منه اغتصابًا كما يحدث لسائر البشَر عند موتهم ، وإنما قد بذلها بمحض اختياره وإرادته ، مقدِّمًا إياها ذبيحة عن خطايا البشَر ، وفقًا لقوله مِن قبل « يحبني أبي إذ أبذل نفسي كي أستردّها – ما من أحد ينتزعها مني ، وإنما أبذلها أنا وحدي من ذاتي ، فلي سلطانٌ أن أبذلها ولي سلطان أن أستردّها » (يوحنا ١٠ : ١٧و١٨) . وإذ أسلم الروح أثبت أنه مات فعلاً بالجسد ، للتكفير عن البشَر وغفران خطاياهم . لأنه بغير الموت لا تكون مغفرة (العبرانيين ٩ : ١٥و٢٢) . ولأنه بمحض اختياره كما جاء في النبوءات « جعل نفسه ذبيحة إثم » (إشعياء ٥٣ : ١٠) . وقد كان هو الذبيحة الحقيقية التي لم تكن ذبيحة الفصح اليهودي إلا رمزًا لها . إذ قدَّم نفسه ذبيحة في نفس اليوم الذي تقضي فيه الشريعة بتقديم ذبيحة الفصح . وفي نفس الساعة التي حددتها لذلك ، إذ جاء في سفر العدد « كلَّم الربُّ موسى في بريّة سيناء في السنة الثانية لخروجه من أرض مصر في الشهر الأول (وهو شهر أبيب) ، قائلاً ، وليعمل بنو



آلام السيد المسيح على الصليب (يوحنا ١٩ : ٢٨ - ٣٧)

إسرائيل الفصح فى وقته ، فى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر . بين العشاءين تعملونه فى وقته . حَسَب كل فرائضه وكل أحكامه تعملونه .. فعملوا الفصح فى الشهر الأول فى اليوم الرابع عشر من الشهر بين العشاءين » (العدد ٩ : ١ – ٤) . وقد كان يوم الجمعة الذى صلب فيه السيد المسيح هو اليوم الرابع عشر من شهر أبيب ، الذىأصبح معروفًا بعد السبى بشهر نيسان . وكانت الساعة التى أسلم فيها الروح هى الثالثة بعد الظهر (بالتوقيت الحديث) ، التى كانت تقع وفقًا لتقاليد اليهود فى الفترة التى كانوا يسمونها « بين العشاءين » . وقد اقتبل السيد المسيح الموت كما سبق أن اقتبل الآلام من حيث هو إنسان وليس من حيث هو إله . لأن الإله لا يتألم ولا يموت . وليس معنى ذلك أن لاهوته فارق ناسوته ، لأن الاتحاد ظل كاملاً فى السيد المسيح بين الناسوت واللاهوت . ولا يمكن إدراك هذه الحقيقة إلا بأن ندرك طبيعة السيد المسيح وحقيقة الرسالة التى جاء من أجلها إلى العالم . وقد فهمنا من تعاليم السيد المسيح ومن سائر ما جاء فى الكتاب المقدّس أن الله فى البدء خلق الإنسان كاملاً على صورته ومثاله . ولكنّ الإنسان تمّرد على الله ، فاستحقَّ بمقتضى العدل الإلهى الهلاك والموت . بيد أنه إذ كان الله العادل عدلاً مطلقًا ، رحيمًا أيضًا رحمة مطلقة ، شاءت رحمته بالإنسان الذى وهو خلقيته وصنعة يديه أن ينقذه من حكم الهلاك الذى أصدره عليه . ولكن إنقاذه لا يمكن أن يتم إلا بالتكفير عن خطيئته . ثم لما كان الإنسان بخطيئته قد فَقَد طهارته وانتقص من كماله هو وذرّيته ، لم يعد أحد من بنى الإنسان جديرًا بأن يقبله الله فدية تصلح للتكفير عن خطاياه وخطايا الجنس البشرىّ كلّه ، لأن الفادى الجدير بذلك ينبغى أن يكون طاهرًا كما كان الإنسان الأول فى البدء طاهرًا وكاملاً . ولذلك دبّرت رحمة الله وسيلة تتحقق بها عدالته ، كما تتحقق بها فى نفس الوقت رحمته ، وهى أن ينزل بذاته لتتحد طبيعته بطبيعة الإنسان كى « يجدد الإنسان و يرده إلى رتبته الأولى » ، وذلك بأن

يقدّم نفسه فدية للتكفير عن خطيئة الإنسان الأوّل وكلّ ذرّيته . فكان هذا الإنسان الإله هو السيد المسيح الذى جاء إلى العالم متجسدا من روح القدس ومن مريم العذراء ، وقدّم نفسه فدية ومات على الصليب لتحقيق هذه الغاية الإلهية الرحيمة السامية . ومن ذلك ندرك أن الاتحاد بين الإنسان والإله فى السيد المسيح اتحاد كامل وتام ، اتحاد لايقبل الانفصال بين اللاهوت والناسوت .

ولعلّ مما يلقى الضوء على طبيعة السيد المسيح ، تلك الأمور الغريبة الرهيبة التى وقعت بمجرّد أن أسلم الروح ، والتى لا تقل غرابة ولا رهبة عن ذلك الظلام الكثيف المخيف الذى خيم ثلاث ساعات كاملة فى وقت آلامه ، إذ جاء فى الإنجيل للقديس متى أنّ « حجاب الهيكل قد انشقّ نصفين من أعلاه إلى أسفله . والأرض تزلزلت والصخور تشقّقت والقبور تفتحت . وقد قام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدّسة وظهروا لكثيرين » (متى ٢٧ : ٥١ — ٥٣) . وقد كان حجاب الهيكل هو الستر الفاصل فى الهيكل بين القدس الذى كانت تتم فيه طقوس العبادة اليومية ، وبين قدس الأقداس الذى كان فيه تابوت العهد ولوحا الشريعة . وإذ كانوا يعتبرونه مسكن الله لم يكن مسموحًا لأحد بالدخول فيه ، إلا لرئيس الكهنة وحده ، مرة واحدة فى السنة ، عند الاحتفال بيوم الكفّارة ، كى يرش دم الذبيحة تكفيرًا عن خطايا الشعب . وقد كان انشقاقه فى لحظة موت السيد المسيح يعنى زوال الحجاب الذى كان يفصل بين الله والناس ، بعد أن فداهم السيد المسيح بموته مكفّرًا عن خطاياهم ، فلم يَعد ثمة حاجة لهذا الطقس الذى كان يقوم به رئيس الكهنة حين يدخل قدس الأقداس ليرش دم الذبيحة فى يوم التكفير ، إذ لم يكن ذلك إلا مجرَّد رمز لدم الذبيحة الحقيقية وغفران الخطايا . أما زلزلة الأرض وتشقق الصخور فكان معجزة أعلن الله بها سخطه وغضبه على اليهود الآثمين الظالمين الذين سفكوا دم ذلك البرىء البار . وقد جاء فى النبوءات

« أليس من أجل هذا ترتعد الأرض ؟.. ويكون فى ذلك اليوم يقول السيد الربّ أنى أغيِّب الشمس فى الظهر. وأُقتِّم الأرض فى يوم نور » (عاموس ٨ : ٨و٩) . وذلك لأن عمل الفداء الذى أنجزه السيد المسيح وإن كان ترتيبًا إلهيًّا فإنه لا يعفى اليهود من مسئوليتهم عن الجريمة البشعة التى ارتكبوها بدافع من شرّهم ومكرهم وغدرهم وقسوة قلوبهم ، ومِنْ ثَمَّ لا يعفيهم من سخط الله وغضبه عليهم . وأما قيام الأموات من قبورهم ، فتلك معجزة طالما صنع المسيح مثلها فى أثناء حياته على الأرض . فلا عجب أن تَحدُث عند موته ، إعلانًا عن مكانته السمائية ، وإثباتًا لقدرته الإلهية ، وتأييدًا لما سبق أن صنع من معجزات ، وتعبيرًا عن فرح الأرواح التى كانت محبوسة فى الجحيم ، إذ نزل المسيح إليها هناك وبشَّرها بالإفراج عنها (١ . بطرس ٣ : ١٩) ؛ (أفسس ٤ : ٨ – ١٠) .

وإذ كانت هذه المعجزات خارقة للطبيعة ، ولا يمكن إلاّ أن تكون صادرة عن القدرة الإلهية ذاتها ، استولت الرهبة على الحاضرين جميعًا إذ جاء فى الإنجيل للقديس متى « أما قائد المائة والذين كانوا معه يحرسون يسوع ، فحين رأوا الزلزال وما حدث خافوا خوفًا عظيمًا قائلين : حقًّا كان هذا هو ابن الله » (متى ٢٧ : ٥٤) . وذلك أنهم كانوا من الرومان الوثنيين غير الحاقدين على السيد المسيح ، على الرغم من أنهم كانوا مكلفين بقتله . وقد سبق لهم أن سمعوا ضمن الاتهامات التى كان اليهود يوجهونها إليه أنه قال عن نفسه إنه ابن الله . فلما رأوا ذلك الذى حدث عند موته آمنوا بأنه كان صادقًا فيما قال ، لأنه لا يمكن أن يحدث مثل هذا عند موت أى إنسان عادى . بل إنه جاء فى الإنجيل للقدّيس لوقا أن « كل الجموع الذين احتشدوا عند هذا المشهد ، لما رأوا ما حدث رجعوا وهم يقرعون صدورهم » . (لوقا ٢٣ : ٤٨) . فعلى الرغم من أنهم كانوا من اليهود ، أيقنوا عندئذ أن هذا الذى قتلوه لم يكن إلا المسيح ابن الله الذى تنبأ بمجيئه أنبياؤهم . وقد أفاقوا الآن إلى أنفسهم ، وشعروا بالندم العنيف ، حتى

لقد راحوا يقرعون صدورهم . بيد أننا نعلم مما حدث بعد ذلك أن أولئك الذين ندموا من اليهود لم تكن عداوتهم للسيد المسيح إلا بتأثير أعدائه الألدّاء من رؤساء الكهنة والكَتَبة والفرِّيسيين والصّدّوقيين وغيرهم من أَعضاء مجلس السنهدريم .
وأما هؤلاء الأعداء الألدّاء الذين سبق لهم أن رأوا المعجزات الإلهية الكثيرة التى صنعها السيد المسيح فى أثناء حياته على الأرض ، ومع ذلك لم يؤمنوا به ، فإنهم حتى بعد أن رأوا هذه المعجزات التى حدثت عند موته ، لم يؤمنوا به كذلك ، غيرة منه وحسدًا له وحقدًا عليه وخوفًا على مناصبهم مما قد يؤدى إليه إيمان الشعب به والتفافه حوله . ومن ثم أغمضوا أعينهم ، وأغلقوا آذانهم وأوصدوا قلوبهم وعقولهم وظلوا على عنادهم وغلظة أكبادهم ، فصدق فيهم ماسبق أن وصفهم به السيد المسيح ، إذ قال إنهم « مبصرون ولا يبصرون ، وسامعون ولايسمعون ، ولا هُم يفهمون . ففيهم قد تمَّت نبوءة إشعياء القائلة : بالسمع تسمعون ولا تفهمون ، وبالبصر تبصرون ولا ترون ، لأن قلب هذا الشعب قد غلُظ وآذانهم قد ثقل سمعها ، وعيونهم قد أغمضوها لئلاً يبصروا بعيونهم أو يسمعوا بآذانهم أو يفهموا بقلوبهم ، أو يرجعوا إلىَّ فأشفيهم » (متى ١٣ : ١٣ – ١٥) . ومِنْ ثَمَّ فإنَّ أولئك القساة المجرمين الضالّين المضلِّين ، بعد أن رأوا مباشرة ما حدث ، بدلاً من أن يؤوبوا إلى أنفسهم ، ويتوبوا عن شرّهم ، أوغلوا فى قسوتهم وإجرامهم ، وتمادوا فى ضلالهم وتضليلهم ، وأضمروا مزيدًا من التنكيل بالسيد المسيح والتمثيل به حتى بعد موته . فتظاهروا – فى ريائهم المعهود ونفاقهم الوقح – بمحافظتهم الشديدة على تنفيذ أحكام الشريعة . وقد قضت الشريعة بأنه . « إذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فَقُتِلَ وعلقته على خشبة فلا تُبِتْ جثّته على الخشبة ، بل تدفنه فى ذلك اليوم ، لأن المعلَّق ملعون من الله ، فلا تنجّس أرضك التى يعطيك الرب إلهك » (التثنية ٢١ : ٢٢) .
وقد كان أعداء السيّد المسيح يخشون أن يكون مازال على قيد الحياة ، لأن

المصلوب لم يكن يموت فى العادة إلا بعد وقت طويل قد يمتدّ إلى بضعة أيام ، حتى لقد كان يحدث أن بعض المحكوم عليهم يعطون أحيانًا رشوة للقائمين بحراستهم ليعجّلوا بقتلهم كى يتخلصوا مما يعانون من آلام رهيبة ، ومِنْ ثَمَّ أراد أعداء السيد المسيح أن يتأكدوا من أنهم قد قضوا عليه فعلاً وتخلّصوا منه إلى الأبد ، فتعللوا بما قضت به شريعتهم ، ولا سيّما فى ذلك اليوم الذى كان عيدًا عظيمًا لديهم ، متظاهرين بأنهم لا يريدون أن ينجسّوا قداسته ببقاء المصلوبين معلقّين على صلبانهم بعد حلول الظلام ، وهم يستعدّون للاحتفال بذلك العيد قبل انقضاء النهار ، ومِن ثَمَّ جاء فى الإنجيل للقديس يوحنا : « وإذ كان ذلك هو يوم الاستعداد ، ولئلا تبقى الأجساد على الصليب يوم السبت ، لأن يوم السبت هذا كان عظيمًا ، طلب اليهود إلى بيلاطس أن يكسروا سيقانهم ويرفعوهم . فجاء الجند وكسروا ساق أوّل اللذين كانا مصلوبين معه . ثم كسروا ساق الآخَر . وأما يسوع فلما جاءوا إليه وجدوه قد مات ، فلم يكسروا ساقيه ، إلا أنّ واحدًا من الجند طعن جنبه بحربة ، فخرج منه على الفور دم وماء » (يوحنا ١٩ : ٣١ – ٣٤) . ونرى من ذلك أن أعداء السيد المسيح كانوا يهدفون مما دبّروه – وهم يتظاهرون كذبًا بحرصهم على تنفيذ أحكام شريعتهم – إلى الإجهاز عليه بكسر عظام ساقيه إن كان لا يزال حيًّا ، أو بالتأكّد على أى حال من أنه قد مات . ولكنهم بدلاً من أن ينالوا بذلك من السيد المسيح ، أظهروا مجده ، إذ أعلنوا عن حقيقة شخصيته ، لأنهم حققوا النبوءة التى تقول عنه إنه « يحفظ جميع عظامه ، واحد منها لا ينكسر » (المزمور ٣٣ : ٢٠) ، مما يدلّ على أنه هو ذبيحة الفصح الحقيقية ، التى لم يكن ذبح خروف الفصح فى العهد القديم إلا رمزًا لها . وقد كانت الشريعة تنهى عن كسر أى عظم منه بعد ذبحه ، إذ جاء فى سِفر العدد « فكلّم الرب موسى قائلاً : كلّم بنى إسرائيل قائلاً .. فليعمل الفصح للرب . فى الشهر الثانى فى اليوم الرابع عشر ، بين

العشاءين يعملونه ، على فطير ومرار يأكلونه . لا يبقوا منه إلى الصباح . ولا يكسروا عظمًا منه » (العدد ٩ : ٩ — ١٢) . كما أن أعداء السيد المسيح حققوا بذلك النبوءة التى تقول عنه « فينظرون إلىَّ أنا الذى طعنوه وينوحون » (زكريا ١٢ : ١٠) . فضلاً عن أنهم بتدبيرهم الإجرامى الذى أرادوا به أن يقضوا عليه وعلى إيمان الناس به ، قد خدموا فى الحقيقة رسالته . وقدّموا برهانًا يوطّد إيمان الناس به ، إذ أقاموا الدليل على أنه مات فعلاً على الصليب . وقد حرمهم ذلك من فرية أخرى كانوا بالتأكيد سيفترونها عليه بعد أن قام فى اليوم الثالث من قبره حيًّا . إذ كانوا سيزعمون أنه لم يكن قد مات على الصليب . وإنما كان قد أغمى عليه فحسب ، ثم حين أفاق وهو فى القبر خرج منه . ونلاحظ هنا أنه حين طعنه قائد المائة فى جنبه ليستوثق من موته جرى واندفق من جنبه دم وماء ، مما يدلّ على أنه فيما كان قد مات بالجسد فعلاً كان حيًّا بلاهوته المتحد بجسده ، حقًا لقد فارقت الرُوح الإنسانية الجسد ، ومع ذلك لم يفارق اللاهوتُ لا الروح التى أسلمها على الصليب ، ولا الجسد الذى مازال معلقًا على الصليب . فكانت لهذه الظاهرة الفريدة التى لا تحدث لإنسان عادى دلالتها اللاهوتية ، كبرهان دامغ على أن لاهوته لم يفارق ناسوته على الصليب . أما الموت بالنسبة للسيد المسيح ، فكان بمفارقة الروح الإنسانية للجسد ، وأما اللاهوت فظل متحدًا بكل من الروح والجسَد . واحتفاء بهذه الظاهرة نخلط الماء بالخمر فى كأس سر الشكر . وإلى ذلك يشير القديس يوحنا فى رسالته الأولى قائلاً « هذا هو يسوع المسيح الذى أتى بالماء والدم ، لا بالماء فقط ، بل بالماء والدم » (١ . يوحنا ٥ : ٦) .

وقد ختم القديس يوحنا وصفه لهذا المشهد الذى رآه بنفسه بأن قال إن « الذى أبصر ذلك قد شهد وشهادته حق ، وهو يعلم أنه قال الحق لتؤمنوا أنتم .

وقد كان هذا ليتم ماجاء فى أحد اسفار الكتاب : إنَّ عظمًا منه لن يُكْسَر . كما جاء فى سفرٍ آخر : سينظرون إلى الذى طعنوه » (يوحنا ١٩ : ٣٥ - ٣٧) .

١٩ : ٣٨ - ٤٢

وكان المساء قد اقترب حين أسلم السيد المسيح الروح فى الساعة الثالثة بالتوقيت الحديث من بعد ظهر يوم الجمعة . وقد كان ينبغى دفن جثمانه قبل انتهاء نهار الجمعة الذى كانوا يسمّونه يوم الاستعداد لأنه بانتهائه وحلول الظلام يبدأ يوم السبت الذى لا يجوز وفقًا للشريعة القيام بأى عمل فيه على الإطلاق ، ولا سيما أن ذلك السبت بالذات كان يومًا عظيمًا لدى اليهود لأنه كان بداءة عيد الفصح فى ذلك العام . ومِنْ ثَمَّ « فى المساء جاء رجل غنىّ من الرامة يدعى يوسف » (متى ٢٧ : ٥٧) . « وهو من الأعيان والأعضاء البارزين بالمجلس » الذى هو مجلس السنهدريم (مرقس ١٥ : ٤٣) . « وكان رجلاً صالحًا بارًّا . ولم يكن راضيا عن رأيهم أو عملهم » (لوقا ٢٣ : ٥٠ و ٥١) . « وكان تلميذًا ليسوع وإن يكن خفية لخوفه من اليهود » (يوحنا ١٩ : ٣٨) . و « كان هو أيضًا ينتظر ملكوت الله ، واجترأ فدخل على بيلاطس البنطى ، وطلب جسد يسوع . فتعجب بيلاطس من أنه مات سريعًا هكذا ، واستدعَى إليه قائد المائة وسأله عما إذا كان قد مات فعلاً وانتهى . فلما أكّد له قائد المائة ذلك ، وهَبَ الجَسَد ليوسف . فاشترى يوسف كتَّانًا وأنزل الجَسَد ولفّه فى الكتان » (مرقس ١٥ : ٤٣ - ٤٦) . وقد جاء فى الإنجيل للقّديس يوحنّا أن يوسف الرامى « طلب إلى بيلاطس أن يأخذ جَسَد يسوع . فأمر له بيلاطس بذلك ، فجاء وأخذ جسد يسوع . وجاء أيضًا نيقوديموس . الذى كان قد أتى من قبل إلى يسوع ليلاً ، وكان يحمل حنوطًا من المُرِّ والصبر ، يزن نحو مائة رطل . وأخذا جسد يسوع وكفَّناه بلفائف من الكتان مع الأطياب على عادة اليهود فى التكفين . وكان فى

الموضع الذى صلبوه فيه بستان ، وفى البستان قبر جديد لم يوضع فيه من قبل أحد قط ، فوضعوا يسوع فيه بسبب الاستعداد عند اليهود ، لأن القبر كان قريبًا » (يوحنا ١٩ : ٣٨ – ٤٢) . ولم يكن من الممكن دفنه فى قبر بعيد ، لأن ذلك يتطلّب وقتًا ، وكان يوشك أن يحلّ المساء السابق ليوم السبت الذى لا يجوز فيه القيام بأى عمل حتى دفن الموتَى . وكان القبر الذى دفناه فيه مملوكًا ليوسف الرامى ، و « كان قد نحته فى الصخرة » (متى ٢٧ : ٦٠) ؛ (مرقس ١٥ : ٤٦) . وبذلك تحققت النبوءة القائلة عنه أنه « جُعل مع الأشرار قبره ، ومع غَنِيٍّ عند موته » (إشعياء ٥٣ : ٩) . وبعد أن قام يوسف مع نيقوديموس بإسجاء الجسد « دحرج حجرًا كبيرًا على باب القبر » (متى ٢٧ : ٦٠) ؛ (مرقس ١٥ : ٤٦) . « وكان اليوم هو الجمعة ، وقد بدأ السبت . وتبعته النسوة اللاتى كنّ قد أتين معه من الجليل فرأين القبر ، وشهدن جسده وهو يُسَجَّى فيه ، ثم رجعن وأعددن عطورًا وأطيابا . ثم استرحن فى السبت عملاً بالوصية » (لوقا ٢٣ : ٥٤ – ٥٦) . وكانت منهن « مريم المجدلية ومريم أُمُّ يوسى ، فَرَأَتا المكان الذى أُسْجِىَ فيه » (مرقس ١٥ : ٤٧) .

« وفى الغد ، أى بعد الاستعداد ، اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون عند بيلاطس قائلين : إننا نذكر ياسيّدنا أن ذلك المضلّ قال وهو حىّ : إنى بعد ثلاثة أيام أقوم . فأصدِر أمرك بحراسة القبر حراسة مُحكَمة حتى اليوم الثالث ، لئلاَّ يأتى تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من بين الأموات ، فتكون الضلالة الأخيرة شرًّا علينا من الأولى » (متى : ٦٢ – ٦٤) . وهكذا بلغ الجزع والفزع من السيد المسيح لدى أعدائه حدّ الجنون . فلم يكن طلبهم هذا الذى تقدّموا به إلى بيلاطس ناشئًا عن أنهم حقًّا يخشون من أن يأتى تلاميذه ويسرقوه ، لأنهم كانوا موقنين كل اليقين أن تلاميذه من الضعف والتخاذل والجبن حينذاك بحيث لا يمكن أن يأتوا ويسرقوا جثمانه من القبر بعد أن رأوا كيف

تَّملكهم الرّعب حين قبض اليهود عليه فهربوا واختبأوا جميعًا ، ولم يجرؤوا حتى على الوقوف بجانبه وهو مذبوح على الصليب . فلم يكن من المعقول أن تهبط عليهم الشجاعة والجرأة فجأة إلى درجة أن يتصدّوا لتحدِّى أولئك الطغاة البغاة المفترين المفترسين الذين كانوا هُم رؤساء اليهود وكانت فى يدهم كل القوة والسطوة والسلطان ، فى حين كانوا هُم قومًا بسطاء ودعاء لا سلاح فى يدهم ولا قوة لهم ولا سطوة ولا سلطان . وإنما كان ذلك الطلب الذى تقدّم به أعداء السيد المسيح ناشئًا فى الحقيقة عن أنهم كانوا يخشون بالفعل أن يقوم من بين الأموات كما سبق أن قال . لأنهم طالما رأوا من معجزاته المذهلة ومن قدرته الإلهية الهائلة التى يتحكم بها فى كل شىء تحكُّم الإله القادر على كلّ شىء . ولو أنهم فى مغالطتهم حتى لأنفسهم وصفوه أمام بيلاطس بأنه مضلّ . ومع ذلك اعترفوا بأن قيامته التى وصفوها – وهم يغالطون أنفسهم كذلك – بأنها ضلالة ستكون شرًّا عليهم من كلّ ماسبق أن قاله وفعله . لأنه بقيامته التى كانوا يتوقعونها ويفزعون منها ستؤدى إلى انهيار كلّ افتراءاتهم ضده . وبالتالى ستؤدى إلى إيمان الشعب به إيمانًا أقوى من إيمانه الأول . وبذلك تدول دولتهم وتزول سطوتهم ، فيكون فى ذلك القضاء عليهم القضاء الأخير . وقد كان هذا هو الذى يخشونه منذ البدء ويسعون سَعْىَ الوحوش الضارية إلى منعه ، والحيلولة بكلّ مافى وسعهم من مكيدة ومؤامرة ، ومن حيلة ووسيلة ، ومن جريمة دنيئة أثيمة ، للحيلولة دون وقوعه . بيدَ أن بيلاطس وقد فطن إلى نفاقهم وحطة أخلاقهم ، أجابهم فى كبرياء وازدراء قائلاً « إن عندكم حراسا فاذهبوا واحرسوه كما يبدو لكم . فذهبوا وأحكموا إغلاق القبر ، وختموه وأقاموا الحرَّاس عليه » (متى ٢٧ : ٦٥و٦٦) . ولكنهم كانوا فيما فعلوا – وقد فقدوا عقولهم – بعيدين كلّ البُعد عمّا اشتهروا به من مكر ودهاء وذكاء شيطانى . لأنهم أضاعوا بذلك على أنفسهم فرصة الزعم إذا قام ، بأنه لم يكن قد مات على الصليب ، وإنما كان

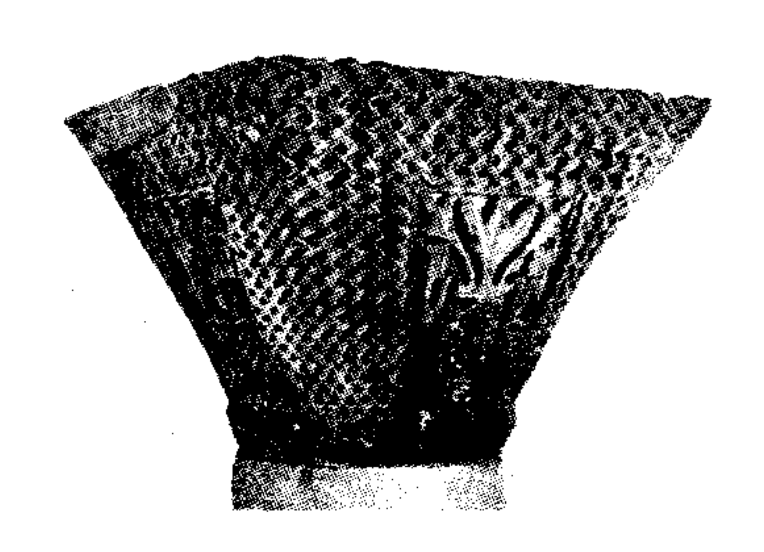


السيد المسيح على الصليب من أيقونة أثرية بالمتحف القبطى



يوحنا المعمدان

فاقدًا الوعى ، فلما استردّ وعيه خرج من القبر الذى لا يقوم على حراسته أحد . كما أضاعوا على أنفسهم فرصة الزعم بأن تلاميذه – حتى إن كان قد مات بالفعل – قد جاءوا خفية وسرقوا جثته كى يشيعوا بين الناس أنه قام ، لأن القبر ، فضلاً عن أنه كان مغلقًا بحجر ضخم تصعب زحزحته ، أصبح الآن مختومًا ، يقوم على حراسته جنود أشدّاء مدججون بالسلاح ، بحيث لا يجرؤ أحد على اقتحامه ، أو حتى على مجرّد الاقتراب منه . فكان الذى فعلوه على عكس ماهدفوا إليه تمامًا . لأنهم أثبتوا أن قيامة السيد المسيح عندما قام كانت قيامة حقيقية ، لم يتركوا هُم سبيلاً إلى التشكيك فيها أو المماراة بشأنها .



الفصل العشرون

٢٠ : ١ - ١٨

وفى فجر يوم الأحد ، وهو اليوم الثالث من موت السيد المسيح على الصليب ودفنه فى القبر فى مساء يوم الجمعة ، وقعت المعجزة الإلهية الكبرى التى طالما تنبأ بها الأنبياء ، وطالما أنبأ بها هو تلاميذه ، إذ كما أسلم روحه بإرادته على الصليب ، استردّها مرّة أخرى بإرادته كذلك وفقًا لقوله « أبذل نفسى كى أستردّها . مامن أحد ينتزعها منى ، وإنما أبذلها أنا وحدى من ذاتى . فلى سلطان أن أبذلها ولى سلطان أن أستردّها » (يوحنا ١٠ : ١٧ و١٨) . وبسلطانه هذا الذى هو سلطان الله ذاته المتحد به اتحادًا كاملاً فى جوهر الألوهية ، أعاد إلى جسده الحياة بعد ثلاثة أيام كان الجسد أثناءها راقدًا فى القبر ، فتحقق بذلك قول النبوءة « فى اليوم الثالث يقيمنا فنحيا معه » (هوشع ٦ : ٢) . كما تحقق بذلك قوله هو لتلاميذه « إن ابن الإنسان سوف يُسلَّم إلى أيدى الناس فيقتلونه وفى اليوم الثالث يقوم » (متى ١٧ : ٢٢ و٢٣) . وقد ظهر السيد المسيح بعد قيامته لتلاميذه ولكثيرين غيرهم . وقد وصف التلاميذ فيما كتبوه فى الإنجيل وقائع قيامته وظهوره ، كما شهدوها بأعينهم ، بكل دقة وأمانة وصدق ، حتى لقد بلغ من دِقّتهم وأمانتهم وصدقهم أنهم اعترفوا فيما كتبوه بأنهم لم يكونوا إلى ذلك الحين يصدّقون أنه سيقوم ، وبأن الشك ظل يراود بعضهم حتى بعد أن سمع من الباقين أنه قام وأنهم رأوه . ولئن كان ذلك الاعتراف يتضمن الإقرار بعدم إيمانهم به إيمانًا حقيقيًّا حتى ذلك الحين بعد كل ماسمعوا من تعاليمه ورأوا من

معجزاته ، مع أنهم كانوا هُم أقرب الناس إليه وألصقهم به وأعلمهم بما قال وما فعل ، إنهم لبساطة قلوبهم وسلامة طَوِيَّتهم والتزامهم الحقيقة الكاملة فيما كتبوه ، لم يجدوا غضاضة فى ذلك الاعتراف وإن كان فيه مساس بهم ، بل لعلَّهم وجدوا فى ذلك الاعتراف وسيلة إلى الإقرار بخطئهم ، والتعبير عن ندمهم ، والتكفير عن قصورهم عن إدراك حقيقة شخصية معلّمهم ، وتقصيرهم فى الإيمان بكلّ ماقاله لهم – بعد أن عرفوه حقّ المعرفة – إيمانًا لا يصح ولا يليق أن تخامره الريبة أو تتطرّق إليه أىّ بادرة من بوادر الشك . ومِنْ ثَمَّ فإننا ننقل فيما يلى نقلاً ، ما كتبوه بحذافيره ، وبأسلوبه البسيط البرىء البعيد كل البعد عن أىّ تصنُّع أو افتعال .

وقد جاء فى البشائر التى كتبها تلاميذ السيد المسيح أنه بعد أن انقضى يوم السبت الذى تقضى الشريعة بالامتناع فيه عن أى عمل : « مضت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ، وسالومى ، واشترين طيبًا ليأتين ويضمخنه . ثم عند فجر أول الأسبوع (وهو يوم الأحد) جئن إلى القبر مع طلوع الشمس . وكنَّ يتساءلن فيما بينهنّ قائلات : مَن سيد حرج لنا الحجر عن باب القبر ؟. بيد أنهنّ تطلعن فإذا الحجر مدحرج على الرّغم من أنه كان ضخمًا جدًّا » (مرقس ١٦ : ١ – ٤) . وذلك أنه كان « زلزال عظيم قد وقع ، إذ نَزل ملاك الله من السماء وجاء ، ودحرج الحجر عن باب القبر ، ثم جلَس عليه ، وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج ، فمن شدَّة الخوف منه ارتعد الحرّاس وصاروا كالأموات » (متّى ٢٨ : ٢ – ٤) . « ولمّا دخلن القبر رأين فى الجانب الأيمن شابًّا (كان فى الواقع ملاكًا) متسربلاً بحلة بيضاء فتملكهنّ الخوف ، فقال لهن : لا تخفن . فأنْتُنَّ تطلبن يسوع الناصرى المصلوب ، ولكنه ليس هنا ، فقد قام . وهذا هو المكان الذى كان راقدًا فيه . فاذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه سيسبقكم الى الجليل . فهناك ترونه كما قال لكم . فخرجن مسرعات وهربن من القبر وهنّ يرتعدن ،

وقد تملكتهن الدهشة ، وكُنَّ خائفات ، فلم يقلن لأحد شيئًا » (مرقس ١٦ : ٦ – ٨) . وقد خصّ السيد المسيح بطرس بالذكر ليشجعه مبّينًا له أنه – وإن كان قد أنكره وتنكر له فى ساعة محنته – قد قَبِل توبته ، وغفر له خطيئته التى غسلها بدموعه ، وأنه – على الرغم مما أبدى من الضعف البشَرىّ – لا يزال يعتبره من أكثر تلاميذه غيرة وإخلاصًا ، فلا يمنعه الخجل أو الوَجُل من أن يذهب للقائه بعد قيامته مع بقية زملائه .

وقد جاء فى الإنجيل للقدّيس يوحنا أنه « فى يوم الأحد أوّل الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرًا ، وكان الظلام لا يزال مخيمًا ، فرأت أن الحجر قد رُفع عن باب القبر ، فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس ، وإلى التلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه (وهو القديس يوحنا الحبيب) وقالت لهما : قد أخذوا سيدنا من القبر ولا أعلم أين وضعوه . فخرج بطرس والتلميذ الآخر ومضيا إلى القبر ، وكانا يركضان معًا ، ولكن التلميذ الآخر سبق بطرس فوصَل قبله إلى القبر وتطلَّع إلى الداخل فرأى الأكفان موضوعة ولكنه لم يدخل . ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ، فرأى الأكفان موضوعة ، وأما المنديل الذى كان على رأس يسوع فلم يكن موضوعًا مع الأكفان ، وإنما كان مطويًّا فى مكانٍ على حِدَة . ثم دخل أيضا التلميذ الآخر الذى جاء أولاً إلى القبر ورأى فآمن . لأنهم لم يكونوا بعد يدركون معنى قول الكتاب إنه ينبغى أن يقوم من بين الأموات . وبعد ذلك مضى التلميذان عائدين إلى حيث كانا . وأما مريم فكانت واقفة فى الخارج عند القبر تبكى . وفيما هى تبكى تطلعت إلى داخل القبر ، فرأت ملاكين فى ثياب بيضاء جالسين حيث كان جسد يسوع موضوعًا ، أحدهما عند رأسه والآخر عند قدميه ، فقالا لها : يا امرأة لماذا تبكين ؟. قالت لهما : إنهم أخذوا سيِّدى ولا أعلم أين وضعوه . وإذ قالت هذا التفتت إلى الوراء فرأت يسوع واقفًا ولم تعرف أنه يسوع . فقال لها يسوع : أيتها السيدة لماذا تبكين ؟ عَمَّنْ



قيامة السيد المسيح (يوحنا ٢٠ : ١ - ١٨)

تبحثين ؟ فظنت هي أنه البستاني ، فقالت له : ياسيِّدي إن كنت أنت الذي حملته . فقل لي أين وضعته وأنا آخذه . قال لها يسوع : يامريم . فالتفتت وقالت له بالعبرانية : ربُّوني ، أي يامعلِّم . فقال لها يسوع : لا تمسكي بي هكذا فإني لم أصعد بعْد إلى أبي . ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إنني أصعد إلى أبي الذي هو أبوكم ، وإلهي الذي هو إلهكم » (يوحنا ٢٠ : ١ - ١٧) .

إن مريم المجدلية في ذهولها لم تعرفه حين رأته في أول الأمر ، ولم تدرك أنه هو السيد المسيح إلا حين خاطبها بصوته المعروف لها وبالطريقة التي عهدتها منه . وإذ عرفته اندفعت نحوه وتشبثت به تشبثًا شديدًا ، وكأنها خافت أن يختفي عنها مرة أخرى ، فطمأنها مقررًا لها أنه لن يصعد إلى أبيه الآن ، أي أنه سيبقى معهم بعض الوقت قبل صعوده ، وأوصاها أن تذهب إلى تلاميذه الذين شاء تواضعه ومحبته لهم أن يدعوهم إخوته ، لتخبرهم بقيامته من بين الأموات ، وبأنه سيصعد إلى أبيه السماوي الذي هو أبوهم وإن كان بمعنى آخر ، لأن بنوّة السيد المسيح لله الآب هي بنوّة خاصة به وحده لا يشاركه فيها أحد من البشر ، وأما التلاميذ فإنهم أبناء الله باعتبارهم خليقته ، وبالتبني بالمعمودية . كما أن أباه السماوي هو إلهه بصفته الناسوتية ، وأما بصفته اللاهوتية فهو متحد به اتحادًا كاملاً وفي كينونة واحدة معه ، وإلهه هو اللاهوت المتحد به والكائن معه . وأما بالنسبة للتلاميذ فإن الله الآب هو إلههم باعتباره سيّدهم وراعيهم وباعتبارهم عباده ورعيته .

ونستنبط مما جاء في الإنجيل للقديس متى أن مريم المجدلية قبل أن تخبر التلاميذ بما رأت وسمعت ، ذهبت مسرعة وأخبرت السيدة العذراء مريم التي كانت أكثر الناس فجيعة في ابنها ولوعة عليه . فجاءتا معًا ورأتا الملاك الذي كان عند باب القبر فقال لهما « لا تخافا فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب . إنه

ليس هنا . فقد قام كما كان قد قال ، فهلُمَّا انظرا الموضع الذى كان الربّ راقدًا فيه ، واذهبا سريعًا وأخبرا تلاميذه بأنه قد قام من بين الأموات . وهاهوذا سيسبقكم إلى الجليل فهناك ترونه . هاأنذا قد قلت لكما . فخرجتا مسرعتين من القبر بخوف وفرح عظيم ، وركضتا لتخبرا تلاميذه . وإذا يسوع قد لاقاهما وقال : السلام لكما ، فتقدمتا وتشبثتا بقدميه وهما تسجدان له . فقال لهما يسوع : لاتخافا . اذهبا وقولا لإخوتى أن يذهبوا إلى الجليل وهناك سيروننى » (متى ٢٨ : ٥ – ١٠) .

كما نستنبط مما جاء فى الإنجيل للقديس لوقا أن مريم المجدلية أسرعت فأخبرت باقى النسوة اللاتى كنّ قد جئن مع السيد المسيح من الجليل ، فأتين إلى القبر « ودخلن فلم يجدن جسد الرب يسوع . وفيما كنّ متحيرات فى ذلك ، إذا برجلين قد وقفا بهنَّ فى ثياب براقة (كانا فى الواقع ملاكين) . وإذ انتابهن الخوف ونكسن وجوههن إلى الأرض قالا لهن : لماذا تطلبن الحى بين الأموات ؟. إنه ليس هنا ، وإنما قد قام . اذكرن ما كلمكن به وهو بعد فى الجليل ، قائلا إن ابن الإنسان ينبغى أن يُسلَّم إلى أيدى أناس خطاة ويُصلب وفى اليوم الثالث يقوم . فتذكرن كلامه ، وعدن من القبر وأخبرن الأحد عشر الباقين جميعًا بهذا كله . وكانت مريم المجدلية ويوانًّا ومريم أم يعقوب ، ومن كُنَّ معهن من النسوة الأخريات هُنَّ اللاتى قلن ذلك للرسل » (لوقا ٢٤ : ٣ – ١٠) . وعلى الرغم من أن مريم المجدلية – كما جاء فى الانجيل للقديس يوحنا – جاءت وأخبرت التلاميذ قائلة : « إنى رأيت الرب ، وإنه قال لها ذاك القول » (يوحنا ٢٠ : ١٨) . فإن التلاميذ مع ذلك ظلوا مرتابين « فبدا لهم كلامهن هذا كالهذيان ولم يصدّقوهن » (لوقا ٢٤ : ١١) . « وقد كانوا ينوحون ويبكون » (مرقس ١٦ : ١٠) .

ويقول القديس بطرس السلمنتى فى كتابه « القول الصحيح فى الآم السيد المسيح » : « إذا تصفحت الأناجيل تصفحًا شافيًا وجدت أنَّ مريم المجدلية جاءت إلى القبر خمس دفعات :

– الأولى مع السيدة مريم (العذراء) عشية (مساء) السبت التى هى ليلة الأحد (متى ٢٨ : ١ – ١١)

– والثانية سحرًا كما قال يوحنا (يوحنا ٢٠ : ١ – ٨)

– والثالثة مع سمعان ويوحنا (يوحنا ٢٠ : ١ – ١١) .

– والرابعة مع الجليليات (لوقا ٢٣ : ٥٥ و٥٦) ؛ (٢٤ : ١ – ١١) .

– والخامسة مع السيدة (العذراء مريم) وسالومى (مرقس ١٦ : ١ و٢) .

أما السيدة (العذراء مريم) فجاءت ثلاث دفعات .

– الأولى مع مريم المجدلية (متى ٢٨ : ١)

– والثانية مع الجليليات (لوقا ٢٤ : ١ – ١١)

– والثالثة مع سالومى (مرقس ١٦ : ١ – ٨)

وقد جاء فى الإنجيل للقديس لوقا أنه «كان اثنان من تلاميذه منطلقين فى ذلك اليوم إلى قرية تبعد عن أورشليم نحو ستين غلوة ، اسمها عمّاوس . وكانا يتحدثان معًا عن هذه الأحداث كلها . وفيما هما يتطارحان الكلام ويتناقشان ، اقترب يسوع نفسه منهما ، وسار معهما . ولكنهما كان قد أخفى عن أعينهما لكى لا يعرفاه . فقال لهما : ما هذا الكلام الذى تتطارحانه ؟ فوقفا مكتئبين ، ثم أجاب أحدهما وكان اسمه كليوباس ، وقال له : أأنت المتغرب الوحيد فى أورشليم الذى لا يعلم بالأمور التى حدثت هناك فى هذه الأيام ؟ فقال لهما : أى أمور ؟ ، قالا له : تلك المختصة بيسوع الناصرى ، الذى كان نبيًا مقتدرًا فى الفعل والقول لدى الله وكل الشعب . وكيف أن رؤساء الكهنة وحكامنا قضوا عليه بالموت وصلبوه . وقد كنا نرجو ان يكون هو المزمع أن يخلّص إسرائيل . ولكن مع ذلك

كله فإن هذا هو اليوم الثالث منذ أن حدث ذلك . غير أن بعض النسوة من جماعتنا قد أدهشننا ، إذ ذهبن باكرًا إلى القبر ، فلم يجدن جسده . وقد جئن قائلات إنهن رأين منظر ملائكة قالوا إنه حي . وقد مضى بعض الذين كانوا معنا إلى القبر فوجدوا كما قالت النسوة . أما هو فلم يروه . فقال لهما : أيها الغبيَّان والبطيئا القلب فى الإيمان بكل مانطقت به الأنبياء ، أما كان ينبغى أن يكابد المسيح هذه الآلام ثم يدخل إلى حيث مجده ؟. ثم أخذ يفسِّر لهما مبتدئًا من موسى ومن جميع الأنبياء الأمور المختصة به فى كل الأسفار المقدسة ، حتى إذا اقتربوا من القرية التى كانا يقصدان إليها ، بدا كما لو كان متجهًا إلى مكان أبعد ، فتشبثا به فى قوة قائلين : امكث معنا ، لأنه حان المساء وقد انقضى النهار ، فدخل ليمكث معهما . ولما جلس معهما لتناول الطعام أخذ الخبز وباركه وقسَّمه وناولهما ، فانفتحت أعينهما وعرفاه . وعندئذ اختفى عنهما ، فقال أحدهما للآخر : أمَا كان القلب مضطرمًا فينا وهو يكلمنا فى الطريق ويوضح لنا الأسفار المقدّسة ؟. وقاما على الفور ورجعا إلى أورشليم فوجدا الأحد عشر والذين معهم مجتمعين .. فأخبراهم بما حدث فى الطريق وكيف عرفاه عندما قسَّم الخبز » (لوقا ٢٤ : ١٣ – ٣٥) . « فلم يصدّقوا هذين أيضًا » (مرقس ١٦ : ١٣) .

٢٠ : ١٩ – ٢٥

وفى مساء ذلك اليوم الذى قام فيه مخلِّصنا من بين الأموات ، وهو الأحد أول أيام الأسبوع ، وكانت الأبواب مُغَلَّقة حيث كان التلاميذ مجتمعين خوفًا من اليهود ، جاء مخلِّصنا ووقف فى وسطهم وقال لهم : السلام لكم » (يوحنا ٢٠ : ١٩) . وقد جاء فى الإنجيل للقديس لوقا أنهم رأوه « ففزعوا وارتعبوا ، وقد ظنوا أنهم يرون روحًا . فقال لهم : ما بالكم مضطربين ، ولماذا تثور شكوك فى قلوبكم ؟ أنظروا إلى يَدَىَّ وإلى قَدمَىّ . إنى أنا هو بنفسى . جسّونى وتحققوا ،

فإنه ليس للروح لحم ولا عظام كما ترون لى . وفيما كان يقول هذا أراهم يديه وقدميه . وإذ كانوا لا يزالون غير مصدّقين أنفسهم من فرط الفرح والدهشة قال لهم : أعندكم هنا ما يؤكل ؟ فقدموا له بعضًا من السمك المشوى وشهد العسل . فأخذ وأكل أمامهم ، وقال لهم : هذا هو الكلام الذى كلمتكم به وأنا بعدُ معكم ، إذ قلت لكم إنه لابد أن يتم كل ماهو مكتوب عنى فى شريعة موسى ونبوءات الأنبياء والمزامير . حينئذ فتح أذهانهم ليفهموا الأسفار المقدّسة وقال لهم : هكذا هو مكتوب . وهكذا كان ينبغى أن يتألم المسيح ثم يقوم من بين الأموات فى اليوم الثالث ، وينبغى أن يُبَشَّر باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا بين كل الأمم ابتداء من أورشليم . وأنتم شهود لذلك » (لوقا ٢٤ : ٣٦ – ٤٨) . ثم قال لهم كما جاء فى الإنجيل للقديس يوحنّا « السلام لكم . كما أرسلنى الآب ، كذلك أُرسلكم أنا . قال هذا ثم نفخ فى وجوههم وقال لهم : اقبلوا روح القدس . مَن غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم ، ومن أمسكتم خطاياهم عليهم تمسك عليهم . وأما توما أحد الاثنى عشر ، الذى كان يدعى ديديموس أى التوأم فلم يكن معهم هناك حين جاء إليهم يسوع . فقال له التلاميذ الآخرون : إننا قد رأينا الرب . فقال لهم : إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير ، وأضع فى موضع المسامير إصبعى ، وأضع يدى فى جنبه لا أؤمن » (يوحنا ٢٠ : ٢١ – ٢٥) .

أما أنَّ السيد المسيح له المجد ينفخ فى وجوه تلاميذه ، ويقول لهم : « اقبلوا روح القدس » ، فهذه النفخة هى نفخة روح القدس .. هى إحدى مواهب الروح القدس التى تُعطى مع سّر الكهنوت لأصحاب الدرجة الكهنوتية العليا ، وهم الأساقفة . وبها ينالون سلطان الحل والعقد للخطايا ، ويصير لهم حق التصرف فى منح الحل والعقد بصفتهم « وكلاء » لله(متّى ٢٠ : ٨) ؛ (٢٤ : ٤٥) ؛ (لوقا ١٢ : ٤٢) ؛ (١ . كورنثوس ٩ : ١٧) ؛ (تيطس ١ : ٧) و « وكلاء سرائر الله » (١ . كورنثوس ٤ : ١) . وليس هناك حق بغير

مسئولية ، إذ الوكيل مسئول أمام الأصيل ، أن يتصرف فى حدود اختصاصاته كأمين مخازن سيّده ، فلا يصرف شيئًا ، ولا يتصرف إلاّ فى حدود السلطة الممنوحة له من سيّده ، ووفقًا لإرادة سيّده الذى أقامه وكيلاً عنه ، وسوف يحاسبه عن تصرفه فى يوم الحساب ، إذ يقول له آنذاك « قدّم الحساب عن وكالتك » (لوقا ١٦ : ٢) .

على أن الخطايا المقصودة فى هذا النص القدسى ليست هى الإساءات الخاصة التى يسىء بها إنسان إلى آخَر ، إذ من الواضح أن مثل هذه الإساءات لا يحتاج الغفران لها إلى موهبة من مواهب الروح القدس كما صنع السيد المسيح له المجد إذ نفخ فى وجوه تلاميذه وقال لهم : « اقبلوا روح القدس . من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم ، ومن أمسكتموها عليهم تُمسك عليهم » . ولا شك أن هذه النفخة هى منحة من قِبَل السيد المسيح وامتياز بسلطان إلهى ، يملك الممنوح له أن يحل ويعقد ، أن يغفر ويمسك منحة الغفران عن غير المستحق له ، فى حين أن الغفران عن الإساءة الخاصة هى فضيلة يمارسها الإنسان المسيحى عن فعل المحبة ، ولا يحتاج من يمارسها إلى منحة أو إلى نفخة أو إلى سلطان ، إذ قال الرب يسوع « لأنكم إن غفرتم للناس زلاّتهم ، فإن أباكم السماوى يغفر لكم أنتم أيضًا زلاّتكم . أما إن لم تغفروا للناس زلاّتهم فلن يغفر لكم أبوكم زلاّتكم » (متى ٦ : ١٤و١٥) ؛ (مرقس ١١ : ٢٥و٢٦) ؛ (متى ١٨ : ٢١و٢٢) . وقال أيضًا فى هذا النوع من الغفران عن الإساءة « اغفروا يُغفَرْ لكم » (لوقا ٦ : ٣٧) « فإن أخطأ إليك أخوك فوبِّخه . فإن تاب فاغفر له . وإن أخطأ إليك سبع مرّات فى اليوم ، ثم رجع إليك سبع مرات قائلاً : إننى تائب فاغفر له » (لوقا ١٧ : ٣ و ٤) . وإذن فما منحه السيد المسيح له المجد لرسله الأطهار كان هو سلطان الحل والعقد ، الغفران والإمساك للخطايا ضد الله وضد الشريعة الإلهية . وهو السلطان الذى يمارسه الكاهن فى سرِّ التوبة . فهو

يغفر الخطايا للخاطىء التائب إذا تثبت من صدق توبته بما يُعرف بعلامات التوبة الصادقة . وهو يمنع الغفران عن الخاطىء المصرّ على خطيئته ، والذى لم يقدّم عن خطاياه توبة صادقة . والكاهن كوكيل لله مسئول عن استخدام هذا السلطان فى حدود ارادة سيّده ومعطياته « وكما يقوّمها الكاهن تكون » (اللاويين ٢٧ : ١٢) ؛ (العدد ١٨ : ١٦) .

ومما هو جدير بالملاحظة أن السلطان الممنوح للرسل ومن هم فى حكمهم من أصحاب الدرجة الرسولية العليا فى الكنيسة ، هنا – وهو سلطان الحل والعقد للخطايا فى سّر التوبة – شىء جديد مضاف إلى « سلطان الربط والحل » الذى منحه السيد المسيح لتلاميذه كما ورد فى الإنجيل للقديس متى (متى ١٦ : ١٩) ؛ (١٨ : ١٨) إذ يقول له المجد لتلاميذه : « الحق أقول لكم إن كل ماتربطونه على الأرض يُربط فى السماوات ، وكلّ ماتحلّونه على الأرض يحُل فى السماوات » ، إذ أن سلطان « الحل والربط » يشمل سلطان التقنين والتشريع الممنوح للرسل مجتمعين ، وبالتالى لمن هُم فى حكم الرسل ، أى المجامع المقدّسة ، سواء أكانت المجامع المسكونية أو المجامع الإقليمية أو المحلية التى تتألف من أساقفة الكنيسة مجتمعين .. « الله قائم فى مجمع الله ، فى وسط الآلهة يقضى » (المزمور ٨١ : ١) .

٢٠ : ٢٦ – ٢٩

ثم بعد ثمانية أيام ، أى فى يوم الأحد التالى للقيامة المجيدة ، كان تلاميذ مخلّصنا فى القاعة العليا لبيت مرقس الرسول فى أورشليم ، كما جاء فى الإنجيل للقديس يوحنا ، «كان التلاميذ مجتمعين فى الداخل أيضًا (فى بيت مرقس الرسول) ، وكان توما معهم ، فدخل يسوع والأبواب مغلّقة ووقف فى وسطهم وقال لهم : السلام لكم . ثم قال لتوما : هاتِ إصبعك إلى هنا وأبصر يدىّ ،

وهات يدك وضعها فى جنبي ، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمنًا . فأجاب توما وقال له : ربى وإلهى . قال له يسوع . لأنك رأيتنى ياتوما آمنت ، طوبى للذين لم يروا وآمنوا » (يوحنا ٢٠ : ٢٦ - ٢٩) .

فى هذه المرة وفى المرة السابقة ، دخل السيد المسيح له المجد إلى القاعة العليا التى كان يقيم فيها تلاميذه ، وأبوابها مغلّقة من الداخل بسبب خوفهم من اليهود ، الأمر الذى فزعوا له وارتعبوا ، لأنهم ظنوه روحًا ، أو شبحًا ، أو خيالاً ، ولكنه له المجد أثبت لهم بمالا يدع مجالاً للشك أن الجسد الذى ظهر به لم يكن روحًا ولا شبحًا ولا خيالاً ، وإنما كان جسدًا حقيقيًا وماديًّا من طبيعة جسدنا . وهو بذاته الجسد الذى صلبه الرومان واليهود ، ودقّوا فيه المسامير وطعنوه بالحربة فى جنبه الأيمن . وقد أراهم بالفعل يديه وقدميه وجنبه ؛ بل إنه طلب منهم أن يقتربوا منه ويلمسوه ويتحققوا بأنفسهم فيصدقوا فى يقين أنه قام من بين الأموات بذات جسده الذى صُلب ومات ودفن فى القبر ، وزاد على ذلك بأن طلب من تلميذه توما - الذى شك فى شهادة التلاميذ رفاقه وطلب أن يضع إصبعه فى أثر المسامير فى يديه وقدميه ، وأن يضع يده فى جنبه ، وبغير ذلك لا يؤمن ولا يصدّق - أن يتقدم هو أيضًا ويقترب منه ، ويضع إصبعه فى يديه وقدميه وجنبه كما أراد .

فإذا كان الجسد الذى دخل به المسيح يسوع إلى القاعة العليا وأبوابها مغلّقة من الداخل ، جسدًا حقيقيًّا طبيعيًّا ماديًّا لا خياليًّا ، فكيف تتوفر هذه الإمكانية لجسد طبيعى إلا لأنه جسد المسيح ، الذى باتحاد اللاهوت به صارت له قدرات وإمكانات لا تتوفر لجسد طبيعىّ آخر .

وكما أنه دخل القاعة العليا وأبوابها مغلّقة ، كذلك خرج من بطن العذراء عند ميلاده منها وأبواب البكارة مصونة ومغلقة (حزقيال ٤٤ : ٢) . وبالمثل خرج من القبر عند قيامته ، والقبر مغلق بالحجر بإحكام ، وبأختام .. وهذه

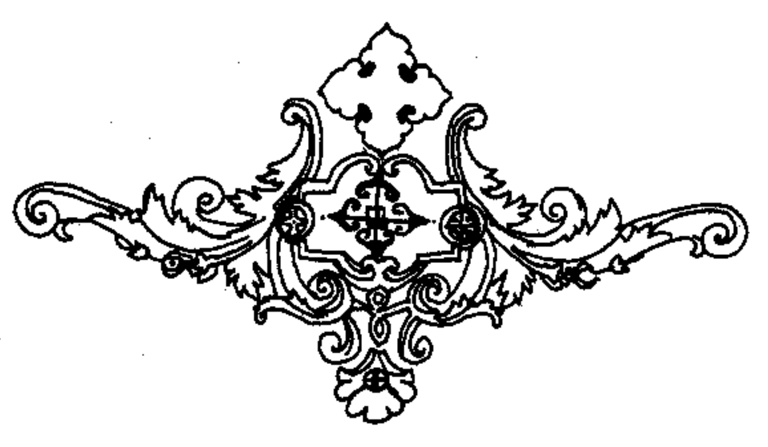
جميعها بيِّنات على سلطان لاهوته ، المتحد بناسوته .

ومن الغريب أن توما بعد أن لمس بيديه أثر المسامير فى يدى المخلّص وقدميه ووضع يده فى جنبه ، يصرخ ويقول « ربّى وإلهى » . فكيف قادت هذه الرؤية والملامسة توما إلى اعتراف صريح بالربوبية والألوهية لم يسبق إليه من قبل .. إنّه بَيِّنة على أن توما لمس بيده نارًا أحسّها وهو يضع إصبعه فى أثر المسامير فى يَدَى المخلِّص وقدميه وفى جنبه . فلم يتمالك أن يصيح هذه الصيحة . ذلك لأنه لمس صدق قول الوحى الإلهى « إنَّ إلهنا نار آكلة » (العبرانيين ١٢ : ٢٩) ؛ (الخروج ٢٤ : ١٧) ؛ (التثنية ٤ : ٢٤) ؛ (٩ : ٣) ؛ (المزمور ٤٩ : ٣) ؛ (٩٦ : ٣) ؛ (إشعياء ٦٦ : ١٥) .. إن توما لو لم يكن قد لمس بيده نارًا لكان يكفيه أن يقول إنه آمن بحقيقة قيامة السيد المسيح كما حدّثه عنها زملاؤه التلاميذ .

٢٠ : ٣٠و٣١

ولما كان الإنجيل للقديس يوحنا اللاهوتى قد كتبه بعد أن ذاعت بين الناس الأناجيلُ للقدّيسين متى ومرقس ولوقا ، فقد تجنب تكرار بعض ماجاء فى تلك الأناجيل . ثم ختم بشارته قائلاً : « وقد صنع يسوع أمام تلاميذه آيات أخرى كثيرة لم تكتب فى هذا الكتاب . وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله ، ولتكون لكم إن آمنتم الحياة الأبدية باسمه » (يوحنا ٣٠و٣١) . والواقع أنّ القدّيس يوحنّا اللاهوتى كتب بشارته وقد ناهز المائة من عمره ليوضِّح فيه حقيقة الطبيعة الإلهية لمخلِّصنا له المجد ، تصحيحًا للأخطاء التى وقع فيها بعض الهراطقة وبعض الذين تناولوا بالدراسة هذا الموضوع متأثرين بآراء الفلاسفة الوثنيين ولا سيمّا اليونانيين منهم . فلم يذكر إلا الوقائع التى تبرز حقيقة المسيح اللاهوتية ، وتبين من هو فى ذاته قبل أن يتخذ له جسدًا يحجب به لاهوته . وذلك ردًّا على ما أثاره الهراطقة من آراء فلسفية لا ترقى إلى مستوى

البحث فى طبيعة الله . لأن هذاالبحث يفوق المدارك البشرية المحدودة والمحدّدة بالقدرات التى وهبها الله للعقل البشرى ليتواءم مع الإمكانيات التى أتاحتها الحياة للإنسان على الكرة الأرضية التى هى ليست إلا ذرّة لا توازى حبّة الرمل بالنسبة للكيان الكلى للكون الأعظم الذى لا حدود له بما يتجاوز نطاق ذلك العقل البشرى بملايين الملايين من المرّات والقدرات التى لا يمكن أن يصل إليها العقل البشرىّ مهما بلغ من الحجم والقدرة ، أو يستوعبها الخيال البشرىّ مهما اتسع وارتفع إلى أعلى عليين من السماوات . ومِنْ ثَمَّ فقد اكتفى القديس يوحنا فى بشارته ببيان الجوهر الإلهى لمخلِّصنا وما يدلّ عليه مافعل من أفعاله أو ما قال من أقواله ، مَستندًا فى ذلك إلى تفاصيل مافعله وماقاله مما ذكره الإنجيليون الذين سبقوه . ومِنْ ثَمَّ اكتفى الإنجيل للقّديس يوحنا بأن قال « وقد صنع يسوع أمام تلاميذه آيات أخرى كثيرة لم تُكتب فى هذا الكتاب . وأما هذه فقد كُتبَت لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله ، ولتكون لكم إن آمنتم الحياة الأبديّة باسِمه » ، أى أن القديس يوحنا ما كتب هذا الإنجيل إلا ليبرهن به على لاهوت مخلِّصنا يسوع المسيح باعتباره ابن الله ، وباعتباره الكائن مع الله الآب فى كينونة واحدة وجوهر واحد . وأن هذا هو جوهر الإيمان المسيحى ، فكل الذين آمنوا به باعتباره كذلك ينالون الحياة الأبدية باسمه ، أو بوصفهم مسيحيين مؤمنين صادقى الإيمان بمسيحيتهم وعميقى الاعتقاد بهذه الحقيقة الإلهية مهما تسامت على العقول البشرية القاصرة ، القصيرة المدى ، المحدودة المقدرة .



الفصل الحادى والعشرون

٢١ : ١ - ٢٩

وبعد ذلك أظهر مخلِّصنا نفسه مرة أخرى لتلاميذه على بحر طبرية ، الذى هو بحر الجليل ، أو بحيرة جنِّيسارت ، إذ كان سمعان بطرس وتوما المدعو ديديموس ، ونثنائيل الذى من قانا الجليل ، وابنا زبدى (وهما يعقوب ويوحنا) ، واثنان آخران من تلاميذه مجتمعين معه . فقال لهم سمعان بطرس : « إننى ذاهب لاصطاد سمكًا » . فقالوا له : « ونحن أيضًا نذهب معك » . ثم خرجوا وركبوا السفينة ، إلا أنهم لم يصيدوا فى تلك الليلة شيئًا ، حتى إذا طلع الصباح وقف مخلّصنا على الشاطىء ، ولكن التلاميذ لم يعلموا أنه هو يسوع . فقال لهم يسوع : « يافتيان ألديكم شىء يؤكل ؟ » أجابوه : « لا » . فقال لهم : « ألقوا الشبكة من الجانب الأيمن للسفينة فتجدوا » . فألقوها ، وعندئذ لم يستطيعوا أن يجذبوها إلى فوق من كثرة السمك . فقال التلميذ الذى كان يسوع يحبه (وهو يوحنا) لبطرس : « إنه الرب » . فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب اتّزر بثوبه لأنه كان عريانًا . ثم ألقى بنفسه فى البحر . وأما التلاميذ الآخرون فجاءوا بالسفينة التى لم تكن تبعد عن الشاطىء إلا نحومائتى ذراع ، ثم أخذوا يجرّون شبكة السمك . فلما جاءوا إلى الأرض تطلّعوا فرأوا جمرًا ، وسمكا موضوعًا عليه وخبزًا . وقال لهم يسوع : « قدّموا من السمك الذى اصطدتم الآن » ، فصعد سمعان بطرس وجرّ الشبكة إلى الأرض وهى مكتظة سمكًا كبيرًا ، مائة وثلاثًا وخمسين سمكة . ومع

كثرة هذا العدد لم تتخرّق الشبكة . فقال لهم يسوع : « هلمّوا تناولوا الطعام » . ولم يجسر أحد من تلاميذه على أن يسأله : « من أنت ؟ » لأنهم عرفوا أنه هو الرب . ثم تقدّم يسوع وأخذ الخبز وناولهم ، وكذلك السمك . وكانت هذه هي المرة الثالثة التى أظهر يسوع فيها نفسه لتلاميذه مجتمعين بعد قيامته من بين الأموات . وبعد أن تناول الطعام ، قال يسوع لسمعان بطرس : « ياسمعان بن يوحنَّا ، أتحبنى أكثر من هؤلاء ؟ » . فقال له : « نعم يارب أنت تعلم أننى أحبك » . قال له : « إرْعَ حِملانى » . ثم قال له ثانية : « ياسمعان بن يوحنَّا أتحبنى ؟ » فقال له « نعم يارب أنت تعلم أننى أحبّك » . قال له : « إرعَ خرافى » . ثم قال له للمّرة الثالثة : « ياسمعان بن يوحنَّا أتحبنى ؟ » ، فحزن بطرس لأنه قال له للمرة الثالثة « أتحبنى ؟ » ، وقال له « يارب أنت تعلم كلّ شىء : أنت تعلم أننى أُحبك » . فقال له يسوع : « إرعَ غنمى » . وهكذا جعل السيد المسيح بطرس يعترف بإيمانه به وبحبه إياه ثلاث مرّات ، كى يصلح الخطأ الذى سبق أن ارتكبه ، إذ أنكره وتبرّأ من معرفته له ثلاث مرات . ولعلّه بذلك يذكّره بخطيئته وإنكاره وهو الذى سبق أن قال لمعلمه « إن شك فيك الجميع فلن أشكّ أنا أبدًا » (متى ٢٦ : ٣٣) . وقد طلب إليه مخلّصنا – ليبرهن له على أنه غفر له خطيئته ، ووضع فيه من جديد ثقته – أن يرعى حملانه وخرافه وغنمه ، أى تلاميذه وسائر المؤمنين به ، لأنه كان من أكثرهم جرأة وأوفرهم غيرة وحماسة . وقد كان السيد المسيح يعلم أنه سيواصل التبشير به والشهادة له فى كل أنحاء الأرض حتى يستشهد فى سبيله . ومِنْ ثَمَّ تنبأ له قائلاً « الحقَّ الحقَّ أقول لك إنك حين كنت شابًّا ، كنت تمنطق نفسك بنفسك ، وتذهب إلى حيث تشاء . ولكنك متى شخت ستبسط يديك ، وشخص آخر يمنطقك ويحملك إلى حيث لا تشاء » . قال له هذا مشيرًا إلى الميتة التى كان مزمعًا أن يمجّد الله بها . وفعلا لقد مات القديس بطرس مصلوبًا ، بَيْد أنه طلب أنه يصلبوه منكسًا ،

أى أن يكون رأسه إلى أسفل ورجلاه إلى أعلى . وبعد ذلك قال له يسوع : « اتبعنى » . فالتفت بطرس ورأى التلميذ الذى كان يسوع يحبه يتبعه . وهو ذلك الذى كان قد اتكأ على صدره أثناء العشاء ، والذى قال له : « ياربّ من هو الذى سيسلّمك » . فلما رأى بطرس ذلك قال ليسوع : « يارب وماذا عن هذا ؟ » قال له يسوع : « لو أننى شئت أن أبقيه إلى أن أجئ فماذا يعنيك ؟ اتبعنى أنت » . فذاع بين الإخوة القول بأن ذلك التلميذ لا يموت . غير أن يسوع لم يقل له إنه لا يموت . وإنما قال : « لو أننى شئت أن أبقيه إلىأن أَجىء فماذا يعنيك ؟ » (يوحنا ٢١ : ١٨ – ٢٣) .

وقد جاء فى الإنجيل للقديس متى قوله : « وأما التلاميذ الأحد عشر فذهبوا إلى الجبل الذى كان يسوع قد عيّنه لهم فى الجليل . فلما رأوه سجدوا له .. فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً : إنى قد أُعطيت كلّ سلطان فى السماء وعلى الأرض . فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ، وعلّموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به . وهاأنذا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهور » (متى ٢٨ : ١٦ – ٢٠) .

وبعد أن ظهر السيد المسيح لتلاميذه بعد قيامته مرارًا على هذا النحو « ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمائة أخ » . وقد قال بولس الرسول حين كتب رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس بعد قيامة السيد المسيح بنحو ثلاثين عامًا أن « أكثرهم باق إلى الآن ، ولكن بعضهم قد رقدوا » (١ . كورنثوس ١٥ : ٦) .

* * *

وقد كانت قيامة السيد المسيح بعد موته سرًّا من الأسرار الإلهية المتعلقة بطبيعة السيد المسيح التى اتحد فيها الإله بالإنسان اتحادًا تامًّا كاملاً . فالسيد المسيح بقيامته بعد موته قد أعطى البشَر أَوَّل برهان واقعى رأوه بأعينهم على قيامة

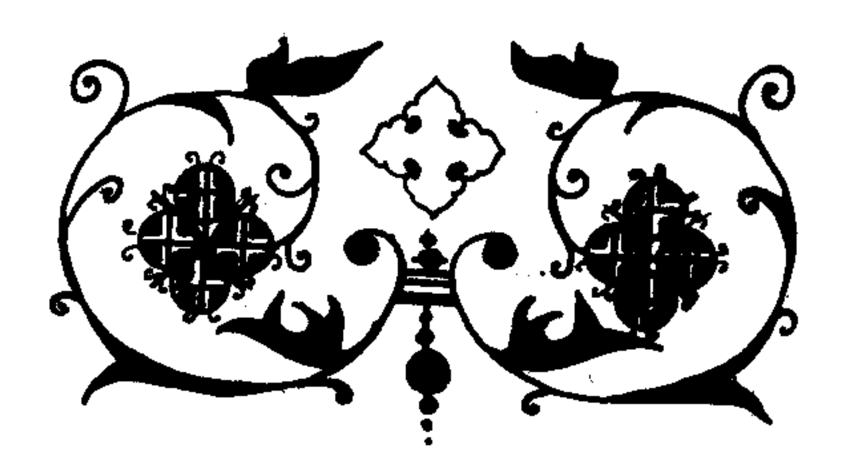
الأموات فى اليوم الأخير . إذ كانت قيامته كما يقول بولس الرسول « أول قيامة الأموات » (الأعمال ٢٦ : ٢٣) . ثم يقول إن الله قد أقام الرب وسيقيمنا نحن أيضًا بقوته (١ . كورنثوس ٦ : ١٤) . ويقول « فإن لم تكن قيامة أموات ، فلا يكون المسيح قد قام . وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا ، ونوجد نحن أيضًا شهود زور لله . لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح وهو لم يُقمه ، إن كان الموتى لا يقومون .. ولكن الآن قد قام المسيح من بين الأموات ، وصار باكورة الراقدين .. فإنه إذ الموت بإنسان ، فبإنسانٍ أيضًا قيامة الأموات . لأنه كما فى آدم يموت الجميع . هكذا فى المسيح سيُحيا الجميع .. إن كان الموتى لا يقومون فلنأكل ونشرب لأننا غدًا نموت » (١ . كورنثوس ١٥ : ١٣ — ٣٢) . ثم يشرح بولس الرسول ماهية القيامة ويبوح ببعض أسرارها . فيقول « كيف يُقام الأموات وبأى جسم يأتون ؟.. الذى تزرعه لا يحيا إن لم يَمُت . والذى تزرعه لست تزرع الجسم الذى سيصير ، بل حبَّة مجّردة ، ربما من حنطة أو سواها من الحبوب ، ولكن الله يعطيها جسمًا كما يشاء .. هكذا أيضًا قيامة الأموات .. يُزَرع فى فساد ، ويُقام فى غير فساد . يُزرع فى هوان ، ويُقام فى مجد . يُزرع فى ضعف ويقام فى قوة . يزرع جسمًا حيوانيًّا ويُقام جسمًا روحانيا . يوجد جسم حيوانى . ويوجد جسم روحانى . هكذا مكتوب أيضًا صار آدم الأول نفسًا حية ، وآدم الأخير (وهو السيد المسيح) روحًا محييًا . لكن ليس الروحانى أولاً ، بل الحيوانى ، وبعد ذلك الرّوحانى . الإنسان الأول من الأرض ترابى . الإنسان الثانى الربّ من السماء . كما هو الترابى ، هكذا الترابيُّون أيضًا . وكما هو السماوى ، هكذا السماويون أيضًا . وكما لبسنا صورة الترابى ، سنلبس أيضًا صورة السماوى .. إنّ لحمًا ودمًا لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ، ولا يرث الفساد عدم الفساد . هُوَذا سِرٌّ أقوله لكم : لا نرقد كلنا ، ولكننا كلنا نتغيَّر ، فى لحظة ، فى طرفة عين ، عند البوق الأخير . لأنه سيُنفخ فى البوق ، فيقام

الأموات عديمى فساد ، ونحن (الأحياء) نتغيَّر ، لأن هذا الفاسد لا بدّ أن يلبس عدم فساد . وهذا المائت يلبس عدم موت » (١ . كورنثوس ١٥ : ٣٥ - ٥٣) .

* * *

وفى يوم الخميس ، بعد أربعين يومًا من قيامة السيد المسيح ، أخذ تلاميذَه إلى بيت عنيا على جبل الزيتون بالقرب من أورشليم (لوقا ٢٤ : ٥٠) ؛ (الأعمال ١ : ١٢) . و « بعد أن أصدر أوامره بالروح القدس إلى الرسل الذين اختارهم ، والذين أيضًا بعد أن تألّم أراهم نفسه حيًّا ببراهين كثيرة واضحة ، وقد ظل أربعين يومًا يظهر لهم ويكلمهم عن ملكوت الله . وفيما هو يأكل معهم أوصاهم بألاّ يبرحوا أورشليم قائلاً : انتظروا موعد الآب الذى سبق أن سمعتموه منى . فإن يوحنّا عمَّد بالماء . وأما أنتم فستعمَّدون بروح القدس ، بعد أيام غير كثيرة . فسأله الذين كانوا مجتمعين معه قائلين : يارب أفى هذا الزمن تردّ المملكة إلى إسرائيل ؟ فقال لهم : ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة أو الأوقات التى جعلها الآب فى ذات سلطانه . لكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم ، فتكونون لى شهودًا فى أورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض » (الأعمال ١ : ٢ - ٨) . « ثم رفع يديه وباركهم . وفيما هو يباركهم افترق عنهم وصعد إلى السماء » (لوقا ٢٤ : ٥٠ و ٥١) ، « وأخذته سحابة عن أعينهم . وفيما كانوا شاخصين نحو السماء وهو منطلق ، إذا برجُلين بملابس بيضاء قد ظهرا لهم ، وقالا لهم : أيها الرجال الجليليون ، مابالكم واقفين تتطلعون إلى السماء ؟ إن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء سيجىء ثانية هكذا كما رأيتموه وهو منطلق إلى السماء » (الأعمال ١ : ٩ - ١١) . وقد « جلس عن يمين الله » (مرقس ١٦ : ١٩) . « فسجدوا له ، ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم » (لوقا ٢٤ : ٥٢) .

وهكذا جاء السيد المسيح إلى الأرض مجىء إله ، إذ حُبل به من روح القدس (متى ١ : ٢٠) . وكانت الملائكة عند ميلاده تترنم بتسبيحه (لوقا ٢ : ١٤) . وصعد إلى السماء صعود إله ، إذ حملته سحابة من نور ، وكانت الملائكة عند صعوده تهتف بمجده (الأعمال ١ : ٩ – ١١) . بيد أنه وان نزل من السماء ثم صعد إلى السماء ، كان دائمًا فى السماء . وفقا لقوله « مامن أحد صعد إلى السماء ، إلا ذلك الذى نزل من السماء ، ابن الإنسان الذى هو فى السماء » (يوحنا ٣ : ١٣) . وذلك لأنه وإن كان بناسوته نزل وصعد ، فإنه بلاهوته كان دائمًا وسيظل إلى الأبد مالئ الأرض والسماء ، ومالك الأرض والسماء ، وملك الأرض والسماء ، « ولن يكون لملكه انقضاء » (لوقا ١ : ٣٣) . ولسوف يأتى فى مجيئه الثانى بمجد وجلال ، ليدين الأحياء والأموات ، وفقًا لقوله « هاأنذا آتٍ سريعًا ، ومعى الجزاء الذى أجزى به كل واحد بعمله . أنا الألِف والياء . البداءة والنهاية . الأول والآخِر .. أنا أصل داود ونسله . أنا كوكب الصبح المنير . والروح والعروس يقولان : تعالَ .. مَن سمع فليقل تعالَ .. نعم ، أنا آتٍ سريعًا . آمين . تعالَ أيها الرب يسوع » (الرؤيا ٢٢ : ١٢ – ٢٠) .



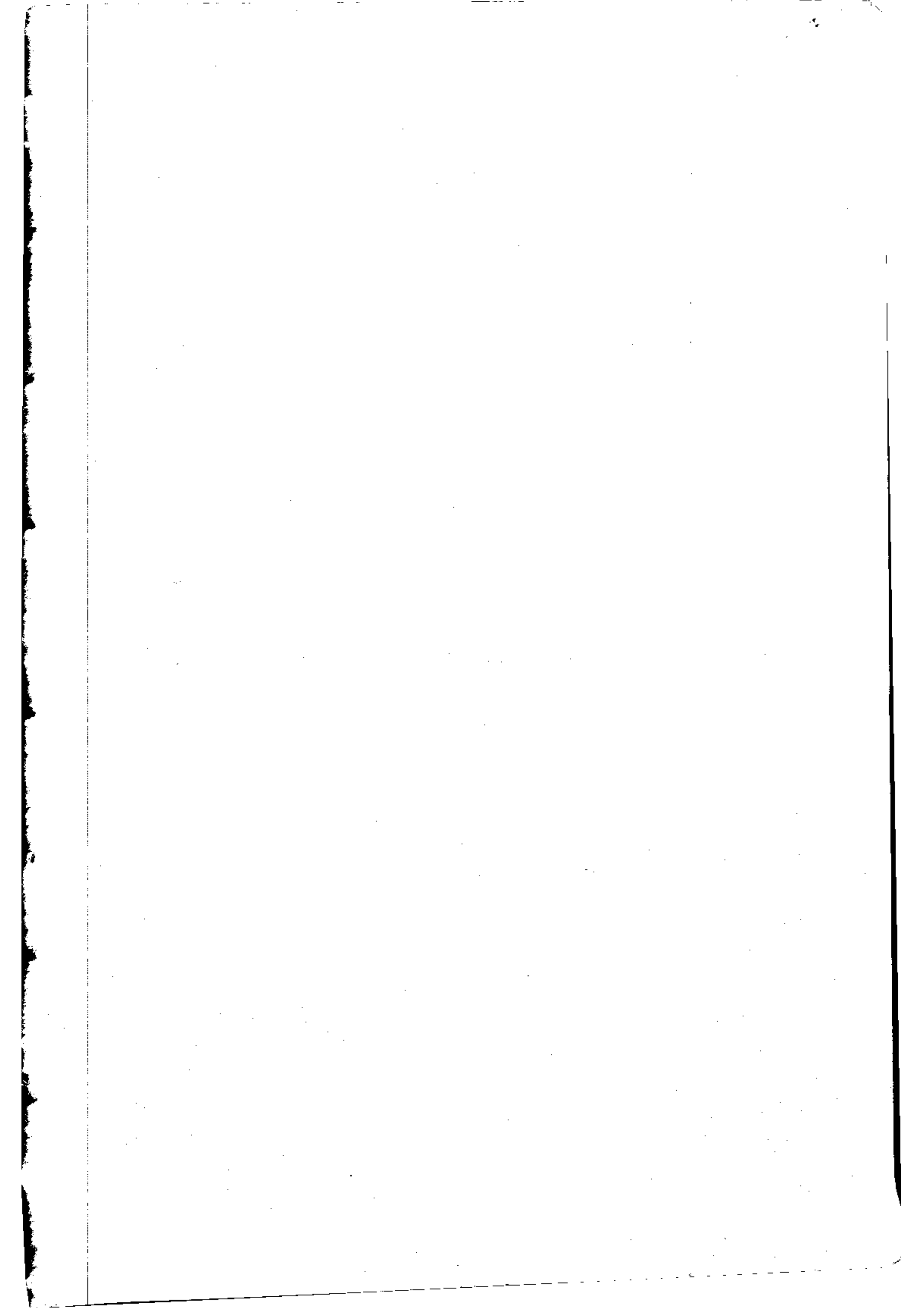
فهرس

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة



فهرس الزخارف

صفحة

صفحة

صفحة

رقم الإيداع		١٩٩٦/٤٠٨٦
الترقيم الدولى	977 - 02 - 5258 - 1	ISBN

١ / ٩٥ / ٣٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.) ١٩٩٧م